اللسان العربي

مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب

سجل لأعمال

- مجامع اللغة العربية
- المجالس العليا للعلوم والآداب والفنون
- الجامعات والمعاهد العلمية
- الهيئات والمراكز والشعب الوطنية للتعريب
- رجال الفكر والعاملين لإعلاء اللغة العربية وجعلها في مستوى اللغات العالمية الحية

المجلد الثامن

الجزء الأول

يصدرها

المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي

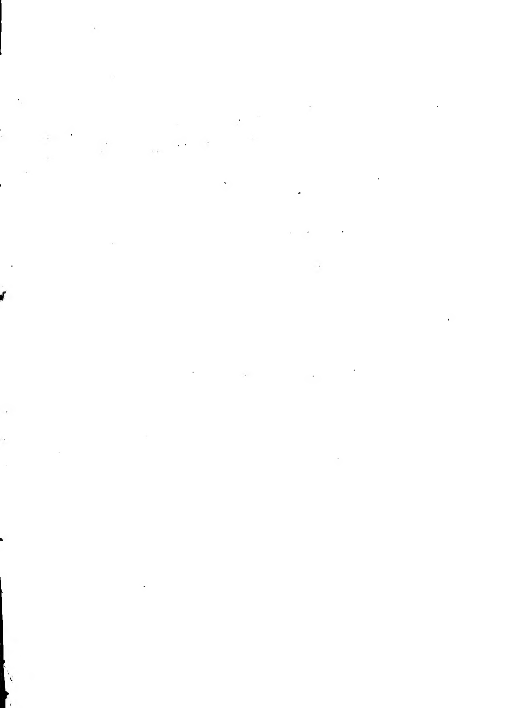
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

جامعة الدول العربية

(الرباط المملكة المغربية)




دراسات لغوية



تنظيرات ومقارنات حول : فصحى العامية في المغرب والأندلس

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

سبق ان نشرنا دراسة واسعة عن « الاصول العربية والاجنبية للعامية المغربية » منظرين بين فصحى العاميات في كثير من الاقاليم والاقطار العربية (سوريا – لبنان – مصر – الخليج العربي) وقد ركزنا خاصة على المقارنة بين اللهجة الدارجة في المغرب واللغة الفصيحة وضربنا مآت الامثلة للدلالة على **أصالة عاميتنا** وقد عثرنا في كتب اللغة القديمة بعد صدور ذلك البحث على عدد كبير من المفردات التي حرفتها العامية تحريفا يسيرا والتي ترجع الى صلب الفصحى وبعضها بائد من أعماق اللسان الجاهلي الذي عدل عن استعماله في العصر الحاضر وزدنا تركيزا لهذه الفكرة بضرب مثل حي باللهجة الرائجة في ناحية زعير الواقعة على ابواب عاصمة الرباط مما يدل على أن **الدخيل في العامية المغربية كان قليلا** اذا استثنينا مجموعات ضئيلة انتقلت عن طريق الفصحى من الفارسية وفي العهود الاخيرة من الاسبانية والفرنسية وقد قمنا بمحاولة جريئة استهدفنا بها **استخلاص بعض القواعد التي درجت عليها اللهجة العامية المغربية في جولاتها** قياسا على الفصحى وعلى بعض العاميات في البلاد العربية وبالاخص سوريا واذا استعرضنا **المفردات الاندلسية** التي وصلت الينا محرفة عن اصلها العربي وجدناها **اقرب في بنيتها وشكلها من دارجة المغرب** فالدخيل فيها قليل وقد تحدث الاستاذ الكبير كرد علي عن «عجائب اللهجات»(1) فقال : (لعل الدخيل كان نادرا في أرض الاندلس لان الامويين توخوا الوحدة في كل شيء) الى ان قال : « وكانت اللهجة الاندلسية من أجمل اللهجات نقلها اهلها بعد الجلاء الى البلاد التي نزلوها : مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام **ولعلها كانت لقربها من الفصحى** اشبه بلهجات اليمن والحجاز ، والاندلس استعملت الفاظا فصيحة ما استعملها العراق ومصر والشام » .

ونريد ان نقصر اليوم تنظيراتنا على لهجتي المغرب والاندلس لنلمس من خلال هذه المقارنات كيف **ان لهجة المغرب كانت اقرب الى الفصحى** منذ القرن الرابع الهجري وسيكون مصدر بحثنا كتاب « لحن العوام » للعلامة اللغوي الكبير ابي بكر محمد بن حسن ابن مذحج الزبيدي (316 هـ – 379 هـ) وقد صدر هذا الكتاب (عام 1964) في سلسلة كتب « لحن العامة» باشراف الدكتور رمضان عبد التواب أستاذ الآداب بجامعة عين شمس .

والزبيدي هذا اشبيلي اندلسي أصله من حمص الشام وهو من تلامذة ابي علي القالي البغدادي في اللغة والشعر روى عنه كثيرا في كتابه « لحن العوام » ومن تلامذة الزبيدي اسماعيل بن سيده والد علي ابن سيده المشهور صاحب « المخصص » وقد وصف الزبيدي في كل من « طبقات ابن شهبة (2 / 37) والوافي بالوفيات (3 / 251) بانه « شيخ اللغة

---

1) مجلة مجمع اللغة العربية ج 7 ص 128 عام 1953 .

والعربية بالاندلس » كما لقبه الفتح بن خاقان (2) بامام اللغة والاعراب وابن خلكان (3) ب « أوحد عصره فى علم النحو وحفظ اللغة » وهو ايضا فى نظر الثعالبي (4) « احفظ اهل زمانه للاعراب والفقه واللغة والمعاني والنوادر » وقد لخص المقري هـذه الانظار كلها بقوله (5) : « هو فى المغرب بمنزلة ابن دريد فى المشـرق » .

وقد كتب الكثير فى اخطـاء العوام والخـواص ونجتزىء الآن بذكر اربعة كتب مخطوطة فى دار الكتب المصرية منها :

1) درة الغواص فى اوهام الخواص للقاسم بن علي الحريري (516 هـ) مع تكملتهـا لابى منصـور الجواليقي (540 هـ) .

2) رسالة فى اغلاط العوام للسيوطي (911هـ) مرتبة على حروف المعجم .

3) التنبيه على غلط الجاهل والنبيـه لابن كمال باشا احمد بن سليمان (940 هـ) (معجم رقم 348 لغة) .

4) « تقويم اللسـان » لابن الجوزي (597 هـ) وقد نشرنا قسما منه فى العدد الاخيـر من مجلـة « اللسان العربي » وصدر كاملا باشـراف المجمع العامي العربي ببغداد كما سبق أن نشـرت مجلتنـا « اللسان العربي » (العدد الثاني) دراسـة حـول العامية فى « المغرب والاندلس » استعرضت المصنفات المغربية فى هذا المجال « كانشاد الضوال وارشـاد السؤال » (6) ويتضح من مائة مثال اوردها الزبيدي فى كتابه بالنسبة للقرن الرابع الذي هو العصر الفني فى حقب تطور اللغة العربية ـ أن الكثير من الفـاظ العامية المغربية أقرب الى اللسان الفصيح ـ بنيـة وشكلا ـ من الدارجة الاندلسية :

وهاكم هذه الامثلة :

1) بزيم للحديدة التي تكون فى طرف حـزام السرج او المنطقة .. والصواب ابزيم (ص 15) .

2) دشيش .. والصواب جشيش (20) .

3) يقولون لواحد الذبان ذبانة .. والصواب ذبـاب (31) .

4) يقولون للنبت الكثير الشوك المنبسـط بالارض خرشف .. والصواب حرشف (ص 37) .

5) يقولون لشجر يكون فى الجبال عرعار .. والصواب عرعر (ص 48) .

6) يقولون حنن يده .. والصواب حنا يديه (ص 52) وهو المستعمل عندنا بالمغرب الاقصى وبذلك يكون المغرب هنا أقرب الى الفصحى من الاندلس .

7) ويقولون للنبت الذي يصبغ به الثياب فوة (بالفتح) .. والصواب فوة (بالضم) (ص 63) (مثـل المغـرب) .

8) قرنفل بضم الراء .. والصواب قرنفـل (بالفتح) (ص 64) .

9) يقولون فلان مدهول .. والصواب ذاهل (ص 65) وهو المستعمل بالمغرب .

10) ويقولون لواحد الكلى كلوة .. والصواب كليـة (ص 67) .

11) ويقولون للظرف الذى يوضع فيه افواه العطر واصناف الحلي حكة .. والصواب حق (ص 68) (حك بالمغرب) .

12) ويقولون مقداف السفينة .. والصواب المجداف (ص 69) .

13) ويقولون حلقة للنبت الذي يتخذ منـه الحبال .. والصواب حلفة (بالتحريك) (ص 70) .

14) ويقولون للاناء المتخذ من الصفر سطل .. والصواب سيطل (ص 75) .

15) ويقولون للحديدة التي يقطع بها ويحلـق موس ويعودون فيجمعونها امواسـا .. والصـواب موسى (ص 78) .

2) مطمح الانفس 53 / 23 .
3) وفيات الاعيان 1 / 514 .
4) يتيمة الدهر 1 / 409 .
5) نفح الطيب 5 / 24 .
6) سماه السيوطي فى بغية الوعاة ص 82 بلحن العـامـة .

16) ويقولون فلان سلف (بتسكين اللام) فلان اذا تزوجا اختين .. والصواب سلف (بكسر اللام) (وهو المستعمل بالمغرب) (ص 81) .

17) ويقولون لم افعل هذا عاد بمعنى حتى الآن .. والصواب لم افعل هذا بعد (ص 83) .

18) ويقولون لريحانة طيبة الريح نمنع(بالفتح) .. والصواب نمنع بضم النونين (ص 87) .

19) ويقولون فلان مخمول .. والصواب الخامل (وهو المستعمل بالمغرب) (ص 88) .

20) ويقولون سفرجل فيضمون (اي الجيم) .. والصواب سفرجل بالفتح وليس في الكلام الخماسي الصحيح شيء على مثال فعلل (ص 89) (والفتح الفصيح هو لغة المغرب) .

21) ويقولون للصبرة من الطعام وغيره كدس بالضم .. والصواب كدس (بالفتح) (يسكن بالمغرب) (ص 90) .

22) ويقولون لبعض الاصماغ المجلوبة لوبان (بفتح اللام) .. والصواب لبان (المستعمل بالمغرب) (ص 93) .

23) ويقولون حمص بالتخفيف .. والصواب حمص بالتشديد (كما في المغرب) (ص 94) .

24) ويقولون لبعض الفؤوس التي يقطع بها الخشب شتور بالشين .. والصواب ساقور (ص 97).

25) ويقولون لضرب من الشجر دفلة .. والصواب دفلى (ص 99) .

26) ويقولون قادوم .. والصواب قدوم (مثل ما في المغرب) (ص 100) .

27) ويقولون للحية حنش فيسكنون .. والصواب حنش (بالتحريك) (ص 102) (بفتح النون في المغرب) .

28) ويقولون للبستان الذي يحظر عليه جنان ويجمعونه اجنة .. والصواب جنة يجمع على جنان وليس الجنان بواحد (ص 111) .

29) ويقولون لمن يقعد عن المشي والقيام من علة او خلقة مقعد (بالفتح) .. والصواب مقعد بالضم (وهو المستعمل بالمغرب) (ص 112) .

30) ويقولون للنبت الذي يشبه الخطمي خبيز .. والصواب خباز (ص 115) .

31) ويقولون خلخال بكسر اوله .. والصواب خاخال (بالفتح) (ص 116) (مثل ما في المغرب) .

32) ويقولون قصعة (بالكسر) لواحد القصاع .. والصواب قصعة بالفتح (ص 117) (مثل المغرب).

33) ويقولون نافق القميص .. والصواب نيفق (125) .

34) ويقولون للشجر الذي يعصر منه الزفت صنوبر .. والصواب صنوبر على مثل فعولل (ص 132).

35) ويقولون للظرف الذي يقلى فيه الحب وغيره مقلاه .. والصواب مقلى بلا هاء (كما في المغرب) (ص 140) .

36) ويقولون شورة العروس والبيت .. والصواب شوار (ص 141) (هو المستعمل في المغرب) .

37) ويقولون للذي يلاط به البيوت جبس .. والصواب جص (ص 144) (يستعمل المغرب كلمة كص بدل جص بمعنى البلاط المجصص) .

38) ويقولون للذي يلاط به البيوت جير .. والصواب جيار على مثل فعال وهو الصاروج ايضا (ص 145) .

39) ويقولون عند الاستعجال هيا (بالفتح) وربما قالوا ايا .. والصواب هيا بالكسر (ص 148).

40) ويقولون كاغظ بالظاء المعجمة.. والصواب كاغد بالدال غير المعجمة (ص 152) (كاغط بالطاء المشالة بالمغرب) .

41) ويقولون صوف موضح بالضاد .. والصواب موذح بالذال المعجمة (ص 155) (يقال في المغرب ليقة اي صوفة موذحة بتسكين الذال) .

42) ويقولون لواحد المصران مصرانة .. والصواب مصير لم يجمع على مصران (ص 157) .

43) ويقولون سكرانة يبنونها على سكران .. والصواب سكرى (ص 162) .

44) ويقولون للزئبق زواق.. والصواب زاووق (ص 166) (في المغرب زاواق) .

45) ويقولون هو مبطول اليد .. والصواب مبطل الا ان يكون خرج مخرج مجنون ومزكوم وهذا مما يحفظ ولا يقاس عليه (ص 169) .

46) ويقولون صمعة المسجد ويجمعونهـا على صمع .. والصواب صومعة (ص 171) .

47) ويقولون المطهرة ميضة .. والصـــواب ميضاة بالهمزة (ص 174) .

48) ويقولون لسام ابرص وزغة فيخففون .. والصواب وزغة (بالتحريك) (ص 179) .

49) ويقولون منكب (بالفتح) الانسان وغيره .. والصواب منكب بالكسر (ص 185) .

50) ويقولون للمدة الخارجة من الجرح قيح (بكسر القاف) .. والصواب قيح (بفتح فسكـــون) (ص 185) .

51) ويقولون لجمع الحداة احدية .. والصواب حداء (ص 189) (احدية للمفرد فى المغرب كما فى الحجاز) حداء (ص 189) (وهي لغة فصيحة) .

52) ويقولون لجماعة الصاحــب صحــاب (بالفتح) .. والصواب صحاب (بالكسر) ولا يكون فعال جمعا مكســرا الا قولهم شباب لجماعة الشـــاب (ص 191) (وفى المغرب يسكنون الصاد كما هي العادة فى بداية الكلمات غالبا) .

53) ويقولون امراة عروسة فيلحقون الهاء .. والصواب عروس والجمع عرائس (ص 193) (عرايس بالمغرب) .

54) ويقولون مخدة للتي توضع تحت الخد .. والصواب مخدة بالكسر وهي أعظـــم من المصدغـــة (تسكين الميم بالمغرب) (ص 194) .

55) ويقولون جارية عزبا للبكر .. والصواب عزبة وهي التي لا زوج لها بكرا كانت او ثيبا ورجــــل عزب (ص 201) .

56) ويقولون يا غايث المستغيثين .. والصواب يا مغيث (ص 202) (يقال يا غياث فى المغرب بصيغة المبالغة) .

57) ويقولون بنيقة للقطعة من الشقة تخـاط بجانب القميص والبنيقة لبنة القميص التـي فيهـــا الازرار (ص 213) والواقع ان البنيقة تطلق كمـا فى التاج على اللبنة والجربان والدخرص كما تطلــق على زمعة الكرم او السطر من النخل وهو المجاز الذي اخذ به المغاربة عندما اطلقوا البنيقة على قطعة او غرفة من بيت كبير وخاصة على المكتب الرسمـي فى الدوائـــر المخزنيـــة .

58) ويقولون نزل اليوم شتاء كثير يعنـــون المطر وهو يوم شات والشتاء فصل من فصول السنة كالربيع والصيف وليس بواقع على المطر (ص 221) .

59) ويقولون للدينار من الذهب مثقال والمثقال زنة الشيء الذي يثقل به ويقال دينار ثاقل اذا كان لا ينقص (ص 221 — 222) .

60) ويقولون لعود الشراع صـــار والصاري الملاح (ص 224) .

61) ويقولون للتي يعلى بها السقوف القراميد جمع قرمد والقرمد ما طلي به الحائط من جـــص او جيار (ص 224) (ويقولون فى المغرب القرمود لنفس المسمى الاندلسي والقرمود فى اللغة ولد الوعل) وقد اشار الزبيدي الى ما ذهب اليه يعقوب من ان القرمد خزف يطبخ وقال انه ليس بصحيح وهو ما اخذ بـــه المغاربة فى المدوتين .

62) ويقولون أسطوان البيت للذي يشرع الى الفناء والاسطوانة السارية (ص 227) .

63) ويقولون للكمثرى اجاص والاجاص ضرب من المشمش (وفى النبات لابي حنيفة الدينـــوري ج 5 ص 41 : والاجاص عند أهل الشام الكمثرى ويسمون الاجاص المشمش) .

ومعلوم ان كلمة انجاص المستعملة فى كـــل من الشام والمغرب اصلها اجاص وهي تعني فى الحقيقة ما (وهو البرقوق فى مصر prune يسمى بالفرنسية او المعروف غلطا بالخوخ فى الشام) .

64) ويقولون سانية للخشب تديره الدابة اذا سنت والسانية هي الدابة بعينها التي تسنو (ص 231) (وتطلق السانية فى المغرب على الجنة التي تسنا) .

65) ويقولون للزق الذي ينفخ به الحداد كير (ص 227) .

66) ويقولون « باع » لاوسع الخطا والباع ما بين طرفي يدي الانسان (ص 238) .
(يلتقي المغرب مع الفصحى فى هذا المفهوم) .

67) ويقولون آرى لمعلف (بكسر الميم) الدابة والآرى الحبل الذي تشد به الدابة (ص 239) ويطلقه

المغرب محرفا الى اروى على المعلف (بالفتح) (أي مكان العلف) .

68) قولهم الوادي للنهر خاصــة .. والوادي كل بطن مطمئن الارض (ص 240) .

69) ويقولون ريحان للآس خاصة دون سائــر الرياحين والريحان كل نبت طيب الريح (ص 241) .

70) ويقولون لحاف للغطاء الذي يكــون على الاسرة خاصة واللحاف ما التحف به من ثوب(ص242) (ويطلق في المغرب على المنجد من السرد) .

71) ويقولون بكرت اليك بمعنى غدوت خاصة .. والبكور التعجل في جميع أوقات الليل والنهــار (ص 245) . والواقع ان العرب استعملــت البكور بمعنى الخروج غدوة كما في معاجم اللغة وهو بمعنى التقدم اي وقت من ليل او نهار من اقوال ابن جنــي فتكون عامية المغرب والاندلس بذلك فصيحة .

72) ويقولون آرنج ولارنج .. والصواب نارنج (ص 251) .

73) يقولون لضرب من المصافير براطيــل والبراطيل حجارة مستطيلة واحدها برطيل(ص262).

74) ويقولون طعام ذو بنة اذا كان ذا طيــب ومساغ ، والبنة الرائحة الطيبة يقال شراب ذو بنة اذا كان طيب الريح (ص 263) .

75) ويقولون لواحد الحراب حربة يفتحــون الراء .. والصواب حربة بالتخفيف (ص 266) وهو المستعمل بالمغرب) .

76) ويقولون لبعض الحبوب حلبا .. والصواب حلبة (ص 267) .

77) ويقولون لبعض بسط الصوف حنبــل والحنبل الفرو عن الشيباني (ص 268) .

68) ويقولون خممت الشيء تخميما اذا قدرته .. والصواب خمنت بالنون من التخمين (ص 271) .

79) ويقولون لما وقي به الحائط من حطب أو حشيش زرب والزرب حفرة تحفر مثل البيت يبنــى حولها (ص 274) .

80) ويقولون للطائر زوزل باللام .. والصواب زرزور (ص 274) (كما في المغرب) .

81) ويقولون زريعة فيشددون .. والصواب زريعة بالتخفيف (ص 274) .

82) ويقولون للذي يعصر من شجر الصنوبر زفت (بالفتح) .. والصواب زفت بالكسر (ص 275).

83) ويقولون سموت في الامــر .. والصواب سميت في الامر (ص 276) (كما في المغرب) .

84) ويقولون للحبل الذي يربط به الدابــة طوال .. والصواب طول (ص 282) .

85) ويقولون موش الطائر .. والصواب عش (ص 284) (كما في المغرب) .

86) ويقولون للذي ينخل به الحنطة غربال .. والصواب مغربل (ص 284) .

87) ويقولون لجمــع القط قطاطيــس .. والصواب قطط (ص 287) (قطــوط بالمغــرب) (القطوس هو القط بالبربرية) .

88) ويقولون قليع المركب ويجمعونــه على قلوع .. والصواب قلاع وجمعه قلــوع (ص 287) (كما في المغرب) .

89) ويقولون للبيت الذي بجانــب البيــت المسكون قيطون .. والقيطون الذي يكــون في جوف البيت يتخذ للنساء (ص 288) .

90) ويقولون لجمع الكرم كرمات .. والصواب كروم (ص 289) .

91) ويقولون كرع الشاة .. والصواب كراع (ص 290) (كما في المغرب) .

92) ويقولون للحجر المطبــوخ لاجــور .. .. والصواب آجر وآجور (ص 292) .

93) ويقولون لقة المداد فيشددون.. والصواب ليقة (ص 293) (كما في المغرب) .

94) ويقولون للذي يصيبه البــلاء مجــدام والمجدام النافذ في الامور الماضي (ص 294) .

95) ويقولون مرقة بالتخفيف .. والصــواب مرقة ومرق للجمع (ص 294) .

96) ويقولون المكنى بابي فلان .. والصواب المكني بفتح الميم (ص 297) كما في المغرب (المكني بفتح الكاف وكسر النون مع تشديدها) .

97) ويقولون لجمع الماء ميـــاة بالتـــاء .. والصواب أمواه للجمع الاقل ومياه للكثير (ص 298) . (مياه فى المغرب) .

98) ويقولون امراة نفيسة .. والصواب نفساء (ص 298) .

99) ويقولون لبيت الطعام هري (بكسر الراء) .. والصواب هري (بتسكينها) (ص 299) .

100) ويقولون لكف الانسان الى معصمه يـد واليد اسم جامع للاصابع والكف والذراع والعضـد (ص 301) .

ومن هذه الامثلة المائة يتضح ان عامية المغرب اقرب الى الفصحى من عامية الاندلس ;واحد وثلاثين فى المائة (حيث ان 31 كلمة مشتركة من بين مائة تتخذ فى المغرب بنية عربية فصيحة فى حين ان المائة كلمة الاندلسية كلها بعيدة عن الفصحى)



فيما اشتغل به على المدى الطويل من دراسة البيان القرآني ، ادركت اننا سنظل محجوبين عن اسرار لغتنا ، اذا لم نعد نجتليها في القرآن الكريم ، معجزة النبي العربي ، وكتاب العربية الاكبر .

وذكرت اننا مضينا على ان نختار لابنائنا النماذج العليا من دواوين الشعراء ونثر الكتاب . ونمضي في دراستهم للعربية وادبها ، بمعزل عن هذا الكتاب المحكم المبين ، الذي يجلو ذوقها الاصيل المرهف ، في ذروة نقائه واعجاز بيانه .

واذ اخضع في فهمي لبيان القرآن ودلالات الفاظه ، للمنهج الدقيق الذي تلقيته من «استاذنا امين الخولي» في استقراء الاستعمال القرآني لكل لفظ او عبارة ، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة ، والسياق العام في الكتاب كله ، بدا لي بعد طول التدبر والتأمل ، انه حيثما يحشد المفسرون عدة الفاظ في تفسير لفظ قرآني ، يعييني ان اضع لفظا منها في موضع اللفظ الذي نزل به الكتاب المحكم ، دون ان يضيع سر الكلمة .

وما من حرف تأولوه زائدا او قدروه محذوفا ، يمكن ان تقوم العبارة على التأويل بزيادته او حذفه .

ولفتني هذا الى اسرار للعربية احتجبت عنا ، لطول ما اختلطت الدلالة القرآنية بالدلالات المعجمية ، ولطول ما احتكمت قواعد الصنعة الاعرابية والمنطق البلاغي المدرسي ، في توجيه النص الاعلى الذي ينبغي ان تعرض عليه كل قواعد النحاة واللغويين والبلاغيين .

ولا يتسع المجال المحدود هنا لعرض كل ما اجتليت من هذه الاسرار التي حجبت عنا ، وانما حسبي ان اقدم منها المثل والشاهد ، في سر البيان في الحرف لا يغني عنه سواه وفي الكلمة لا يقوم مقامها غيرها من حشد الالفاظ المقول بترادفها ، وفي التعبير **يتحدى كل محاولة لتأويله على غير ما جاء به في البيان المعجز :**

« لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله ، وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » .

ســر الحــــرف

ما من حرف في القرآن الكريــم ، تأولوه زائدا أو قدروه محذوفــا أو فسروه بحرف آخر ، الا ويتحدى بسره البياني كل محاولة لتأويلــه على غير الوجه الذي جاء بــه في البيان المعجز .

*

من سر الحرف ، أقدم هنا شواهد من حروف قرآنية ، مفردة ومركبة ، حاول المفسرون في تأويلها أن يعدلوا بها على وجه التقدير والتأويل ، عن نظمها الذي جاءت به في البيان الأعلى ، لكي تلبي مقتضيات الصنعة الاعرابية أو أحكام الصنعة البلاغية .

وبقيت هذه الحروف ، تتحدى كل محاولة لتغيير أو تقدير بحذف وزيادة .

ولنأخذ مثلا ، حرف الباء في مثل قوله تعالى :
« وما ربك بغافل عما تعملون »
« لست عليهم بمسيطر »

جرى النحاة والمفسرون على القول بأن هــذه الباء زائدة في خبر «ما» و «ليس» لايعنون بزيادتها انها جاءت عبثا أو لغوا ، وانما هي عندهم زائدة للتأكيد .

وقد جاء « ابن هشام » بهذه الباء الزائــدة في الخبر ، مع خمسة مواضع أخرى لزيادة البــــاء ، وأدرجها جميعا تحت حكم عام ، هو معنى التأكيــــد المستفاد من الباء الزائدة (1) .

ومع قولهم أن هذه الباء الزائــدة في الخبــر ، للتأكيد ، جرت الصنعة الاعرابية على قصر عملها على الشكل لا المعنى . فهي تعمل في ظاهر لفظ الخبــــر ويبقى الحكم الاعرابي على أصله ، منصوبا بفتحــة مقدرة على آخر الخبر ، منع من ظهورها اشتغــال المحل بحركة حرف الجر الزائد .

ونردد نحن هذا الحكم التقليدي جيلا بعد جيل . ويتلقاه الطلاب جميعا تلقينا لا يملكون الا أن يحفظوه.

دون أن نتردد في قبول القول بزيادة الباء وقــد صار من المقولات البديهية التي نقولها على وجـــــه الضرورة والالزام .

وباستقراء ما في القرآن من خبر « ما » وليس » تلقانا ظاهرة مجيء هذه الباء المقول بزيادتهــا ، في **خبرهما المفرد الصريح غير المؤول .**

فخبر ليس ، تلزمه الباء في ثلاث وعشرين آية ، ولا تتخلف الا في ثلاث آيات نعرض لها بعد حين .

وخبر « ما » النافية تلزمه الباء أيضا ، لا تتخلف فيما أذكر الا في بعض آيات لها سياقها الخاص نتدبره بعد حين في موضعه .

وانما يطرد استغناء الخبر عن الباء ، اذا كانت « ما » النافية ، متلوة بالفعل كان ، فينصب الخبر به صريحا مفردا غير مقترن بالباء ، في مثل آيات :

البقرة 16 :
« وما كانوا مهتدين »
ومعها آيتا : الانعام 144 ، يونس 45

آل عمـــــران 67 :
« ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا »

الاعــــراف 7 :
« فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين »

الانفــــال 33
« وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »

الاســــراء 15 :
« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »

الاســــراء 20 :
« وما كان عطاء ربك محظورا »

يــوســف 111 :
« ما كان حديثا يفترى »

الكهــــف 51 :
« وما كنت متخذ المضلين عضدا »

مــريــم 64 :
« وما كان ربك نسيا »

الشعــــراء 8 :
« وما كان أكثرهم مؤمنين »
+ 67 ، 103 ، 121 ، 139 ، 158 ، 174 ، 190 .

---

1) مغنى اللبيب : ج 1 ص 91 ط الجمالية بالقاهرة 1329 .

الشعـــــراء 209 :

« ذكرى وما كنا ظالمين »

النمـــل 32 :

« ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون »

القصــــص 45 :

« وما كنت ثاويا فى أهل مدين »

القصــــص 59 :

« وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون »

الاحـــزاب 40 :

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله » .

الأنعـــام 33 :

« الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » .

والنفي بـ « ما » فى مثل هذا الاسلـوب ، لا يتجه الى الخبر مباشرة ، بل يتسلط على الجملة من (كان) واسمها وخبرها .

*

اما حين يكون الخبر المفرد الصريح لما ، فالباء تلزمـه ، لم تتخلف الا فى آية المجادلة :

« ما هن امهاتهم » وآية يوسف : « ما هـذا بشــــرا » .

وامام هذه الظاهرة الأسلوبية من غلبة اقتران خبر « ما وليس » بالباء ، لا يهون القول بأنها حرف زائد ، اذ ان مقتضى القول بزيادتها ، امكان الاستغناء عنها ، وهو ما لا يومىء اليه البيان الاعلى .

والمفسرون مع النحاة فى ان هذه الباء زائـدة للتأكيد (1) .

وفى منهجنا ، لا تؤخذ الباء فى آية من الآيات ، بمعزل عن نظائرها فى القرآن كله ، وقد نرى ان الباء كما تحتمل تأكيد النفي فى بعض الآيات ، تحتمل نقض النفي فى آيات أخرى .

فلننظر اذن فى كل الآيات التي يقترن خبر (ما وليس) فيها بالباء ، مقارنة بالآيات التي استغنـى الخبر عن الباء ، لعل الاستقـراء يهدينـا الى خطـة بيانية من أسرار العربية .

وتبدأ بخبر « ما » غير المتلوة بالفعل كـان ، فنراها قد لزمته اطرادا فى آيات :

البقـــرة 8 :

« ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين » .

البقــــرة 74 :

« وما الله بغافــل عمــا تعملــون » ـــ « يعملون » معها آيات : البقرة 85 ، 140 ، 144 ، 149 ، وآل عمران 99 .

الانعــــام 132 :

« وما ربك بغافل عما يعملون » ـــ تعملون ـــ معها آيتا : هود 123 ، النمل 93 .

الأنعـــام 107 :

« وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل » معها : الشورى 6 .

البقــــرة 96 :

« يود أحدهم لو يعمر الف سنة وما هـو بمزحزحه من العذاب أن يعمر »

البقــــرة 102 :

« وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله .

ق 29 :

« ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد » معها : فصلت 46 .

البقــــرة 167 :

« كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار »

1) الزمخشري : الكشاف ، ج 4 سورة القلم

هـــــود 29 :

«وما أنا بطارد الذين آمنوا ، انهم ملاقــو ربهم » ، معها : آية الشعراء 114 .

هـــــود 83 :

« وما هي من الظالمين ببعيد »

يــوســـــف 17 :

« وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين »

النحـــــل 46 :

« او يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين » .

غـــافـــر 56 :

« ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه » .

ابراهيـــم 22 :

« ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي » .

يوســـــف 44 :

« قالوا أضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين » .

الشعـــــراء 138 :

« وما نحن بمعذبين »

النحـــــل 81 :

« وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم » معها : آية الروم 53 .

فـــاطـــر 22 :

« وما أنت بمسمع من فى القبور »

الصافـــــات 163 :

« ما أنتم عليه بفاتنين » .

التكوير 22 ، 24 :

« وما صاحبكم بمجنون ، ولقد رآه بالأفق المبين . وما هو على الغيب بضنين »

الطـــــارق 14 :

« انه لقول فصل . وما هو بالهزل » .

القلـــم 2 :

« ما أنت بنعمة ربك بمجنون »

فهل تكون الباء زائدة مع اطراد مجيئها فى هذه الآيات ، لم تتخلف فيما أذكر الا فى آيتي المجادلـــة : « ما هن أمهاتهم » ويوسـف : ما هذا بشـرا » ؟

أو هل يكفي القول بأن الباء زيدت لمجرد تأكيـــد النفي ؟

العربية تعرف أساليب عدة للتأكيد اللفظـــي والمعنوي ، كالقسم والتكـرار ، وادوات التأكيـــد المعروفة

ولابد أن يكون لكل أسلوب منها ملحظ بيانـــي يميزه عن سواه .

وقد نحس فى كل الآيات التي اقترن فيها خبر « ما » بالباء ، أن سياقها لجحد المنفى وانكـــاره . ولعله قد أغنى عن الباء فى آيتي (المجادلة ويوســـف) التقرير المستفاد من أسلوب القصر بعدها :

« الذين يظاهرون من نسائهم ما هن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم » « وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم »

*

وننظر فى خبر « ليس » فيلفتنا البيان القرآني الى خطأ ادراجها جميعا تحت حكم واحد ، يقـــول بزيادة الباء للتأكيد .

وأول ما يهدي اليه الاستقراء ، هو أن نفرق بين الجمل الخبرية منها ، والجمل الاستفهامية :

فحيث يجيء النفي بـــ « ليس » فى الجمـــــل الخبرية ، فى سياق جحد المنفى وانكاره ، اقتـــرن الخبر بالباء : كما فى آيات :

البقـــرة 267 :

« ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه »

آل عمـــران 182 :

« ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظـلام للعبيــــد » ومعها آيات : الأنفال 51 ، الحج 10 ، فصلت 46

الأنعـــــام 66 :

« قل لست عليكم بوكيل »

الأنعـــــام 89 :

« فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قومـــا ليسوا بها بكافرين »

الأنعـــــام 132 :

« كمن مثله في الظلمات ليس بخـارج منها »

المائـــــدة 116 :

« قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحـــق »

الحجـــر 20 :

« وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم لـــه برازقين »

الأحقـــاف 32 :

« ومن لا يجب داعي الله فليـــس بمعجز في الأرض »

المجادلـــة 10 :

« وليس بضارهم شيئا الا باذن الله »

الغاشيـــة 22 :

« فذكر انما أنت مذكر، لست عليهم بمصيطر»

ويستغني البيان القرآني في الجمل الخبرية، من هذه الباء في خبر ليس ، **حين يكون السياق لغير جحد النفي وتقرير انكاره** . فآية (الرعد) : النفي فيها من المشركين وما كانوا على يقين مما ينفونه ، وانه للحق لا ريب فيه :

« ويقول الذين كفروا لست مرسلا ، قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم » 43 وآية (النســـاء) : سياقها الامر بوجوب التبين والتأكد ، قبل التعجـل بالنفي : « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا ،فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا » 94 .

وآية (هود) قد أغنى عن تقرير النفي بالباء ، التعقيب على الجملة الخبرية بما ينقلها من غيب لـم يقع ، الى ماض قد تقرر وكان :

« ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ، ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون » 8 .

وهذه الآيات الثلاث فحسب هي التي لم يقترن خبر « ليس » فيها بالباء ، في الكتاب العربي المبين .

وسياقها على ما رأينا ، غير السياق في سائر الآيات التي اقترن فيها خبر « ليس » بالباء ، فأفادت من الانكار الباث ما لا يدع مجالا لأي شك في نفي الخبر المقترن بها .

ولا غنى عن الباء في مثل هذا السياق ، فالخبـــر بطبيعته وفي أصل وضعه اللغوي يحتمل الصدق والكذب والباء هي التي تنقله من أصل وضعه الأول ، الى دلالة النفي الباث والانكار الحاسم .

❋

فماذا عن خبر « ليس » في الجمل الاستفهامية ؟ أما هذه فيطرد مجيء الخبر فيها مقترنا بالبـــاء ، ولا يتخلف في القرآن كله .

وما من آية منها ، يمكن أن تحتمل نفيا أو تأكيدا لنفي ، بل ينتقض النفي بالباء فيها جميعا ويصير الى اثبات جازم وتقرير ملزم ، بحيث تستغني عن جـــواب المستفهم عنه ، أو يجاب بلفظ « بلى » المختص بايجاب ما يستفهم عنه منفيا .

وهذا استقراء لكل ما في القرآن من استفهام عن جمل منفية بـ « ليس » والخبر فيها صريح مفرد .

الأنعـــــام 30 :

« ولو ترى اذ ، وقفوا على ربهم ، قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا »

الأنعـــــام 53 :

« أليس الله بأعلم بالشاكرين »

الأعـــراف : 172 :

« وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا »

هـــــود 81 :

« ان موعدهم الصبح أليس الصبح **بقريب** »

العنكبـــوت 10 :

« أليس الله **بأعلم** بما في صدور العالمين »

يـــس 81 :

« أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم »

الزمــــر 26 :

« أليس الله **بكاف** عبده ويخوفونك بالذي من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد » .

الــزمــر 32 :

« أليس الله **بعزيز** ذي انتقام »

الأحقـــاف 34 :

« ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا **بالحق** قالوا بلى وربنا »

القيامـــة 40 :

« أليس ذلك **بقادر** على أن يحيي الموتى »

التـــين 8 :

« فما يكذبك بعد بالدين ، أليس الله **بأحكم** الحاكمين » .

النفي في هذه الآيات جميعا قد انتقض وخرج الى تقرير بات وإثبات جازم .

فهل جاء معنى التقرير والاثبات في مثل هـــذه الآيات من خروج الاستفهام عن معناه الأصلي على مـــا قرره علماء البلاغة ، فلا شأن للباء به ؟

معروف ان الاستفهام قد يخرج الى هذا الوجه من التقرير ، كما قد يخرج الى وجوه أخرى كالاسترحام أو الزجر والوعيد أو التوقع والانتظار .

وهذه الآيات خاصة بالاستفهام عن منفي بليس ، وقد انتقض النفي فيها جميعا وخرج الى تقرير وإثبات، لا الى أي وجه آخر من الوجوه التي يعرفها البلاغيون في خروج الاستفهام عن أصل معناه .

ومن حيث اطرد اقتران الخبر فيها جميعا بالباء ، تعين أن يكون لهذه الباء أثرها في تحديد الدلالة البيانية وتعيينها على الوجه الذي لا يحتمل وجها آخر .

ولو قلنا مثلا :

« ألست غافلا عما حولك » أو « أليس الصبــح قريبـــا » .

لا يحتمل الاستفهام أن يكون على معناه الأصلي ، وأن يخرج الى التوبيخ أو التنبيه أو السخرية والتهكم أو التوقع والترقب .

ولا شيء من هذه المعاني والدلالات مما تحتملـــه آيات الاستفهام عن منفي بليس ، وانما هي للتقريـــر والحسم والاثبات ، لا لمعنى آخر .

وهذا هو سر **الباء** التي قالوا انها زائدة للتأكيد، ثم جروا على إبطال عملها أصالة في الخبر ، وأعربوه منصوبا بفتحة مقدرة ، منع ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد .

كأنما هو حرف مقحم يمكن الاستغناء عنه ، لكيلا يشغل المحل بحركته فيمنع من ظهور الحركة الأصلية!

*

وخلاصة ما هدى اليه الاستقراء لآياتها في البيان القرآني :

— أن الجمل الخبرية المنفية بما ، اذا تلاها الفعل « كان » بقي خبره منصوبا غير مقترن بالباء . ووجه الاستغناء عن الباء أن النفي بحرف « ما » لا يتجه الى الخبر مباشرة ، بل يتسلط علـــى مضمون الجملة من : كان واسمها وخبرها .

— حيثما جاء الخبر منفيا بما أو ليس في الجمـــل الخبرية واقترن الخبر بالباء ، **أفادت الانكار بما لا يدع مجالا لشك** في نفي الخبر المقترن بها .

وتلزم الباء خبر (ما) و (ليس) في الجمل الخبرية بالبيان القرآني في هذا السياق ، ولا تتخلف إلا حيث يكون المقام مستغنيا عن تقرير النفي أو محتملا لشك في نفي الخبر .

— في الجمل الاستفهامية يطرد اقتران خبر ليـــس بالباء . وبها ينتقض النفي ويخرج الاستفهام الى إثبات جازم وتقرير بات ، لا الى أي وجه آخر من الوجوه التي يعرفها علم البلاغة في خروج الاستفهام عن معناه الأول في أصل اللغة .

ولا يمكن الا يكون للباء أثرها في تحديد هـــذه الدلالة البيانية وقد اطرد اقترانها بخبر (ليـــس) في أسلوب الاستفهام بالبيان القرآني .

واذ كشف حرف الباء عن سره في البيان الاعلى، يبدو القول بزيادته مما يجفوه حس العربية المرهف ، ولا يلطف من هذه الجفوة أن لم يعنوا بها الحشو والفضول بل ادرجوها تحت الحكم العام لمعنى التاكيد بالباء الزائدة .

ولا ادري ما اذا كان يجدي ان اقول في هذه الباء غير ما قرره النحاة ، لتبقى حرفا اصليا غير زائد على اصل معناها في الالصاق (1) .

وتعمل عملها المباشر في الخبر ملصقة به غير مقول بزيادتها ، ومنهما معا يستفاد خبر المنفى بما وليس !

غير اني لا اشك في اننا لو عرضنا كل الحروف المقول بزيادتها على البيان القرآني المعجز لهدى الاستقراء والتدبر الى ملاحظة بيانية ذات بال .

وسياتي في القسم الثالث من هذا البحث مثل آخر من قولهم بزيادة حرف (لا) النافية قبل القسم في مثل قوله تعالى :

« لا اقسم بيوم القيامة ، ولا اقسم بالنفس اللوامة » .

وننظر في حروف اخرى لم يتأولوها على تقرير زيادتها بل قد روها محذوفة ، ومضوا في تفسير الآيات على تقدير الحرف محذوفا وهو مراد .

ولناخذ مثلا ، حذف حرف (لا) مقدرا في آيات :

يوسف 85 :

« قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف »

النساء 176 :

« يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم » .

البقرة 184 :

« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين »

قيل فيها جميعا بحذف « لا » النافية مقدرة ، وهي مرادة

وتاويل الحذف فيها يخضع للقاعدة النحوية في حذف « لا » النافية .

والنحويون يقولون بحذفها اطرادا في جواب القسم اذا كان المنفى مضارعا ، وقدموا له شواهد قليلة من الشعر .

اما القرآن الكريم فقدموا منه الآية :

« تالله تفتا تذكر يوسف »

والذي نفهمه هو انه متى اطرد الحذف كقولهم (2) فالسياق حتما مستغن عنه ، ولا وجه اذن لتقدير الحرف ثم تاويل حذفه .

لان السياق متى اعطى المعنى المراد مستغنيا عن هذا الحرف أو غيره ، كان ذكره من الفضول او الحشو الذي ينأى عنه الكلام البليغ فضلا عن البيان المعجز .

اما ما جوزوا فيه الحذف بغير اطراد ، فذكر « ابن هشام » في (مغنى اللبيب) أنه قيل به في آية :

« يبين الله لكم ان تضلوا » .

على تقدير « لئلا تضلوا » ، ثم اضاف :

« وقيل المحذوف مضاف ، اي كراهة ان تضلوا »

والآية من آيات الاحكام في التشريع القرآني للمواريث ، وسياقها مستغن تماما عن تقدير حرف محذوف لم يجد النص القرآني حاجة الى ذكره ، اذ لا يخطر على بال من له ادنى المام بالعربية ، ايهام أن يكون المعنى : يبين الله لكم لتضلوا ! !

وانما يبين الله لنا ما نتقي به الضلال .

ومتى أعطى السياق المعنى المراد مستغنيا عن الحرف الذي قدروه محذوفا ، فذكر المحذوف الذي لا حاجة اليه يتنزه عنه البيان العالي ، اذ لو كان الحذف

---

1) اقتصر « سيبويه » في (الكتاب) على الالصاق في معنى حرف الباء . واحصى « ابن هشام » اربعة عشر معنى لها ، الالصاق أولها . وذكر فيه :
« وقيل هو لا يفارقها »
انظر حرف الباء في الجزء الاول من (مغنى اللبيب)) .

2) مغنى اللبيب : 2 ـ 155 ط مصر .

مما يوقع في شبهة ابهام ، لاقتضى المقام في آيـــة تشريع ، وجوب ذكره دفعا لاي وهم او لبس .

*

وتبقى آية البقرة في تشريع احكام الصوم :
« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر . وعلى الذين **يطيقونه** فدية طعام مسكين » 184 .

والكلام فيها يطـــــول :

الحذف فيها ليس مما يطرد على قواعد النحاة، وانما هو مما يجوز ولا يطرد .

وقد اختلف المفسرون في تأويلها :

— منهم من قال بأن الحكم فيها منسوخ بالآيـــة بعدها ، والرخصة فيها للمريض والمسافر . وهذا القول بالنسخ ، هو ما اختاره الامام « الطبري » في تفسيره ونقله « الزمخشري » في (الكشاف) « وأبو حيان » في (البحر المحيط) مع التصريح بأن « هذا قول اكثر المفسرين » (1) .

على أن « الامام الطبري » نقل كذلك قول من قالوا « لم ينسخ ذلك ولا شيء منه ، وهو حكم مثبت من لدن نزلت هذه الآية الى قيام الساعة (2) .

واحترز « ابن كثير » فقال بعد تلخيص اقوال المفسرين قبله :

« فحاصل الامر ان النسخ ثابت في حـــــــق الصحيح المقيم بايجاب الصيام عليه ، وأما الشيـــخ الفاني الهرم الذي لا يستطيع الصيام فله ان يفطر ولا قضاء عليه ، لانه ليست له حال يصير اليها يتمكـــن فيها من القضاء » (3) .

وتردد « الزمخشري » بين القول بالنسخ وبين ان يكون تأويل الآية على تقدير : وعلى من « يتكلفونه على جهد منهم وعسر ، وهم الشيوخ والعجائز . وحكم هؤلاء الافطار والفدية ، وهو على هذا الوجه غيـــر منسوخ » (4) .

على ان القائلين بعدم النسخ قد ذهبـــــوا في تأويل الآية مذاهب شتى :

— فمنهم من صرح بأنها على تقدير حذف « لا » النافية وهي مرادة . ونقلوا عن ابن عباس قولـــه : « لا رخصة الا للذي لا يطيق الصوم » .

وعن عطاء : « هو الكبير الذي لا يستطيع بجهد ولا بشيء من الجهد . واما من استطاع بجهد فليصمه ولا عذر له في تركه » .

وقال « أبو حيان » في البحر .

«.وجوز بعضهم أن تكون « لا » محذوفة ، فيكون الفعل منفيا وتقديره :«وعلى الذين لا يطيقونه» حذف لا وهي مرادة » .

ثم عقب :

« وتقدير « لا » خطأ ، لانه مكان اللباس ؛ الا ترى ان الذي يتبادر اليه الفهم هو أن الفعل مثبت.. »

— وآخرون من المفسرين لم يصرحوا بتقدير «لا» محذوفة ، وان كانوا يؤولون الآية بما يعطل الحكم مع الاثبات في « يطيقونه »

اما بتقدير : وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال شبابهم وصحتهم ثم عجزوا عنه بالشيخوخة والمرض .

نقله الطبري وأبو حيان . واخذ به البغوي فقال:

« وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشبــــاب فعجزوا ، والرخصة ثبتت للذين لا يطيقونه (5) .

واما بتأويله على تقدير : من يدركه رمضان وعليه صوم قضاء من رمضان المتقدم ، فقد كان يطيق في تلك المدة فتركه ، فعليه الفدية .

ولا أعلم خلافا بين الفقهاء في جواز الفطر والفدية للشيخ الهرم والمريض لا يرجى برؤه فيقضي ، لكنهم اختلفوا في المرضع والحامل قياسا على الشيخ الهرم :

(1) أبو حيان : البحر المحيط ، 36/2
(2) تفسير الطبري : 82/2
(3) تفسير ابن كثير : 405 ط المنار .
(4) الكشاف : ج 1 سورة البقرة
(5) تفسير البغوي على هامش ابن كثير : 404 ط المنـــار .

فالامام الشافعي قال بالفدية قياسا على الشيخ الهرم واوجب عليهما القضاء مع الفدية .

اما الامام ابو حنيفة فاوجب على الحامل والمرضع اذا خافتا على الولد القضاء لا الفدية . وابطل القياس على الشيخ الهرم لانه لا يجب عليه القضاء ويجب عليهما . قال : فلو اوجبنا الفدية مع القضاء ، كان جمعا بين البدلين وهذا غير جائز .

وآن لنا بعد هذا كله ان **نتدبر الآية ونرد الى القرآن ما تنازعوا فيه** . القول بنسخ الحكم فيهـــا بالآية بعدها ، ان لم يوهنه قول من قرروا أنه حكم مثبت من لدن نزلت الآية الى قيام الساعة » .

فقد بقي ان الآيتين تشرعان لحالتين مختلفتين .

الفدية على من يطيقونه .

والقضاء على من كان مريضا او على سفر . ولا يكلف بالقضاء الا من افطر لعذر عارض فيصوم بعد زوال العذر ، عدة من ايام اخر . وفي مثل هذا لا تقبل الفدية بديلا من القضاء .

وانما الفدية بنص الآية « على الذين يطيقونه » .

فهل هم الذين لا يطيقونه .

نستبعد ان تكون « لا » محذوفة هنا وهـــي مرادة ، فالآية من آيات التشريع والاحكام ، والفعل فيها مثبت ، وتاويلها على تقدير « لا » محذوفة ينقض الاثبات بالنفي .

ولو كانت الفدية على من لا يطيقونه ، لأخذ حرف النفي مكانه في نص الحكم الشرعي ولم يدع لنا مجالا لان نختلف على تاويله بين النقيضين من اثبات ونفي .

واذ قال تعالى : « وعلى الذين يطيقونه » فما ينبغي أن نتاولها بالنفي فنخرجها الى نقيض حكمها الصريح المثبت نصا .

واحسب ان الذين تاولوا الآية على تقدير حذف « لا » صراحة او مآلا ، فهموا « يطيقونه » بمعنـــى يستطيعونه . وليست الكلمتان سواء .

في لفظ الاستطاعة حس الطواعية والمواتـــاة والقدرة .

اما الطاقة فهي في العربية لغة القرآن ، اقصى الجهد ونهاية الاحتمال .

وحين يقول العربي لصاحبه :

« هل تطيق هذا »

لا يقولها الا وهو يقدر ان هذا مما لا يحتمل ولا يطاق .

واستعمال القرآن للطاقة اسما وفعلا ، يؤذن بانها مما يستنفد الجهد وطاقة الاحتمال ، كما تشهد بذلك آياتها الثلاث وكلها من سورة البقرة .

« قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » 149

« ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » 286 وبهما نستانس في فهم الآية الثالثة :

« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين » فندرك ان الامر في احتمال الصوم اذا جاوز الطاقـــة وخرج الى ما لا يطاق ، **سقط التكليف** ، لانه لا تكليف شرعا بما لا يطاق ، والله سبحانه لا يكلف نفسا الا وسعها .

فالفدية تيسير على الذين يطيقونه ، بمعنـــى يستنفد الصوم طاقتهم واقصى احتمالهم فليسوا بحيث يستطيعون القضاء عدة من ايام اخر .

ويصدق الحكم على المريض لا يرجى شفاؤه ، وعلى من يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز ، وحكم هؤلاء الافطار الفدية . وهو علـــى هذا الوجه غير منسوخ .

تيسيرا على من لا يستطيعون القضاء عدة من ايام اخـــر .

وتبقى الآية على صريح نصها .

« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين »

ممن لا يستطيعون القضاء .

دون تاويلها على حذف « لا » النافية وهـــي مرادة .

وهذا مثل مما قالوا فيه بحذف الحرف . يمكن ان يصدق على حروف اخر تاولوها على الحـــذف . ويقوم النص في البيان القرآني مستغنيا عن تقديـــر حرف محذوف ، ولافتا الى سر البيان في الاستغناء عن كل حرف قدروه محذوفا .

*

وننظر في حروف اخرى لم يقولوا فيها بتاويل على تقدير زيادة او حذف ، وانما اخذوا فيها بمذهب

للنحاة يقول ان حروف الجر يمكن ان تتعاقب فيأخذ احدها مكان الآخر وينوب بعضها عن بعض . وهـذا مما يتداولونه ويستدلون به كما أشار الى ذلك « ابن هشام » في (المغني) (1) .

وهو مذهب رفضه من وصفهم « أبو هـلال العسكري » بالمحققين من أهل اللغة ، ونقل عن « ابن درستويه » قوله :

« في جواز تعاقبهما — اي الحرفين — ابطـال حقيقة اللغة ، وافساد الحكمة فيها ، والقول بخلاف ما يوجبه العقل والقياس .

« قال أبو هلال : وذلك ان الحروف اذا تعاقبت خرجت من حقائقها ووقع كل واحد منها بمعنى الآخر فاوجب ذلك أن يكون لفظان مختلفان لهما معنى واحد. فأبى المحققون ان يقولوا بذلك وقال به من لا يتحقـق المعاني » (2) .

وقال « ابن هشام » تعقيبا على قولهم ان بعض حروف الجر ينوب عن بعض :

« وتصحيحه بادخال (قد) على قولهم : ينوب عن بعض ، والا تعذر استدلالهم به ، اذ كل موضع ادعوا فيه ذلك ، لا نسلم ان هذا مما وقعت فيـه النيابة ، ولو صح قولهم لجاز ان يقال : مررت في زيد ودخلت من عمر وكتبت الى القلم . على ان البصريين ومن تبعهم يرون في الأماكن التي ادعيت فيها النيابة ، ان الحرف باق على معناه » فان كان تجوز فهو في الفعل ، لان التجوز في الفعل اسهل منه في الحرف (3)

ونعرض هذا الخلاف على البيان الاعلى فيأبـى ان نتأول حرفا فيه بحرف آخر .

من ذلك مثلا :

قوله تعالى : « فهم في ريبهم يترددون » التوبة .

قيل ان حرف « في » يمكن ان يتأول بحرف «من» او « اللام » على تقدير :

« فهم من ريبهم » ، او « لريبهم ، يترددون » ولا يمكن ان يقوم أحد الحرفين مقام الحرف في النص القرآني ، ومناط التعبير فيه، هذا الانغماس والملابسة الملحوظة في ظرفية « في » .

وحرف « عن » في آية الماعون :

« فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهـم ساهون » .

نستبعد قول من تأولوا السهو عن الصلاة في الآية ، بأنه سهو في الصلاة ، فليس السهـو فيهـا بخطيئة ولا منكر ينذر معه الساهي بويل . وكل مؤمن عرضة لأن يسهو في صلاته ، فينجبر هذا السهو فيها بسجود السهو أو بالسنن والنوافل على ما هو مقرر في باب الصلاة من أحكام الفقه .

وانما الويل للساهين عن صلاتهم الغافلين عن كونها قياما بين يدي الخالق ، يكبح غرور الانسـان وينهاه عن الفحشاء والمنكر ، ويرهف ضميره فيتقي الله في اليتيم وفي المسكين مؤديا حقهما في التواصـي بالمرحمة .

وصلاة الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعـام المسكين ، لا يمكن أن تصدر عن قلب خاشع وضمير مؤمن . وحين لا تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر ، فذلك هو السهو عنها ، تعود به طقوسا شكليـة ونفاقا يرائي به الناس .

*

ومن الحروف التي تأولوها في القرآن الكريـم حرف الواو في آية النساء :

« فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » قالوا ان الواو فيها نائبة عن « أو » وقد يكفي ان ننقل هنا رد « ابن هشام » :

« ولا يعرف ذلك في اللغة وانما يقوله بعـض ضعفاء اللغويين والمفسرين » .

ثم ننقل من كلام : أبي طاهر حمزة بن الحسين الاصفهاني ، في كتابه المسمى « بالرسالة المعربة عن شرف الاعراب » :

« القول فيها — اي آية النساء — بأن الواو بمعنى (أو) ، عجز عن درك الحق . فاعلمـوا أن

1) مغني اللبيب 163/2 مصر .
2) أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية ، 13 ط الحلبي
3) ابن هشام : مغني اللبيب 163/2 .

الاعداد التي تجمع قسمان : قسم يؤتى به ليضم بعضه الى بعض وهو الاعداد الاصول نحو « ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة » ، « ثلاثين ليلة واتبعناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة » .

« ولم يقولوا ثلاث وخماس ، ويريدون ثمانية ، كما قال تعالى : « ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم » وللجهل بموقع هذه الالفاظ استعملها « المتنبي » في غير موضع التقسيم فقال :

«أحاد أم سداس في احاد   لييلتنا المنوطة بالتنادي»

ونستأنس في فهم مثنى وثلاث ورباع بآية فاطر:

« الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع » 34 وآية سبا : « قل انما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى » 46 .

فندرك الملحظ البياني للواو في مثل هذا السياق، بما تفيد من كون الملائكة ليسوا جميعا سواء ، بل منهم اولو جناحين ومنهم اولو ثلاثة واولو اربعة . وفي آية سبا ، تخيير يكون لهم فيه ان يقوموا فرادى وان يقوموا مثنى . ولو قيل « مثنى او فرادى » للزم أن يقوموا جميعا اما مثنى واما فرادى ، ولم يكن لهم ان يقوموا في بعض الحالات مثنى ، وفي بعض الحالات فرادى .

وبهذا الاستئناس لا نرى السياق يستقيم ، بل لا نراه يصح اطلاقا ، اذا ما وضعت (او) مكان (الواو) في آية النساء . لأن مقتضى التعبير بحرف (او) انه لا يسوغ لهم الا ان ينكحوا جميعا مثنى او ثلاث او رباع ، بحيث لا يختلف رجل عن رجل ، وليس هذا هو الحكم المستفاد من الآية في اباحة تعدد الازواج ما بين مثنى وثلاث ورباع ثم لا يتجاوز وزنها الى المحظور وراء رباع (1) ويخطىء سر العربية من يفرق بين : مثنى وثلاث ورباع ، وبين اثنتين وثلاث واربع المعادلة لتسع !

كما يخطئه من لا يميز بين « مثنى وثلاث ورباع » وبين : مثنى او ثلاث او رباع ، بما تفيد « او » من اتفاقهم جميعا على ان ينكحوا اما مثنى واما ثلاث واما رباع .

واظن ان هذه المثل التي قدمتها تكفي لاجتلاء سر الحرف لا يقوم مقامه غيره . ويغني عن مزيد تتبع هنا ، ما قد يتاح لنا من تدبر الحرف في سياقه القرآني عند الحديث عن (الظواهر الاسلوبية وسر التعبير).

« دلالات الالفاظ وسر الكلمة »

من قديم شغلت قضية الترادف علماء العربية واختلفت مذاهبهم فيها . والبيان القرآني يجب ان يكون له القول الفصل فيما اختلفوا فيه ، حين يهدي الى سر الكلمة لا تقوم مقامها كلمة سواها من الالفاظ المقول بترادفها .

والأمر كذلك في **الفاظ القرآن ، ما من لفظ منها يمكن ان يقوم غيره مقامه** ، وذلك ما ادركه العرب الفصحاء الذين نزل فيهم القرآن عصر المبعث واعياهم ان يأتوا بسورة من مثله .

واحتاج هنا الى وقفة قد تطول عند مشكلة الترادف التي طال الجدل فيها والخلاف عليها .

ولا يشغلنا تعدد الالفاظ للمعنى الواحد ، اذا كان من اختلاف لغات القبائل ، وذلك ما لا خلاف فيه فيما اعلم (2) .

وانما يشغلنا الترادف حين يقال فيه بتعدد الالفاظ للمعنى الواحد دون ان يرجع الى تعدد اللغات :

منا من يعد هذا الترادف ظاهرة فقدان الحس اللغوي وعدم قدرته على ضبط الدلالات وتحديد معاني الالفاظ ، أو يراه من الفضول والتزيد الذي لا فائدة فيه (3) .

ومنا من يرى هذا الترادف **ظاهرة غنى وسعة وقدرة على التصرف . وما اكثر من يباهون بهذا الثراء اللغوي ويعدونه ميزة من مزايا العربية الشريفة . وأن يكن تقدم الدراسات اللغوية قد جاوز بنا مرحلة**

---

1) انظر تفسير الطبري والزمخشري : سورة النساء .
2) السيوطي : المزهر ص 405 ط الحلبي
3) ابن فارس : الصاحبي في فقه اللغة 11 .

المفاضلة السائجة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات ، ووجهنا الى البحث في خصائص العربية منتفعين بما قدمت البحوث العلمية الحديثة في اللغويات والصوتيات ، فلم تعد كثرة الالفاظ الدالة على المعنى الواحد مدعاة فخر ومباهاة ، وانما اصبحت قضية تلتمس حلا .

وحين ننظر فيما وصل الينا من كتب اللغة ومعاجمها ، نراها **تسلك مسلكين مختلفين متباعدين:**

منها ما يقرر **وجود الترادف فيحشد للمعنى الواحد الفاظ** ذات عدد ، وهذا هو مسلك « ابي مسحل الاعرابي » (في القرن الثاني هـ) في كتابه (النوادر) « وابن السكيت » (ق 3 هـ) في (الالفاظ) . وللفيروزابادي صاحب (القاموس) كتاب في المترادفات اسمه (الروض المسلوف فيما له اسمان الى الوف) .

وكتاب آخر في اسماء العسل جمع فيها ثمانين اسما .

ونقل « ابن فارس » قول من سمع « ابن خالويه » يقول :

«جمعت للاسد خمسمائة اسم ، وللحية مائتين»

كما نقل خبر « الأصمعي » حين سأله «الرشيد» في شعر غريب ففسره ، فقال الرشيد : يا اصمعي، ان الغريب عندك لغير غريب .

فقال : يا أمير المؤمنين : الا اكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسما ؟ (1) .

ومن قالوا بالترادف : الفراء ، وقطرب ، والفخر الرازي ، والتاج السبكي . ويوشك ان يكون هذا هو مذهب « جلال الدين السيوطي » .

وأنكره علماء آخرون انكارا باتا ، الا ما كان منه في لغات عدة . منهم « ابو علي الفارسي » الذي سمع « ابن خالوية » يقول في مجلس سيف الدولة بحلب : احفظ للسيف خمسين اسما .

فتبسم ابو علي وقال : ما احفظ له الا اسما واحدا هو السيف .

ولما سأله ابن خالويه : فاين المهند ، والصارم، والقضيب ، والحسام ، و .. و .. ؟

أجاب : هذه صفات ، وكان الشيخ لا يفرق بين الأسماء والصفات (2) .

وصنف ابو هلال العسكري « كتابه (الفروق اللغوية) لبيان ان **اختلاف الالفاظ في لغة واحدة ، يوجب اختلاف المعاني** . فاذا جرى اسمان على معنى من المعاني أو عين من الاعيان في لغة واحدة » فان **كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر** ، والا لكان الثاني فضلا لا يحتاج اليه » .

قال : « **والى هذا ذهب المحققون من العلماء** ، واليه اشار « المبرد » في تفسير قوله تعالى من آية48، سورة المائدة :

« لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » فعطف شرعة على منهاج ، لأن الشرعة لاول الشيء والمنهاج لمعظمه ومتسعه ... ويعطف الشيء على الشيء وان كانا يرجعان الى شيء واحد ، اذا كان في احدهما خلاف للآخر ؛ فاما اذا اريد بالثاني ما اريد بالأول فهو خطا .

قال ابو هلال : « والذي قاله « المبرد » هاهنا في العطف ، يدل على ان جميع ما جاء في القرآن وعن العرب من لفظين جاريين مجرى ما ذكرنا ... معطوف احدهما على الآخر ، فانما جاز هذا فيهما لما بينهما من الفرق في المعنى . ولولا ذلك لم يجز عطف زيد على ابي عبد الله ، اذا كان هو هو (3) .

والى هذا ذهب « ثعلب » ونقل قول « ابن الأعرابي » : « وكل حرفين اوقعتهما العرب على معنى واحد ، في كل منهما معنى ليس في صاحبه ، ربما عرفناه فاخبرنا به ، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله .

وصرح « ابن فارس » في كتابه الصاحبي : « ومذهبنا ان كل صفة منها ــ اي الصفات الواقعة على الشيء الواحد ــ معناها غير معنى الأخرى . وقد خالف قوم في ذلك فزعموا انها وان اختلفت الفاظها فانها ترجع الى معنى واحد »

---

1) السيوطي : المزهر في علوم اللغة 405 حلبي بالقاهرة
2) ابن فارس : الصاحبي في فقه اللغة 15 السلفية بالقاهرة
3) ابو هلال العسكري : الفروق اللغوية ، ص 12

ونبه « الجاحظ » في اكثر من موضع في كتبه ورسائله الى بطلان الترادف ، الا ان يكون اختلاف لغات (1) .

*

وظلت القضية فيما اعلم معلقة لم يستقر فيها اصحاب العربية على راي حاسم ، وان كان مذهب القول بالترادف هو الذي غلب وراج في العصور المتأخرة . ويقول به اليوم عدد من اصحاب التخصص في فقه اللغة وعلم الاجتماع (2) .

والى ماض قريب ، كانت قضية الترادف من بين ما شغل به المجمع اللغوي في القاهرة. وقد اقترح احد السادة المجمعيين ان نتخفف من عبء المترادفات فنصنف معجما لالفاظ العربية يستبعد ما زاد في المعنى الواحد عن لفظ واحد يختاره المجمعيون من معاجم العربية (3)

*

والقرآن الكريم كتاب العربية الاكبر ، ومن الحق الا ناخذ في هذه القضية برأي دون عرضها على الكتاب العربي المبين » .

ولقد شهد التتبع الاستقرائي لما درست من الفاظ القرآن الكريم ، انه ينفي الترادف ، اذ يستعمل اللفظ بدلالة محددة لا يمكن ان يؤديها لفظ سواه ، في المعنى الذي تقدم له المعاجم وكتب التفسير عددا من الالفاظ قل او كثر.

وهذه بعض امثلة تجلو موقف البيان الاعلى من قضية الترادف التي اخطئوا فيها :

الحلم والرؤيا :

تفسر المعاجم احد اللفظين بالآخر .

ونستقريء مواضع ورودهما في القرآن ، ونتدبر سياقها فلا يترادفان :

استعمل القرآن الاحلام ثلاث مرات : يعطي سياقها جميعا انها الاضغاث المشوشة والهواجس المختلطة . وتأتي في المواضع الثلاثة بصيغة الجمع ، دلالة على الخلط والتشويش ، لا تتميز فيه .

فيقول تعالى على لسان المشركين :

« بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما ارسل الاولون » الانبياء : 5 .

وعلى لسان الملأ من قوم العزيز :

« قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين » يوسف 44 .

اما الرؤيا فجاءت في القرآن سبع مرات ، كلها في الرؤيا الصادقة. وهو لا يستعملها الا بصيغة المفرد، دلالة على التميز والوضوح ، وجلاء المرئي وصفاء الرؤيا .

ومن بين المرات السبع ، جاءت الرؤيا خمس مرات للانبياء ، فهي من الالهام القريب من الوحي :

رؤيا ابراهيم عليه السلام في آية الصافات :

« وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين » 109 .

ورؤيا يوسف اذ يقول له ابوه :

« يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين » 50 .

نتابع سياقها في السورة فنراها قد صدقت وتحققت :

« ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا » 60 .

ورؤيا المصطفى عليه الصلاة والسلام في الاسراء :

« وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس » 60. ورؤياه في الفتح :

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم

---

1) انظر مثلا : الحيوان : 56/4 ، 200/7 .

2 منهم الدكتور ابراهيم أنيس في كتابه (دلالات الالفاظ) والدكتور علي عبد الواحد في مقال نشره عن مزايا لغتنا العربية وخصائلها وشرفها ، سنة 1963 .

3. المجلد الثامن ، من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

ومتصبرين لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » 27 .

فهذه خمس مرات من استعمال القرآن للرؤيا للأنبياء . والمرتان الأخريان في رؤيا العزيز ، وقد صدقت . وفي آيتها عبر عنها القرآن على لسان الملك بالرؤيا لوضوحها في منامه وجلائها وصدق الهامها ، وان بدت للملأ من قومه هواجس أوهام واضغاث احـــلام .

« وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون. قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين» سورة يوسف 43 — 44 .

وتمضي القصة في سياقها القرآني ، فاذا هي رؤيا صادقة وليست كما بدت للملأ من قوم الملـــك اضغاث احـــلام .

※

آنس وأبصـــــر :

في المعاجم : آنس الشيء ابصره ، والصـــوت سمعه ، واستأنس استأذن .

فهل نقول في « آنس نارا » أبصرها، أو نظرها، او اشبه ذلك من الالفاظ التي يحتمل ان تتعاقب على هذا المعنى ؟

نستقرىء الاستعمال القرآني فيعطينا حـــس العربية المرهف لا تقول : آنست في الشيء تبصره أو تسمعه دون أن يؤنس .

فاذا قال العربي : آنست ، فقد رأى أو سمع ما يؤنسه . والقرآن قد استعمل الفعل «آنس» خمس مرات ، منهـا أربع في النـار التـي رآها موســى عليه السلام حين سار بأهله في البرية فأنس اليها . وهذه آياتها :

طـــه 10 :

« اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنســت نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النــار هدى » .

النمـــل 7 :

« اذ قال موسى لأهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبـــس لعلكـــم تصطلون » .

القصص 29 :

« فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنســت نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جـذوة من النـار لعلكم تصطلون » .

والمرة الخامسة في آية النساء :

« وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فــان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم » .

ليس الايناس هنا مجرد ابصار لظواهر الرشد المادية الحسية، ولكنه الطمأنينة المؤنسة ، بعد الابتلاء والامتحان ، الى أنهم قد رشدوا حقا .

وجاءت من المادة في القرآن صيغة الفعل المضارع من الاستئناس في آية النور :

« يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها » 27 .

والاستئناس فيها ليس مجرد استئذان ، وانما هو حس الايناس لأهل البيت ممن يدخل عليهم . ولا يسوغ في ذوق العربية أن يقال مثلا : استأنـــس الشرطي . أو جابي الضرائب أو الدائن ، وانما هو الاستئذان ليس فيه حس ايناس .

كما لا يسوغ استعمال « آنس » في رؤية عدو، او سماع هزيم رعد او زئير وحش .

※

الانـــس والانســـان (1) :

وحس الانس نقيض الوحشة ، هو الملحظ العام المشترك في الدلالة لكل صيغ المادة .

ومنها الانس والانسان :

يلتقيان في الملحظ العام لدلالة مادتهما المشتركة « أ ن س » على نقيض التوحش .

---

1) قدمت الاستقراء الكامل لآياتها في كتابي « مقال في الانسان » « دراسة قرآنية » المعارف 1969 .

لكنهما لا يترادفان ، بل ينفرد لفظ الانسان بملحظ خاص من الدلالة يميزه من الآخر .

لفظ الانس يأتي في القرآن دائما مع الجن على وجه التقابل يطرد ذلك في كل الآيات التي ورد فيها اللفظ قسيما للجن ، وعددها ثماني عشرة آية .

وملحظ الانسية فيه ، بما تعني من نقيض التوحش ، هو المفهوم صراحة من مقابلته بالجن في دلالتها أصلا على الخفاء الذي هو من ظواهر التوحش .

وبهذه الانسية يتميز جنسنا من اجناس اخرى خفية مجهولة غير مألوفة لنا ، ولا هي تخضع لنواميس حياتنا .

واما الانسان فليس مناط انسانيته فيما نستقرىء من آيات البيان المعجز ، انه انس فحسب ، وانما الانسانية فيه ارتقاء الى الدرجة التي تؤهله لاحتمال تبعات التكليف وامانة الانسان ، وما يلابس ذلك من تعرض للابتلاء بالخير والشر (1) .

وقد ورد لفظ « الانسان » في القرآن الكريم : في خمسة وستين موضعا نتدبر سياقها جميعا فتهدينا الى الدلالة المميزة للانسانية .

هو في جنسه العام انس :

« خلق الانسان من صلصال كالفخار . وخلق الجان من مارج من نار » آية 14 سورة الرحمن .

« ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم » .

آية 24 سورة الحجر .

لكنه مع انسيته يختص بالقراءة والعلم (العلق) والبيان (الرحمن) والكسب والتكليف (الانسان ، النجم 39 ، القيامة 14 ، الاسراء 17) . والجدل (الكهف 54) .

ويحتمل الوصية (لقمان 14 ، العنكبوت 8) .

وهموم المكابدة واقتحام العقبة (البلد 4) .

ويحمل الامانة التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها (الاحزاب 72) .

وهو الذي يتعرض لتجربة الابتلاء ومحنة الغواية (الفرقان 29 ، ق 16 ، الحشر 16 ، الانسان 2 ، 4 ، الفجر 15) .

ويزدهيه الغرور فيطغى ويستكبر ، ويغلبه وهم الاستغناء عن خالقه (العلق 6) وما اكثر ما يذكر القرآن الانسان بضعفه وهو انه كبحا لجماح غروره كيلا يتجاوز قدره فيطغى ! وهو مظنة ان يتمادى به الطغيان والغرور الى حد الكفر بخالقه والوقوف منه سبحانه موقف خصيم مبين (النحل 4 ، مريم 67 ؛ الانفطار 6 ، فصلت 49 ، الزخرف 15 ، عبس 17 ، العاديات 6) .

*

النعمة والنعيم :

وكذلك يلتقي لفظا « النعمة والنعيم » في الدلالة العامة لمادتهما الواحدة المشتركة ، ثم ينفرد كل منهما في البيان القرآني بملحظ خاص يميزه من الآخر فلا يترادفان .

والمعاجم اللغوية لا تكاد تفرق بين الصيغتين ، والمفسرون يؤولون النعيم بكل ما تحتمله الدلالة المعجمية للمادة .

ونستقرىء الصيغتين في القرآن كله ، فنراه يفرق بينهما تفرقة واضحة :

كل نعمة في القرآن انما هي لنعم الدنيا على اختلاف انواعها . يطرد ذلك ولا يتخلف في مواضع استعمالها ، مفردا وجمعا ، في القرآن وعددها ثلاثة وخمسون موضعا .

اما صيغة النعيم فتختص بنعيم الآخرة . يطرد ذلك ايضا ولا يتخلف في مواضع استعمال القرآن لها وعددها ستة عشر موضعا .

منها خمسة عشر موضعا لا يحتمل صريح سياقها اي تأويل :

التوبة 29 :

« وجنات لهم فيها نعيم مقيم » .

(1) انظر تفصيل ذلك الاستقراء في الجزء الثاني من كتابي (التفسير البياني) .

الطـــــور 17 :

« ان المتقين فى جنات ونعيم » .

الواقعــة 89 :

« فأما ان كان من المقربين . فروح وريحان وجنــة نعيـــم »

المعــارج 38 :

« ايطمع كل امرىء منهم ان يدخل جنـــة نعيـــم »

المطففـــون 22 :

« ان الابرار لفي نعيم . على الارائك ينظرون. تعرف فى وجوههم نضرة النعيم » .

الانســـان 20 :

« وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا »

« واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا »

المائـــدة 65 :

« ولادخلناهم جنات النعيم »

يـونـــس 9 :

« تجري من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم » .

الحـــج 56 :

« الملك يومئذ لله ، فالذين آمنوا وعملــوا الصالحات فى جنات النعيم » معها آيتــا : الصافات 43 ، الواقعة 12 .

لقمـــان 8 :

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهـم جنات النعيم » .

القلـــم 34 :

« ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم »

الشعــــراء 85 :

« واجعلني من ورثة جنة النعيم » .

وتبقى آية التكاثر :

« ثم لتسألن يومئذ عن النعيم »

ولا نستطيع امام اطراد تخصيص القرآن صيغة النعيم لنعيم الآخرة ، أن نفسرها بما حشدت كتب التفسير فيها من نعم الدنيا التي لا تأتي فى القرآن الا بصيغة نعمة أو نعماء .

وسر البيان فيها ان الذين الهاهم التكاثـــر فى اعراض الدنيا عن التزود لأخراهم سيسألون يوم يرون الجحيم عين اليقين ، عن النعيم الحق ما هو . وعندئذ يعلمون علم اليقين حقيقة النعيم الذي أضاعوه والهاهم عنه التكالب على نعم الدنيا الفانية وأعراضها الزائلة(1)

النــأى والبعـــد :

يأتي بهما جمهرة اللغويين والمفسرين ، تأويــلا لأحدهما بالآخر ، دون اشارة الى فرق بينهما .

وفرق بينهما من انكروا الترادف . ونستقرىء مواضع الاستعمال القرآني للنأى والبعد فلا يترادفان:

فليس فى القرآن نأى ، الا بمعنـــى الاعراض والصد والاشاحة ، بصريح النص والسياق فى آيات .

الاسراء 83 :

« واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه »

الانعـــام 26 :

«حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا أساطير الاولين ، وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون »

اما « البعد » فيأتي فى القرآن على الحقيقـــة او المجاز ، فى البعد المكاني او الزماني . المادي منهما والمعنوي ، كما هو واضح فى آيات : .

التوبـــة 42 :

« لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعـــوك ولكن بعدت عليهم الشقة »

سبـــأ 19 :

« فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا »

---

1) اوضحت ذلك بمزيد تفصيل فى تفسير سورة التكاثر بالجزء الأول من (التفسير البياني للقـــرآن الكريم) .

الزخرف 28 :
« قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين ».
الانبيـــاء 109 :
« وان ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون »
الفرقان 12 :
« اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا»
النمـــل 22 :
« فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين »
سبـــأ 52 و 53 :
وانى لهم التناوش من مكان بعيد ، وقد كفـروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد »
فصلـــت 44 :
« اولئك ينادون من مكان بعيد »
ق 32 :
« وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد »
آل عمران 30 :
« تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا »
المعارج 6 :
« انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا »
الانبياء 101 :
« اولئك عنها مبعدون »
هــــود 83 :
« وما هي من الظالمين ببعيد »
هــــود 95 :
« الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود »
هــــود 14 :
وقيل بعدا للقوم الظالمين »
معها هود 60 ، 68 المؤمنون 41 ، 44 .

والبعد في المعنويات مثل شقاق بعيد (البقرة 176، الحج 53 ، فصلت 52) وضلال بعيد (ابراهيم 3 ، 18 النساء 6 ، 126 ، 136 ، 167 ، الحج 12 ، الشورى 18 ، سبأ 8 ، ق 27 ، الشورى 18) .

يأتي دائما في مقابل القرب .

على حين يخلص النأى للمعنوي المحـض ، في الصد والاعراض نقيض الاقبال .

حلـف ، واقســم :

يقال بترادفهما كما نـص على ذلـك صاحب القاموس . وقد تأتي حلف في شواهد من الشعـر الجاهلي بمعنى اقسم ، في مثل قول النابغة :

« حلفت فلم اترك لنفسك ريبة »

والاعشـــى :
« حلفت له بالراقصات الى منى »

وشاس بن عبده :
« حلفت بما ضم الحجيج الى منى »

لكن التتبع الاستقرائي للمادتين في القـرآن الكريم يمنع ترادفهما :

جاءت مادة « حلف » في ثلاثة عشر موضعـا ، كلها بغير استثناء في الحنث باليمين .

والغالب ان يأتي بالفعل مسندا الى المنافقيـن كآيات التوبة :

« وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ، يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون » (42)

« ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم » (56)

« يحلفون بالله ليرضوكم والله ورسوله احـق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين » (62)

« يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفـر وكفروا بعد اسلامهم » (74)

« يحلفون لكم لترضوا فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » (96)

« وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ، والله يشهـد بانهم لكاذبون » (107)

ومعها في المنافقين كذلك آيات :

النساء 62 ، المجادلة 14 ، 18 .

وآيـة القلـم :

« ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم »

وجاء الفعل مرة واحدة مسندا الى الذين آمنوا ، توجبت عليهم كفارة الحنث باليمين :

« ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم » المائدة 89 .

* × *

اما القسم فيغلب استعماله فى الايمان الصادقة، وجاء موصوفا بالعظمة فى آية :

« وانه لقسم لو تعلمون عظيم »

وجاء الفعل فى الشهادة ومثلها ، حيث لا يحمل الحنث باليمين . كالشهادة حين الوصية (المائدة 106 ، 107) .

وحين يسند القسم فى القرآن الى المجرمين او الكفار ، فانهم يقسمون عن اقتناع بصدق ما يقسمون عليه .

الروم 55 :

« ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة »

الانعام 109 :

« واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها »

ومعها آيات :

الاعراف 49 ، ابراهيم 44 ، المائدة 53 ، النحل 38 ، النور 53 ، فاطر 42 .

وامام هذا البيان القرآني ، لا يهون ابدا أن نفسر القسم بالحلف ، وصنيع القرآن يلفت الى فرق دقيق بين هذين اللفظين المقول بترادفهما .

فان لم نقل ان القسم لليمين الصادقة ، والحلف لليمين الكاذبة ، على اطلاقهما . فلا أقل من ان يكون بين دلالتهما الفرق بين العام والخاص : فيكون القسم لمطلق اليمين بعامة . ويختص الحلف بالحنث فى اليمين ، على ما اطرد استعماله فى البيان الاعلى .

* × *

زوج ، وامراة :

وترى البيان القرآني يستعمل لفظ « زوج » حيثما تحدث عن آدم وزوجه :

« وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة » البقرة 35 والاعراف 19 .

« فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك » طـه 117 .

على حين يستعمل « امراة العزيز ، وامراة نوح، وامراة لوط ، وامراة فرعون .

وقد يبدو من اليسير أن يقوم احد اللفظين مقام الآخر ، فنفسر زوج آدم بامراة آدم ، وامراة فرعون بزوج فرعون .

وذلك ما يأباه البيان المعجز .

وهو الذي يعطينا سر الدلالة فى الزوجية مناط العلاقة بين آدم وزوجه فى قصة اول زوجين من البشر . ولم تكن زوج آدم نمطا من النساء او امراة من اخريات ، بل كانت وحدها الزوج ، وكانت الزوجة ولا شيء غيرها ، مناط علاقتها بآدم وسر وجودها .

وليس الامر كذلك فى امراة العزيز وامراة نوح وامراة لوط وامراة فرعون ، وسياق الحديث عنهن من حيث هن أنماط من النساء، وليس من العلاقة الزوجية بينهن وبين أزواجهن . والعبرة فى قصصهن ان كل واحدة منهن مضرب المثل :

امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه !
امراة نبي وتخونه !
امراة طاغية متجبر كافر ، تؤمن بالله .

ونستقرىء استعمال القرآن للفظ زوج وأزواج، فنجد هذا الملحظ فى كون العلاقة الزوجية هي التي يوجه اليها السياق :

آيات (النساء) فى النفس الواحدة خلق منها زوجها (الاعراف 189 ، الزمر 6 ، الروم 21 ، النحل 72) وفى الزوجين خلقهما الله من نفس واحدة ، او من ذكر وانثى : (النساء 1 ، الاعراف 188 ، الزمر 6، النحل 72 ، الروم 21 الشورى 11) ومعها : النبأ 8 ، الشعراء 166 ، والذاريات 49 ، النجم 45 ، القيامة 19 ، فاطر 11 .

وفى فلك نوح جعل فيها من كل زوجين اثنين :

المؤمنون 27 ، هود 40 .

وفيما شرع الله من احكام الزوجية ، وما نزل فى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من توجيهات ،

مثل آيات البقرة 230 ، 240 ، آل عمران 90 النساء 11 ، 19 الانعام 139 ، الحجر 88 ، النور 6 ، 30 ، طه 131 ، التحريم 1 : 5 ، المجادلة 1 ، المتحنة 11، الاحزاب 28 ، 37 ، 50 : 59 .

* × *

واكتفى بما قدمت من شواهد وامثلة تؤيد ما ذهب اليه المحققون من أهل اللغة فى انكار الترادف الا ان يجيء فى لغتين : « فاما ان يجيء فى لغة واحدة فمحال ان يختلف اللفظان والمعنى واحد كما ظن غير المحققين من النحويين واللغويين ، وانما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما فى نفوسها من معانيها المختلفة، وعلى ما جرت به عادتها وتعارفها، ولم يعرف السامعون تلك العلل والفروق فظنوا ما ظنوه من ذلك وتاولوا على العرب ما لا يجوز فى الحكم » (1)

وقد ينبغي لي أن اعترف هنا بتصوري من لمح سر الدلالة لبعض الفاظ تبدو مترادفة ، فليس لي ان اقر بالعجز وأنا اتمثل بكلمة ابن الاعرابي :

« كل حرفين اوقعتهما العرب على معنى واحد ، فى كل منهما معنى ليس فى صاحبه ، ربما عرفناه فاخبرنا به ، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله » (2) .

الاساليب وسر التعبير

قد نكون عرفنا البلاغة العربية علما وتلقناها صناعة ومنطقا .

غير اننا ما نزال فى اشد الحاجة الى ان نجتليها ذوقا اصيلا وحسا مرهفا فى آيات الفصاحة العليا والبيان المعجز .

الاستغناء عن الفاعل :

واحاول فيما بقى من المجال المحدود للبحث ، ان اقدم بعض ما هدى اليه البيان القرآني فى أساليب غاب عن كثير منا سر التعبير فيها والبيان .

من الظواهر الاسلوبية اللافتة فى البيان المعجز ظاهرة الاستغناء عن الفاعل التي توزعت فى دراساتنا وكتبنا بين أبواب شتى متباعدة ، لا تعطى سر هذا الاستغناء ، فانت تقرأ فى الصرف كيفية بناء الفعل للمجهول وصيغ المطاوعة . وفى النحو احكام نائب الفاعل . اما لماذا حذف الفاعل فذلك موضوع آخر ندرسه فى علم آخر هو علم المعاني التي انفصلت عن الاعراب فعاد هذا الاعراب صنعة ، وهو فى الاصل من صميم المعنى . كما ندرس فى علم البيان اسناد الفعل الى غير فاعله على سبيل المجاز ، دون أن نحاول جمع هذا الشتات المنتشر للظاهرة الاسلوبية لاجتلاء سرها الذي من اجله تستغنى العربية عن الفاعل فتسنده الى غير فاعله : بالبناء للمجهول ، او بالمطاوعة ، او بالاسناد المجازي .

— • —

وقد لفتني اطراد ظاهرة الاستغناء عن الفاعل فى البيان القرآني فى موقف واحد هو موقف القيامة :

اما بالبناء للمجهول فى مثل آيات :

« فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة »

« وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة »

« اذا رجت الارض رجا . وبست الجبال بسا »

« يوم ينفخ فى الصور فتاتون أفواجا »

« وفتحت السماء فكانت أبوابا . وسيرت الجبال فكانت سرابا »

« فاذا النجوم طمست . واذا السماء فرجت . واذا الجبال نسفت »

« اذا الشمس كورت . واذا النجوم انكدرت . واذا الجبال سيرت . واذا العشار عطلت . واذا الوحوش حشرت. واذا البحار سجرت. واذا النفوس زوجت . واذا الموءودة سئلت . باى ذنب قتلت. واذا الصحف نشرت . واذا السماء كشطت . واذا الجحيم سعرت . واذا الجنة ازلفت . علمت نفس ما احضرت »

« كلا اذا دكت الارض دكا دكا »

---

1) ابو هلال العسكري : الفروق اللغوية 12 .
2) ابو هلال العسكري : الفروق اللغوية 65 .

« وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى »

« أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور . وحصل ما فى الصدور »

ومعها آيات النفخ فى الصور ، وكلها بلا استثناء مبنية للمجهول .

واما أن يستغنى عن ذكر الفاعل ، باسناد الحدث الى غير فاعله مطاوعة أو مجازا كما فى آيات :

« اقتربت الساعة وانشق القمر »
« فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان »
« اذا السماء انفطرت . واذا الكواكب انتثرت »
« اذا السماء انشقت . وأذنت لربها وحقت »
« واذا الارض مدت . والقت ما فيها وتخلت »
« يوم تشقق الارض عنهم سراعا »
« يوم تمور السماء مورا . وتسير الجبال سيرا»
« فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين »

« فاذا برق البصر . وخسف القمر . وجمع الشمس والقمر »

« واخرجت الارض اثقالها. وقال الانسان مالها. يومئذ تحدث أخبارها »

والبلاغيون يقولون فى حذف الفاعل ، انه يحذف للخوف منه أو عليه ، وللعلم أو الجهل به .

وقد مضى المفسرون على تقدير فاعل محذوف لاحداث يوم القيامة ، هو الله سبحانه ، أو ملك من ملائكته؛ مع وضوح العمد فى البيان القرآني الى صرف النظر عن الفاعل والاستغناء عن ذكره . وأكثر ما قالوه فى تأويل ذلك ، أن الفاعل محذوف للعلم به. وفى القرآن آيات لا تحصى لم يحذف الفاعل فيها مع يقين العلم به . فما سر ظاهرة الاستغناء عنه فى أحداث القيامة ؟

يهدينا تدبر السياق الى :

أن أساليب البناء للمجهول والمطاوعة والاسناد المجازي الى غير الفاعل ، تلتقي جميعا فى الاستغناء عن ذكر الفاعل .

أن اطراد هذه الظاهرة فى موقف البعث والقيامة ، ينبه الى أسرار بيانية وراء ضوابط الصنعة الاعرابية والاحكام البلاغية التي تجمدت فى اجراءات المنطق البلاغي .

فبناء الفاعل للمجهول ، فيه **تركيز الاهتمام على الحدث بصرف النظر عن محدثه .**

والمطاوعة ، فيها بيان **للطواعية** التي يتم بها الحدث **تلقائيا** أو على وجه التسخير، **وكأنه ليس فى حاجة الى فاعل .**

والاسناد المجازي ، يعطي المسند اليه **فاعلية مؤكدة محققة** ، تجعله يحل محل الفاعل الاصلي ويغني عن ذكره .

— • —

السجع ورعاية الفواصل :

منذ بدأ عصر التأليف فى الدراسات القرآنية والبلاغية ، فرضت قضية الفواصل نفسها على الاجيال الاولى من علماء العربية، وان لم تستقل بمباحث مفردة، بل جاءت عارضة فى ثنايا المصنفات القرآنية المبكرة .

فأبو عبيدة من القرن الثاني للهجرة ، يقف فى كتابه (مجاز القرآن) عند الفاصلة بين حين وآخر ، اذا لحظ فيها عدولا عن مألوف الاستعمال اللغوي ، موجها همه الى الاحتجاج لهذا العدول بأن « العرب تفعل ذلك فى كلامها » وهي العبارة التي تلقانا كثيرا فى (مجاز القرآن) .

كذلك لم يعرض « الفراء » وهو من لغوي القرن الثاني ــ ت سنة 207 هـ ــ لمسالة الفواصل عرضا مباشرا فى كتابه (معاني القرآن) ولكنه حدد رأيه فى موقف القرآن منها تحديدا صريحا فى تفسيره اللغوي لمعاني القرآن ، وترجيحه بين القراءات . وعنده أن القرآن يراعي الفاصلة عمدا ليتحقق بها جمال النظم : فيقدم أو يؤخر ويؤثر لفظا على آخر فى معناه ، أو يعدل عن صيغة للكلمة الى صيغة أخرى ، رعاية للفاصلة ، أو رءوس الآيات ، كما يسميها ، كالذي تراه مثلا فى توجيهه لفواصل من سور الرحمن ، والضحى ، والفجر .

وعلى كثرة ما عرض « الفراء » للفواصل وبخاصة فى السور المكية ، لم يذكرها باسم الفواصل وانما هي عنده رءوس آيات ، وان ثبت على مذهبه فى أن القرآن يرعاها قصدا الى رعاية الجرس الصوتي والمشاكلة اللفظية . مع تحاشيه ذكر « السجع » .

وانكر « ابن قتيبة » مذهب « الفراء » فى هذه الرعاية اللفظية للمقاطع ورؤوس الآيات .

وحتى القرن الثالث الهجري ، كان التحرج واضحا من القول بالسجع في القرآن . وكانما كان الحس المؤمن ينبو بالكلمة ، لكثرة ما اطلقت من قديم على سجع الكهان .

ولكن القضية ما لبثت ان دخلت معترك الجدل الكلامي بين الفرق الاسلامية ، فارتبطت بالاعجاز بالنظم ، وبدات تستقل بمباحث مفردة :

الاشاعرة قرروا نفي السجع عن القرآن ، وآثروا لفظ الفواصل على السجع،محاولين ان يفرقوا بينهما، بان الفواصل يتبع اللفظ فيها المعنى فيه اللفظ (1) .

ولا يبدو لنا وجه لتمييزهم بين السجع والفواصل القرآنية واضحا ولا قويا ، فيما نقل منهم «الباقلاني» فهو يقيم الفرق احيانا على ملاحظ شكلية من تفاوت المقاطع بين الفاصلتين طولا وقصرا ، وهذا عنده اخلال بضوابط السجع ومقاييسه .

والمعتزلة نفوا كذلك القول بالسجع في القرآن نفيا باتا ، مقررين ان الفواصل بلاغة والسجع عيب . وبسط « الرماني » هذا المذهب في رسالته في اعجاز القرآن ، محتجا للفواصل القرآنية بأن العبرة فيها بالمعنى . وان لم يمتنع عنده أن يكون للجرس الصوتي والتلاف الايقاع حظه من التقدير (2) .

ولكن من **البلاغيين**من لم يطمئنوا الى هذه التفرقة بين الفواصل والسجع ، وان اجمعوا على اعجاز البيان القرآني .

منهم « ابن سنان الخفاجي » الذي قال في (سر الفصاحة) :

« .... واما الفواصل التي في القرآن ، فانهم سموها فواصل ولم يسموها اسجاعا . وفرقوا فقالوا ان السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه . والفواصل هي التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في انفسها . وقال الرماني ان الفواصل بلاغة والسجع عيب ، وعلل ذلك بما ذكرناه من أن السجع تتبعه المعاني والفواصل تتبع المعاني . وهذا غير صحيح » (3) .

وحرر الموقف فقال ان **التكلف كما يعرض في السجع عند تماثل الحروف ، يعرض في الفواصل عند تناسب الحروف**، والتكلف في كليهما مذموم مرفوض، اما ان يأتي التماثل والتقارب طوعا سهلا وتابعا للمعاني، فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان . ولم يرد في القرآن الا ما هو من هذا الضرب لعلوه في الفصاحة .

ثم قال ... « واظن ان الذي دعا اصحابنا الى تسمية ما في القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا ، رغبة في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم . وهذا في التسمية قريب ، فاما الحقيقة فما ذكرناه » (4) .

وكذلك لم ير « ابن الاثير » في (المثل السائر) وجها لذم السجع على الاطلاق ونفيه عن القرآن جملة. فهناك سجع بليغ ، الفاظه حلوة حادة طنانة رنانة لا غثة ولا باردة ، والمعنى فيه تابع للفظ ، وكل فقرة من المجموعتين دالة على معنى غير الذي دلت عليه اختها (5) .

« وابو هلال العسكري » في فاتحة (اسرار البلاغة) يرى من السجع ما هو حسن بليغ ، اللفظ فيه استدعاه المعنى . وعنده أن مثل هذا السجع حلية في الكلام ، ويعجبه منه الرونق اللفظي الذي هو عنده من اسرار الاعجاز (6) .

« وابن حمزة العلوي » في باب التسجيع من (الكتاب المرسوم بالطراز) لم يعرض للخلاف بين الاسجاع والفواصل ، ولا ناقش القائلين بالسجع في القرآن والقائلين بنفيه ، لكنه قرر ان التسجيع « من علوم البلاغة ، كثير التدوار عظيم الاستعمال في السنة

---

1) الباقلاني : اعجاز القرآن ، (في نفي السجع عن القرآن) .
2) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن : ص 97 ، ط الذخائر .
3) الخفاجي : سر الفصاحة : 164 .
4) الخفاجي : سر الفصاحة : 166 .
5) ابن الاثير : المثل السائر ، ص 74 ، 97 ــ ط البهية بالقاهرة سنة 1312 .
6) اسرار البلاغة : 7 .

البلغاء ، ويقع في الكلام المنثور ، وهو في مقابلة التصريع في الكلام المنظوم الموزون في الشعر » (1)

وواضح من مسلكه في الاستشهاد لكل نوع من انواع التسجيع بآيات قرآنية ، انه يذهب مع القائلين بوجود السجع في القرآن .

« وابن ابي الاصبع المصري » (585 : 654 هـ) في كتابه (بديع القرآن لا يبدو مستقرا على راي في الموضوع ، ففي باب (ائتلاف الفاصلة) ينفي السجع عن فواصل القرآن ، وفي باب (التسجيع) يأتي بشواهد قرآنية على فنون التسجيع (2) .

— ◆ —

وأراني اطلت في عرض أقوال السلف في الفواصل القرآنية والسجع ، توطئة لتدبر أسرار التعبير في هذه الظاهرة الاسلوبية من البيان المعجز .

وقد رأينا كيف تباعدت بهم السبل بين الطرفين المتقابلين :

ففي البيئة الكلامية ، اختلفت الفروق الاسلامية بين نفي السجع في القرآن نفيا باتا على ما نقلنا من كلام الاشاعرة والمعتزلة .

وبين القول بوجوده في النظم القرآني . قال به من الشيعة « يحيى بن حمزة العلوي » وفي البيئة اللغوية والبلاغية ، تباعد الخلاف بين مذهب « الفراء » في أن السجع في القرآن مقصود لذاته ، وأنه ربما عدل عن نسق الى آخر وءاثر لفظا على غيره في معناه ، قصدا الى المشاكلة واتفاق رؤوس الآيات .

وبين من أنكروا ، كابن سنان الخفاجي وابن الاثير،أن تكونمعاني الفواصل القرآنية تابعة للالفاظ.

ورأينا من الاقدمين من فرقوا بين الفواصل والاسجاع ، اما بملحظ شكلي من توازن المقاطع طولا وقصرا وتماثل أواخرها أو تقاربها ، وهو رأي «القاضي الباقلاني » . وأما بملحظ معنوي في مجيء اللفظ تابعا للمعنى أو العكس كرأي «علي بن عيسى الرماني».

لكن أكثر البلاغيين لم يروا فرقا بين الفواصل والسجع ، فكلاهما يعرض له الاستكراه والتكلف فيهبطان عن مستوى البلاغة ، كما قد يأتي كلاهما طواعية دون قلق أو استكراه بتوجيه المعنى ، فيرقى الاسلوب بلاغيا وتكتمل له قوة المعنى ورونق اللفظ .

وعندهم ان الامر في التفرقة بين الاسجاع والفواصل ليس الا كراهة القول بالسجع في القرآن، بعد أن شاع اطلاقه على سجع الكهان .

وما نزال نجد جفوة تجاه لفظ السجع ، لطول ما ابتذلته الصنعة اللفظية والزخرف البديعي ، في أساليب العصور المتأخرة ، بعد أن اصطنعه الكهان في العصر الجاهلي .

ومن ثم نؤثر أن نمضي على تسمية مقاطع الآيات في النظم القرآني بالفواصل ، وهو ما جرى عليه أكثر المفسرين .

وبعد الذي سقناه من خلافهم فيها بين اللفظ والمعنى لتدبر الفواصل القرآنية فلا نرى البيان القرآني يتعلق في اي فاصلة منها بمجرد رعاية شكلية للرونق اللفظي ، وانما تأتي فواصله جميعا لمقتضيات معنوية بيانية مع نسق الايقاع بهذه الفواصل ، وائتلاف الجرس ، على نحو تتقاصر دونه طاقة البلغاء .

واختار هنا شواهد من الفواصل التي وهم «الفراء» ومن ذهب مذهبه فحملوها على قصد المشاكلة اللفظية بين رؤوس الآيات بإيثار نسق على آخر او العدول عن لفظ الى غيره في معناه .

ونختلف معهم ابتداء في القول بلفظين لمعنى واحد . وقد سبق بيان ذلك في الترادف وسر الكلمة.

ثم ننظر في هذه الفواصل :

« والضحى والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى »

قال « الفراء » ان القرآن جرى فيها على طرح الكاف من « قلاك » — ومن : فآوى فهدى ، فأغنى — لمشاكلة رؤوس الآيات .

وعد « الفخر الرازي » من وجوه حذف الكاف ، رعاية الفاصلة (3) .

---

1) الطراز : باب التسجيع ، ط المقتطف بالقاهرة 1914 .
2) بديع القرآن : ص 89 ، 108 ط نهضة مصر بالفجالة 1957 .
3) الرازي : التفسير الكبير ، سورة الضحى .

ومثله « النيسابوري » في تفسيره لآيات الضحى (1) .

ولو كان البيان القرآني يتعلق بهذا الحذف لمجرد النسق اللفظي ، لما عدل عن رعاية الفاصلة في الآيات بعدها :

فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر . وأما بنعمة ربك فحدث »

وليس في السورة كلها فاصلة .

بل ليس فيها على الاطلاق .

وعلى مذهبهم كانت الفواصل ترعى بمثل لفظ « فخبر » — وأما بنعمة ربك فخبر — لتستقيم الصنعة البلاغيـــة .

ونرى ان حذف الكاف من « وما قلى » مع دلالة السياق عليها ، تقتضيه حساسية معنوية مرهفة بالغة الدقة واللطف ، هي تحاشي خطابه تعالى حبيبه المصطفى في موقف الإيناس : « وما قلاك » لما في القلى من حس الطرد والإبعاد وشدة البغض . أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك ، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع الا بين الاحباب ، والفراق فيه على كره ، ومع رجاء العودة .

وحذفت كاف الخطاب في الآيات بعدها ، لأن السياق بعد ذلك اغنى عنها ومتى أعطى السيـــاق الدلالة المرادة مستغنيا عن الكاف ، فذكرها من الفضول والحشو المنزه عنهما أعلى بيان .

— • —

وآيـات الفجـــر :

« ... والليل اذا يسر . هل في ذلك قسم لذي حجر . الم تر كيف فعل ربك بعاد . ارم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد . وثمود الذين جابـوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الاوتاد ... »

قال « الفراء » في (معاني القرآن) ان ياء العلة حذفت من الفعل : يسر (ي) قصد المشاكلة بين رؤوس الآيات . وكذلك ذهب « ابن سنان الخفاجي » الى ان حذفها وحذف ياء : بالواد (ي) لتماثل الفواصل

ويكفي للرد عليهما وعلى كل من ذهب الى مثل ما ذهبا اليه ، ان نذكر ان القرآن الكريم لم يقتصر على حذف الياءهنا في مقاطع الآيات ، ليقال انه قصد الى مجرد رعاية الفواصل وتماثلها .

وانما حذفت ياء المعتل الآخر المرفوع ، وواوه ايضا ، وياء المنقوص المحلي بال ، في اواسط الجمل ودرج الكلام ، كالذي في آيات :

ق 41 :

« واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب »

النازعات 16 :

« اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى »

طـــه 12 :

« فلما اتاها نودي من شاطيء الواد الايمـن في البقعة المباركة »

النمـــل 18 :

« حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكـم سليمـان وجنوده وهم لا يشعرون »

الـــروم 53 :

« وما انت بهـــاد العمى عن ضلالتهم »

هـــود 105 :

« يوم يـات لا تكلم نفس الا باذنه »

الاســـراء 11 :

« ويـــدع الانسان بالشر دعاءه بالخير »

البقـــرة 186 :

« واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي »

القمـــر 6 :

« فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر »

القمـــر 8 :

«مهطعين الى الداع يقولالكافرون هذا يومعسر»

- ولا مجال لقول في هذه الآيات وامثالها بحذف ياء المنقوص المعرف بال ، او آخر المضـارع المرفـوع المعتل بالواو والياء ، لرعاية الفواصـل ومشاركة رؤوس الآيات . وهذا ما فات الذين تعجلوا بمثل هذا

(1) على هامش تفسير الطبري . ط مصر .

القول فى آيتي الفجر ونظائرهما ، محتكمين الى قواعد اللغويين فى احكام الحذف لحرف العلة او الاثبات ، فى المضارع المعتل الآخر والاسم المنقوص . حين ينبغي ان نعرض قواعدهم على ما يهدي اليه الاستقراء لكل مواضع الحذف والاثبات فى الكتاب المحكم والبيان المعجز .

وآيتا الاعلى :

« سبح اسم ربك **الاعلى** . الذي خلق فسوى »

والليل :

« الا ابتغاء وجه ربه **الاعلى** . ولسوف يرضى »

ليست صيغة الاعلى معدولا اليها فيها عن العلي لمجرد رعاية الفاصلة ، ولا اريد بها المفاضلة بين اعلى وعال ، على ما وهم بعضهم . وقد اشار «الفخر الرازي» الى ما تعلق به الملاحظة فى : ربه الاعلى « من اقتضاء ان يكون هناك رب آخر » (1) على ما يقضي به منطق التفضيل وقواعده .

وذلك من عقم الحس فيهم ، يغيب عنه السر البياني فى اطلاق هذه الصيغة دون قصد الى مفاضلة او ترتيب ، **وانما القصد الى المضي بالعلو الى نهايته القصوى** بغير حدود ولا قيود .

وهو نفس الملحظ الدلالي لصيغ : الحسنى ، واليسرى ، والاتقى ، والاشقى ، فى سورة الليل ، للدلالة على غاية الحسن والتقوى ، واتعس السوء والشقاء الذي لا يماثله شقاء .

ومثلها صيغة الاكرم فى آية القلم :

« اقرا وربك **الاكرم** . الذي علم بالقلم »

تناولها المفسرون على المفاضلة بين اكرم وكريم ، وساقوا وجوها لأكرميته تعالى . (2)

والاستقراء القرآني ، يشهد بان صيغتي الافعل والفعلى ، تفيدان الاطلاق الى **اقصى المدى** ، بغير قيد ولا حدود .

وهذه هي دلالة **الآية الكبرى** فى (النازعات والنجم) **وآياتنا الكبرى** فى (طه) والبطشة **الكبرى** فى (الدخان) والطامة **الكبرى** فى (النازعات) والنار **الكبرى** فى (الاعلى) والكلمة **السفلى** والكلمة **العليا** فى (التوبة)

— * —

وفى التقديم والتاخير قالوا برعاية الفاصلة فى فى مثل آية الليل :

« ان علينا للهدى . وان لنا للآخرة والاولى »

عدل البيان القرآني فيها عما هو مالوف ومتبادر، من تقديم الاولى على الآخرة . وليس التعلق برعاية الفاصلة هو الذي اقتضى وحده تقديم الآخرة هنا على الاولى . وانما اقتضاه المعنى فى سياق البشرى والوعيد ، اذ الآخرة خير وابقى ، وعذابها اكبر واشد، واخزى وابقى .

وكذلك قدمت **الآخرة على الاولى** فى سياق البشرى للمصطفى بآية الضحى : « وللآخرة خير لك من الاولى » .

كما قدمت الآخرة على الاولى فى سياق الوعيد لفرعون اذ ادبر وتولى «فاخذه الله نكال **الآخرةوالاولى**»

النفي مع القسم :

ومن الظواهر الاسلوبية اللافتة فى البيان القرآني **مجيء القسم بعد لا النافية** فى مثل قوله تعالى :

«لا اقسم بيوم القيامة. ولا اقسم بالنفس اللوامة»

وقد اختلف اللغويون فى تاويل حرف « لا » وتوجيه القسم بعده . وجاء به « ابن هشام » فى باب : لا ، الزائدة فى الكلام لمجرد تقويته وتاكيده .

ولخص مختلف اقوالهم فيها :

– قيل هي نافية . ثم اختلفوا فى تاويل المنفى بها :

منهم من قال انها تنفي شيئا **تقدم** فى سورة اخرى . انكر المشركون البعث فقيل لهم : لا ، ليس الامر كذلك . ثم استؤنف القسم : اقسم » .

ووجه هذا التاويل عندهم ان القرآن كله كالسورة الواحدة . ولهذا يذكر الشيء فى سورة ، وجوابه فى سورة اخرى ، ومما ذكروه من ذلك ، قوله تعالى :

« وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون» جوابه فى سورة اخرى :

« ما انت بنعمة ربك بمجنون »

ورده ابو حيان بانه لا يجوز ، لان فى ذلك حذف اسم « لا » وخبرها . وليس جوابا لسائل سال

(1 و 2) الفخر الرازي . التفسير الكبير ، سورة الليل . وسورة القلم .

فيحتمل ذلك ، نحو قوله : لا ، لمن قال : هل من رجل في الدار (1)

واما انها تنفي الفعل « اقسم » وذلك على ان يكون اخبارا لا انشاء، على تقدير ان المقسم به يستحق اعظاما فوق القسم »

وقيل هي زائدة . على خلاف كذلك في فائدتها:

منهم من قال انها زيدت توطئة وتمهيدا لنفي الجواب محذوفا . وتقديره في آية القيامة « لا اقسم بيوم القيامة . ولا اقسم بالنفس اللوامة » لا يتركون سدى .

ورد هذا التاويل بان الجواب مثبت في مثل قوله تعالى :

« لا اقسم بهذا البلد . وانت حل بهذا البلد . ووالد وما ولد . لقد خلقنا الانسان في كبد »

وقوله تعالى :

« فلا اقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . انه لقرآن كريم » .

— وذهب آخرون ممن قالوا بزيادتها الى انها زيدت لمجرد التاكيد وتقوية الكلام ، كما في قوله تعالى :

« لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله » الحديد 29 .

. ورد بانها لا تزاد لذلك في صدر الكلام ، بل يجب ان تزاد حشوا . لان زيادة الشيء تفيد اطراحه، وكونه في أول الكلام يفيد الاعتناء به (2)

وقول ثالث : انها ليست نافية ولا زائدة ، وانما هي لام الابتداء كقول الشاعر :

« اعوذ بالله من العقراب »

اشبعت الفتحة فتولدت منها الف ، وانما هي : لاقسم . وهي قراءة الحسن لآية « فلا اقسم برب المشارق » اشبعت فتحة اللام حتى تولدت منها الف ، كقراءة هشام لآية ابراهيم : « فاجعل افئيدة من الناس تهوى اليهم » بياء بعد الهمزة ، تولدت من اشباع كسرتها (2) .

ولما كانت لام الابتداء لا تدخل على الفعل، قدروا دخولها في الآية على جملة من مبتدأ وخبر : فلانا اقسم . ثم حذف المبتدأ .

ورد « الزمخشري » بان اللام في هذه القراءة لا تصح ان تكون لام القسم لامرين : احدهما ان حقها ان يقرن بها النون المؤكدة ، والاخلال بها ضعيف قبيح، والثاني ان سياق الآية يرشد الى ان القسم بمواقع النجوم واقع ، ومقتضى جعلها جوابا لقسم محذوف ان تكون للاستقبال ، وفعل القسم يجب أن يكون للحال (3) .

— ♦ —

وبعد هذا كله نرد الى القرآن ما تنازعوا فيه ، فنستبعد بادىء ذي بدء ان تكون (لا) في آيات القسم، ردت على كلام سبق في سورة اخرى . وهذا التاويل يبدو غريبا فيما نظروا له من قوله تعالى : « ما انت بنعمة ربك بمجنون » ردا على ما حكى من قولهم « انك لمجنون » ووجه الغرابة فيه ان الرد سابق في النزول على ما حكى القرآن من قولهم : « انك لمجنون »

اذ كيف تكون آية من سورة القلم ، وهي ثاني سورةنزلت من القرآن ، ردا على آية نزلت بعدها في سورة الحجر،وترتيبها في النزول الرابعة والخمسون؟ وتاويل « لا اقسم » بانها « لاقسم » اشبعت فتحة الالف فيها فتولدت منها الف ، يبدو من شطط التاويل تجاه اطراد مجيء « لا » في كل آيات القسم القرآني حيثما كان الفعل مسندا الى الله تعالى :

الواقعة 75 :

« فلا اقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . انه لقرآن كريم » .

الحاقة 38 :

« فلا اقسم بما تبصرون . وما لا تبصرون . انه لقول رسول كريم »

---

1) البحر المحيط : 8 / 212 سورة الواقعة .
2) ابن هشام مغني اللبيب 1 / 184 — وأبو حيان في البحر المحيط : ج 8 .
3) الزمخشري : الكشاف 4 / 61 سورة الواقعة .

المعـــارج 40 :

« فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون»

القيامـــة 1 :

« لا اقسم بيوم القيامة . ولا اقسم بالنفس اللوامة . ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه . بلى قادرين على ان نسوى بنانه »

التكويـــر 15 :

« فلا اقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس . انه لقول رسول كريـــم »

الانشقـــاق 61 :

« فلا اقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر اذا اتسق . لتركبن طبقا عن طبق »

البلـــد 9 :

« لا اقسم بهذا البلد . وانت حل بهذا البلد . ووالد وما ولد . لقد خلقنا الانسان في كبد »

ولم يات فعل القسم في القرآن كله ، مسندا الى **الله تعالى بغير ((لا))** .

كما لم تات « لا » مع القسم مسندا الى غيره تعالـــى .

وهذا الاطراد يبعد احتمال ان تكون « لا » هي لام الابتداء ، اشبعت فتحتها فتولدت منها الف .

كما يبعد احتمال ان تكون (لا) زائدة والمعنى : اقسم ، كما اختار ابو حيان . وقد قالوا هم انفسهم ان زيادة الشيء تفيد اطراحه ، ولا يمكن اطراح « لا » وما من آية اسند فيها فعل القسم الى الله سبحانه وتعالى ، لم يجيء بعد « لا » .

فهل هي مزيد توطئة للنفي وتاكيد له ؟ قالوا ان ادخال لا النافية على فعل القسم جاء في كلام العـرب واشعارهم كقول امرىء القيس :

فـلا وابيـك ابنـة العامـــري
لا يدعـي القـوم انـي افـــر

وقال غوية بن سلمى :

الا نـادت امامـة باحتمـــال
لتحزننـي فـلا بـك مـا ابالـي

وقال آخـــــر :

* فلا وابى اعدائها لا اخونها *

وجعلوا منه قوله تعالى :

« لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله » الحديد 29 .

والآية ، كما لاحظ ابن هشام ، في **سياق النفي.** وكذلك كل الشواهد الشعرية التي ذكروها ، **سياقها النفي** . وليس الامر كذلك في آيات « لا اقسم » وكلها في **سياق الاثبات والتقرير** .

ونفهم ان تاتي « لا » في سياق النفي لتؤكده ، اما ان تاتي لتؤكد الاثبات بالنفي فذلك ما يبدو غريبا حقا !! والقسم هو اقوى أساليب التاكيد ، ولا يمكن تاكيده بنفيه ، لان **النفي نقيض** التاكيد ، فاذا نفيت القسم انتقض بنفيك اياه . والجمع بينهما اولى بأن يسقطهما كليهما على القاعدة الاصولية في الدليلين تعارضا فتساقطا .

افلا يهدينا تدبر سياق آيات « لا اقسم » لله تعالى ، الى ان « لا » تنفي حاجته تعالى الى القسم ؟

بلى ، **وانما نحتاج نحن البشر الى ان نقسم دفعا لمظنة الاتهام وازاحة للشك . ومن ثم نلمح سر العربية اذ تستعمل هذا الاسلوب حيث تنتفي الحاجة الى القسم ، في مواضع الثقة واليقين .**

ومن **نفي الحاجة الى القسم** ياتي التاكيد والتقرير ، لانه يجعل المقسم او المقسم عليه ، في غنى بالثقة واليقين عن الاقسام . والسر البياني لهذا الاسلوب يعتمد في قوة اللفت على ما يبدو بين النفي والقسم من مفارقة مثيرة لاقصى الانتباه . وما نزال في مألوف استعمالنا نؤكد الثقة بنفي الحاجة معها الى قسم ، فنقول لمن نثق فيه : لا تقسم او : من غير يمين . مقررا انه موضع ثقتك فلست بحاجة الى ان يقسم لك. كما تقول لصاحبك : لا اوصيك بفلان ، تاكيدا للتوصية **بنفي الحاجة اليها** .

واذا اكتفي بهذا القدر مما هدى اليه البيان القرآني من أسرار لغتنا في الحرف لا يغني عنه سواه، وفي الكلمة لا تقوم مقامها اخرى غيرها ، وفي النظم لا تعرف العربية ما يدانيه بلاغة وبيانه .

ارجو الا يظن بي انني اجحد جهود سلفنا الصالح فيما اصلوا من علوم العربية والاسلام ، فالحق انني

اشعر بالقصور والخجل تجاه ما تركوا لنا من عطاء سخي باذل ، كان لنا على مر العصور وتتابع الاجيال ذخيرة ومددا . وما ارانا نكون خلف صدق لهم اذا لم نحمل امانة وجودنا ، فنضيف الى تراثهم ما نتركه للاجيال من بعدنا عطاء وميراثا .

وقد يشق علينا ان نضيف الى ما اصلوه من علوم العربية والاسلام جديدا ذا بال ، الا أن يفرغ المتخصصون منا فى الدراسات العربية والاسلامية لتدبر القرآن الكريم نجتلي من أسراره ودلالاته ما يكون قد غاب عن سلفنا الصالح وهم عاكفون على تأصيل قواعد علومهم ، بالكتاب الاكبر الذي يظل على امتداد الزمان والمكان سر وجودنا وذخر حياتنا .

وبعد فما ازعم ، وما ينبغي لى ، انني فيما اجتليت واجتلي من أسرار العربية فى البيان القرآني قد شارفت أفقه العالي .

ولكنها محاولة أبتغي بها ثواب المسعى وشرف الوسيلة والقربى ، بطول العكوف على خدمة القرآن الكريم ، وجهد التدبر لاسرار بيانه المعجز .

وينفد القول ولا تنفد كلمات ربي :

« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا . »

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
(بنت الشاطىء)
أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة القرويين



(تصويبات)

وقعت اخطاء مطبعية فى هذا البحث نستدركها فيما يلي : 1) يتحدى (بدل ويتحدى) : ص 12 سطر 4 ـ ضلع 1 ـ 2) فى مثل آية (بدل فى آية) : ص 13 ـ س 20 ـ ض 1 ـ 3) يؤنس (بدل يوميء) : نفس الصفحة ـ س 26 ـ 4) يحسبه (بدل يحسبه) : ص 15 ـ س 5 ـ ض 2 ـ 5) لاحتمل (بدل لا يحتمل) : ص 16 ـ س 4 ـ ض 2 ـ 6) وعسر (بدل وعر) : ص 18 ـ س 30 ـ ض 1 ـ 7) وعلى (بدل وعا) : ص 19 ـ س 25 ـ ض 2 ـ 8) ثلاث او رباع (يحذف ما بعدها وهو : بحيث لا يختلف رجل من رجل ..) : ص 21 ـ س 28 ـ ض 1 ـ 9) لا يتجاوزون (بدل لا يتجاوز) : ص 21 ـ س 30 ـ ض 1 10) من لا يفرق (بدل من يفرق) : ص 21 ـ س 31 ـ ض 1 ـ 11) التخيير بين (بدل القائهم جميعا على) : ص 21 ـ س 1 ض2 12) الواحد الثالثا (بدل الواحد الثالث) : ص 22 ـ س 10 ـ ض 1 ـ 13) 105 (بدل 109) : س 19 ـ ض 2 و 5 (بدل 50): س 22 ـ ض 2 و 100 (بدل 60) : س 26 ـ ض 2 (ص 23 ـ 14) حس (بدل وحس) : ص 24 ـ س 28 ض 2 ـ 15) وهوانه (بدل وهو انه) : ص 25 ـ س 6 ـ ض 2 ـ 16) صيغة (بدل صبغة) : ص 25 ـ س 26 ـ ض 2 ـ 17) وان كان كلها فى الواقع حذفت بعد « عليه » : ص 28 ـ س 14 ـ ض 1 ـ 18) الزوجية (بدل الزوجة) : ص 28 ـ س 14 ـ ض 2 ـ 19) الا ان (بدل ان) : ص 29 ـ س 15 ـ ض 1 ـ 20) مرهقا (بدل مرهقا) : ص 29 ـ س 25 ـ ض 1 ـ 21) الا جاء (بدل لم يجىء) : ص 36 ـ س 27 ـ ض 1 ـ 22) مزيدة (بدل مزيد) : ص 36 ـ س 28 ـ ض 1 ـ 23) قوية (بدل قوبة) : نفس الصفحة ـ س 33 ـ ض 1 .

من خصائص اللغة العربية ...

الأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح – جامع الأزهر

للغة العربية خصائص ومميزات يزت بها غيرها لا تدانيها فيها لغة من اللغات فانت تستطيع ان تصنع من مفرداتها المالوفة تطفا ما تسحر به الالباب وتاخذ بالافهام وتتالق بالعقول فى عالم السمو والسحر والابداع .

وعناية العربية بجمال الالفاظ وحسنها ، لا لذات الالفاظ . وانما اهتماما من اللغة العربية بالمعنى . وذلك حتى يقع القول من نفس السامع الموقع المرجو الذى يهيىء له الحالة النفسية التى تحفزه الى الحركة والعمل وتبعث به الى المقصود فى ثوب مفوف ووشام لامع جذاب اخاذ ساحر .

1) الدلالة المعنوية

ولقد ثبت من المقارنة بين اللغات ان **اللغة العربية من اكثر اللغات دلالة معنوية** بل ان الكثير من الفاظ العربية قد نقد الدلالة الحسية .

قال جورجي زيدان : فالفعل «قضى» معناه «حكم» والاصل فيه القطع الحسي والفعل «عقل» معناه «فهم» وهو مأخوذ من عقل الناقة اي ربطها والفعل ادرك ، الاصل فيه البلوغ الحسي فيقال : فلان ادرك القطار اي لحقه ؛ والفعل «بلغ» وضع اصلا للدلالة على الوصول الحسي فى المكان والزمان، بل ان الاصل فى معنى الفصاحة قولهم : فصح اللبن اذا ذهبت رغوته ، ثم قيل : فصح بمعنى وضح و «الراي» اصله من «راى» اي شهد بعينه

وفى العربية ابنية وصيغ وقوالب دالة علي معان وصفات واحوال . فما كان على «فعلان» (بالتحريك) دل على الحركة والاضطراب كالنزوان ، والغليان والضربان والهيجان . وما كان على «فعلان» (بسكون العين) دل على صفات تقع من احوال كالعطشان والغرثان والشبعان والريان والغضبان ، وما كان على «افعل» دل على صفات بالالوان نحو : ابيض واحمر واسود واصفر واخضر، وكذلك العيوب تكون على افعل نحو ازرق واحول واعور واقرع واقطع واعرج واخيف وتكون الادواء على « فعال » كالصداع والزكام والسعال والخناق والكباد .

والاصوات اكثرها على هذا كالصراخ والنباح والضباح والرغاء والثغاء والخوار ، وفصل آخر منها على «فعيل» كالضجيج والهرير والهدير والصهيل والنهيق والزئير والضغيب والنعيق والنعيب والخرير والصرير . وحكاية الاصوات على «فعللة» كالصرصرة والقرقرة والفرفرة والقمقمة والخشخشة واطعمة العرب على «فعيلة» كالسخينة والنفيثة والمريرة والنقيعة والعقيقة ، واكثر الادوية على « فعول » كاللعوق والسعوط والوجود واللدود والذرور والنطول ، واكثر العادات فى الاستكثار على « مفعال » نحو مطعان ومطعام ومضراب ومضياف ومكثار ومهذار وامراة معطار ومذكار ومئناث ومتئام،

وصُيغ الافعال واوزانها في اللغة العربية عامل من عوامل ثروة اللغة وقدرتها على الدلالة على فروق وظلال تنضاف الى المعنى الاصلي ، دون زيادة في اللفظ ومع الاحتفاظ بطابع التركيز والدقة قال الثعالبي في الاكثر الاغلب (فعل) يكون بمعنى التكثير كقوله عز ذكره « وغلقت الابواب » وقوله « يذبحون ابناءكم » و (فعل) يكون بمعنى (أفعل) نحو خبر واخبر وكرم وكرم ونزل وانزل ويكون مضادا له نحو افرط اذا جاوز الحد وفرط اذا قصر قال الشاعر:

لا خير في الافراط والتفريط
كلاهما عندي من التخليط

وقلت في كتاب المبهج : اياك والافراط الممل ، والتفريط المخل .

و (افعل) يكون بمعنى فعل نحو اسقى وسقى وامحضه الود ومحضه ، وقد يتضادان نحو نشط العقدة اذا شدها وانشطها اذا حلها .

(وفاعل) يكون بين اثنين نحو : ضاربه وبارزه وخاصمه وحاربه وقاتله ويكون بمعنى فعل كقوله عز وجل ، قاتلهم الله اي قتلهم .

(وتفاعل) يكون بين اثنين وبين الجماعة نحو تجادلا وتناظروا وتحاكما ، ويكون من واحد نحو تراءى له ويكون بمعنى اظهر نحو : تغافل وتجاهل وتمارض وتساكر اذا اظهر غفلة وجهلا ومرضا وسكرا وليس بغافل ولا جاهل ولا مريض ولا سكران .

(وتفعل) يكون بمعنى فعل نحو تخلصه اذا خلصه كما قال الشاعر :

تخلصني من غفلة الغي منعما
وكنت زمانا في ضمان اساره

وكما قال عمرو بن كلثوم :

تهددنا واوعدنا رويدا
متى كنا لامك مقتوينا ؟

ويكون بمعنى التكلف نحو تشجع وتجلد وتحكم ويكون لاخذ الشيء نحو : تادب وتفقه وتعلم ويكون تفعل بمعنى: فعل نحو تعلم بمعنى اعلم كما قال القطامي :

تعلم ان بعض الشر خير
وان لهذه الغمم انقشاعا

(واستفعل) يكون بمعنى التكلف نحو استعظم اي تعظم واستكبر اي تكبر ويكون استفعل بمعنى الاستدعاء والطلب نحو استطعم واستسقى واستوهب ويكون بمعنى فعل نحو استقر اي قر ويكون بمعنى صار ، نحو استنوق الجمل واستنسر البغاث .

(وافتعل) يكون بمعنى فعل نحو اشتوى اي شوى واقتنى اي قنى اي كسب، ويكون لحدوث صفة نحو : افتقر وافتتن واما انفعل فهو فعل المطاوعة نحو : كسرته فانكسر وجبرته فانجبر وقلبته فانقلب قال ابن جني : « فاذا رايت العرب اصلحوا الفاظها — العربية — وحموا حواشيها وهذبوها وصقلوا غروبها وارهفوها فلا ترين ان العناية اذ ذاك انما هي بالالفاظ ، بل هي عندنا خدمة للمعاني وتنويه وتشريف ونظير ذلك اصلاح الوعاء وتحصينه وتزكيته وتقديسه وانما المبغى بذلك منه الاحتياط للموعى عليه وجواره بما يعطر بنشره ولا يعر جوهره كما قد تجد من المعاني الفاخرة السامية ما يهجنه ويغض منه كدرة لفظه وسوء العبارة عنه .

وذلك ان العرب كما تعني بالفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ احكامها بالشعر تارة وبالخطب اخرى وبالاسجاع التى تلتزمها وتتكلف استمرارها . فان **المعاني اقوى عندها واكرم عليها وافخم قدرا في نفوسها** فاول ذلك عنايتها بالفاظها فانها لما كانت عنوان معانيها وطريقا الى اظهار اغراضها ومراميها اصلحوها ورتبوها وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك اوقع لها في السمع واذهب بها في الدلالة على القصد .

فكان العرب انما تحلي الفاظها وتدبجها وتشيها وتزخرفها عناية بالمعاني التي وراءها وتوصلا بها الى ادراك مطالبها وقد قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعتقد هذا في الفاظ هؤلاء القوم التى جعلت مصائد واشراكا للقلوب وسببا وسلما الى تحصيل المطلوب، عرف بذلك ان الالفاظ خدم للمعاني والمخدوم لا شك اشرف من الخادم والاخبار في التلطف بعذوبة الالفاظ الى قضاء الحوائج اكثر من ان يؤتى عليها او يجشم للحال تعب بها .

واعلم انه لما كانت **الالفاظ للمعاني ازمة وعليها ادلة واليها موصلة** ، وعلى المراد منها محصلة عنيت

العرب بها فأولتها صالحا من تثقيفها واصلاحها (1). وشيء اخر يجعل اللغة العربية اكثر مرونة في الواقع من غيرها . وهو انها اكثر اللغات قبولا للاشتقاق . والاشتقاق باب واسع تستطيع به اللغة ان تؤدي معاني الحضارة والاشتقاق في العربية يقوم بدور لا يستهان به في تنويع المعنى الاصلي وتلوينه اذ يكسبه خواص مختلفة بين طبع وتطبع ومبالغة وتعدية ومطاوعة ومشاركة ومبادلة مما لا يتيسر التعبير عنه في اللغات الآرية مثلا الا بالفاظ خاصة ذات معان مستقلة ، وصيغ الالفاظ العربية تفرق تفرقة واضحة بين الجواني والبراني وبين ما هو حركة في النفس وما هو حركة في الجوارح . العربية تفرق مثلا بين الكبر والتكبر والعلم والتعلم والفقه والتفقه .

وقد التفت المستشرق الفرنسي كرادوفو الى هذه الظاهرة فلم يسعه الا أن ينوه بها في كتابه عن الغزالي فقال « لقد ميز الغزالي بين الكبر الداخلي والكبر الخارجي . الداخلي هو استعداد في النفس والخارجي ناتج من افعال الجوارح واللفظ الفرنسي الذي يدل على معنى الكبر هو Orgueil اما التكبر فاولى أن يكون مرادفه الفرنسي Superbe .

ولاحظ كارا دوفو ايضا ان هذه الفروق المعنوية الدقيقة التي تحملها الفاظ اللغة العربية ليس من الميسور نقلها في لفظ واحد الى اللغات الاخرى . وخاص من هذه الملاحظة الى التنويه بما تنطوي عليه العربية من قدرة ذاتية على التحليل الفلسفي العميق ما دام ان احداث تغيير طفيف في بنية اللفظ العربي يسمح لتلك اللغة بأن تميز بين الحالة النفسية وبين العادة البدنية التي تطابقها . ولا نزاع في ان منهج اللغة العربية الفريدة في الاشتقاق قد زودها بذخيرة من المعاني لا يسهل اداؤها في اللغات الاخرى في نطاق التركيز الجواني الذي هو شيمة الاسلوب العربي الاصيل وقد لاحظ السيوطي هذه الزيادة في المعنى المشترك حين عرف الاشتقاق بانه « اخذ صيغة من اخرى مع اتفاقهما معنى ومادة وهيئة تركيب ليدل بالثانية على معنى الاصل بزيادة مفيدة لاجلها اختلفا حروفا او هيئة .

وجلي : ان هذه الطريقة في توليد الالفاظ بعضها من بعض تجعل من اللغة جسما حيا تتوالد اجزاؤه ويتصل بعضها ببعض باواصر قوية واضحة ، وتغني عن عدد ضخم من المفردات المفككة المنعزلة التي كان لابد منها لو عدم الاشتقاق ، وان هذا الارتباط بين الفاظ العربية الذي يقوم على ثبات عناصر مادية ظاهرة وهي الحروف او الاصوات الثلاثة . وثبات قدر من المعنى سواء كان ماديا ظاهرة او مختفيا مستترا . خصيصة عقلية من خصائص هذه اللغة تشعر متعلمها بما بين الفاظها من صلات حية تسمح لنا بالقول بأن ارتباطها حيوي وان طريقتها حيوية توليدية وليست آلية جامدة .

قال الدكتور عثمان امين : واذا اردنا مثلا على ثروة العربية بهذا الضرب من الاشتقاق والتصريف فلننظر الى كلام رجل من المشتغلين بالعلوم الطبيعية ، فهو يرى في كلمة مثل « صهر » اي اذاب الجسم بالنار انه يستفاد لتأدية هذا المعنى بكلمات دقيقة من حالات الجسم تخالف غيرها من الحالات فنقول انصهر واستصهر وتصاهر ومنصهر ومصهور ، وفي العربية منهجا اخر مخالفا للغات الاخرى فان العربية تدل بالحركات على المعاني المختلفة . من غير ان تكون تلك الحركات اثرا لمقطع او بقية من اداة فيكون ذلك في وسط الكلمة واولها واخرها فهم يفرقون بالحركة بين اسم الفاعل واسم المفعول في مثل مكرم ومكرم وبين فعل المعلوم وفعل المجهول نحو : كتب وكتب وبين الفعل والمصدر في مثل علم وعلم وبين الوصف والمصدر في مثل فرح وفرح وبين المفرد والجمع في مثل اسد واسد وبين الفعل والفعل في مثل قدم وقدم وبين الاسم والاسم في مثل : سحور وسحور .

2 ـ العربية وفلسفة الاعراب

اللغة العربية : من اللغات العريقة المنبت الواسعة الافق اتسعت فاحاطت بابعد انطلاقات الفكر وارتفعت حتى صعدت ارقى اختلاجات النفس .

ولقد زادتها مرونتها تبلورا وتفاعلا ونماء وقدرة على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الذي تعيشه الانسانية في مسيرتها .

وكان لها عبر الزمن **الاصالة الجاهدة المولدة المعطاءة . والميزات المطواعة المتطورة .**

(1) الخصائص لابن جني الجزء الاول ص 225 ـ 228 . طبعة الهلال ـ مصر

وانك لتحس هذا في كلماتها التي تمثل خطرات النفوس ونبضات القلوب وكل كلمة لها في الجملة مكان يحس بها المتكلم او تحس بها الكلمة نفسها .

ولهذا صارت – بفعل عوامل مختلفة – لغة حية بارزة ، ذات دلالة ووضوح ، وزادها متانة وابانة وافصاحا عن المعاني : الاعراب .

والعربية لغة تتوخى الايضاح والاصالة والاعراب احدى وسائلها لتحقيق هذه الغاية : غاية الايضاح والافصاح عن صلات الكلمات العربية بعضها ببعض وعن نظم تكوين الجمل بالحالات المختلفة لها .

وفي اللغات الخالية من الاعراب يعتمد اهل اللغة على القرائن وعلى اضافة كلمات الى الجملة لفهم المقصود من المعاني ولكن الاعتماد على القرائن ربما لا يطرد – كما يقول صاحب الطراز – فاوجبت العربية التفريق بين الفاعل والمفعول والا وقع اللبس والابهام .

والاعراب : مصدر اعربت عن الشيء اذا اوضحت عنه . ويقال : فلان معرب عما في نفسه اي مبين له وموضح عنه ومنه : عربت الفرس تعريبا اذا بزغته . وذلك بان تنسف اسفل حافره .

ومعناه : انه قد بان بذلك ما كان خفيا من امره لظهوره الى مرءاة العين بعد ما كان مستورا وبذلك تعرف حاله اصلب هو ام رخو واصحيح هو ام سقيم وغير ذلك .

واصل هذا كله قولهم : « العرب » وذلك لما يعزى اليه من الفصاحة والاعراب والبيان ومنه قولهم في الحديث « الثيب تعرب عن نفسها »

والعرب صاحب الخيل العراب وعليه قول الشاعر :

ويصهل في مثل جوف الطوى
صهيلا تبين للمعرب

اي اذا سمع صاحب الخيل العراب صوته علم انه عربي ومنه : العروبة . والعروبة الجمعة وذلك ان يوم الجمعة اظهر امرا من بقية الاسبوع لما فيه من التاهب لها والتوجه اليها وقوة الاشعار بها قال الشاعر العربي القديم :

يوالم رهطا للعروبة صيما

ولما كانت معاني السمين مختلفة كان الاعراب الدال عليها مختلفا ايضا . وكانه من قولهم : «عربت معدته» اي فسدت . كانها استحالت من حال الى حال ، كاستحالة الاعراب من صورة الى صورة.

الاعراب اذن مطلب العقل في اللغة ولذلك يرى بعض الباحثين والدراسين من علماء مقارنة اللغات **ان الاعراب ارقى ما وصلت اليه اللغات في الوضوح والابانة وهذه المرتبة قد بلغتها العربية الفصحى ، ولا يشاركها فيه من اللغات القديمة الا اليونانية واللاتينية ، ولا يشاركها فيه من اللغات الحديثة الا الالمانية .**

اما اللغات الارية الحديثة – وتشمل معظم لغات اوربا الحديثة – فقد خلت من حالات الاعراب ولا مميز فيها بين الرفع والنصب والجر ، وانما يقوم مقامها الحاق ادوات خاصة بذلك معظمها من حروف الجر او بتقديم الالفاظ وتاخيرها مما لا يخرج عن الوضع الخارجي في المكان ، هذا في حين ان اللغة العربية قد استلزمت من اول الامر – ما دام الاعراب مرعيا – وان يكون الفكر الواعي محددا للوضع الخارجي وان يكون النظر الى المعنى هو المبرر للتقديم والتاخير وتاكيد الاسناد ، وغير ذلك الا ترى انك اذا سمعت : اكرم سعيد اباه ، وشكر سعيدا ابوه ، علمت برفع احدهما ونصب الاخر ، الفاعل من المفعول ولو كان الكلام نوعا واحدا لاستبهم احدهما من صاحبه .

فبالاعراب يعرف الخبر من الانشاء والمفعول من الفاعل وبه يتميز المضاف من المنعوت والمتعجب من الاستفهام والنعت من الحال الى غير ذلك .

وبالجملة : فتمييز اغراض المتكلم عند السماع يكفي فيه الاعراب فالاعراب في مثل (ما احسن زيد) بفتح نون احسن وضم دال زيد كانت « ما » نافية وانت تريد ان زيدا لم يحصل منه احسان .

واذا قلت (ما احسن زيدا) بفتح النون والدال كانت « ما » تعجبية وانت تريد ان شيئا عجيبا جعل زيدا حسنا .

واذا قلت (ما احسن زيد) بضم النون وكسر الدال ، كانت « ما » استفهامية وانت تريد معرفة اي شيء حسن في زيد علمه ام ادبه ام اخلاقه .. الخ ..

وقد يفرقون بين المعاني بالحركات وغيرها فبالحركة يقولون : «مفتح»للالة بكسر الميم وفتح التاء و«مفتح» بفتح الميم لموضع الفتح ، وللفتح نفسه .

وقد يفرقون بين المعاني بغير الحركات كالتمييز بتاء التانيث وعدمها فيقولون امراة طاهر بدون التاء اذا ارادوا طاهرة من الحيض لان الرجل لا يشاركها فيه واذا ارادو طهارتها من العيوب الخلقية قالوا امراة طاهرة لان الرجل يشاركها فيها فيحتاجون الى التمييز بينهما ومثله امراة قاعد اذا اثقلها الحبل وقاعدة من القعود اي جالسة لان الرجل يشاركها فيه فيقال : رجل قاعد . ويروى ان رجلا دخل على امير المؤمنين علي ــ كرم الله وجهه ــ فقال له من غير اعراب : « قتل الناس عثمان » فقال له امير المؤمنين « بين الفاعل من المفعول رض الله فاك » .

وبنت ابي الاسود الدؤلي وقفت مرة تشاهد السماء وتتعجب لجمالها . فقالت لابيها « ما احسن السماء » فقال ابوها : نجومها ، فقالت « ما عن هذا اسال وانما انا اتعجب » فقال لها اذن قولي « ما احسن السماء » وافتحي فاك . وسمع ابو الاسود قارئا يقرا قوله تعالى «ان الله بريء من المشركين ورسوله» بكسر اللام فى رسوله فاكبر ابو الاسود ذلك وقال : عز وجه الله ان يبرأ من رسوله .

وكان هذا سببا فى وضع علامات الاعراب للمصحف بامر زياد .

ويروي ابن قتيبة ان رجلا من الخوارج مدح رئيسهم شبيبا بن يزيد الخارجي بقصيدة فى بيت منها :

ومنا سويد والبطين وقعنب
ومنا امير المؤمنين شبيب

فاخذه عبد الملك بن مروان وساله وهو يحاكمه عن هذا البيت فقال لم اقل هذا بل قلت : ومنا امير المؤمنين شبيب بفتح الراء فى امير اي يا امير المؤمنين فامر بتخلية سبيله .

وقد اشار ابن خلدون فى مقدمته الى الاعراب عند العرب فقال : ان كلامهم اي العرب ــ واسع ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الاعراب والابانة الا ترى ان قولهم : زيد جاءني مغاير لقولهم : جاءني زيد . من قبل ان المتقدم منهما هو الاهم عند المتكلم.

فمن قال : زيد جاءني افاد ان اهتمامه بالشخص قبل المجيء المسند وكذلك التعبير عن اجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول او مبهم او معرفة وكذا تاكيد الاسناد على الجملة كقولهم : زيد قائم وان زيدا قائم وان زيدا لقائم متغايرة كلها فى الادلة وان استوت من طريق الاعراب فان الاول العاري عن التاكيد انما يفيد الخالي الذهن والثاني المؤكد يفيد المتردد والثالث يفيد المنكر .

وكثير من كواكب الاستشراق وعلماء اللغات، نوهوا بخصيصة الاعراب فى العربية قال العلامة « بركلمان » عند حديثه عن لغة الشعر العربي :

لقد تميزت لغة الشعر العربي هذه بثروة عظيمة من الصور النحوية وبلغت من حيث دقة التعبير عن علامات الاعراب والنحو ذروة التطور فى اللغات السامية .

وقال البحاثة : « لوي مسينيون » فى حين ان اللغة السريانية قد نقلت اجروميتها عن اللغة اليونانية نقلا صرفا ، استطاعت لغة الضاد ان تشيد بناء ضخما من الاعراب يضع امام الابصار مشهدا فلسفيا ذا روعة واصالة .

فاللغة العربية لها من الخصائص لافهام المعاني الدقيقة والمعاني الثانوية التى تصل الى نهاية الابداع وكمال الصنع ، ما يملك على السامع مشاعره ويستخدم حواسه ويدفعه حيث يشاء .

والاعراب فى ذاته فلسفة لغوية تضع كل شيء فى مكانه الملائم له وتعطي كل ذي حق حقه .

فلا ابهام ولا لبس ولا غموض ولا تعقيد . بل وضوح وابانة وهدى وانصاح .

3) العربية والحركة

اللغة العربية من اعرق اللغات منبتا واكثرها رسوخا واقواها جلادة واشدها بنيانا وفى ظل الحضارة الاسلامية صارت ابعد اللغات مدى واوسعها افقا واقدرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذى تعيشه الانسانية .

واستطاعت العربية فى رحاب عالمية الاسلام ان تتسع لتحيط بابعد انطلاقات الفكر وترتفع حتى تصعد اوفى اختلاجات النفس .

ولقد زادتها مرونتها وقدرتها على التفوق تبلورا وتفاعلا ونماء واعطتها طاقة خلاقة وحياة مدهشة .

وكان لحركيتها التي امتازت بهـا : **الاصالـة الجاهدة الولدة المعطاءة والميزات المطواعة المتطورة ولم تعد حروفا وقوالب فارغة يملأها الفكر فتحمـله ، بل انها بعض الانسان المسلم يعـض كينونته ، هـو ينبوعها وهي مجراه وقلنا انها بعض الانسان المسلم لانها لغة القرآن الكريم وانك لتجد الاحساس الدقيق متمثلا في مفرداتها ويتجلى هذا في التركيب ، لكل** كلمة لها في الجملة مكان يحس بها المتكلم وان شئت بعبارة اخرى فقل : تحس بها الكلمة نفسها .

وتكاد تمثل كلماتها خطرات النفـوس وتصـور الفاظها مشاهد الطبيعة تكاد تتجلى معانيها في اجراس الالفاظ، وتتمثل في نبرات الحروف كانمـا كلماتهـا نبضات القلوب ورحيق الحياة ومشاعل القوة .

فليس هناك معنى من المعاني ولا فكـر مـن الافكار ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية من النظريات تعجز اللغة العربية ، عن تصويرها بالاحرف والكلمات تصويرا صحيحا حي المقاطع بارز القسمات .

والحياة في العربية حياة خـلاقة مبدعـة ذات عبقرية خاصة وكلماتها تنعم بهذه الحياة في الحين الذي نجد الكلمات في سائر اللغات ادوات جامـدة لا يعرف فيها معنى الحياة الا بعد ان تجتمع منها الى بعضها وتؤلف عبارة .

واذا كانت بقية اللغـات ادوات للتعبير متـى بلغتها فقد بلغت الغاية القصوى وانتهت مهمتها فان اللغة العربية لا تكتفي بهذه الغاية بل هي تريـد ان يكون التعبير جميلا وتريد ان يمتد هدفها الى اكثر من ذلك فيتحول الى فكرة مستمرة للجمال والذوق والذكاء فكرة تندفع بصورة تلقائية وتتوالد من نفسها لانها في تفاعلها وتطورها كأنها كائن حي يذهب ويجيء وتموج فيه العواطف والاحاسيس ، وكلماتها الحية ذات الاصول الثابتة تتفرع منها المعاني المتقاربة فمثلا: النون والباء اذا اجتمعتا كانتا الجذر في مختلـف معاني البروز انظر الى فروع هذا الجذر لتجد ان معنى :

نـبـت : برز من الارض ، ونبـط : اخرج ماء البئـر

ونبـع : خـرج من العيـن ، ونـبـغ : خـرج وظهـر

الى ءاخر ما هناك من الكلمات التي تتشابه في الاصل والعربية في عبقريتها لم تكتف بهذا المنطـق الذي هو في حد ذاته قاعدة بل عمدت الى اكثر من ذلك وها هي ظاهرة من ظواهر حياتها حتـى فـي الكلمات فهي تتسـاهل اشمل ما يكون التساهل حيال من يتكلمها كما يفعل الرجل الشهـم ازاء صاحبـه تماما ، خذ مثلا كلمة « غضـروف » ان اجتماع الغين والضاد يثقل احيانا على اللفظ وتناسق الحروف في الكلمة يجعلها سريعة الانفصـــال من اخواتها فـي العبارة وفي السرعة ، فماذا تفعل العربية لتتلافـى هذا الامر انها تتساهل معك وتقول لك اذا لم تستطع ان تلفظ كلمة « غضـروف » فالفظ «غرضوف» فانها هي نفسـها ، فهي لا تتعنت الى الدرجة التي تشعـر بالبغض لها ، بل هي تأخذك بالحسنى .

وكان اللغة العربية بهذه الحركية والحياة تريد ان تدفع بابناء الاسلام الى المجد دفعا وتصل بهم في ظل القرآن الكريم الى ذروة ما قدر لهم من نجاح وعز وسؤدد ، وتغـرس فيهم حب العمـل والحركـة والاعتماد على ان لا امل لهم الا في انفسهم وتبعث في قلوبهم النشـاط وتقشع السكون والاستكانة فلا ينبغي ان تكون لغة القرآن متحـركة حيـة واهلهـا جامدون سـاكنون .

ولقد اعرب عن الحياة في اللغة العربية العالم النحوي ابو الفتوح عثمان بن جني لوضع القول من **الكلام والقول وانهما يدلان على الحركـة والسرعـة والقـــوة .**

وذكر ان معنى « ق و ل » اين وجدت وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه انما هو للخفوف والحركة وجهات تراكيبهـا الست مستعملة كلها لم يهمل شيء منها وهي :

ق و ل ، ق ل و ، و ق ل ، و ل ق ، ل ق و ، ل و ق .

الاصل الاول : « ق و ل » وهو القول وذلك ان الفم واللسان يخفان له ويقلقان ويمذلان به وهو بضد السكوت الذي هو داعية الى السكون الا ترى ان الابتداء لما كان ءاخذا في القول لم يكن الحـــرف المبدوء به الا متحركا ولما كان الانتـهاء ءاخـذا في السكوت لم يكن الحرف الموقوف عليه الا ساكنا .

الاصل الثاني : « ق ل و » منه القلو حمار الوحش وذلك لخفته واسراعه قال العجاج :

تواضخ التقريب قلوا مغلجا

ومنه قولهم : قلوت البسر والسويق فهما مقلوان وذلك ان الشيء اذا قلي جف وخف وكان أسرع الى الحركة والطف قال :

قد عجبت مني ومن بعيليا
لما رأتني خلقا مقلوليا

اي خفيفا للكبر طائشا

قال :

وسرب كمين الرمل عوج الى الصبا
بواصف بالحادي حور المدامع

سمعن غناء بعد ما نمن نومة
من الليل فاقلولين فوق المضاجع

اي خففن لذكره فزال عنهن نومهن واستلقاؤهن على الارض .

الاصل الثالث : « و ق ل » منه الوقل للوعل ، وذلك لحركته وقالوا : توقل في الجبل اذا صعد فيه وذلك لا يكون الا مع الحركة والاعتمال .

قال ابن مقبل:

عودا احم القرا ازمولة وقلا
يأتي تراث ابيه يتبع القذفا

الرابع : « و ل ق » قالوا ولق يلق اذا اسرع قال :

جاءت به عنس من الشام تلق

اي تخف وتسرع وقريء «اذ تلقونه بالسنتكم» اي تخفون وتسرعون .

الخامس : « ل و ق » جاء في الحديث لا آكل من الطعام الا مالوق لي .

اي ما خدم واعملت اليد في تحريكه وتلبيقه حتى يطمئن وتضام جهاته ومنه اللوقة للزبدة وذلك لخفتها واسراع حركتها .

السادس : « ل ق و » منه اللقوة للعقاب ، قيل لها ذلك لخفتها وسرعة طيرانها قال :

كأني بفتخاء الجناحين لقوة
دفوف من العقبان طاطات شملال

ومنه اللقوة في الوجه والتقاؤهما : ان الوجه اضطرب شكله فكأنه خفة فيه وطيش منه وليس له مسكة الصميم ووفور المستقيم ومنه قوله :

وكانت لقوة لاقت قبيسا

واللقوة الناقة السريعة اللقاح وذلك انها اسرعت الى ماء الفحل فقبلته ولم تنسب عنه نبو العاقر .

واما « ك ل م » فهذه ايضا حالها وذلك انها حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة والمستعمل منها اصول خمسة وهي : ك ل م ، ك م ل ، ل ك م ، م ك ل ، م ل ك واهملت منه ل م ك فلم تأت في ثبت .

فمن ذلك الاصل الاول «ك ل م» منه الكلم للجرح وذلك للشدة التي فيه وقالوا في قوله تعالى: «دابة من الارض تكلمهم» قولين احدهما من الكلام والآخر من الكلام (بضم الكاف) اي تجرحهم وتأكلهم وقالوا : الكلام (بضم الكاف) ما غلظ من الارض وذلك لشدته وقوته ، وقالوا رجل كليم اي مجروح وجريح قال :

عليها الشيخ كالاسد الكليم

الثاني : « ك م ل » من ذلك كمل الشيء وكمل فهو كامل وكميل وعليه بقية التصرف والتقاؤهما : ان الشيء اذا تم وكمل كان حينئذ اقوى واشد منه اذا كان ناقصا غير كامل .

الثالث : « ل ك م » : منه اللكم اذا وجأت الرجل ونحوه ولا شك في شدة ما هذه سبيله انشد الاصمعي :

كان صوت جرعها تساجل
هاتيك هاتا حتنى (2) تكايل

لدم العجى تلكمها الجنادل

(2) حتنى : اي مستوية

فالحكمة : كلمة ثقافية جليلة وهي كلمة عصامية نشات وارتفعت من اصل متواضع اصلها من اربطة الدواب ، ان الحكمة جاءت من « الحكمة – وزان السمكة – وهي جزء من لجام الفرس : الجزء المحيط بالحنك من اللجام قالوا – العرب الاقدمون « حكمت الفرس واحكمته » – من باب ضربته وادبته بمعنى وضعت الحكمة في فمه ، ووضعك الحكمة في فم الفرس يعني سيطرتك عليه ، ومن هنا صار «الاحكام» وزان الاحسان يعني التوثيق والاتقان ، وصار «الحكم» وزان اللطف يعني السيطرة ، و«الحاكم» يعني المسيطر والامر والسلطان ، ثم اشتق من هذه المادة «التحكم» وهو تكلف الحكم او التعسف فيه وبعد ان ثبت هذا المعنى للحاكم اشتقوا منه « المحاكمة » فقالوا : «حاكمت الرجل» بمعنى خاصمته الى الحاكم ، و«تحاكم الرجلان» اليه بمعنى تخاصما اليه « فحكم بينهما » اي اصدر حكمه فيهما ، ومن هنا صار «الحكم» يعني القضاء اي الفصل بين «المتحاكمين» ايضا ومن هنا اشتقت «المحكمة» وهي دار «الحكم» او دار «المحاكمة» او دار «التحاكم او الاحتكام» ؛ وصار الحاكم يعني القاضي وهكذا أصبح للحاكم معنيان : أحدهما : الامر المسيطر ، والثاني القاضي والقاضي غير القاضي الشرعي ، يسمى في العراق «الحاكم» والجمع «الحكام» وبعد ان اخذت الكلمة معنى القضاء اصبح من السهل اشتقاق «الحكم» – وزان القلم والتحكيم منها ، كذلك اصبح للتحكيم نفس المعنيين اي التسليط وطلب الراي فقالوا مثلا : حكم الرجل عاطفته او عقله في المسألة بمعنى سلط عاطفته عليها او عرضها على عقله للوصول الى راي فيها ، وقالوا : حكمناه في الخلاف بمعنى طلبنا حكمه فيه او جعلناه حكما فيه واستعمل عرب الجاهلية (الحكومة) بمعنى طلبنا حكمه فيه او جعلناه حكما فيه واستعمل عرب الجاهلية (الحكومة) بمعنى : « حكم الحكم » فقال شاعرهم :

ما انت بالحكم الترضى حكومته

ولكننا لا نستعمل «الحكومة» الآن الا بمعناها السياسي المعروف .

ولما كان الناس انما «يحتكمون» الى ذي عقل وفطنة فقد اصطبغ «الحكم» وزان الشكر – بهاتين الخصلتين ، اي العقل والفطنة بالاضافة الى معنييه السابقين الامرة والقضاء وقد جاء في القرءان : « وءاتيناه الحكم صبيا » اي ءاتيناه الحكمة

ومن الحكم بمعنى الحكمة اشتقوا « الحكيم » مثل اشتقاق الطبيب من الطب واللطيف من اللطف ، والنبيل من النبل وبسبب ازدحام المعاني على كلمة «الحكم» اختصت لفظة الحكيم بمعنى الحكمة وبقيت « الحاكم » تعني الامر او القاضي ولا تعني الحكيم خلافا للامر والامير والفاضل والفضيل والجاهل والجهول التى تشترك كل واحدة منها في معنى صنوها .

وقد كثر استعمال صيغة « الحكمة » لمعنى الحصافة والفطنة لانها أبين من الغرض من لفظة « الحكم » المزدوجة المعنى ، التى كانت ما تزال تستعمل في كلا المعنيين عند ظهور الاسلام وهكذا زال معنى الحصافة من الحكم والحصيف من الحاكم بدافع من الرغبة في اجتناب اللبس فتخصص معناها في التسلط والقضاء كما زال معنى الامرة من «الحكمة» و«الحكيم» فاختص معناها بالحصافة ولما كانت المحاكمة تتطلب مناقشة القضايا وتمحيصها ، فقد صارت هذه الكلمة تعني بالاضافة الى ما تقدم نفاذ الفكر وسداد المنطق فقالوا : « فلان قوي المحاكمة » اي ثاقب البصيرة في تمحيص المسائل العقلية دون ان يكون للامر علاقة بالقضاء بين المتحاكمين من الناس .

وفي العهد الاسلامي اطلقت « الحكمة » على الفلسفة وما هو بسبيلها من العقلانيات ثم اطلقت « الحكمة » على الطب وسمي الطبيب حكيما وظاهر ان سبب ذلك هو أن الكثيرين من « الحكماء » – اي الفلاسفة زاولوا الطب على ذلك العهد مثل الكندي والخيام وغيرهما .

ولا باس ان نورد هنا مثلا كان شائعا في العراق، يوم كان الطبيب يسمى حكيما هو قولهم : « لا سلط الله عليك حاكما ولا حكيما » ولا زال يستعمل في صعيد مصر .

وهكذا تعددت مناحي تطور هذه الكلمة فصار لها نشاطها الخلاق في ميادين السياسة والادارة والقضاء والفلسفة والطب بالاضافة الى معناها الثقافي العام .

هذه هي الحياة في اللغة العربية حياة جعلتها اكثر مرونة من غيرها من اللغات فانت ترى انها اكثر

اللغات قبولا للاشتقاق ، وجلي ان طريقة العربية في توليد الالفاظ بعضها من بعض جعلت من اللغة جسما حيا تتوالد اجزاؤه ، ويتصل بعضها ببعض باواصر قوية واضحة وهذا الارتباط بين الفاظ العربية الذى يقوم على ثبات عناصر اصيلة خصيصة عظيمة تسمح لنا بالقول بان ارتباطها حيوي وان طريقتها توليدية .

فالعربية بحيويتها المدهشة لم تعجز ولم تضق بكل ما ادركه الانسان من علم وثقفه من صناعة ، والعربية لغة القرءان الكريم ، القرءان الذى حفظها رغم ما مر بها من عصور الركود والجمود وما فتئت في ظل القرءان تفيض بالقوة والانطلاق .

(للحديث بقية)

المراجع

(1) الخصائص لابن جني طبعة الفجالة بمصر سنة 1913 م .
(2) الكامل للمبرد . القاهرة سنة 1956 .
(3) الطراز لليمني الجزء الاول .
(4) عيون الاخبار لابن قتيبة — القاهرة .
(5) ادبيات اللغة العربية طبعة 1909 .
(6) الفلسفة اللغوية . جورجي زيدان .
(7) مقدمة ابن خلدون طبع كتاب التحرير سنة 1966 القاهرة .
(8) فلسفة اللغة العربية للدكتور عثمان امين .
(9) تاريخ آداب اللغة العربية جورجي زيدان الجزء الاول .
(10) احياء النحو ابراهيم مصطفى 1926 م القاهرة .
(11) المزهر للسيوطي طبعة دار احياء الكتب العربية
(12) فقه اللغة للثعالبي المكتبة التجارية الكبرى — القاهرة .
(13) فقه اللغة لمحمد المبارك . دمشق 1960 م
(14) مجلة الاقلام المجلد الاول . العراق .
(15) مجلة اللسان العربي . الرباط المغرب . « جميع الاعداد الاربعة الاولى » .

هل كانت العربية لغة خليل الرحمن عليه السلام ؟

الأستاذ علي الخطيب ، مجمع البحوث الاسلامية « القاهرة »

لغة خليل الرحمن ابراهيم — عليه الصلاة والسلام — شغلت الباحثين من علماء الاديان فى العصر الحديث ، وبخاصة بعض الذين يهمهم أن ينحرفوا ببحوثهم فى اتجاه معين مسبوق بتخطيط ينسلخ بسببه العرب من صلتهم بالخليل ، على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام .

واذكر ان الاستاذ عباس محمود العقاد — رحمه الله — قد وضع كتابيه : « ابو الانبياء : الخليل ابراهيم » و « الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان والعبريين » وتصدى فيهما لهذه القضية واستطاع أن يرد الى نحر المنحرفين سهامهم . وتبع — رحمة الله عليه — منهج «تقصي الحقائق» فى بحثه الذى اشتمل عدة مناهج تلاقت نتائجها فى النهاية عند حقائق مثيرة تثبت صلة ابراهيم الخليل الوثيقة بالعروبة فى وقت مبكر يقع بين القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد .

ونحن نقتصر هنا — مستعينين بالله — على منهج « الحديث النبوي الصحيح » فى الكشف عن لغة خليل الرحمن ، فان السنة المطهرة قد استقام بها كثير من حقائق التاريخ والكون حين تعرض لها رسولنا الكريم المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وقد ساق الامام البخاري رضي الله عنه فى صحيحه حديثا ، رواه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أبان عن امر الخليل بمكة وافاض فيه حتى ليكاد يكون الحديث الوحيد الذى استوعب صفحات عدة من هذا السفر العظيم (1)، نوجز تلخيصه وتحديد موضوعاته فيما يأتي :

1 — تحدث عن الشخصيات الطاهرة التى نزلت مكة وقت كان ليس بها احد ولا ماء ، وهم : الخليل ابراهيم ، وهاجر وابنهما الرضيع اسماعيل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

2 — نبع زمزم لهاجر وولدها .

3 — قدوم بطن عربي جرهمي واستئذانه هاجر فى السماح له بالاقامة فى مكة راضين شرطها « الا حق لهم فى الماء » ، واستقدموا اهلا لهم ، وقد شب اسماعيل عليه السلام بينهم ، وتزوج منهم مرتين .

4 — زيارات ثلاث للخليل الى مكة لوديعته — هذا الاولى التى قدم فيها باهله اليها ، وكان آخرها تلك الزورة التى بنى فيها البيت مع ولده — عليهما الصلاة والسلام — وامر فاذن فى الناس بالحج .

وهذا الحديث الشريف يعطي حقائق موضوعية هامة توضح بعض ما غاب عن التاريخ فى منهجه الحديث :

اولها : بيانه الواضح عن مبدأ تاريخ العمران فى مكة ، والذين يعنون بتسجيل العصر التاريخي للامم القديمة ليس امامهم وثيقة ادق من هذا الحديث لبيان بدء العمران بمكة وارتباع الناس فيها وسكناهم بها ، فاذا كان الخليل — صلوات الله عليه — قد عاش

(1) صحيح البخاري 172/4 مطابع الشعب بالقاهرة 1378 هـ

بين القرنين السالفين من قبل الميلاد ، كان ذلك يعني ان هذه الفترة مبدأ دخول مكة عصرها التاريخي .

ثانيها : يوضح هذا الحديث الشريف في جلاء نادر « حلقة مفقودة » لدى المؤرخين الذين توصلوا الى ممالك الاسماعيليين في شمال الجزيرة مثل : تيماء ، ودومة الجندل وغيرهما ، دون أن يصلوا — عن طريق منهجهم — الى «مهاد» هذه الرؤوس الشريفة من ابناء اسماعيل ، امني الصدر الاول من ابنائه لا احفاده ومن بعدهم ، فقد ظلت هذه المهاد حلقة مفقودة الا في هذا الحديث ، فهو وحده الذى يقدمها عبر ضوء شديد ينير من حولها كل السبل ويقطع بأن الاسماعيليين صعدوا من الجنوب (مكة) فامتلكوا في الشمال (أعالي الجزيرة) وليس العكس.

ثالثها : لغة خليل الرحمن — على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ، وهنا يعنينا أن نتحدث عنها وحدها دون أن نتعرض للغة اسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وذلك لامر واحد ، هو أن اسماعيل نشأ رضيعا في قبيلة جرهم وتلقى العربية عنهم ، وفي هذا الحديث الشريف جاء عنه .. « وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم » لذلك نريد ان نتحدث عن لغة خليل الرحمن وحده ، وهو الذى لم يقطن مكة ولم يجاور جرهم الا سويعات في الزيارة الثانية والثالثة ، ومدة بناء البيت في الرابعة . اما الاولى فلم يكن بمكة يومئذ احد وربما لم يمكث فيها ساعة من نهار ، وها هو الجزء من الحديث الخاص بها ، قال ابن عباس رضي الله عنهما عن «هاجر» — عليها السلام : ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل — وهي ترضعه — حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ احد ، وليس بها ماء ، فوضعها هنالك ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفى ابراهيم منطلقا، فتبعته ام اسماعيل ، فقالت : يا ابراهيم ! اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذى ليس فيه انس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا ، وجعل لا يلتفت اليها ، فقالت له : آلله الذى امرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : اذا لا يضيعنا . ثم رجعت . »

ولا يمكن ان يقال : ان ابراهيم مكث شيئا ذا بال بمكة ، انه ما ان وضعهما حتى انطلق راجعا ، وبالتالي ما كان فيها من احد غير اهله .

ولما كانت الزيارتان الثانية والثالثة كلاهما ذا اهمية في الموضوع نسوقهما لنعرف منهما : ما لغة خليل الرحمن عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام ؟ وكلتاهما كانتا بعد زواج اسماعيل صلى الله عليه وسلم . واسماعيل تزوج مرتين من قبيلة جرهم العربية ، قال :

« فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد اسماعيل ، فسأل امرأته عنه ، فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بشر ، نحن في ضيق وشدة ، فشكت اليه ، قال : فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له : يغير عتبة بابه ، فلما جاء اسماعيل كأنه آنس شيئا ، فقال : هل جاءكم من احد ؟ قالت : نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك ، فأخبرته ، وسألني : كيف عيشنا ؟ فأخبرته : انا في جهد وشدة ، قال : فهل اوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، امرني أن اقرأ عليك السلام ، ويقول : غير عتبة بابك ، قال : ذاك ابي ، وقد امرني أن افارقك .. الحقي باهلك ، فطلقها »

هذه كانت الزيارة الثانية ، ويمكن ان يضع لها القاريء تقدير الوقت الذى استغرقته ، وهذه هي الثالثة .. قال :

وتزوج منهم (يعني من جرهم التى تزوج منها اولا) اخرى ، فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ، ثم اتاهم بعد ، فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألها عنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا ، قال : كيف انتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بخير وسعة ، واثنت على الله ، فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : فما شرابكم ؟ قالت الماء ، قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ولم يكن لهم يومئذ حب ، ولو كان لهم دعا لهم فيه ، قال : فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه ، قال : فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه . فلما جاء اسماعيل قال : هل اتاكم من احد ؟ قالت : نعم ، اتانا شيخ حسن الهيئة ، واثنت عليه، فسألني عنك فأخبرته ، فسألني : كيف عيشنا فأخبرته انا بخير ، قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك ان تثبت عتبة بابك ، قال : ذاك ابي وانت العتبة ، امرني أن امسكك . »

ونعيد لفت نظر القاريء الى النظر في قدر هذه الزيارة الزمني . ثم نلاحظ ان الخليل في كلتي

الزيارتين اعقبهما بالرحيل فلم يمكث بمكة مقدار شهر او اكثر حتى نقول : انه اخذ اللسان العربي ابان اقامته .

وإذا كان من الحقائق الهامة التى يقدمها هذا الحديث الشريف ان زوجتي اسماعيل : الاولى والثانية من جرهم — اذ نص على ذلك حيث يقول عن الاولى : « فلما ادرك زوجوه امراة منهم » ومن الثانية « وتزوج منهم اخرى » . — فهذا يعني ان كلا الكنتين عربيتان خالصتان ، ومن العسف أن يدعي مدع انهما تعلمتا لغة اخرى غير العربية .

كذلك ثبت لنا ان خليل الرحمن — على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام — لم يمكث بمكة قدرا يعلمه العربية ، وكان يخاطب كنتيه، وقد انفرد بكل منهما — دون ثالث يمكن ادعاء انه ترجم بين لسانيهما .

وهذا امر يعني — دون تردد — ان الخليل — صلوات الله وسلامه عليه — كان ذا لسان عربي مبين فما كانت «المخاطبة» بينهما — فى كل مرة — كلمة عابرة تؤديها اشارة ، ولكنها حوار دار بين اخذ ورد انتهى بحكمه على كل منهما ، فواحدة كانت شؤم بيت زوجها والاخرى كانت حسنه وخيره

واذا كان الخليل — عليه السلام — ذا لسان عربي ولم يكن من اهل مكة ، ولا كان من اهل الجنوب (اليمن وما حولها) وكان من الشمال ، فهذا يعني أن العربية كانت مسيطرة — كلغة حياة ومعاش — فى هذا الشمال الذى كان فيه الخليل وهنا نلتقي بالاستاذ العقاد — رحمة الله عليه — الذى يعطي بحثه نفوذ العربية القديمة فى شمال الجزيرة حتى تخطت العراق وما كان الى غربه وشماله .

وحتى يتم لقاء «علمي» بين الحديث الشريف و « التاريخ » فى منهجه الحديث ينبغي النظر فى الهجرات العديدة التى تمت فى العصر التاريخي لجنوب الجزيرة ، اعني منذ اربعة آلاف سنة من قبل الميلاد ، فقد توالت هجرات منه الى الشمال فى خطين . وامتلكت بعض هذه القبائل الشمال ودان لها ، وفى منتصف هذه الآلاف الاربعة ظهر الخليل عليه السلام كعربي اصيل ، لانه منها ، ولانه يستحيل ايضا ان يدعو الى دين الله فى قلب الجزيرة ، ويؤذن للناس بالحج — وفى مقدمتهم جرهم القاطنة حول البيت — بلسان غير عربي، قال تعالى: «وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم (ابراهيم 4) والحج شريعة الخليل عليه السلام .

ولسنا نقول : انه عليه السلام تحدث بالعربية التى هي عربيتنا — اعني لغة القرءان الكريم التى بها انزل — لكنها عربية زمانه بفصاحتها ، وما من شك انها كانت وثيقة الصلة : اصولا وفروعا بعربية القرءان الكريم .

ولقد اوحى الى رسولنا المصطفى صلى الله عليه وسلم ببعض دعائه فى تعويذة كان يعوذ بها ولديه : اسماعيل واسحاق عليهما الصلاة والسلام ، فعوذ بها المصطفى — صلى الله عليه وسلم ولديه : الحسن والحسين ، فقال : اعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة »

قد لا تكون عين الالفاظ ، لكنها العربية ، وليس الفرق بينهما الا ان الاولى عربية الخليل عليه الصلاة والسلام ، والاخيرة عربية المصطفى خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم .

الحياة في اللغة العربية

الأستاذ إلياس قنصل ـ الأرجنتين

— 1 —

تختلف اللغة العربية عن غيرها من اللغات بأن « **الحياة » التي فيها حياة خلاقة مبدعة** ذات عبقرية خاصة . وفي الوقت الذي نجد بقية اللغات أدوات للتعبير متى بلغتها فقد بلغت غايتها القصوى وانتهت مهمتها نجد ان الضاد لا تكتفي بهذه الغاية بل هي تريد **أن يكون التعبير جميلا** وتريد أن يمتد هدفها الى اكثر من ذلك فيتحول الى فكرة مستمرة للجمال والذوق والذكاء : فكرة تندفع بصورة تلقائية وتتولد من نفسها كالطاقة الذرية سواء بسواء .

ولو أحببنا ان نضع للامر مثلا بسيطا يقربه الى الاذهان لاستطعنا القول ان بقية اللغات كالساعات العادية تضبط لك الوقت اقرب ما يكون الى الدقة ، **اما اللغة العربية فكالساعة الذهبية** التي لا يمكن الا ان تكون مثال الدقة في ضبط الوقت لان معدنها يحمل صانعها على مراعاة قيمتها وتوفير الانسجام بين آلاتها الداخلية وغلافها الثمين ـ دفعة واحدة ـ آلة لمعرفة الوقت بالدقة المتناهية واداة للزينة تلفت الانظار ورصيد مادي يحتفظ بقيمته الابرائية .

ويأتيك البرهان في صيغة من صيغها العديدة :

« المبالغة » في ابسط صورها هي تضخيم الشيء بحيث يتوجه اليه الانتباه وقد حلت اللغات الاخرى هذه المشكلة ـ اذا جاز لنا أن نسميها مشكلة ـ بطريقة شكلية خلاصتها اضافة زوائد على الكلمة او تغيير آخرها .

وهذا التحوير يكبر الكلمة في « العين » فقط .

وما هكذا اللغة العربية .

ان اللغة العربية حين تود ان تضع الكلمة في قالب المبالغة تعمد الى « الحياة البشرية » فتقتبس منها ما يبث في الكلمة روح هذه الحياة .

واترك الموضوع قليلا على أن اعود اليه بعد سطور .

ان الرجل الذي ينعم بميزات الرجل لا يستطيع ان ينال من تحديقك اليه ما ينال الرجل الذي شاءت الطبيعة ان تضع فيه بعض ميزات المرأة .

انك تمر بالرجل « العادي » فلا تحفل به .

ولكنك اذا مررت برجل قد برز نهداه ـ مثلا ـ فلا يسعك الا التفكير به قليلا او كثيرا لان بروز النهدين من خصائص المرأة لا من خصائص الرجل .

وما نقوله عن الرجل نقوله عن المرأة .

ولا نعبأ بشعورك ازاء هذا التجاوز او ذاك على الحدود المرسومة لاحد الجنسين : ما نشير اليه هو ان هذا التجاوز يلفت نظرك .

وقد أدركت اللغة العربية هذه الظاهرة فطبقتها على صيغة المبالغة .

فاذا شاءت ان تصف رجلا كثير الرحلات قالت عنه انه « رحالة » .

انها تقدمه لك وقد لحقت به التاء التي كان من حقها ان تلحق بالكلمة المؤنثة . فعلت ذلك لتلفت نظرك الى صفة المبالغة فيه .

واذا وصفت لك رجلا واسع العلم قالت عنه انه علامة .

وهكـــذا .

ان اللغة العربية في عبقريتها لا تكتفي بالطريقـــة الشكلية باضافة التاء الى الكلمة بل تعمد كذلك الى المعنى فتغير صفته وتملأ « عينيك وخاطرك » في نفس الوقت .

ان خصائص التانيث في الكلمة هي الوجه الآخر الذي يضع امام « الفكر » صورة صادقة من المبالغة في حين ان اضافة الحرف — التاء — وتشديد عين الكلمة هي الوجه الاول الذي يضع امام « العين » الصورة المطلوبة .

وانت تنتقل بالمبالغة من « العين » الى « الفكر » ليتم المقصود من التصوير لتستطيع ان تلم أوسع الالمام بالمبالغة المتوخاة من التعبير .

وما ينطبق على الكلمات المذكرة ينطبق علـــى الكلمات المؤنثة ولكن بوسيلة مكسبة .

ان صيغة المبالغة في الاولى هي الحاق علامـــة التانيث بها .

فمن الطبيعي والمنطقي ان تكون المبالغـــــة في الكلمات المؤنثة حذف علامات التانيث منها .

واذا بالمراة التي تصون نفسها امراة « مصون » — لا امراة مصونة — . واذا الحرب التي لا تبقى ولا تذر الحرب الضروس — لا الحرب الضروسة — .

ان هذا التغيير او هذا القلب يجعل عينيـــك تلتفت الى ما اريد من المبالغة ، ويجعل عقلك يمتلىء بالصورة التي وضعت لها .

ان تاء علامة ورحالة وما اليهما هي بروز النهدين في الرجل .

وان حذف تاء التانيث من مصونة وضروسة وما اليهما هي اللحية في ذقن المراة .

وليعذرنا الجنسان — اللطيف والخشن — فما اردنا الا تقريب القضية الى الاذهان .

ان لغتنا تمتاز كما اشرنا بهذه النفحة من الحياة التي تطل من تراكيبها وصيغها ومشتقاتها ومن كلماتها ايضا . وهذا سر من اسرار عظمتها وجبروتها .

لقد حاربها الطغاة في مختلف عهودهم وحاولوا ان يقضوا عليها .

ثم .. ذهب الطغاة وظلت لغة الضاد تـــــزود القومية العربية بالقوة والجمال والخلود .

— 2 —

الحياة في اللغة العربية حياة خلاقة مبدعة ذات عبقرية خاصة — كما اشرنا سابقا — وهي لا تكتفي بمســايرة التطورات المستحدثة — كما تفعل بقية اللغات — بل يجد الباحث فيها « حركة بشرية » في تفاعلها . **فكأنها كائن حي يذهب ويجيء وتموج فيه العواطـــف والاحاسيس .**

ومن ابرز الميزات في اللغة العربية ان كلماتهاتنعم بهذه الحياة وبهذه الحركة التي نصف في الوقت الذي نجد الكلمات في سائر اللغات ادوات جامدة لا يدب فيها شيء من الحياة الا بعد ان تجتمع طائفة منها الى بعضها وتؤلف عبارة .

كتبت فئة من المتبحرين في علم اللغة ان الكلمات العربية ذات اصول ثابتة تتفرع منها المعاني المتقاربة — مثلا النون والباء اذا اجتمعتا كانتا الجذر في مختلف معاني البروز والنبو — فانظر الى فروع هذا الجذر :

نبت = برز من الارض .

نبط = اخرج ماء البئر

نبع = خرج من العين

نبغ = خرج وظهر

نبق = خرج وظهر

نبك = ارتفع

الى آخر ما هنالك من الكلمات التي تتشابه في الاصل .

هذا ما كتبه فريق من العلماء وقد اتخذوا كثيرا من الاصول ادلة واضحة صريحة .

واجتهادنا الوضيع فى هذا الصدد ان اللغة العربية فى عبقريتها لم تكتف بهذا « المنطق » الذي هو فى حد ذاته قاعدة بل عمدت الى ابعد من ذلك . وها هي ظاهرة جديدة من ظواهر حياتها وحركتها حتى فى الكلمات :

ان اللغة العربية « تتساهل » اسمى ما يكون التساهل حيال من يتكلمها كما يفعل الرجل الكريم الشهم ازاء صاحبه تماما .

خذ مثلا كلمة غضروف :

ان اجتماع الغين والضاد يثقل احيانا على اللفظ وتناسق الحركات فى الكلمة يجعلها سريعة الانفصال من اخواتها فى العبارة — وفى السرعة الزلل .

فماذا تفعل اللغة العربية لتتلافى هذا الامر ؟
انها تتساهل معك وتقول :

اذا لم تستطع ان تلفظ كلمة « غضروف » فالفظ كلمة « فرضوف » فانها هي نفسها .

وهكذا تترك لك اللغة المجال واسعا حتى اذا استثقلت اجتماع الغين والضاد وضعت بينهما الراء أو اذا انسابت الكلمة من فمك سريعة الانفصال عن مكانها فى العبارة امنت الزلل الذي يمكن أن تقع فيه من تناسق الحركات فى الكلمة .

ان اللغة العربية لا تتعنت الى الدرجة التي تشعر بالبغض لها ، بل هي تأخذك بالحسنى فاذا أنت من « نبالة عواطفها » ومن « شهامة اخلاقها » اسير لا تكاد تملك من امرك شيئا .

وهاك مثلا ثانيا :

« القاف » حرف حلقي يصعب لفظه على البعض ولا بد من لفظه على من يتكلم الضاد . ولكن اللغة العربية لا تتزمت بل تتساهل كعادتها وتقدم لك برهانا جديدا على « طيب عنصرها » .

اذا لم يكن من الهين عليك ان تقول :

دق : ومعناها كسر .

فلا بأس قل :

دك : ومعناها هدم .

ان اللفظتين تتقاربان فى الاداء بحيث يمكنك ان تنيب الثانية مناب الاولى — هذا اذا كنت كما اشرنا ترى من الصعب التلفظ بالقاف .

وهذا التساهل من طبع اللغة العربية ولا يسري على كلمة مفردة بل على كلمات كثيرة .

وليس من عمل الصدف أن تكون لفظة « ركيك » قريبة جدا من لفظة « رقيق » .

وليس من عمل الصدف ان تكون كلمة « قط » مرادفة لكلمة « قد » و « قت » .

وليس من عمل الصدف ان تكون « لغلغ » و « لقلق » بمعنى واحد تقريبا .

واذا لم تشأ ان تقتنع بهذا التساهل الفريد بين جميع لغات العالم احلناك الى الدليل الذي ما بعده دليل على ان التساهل هو من طبع هذه اللغة .

لقد نوعت اللغة الحركات على كثير من الكلمات حتى اذا لفظتها — على غير يقين من شكلها — لم تكن فيها على خطأ .

البصل البري اسمه العنصل (بضم الصاد) والعنصل (بفتح الصاد) والعنصلاء (بضم الصاد) والعنصلاء (بفتح الصاد) .

والاربعاء الفظها كما يعن على بالك بضم الباء او فتحها او كسرها .
وهذا التنويع والتشكيل فى المصدر :

غاص غوصا وغياصا وغياصة ومغاصا

اتريد ارحب من هذا الميدان ؟

اتريد أكرم من هذا الكرم ؟

لا . لا

اننا نحن الذين لم نعرف قيمة هذه اللغة الفريدة من نوعها .

اننا نحن الذين لم نجل حتى الآن الا القليل القليل من اسرارها .

اننا نحن الذين لم ندرك ما فى كلماتها وحروفها من حياة وما فى تراكيبها من منطق وشعور .

دخيل أم أثيل ؟

الأستاذ عبد الحق فاضل

- 2 -

في العدد الماضي من « اللسان العربي » تناولنا عددا من الالفاظ التي نعدها عربية اثيلة ولو أن اللغويين يعدونها دخيلة في العربية من اثل ارمي . وقد اخترنا تلك الالفاظ لوضوح عروبتها ، ولطرافة الحديث منها وردها الى اثلها العربي .

وسنمضي الآن في تناول الالفاظ التي نظن انها اثيلة في العربية ، بايجاز ، حسب تسلسلها في كتاب « غرائب اللغة العربية » للاب رفائيل نخلة اليسوعي ، على اختلاف اهميتها ، معترفين بانه لفقدان المراجع الضرورية لدينا عمل يغلب عليه طابع الاستعجال ، أو الارتجال . وسنغفل طبعا الالفاظ التي عالجناها في المقال السابق .

الآب :

هو الاقنوم الاول في الثالوث المسيحي ، ومعناه (الآب) . لكن هذه الصيغة خاصة بذات الله ولا تستعمل للبشر . ولا يستبعد ان تكون هذه الصيغة منحدرة من الارمية (آبو abo) لكن اثلها العربي هو (الاب) ورسها قول الطفل (بابابا) ، قلبت فصارت (اب) كما قلبت (ماما) فصارت (أم) . ولو قلت بسرعة (اب اب اب ...) مرارا لشعرت بزوال الهمزة بالتدريج ووجدت نفسك تقول (بابابا ...) .

الأتون :

ينطق بضم التاء مشددة او مخففة ، وهو موقد نار الحمام ، يقال انها من الارمية (اتونو (atouno) التي جذرها (تن tan) دخن . واذا كان هذا الاثل ينقصه الحرف الاول في الارمية فاننا نجده كاملا في العربية بحروفه الثلاثة في صيغة (عثن) . فان عثنت النار : دخنت ، والعثن — زنة الوثن — هو الدخان . ونذكر بالمناسبة ان الاله الشمس كان من اسمائه باللغة الفرعونية (آتون Aton) يقابله بالشومرية (اوتو Utu) فالظاهر أن التسمية اقدم من تاريخ ظهور الارميين في المنطقة ، اي قبل تاريخ نزوحهم من العربة وانسلاخهم من بني جلدتهم واستقلال لغتهم .

اسا الجرح :

داواه . ار (1) : (اسي (aci : شفي .

اصل معنى الكلمة في العربية من قولهم آسيته بنفسي مؤاساة اي ساويته ، وقولهم آساه في ماله : قاسمه فيه . وتوسع معنى المواساة فصار يشمل اعانة المنكوب وتعزيته ثم عيادة المريض ، ثم مداواة الجرح ، واخيرا ظهر في الارمية بمعنى الشفاء .

---

(1) سنقول « ار » بدلا من القول ان الكلمة في الارمية كذا ..

وفعل (واسى مواساة) أثلـه (ساوى مساواة)، وكنا قد رسسناه من محاكاة صوت انكسار غصن دون انفصال طرفيه احدهما عن الآخر ، هكذا : طـو — طوى — زوى — وزى ، وازى — واسى — آسى — اســا .

الاطلـــس :

نسيج من حرير رفيع . وقد وردت في الارمية بنفس اللفظ .

والكلمة تطلق في العراق على نسيج اسود لماع. ويخيل لنا ان التسمية جاءت مـن لونــه ، فالدّلْب الاطلس : هو الاغبر الى سواد ، والطلس ، زنة الدرس: الطيلسان الاسود . واثل الكلمة دلس ، ومن معناها تدلس الرجل : تكتم واختفى ، واندلـس الشيء : اختفى ، والدلس (زنة البلـد) والدلسـة (زنة الشرفة) : الظلمة . ومن اخواتها ادلج : سار الليل كله ، والدلج (زنة البلد ايضا) : الساعة من آخـر الليل . والظاهر أن دلس من دمس الظلام او الليل : اشتد سواده ، وهذه من طمس النجم او البصر : ذهب ضوؤه ، وطمس الشيء : اندرس وانمحى ، وكذلك طلس البصر : ذهب ضوؤه ، وتطلس الكتاب: انمحى . ومن نفس الاسرة اللغوية درس واندرس..

وقد كان الاطلس يطلق في العربية اول الامر على النسيج الاسود ، من الحرير او غيره فيما يظهر، ثم تخصص بالحرير . وربمــا سمـي جبل الاطلـس بهذا الاسم لغبرته وسواده ، او ربما اطلق اولا على جزء منه او على ارض ما ، ثم انتقل الاسم الى الجبل بل الجبال المسماة بهذا الاسم ، وهو معـروف لدى الاغريق ، وتقول اسطورة لهم ان اطلس كـان ملكـا جبارا يحمل السماء على عاتقه فلما قتله هرقل هوى على الارض فصار جسده جبل اطلس (Atlas) ومن هنا جاءت تسمية المحيط الاطلسي . وهذا الاسم قديم جدا كان قدامى المصريين يطلقونه حسب رواية افلاطون على قارة اطلنطا ـ أو أطلنطيد ـ المفقودة ، الغائصة في البحـر .

الاكليـــل :

هو التـاج . أر : (كليلـو (kililo) . اما فـي العربيـة فمعنـاه بالاضافـة الى التـاج : شبه عصابة تزين بالجوهر ، وما احاط بالظفر من اللحم . وفعل كلل السحاب السماء : احاط بها من كل جانب ، وتكلل بالشيء : احاط به ، والكلة ــ زنة العلة : الغشاء الرقيق كالخيمة على السرير للوقاية من البعوض ، والصوفة الحمراء في راس الهـودج . فواضح ان مادة الكلمة تعنـي الاحاطـة بالشيء او الارتفاع عليه ، وهذا ما يعنيه الاكليل يعلو الـراس ويحيط به . ووزنه الافعيل ليس بدعا في العربية فهو من باب الاغريج (الثوب الاصفر) والاحليل (مجرى اللبن من الثدي) . وعلى هذا ليس مستبعدا ان يكون الاكليل عربيا اثله وصيغته . واذا افترضنا ان الصيغة بهذا المعنى ارمية فتكون مصوغة من مادة (كلل) العربية التي نظن اثلها ظلل ومنها جلل .

آمــــين :

يقول الاب نخلة في شرح معنى هذا الفصـــل « صدق حقيقة اوحاها الله تعالـى » ، وانها مـن الارميـة (هيمن hayman) .

لكن الايمان لا يقتصر في العربية على معنـاه الديني بل ان (آمن به) تعني صدقه ووثـق بـه ، و (آمـن لـه) : خضـع وانقـاد ، و (آمنـه) : امنـه ــ بتشديـد الميــم ــ أي اعطـاه الامان . واما (هيمن) ــ بالهاء ــ فقـد وردت فـي العربية ايضا بمعنى الايمان .

واثل (ءامن) هو (امن) أي اطمـان . والامـن جاء من (اليمن) ــ بضم الياء ــ لان العـرب كانـوا يتفاءلون باليمين ويتشاءمون بالشمال ، ومـن هنـا اشتق قدامى الحجازيين (الشؤم) من اسم بلاد (الشآم) التي تقع على شمالهم و (اليمن) من اسم بلاد (اليمن) التي تقع على يمينهم . ومن معنى اليمن والامن نشأ معنى الايمان أي الوثوق وعدم الخوف ، الذي تطور الى معنى التصديق . ان مشتقات الكلمة في العربية بصيغتيها (آمن) و (هيمن) اكثر منها في الارمية ، كما اننا نعرف ترسيسها في العربية ، وقد تطرقنا اليها في تأثيل التيمـن (انظـر العـدد السابق من « اللسان العربي ») .

امهـــات :

جمع ام . ار : (امهوتو (emhouto) .

بالدارجة العراقية يجمعون الاب ايضـا علـى (ابهات) ، وهي موجودة في دارجات عربية اخرى، ونعتقد انها صيغة عربية عريقة منقرضة في الفصحى، ولابد ان المعجميين العرب قد وجدوها في الدارجات وربما في لغات بعض القبائل ايضـا فاهملوهـا . يدلنا على هذا ان المغاربة يسمـون الاب (ابـا) او (ابـه) ـ بتشديد الباء في كلتيهما . فاذا وجد جمع الام في الارمية بصيغة (امهوتو) فليس ذلك بكاف لاقناعنا بان العربية قد اقتبست منها صيغة الامهات، وانما الارجح حسب القرائن انها عربية وان شبهه الارمية بها منشؤه ان اللغة العربية هي اثل الارمية.

الانبـوب :

ما بين عقدتين من القصب وما اشبهه من كـل اجوف مستدير . ار : (ابوبو (aboubo) لقصبة او انبوب اجوف يسيل فيه الماء أو غيره .

الذي يبدو لنا ان الانبوب المشتق من فعـل (نب نبيبا) اصل معناه الماء وما يتصل به من الاشياء بدليل قولهم (تنبب الماء) بمعنى تسيل ـ بالتشديد. وائل فعل نب هو (اب) ـ بالتشديد ايضا ـ واصل معناه الماء ايضا فان (الاباب) يعني الماء والسراب . ويؤيد ذلك ان الصيغة الارمية بلا نون اي (ابوبو) . ولعل العرب ايضا نطقوا الانبوب بدون نون اول الامر اي (الابواب) بتخفيف الباء الاولى ثم بتشديدها ثم لكوا الادغام بادخال النون . وما دمنا لا نستطيع ان نجزم كيف تكونت صيغة الانبوب فاننا لا نستطيـع كذلك الجزم بنسبتها الا الى اية من اللغتين . لكـن المادة عربية على كل حال .

الانبـوشـة :

يقول انها الشجرة المقلوعة باصلهـا وانها مـن الارمية (نبش (nbach) : حفـر .

ان النبش يعني الحفر في العربية ايضا ، بل انواعا من الحفر : من نبش المستور ونبـش الكنـز ونبش القبر .

والنبش للعيال : التكسب . والنبش ـ زنـة الفكر ـ نوع من الشجر . والانبوشة : كل ما ينبش. فالكلمة تعني في العربية الحفـر عموما كما تعنـي اشياء اخرى خاصة ، وليس هناك ما يـدل علـى اقتباس الانبوشة من (نبش) الارمية .

ولعل نبش من الاسرة العربية الشهيرة : نب ، با ، نبت ، نبث ، نبح .. نبص ، نبض .. نبع .. الى آخر السلسلة ، وهي اسرة عرفها اللغويون العرب قديما واتخذوها مثالا لتعاقب المعاني مع تعاقب الالفاظ وقد اكثر المحدثون ايضـا مـن ترديدهـا والاستشهاد بها .

ايلــول :

الشهـر التاسع بالتقـويم الميـلادي . ار : (ايلــول (ayloul) .

الكلمة بابلية ، ولعلها مشتقـة من الايلولـة اي الرجوع . ويجوز ان تكون الارميـة قد توسطت في نقلها الى العربية .

الايــل (زنـة السيـد)

حيوان من نوع الظباء . ار : (ايلو (aylo)

لعل سبب التسمية من الايلولة ايضا ، اي من فعل (آل يؤول) ، فان صح ذلك يكون عربيا لان ائله يكون عندئذ آب يؤوب ، وقد رسمنا الكلمـة من محاكاة صوت الهواء (في كتابنا «مغامرات لغوية») ، ولعلها كانت في لغة الارميين منذ مبارحتهم العربة .

البـابـوس

الطفل . الصبي الصغيـر . ار : (بوبوسـو (bobouço) .

نظن انها البؤبؤ : انسان العين ، ورسمه هو : بابا ، التي سبق ذكرها، اطلقت اولا على انسان العين، ولصغره اطلق بعد ذلك على الطفل . وفي الموصل ينطقونها بيبي ، بمعنى انسان العين بلغة الكبـار ، والطفل الرضيع بلغة الاطفال . ومنها في اللاتينية pupilus يتيم ، وتصغيرهـا pupus صبي . وهي بالانكليزية pupil بمعنى التلميذ

وانسان العين .. اما بمعنى الرضيع فهي بالانجليزية baby وبالفرنسية bébé . لهذا لا نرى ما يمنع ان تكون كلمة عربية ولها فى العربية هذه الوشائج.

بارك الله :

سبحه . ار : (برخ (barekh) .

الذى نظنه باختصار أن البركة أصل معناها من بروك الابل ، اي الابل القادمة بما تحمل من احباب وضيوف او سلع وخيرات . وقد تعددت استعمالات البركة فى العربية على الحقيقة والمجاز . ونطقتها الارميون بالخاء بدل الكاف ، ولا يستبعد أن يكون معنى تسبيح الله خاصة من استعمال الارميين اقتبسه العرب فاضافوه الى استعمالات الكلمة الاخرى عندهم .

الباكورة :

اول الثمر . ار : (باكورتو (bakourto) .

والمقصود اول ما ينضج من الثمر فى بكور موسمه ، كما ان الكلمة تعني اول كل شيء . ومادة الكلمة عربية . ولعل اصل المعنى من بكرة البشر وتسابق المستقين عليها من بكور الصباح لذلك صار قولك «بكرت الى الشيء» يعني عجلت اليه ، والبكرة ـ زنة العقدة ـ يعني الغدوة اي الذهاب صباحا . ومن معنى العجلة والاسراع فى صيغ البكر والتبكير والابكار اطلقت الباكورة على الفاكهة التى تسرع بالنضج فى اول موسمها . والظاهر انهم اعتبروا هذه الصيغة ارمية لانها من الشؤون الزراعية التى ظنوا الارميين اسبق اليها من جميع العرب . اما نحن فنكتفي بالقول انها من الصيغ المشتركة التى ان لم تكن صيغتها عربية فان مادتها الاثلية عربية .

البالوعة :

يقول انها من (بولوعوتو (bolou'to) . وهي فى العربية بالوعة ، وبلاعة ، زنة سيارة ، وبلوعة زنة زنوبة . وبذلك سميت لانها تبلع الماء المنساق اليها من صحن الدار . والبلع كلمة عربية ولها مشتقات ، ونحسب اثلها : لعب الصبي : سال لعابه من فمه . ولما كان المرء يبلع لعابه فقد انتقل المعنى بعد قلب الكلمة من اللعاب واللعب الى (البلع) . ومنها فى الفرنسية avaler البلع . اما صيغة البالوعة فمشتركة ليس لدينا ما يقطع بانتسابها الى احدى اللغتين ، لكن وجود صيغتين اخريين لها (البلاعة والبلوعة) فى العربية قد يرجح اثلها العربي .

البرخ :

زيادة نماء ، نماء . ار: (بورختو (bourkhto) . الكلمة من البركة ايضا ، كالذى قلناه آنفا .

البراني :

الخارجي . ار : (بـرويو (baroyo) وهذه من (برونويت (baronoyit) فى خارج كذا .

ان الكلمة فى نظرنا عربية . وقديما قال العرب (برا وجوا) بمعنى داخلا وخارجا . وما زالت كلمة (برا) وقد تنطق (بره) تعني خارجا فى معظم الدارجات العربية ان لم نقل كلها . وقد جاء فى الحديث « من اصلح جوانيه اصلح الله برانيه » . والبراني بالمغربية : الغريب عن البلد ، الاجنبي .

واثل الكلمة (برا) بمعنى خلق ، ومن ذلك البريئة ثم البرية : الخليقة . ثم صارت تطلق على البر المعشب المزدهر باعتباره خليقة ، وفى الموصل يطلقون (البرية) على البر خارج المدينة فى ابان ازدهاره حين يذهبون اليه للنزهة . ومن ذلك اشتقت صيغ الباريء : الخالق ، والبريء ، والبراءة .. فالمادة مشتركة والاثل عربي ولا نجد ما يبرر القول بأن صيغة (البراني) مقتبسة من الارمية.

البرية :

بتشديد الراء والياء : الصحراء . يقول انها من (برو (baro) الارمية . ان البر ضد البحر نشأ من صيغة البرية التى تحدثنا عنها توا فى (البراني) .

البريمة :

المثقب . ار : (بورومو (bouromo) .

قد تكون الصيغة ارمية بهذا المعنى لكن مادة

الكلمة عربية من (برم الحبل) لان هذا النوع من المثقب يشبه الحبل البروم شكلا ويثقب به ببرمه .

البـــزر :

يقول انه من ار : (بزرو) : البازر ، اي ناثـر البزر .

ويخيل الينا ان اثل الكلمة عربي وهو (برز) لان البزر يبرز من النبات عند نضجه ولاسيما بعد جفافه، ثم قلبت الكلمة فصارت بزر ثم بذر . وكون الكلمة زراعية لا يبرر نسبتها الى الارمية ولاسيما ان في العربيـة الفاظا زراعية كثيرة خالصة النسبة لم تقتبس من الارمية او غيرها مما يدل على انها ليست عالة في الشؤون الزراعية على اللغات الاخرى

بسيـــط :

غير مركب . سهل . ار : (فشيطو fchito) .

والمقصود ان هذه الصيغة فقط مقتبسة مـن الارمية، اما صيغها الاخرى : بسط ، بساطة ، مبسوط ، منبسط .. فلا يقولون عنها شيئا . لكن صيغة الفعيل كثيرة الاستعمال في العربيـة فليس مستبعدا ان يصوغ العـرب البسيـط من فعـل (بسط) كما صاغوا الفسيح من فسح والاريض من ارض والبعيد من بعد .. الخ ، وليس ثمة مـا يدعو الى اقتباسها من (فشيطو) . ولعل البسيط اطلق اولا على الارض المنبسطة السهلة ثم استعمل مجازا في معنى السهل غير المعقد او العويص . اما بالمعنى الفلسفي اي ضد المركب فلا يبعد انه استعمل في الارمية اولا لانها سبقت العربية في الترجمة عـن الاغريقية ، لكن صيغة البسيـط نفسهـا بمعناهـا اللغوي العام قديمة اثيلة في العربية .

البشنقـــة :

خرقة تشد المراة طرفيها تحت ذقنها لوقاية الخمار من الاوساخ . ار : (فشموكو fachmogo) .

والذي نراه ان اثل الكلمة هـو (البخنـق) — — زنة القنفذ — بنفس المعنى ، واثله فيمـا نظـن (الخنـــق) — زنة اللعب — من معنى الخنق لان البخنق يشد طرفاه تحت الذقن كما في حالة الخنق بالحبل . فعلى افتراض ان البشنقة صيغة ارمية فهي مشتقة من المادة العربية . لكن ابدال النون ميما في الارمية يرجع ان صيغته البشنقة العربية اثل .

البـــط :

الطائر المائي المعروف . ار : (بطو bato) .

كنا في بحث سابق قد قلنا ان فعل (بـط) نشأ من محاكاة صوت انبعاج ضفدع يطؤه الانسان . والاغلب ان اسم (البطة) اطلق اولا على الضفدع ثـم انتقل الى هذا الطائر المائي لانه يعوم في الماء كالضفدع. لهذا نرى ان العربية هي الاثل .

البـعـــر :

نجو ذوات الخف والظلف . ار :

(بعـــورو : b'ouro) : نجو ذوات الاربع .

ان ترسيس الكلمة في العربية يطـول حديثـه لكنا نكتفي بالقول اننا نرى ان اثل البعر هو الربع — زنة الطبع — وهو الدار ، او ما حولها ، او المحلـة والمنزلة ، اي الموضع يرتبعـون فيه ، ثـم انتقـل المعنى الى الجماعة من الناس . وقد قلبوا الكلمـة فصارت البعر . وكانوا اذا راوا بعـرا في الباديـة يقولون انه الربع او البعر بمعنى ان الموضع كان ربما يحل فيه ناس ، ثم تخصصت صيغة البعر بالرجيع الذي تخلفه ماشيتهم فان صح تأثيلنا للكلمة فهي عربية اقتبستها الارمية .

البعيـــر :

الجمل البازل اي الذي طلع نابه. ار : (بعيرو b'iro) دابة تحمل احمالا او تجر مركبة .

نعتقد ان اسم البعير مشتق من بعره .

البـيـــب :

مجرى الماء الى الحوض . ار : (بيبو bibo) قنـــاة .

ويبدو لنا ان اثل الكلمة هو الانبوب الذي تقدم تأثيله من فعل نب نبيبا . ومجرى الماء الى الحوض

ولاسيما اذا كان مغطى واضح الشبه بالانبوب . ومما قد يؤيد كون البيب اثله الانبوب هو ان الانبوب فى الانجليزية والفرنسية : pipe . وعلى هذا يكون استعمال (البيبة) بالدارجة المصرية بمعنى (الغليون) له اثل من العربية . ويخيل لنا ان البيب هذا هو اثل الباب فى العربية لانه يفتح ويسد ويفضي الى داخل الدار كما يفتح البيب ـ مجرى الماء ـ ويسد ويؤدي الى داخل الحوض . ومما يؤيد ذلك ان بعض اللهجات اللبنانية ما زالت تنطق الباب (بيب) وتجمعه على بيبان .

مما تقدم يبدو ان كلمة (البيب) عربية . ولا يقال ان الارميين سبقوا الى الحضارة فان الكلمة تعني عندهم القناة بوجه عام ، اما عند العرب فتعني مجرى الماء الى الحوض ، وكل الاعراب يعرفون الاحواض التى يجمعون فيها الماء لسقي ابلهم .

تبر الشيء :

كسره . ار : (تبر tabar)

نظن اثلها بتر بترا ، ومن اخواتها فى العربية بتك وبتل ، واثلها بت ، وكلها تعني القطع . ومن فعل التبر نجد فى الفارسية (تبر tɛbar) بمعنى الفأس وعربيتها الطبر .

التبر (زنة الفكر) :

زجاج مكسر . ار : (تبرو tebro) كسرة .

ان القول فيها كالقول فى الكلمة السالفة ، اي من معنى الكسر الذى تطور من معنى القطع .

تشرين :

تشرين الاول والثاني هما الشهران العاشر والحادي عشر بالتقويم الميلادي . ار : (تشرين techrin) .

اثل الكلمة بابلي (تشري). ولا نعرف المادة اللغوية التى صيغت منها والمعنى الاصلي المراد بها . وشانها شان بقية اسماء الاشهر العربية المتحدرة من البابلية ، يجوز ان تكون الارمية واسطة انتقالها الى العربية .

تموز :

الشهر السابع بالتقويم الميلادي . ار : (تموز tamouz) .

والاسم بابلي ايضا ، لكنه يرجع الى اثل شومري (دموزي dumuzi) وهو اسم الاه الخضرة الذى يختفي فى العالم الاسفل فى نهاية الصيف مدة ستة اشهر ، ثم يظهر ستة اشهر من اول الربيع اي من اول السنة الرافدانية القديمة . ويبدو ان اثل الكلمة (دموس) ـ زنة عروس ـ والفعل دمس يدمس دمسا ودموسا . ودمس الليل : اشتد سواده ، ودمست الشي : غطيته ودفنته واخفيته : فلعلهم سموا هذا الالاه الذى يختفي فى العالم الاسفل نصف السنة (دموسا) من هذا المعنى . اما صيغة (تموز) فبابلية محرفة من (دموزي) ، ويقال فى انتقالها الى العربية ما قلنا فى اسماء الاشهر البابلية الاخرى .

التنور :

ار : (تنورو tanouro) من (بيت نورو beyt nouro) مكان النار .

هذا التخريج لا يبدو لنا حاسما ، فيمكن مقابله القول ايضا بان الكلمة من العربية (بيت النار) . ان بعض المعاجم العربية تدرج التنور فى مادة (تنر) لكننا نعتقد انها من مادة (النور) اي النار . وقد وردت فى العربية صيغ افعال أنار ، وتنور ، وانتور . والظاهر ان التنور قد صيغ من احداها .

ثب (بكسر الاول) :

اجلس ، اي فعل الامر من جلس . ار : (ثب qeɟ) .

ان (ثب) فى العربية فعل امر من وثب . وكانت تعني عند اهل اليمن اجلس . وربما كانت تقال اول الامر للراقد لينهض فيجلس ثم صارت تقال للواقف ليجلس . وقد جاء فى اخبارهم ان ملك اليمن قال (ثب) لحجازي كان وفد عليه فى قصره المشرف على الوادي ، يقصد : اجلس ، فظن الحجازي انه يامره بان يثب فى هوة الوادي فامتنع ، فكرر عليه الملك : ثب ، فالقى نفسه من شرفة القصر فمات ، فتعجب الملك ثم اخبروه بمعنى الكلمة عند

الحجازيين . فالكلمة مشتركة اذن بين الارمية وبعض قبائل العرب . وهذا يذكرنا بان بعض العرب البائدة الذين تبعثروا على اثر انكسار سد مأرب قد هاجروا الى ديار الشام واقاموا فيها واندثروا اي اندمجوا باهلها ، ولعلهم الذين نقلوا هذه الصيغة الى الارمية.

تـــــب :

فعل ماض من وزن شبث : جلس متمكنا . ار : (يتـــب yiteb)

يلوح انها نفس الكلمة السابقة ظهرت لها في الارمية صيغتان متقاربتان بمعنيين متقاربين .

الـثـبـــــور :

الهلاك . ار : (تبورو tboro) خراب ، من (تبـــر tbar) كســـر .

الثبور نؤلها في العربية ايضا من (تبر) التي قلنا آنفا ان الهاء يتـــر ، فهي مشتركة بين العربية والارمية ، والمادة عربية .

الـثـريـــا :

مجموعة من النجوم . ار : (توراياtouraya) .

ان اسم الثور قد تشعبت منه اسماء كثيرة في التاريخ القديم ، وكان مقدسا عند بعض الشعوب على صور مختلفة . ونحسب ان اثل اسم الثريا هو (الثويرة) تصغير الثورة اي البقرة . وعلى هذا يبدو ان الارمية هي التي اقتبست منها اسم (تورايـا) . اما الحديث عن اشتقاقات اســم الثــور في اللغـات السامية وغير السامية فطويل وله مقام آخر .

ثـعـالـــة :

انثى الثعلب . ار : (تعلتو t'alto) .

ان تحوير الاسماء في العربية كثير ، واسماء الحيوانات التي تتعدد صيغها غير نادرة . وقــد قال العرب (مثعلة) للارض التي تكثر فيها الثعالب كمثل قولهم مأسدة ومذابة . وجمـــع الثعلب ثعـال مثـل ثعالب . فاسقاط الباء من الثعلب لا يقتصر على (ثعالـة) التي توجد صيغـة مشابهـة لها فـي الارمية .

الـثـالـــوث :

ار : (تليتويوتـو tlitoyoto) .

الصيغة دينية نصرانية لهذا يصح القول دون تردد انها مقتبسة من الارمية . لكن مادة الكلمة هي (الثلاثة) العربية

الثنيـــــــان (زنة البنيان) :

من كان دون السيد في المرتبة . ار : (تنيونو tenyono) . الثـــانـي .

لا نرى ما يرجح كونها ارمية لا عربية ســوى حجة الحضارة التي كنا رددنا عليها . ولعل بعـض الاصطناع العربية كاليمن اقدم حضارة من الارميين . يضـاف الى ذلك ان للكلمة مرادفا في العربيـــة هـو (الثني) ـــ زنة الفكر ـــ وكلتاهما من مادة (ثنى ثنيا) العربيــــة .

(الجبـــــر) :

الجبـــار : المتسلط ، المتكبر ، العاتي . ار : (كبـــرو gabro) قديـــر

الجبـــر : الرجل ار : (كبـــرو gabro)

الجبـــروت : القدرة العظيمة . ار : (كبروتو gabrouto)

الجبـــورة : (بتشديد الباء) : الكبرياء ،مـــن اثل الجبروت .

تجبـــر : تكبر . ار : (اتكبـــر etgabar) .

هذه خمسة الفاظ محسوبة على العربية مـــن الدخيل وهي كلمة واحدة من مادة جبر . وفي العربية اشتقاقات اخرى للكلمة لم يعدوها من الدخيل لانهم لم يجدوا لها مقابلا في الارمية . فكان وجود مقابـــل للصيغة العربية في الارمية يكفي لاعتبارها دخيلة في العربية أيلة في الارمية .

ان مادة (جبر) اثلها (جب) اي قطع ، وقـــد نشأت منها الفاظ : جبا ، جبت ، جبذ ، جبر ، جبس

جبل ، جبن ، جبه ، جبا (جبو) ، جبي . وقد تغيرت معانيها ، لكن معنى القطع لا يزال صريحا في بعضها مثل جبزه : قطعه ، وجبّنه (بتشديد الباء) : قطعة قطعا شتى . ويظهر انهم اطلقوا الجبر على كسر العظم اولا ثم صار يعني اصلاح الكسر من باب التضاد . ثم قالوا جبره على الامر واجبره بمعنى الزمه به واكرهه عليه . ثم صار الجبار يعني العاتي من معنى اجباره الآخرين على طاعته ، ثم صار يعني المتكبر ايضا . ومن معنى الكبرياء والعتو نشأت الصيغ الاخرى .

الجبــــن :

طعـام . ار : (كبنـو goubno) .

نعتقد ان الجبن ايضا مـن القطـع بمعنييـه : الطعام والتهيب .

وما زالوا في العراق مثلا يقولون ان الحليب او اللبن قطع بمعنى انفرز ماؤه منه . وهكـذا يتكـون الجبن اي بانفصال مصل الحليب وتجمد مادتـه . ويلاحظ ان جمد وتجمد من اثل جد اي من معنى القطع ايضا مثلما كان جبن وتجبن من اثل جب . واما معنى الخوف فكثيرا ما قال العرب ان الرجل جوبه بكذا فانقطع ، اي لم يعد يقـوى على المقاومة قـولا او فعلا . فحين قالوا جبن فلان قصدوا انه انقطـع اول الامر ثم صار المعنى يدل على الخوف .

فالذي يبدو أن الارمية هي المقتبسـة لكلمـة الجبن ، ولعل الاصح ان الكلمة اثيلة فـي الارميـة المنسلخة من العربية .

جبـا الخـراج :

جمعه . ار : (كبـو gbo) .

يخيل لنا ان اصل معنى قولهم جبا الخراج هو اقتطعه ، مثلما يقال « جبز له من مالـه جبـزة » بمعنى قطع له قطعة . وقد تطور معنى القطع فصار قولهم « جبى الماء في الحوض » يعني جمعه . والظاهر ان المقصود من القول ان الكلمة ارمية هو استعمالها لجمع الخراج خاصة ، وليس ذلك بمستبعد . وعلى هذا تكون المادة عربية والاستعمال ارميا .

اجتـبـى :

اختار . ار : (كبـو gbo) .

اي ان اللفظة الارمية هي نفسهـا التـي تعنـي (الجباية) ، وحكم هذه حكم تلك . وقول العرب : « اجتبى الشيء » كقولهم « اجتب الشيء لنفسـه » اي اقتطعه واستأثر به .

جـادف السفينـة :

دافعها بالمجداف . ار : (كدوفو gadofo) .

ان فعل جدف اثله (جد) اي قطع ايضا . ومن نظائره : جدب ، جدث ، جدر ، جدع ، جدل ، جدم ، جدا (جدو) .. وكلها كانت تعني القطع اول الامر ثم تطورت معانيها مع الزمن ، وما زال الجدم يعني القطع ، والجدوى تعني العطية اي الهبة المقتطعة من مال المعطي . واصل معاني الجدف هو القطع ايضا .

والرجل المجدوف اليد : المقطوعها ، ومجـازا القصيرها .

وجدف الطائر : طار وهو مقصوص الجناحين ، تشبيها بالرجل المجدوف اليدين .. ومجازا : جدف الظبي : قصر خطوه ، تشبيها بالطائـر الجـادف . ويبدو انهم انما قالوا جدف (بتشديد الدال) بمعنى ساق الزورق بالمجدافين تشبيها لهمـا بالجناحيـن المقصوصين . صفوة القول أن مادة الكلمة تحمل من المعاني ما يكفي لاستنباط التجديف والمجداف منها . ولا يقال ان الارميين اسبق من العرب الى الملاحة فان العرب كانوا ملاحين منذ كانـوا ، لاحاطـة البحـر بجزيرتهم . وبالرغم من كل ما اصاب الحضارة العربية من تخلف في العصور الاخيرة ظلت ملاحتهم مزدهرة في الخليج العربي والساحل الجنوبي الى الهند شرقا وافريقيا غربا .

جــــدف :

الفعل الماضي من التجديف . ار : (كـــدف gdaf) .

تحدثنا عنها في (جادف السفينة) .

جـلاف السفينـة :

يقول انها من (جادف) . وقد ابدينا فيــها رأينــا .

الـجــاروشـــة :

« رحى اليد التي يجـرش بها اي يطحـن بدون تنعيـــم » . ار : (كوروشتـــو gorouchto) .

اثل جرش هو (جش) بنفس المعنى اي الطحن دون تنعيم . ومن اخوات جش نذكر : جت ، جث ، جد ، جز ...

وتظهـر جـرش فى الانجليزيـة بنفس اللفـظ (crush) ونفس المعنى . ومن اخوات جـرش فى العربية جرن الحب : طحنه . وتظهر هذه فـي الفرنسية بصيغـة granuler . ومن ثمل جـرش صاغ العرب اسم الجاروشة لآلة الجرش ويقال لها الجاروش ايضا على غرار صياغتهم اسم الطاحونـة والطاحون لآلة الطحن .

الجــرام (زنة الغراب) :

النواة ، التمر اليابس . ار : (كرمو garmo) .

ولا ندري لماذا يقال انها من الارمية . قال العرب جرم بمعنى قطع ، ثم قالوا « جرم الناقة » بمعنـــى جز وبرها . وتدرجت الكلمة فى تطور المعنى مرحلة اخرى فقالوا « جرمت النخل » بمعنى قطعت ثمره. ومـن هنـا ظهـرت صيغـة الجـرامـــة ــ زنـة القلامة ــ فقالوا « جرامة النخل » اي ما سقط من ثمره عندما يجرمونه. ولما كان التمر اليابس والحشف اكثر ما يسقط من التمر حتى من تلقاء ذاته دون ان يجرمه جارم او تهزه ريح ، فلا جرم ان انتقل المعنى الى التمر اليابس فسموه الجـرام بضـم الجيـم ، والجرام بفتحه ، والجريم زنة الكريـم . ثم انتقـل المعنى الى النواة .

الجــرن (زنـة الشكـر) :

حجر منقور للمـاء او غيــره . ار : (كورنـو gourno) غرفة حمام كلها من حجــارة .

قلنا ان ثمل جرن الحب يعني طحنه ، واثـل الجرن هو الجرش الذى اصل معناه القطع . ولعلهم من معنى القطع صاغوا اسم الجرن وهو الحجر الذى يقطع على شكل وعاء للماء او غيره كما تقدم . اما فى الارمية فقد تطور المعنى فصار يعني غرفة حمام كلها من حجارة .

الجاســـوس :

ار : (كوشوشو gochoucho) .

ان مادة جس خرجت منها فى العربية صيـغ كثيرة . وذكر صيغة الجاسوس فقط مع الدخيـل يعني انها عندهم وحدها المقتبســة مـــن الارميــة . وبدون توسع فى دراسة مادة الجس تكتفي بالقول ان الجاسوس له فى العربية صيغتــان اخريــان همـا الجسيـس والجســاس ، ولم يقولوا انهما ايضا من الارمية لانهما لا وجود لهما فيها . ولو كانا موجودين فيها لقيل انهما كذلك دخيلان فى العربية . وصيغة الفاعول على كل حال ليست نادرة فى العربية فمنها الطاحون والناعور والماعون والناقوس والناقور .

الـجســـر :

المعبر على نهـر او نحـوه . ار : (كشـرو guechro) .

يخيل لنا ان اثل الجســر هو الســرج ، لان قنطرة الجسر المنصوبة على مجـرى المـاء تشبـه السرج شكلا .

الجـــل (زنـة الخـف) :

هو من الدابة كالثوب من الانسان. ار : (كــلـــو galo) .

نظن ان جلل اثلها كلل ، وقد تحدثنا عنهـا عند الكلام على الاكليل . والصيغة الارمية لا توحـي بانها الاثل . فان كانت كذلك فهي مصوغة من المادة العربية .

الجليـــد :

المـاء الجامـد . ار : (كليـدو glido) .

الجمد والجلد اثلهما جد ، وكلاهما اطلقا على انجماد الماء . والكلمة فى اللاتينية محركة الاول كما

فى العربية (gelidus) متجمد من البرد ، ثلجي . و gelida بارد كالثلج . وقد تسربت الى بعض اللغات الحديثة منها glace ثلج بالفرنسية ، و glass زجاج بالانكليزية .

الجلام (زنة الجبار) :

جزاز الصوف . ار : (كولومو goloumo) .

انها من جلم : ولها فى العربية اخوات : جلح ، جلخ ، جلف ، جله ، جلا .. وهذه كلها تبدأ بنفس الحرف أي الجيم . ولها اخوات اخريات تبدأ بالقاف: قلم، قلح، قلخ، قلف .. الخ. وجلم تعني قطع. وجلم الصوف : جزه . والجلم والجلمان بصيغة التثنية : مقص الصوف . فاشتقاق صيغة الحرفة وهي صيغة المبالغة من اسم الفاعل (الجلام) من كل هذا لا يتطلب استعانة بلغة اخرى ، بل ان اي اعرابي خليق بان يسمي الشخص الذى يحترف جلم صوف الماشية جلاما .

جم المكيال :

ملأه الى راسه : ار : (كمم gamem) .

لعل اثل الجم هو الجب ـ بضم الجيم ـ اي البئر العميقة، ومنها نشأت (الجمة) ـ بفتح الجيم: البئر الكثيرة الماء ، ثم صارت تعني مجتمع مائها . وجمت البئر : تجمع ماؤها ، وجم الماء : تركه يجتمع . ومن ثم صار فعل الجم يعني الجمع والتجمع والامتلاء، ومنه نشأت صيغة (جمع) نفسها . ومن قولهم جم المكيال اي ملأه الى راسه ، نشأت صيغة طم الاناء : ملأه وقالوا جمم المكيال مثل جممه . والجمام والجمم : ما علا راس المكيال فوق طفافه . فان كان الارميون هم الذين بدؤوا استعارة معنى الجم لملء المكيال خاصة فمادة الكلمة عربية على كل حال .

الجمرة :

بثرة عريضة فى اللحم مع التهاب شديد . ار : (كموركو gmourto) .

المقصود ان الكلمة بهذا المعنى من الارمية ، واما (جمر) الحجر او النار فلا . ان مادة الكلمة عربية من غير ريب ، فاثلها (الجرم) اي الجسم ، ومن ذلك جرم الانسان والاجرام الفلكية والحجارة ، ومنه نشأ (الرجم) اي القذف بالجمار اي الحجارة . وسمي المرض المذكور جمرة لشبهه بما يصيب الجسم اذا احرقته جمرة النار ، فان لم تكن الجمرة موجودة فى الارمية بمعنى النار فلا يمكن استعمالها فيها بمعنى هذا المرض الا مقتبسة .

الجنة :

ار : (كنتو ganto) .

اطلقها العرب على الحديقة ذات الشجر من نخيل واعناب وغير ذلك . وهي من فعل (جن) اي ستر ، لان الجنة تستر من يدخلها ، وذلك شبيه باطلاقهم اسم الغابة على اجمة القصب لانها تغيب من يدخلها. وصاروا فى العهد الاسلامي يستعملون بمعنى الجنة كلمة البستان ربما للتفريق بينها وبين جنة السماء.

المجن (بتشديد النون) :

الترس . ار : (مكينو mgueno) .

الصيغة عربية ، فهي صيغة اسم الآلة من فعل (جن) اي ستر كالذي قلنا توا ، على غرار صياغة المقص من قص والمسن من سن . ولا نرى وجها لاعتبارها دخيلة .

جنز الشيء :

اخفاه . ار : (كنز gnaz) .

فعل (كن يكن) ـ بالتشديد ـ يعني ستر مثل (جن) ومن كن نشأ فعل كنز ، ومنه ايضا نشأ فعل جن ومن هذا الاخير نشأ فعل جنز ، وكلها تعني اخفاء الشيء وستره . فالكلمة مشتركة بين اللغتين والاثل عربي .

جنز الميت (بتشديد النون) :

وضعه على سرير ، صلى الكاهن عليه ، وهي فى الارمية من اصل جنز .

يقول القاموس المحيط ان التجنيز فى قول حسن البصري : وضع الميت على السرير . وهو فيما

نظن تطوير للمعنى الاصلي الذى كان يقصد به دفن الميت ، لان مادة كن وجن وكنز وجنز تعني كلها الستر والاخفاء كما قلنا . اما صلاة الكاهن على الميت فتطوير آخر نصراني للمعنى .

الحتامة (زنة السلافة) :

ما بقي على المائدة من الطعام : إر : (حوتومو houtomo) . خاتمة ، نهاية .

اثل حتم هو حت الشيء : حكه وازاله ، ومنها نحت . فاصل معنى الحتم هو الحت والاصل الاقدم هو القطع . ومن الحتم نشأ الحطم بدليل قولهم « تحتم الزجاج بعضه على بعض » : تكسر ، اي تحطم . وقد سميت فضلات الطعام على المائدة حتامة لانها افلاذ وكسر ، ولذلك سموها الفتات ايضا . اما (حوتومو) الارمية التي تعني الخاتمة والنهاية فاثلها العربي ختم ، وهذه من خت . واصل معنى ختم هو كسر الطين الذى تسد به الجرة ، ثم انتقل المعنى الى الطين الذى تختم به الرسالة الذى صار السراة يخلطونه بالمسك فقيل « مسك الختام » ، ولما كان ختم الرسالة ياتي بعد الانتهاء من كتابتها صار الختام يعني النهاية وصار الخاتم والختم آلة طبع الاسم او السمة على مادة الختم طينا او شمعا او غيرهما . اي ان الختم كان اولا يعني كسر الطين ثم صار يعني اثبات الطين وطبعه ..

الحـــــرب :

ار: (حربو harbo) سيف ، تدمير ، حرب . من (حرب harb) : خرب ، حارب ، قتل .

من فعل نقت الدجاجة نقيقا نشأت الافعال : نقر ونقد ونقب ... ومن نقب نشأ نخب ، ومن هذا نشأ نخرب ، ثم خرب ، ومن هذا نشأ حرب . واما معنى السيف في الارمية فله في العربية صيغة خاصة قريبة من معناه وهي الحربة . وفي اللاتينية harpe تعني السيف المنحني . والظاهر ان الكلمة قديمة ومشتركة بين اللغتين كانت فيهما قبل انفصالهما .

❋ × ❋

نكتفي بهذا الآن ، ونعقب عليه بملحوظة نعيد فيها خلاصة راينا في الكلمات المشتركة بين اللغتين، فهي اما (1) ان تكون الارمية قد صاغتها لمعنى مخصوص من المادة العربية المشتركة ، واما (2) ان العربية هي التي صاغتها فاقتبستها منها الارمية فظنها اللغويون دخيلة في العربية لمجرد وجودها في الارمية بحجة كونها حضارية او زراعية او بدون حجة احيانا ، واما (3) انها قديمة كانت في لغة الارميين قبل انسلاخهم من القبيل العربي الذى ينتمون اليه .

حوار في العراق حول
اللغة كأداة للتعبير في عصر التكنولوجيا

نشرت جريدة التآخي في عددها الصادر بتاريخ 28 / 10 / 1970 مقالا بعنـوان :
« اللغة كأداة للتعبير في عصر التكنولوجيا » ، والمقال يتضمن مجموعة من الآراء في الموضوع لعدد من رجال العلم والفكر واللغة والنقد من بينهم الدكاترة السادة : عبد اللطيف البدري رئيس جامعة بغداد وداود سلمان علي وحسن فهمي جمعة ، والاساتذة السادة : كوركيس عواد ، وجبرا ابراهيم جبرا ، وجرجيس فتح الله مدير تحرير التآخي .

وفيما يلي موجز للمقال المذكور :

اذا كان المقصود من الموضوع التعبير عن الافكار العلمية في قالب كتابي مستساغ وباللغة العربية فان مرد هذا الضعف هو لغوي اكثر مما هو علمي اذ ان اكثر الاختصاصات كالطب والهندسة والتكنولوجيا تدرس بلغة اجنبية ، فاذا ما حاول احدهم صياغة رأي ما او فكرة كتابة وفي اللغة العربية يعوزه الكثير من المصطلحات وهو ما يتوفر في معاجمنا العلمية الحديثة في الوقت الحاضر وان توفر فهنالك تباين شاسع او واسع بين ما يقر في بلد عربي عن بلد آخر . وبعد كل هذا فان الكتابة هي موهبة لا يتساوى جميع الناس في التعبير فيها . اما عن حل هذه المحنة او المشكلة فانه يتطلب وقتا غير قليل لتتفق المجامع على مصطلحات موحدة تنتشر بين المتخصصين في العلوم ليمارسوا الكتابة فيها والزمن كفيل برفع مستوى التعبير نطقا وكتابة عند هؤلاء المتخصصين .

ومن جهة اخرى فاننا نرى اليوم جماعة من ذوي الاختصاص في العلوم ، كالطب والهندسة والفيزياء والكيمياء والرياضيات وما جرى مجراها يحاولون الكتابة بالعربية في موضوعات اختصاصاتهم فتتقاعس عليهم الكتابة ولا تستقيم لهم العبارة واذا كتبوا كانت لغتهم مختلفة لا تفي بما يرومون التعبير عنه . فما مرد ذلك ؟

لعل اللغة العربية ضلعا في هذا النقص بسبب افتقارها الى كثير من مصطلحات تلك العلوم . ولكن في وسعنا القول ان كل لغات العالم الراقية تعاني مثل هذه المشكلة . فهي مشكلة لا تقتصر على العربية دون غيرها ، بل هي عامة تمس سائر اللغات الشرقية والغربية على حد سواء .

وهذه اللغة الانكليزية ، وهي في طليعة اللغات التي تحتضن ضروب التأليف في مختلف العلوم . كيف حلت تلك المشكلة ؟

انها لجأت — في ما لجأت اليه — الى «استعارة» كلمات لا تدخل تحت حصر من لغات اخرى لا سيما من اليونانية واللاتينية وادخلتها في صلب المصطلحات

التي تعد اليوم انكليزية بحتة . ولم تجد اللغة الانكليزية في تلك الاستعارة ضيرا ولا منقصة . بل ان ابناء تلك اللغة عدوا الاستعارة دليلا على مرونة لغتهم وقابليتها على ان « تطعم » بما تكنه اللغات الاخرى .

فما احرانا نحن ابناء العربية ان نسلك اليوم هذا السبيل فنستعير ما لا وجود له في لغتنا ، ونلبسه صيغة عربية مقبولة فنكتسب بذلك الوفا من الالفاظ الاصطلاحية المعربة .

ولسنا نقول ان « التعريب » هو العماد الوحيد الذي يركن اليه في هذا الباب . كلا ، فان في كتب التراث العربي من الالفاظ القديمة ما يجب العود اليه، ونفض غبار النسيان عنه ، واحياؤه بالاستعمال . اننا نعثر في كتب التراث القديم ، على الفاظ اصطلاحية غاية في الكثرة ، وقد تناثرت في معجمات اللغة وفي كتب العلوم المختلفة . والا فكيف تسنى لائمة العلماء القدامى كالفرابي وابن سينا وابن الهيثم والبيروني والزهراوي والخوارزمي ومن جرى مجراهم في ميادين العلم ، نعم كيف تسنى لهم أن يضعوا تلك التصانيف النفيسة في بابها ويعبروا فيها عن الحقائق العلمية بعبارة سليمة قويمة ؟

وفي هذا ما يبعد الشبهة عن ضعف اللغة العربية مع تسليمنا بفارق الزمن وبروائع الحلل التي تتجلى اليوم في اتساع العلوم العصرية وترامي اطرافها . فلقد اخذ العلم الحديث يسير بخطى سريعة جدا لا تجارى الا بالجهد المتصل والداب المنسق .

لن يفوتنا التنويه بمزية تتحلى بها العربية ، وهي « الاشتقاق » فبينما نجد اللغات الغربية تعتمد كثيرا على « النحت » نجد العربية « لغة اشتقاقية » يتاح للباحث ان يستعين بهذه المزية العظيمة ويخرج منها بفوائد جمة تعود على لغة العلم باوفى الثمار .

وبعد هذا التحليل القيم عن دور اللغة في التعبير في عصر التكنولوجيا وشرح الاسباب الحقيقية التي تجعل كثيرا من الاختصاصيين في الميدان العلمي كالاطباء والمهندسين قاصرين عن الكتابة في ميادين اختصاصهم بلغة سليمة نجد سؤالا هاما آخر فرض نفسه في الموضوع ذاته وهو كيف استطاع الدكتور يعقوب صروف والاستاذ احمد زكي ان ينشرا عدة كتب ومقالات في موضوعات علمية عويصة في الفلك والرياضيات والجيولوجيا والنبات والكيمياء والفيزياء بلغة سليمة يستسيغها الذوق وترتضيها قواعد اللغة.

ان الجواب على ذلك يكمن في الحقائق التالية :
ان الطبيب والمهندس والعالم المختص باحد العلوم العصرية لا شك في انه قد اجتاز في اثناء دراسة مراحل دراسية : ابتدائية متوسطة ، اعدادية . لندع دراسته العالية ونقتصر على المراحل المذكورة الم يدرس في سني هذه المراحل اللغة العربية صرفا ونحوا وانشاء؟ فاين ذهبت تلك الدراسة ؟ وهي لو احتفظ بها ، تفي في ما ارى بالغاية اللغوية التي يبتغيها العالم المختص . فلماذا نراه ، بعد ذلك يكتب باسلوب يعتوره ضعف ؟ ولماذا يخطىء في قواعد الصرف والنحو ، وهي أمور سبقت له دراستها ؟

لعل من يقول ان هذا العالم المختص بعد ان تعمق في فرعه لم يعد يتسنى له الاستمرار على العناية بلغته فتركها وشانها انصرافا منه لفرعه . وقد يكون هذا صحيحا . اما أن نرجع ذلك النقص الى اللغة نفسها ونرميها بما ليست فيه ، فامر فيه كثير من التجني عليها .

وبديهي أن ذوي التخصص هم عادة اناس على قسط كبير من الذكاء والاطلاع ولعله من العبث ان يذكرهم المرء بان اداة التعبير نفسه أن يكون موفقا ومن العبث كذلك ان يذكرهم المرء بان العناية بالناحية الادبية من الفكر الانساني لا يجوز اهمالها مهما اهتم المتخصص بالقضية العلمية نفسها . وربما كان هذا بعض السبب في أن الكثير من الجامعات تصر على ان يدرس طلاب العلوم التكنولوجيا على الاقل موضوعا ادبيا واحدا كل سنة عليهم أن ينجحوا فيه بدرجة عالية . فضلا عن الناحية الانسانية التي بهذا يبقى العالم على صلة بها فانه يتمكن من تلك القوة التعبيرية ـ القوة اللفظية والاسلوبية ـ التي تجعله قادرا على صياغة افكاره العلمية في اشكال مستساغة . والذي اعرفه هو ان البعض من اقدر العلماء هو ايضا من اشد الناس فصاحة وقوة في التعبير ـ مما يجعلنا نتقول ان من كان ضئيل الحظ من الفصاحة وقوة التعبير ربما كان ايضا قليل الحظ من القدرة العلمية الحقيقية ـ ولو انه لا بد من رفض التعميم في مثل هذا المجال .

اما محنة التاليف والترجمة في العلوم عندنا فهي ذات شقين (أو اكثر) ! : اولا ، محنة المؤلف النادر الذي يعشق ما يكتب أو يترجم فيه بحيث يكون مستعدا للتضحية بوقته وجهده من اجل الكتابة والترجمة مهما تكن نتائج النشر . ثانيا ، محنة القارىء العربي الذي ما زال بعيدا عن الاقبال على الكتب

العلمية رغم دخول العصر التكنولوجي. كيف نعالج هاتين المحنتين ؟ لا بد من العودة بذلك الى الجامعة وما تيسره من فرص للتاليف وما تخلقه من حب حقيقي للعلم في نفوس الطلاب . القضية تربوية ، وحضارية معا . وتحتاج الى دراسة كثيرة الشعب لا تجدي معها اشارة سريعة في عجالة كهذه .

ولا ننكر ان الصعوبة التي يحسها المختصون في العلوم هي صعوبة حقيقية لا ينفعنا مطلقا محاولة التقليل من شانها . وقد اتضحت لي انا شخصيا ـ يقول الاستاذ جرجيس فتح الله ـ هذه الصعوبة عندما قمت بنقل كتاب ـ تراث الاسلام ـ المعروف الى العربية قبل ستة عشر عاما ، وبعدها اخذت اكتب واترجم الى العربية بعض الكتب والبحوث الخاصة بنظرية الموسيقى العربية وتراثها . لقد أدركت من الوهلة الاولى سبب وقوف ـ لجنة النشر للجامعيين ـ المصرية التي تالفت في العام 1935 لنقل الكتاب الاول الى العربية فاخفقت في منتصف الطريق ، اي عندما اصطدمت بابواب الطب والرياضيات والهندسة والقانون والتصوف الخ . . .

وزيادة في الايضاح يجدر بنا ان نشير الى ان هناك اسبابا كثيرة تجعل من حملة الشهادات العالية المتخصصين في العلوم كالاطباء والمهندسين والتكنولوجيين في وضع لا يستطيعون فيه الكتابة في اختصاصاتهم بلغة سليمة بل حتى ان البعض منهم لا يستطيع التعبير عن افكاره العلمية في قالب كتابي مستساغ .

واول هذه الاسباب هو ضعف تعليم اللغة العربية في الدراسة الابتدائية والثانوية وهي المرحلة التي يتعلم فيها الطالب قواعد اللغة واسسها وحسب علمي أن وزارة التربية تتعاون في الوقت الحاضر مع مركز البحوث التربوية التابع لجامعة بغداد لوضع كتب جديدة لتعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية .

والسبب الآخر هو أن تعليم هؤلاء في المرحلة الجامعية على الاغلب يكون بلغة اجنبية في العراق اذ لا زلنا نعتمد على المراجع العلمية الاجنبية ولعدم توفر هذه باللغة العربية اخذنا بطريقة التدريس بلغة اجنبية .

والسبب الثالث هو ان لغة البيت ولغة الشارع تختلف كثيرا عن اللغة الفصحى ولوجرت محاولة لتقريب اللغة العامية من اللغة الفصحى وعدم استعمال الكلمات العربية ونشر الفصحى عن طريق الاذاعة والتلفزة فبعد مرور وقت طال وقصر سنجد ان اللغة العامية تتقرب من الفصحى .

وهناك سبب رابع وهو عدم تشجيع التاليف باللغة العربية في المجالات العلمية ويجب ان يكون هذا من الشروط المطلوبة في الترقيات العلمية التي تتطلبها الجامعات من اعضاء الهيئة التدريسية .

العوامل الطارئة على اللغة

دراسة لقضايا اللحن والتصحيف والتوليد والتعريب ... في ضوء علم اللغة الحديث

الدكتور محمد عيد، كلية دار العلوم
جامعة القاهرة

لكتابة هذا البحث حول معنى اللحن في الكلام العربي وتطور استعماله ومقاومته ينبغي — كما هو واضح في عنوانها — تناول الامور الآتية :

1 — معرفة المقصود باللحن وبيان مظاهره مع تقديم نماذج لها .

2 — بيان تطور استعماله في الكلام العربي باختصار .

3 — حركة المقاومة العلمية التي تمثلت في جهود العلماء لتنقية اللحن .

لقد بحث كثير من الدارسين في كلمة « اللحن » وتعدد معانيها ، وتطور هذه المعاني ، ويذكر في هذا الصدد أن من معانيها « الفطنة والذكاء » استنادا الى قول الرسول (لعل احدكم أن يكون الحن بحجته من بعض) او التظرف في الحديث بخلطه بالكلام الاجنبي او الكلام المتعمد فيه الخطأ كما روى ابن دريد أنه «قيل لمعاوية : ان عبد الله بن زياد يلحن في كلامه ، فقال : اوليس بظريف ابن اخي يتكلم بالفارسية ، فظن معاوية أن الكلام بالفارسية لحن » ومن ذلك البيت المشهور للفزاري

منطق صائب وتلحن احيانا
وخير الحديث ما كان لحنا

ومن معانيها ايضا « التورية » باستخدام معنى قريب وارادة معنى بعيد ، وعلى ذلك الف ابن دريد كتابه « الملاحن » قاصدا به استخدام الكلمات وارادة معان اخرى لا تخطر لاول وهلة على الذهن عند سماع الكلمة ، وفي مجال المعنى ايضا اطلقت على الخطأ في المعاني ، وذلك باستعمال الكلمة او التركيب كله على غير وجهه الذى قرره له العلماء ، وقد الف المفضل ابن سلمه كتابه « الفاخر فيما تلحن فيه العامة » من هذا النوع من الخطأ في المعاني ، وجاء في مقدمته قوله : « هذا كتاب معاني ما يجري على السن العامة في امثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب» وهم لايدرون

معنى ما يتكلمون به من ذلك ، فبيناه من وجوهه على اختلاف العلماء في تفسيره » .

فهذه المعاني وغيرها تندرج تحت كلمة « لحن » وربما استعملت في عصور متفاوتة خاضعة في ذلك لتطور الدلالة كما هو شأن الكلمات في كل اللغات او استعملت بمعان متعددة في عصر واحد بعد ان تجمعت حول الكلمة ، والذي يعين احد هذه المعاني ظروف الدلالة للنص الذي وردت فيه .

ولا علينا من ذلك كله ، فان اللحن الذي نقصده هنا هو « خروج الكلام الفصيح من مجرى الصحة في بنية الكلام او تركيبه او اعرابه بفعل الاستعمال الذي يشيع اولا بين العامة من الناس ، ويتسرب بعد ذلك الى لغة الخاصة » واللحن بهذه الصفات امر طارىء على اللغة الفصحى ، اذ أن المفترض في نطق العرب لها اولا هو الصحة والسلامة اعتمادا على الفطرة والسليقة ، فهذا هو الاصل ، فما حاد عن هذا الاصل الفطري المتوارث فهو خطأ ، ويوصف نطقه حينئذ بأنه « لحن » وغالبا ما يضاف « اللحن » الى « العوام » او « العامة » تنبيها على الاصل الذي جاء منه الخطأ في الاستعمال.

— قال ابن دريد : فأما اللحن في العربية ، لانك اذا قلت (ضرب عبد الله زيد) لم يدر ايهما الضارب ولا المضروب ، فكأنك قد عدلته من وجهه ، فاذا اعربت عن معناك فهم (1) عنك .

— سمع أبو عمرو بن العلاء ان ابا حنيفة يبطل القود الا ما كان قتلا بحديد ، فقال له ابو عمرو: ارايت ان ضربه بكذا ، ارايت ان ضربه بكذا ، قال لو ضربه بأبو قبيس لم يكن عليه قود ، فقال ابو عمرو: هذا كلام شنع ، قال : وما الشنع ؟! قال : ولا تعرف الشنع ايضا !! (2)

— روى الزجاجي : كان سيبويه مستمليا لحماد بن سلمة ــ وكان حماد فصيحا ــ فاستملاه يوما قول رسول الله (ص) : ليس من اصحابي احد الا ولو شئت اخذت عليه ليس ابا الدرداء ، فقال سيبويه (ليس ابو الدرداء) فصاح به حماد : لحنت يا سيبويه ، ليس هذا حيث ذهبت وانما هو استثناء ، فقال سيبويه : لا جرم والله لاطلبن علما لا تلحنني معه ، فمضى ، ولزم مجلس الاخفش مع يعقوب الحضرمي والخليل وسائر النحويين (3) .

— قال ابن الجوزي : واعلم ان غلط العامة يتنوع ، فتارة يضمون المكسور ، وتارة يكسرون المضموم وتارة يمدون المقصور ، وتارة يقصرون الممدود ، وتارة يشددون المخفف ، وتارة يخففون المشدد وتارة يزيدون في الكلمة ، وتارة ينقصون منها ، وتارة يضعونها في غير موضعها ، الى غير ذلك من الاقسام (4) .

ويستنبط من النماذج السابقة الدلالة على السمات التي يوصف الكلام من أجلها « باللحن والخطأ » فابن دريد يرى الاخلال بالاعراب في مثل (ضرب عبد الله زيد) لحنا في العربية ، وهذا حق ويفسره بالعدول عن الوجه فيه من نصب (زيد) في العبارة السابقة ، وهذا حق ايضا لكنه يتوسع في فهم العدول عن الوجه في الكلام بما يشمل الدلالة ايضا « لم يدر ايهما الضارب ولا المضروب فاذا اعربته فهم عنك » وهذه وجهة لفهم اللحن في المعنى، ويصادفها المرء كثيرا في الكتب التي تناولته بالدراسة، وان لم تصل الى الفهم الشائع عنه من الخطأ في الاعراب .

وابو عمرو بن العلاء يصف نطق ابي حنيفة (ضربه بأبو قبيس) بأنه « كلام شنع » مستخدما صيغة المبالغة في وصف الخطأ الاعرابي في الكلام الذي هو «اللحن» وهو ما ذكره صراحة حماد ابن سلمة لسيبويه حين اخطأ في مثل ما اخطأ فيه ابو حنيفة من قوله (ليس ابو الدرداء) ، اذ صاح به حماد (لحنت يا سيبويه) فمن ذلك يتضح ان اللحن يطلق على الخطأ في الاعراب اذا حدث في اللغة الفصحى ، فاستعمل فيها تأثرا بما شاع بين العوام وفي الكلام الدارج ، كما انه يشمل ايضا ما عدده ابن الجوزي من ضم المكسور وكسر المضموم الخ.. وهذا في معظمه يتعلق ببنية الكلمات، وقد سماه « غلط العامة » ايضا .

(1) اللاحن ص 6 .
(2) مجالس العلماء ص 110 .
(3) السابق ص 154 .
(4) تقويم اللسان ورقة 2/ .

ومما ذكره ابن الجوزي قوله « وتارة يضعون الكلمات في غير مواضعها » وأفهم من ذلك ما يشمل تاليف الكلام العربي ورصف الكلمات في التراكيب اللغوية ، وما يشمل معاني الكلمات في استخدامها على غير ما قرره لها علماء اللغة ، وهذا الاخير جانب اطلق العلماء عليه ايضا انه « لحن وخطأ » وان لم يكن من الكثرة والشهرة ما للاخلال بالاعراب او بنية الكلمات .

فقد اندرج تحت ما اطلق عليه « اللحن » أمور ثلاث ، اقلها شهرة واهتماما الخطأ في المعنى باستعمال اللفظ او التركيب في غير ما هو له من المعنى ، واعظمها شهرة وكثرة واهتماما من علمائنا الخطأ في بنية الالفاظ او الاعراب ، وسأقدم هنا امثلة قليلة لهذه المظاهر الثلاثة ، الهدف منها تقديم النماذج لا الاستقصاء ، فان مؤلفات اللحن وحدها – فيما استقرأته – بلغت اكثر من اربعين مؤلفا ، تحوي مادة لغوية ضخمة لهذه المظاهر الثلاثة ، وسيأتي عرض ذلك فيما بعد .

اولا : من نماذج الخطأ في المعاني :

1 – مما تضعه العامة في غير موضعه قولهم (خرجنا نتنزه) اذا خرجوا الى البساتين وانما (التنزه) التباعد عن المياه والارياف ، ومنه قيل : فلان يتنزه من الاقذار ، اي يتباعد منها ومنه قول الهذلي :

اقب طريد بنزه الفلاة لا يرد الماء الا انتيابا (1)

2 – ومن ذلك (الطرب) يذهب الناس الى انه في الفرح دون الجزع ، وليس كذلك انما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور او لشدة الجزع ، قال الشاعر وهو النابغة الجعدي :

وأراني طربا في اثرهم
طرب الواله او كالمختبل (2)

3 – ومن ذلك (الحشمة) يضعها الناس موضع الاستحياء ، قال الاصمعي ، وليس كذلك انما هي بمعنى الغضب ، وحكى عن بعض فصحاء العرب انه قال : ان ذلك لمما يحشم بني فلان ، اي يغضبهم (3) .

4 – ويقولون (بكرت اليك) بمعنى غدوت خاصة ، وقال ابو بكر (ابن دريد) البكور التعجل في جميع اوقات الليل والنهار ، يقال : انا ابكر اليك العشية ، وانشد ابو زيد لضمرة بن ضمرة :

بكرت تلومك بعد وهن في الندى
بسل عليك ملامتي وعتابي

يقال : بعد وهن ، يعني حينا من الليل (4)

5 – قولهم للثوب (وشاح) قال محمد (الزبيدي) والوشاح نظمان من اؤلؤ يخالف بينهما ، ويعطف احدهما على الآخر ، وتتوشح به المرأة على كشحها (5) .

6 – ويقولون (ذو نفع وضر) فيضمون ، قال محمد (الزبيدي) والصواب (ضر) بالفتح ، واما (الضر) فهو السقم ، قال الله عز وجل : « وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو » (6) .

7 – ومن ذلك (الاستحمام)يكون عندهم بالماء الحاروالبارد ، وليس كذلك ، انما الاستحمام بالماء الحار خاصة (7) .

8 – قول المتكلمين (هذه المحسوسات) خطأ ، والصواب (المحسات) لانه يقال : احسست الشيء بمعنى ادركته ، فاما المحسوس فهو المقتول ، ممن حسه اذا قتله (8) .

9 – وتقول (استخفيت من فلان) والعامة تقول (اختفيت منه) وانما الاختفاء الاستخراج ومنه قيل للنباش (مختف) (9) .

10 – وتقول (أصبخ القوم) اذا صاحوا وجلبوا، والعامة تقول (ضجوا) وانما يقال (ضجوا) اذا جزعوا (10) .

(1) اصلاح المنطق ص 287 .
(2 – 3) أدب الكاتب ص 18 – 19 .
(4 – 5 – 6) انظر لحن العوام ص 137 – 206 – 244 .
(7) لحن العوام ص 256 .
(8) ذيل الفصيح ص 102 .
(9 – 10) رسالة في اغلاط العوام ورقة 101 .

ويكفي هذه الامثلة العشرة لهذا النوع من الخطأ فى المعنى ، او ما وصف بأنه « لحن العوام » والملاحظ على هذه الامثلة — وشبهها كثير — ان الحكم عليها باللحن كان من زاوية الاستعمال فى فترة خاصة ، فالتزم هذا الاستعمال وتوقف ، ولم يؤخذ فى الاعتبار بالنسبة لها تطور الدلالة التى قد تتغير من جيل لجيل ، فالكلمات ليست احجارا جامدة ، ولكنها وسيلة اجتماعية يطرأ عليها التغيير فى معانيها ، والتطور فى دلالاتها بحسب العرف اللغوي الذى يستخدمها ، ومن المفيد أن نلاحظ ايضا ان معانى هذه الكلمات العشر التى حكم عليها بالخطأ ظلت منذ القديم سائدة حتى الوقت الحاضر — وانه لا يخطر ببال احد استعمالها بالعرف الذى راى العلماء انه هو العرف الصحيح ، فمن ذا الذى يفهم من (خرجنا نتنزه) التباعد عن المياه والارياف ، ومن (الطرب) الحزن والسرور معا ، ومن (الحشمة) معنى الغضب لا الاستحياء ، ومن (البكور) التعجل عامة ، ومن (الوشاح) نظمان من لؤلؤ لا الثوب !! ومن الذى يستخدم (الضر) بالفتح فى مقابل النفع ، ويترك (الضر) بالضم ويفهم من (الاستحمام) انه للماء الحار خاصة ، ومن (الاختفاء) الاستخراج لا التوارى عن العيون !! فمن الواضح ان تفكير علماء اللغة على هذا النحو تفكير التزم التقعيد والتحديد ولم ياخذ فى اعتباره المرونة والتطور ، فبقيت دراستهم فى واد والاستعمال فى واد آخر ، ولست مغاليا ان قلت : ان هذه الجهود كلها افادت من حيث الدراسة فى ذاتها ، لكنها لم تتفق مع طبيعة اللغة ، ولذلك لم تفد كثيرا فى تعديل ما أطلق عليه (اللحن) فى عصرهم او بعد عصرهم .

ثانيا : من نماذج الخطأ فى بنية الكلمات :

1 — قولهم (دخل فى غمار الناس) هذا مما يخلط فيه العامة ، والعرب تقول (دخل فى خمار الناس) أي فيما يواريه ويستره منهم حتى لا يبين (1)

2 — ويقولون (مقداف السفينة) قال محمد (الزبيدي) والصواب (المجداف) ومنه جدف الطائر بجناحيه يجدف جدوفا ، اذا كان مقصوصا ، فرايته كأنه يرد جناحيه الى خلفه وبدارك الضرب (2) .

وواضح ان الخطأ فى هذين المثالين سببه التطور الصوتي ، لقرب المخرج بين كل من الخاء والغين فى (خمار وغمار) وكذلك بين كل من الجيم والقاف فى (مجداف ومقداف) وربما نطقت الجيم اولا (ج) ثم تطورت الى القاف .

3 — قال الجاحظ : كان عند عمر بن عبد العزيز رجلان ، فجعلا يلحنان ، فقال الحاجب (قوما فقد اوذيتما امير المؤمنين) قال عمر : انت آذى لي منهما (3) .

4 — قال ابو عمرو : يقال : ازللت له زلة ولا يقال (زللت) وقد اغلقت الباب فهو مغلق ، ولا يقال (مغلوق) وقد اقفلته فهو مقفل ولا يقال (مقفول) (4).

5 — ويقولون (هبت الارياح) مقايسة على قولهم (رياح) وهو خطأ بين ، والصواب ان يقال (هبت الارواح) كما قال ذو الرمة :

اذا هبت الارواح من نحو جانب
به اهل مي هاج قلبي هبوبها

والعلة فى ذلك ان اصل (ريح) (روح) لاشتقاقها من (الروح) وانما ابدلت الواو ياء فى (ريح ورياح) للكسرة التى قبلها ، فاذا جمعت على (ارواح) فقد سكن ما قبل الواو ، وزالت العلة (5) .

6 — ويقولون للمطهرة (ميضة) وبعضهم يقول (ميضاه) والصواب (ميضأة) بالهمزة ، والجمع (مواضيء) (6) .

---

(1) الفاخر فيما تلحن فيه العامة ص 246 .
(2) لحن العوام ص 69 .
(3) البيان والتبيين جـ 3 ص 24 .
(4) اصلاح المنطق ص 227 .
(5 — 6) لحن العوام ص 169 — 174 .

7 – ويقولون (يوم مهول) ، والصواب (يوم هائل) و (امر هائل) يقال : هالني الشيء يهولني هولا ، فهو هائل (1) .

8 – يقولون (استهتر الرجل فهو مستهتر)(بالكسر) والصواب(استهتر فهو مستهتر)(بالفتح)وهوالذي يخلط في اقواله وافعاله ، حتى كأنه بلا عقل (2) .

9 – وتقول : هذه مروحة ومخدة ومقنعة وملحفة وملة ومدبة ومغرفة ومقطرة ومطرقة ومدقة ومقرعة ومنطقة ومبرد ومطرد ومبضع ومنديل والمسالح – موضع بطريق مكة – والمرنج – النجم – كله بكسر الميم والعامة تفتحها (3) .

10 – ويقولون في جمع بيضاء وصفراء وسوداء ، بيضاوات وصفراوات وسوداوات ، وهو لحن فاحش ، لان العرب لم تجمع فعلاء التي هي مؤنث افعل بالالف والتاء ، بل جمعته على (فعل) نحو بيض وصفر وسود ، كما جاء في القرآن (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود) وفي قول امريء القيس :

وتحسب سامي لا تزال ترى طلا
من الوحش او بيضا بميثاء محلال (4)

فالنماذج العشر السابقة – ومثلها كثير – تتعلق ببنية الكلمة العربية ، وتدخل تحت مباحث علم الصرف ، وترتب على ذلك ان الحكم عليها « باللحن والخطا » جاء في ضوء القواعد الصرفية فبعضها يتعلق باخلال بنطق حروف الكلمة بوضع حرف مكان آخر في (خمار وخمار) و (مقذاف ومجداف) او باجراء الاعلال وتركه على غير مقتضى قوانين الاعلال والابدال كما في (ازللت وزللت) او صياغة المشتقات على غير الطريقة المحددة لها في شكل الحروف وكميتها مثل (مغلق ومغلوق – مقفل ومقفول مهول وهائل – مروحة ومروحة .. الخ) . او في الهمز والتسهيل كما في (ميضاه وميضأة) او بناء الفعل للمعلوم والمجهول حسبما ورد عن العرب وقررته كتب الصرف كما في (استهتر واستهتر واستضحك واستضحك) او في صيغة الجمع للمفرد كما في (بيضاوات وبيض) . فكل هذه المباحث قرر لها علماء النحو والتصريف مبادىء محددة ، وفي ضوء هذه المبادىء غالبا نظروا الى طريقة استعمال اللغة على مدى العصور ، فكل ما وجدوه مخالفا لها ، حكموا عليه « باللحن » ونسبوه الى العوام .

ومن المفيد ان يعرف ان هذا النوع من الخطا قد حظي بعناية العلماء عناية فائقة في « كتب لحن العامة» مما لم ينل مثله المظهران الاخران من مظاهر اللحن اللذان يتعلقان بالمعاني او التراكيب والاعراب، ولعل ذلك يرجع الى الاعتقاد بان هذا المظهر من اللحن اشد خطورة على اللغة من المظهرين الاخرين لما يترتب عليه من « تشويه اللغة » وطمس المعاني واضطرابها ، بالاضافة الى ما اطمانوا اليه من ضخامة الجهود النحوية التي تقي من « اللحن » في الاعراب بالنسبة للجهود في بنية الكلمات ووضع القوانين لها .

ثالثا : من نماذج الخطا في التركيب والاعراب :

1 – تقول (شكرت لك ونصحت لك) ولا يقال (شكرتك ونصحتك) وقد نصح لفلان وشكر له ، هذا كلام العرب ، قال الله تعالى (واشكروا لي ولا تكفرون) (ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم (5) .

2 – قال الاخفش : اخبرني المبرد قال : انشدني سليمان بن عبد الله بن طاهر لنفسه :

وقد مضت لي عشرونان ثنتان

فقلت له : ايها الامير ، هذا لحن ، لان اعرابا لا يدخل على اعراب (6) .

3 – من اللحن قولهم (العوام) فيه تبارك وتعالى (هذه صفة ذاته ، وهو مباين بالذات) قال محمد (الزبيدي) ولا يجوز ان يلحق الالف واللام (ذو ولا ذات) في حال افراد ولا تثنية ولا جمع ، ولا تضاف الى المضمرات ، وانما تقع ابدا مضافة الى

(1،2) لحن لعوام ص 253 – 255 .
(3) تقويم اللسان ورقة 25 .
(4) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ورقة – 104 .
(5) ما تلحن فيه العوام ص 25 .
(6) الوشح ص 357 .

الظاهر ، - الا ترى انك لا تقول (الذو ولا الذوان ولا الذون ولا الذات ولا الذوات ولا ذوك ولا ذوه ولا ذوهما ولا ذوهن ولا ذواتها ، ولا تقول : مررت بذاتــه ولا بذاتك) وقد غلط في ذلك اهل الكلام واكثر المحدثين من الشعراء والكتاب والفقهاء (1) .

4 - قال أبو زيد الانصاري : لقيت ابا حنيفة ، فحدثني بحديث فيه (يدخل الجنة قوم حفاة عـراة منتنين قد احمشتهم النار) فقلـت له : انما هـو (منتنون قد محشتهم النار) فقال : ممن انت؟! قلت: من اهل البصرة ، فقال : اكل اصحابك مثلك ؟! قلت: بل انا اخسهم حظا في العلم ، فقال : طوبى لقوم يكون مثلك اخسهم حظا (2) .

5 - ويقولون (ادخل باللص السجن) والصواب ان يقولوا (ادخل اللص السجـن) لان الفعل تـارة يعدى بهمزة النقل كقولك (خرج واخرجته) وتـارة بالباء ، كقولك (خرج وخرجت به) فاما الجمع بينهما فممتنع (3) .

6 - العامة تقول (فعل الغير ذاك) فيدخلـون على (غير) اداة التعريف ، والمحققون من النحويين يمنعون من ادخال الالف واللام عليـه ، لان المقصـود بدخول آلة التعريف على النكرة ان تخصصه لعينه ، فاذا قيل (الغير) اشتملت هذه اللفظة على ما لا يحصى كثرة (4) .

7 - والعامـة تقول (لا افعل هـذا قط) في المستقبل (ولا افعله ابدا) وهو غلط ، والصواب ان تقوله في الماضي (ما فعلت هذا قط) اي فيما انقطع من عمري (5) .

8 - (غيـر) اسم ملازم للاضافة في المعنى ، ويجوز ان يقطع عنها لفظا ، ان فهم المعنـى وتقدمت عليها كلمة (ليس) ، وقولهم (لا غير) لحن ، ويقال (قبضت عشرة ليس غيرها (6) .

9 - (عند) لا تقع الا ظرفا او مجرورة بمن ، وقول العامة (ذهبت الى عنده) لحن (7) .

10 - وتقول (ما رايته من امس ومن ايام) وهو غلط ، لان (من) تخـص المكان ومذ ومنذ يختصـان الزمان (8) .

ويلاحظ على الامثلة العشرة السابقة ان الكثير منها يتعلق بتاليف التركيب العربي ، والامـر الذي استقر عليه هذا التاليف بين النحاة ، وما جاء مخالفا للطرائق المنظمة لذلك ، ينبغي ان يدخل دائرة «اللحن والخطأ» كما هو واضح تماما في (ادخـل باللـص السجن) و (شكرت لك ونصحت لك) و (لا افعـل هذا قط) والصحيح فيه (ما فعلت هذا قط) وكذلك (لا غير) والقواعد تقضي بان التعبير الصحيح هـو (ليس غير) - كما ان بعض الاخطاء تعود - في نظر النحاة - الى استخدام الادوات بطريقة غير ما استقر عليه الامر - وبخاصة حروف الجر - كما في (ذهبت الى عنده) وصحتها (جئت عنده) و (جئت من عنده) وكذلك (ما رايته من امس) وتقضي القواعد استخدام (منذ) في هذا الموضع - كما يعود اللحن هنا كذلك الى الشكل الاعرابي ، وخروج الكلام عن مقتضاه ، كما في (عشرونان) اذ قال المبرد منبها على الخطأ فيها « ايها الامير ، هذا لحن ، لان اعرابا لا يدخل على اعراب » وكذلك قول ابي حنيفة (يدخل الجنة قوم حفاة عراة منتنين) حيث صححها له ابو زيد الانصاري بقوله (منتنون) تنبيها على الخطـا الاعـرابي فـي الصفـة .

وطريقـة تاليـف الكـلام واستخـدام الادوات النحوية والاعراب كلها من المباحث التي يتناولها النحو مع غيرها من المباحث التي تتعلق بالتركيب اللغـوي واسراره .

والذي اهمه ان ايراد مثل هذه الاخطاء النحوية في دراسـة « لحن العامة » هو ايـراد لما حـدث في « اللغة الفصحى » وفي الاستعمال الخاص لهذه اللغة

(1) لحن العوام ص 12 .
(2) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 38 .
(3 - 4) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ورقة 59 - 240 .
(5) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ورقـة 254 .
(6) المغنى ج 1 ص 157 .
(7) المغنى ج 1 ص 651 .
(8) رسالة في اغلاط العوام ورقة 122 .

فى مجالات المواقف الجادة من القـول بين العلمـاء والخاصة ، ويصح بناء على ذلك قبـول ما رآه بعض الدارسين من ان « العـوام » الذين اضيـف اليهـم « اللحن » فى كتب « لحن العـوام » هم عـوام العلماء والخاصة ، فهو راي يقبل من هـذه الاخطـاء القليلة التي تتعلق بالتركيـب والاعـراب اما غيـر ذلك من مظاهر اللحن المتعلقة بالمعاني او بنية الكلمات، وكذلك فى هذا المظهر فى اضافته الى العامـة مـن الناس العاديين ؛ فاغلب ظني ان كل ذلك كان شائعا الى حد الكثرة ، وانه لم يكد القرن الثاني ينقضـي حتى تنوعت العاميات وكثرت الاخطاء بيـن النـاس العاديين والمتخصصين على سواء .

لكن : متى بدأ اللحن فى الكلام العربي وكيف تطــور ؟

لا يستطاع الوصول الى حقيقة حاسمة من هذه الظاهرة فى العصر الجاهلي ـ شانها فى ذلـك شان كثير من ظواهر اللغة والادب من هذا العصر ـ فان كثيرا من شؤون الجاهلية تكـاد تكـون مطموسـة تماما ، او على الاقل غير مؤكدة ، اذ تعتمد على الظن الغالب لا الادلة المقنعة ، والغالب ان اللغة العربية فى العصر الجاهلي كان لها مستويات متعددة ، تختلـف فيما بينها باختلاف القبائل وعرف كل قبيلـة فـى لهجتها ، وان اللغة العامة التى كانت وسيلة التفاهـم بين الجميع حدث فيها احيانا اللحن والخطا ، ولو صح ان الاهتمام باللغة ودراستها قد تقدم به الزمـن الى العصر الجاهلي ، لجاءتنا كتب فى «لحن العامة» عن هذا العصر كما حدث فى القرن الثاني الهجري ومـا تلاه حين نضجت الدراسة وتنوعت ، وكان اللحن احد المظاهر التى اهتمت بها . وقد روى ان طرفة بن العبد قال وهو صغير :

يا لــك مـن قبـرة بمعمـر
خلا لك الجو فبيضي واصفـري

ونقـري ما شئـت ان تنقـري
قد رفع الفخ فماذا تحـذري

لا بد يوما ان تصادى فاصبري (1)

فما هو الوصف الذى كان من المتوقع ان يطلقه النحاة على عبارة (ماذا تحـذري) غير الضرورة او اللحن على أن النحاة انفسهم قد خطاوا فيما بعد قول النابغة الذبياني :

فبت كانـي ساورتنـي ضئيلـة
من الرقش فى انيابها السم ناقع

وقالوا : كان حقه ان يقول (ناقعا) لا (ناقع) فان النكرة لا تصف المعرفة .

وعلى كل حال فان كلمة «اللحن» قد ترددت بين العرب مع ظهور الاسلام فيما نقل عن عهده المبكر ، اذ نقل أن الرسول (ص) قال : انا من قريش ، ونشات في بني سعد فانى لي اللحن ، ونقل عن الصديق (ص) قوله : لان اقرا فاسقط احب الي من ان اقرا فالحن . وثمة قصة الكتاب المشهور الذى بعث به من العراق ابو موسى الاشعري الى عمر بن الخطاب وجاء فيـه « من ابو موسى الاشعري » وما رد عليه عمر من قوله: اضرب كاتبك سوطا واحدا واجز عطاءه سنة (2) .

فان هذه الروايات المتناثرة ـ ان صحت ـ تدل على معرفة اللحن فى ذلك العصر وفيما قبل ذلـك العصر الاسلامي المبكر ، اذ ان استخدام اللفظة فى ذلك الوقت المبكر وفهم المقصود منها حينـذاك قـد سبقه ما يسوغ هذا الاستخدام وذلك الفهـم ، وفى ذلك دلالة غير مباشرة على حدوث ذلك فى الجاهلية وان لم ينقل ذلك وتتناقل مظاهره .

وحين تاخر الزمن قليلا ـ فى عهد الامويين فى القرن الاول الهجري ـ اصبح اللحن قضيـة ذات خطر فى استعمال اللغة ، وهذا طبيعي ! اذ اتسعت الدولة الاسلامية ، وكثرت دواعي الاختلاط بالاجانب من الحرب والجوار والخدمة والمعايشة ، وجاءت عن ذلك روايات تصور مواقف حدث فيها اللحـن بيـن الخاصة وفى حضرة الخلفاء ؛ وهي لهـذا السبب نفسـه استحقت الرواية والتناقل ، ولنا ان نتخيـل الاخطاء الكثيرة مما لم ينقله احد او يعني به ، لانه كان يحدث بين النـاس العاديـين من جمهـرة العـرب والمسلمين ، واكبر الدلالة على ضخامة ذلك وكثرته انه كان سببا فى بداية النحو العربي حول النصف الاول من القرن الاول الهجري على اختلاف الرواة فيمـن تنسب اليه تلك النشأة .

---

(1) بلوغ الارب فى معرفة احوال العرب جـ 3 ص 110 .
(2) انظر : مراتب النحويين ص 5 ـ 6 .

* كان لخالد بن يزيد بن معاوية اخ ، فجاءه يوما فقال : ان الوليد بن عبد الملك يعبث بي ويحتقرني ، فدخل خالد على عبد الملك - والوليد عنده - فقال : يا أمير المؤمنين ، ان الوليد قد احتقر ابن عمه عبدَ الله واستصغره - وعبد الملك مطرق - فرفع رأسه وقال : (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها - الاية) فقال خالد (واذا اردنا ان نهلك قرية - الاية) فقال عبد الملك : أفي عبد الله تكلمني وقد دخل علي فما أقام لسانه لحنا !! فقال خالد : افعلى الوليد تعول !؟ فقال عبد الملك : ان كان الوليد يلحن ، فان اخاه سليمان ، فقال خالد : وان كان عبد الله يلحن ، فان اخاه خالد - في كلام كثير طويل (1) .

* تكلمت هند بنت اسماء بن خارجة فلحنت وهي عند الحجاج ، فقال لها : أتلحنين وانت شريفة في بيت قيس !! فقالت : اما سمعت قول اخي مالك لامرأته الانصارية ؟ قال : ما هو !؟ قالت :

منطق صائب وتلحن احيانا
وخير الحديث ما كان لحنا

فقال لها الحجاج : انما عنى اخوك اللحن في القول - اذا كنى المحدث عما يريد - ولم يعن اللحن في العربية فاصلحي لسانك (2).

* وروي عن الاصمعي قوله : اربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل ، الشعبي وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف وابن القرية ، والحجاج افصحهم (3) .

والواضح من هذه الروايات الثلاث انها جاءت من شخصيات لها تميزها في العصر الاموي سواء من حدثت منه او من حدثت في حضرته او من قيلت منه ، ويعود هذا التميز الى انهم من اصحاب الحكم او من أهل العلم في العصر الاموي ، فكيف كان الامر بين العوام من الناس !؟ ومع ذلك فانها تدل على العار والاحتقار اللذين يتعرض لهما من « يلحن » في حديثه ، كما هو واضح في تلك الملاحاة الحادة بين خالد بن يزيد وعبد الملك من عبد الله بن يزيد والوليد ابن عبد الملك كما ان فيها دلالة على التشدد والعنف مع من يلحن في كلامه كما هو واضح في ذلك الانكار والردع من الحجاج لهند بنت اسماء - كما تدل في الجانب المقابل على ان «الخلو من اللحن» يمثل الجانب الشريف الذي يستحق به صاحبه الفخر والثناء ، كما هو واضح من اسلوب الاعجاب الذي يقرر به الاصمعي هذه الحقيقة عن الشعبي وعبد الملك والحجاج وابن القرية .

فما روي من « مواقف اللحن » في القرن الاول الهجري قد لابسه العار والاحتقار او الانكار والردع، او استحقاق من يعري منه الفخر وحسن الذكر مما يفهم منه ان اللحن كان يمثل في ذلك الوقت امرا جديدا خطيرا ، او بعبارة ادق : ان شيوعه بين الناس كان ظاهرة جديدة خطرة يستحق من يبرأ منها الثناء والشكران ، كما يستحق مرتكبها الزجر والنكران .

فاذا ما تأخر الزمن الى القرن الثاني الهجري - وبخاصة النصف الثاني منه وما تلاه - اصبح ما كان احساسا بالخطر خطرا حقيقيا ملموسا ، وما كان مواقف متناثرة تذكر فتنكر امرا شائعا بين الناس من غير تكير ، وترتب على ذلك نشاط علمي متنوع ، ففي رواية اللغة رحل العلماء للبادية ، وانصرفوا عن الحضر بعد ان شاع فيه اللحن ، فلم تعد اللغة - في نظرهم - اهلا للنقل والاحتجاج ، وفي الدراسة اللغوية نشطت حركة التنقية التي بدأت في هذه الفترة بكتاب الكسائي الذي لا يزال موجودا بين ايدينا الآن عن « ما تلحن فيه العامة » .

* قال الرشيد يوما لبنيه : ما ضر احدكم لو تعلم من العربية ما يصلح به لسانه ، أيسر احدكم ان يكون لسانه كلسان عبده أو امته (4) !! .

* ودخل الفراء يوما على الرشيد ، فتكلم بكلام لحن فيه ، فقال جعفر بن يحيى : يا أمير المؤمنين انه قد لحن ، فقال الرشيد للفراء : اللحن يا يحيى !؟ فقال : يا أمير المؤمنين : ان طباع اهل البدو الاعراب ، وطباع اهل الحضر اللحن ، فاذا حفظت او كتبت لم الحن ، واذا رجعت الى الطبع لحنت ، فاستحسن الرشيد كلامه (5) .

---

(1) صبح الاعشى ج 1 ص 168 .
(2) امالي المرتضى - القسم الاول ص 15 .
(3) امالي الزجاجي ص 20 .
(4) صبح الاعشى جـ 1 ص 168 .
(5) صبح الاعشى جـ 1 ص 173 .

* وكان الرشيد مما يعجبه غناء الملاحين في الزلالات اذا ركبها، وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم، فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعرا يغنون فيه ، فوجه الى ابي العتاهية - وهو سجين - فصنع لهم « زهديته » التي ابكت الرشيد حين سمعها منهم ، وفيها :

نح على نفسك يا مسكين ان كنت تنوح
لتموتن وان عمرت ما عمر نوح (1)

وقد اخترت هذه النماذج الثلاثة تحديدا عن « عهد الرشيد » الذي عاصر الفترة الاخيرة من القرن الثاني ، وهي تدل على الامور الآتية :

ان اجادة الفصحى اصبحت صناعة يحث الرشيد ابناءه على الاخذ منها بما يصلح اللسان كيلا يكونوا كمن يخالطونهم من العبيد والاماء في اللحن والخطأ .

وان العلماء انفسهم كانوا يلحنون في حياتهم العادية ، ولم يروا ذلك عيبا يغض من شأنهم ، وقد اعترف بذلك الفراء قائلا « اذا حفظت او كتبت لم الحن ، واذا رجعت الى الطبع ، لحنت » ونال هذا الاعتراف استحسان الرشيد ، لانه الحقيقة .

وان العامة كانوا اشد من ذلك لحنا ، ويمثلهم هؤلاء الملاحون في الزلالات يغنون على مقتضى طبيعتهم ، فيعجب غناؤهم الرشيد لكنه يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم ، فمنع عن نفسه التأذي بتقديم الكلام الفصيح لهم لكن من الذي يمنع ذلك منهم او من غيرهم حين يغنون او يتكلمون في غياب الرشيد !!

وقد استمرت موجة اللحن قوية مندفعة ، واطرد نموها بتأخر الزمن ، فالقرن الثالث اقل حظا في الفصاحة من القرن الثاني ، وفي الجانب المقابل عظم اللحن اكثر من ذي قبل .

وقد روى الجاحظ نوادر كثيرة من « اللحن في القرن الثالث » في كتابه البيان والتبيين مما سمعه ووصفه ، وعابه على من يتكلفون الفصاحة من علماء اللغة والاعراب، فقال : « ان اقبح اللحن لحن اصحاب التقعير والتقعيب والتشديق والتمطيط والجهورية والتفخيم ، واقبح من ذلك لحن الاعاريب النازلين على طرق السابلة ، وبقرب مجامع الاسواق (2) » واذا كان اللحن قد امتد الى هؤلاء الاعراب والعلماء المتقعرين في نطق اللغة ، فلنا ان نتصور ما كان بين عامة الناس الذين لا يجيدون اللغة بالطبع او بالصنعة.

اما في القرن الرابع الهجري - الذي انهى في آخره الاستشهاد - فقد وصل الامر الى مده ، وطغى اللحن على الخاصة والعامة وعلى اصحاب الطبع في البادية واصحاب الصنعة في الحضر .

* يقول الآمدي : والمتاخرون لا يكادون يسلمون من اللحن ، وهذا في اشعارهم كثير جدا (3).

* ويقول ابو جعفر النحاس : وقد صار اكثر الناس يطعن على متعلمي العربية جهلا وتعديا حتى انهم يحتجون بما يزعمون ان القاسم بن مخيمرة قال : النحو أوله شغل ، وآخره بغي (4) .

والآمدي وابو جعفر النحاس من علماء القرن الرابع الهجري الذين عاصروا فترة نهاية الاستشهاد باللغة الذي كان من اهم عوامله شيوع اللحن بين الناس حتى الشعراء انفسهم ، واصبح اللحن لا يكاد احد من المتاخرين يسلم منه - كما يقول الآمدي من معاصريه - وصار اكثر الناس يطعن على متعلمي العربية جهلا وتعديا - كما يقول النحاس - ومن قبل كان تعلم العربية من الامور التي يتواصى بها الناس ، ويحض عليها الخلفاء والحكام ، وهكذا انقلب الامر ، فاصبح تعلم العربية عن طريق الصناعة النحوية موضع سخرية الناس « والنحو اوله شغل وآخره بغي » - تماما كما كنا نعيش اليوم في عصرنا الحاضر .

وليس من المفيد كثيرا ان نتابع تطور « قضية اللحن » بعد عصر الاستشهاد ، فقد اصبح «اللحن» هو القاعدة بين الناس في حياتهم العامة ، وتسرب الى التاليف العلمي نفسه ، كما هو واضح في بعض موسوعات التاريخ في القرن السادس وما بعده - وستاتي نماذج من ذلك - حتى قال احد المتاخرين « ان اللحن قد فشا في الناس والالسنة قد تغيرت ، حتى صار التكلم بالاعراب عيبا ، والنطق بالكلام الفصيح عيا (5) » .

فماذا كان موقف علماء اللغة من هذه الظاهرة ؟

(1) انظر : الاغاني جـ 3 ص 171 .
(2) البيان والتبيين جـ 1 ص 146
(3) الموازنة جـ 1 ص 416 .
(4) صبح الاعشى جـ 1 ص 171 .
(5) صبح الاعشى جـ 1 ص 173 .

لقد نظر علماء اللغة اليه من زاوية « الخطأ » فقاوموه بعنف ، ومع ذلك لم ينتصروا في معركتهم معه ، بل ان العكس هو الصحيح ، اذ انتصر اللحن بغلبة الاستعمال وقهر المجتمع اللغوي المتطور باستمرار .

وقد بدأت هذه المقاومة منذ القرن الثاني الهجري ، واستمرت فيما تلا ذلك من عصور والجدول الآتي « لكتب لحن العوام » ومؤلفيها ــ مما عرفته على قدر جهدي ــ يوضح ذلك :

اسم الكتاب	المؤلف وتاريخ وفاته		الاشارة الى ما هو موجود
1 ــ ما تلحن فيه العوام	علي بن حمزة الكسائي	(172)	مطبوع
2 ــ ما يلحن فيه العامة	يحيى بن زياد الفراء	(207)	
3 ــ ما يلحن فيه العامة	لابي عبيدة معمر بن المثنى	(210)	
4 ــ ما يلحن فيه العامة	لابن نصر احمد بن حاتم الباهلي	(231)	
5 ــ اصلاح المنطق	لابي السكيت يعقوب بن اسحاق	(244)	مطبوع
6 ــ ما يلحن فيه العامة	لابي عثمان المازني	(248)	
7 ــ ما يلحن فيه العامة	لابي حاتم السجستاني	(250)	
8 ــ تقويم اللسان (ادب الكاتب)	لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة	(276)	مطبوع
9 ــ لحن العامة	لابي حنيفة احمد الدينوري	(290)	
10 ــ ما يلحن فيه العامة	لابي العباس احمد بن يحيى ثعلب	(291)	
11 ــ ما يلحن فيه العامة	لابي الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي	(300)	
12 ــ اللحن الخفي	هاشم بن احمد الحلبي	(377)	
13 ــ لحن العوام	لابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي	(380)	مطبوع
14 ــ لحن الخاصة	لابي هلال العسكري	(395)	
15 ــ تثقيف اللسان	عمر بن مكي الصقلي	(501)	مطبوع
16 ــ درة الغواص	لابي محمد القاسم بن علي الحريري	(516)	مطبوع
17 ــ تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة	لابي منصور الجواليقي	(539)	مطبوع
18 ــ تقويم اللسان	لابي الفرج عبد الرحمن الجوزي	(597)	مصور
19 ــ لحن العامة	ابن هشام محمد بن احمد اللخمي	(600)	مصور
20 ــ ناظر انسان عين المعاني	محمد بن احمد بن جامع	(727)	مصور
21 ــ لحن العامة	لابن هاني محمد بن علي السبتي	(733)	
22 ــ غلطات العوام	جلال الدين السيوطي	(911)	مخطوط
23 ــ التنبيه على غلط الجاهل والنبيه	لابن كمال احمد بن سليمان	(940)	مطبوع
24 ــ بحر العوام فيما اصاب فيه العوام	رضي الدين محمد بن ابراهيم الحنبلي	(971)	مطبوع
25 ــ غلطات العوام	مصطفى بن محمد خسرو زاده	(1000)	مصور
26 ــ لف القماط لتصحيح ما استعملته العامة	محمد صديق بن حسن البخاري	(1307)	مطبوع
27 ــ اغلاط العوام والخواص	(مجهول)		مصور
28 ــ سقطات العوام	(مجهول)		مصور
29 ــ اصول الكلمات العامية	حسن توفيق العدل	(1322)	مطبوع
30 ــ تهذيب العامي والمحرف	حسن علي البدراوي	( )	مطبوع

ملاحظات على مقاومة العلماء اللحن :

1 ـ بنظرة واحدة الى الجدول السابق الذى امكنني معرفة مافيه من كتب لحن العوام ـ الموجود منها والمفقود ـ يتضح ان مقاومة العامية كان شديدا فى القرن الثاني والثالث والرابع ثم بدأ يقل تدريجيا بعد ذلك ، ولهذا دلالته ، حيث قاوم العلماء بقوة مظاهر اللحن فى الفترة التى كانت اللغة موردا للدراسة ، والصلة قريبة بين المادة التى اعتقدوا نقاوتها حين ترد من البادية ، وبين تنقية الفصحى المستخدمة فى الحضر قياسا عليها .

2 ـ كان من المفترض ان تعتمد التنقية على استقراء لإستعمال اللغة التى يعاصرها المؤلف والتى تستعمل بين الناس فى عصره ، ولكن الذى حدث ـ فيما اطلعت عليه منها ـ لم يكن كذلك، بل اعتمد اللاحقون على جهود السابقين ، فكانوا ينقلون غالبا ما أورده من سبقوهم فى كتبهم وعلى سبيل المثال اعتمد ابن قتيبة فى « تقويم اللسان» على ابن السكيت فى «أصلاح المنطق» واعتمد الزبيدي فى «لحن العوام» على من سبقه من العلماء ، فكان يذكر اسماءهم دون كتبهم ـ واعتمد ابن الجوزي فى «تقويم اللسان» على كتب من سبقوه ، وذكر فى مقدمة الكتاب انه جمع فيه ما رآه مبددا فى كتب من سبقوه ، وانتخب من ذلك ما تعم به البلوى دون ما يشذ استعماله ويندر ، ونقل السيوطي كتاب ابن الجوزي برمته ، ونسبه لنفسه تحت عنوان « غلطات العوام » .

3 ـ يلاحظ انه يقصد بالعوام والعامة فيما اطلعت عليه من تلك الكتب الناس العاديون بدليل النص احيانا على الخواص والخاصة ، ولكن الذى قصدوه بالتنقية هو اللغة الفصحى بعد ان اصبحت تستعمل فى مستوى خاص ، وتسرب اليها « لحن العوام » فبقيت النسبة الى العوام، وان كان المقصود بذلك ما حدث فى اللغة الفصحى التى يستعملها الخاصة ، وبذلك نفهم قول الزبيدي (فى مقدمة كتابه « لحن العوام » ص 8) « فهذا مما افسدته العامة عندنا ، فاحالوا لفظه او وضعوه غير موضعه ، وتابعهم على ذلك الكثرة من الخاصة ، حتى ضمنته الشعراء اشعارهم ، واستعمله جلة الكتاب وعلية الخدمة فى رسائلهم ، وتلاقوا به فى محافلهم ، فرايت ان انبه عليه ، وابين وجه الصواب فيه » .

وعلى ذلك فانه لا معنى للتكلف بتوجيه معنى (العامة) الى «عامة العلماء» كما حاول ذلك بعض الدارسين فى العصر الحديث .

4 ـ تمنيت ان اجد فى احد هذه الكتب حديثا عن « اللحن » فكرة وموضوعا ، لكن لم تتحقق لي تلك الامنية فى احدها ، اذ يتجه الحديث فيها مباشرة ـ بعد مقدمة قصيرة ـ الى ايراد الكلمات وبيان خطئها او صحتها اعتمادا على النقل فى غالب الاحيان كما سبق ذلك .

5 ـ ومع نظرة الى هذه الجهود الطيبة المخلصة في الجدول السابق ـ والى غيرها مما لم اعرفه ـ يتساءل المرء : هل نجحت كل هذه الجهود فى حل قضية اللحن ، وايقاف تياره المتدفق !

تساؤل يتضح المقصود منه فى الفقرة التالية ان شاء الله .

نظرة النحاة الى اللحن بين القواعد والاستعمال :

ان تحديد نظرة النحاة الى اللحن امر يسير لا عسر فيه ، فقد نظروا اليه من زاوية « الخطا » واعتبروه انحرافا عن الطريقة الصحيحة التى ينبغي ان ياتي عليها النطق العربي السليم ، ولم يؤخذ فى الاعتبار لديهم قوة الاستعمال وقهره ، وما يترتب على ذلك من تطور وتغير ، فان اللغة ـ شانها شان الظواهر الاجتماعية كلها ـ تتطور باستمرار فى معانيها وبنيتها وتراكيبها ولا تخضع طويلا للقواعد المنسقة والنظام الجميل ، لان اللغة نظامها الذى يفرضه استعمالها بين المتكلمين بها ، وعمل الباحث اللغوي ملاحقة التطور لا مصادرته ، وملاحظته لا تجميده ، فان المصادرة والتجميد لا يمكن تحقيقهما بالنسبة للغة نفسها ، وان امكن ذلك بالنسبة لدراستها ومن يدرسونها .

ونظرة النحاة لما اسموه «اللحن» من زاوية «الخطا» كان سندها « القواعد الحادة » التى وضعوها والزموا انفسهم بها ، وان لم يستطيعوا فرضها على الاستعمال المتطور باستمرار .

ويمكن توضيح ذلك وتأييده بالامور الثلاثة الآتية :

1 — جهود النحاة في مقاومة اللحن ودورانها حول القواعد .

2 — خضوع النحاة انفسهم لسطوة اللحن مع انهم حراس القواعد .

3 — التصاعد الذي قام — واستمر قائما — بين القواعد المصنوعة وواقع الاستعمال .

لقد ارتبطت بداية النحو بحدوث اللحن ، والروايات التي رويت عن ذلك كلها تقرر هذه الفكرة صراحة او تمثيلا بوصف صورة النطق الملحون فيه والذي كان الدافع المباشر لوضع القواعد، ويبدو ان هذه الصلة بين القواعد واللحن في فترة البداية ظلت قائمة بعد ذلك مع تقدم الزمن ونضج الدراسة ، وهي صلة قوامها التنافر بين القواعد وما خرج عن هذه القواعد من مظاهر اللحن ، على ان تكون القواعد — من وجهة نظر النحاة — هي الحكم في هذه المظاهر ، او بعبارة اخرى ان القواعد هي « الصواب » وان ما لا يتفق معها من مظاهر الاستعمال هو « الخطأ » .

* قال ابن سلام : اضطرب كلام العرب ، فغلبت السليقة ولم تكن نحوية ، فكان سراة الناس يلحنون ، ووجوه الناس ، فوضع ابو الاسود باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف الجر ، والرفع والنصب والجزم (1) .

* وروى القفطي عن أبي الاسود قال : دخلت على امير المؤمنين علي — عليه السلام — فاخرج لي رقعة فيها (الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى) قال : فقلت : ما دعاك الى هذا ؟ قال : رأيت فسادا في كلام بعض اهلي ، فاحببت ان ارسم رسما يعرف به الصواب من الخطأ ، فاخذ ابو الاسود النحو عن علي — عليه السلام — ولم يظهره لاحد (2) ، ثم اظهره فيما بعد .

وينبغي التوقف في فهم هاتين الروايتين عن نشأة النحو عند عبارتين فيهما هما (غلبت السليقة ولم تكن نحوية) و (رأيت فسادا في كلام بعض اهلي فاحببت أن ارسم رسما يعرف به الصواب من الخطأ) فان هاتين الروايتين تؤيدان ما نزعمه عن طبيعة الصلة بين القواعد والسليقة غير النحوية التي يطلق عليها « اللحن » منذ البداية ، واتخاذ القواعد — منذ البداية ايضا — سلطة للتمييز بين « الصواب والخطأ » كما قال — عليه السلام — ان صحت نسبة الرواية الثانية .

وقد بقي هذا الفهم نفسه قائما على مدى الزمن ، اذ طبقة الدارسون ، وخضع له الناطقون بل ازداد مع تقدم الزمن قوة وثباتا ، وفي الوقت نفسه اطرد نمو طرفي القضية من « القواعد » و « السليقة غير النحوية » فزادت مؤلفات النحو تضخما ، وفي الجانب المقابل كان اللحن يزداد انتشارا ، وحين الف سيبويه « كتابه » كان اللحن في الحضر خطرا صرف العلماء عن لغته الى البادية .

كما انه بالاطلاع على الكتب التي الفت نصا في مقاومة اللحن — من جدول عرضها في الفترة السابقة — يتضح فيها هذا الفهم نفسه الذي يجعل القواعد مقياسا للصواب فيما وسم باللحن والخطأ من معاني الكلمات وبنيتها وتراكيبها ، ويتبين ذلك في طريقة العرض او في ذكر القواعد احيانا لتصحيح الخطأ .

* قال الكسائي : وتقول : شكرت لك ونصحت لك ، ولا يقال : شكرتك ونصحتك وقد نصح فلان لفلان وشكر له ، هذا كلام العرب (3) .

* وقال ابن السكيت : باب ما جاء على (فعلت) بالفتح مما تكسره العامة او تضمه يقال (ما عسيت ان اصنع) قال الله جل ذكره (فهل عسيتم ان توليتم) ولا ينطق منها باستقبال (4) .

* وقال الحريري : يقولون : (انضاف الشيء اليه وانفسد الامر عليه) وكلا اللفظين ليستا من كلام

---

(1) طبقات فحول الشعراء ص 12 .
(2) انباه الرواه جـ 1 ص 5 .
(3) ما تلحن فيه العامة ص 25 .
(4) اصلاح المنطق ص 188 .

العرب ، وانما يقال (اضيف الشيء اليه واسند الامر عليه) فلا يأتي منهما ذلك (1) .

فهذه نماذج يتبين منها كيفية الطريقة التى سلكها العلماء فى جهودهم لمقاومة اللحن ، واذا كان الكسائي يصحح الخطأ قائلا (هذا كلام العرب) فابن السكيت والحريري يذكران « القواعد » مقاييس التصويب للاستعمال الموسوم بالخطأ واللحن ، فقاعدة ابن السكيت فى المثال السابق هي « ما جاء على فعلت بالفتح مما تكسره العامة او تضمه » وقاعدة الحريري « المطاوعة تأتي من الثلاثي المتعدي ، اما الثلاثي اللازم فلا يأتي منه ذلك .

هذا هو طابع الجهد الذى بذل فى مقاومة اللحن، يلخصه انه « التمسك بالقواعد اساسا لتصويب ، وايراد ما لا يوافق من مادة اللغة للحكم عليه بالتخطئة»

اما الامر الثاني الذى يدل على سطوة القواعد على اذهان الدارسين بمقدار ما يدل على سطوة الاستعمال على السنة المتكلمين فيمثله تلك المفارقة الطريفة عن افراد من علماء النحاة نسب الى بعضهم انه كان يتقعر ويغرب فى حديثه على الناس حتى لا يكاد يفهم ، ونسب الى البعض الاخر انه كان يلحن فى كلامه ، وربما اعترف احيانا بوقوع ذلك منه ، ولم يعتبره شيئا يغض من شأنه .

وعلى الرغم من ان هذين المظهرين يمثلان طرفين متباعدين فى الكلام فان النظرة المدققة تكشف أنهما يصدران عن ظرف لغوي واحد هو «سطوة الاستعمال» الذى وصفه ابن سلام بقوله « غلبت السليقة» ولم تكن نحوية» فقد دفع ذلك بعض النحاة التى التظاهر احيانا من التمكن من تلك السليقة النحوية ؛ فاغربوا فى حديثهم ولغموه ، واستسلم آخرون للاستعمال اللغوي الشائع ؛ فخضعوا له معترفين بأنه الواقع وان خالف قوانين النحو وقواعد الاعراب .

ومن النحاة الاول الذين روي عنهم التقعر والاغراب عيسى بن عمر الثقفي (ت 149) الذى روي عنه ذلك فى كتب الطبقات التى ترجمت له ، ومن ذلك هذا الموقف الطريف الذى كان يضرب فيه بالسياط لوديعة اضاعها وهو يصيح قائلا : « والله ما كان الا اثيابا فى اسيفاط قبضها عشاروك (2) »

وروي ذلك ايضا عن ابي علقمة النحوي الذى ساق السيوطي عنه المشهد الطريف التالي :

* مر ابو علقمة يوما على عبد حبشي وصقلبي ، فاذا الحبشي قد ضرب بالصقلبي الارض فادخل ركبتيه فى بطنه ، واصابعه فى عينيه ، وعض اذنيه ، وضربه بعصا فشجه ، واسال دمه ، فقال الصقلبي لابي علقمة : اشهد لي ، فمضوا الى الامير : فقال له الامير : بم تشهد ؟! فقال : اصلح الله الامير، بينا انا اسير على كودني ، اذ مررت بهذين العبدين ، فرايت الاسحم قد مال على هذا الابقع ، فحطاه على فدفد ، ثم ضغطه برضفتيه فى احشائه ، حتى ظننت انه تدمج جوفه ، وجعل يلج بشناتره فى جحمتيه يكاد يفقؤهما ، وقبض على صنارتيه بمبرمه، وكاد يجذهما ، ثم علاه بمنساة كانت معه ، فعجفه بها ، وهذا اثر الجريان عليه بينا .

فقال الامير : والله ما فهمت مما قلت شيئا .

فقال ابو علقمة : قد فهمناك ان فهمت ، واعلمناك ان علمت ، واديت اليك ما علمت وما اقدر ان اتكلم الفارسية .

فجهد الامير فى كشف الكلام حتى ضاق صدره، ثم كشف الامير راسه ، وقال للصقلبي : شججني خمسا ، واعفني من شهادة هذا (3) .

وقد يثير هذا المشهد ابتسامة الشفقة على ابي علقمة الذى يحمل نفسه هذا الجهد الثقيل من التقعر والاغراب ، امام الامير الذى يعاصره ولكنه لا يستطيع فهم كلامه ، لانه يمثل الاستعمال العادي للكلام ، ومع ذلك فان لابي علقمة من ظروفه الخاصة ومن ظروف عصره ما يقدم له العذر فى طريقته الغريبة ، فهو نحوي قام فى نفسه ان الكلام العادي داخله الفساد ، ومن حقه ان يستعمل طريقة توافق لغة النحو التى يستنبط منها قواعده .

اما لحن علماء النحو فى حياتهم العادية واعترافهم بذلك ، فهو مظهر مهم ، اذ ان فى هذا الاعتراف نفسه دلالة على سطوة الاستعمال حتى

---

(1) درة الغواص ص 22 .
(2) معجم الادباء جـ 16 ص 149 .
(3) بغية الوعاة جـ 2 ص 139

على النحاة الذين يناصرون القواعد ، ويفرضون سلطانها على الاستعمال اللغوي .

* اورد الاصفهاني ان مروان بن ابي حفصه وجه كلامه لحماد الرواية في حضرة الوليد بن يزيد فقال : ما كلام هذا في مجلس امير المؤمنين وهو لحانة !! فتهافت الشيخ ، ثم قال : يا ابن اخي ، انا رجل اكلم العامة ، واتكلم بكلامها (1) .

* ودخل الفراء يوما على الرشيد ؛ فتكلم بكلم لحن فيه ؛ فقال له جعفر بن يحيى : يا امير المؤمنين انه قد لحن ؛ فقال الرشيد للفراء : اتلحن يا يحيى !! فقال : يا امير المؤمنين ، ان طباع اهل البدو الاعراب وطباع اهل الحضر اللحن ، فاذا حفظت او كتبت لم الحن ، واذا رجعت الى الطبع لحنت ، فاستحسن الرشيد كلامه (2) .

* وقال ابو الطيب اللغوي : كان علي المديني لا يغير الحديث وان كان لحنا ، الا ان يكون من لفظ النبي (ص) فكانه يجوز اللحن على من سواه (3) .

فهذه المواقف المتناثرة — على قلتها — قد اعترف فيها بعض النحاة على انفسهم باللحن وانهم يخضعون له جريا على استعمال بقية الناس ، لكنهم في مجال الدراسة ، لم ياخذوا ذلك في الاعتبار ، بل حكموا القواعد في ذلك ، وحكموا على مظاهر اللحن بالخطأ

اما الامر الثالث والاخير — فيما نحن بصدده — فهو التصدع بين القواعد المصنوعة واستعمال اللغة ؛ وهذا امر حدث مبكرا ، ونقلت الينا بعض نماذجه في المشاحنات التي كانت تحدث بين العلماء والشعراء ، ومن ذلك ما حدث بين ابي اسحاق والفرزدق وبين الاخفش وبشار وبين ابن خالويه والمتنبي — ونماذجه اشهر من ان تذكر — وفي هذه المواقف — على قلتها — يتمثل ايضا الصراع بين القواعد في يد النحاة والاستعمال اللغوي الذي لا يخضع لتلك القواعد .

واذا كانت تلك المواقف القليلة تمثل هذه الظاهرة فقط ، فان واقع الامر اخطر من ذلك واكثر ، اذ ان مظهر الصراع بين القواعد التي استمسك بها النحاة والاستعمال اللغوي الذي لا يتوافق مع تلك القواعد — على الاقل منذ القرن الثاني الهجري — ترتب عليه اتساع الهوة دائما بين طرفي القضية ، فعانى النحاة من ذلك قديما ، وما زالت هذه المعاناة قائمة حتى اليوم .

اخيرا :

يتضح من عرض الامور الثلاثة السابقة لموقف النحاة مما اطلق عليه « اللحن » تأييد ما افتتحت به هذه الفقرة من رؤياهم له من زاوية « الخطأ » وان الذيوجه هذه الرؤيةهو مقياس (**القواعد لا الاستعمال**) وضح ذلك في جهودهم اللغوية ، وبعض مواقف حياتهم الشخصية ، وفي هذا الفراق والخصومة القائمة بين كلا الامرين القواعد والاستعمال .

تلك وجهة نظرهم ، اما مدى توفيقهم فيها ؛ فله حديث آخر في القسم الاخير من هذا البحث ان شاء الله .

— * —

« التصحيف والتحريف »

معنى التصحيف والتحريف وعلاقاتها باختلاف المعنى والبنية والاعراب :

« التصحيف والتحريف» لفظتان بينهما صلة حميمة ، وقد جمعهما العلماء احيانا عنوانا لمؤلف واحد ، كما فعل ابو احمد العسكري في مؤلفه « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » وكما فعل من بعده الصفدي في كتابه الموسوعي » «تصحيح التصحيف وتحرير التحريف» وقد شرح « التهانوي » في « كشاف اصطلاحات الفنون » المقصود منهما في مكان واحد .

وتعود الصلة بين اللفظتين — مع التجاوز هنا فيهما من جناس لفظي — الى ان مجال البحث فيهما — كما فهمه المتقدمون من العلماء — واحد ، وهو البحث عن الخطأ الذي يحدث في نطق الكلمة العربية نتيجة الخطأ الاملائي في قراءة الحروف المكتوبة ، سواء أكان الخطأ في نقط الحروف او شكلها او تبادلها الامكنة .

فالتصحيف والتحريف مظهران للخطأ في قراءة الخط المكتوب ، ويترتب على ذلك نطق كلمة جديدة

(1) الاغاني جـ 14 ص 110 .
(2) صبح الاعشى جـ 1 ص 173 .
(3) مراتب النحويين ص 6 .

قد تكون صحيحة لغة ومعنى ، لكنها غير الكلمة التي قصدها صاحبها حين نطق بكلامه ، او نطق كلمة ذات بنية محرفة في صيغتها ، ويرجع انحرافها الى التغيير في حروفها او الشكل الداخلي لها ، بل ان مؤلفات « التصحيف والتحريف » قد ورد فيها احياناً امثلة ــ وان كانت قليلة ــ لاخطاء اعرابية تعود ايضا الى الخطأ في الكتابة او التوسع في فهم ما يطلق عليه « التحريف » بما يشمل ما يطلق عليه اسم « اللحن » ويتضح هذا المظهر الاخير في كتاب الصفدي (ت 764) « تصحيح التصحيف وتحرير التحريف » اذ اورد كثيرا من امثلة «اللحن» في كتابه، ويؤيد هذا نصا ما اورده في بداية كتابه من انه نقله من السابقين عليه ، وقال « لم يكن لي في هذا غير التهذيب وحسن الرصف في التبويب الا ما يتخلل اثناء ذلك من تفسير وتقييد وتقرير وتمهيد» وقد عدد ما اعتمد عليه من كتب السابقين ، وكان منها ما هو نص في « لحن العوام » مثل «ما تلحن فيه العامة» للزبيدي ، و « تثقيف اللسان » لابن مكي و « درة الغواص » للحريري ، و«تقويم اللسان» لابن الجوزي الخ .. فما صنعه الصفدي يحتمل امرين ، الرغبة في تضخيم كتابه فأورد فيه ما يتعلق « باللحن » ايضا وان لم يكن من «التصحيف والتحريف» او التوسع في فهم المقصود « بالتحريف » بما يشمل اللحن ايضا، وسواء اكان هذا او ذاك ، فان ما يهم في هذا الموضع ان الصفدي قد اورد في كتابه كثيرا من امثلة « اللحن » وان غيره من سابقيه قد ورد ذلك منهم على قلة .

لكن « ليس معنى ما تقدم أن كل واحدة من اللفظتين « التصحيف والتحريف» لم تكن تستخدم الا ومعها الاخرى ملازمة لها ، فان لفظة « التصحيف » استخدمت وحدها كثيرا في مواقف الخطأ في القراءة التي رويت امثلتها عن علماء القرن الثاني الهجري مما نقلته الينا كتب الأدب العامة او الكتب المؤلفة نصا في موضوع « التصحيف والتحريف » فيما بعد ، وقد جاءتنا عناوين تلك المؤلفات مقتصرة على تلك اللفظة وحدها واقدمها ــ فيما اعلم ــ ما صحف فيه الكوفيون لنصولى (ت 335) و « التنبيه على حدوث التصحيف » لحمزة بن الحسن الاصبهاني (ت 360) ويبدو ان كلمة « التصحيف » استخدمت وحدها اولا في وصف خطأ القراءة لما هو مكتوب ، ثم انضمت اليها فيما بعد كلمة « التحريف » مع تداخل المقصود منهما او تخصيص كل واحدة منهما بنوع من خطأ القراءة كما سيتبين بتفصيل فيما بعد .

هذه مقدمة عامة عن لفظتي « التصحيف والتحريف » من حيث الصلة بين معنييهما واستخدام العلماء لهما ، لنتدرج من ذلك الى بيان الامور الآتية عن هذين المظهرين من مظاهر الخطأ في اللغة من وجهة نظر علمائنا الاقدمين :

1 ــ التحديد النظري لمعنى التصحيف والتحريف .

2 ــ سبب وقوع ذلك في الكتابة العربية خاصة .

3 ــ علاقة مظاهر الخطأ التي ترتبت على ذلك في المعنى والبنية والاعراب والبحث في اللغة مع انها تعود اصلا الى رسم الكتابة .

قبل سوق ما ذكره العلماء عن معنى «التصحيف والتحريف» ينبغي اولا معرفة انواع التغيير التي يمكن ان تحدث في قراءة الكتابة العربية ، ويترتب عليها رواية خاطئة ، وهي اربعة يوضحها الجدول الآتي :

تغيير في النقط		تغيير في الحركات		تغيير في الحروف		تغيير في الاعراب
الكلمة	مقابلها	الكلمة	تغييرها	الكلمة	تغييرها	
الثوم	النوم	جمهور	جمهور	المباس	المباظ	لو قرأ قارىء في المصحف (أن الله بريء من المشركين ورسوله) بكسر اللام في (رسوله)
العسل	الغسل	دمشق	دمشق	ببغان	بغبغان	
رحل	رجل	عفريت	عفريت	رجل	راجل	
عم	غم	رصاص	رصاص	عن الله عن	عن الله عن	
				ويغيل	ويجيل	
القاصية	القاضية	قنديل	قنديل	سرالبة	شوالبة	

وهذه النماذج السابقة قد ورد لها مواقف ونصوص تؤيدها ليس هنا مجال ذكرها ، فان القصد من ذكرها هنا ايضاح انواع التغيير تمهيدا لايراد آراء العلماء عن التصحيف والتحريف .

* قال حمزة الاصفهاني : اجاب اهل المعاني في معاني التصحيف فقالوا : ان يقرأ الشيء بخلاف ما اراده كاتبه ، وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته ، واما لفظ (التصحيف) فان اصله ، - فيما زعموا - ان قوما كانوا اخذوا العلم عن الصحف من غير ان يلقوا فيه العلماء ، فكان يقع فيما يروونه التغيير ، فيقال عندها : قد صحفوا فيه ، اي : رووه عن الصحف ، ومصدره (التصحيف) مفعوله (مصحف) فاما (المصحف) فماخوذ من (اصحف اصحافا) واصله ان الصحف جمعت فيه ، فقيل : قد اصحف - ولو سمي التصحيف تغييرا او تبديلا جاز (1) .

* قال ابو احمد العسكري : فاما معنى قولهم (الصحفي والتصحيف) فقد قال الخليل : ان الصحفي الذي يروي الخطأ على قراءة الصحف باشباه الحروف . (2)

* قال المراكشي : المخالفة في الحديث ان كانت بتغيير حرف او حروف مع بقاء صور الخط ، فان كان ذلك بالنسبة للنقط فالمصحف ، وان كان بالنسبة للشكل فالمحرف .. واما اللحن فمما يرجع للاعراب (3)

* قال التهانوي : قالوا : مخالفة الراوي للثقات ان كانت بتغيير الحروف او الحروف مع بقاء صورة الخط في السياق ، فان كل ذلك بالنسبة الى النقط يسمى ذلك الحديث (مصحفا) وان كان بالنسبة الى الشكل والاعراب سمي (محرفا) - وابن الصلاح وغيره سمي القسمين (محرفا) . (4)

ومن هذه الروايات الاربع لا يخرج المرء بتحديد حاسم موحد للمقصود بكل من التصحيف والتحريف،

ولا يخرج كذلك بتحديد حاسم لما يشمله التصحيف والتحريف من انواع التغيير السابقة اذ ان الذي يفهم من حديث الاصفهاني والعسكري عن (التصحيف) انه كما قال اولهما نصا « ولو سمي التصحيف تغييرا او تبديلا جاز » فهو اذا مطلق تغيير او تبديل في قراءة الشيء على غير ما اراده كاتبه - كما عرفه الاصفهاني - او رواية الخطأ على قراءة الصحف باشباه الحروف - كما عرفه العسكري رواية عن الخليل - سواء اكان ذلك في النقط او الشكل أو الحروف .

لكن المراكشي يفرق فيما تناوله من التغيير الذي يحدث للحديث بين التصحيف والتحريف ، بان اولهما يكون في تغيير النقط فقط ، واما ثانيهما فيكون في الشكل ، ويتوقف عند هذا الحد ويزيد عليه التهانوي ان التحريف يكون في الشكل والاعراب ايضا ، وان بعض العلماء يسمي كل ما يحدث له تغيير « محرفا » .

والحقيقة ان المطلع على نماذج التصحيف والتحريف في مصادرها يلاحظ ان الامثلة التي ترد عن ذلك يتنوع التغيير فيها دون ان ينص على ان هذا تصحيف وذاك تحريف وان منها ما يتعلق بتغيير النقط او الشكل او الحروف واحيانا الاعراب .

ومن كل ذلك نستخلص الامور التالية دون تحديد حاسم :

اولا : ان كلا من التصحيف والتحريف يطلقان على رواية الخطأ الناتج عن قراءة الرسم العربي ويدلان على مطلق التغيير والتبديل فيما يتعلق بذلك .

ثانيا : يكاد يكون من المتفق عليه ان التغيير الذي يحدث في النقط والشكل والحروف املائيا يندرج تحت « التصحيف والتحريف » اما التغيير في الشكل الاعرابي فالظاهر انه خارج عن هذا الموضوع ، فنماذجه قليلة في كتب المتقدمين الخاصة بالتصحيف والتحريف وان اكثر الصفدي - وهو متأخر - من

---

(1) التنبيه على حدوث التصحيف ص 36
(2) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 13
(3) منح المغيث في جواز اللحن في الحديث ص 5
(4) كشاف اصطلاحات الفنون جـ 3 ص 836 .

هذه النماذج فى كتابه « تحرير التحريف » لانه اعتمد فيه على كتب لحن العوام ، ونقل منها ما ضخم بـه كتابـه .

ثالثا : ان كلمة « التصحيف » فى هذا النوع من الخطا ذات شهرة تفوق فى ذلك كلمة « التحريـف » وربما كان ذلك لقرب دلالتها على هذا النوع وارتباطها بسببه الذي هو القراءة من الصحف .

رابعا : الفرق بين « التصحيف والتحريف » و « اللحن » أن النوع الاول يتعلق بالخطا المترتب على قراءة الخط ، اما الثاني فمنشؤه خطا النطق لعـدم اجادة اللغة .

لكن ما هو السبب أو الاسباب التي جعلت هذه الظاهرة تحدث فى رواية اللغة ؟ !

والاجابة على ذلك بعبارة مختصرة هي « يرجع السبب الاساسي فى ذلك الى الخط العربي وقابليته للتصحيف » ذلك ان حروفه متشابهة يميز بينها النقط التي توضع فوقها أو تحتها كما أن التمييز بين صيغ الكلمات يعتمد على الحركات التـي اعتبرت تابعـة للحروف، ولم تعتبر فى الرسم العربي حروفا مستقلة، بل رسمت أولا نقطا فوق الحروف وتحتها وبين يديها ولما حدث الاعجام ـ وهو نقط كذلك ـ ومع تقـدم الزمن ، احدث الخليل بن احمـد رسمهـا ابعاضـا للحروف ، كما هي الصورة المستعملة حتى اليوم .

فالخط العربي فى البداية لم يكن منقوطـا ولا مشكولا ، كما حدث ذلك فى المصاحف الخمسة التي كتبها عثمان للامصار ، واستمر الناس يقرؤون فيها ـ على هذه الصفة ـ ما يقرب من نصف قرن من الزمان، وفى عهد عبد الملك بن مروان ـ حين كثر الخطـأ والتغيير ـ وضع نصر بن عاصم ـ فيما يقال ـ النقط على الحروف للدلالة على ما سمي فيما بعد «بالشكل» ثم كان الاعجام الذي يميز بين الحروف المتشابهـة كالجيم والحاء مثلا ، وكانت نقط الشكل تبايـن فـى شكل المداد نقط الاعجام ، واستمر الامر كذلك على ما فيه من مشقة ـ الى أن احدث الخليل ـ فيما يقال ـ الشكل الذي يرسم على هيئة ابعاض الحروف فاراح الناس بذلك من مشقة الكتابة بنوعين من النقط .

فطريقة الرسم العربـي فى تشليـه حروفـه وتمييزها بالنقط وضبط نطقها بحركات ـ لم يكن لها رسم خاص بها مطلقا ، ثم رسمت منفصلـة وتابعـة للحروف العربية ـ يعود اليها المسئولية الاولـى عـن ظاهرة « التصحيف والتحريف » .

ومع ذلك فقد عاون على اشاعة هـذه الظاهـرة وخطرها « النساخ » الذين يسمـون « بالوراقيـن » اولئك الذين تنحصر جهودهم فى احتراف الوراقـة لنسخ الكتب العلمية وبيعها للناس ، ولم يكن النساخ والوراقون غالبا على علم باللغة ، حتى يتمكنـوا مـن التمييز بدقة بين كلمة وكلمة يعتمد التمييز بينهما على نقطة او حركة او تغيير احد الحـروف ، وحينئـذ يحدث الخلط بين ذلك فى الكتابة ، وهذا نفسه معنى التصحيف والتحريف .

ويشترك فى هذه المسؤولية ايضا ـ على قلة ـ علماء اللغة انفسهم ، فان احدهم قد يفهم الكلمة فهما خاصا يسوغه السياق له ، أو يسوغه هو لنفسه ، ثم يقرؤها ويرويها كما فهم وان لم يتفق ذلك الفهم مع اصلها وما قصده منها صاحبها ، ويترتب على ذلك ايضا حدوث التصحيف ، ومما يؤيد ذلك عناية مؤلفات « التصحيف والتحريف » بايراد تصحيفات العلماء فى قسم خاص بهم ، بل ان بعض هذه المؤلفات يفرق بين البصريين والكوفيين فى ذلك ، فيذكر أشهر العلماء من الفريقين مع ذكر نماذج من تصحيفات كل واحد منهـم ، وأول اثر فى هذا الموضوع ـ فيما اعلم ـ هو كتاب الصولى، وعنوانه « ما صحف فيه الكوفيون » وقد اورد حمزة الاصفهاني فى كتابه « التنبيه على حدوث التصحيف» قسما خاصا للعلماء سماه « تصحيفات العلمـاء فى شعر القدماء ص 68 وما بعدها » وعـدد مـن علمـاء المصريين خمسة وعشرين عالما ، فاورد نماذج مـن تصحيفاتهم ، وفعل مثل ذلك ابو احمد العسكـري ، فجعل قسما خاصا لـ(ما وهم فيه علماء البصريين) وقسما آخر عن « ما وهم فيه علماء الكوفيين » .

فهذه الامور الثلاثة السابقة ـ الرسم العربـي والنساخ ووهم العلماء ـ يعود اليها مجتمعة مسئولية « التصحيف والتحريف » وان كان الرسـم الكتابـي اعظمها مسئولية فى ذلك .

* قال حمزة الاصبهاني : الذي ابدع صـور حروف كتابة العرب لم يضعها على حكمة ، ولا احتاط لمن يجيء بعده وذلك انه وضع لخمسة احرف صورة واحدة ، وهي (الباء والتاء والثاء والياء والنون) وكان

وجه الحكمة فيه ان يضع لكل حرف صورة مباينة للاخرى حتى يؤمن عليه التبديل (1) .

* وقال الجاحظ من تحريف النساخ : لربما اراد مؤلف الكتاب ان يصلح تصحيفا او كلمة ساقطة فيكون انشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعاني ايسر عليه من اتمام ذلك النقص ، حتى يرده الى موضعه من اتصال الكلام .... ثم يصير هذا الكتاب بعد ذلك نسخة لانسان آخر فيسير فيه الوراق الثاني سيرة الوراق الاول ، ولا يزال الكتاب تتناوله الايدي الجانية والاعراض المفسدة حتى يصير غلطا صرفا وكذبا مصمتا (2) .

* وقال ابو احمد العسكري : فالاحتراس من التصحيف لا يدرك إلا بعلم غزير ورواية كثيرة وفهم كبير وبمعرفة مقدمات الكلام وما يصلح أن يأتي بعدها مما يشاكلها ،وما يستحيل مضامته لها ومقارنته بها ، ويمتنع من وقوعه بعدها ، وتمييز هذا مستصعب عسر (3) .

فهذه النصوص الثلاثة متجمعة تحتوي على العوامل التي يحدث بها التصحيف والخطا في رواية اللغة بناء على ذلك ، واخطرها ما ذكره الاصبهاني من « اتخاذ الصورة الواحدة في الكتابة للدلالة على الحروف المتعددة » وهذا — في فهمي — نموذج للتشابه بين الحروف في الصورة .

يترتب عليه التغيير والتبديل الذي هو معنى التصحيف والتحريف بصورة عامة تشمل هذا النموذج وغيره من مظاهر التغيير في الكتابة .

والجاحظ يصور بمرارة واسف ما يحدث للنصوص والمؤلفات من جناية وفساد بسبب تداولها بين النساخ — ومن ذلك التحريف طبعا — وما يعانيه المؤلف — ومثله المحقق — من مشقة اذا اراد اصلاح ما فسد او اكمال ما نقص .

وضمانات الاحتراس من التصحيف تتلخص — من النص الاخير — في كثرة الرواية وسعة الفهم واليقظة لسياق الكلام اوله وآخره ، وكل ذلك — كما قال العسكري — مستصعب عسر حتى على العلماء ، ولا غرابة اذن في حدوث التصحيف منهم .

اما الفكرة الثالثة والاخيرة في هذه الفقرة فهي بيان الصلة بين خطا التصحيف والتحريف — الذي يرجع في نشاته اساسا الى الرسم الكتابي — والبحث في اللغة .

ان الذي يرد على الذهن لاول وهلة ان هذا النوع من الخطا يتعلق بالرسم الاملائي وقصور الكتابة العربية ، وينبغي بحثه في هذا النطاق ، ولا شان لذلك بدراسة اللغة التي تتجه اصلا الى النطق لا الكتابة ، ويتفرع على ذلك أن الخطا الذي يوجه باحث اللغة اليه اهتمامه هو خطا اللغة حين تنطق ، اما الخطا الذي يعود للكتابة ، فيتكفل به ما سماه ابن قتيبة في كتابه « ادب الكاتب » تقويم اليد » .

ذلك اعتراض وارد ، وفيه كثير من الحق ، فان قضية التصحيف والتحريف تعود الى الرسم العربي قبل اي شيء آخر ، ولو كان الامر مقتصرا على ذلك ما كان لها مكان في البحث عن الصواب والخطا في اللغة ، لكن خطا الكتابة لم يقتصر عليها ، بل تعدى ذلك الى اللغة المنطوقة ، وبدا ذلك في مظهرين :

الاول : ان رواية اللغة مشافهة كان لها صلة قوية بالكتابة .

الثاني : ان قراءة الكتابة — وهي نطق — حملت اخطاء التصحيف والتحريف في معاني الكلمات وبنيتها، بل ومخالفة قواعد النحو احيانا .

ان رواية اللغة بطريقة علمية منظمة بدات نشاطها في القرن الثاني الهجري ، واول الرواة العلماء — فيما هو مشهور — ابو عمرو بن العلاء (ت 154) وحماد الرواية (ت 155) ، وقد عاصرهم وجاء بعدهم رواة اللغة الذين يعود الفضل الى جهودهم الرائعة في جمع التراث اللغوي القديم كله ، ومن المعروف ان هؤلاء العلماء الرواة لم يقتصروا في رواية اللغة على ما عاصرهم فقط ، بل رووا الكثير عن العصور التي سبقتهم في الجاهلية والاسلام مما لم يعاصروه ، ولم يسمعوا تاليه ، وقد وصلهم ذلك من طرق متنوعة كان

(1) التنبيه على حدوث التصحيف ص 36 .
(2) انظر : الحيوان ج 1 ص 79 .
(3) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 2 .

اهمها – كما قرر ذلك الباحثون في العصر الحديث(1) – ما كان مدونا بالرسم الكتابي وما دامت الكتابة لنصوص اللغة كانت مصدرا للرواية الشفهية التي تظاهر بها العلماء ، فقد انعكس خطأ التصحيف والتحريف بداهة على تلك الرواية الشفهية نطقا وقد اورد حمزة ابن الحسن الاصبهاني في كتابه « التنبيه على حدوث التصحيف » عبارة منطقية عن ارسطو تقول « كل كتابة تتشابه صور حروفها ، فهي على شرف تولد السهو والغلط والخطأ فيها ، لان ما في الخط دليل على ما في القول ، وما في القول دليل على ما في الفكر وما في الفكر دليل على ما في ذوات الاشياء » (2) ويصح لهم معنى هذه العبارة بطريقة اخرى بان نقول : ان ما في ذوات الاشياء ينعكس على الفكر ، وما في الفكر يعبر عنه القول والخط يثبت التعبير بالقول ويحافظ عليه، ويمكن الرجوع اليه حين ارادة النطق به مرة ثانية ، فاذا احتمل الخط الغلط والخطأ والوهم ، ظهر ذلك في النطق .

ويؤيد هذا الفهم النظري السابق ما حدث فعلا في كتب التصحيف والتحريف ، اذ ان وصفها لتحريف العلماء وتصحيفاتهم فيما اوردته من مواقف وامثلة جاء صريح الدلالة على ان ذلك قد حدث نطقا لا كتابة، وسماعا لا رسما .

ومما ساقه حمزة الاصبهاني من العلماء المصحفين نصا قوله :

* ابو عبيدة : روى بيت امرىء القيس :

تجاوزت احراسا واهوال معشر
على حراص لو يسرون مقتلي

اي : اظهروا ، والصواب في رواية الاصمعي (لو يشرون مقتلي) ومعناها : يظهرون .

* ابو زيد : حكى ابن دريد عن ابي حاتم قال : انشدت الاصمعي :

(جايا ترى بليله مسبجحا)

فقال : صحفت، وانما هو (ترى قليلة مسجحا) ثم قال : من انشدك ؟؟ قلت : اعلم الناس فتغافل عني– وانما عنى ابو حاتم ابا زيد .

* اللحياني : املى اللحياني (مثقل استعمان بدقنه) فقام اليه ابن السكيت – وهو حدث – فقال يا ابا الحسن ، انما تقول العرب (مثقل استعمان بدفته) لان البعير اذا رام النهوض استعان بجنبيه ، فقطع الاملاء . (3) .

فالرواية والانشاد والاملاء كلها من صفات المشافهة لا من صفات الكتابة ، مما يدل على ما نحن بصدده من ان التصحيف والتحريف وان كان منشؤهما الرسم والكتابة ، فقد حمل خطاهما نطق اللغة وروايتها

ولقد سبق ان مظاهر التصحيف والتحريف تكون في تبادل الحروف المتميزة بالنقط ، او الشكل الذي يحدد نطق هذه الحروف ، ويفرق بين الصيغ ، او وضع حرف مكان آخر واحلاله محله مما يغير نطق الكلمة ، وينتج من ذلك احيانا مخالفة بعض الظواهر النحوية وان كان ذلك قليلا .

والذي يترتب على تبادل الحروف المتميزة بالنقط في التصحيف حدوث كلمات جديدة ذات معنى مخالف لما اراده منتج النص اصلا ، وقد تكون الكلمات المجدلة من التصحيف لا معنى لها على الاطلاق ، وانما هي هراء لغوي لا يفيد شيئا .

اما تغيير شكل الحروف فيترتب عليه في النطق امثلة جديدة تندرج تحت صيغ صرفية مخالفة لما كانت عليه قبلا ، وقد تخرج عن صيغ الصرف ومقتضيات اللغة اصلا ، فيحكم عليها بالخطأ ، والاول من هذين النوعين انحراف في المعنى ، والثاني انحراف لغوي في بنية الكلمات .

وتغيير الحروف غير المميزة بالنقط يترتب عليه ايضا كلمات جديدة ذات معنى مغاير لما قصده منها صاحبها الاصلي ، او كلمات محرفة البنية يحكم عليها ايضا بالخطأ .

---

(1) انظر : مصادر الشعر الجاهلي ، فقد تكفل البحث كله باثبات طرق نقل اللغة الى العلماء ومنها الكتابة . وساق لذلك ادلة مقنعة .
(2) التنبيه على حدوث التصحيف ص 37 .
(3) انظر : السابق ص 69 و 77 و 93 على التوالي .

واما ما يترتب على التصحيف والتحريف من خطأ النحو ، فيبدو اذا حدث التغيير في شكل آخر الكلمة او استخدام اداة في تركيب لغوي لا يتطلبها المعنى النحوي له ، وهذا الصنف وان كان قليلا الا انه يمثل جانبا يستحق الدراسة والاهتمام .

واليك نماذج قليلة تمثل الاصناف السابقة واحتمالاتها :

اولا : التغيير في الحروف المميّزة بالنقط :

* عن ابي عمرو الشيباني قال : كنا بالرقة فانشد الاصمعي :

عنتا باطلا وظلما كما تعنز عن حجرة الربيض الظباء

فقلت له : انما هي (تعتر) من العتيرة . والعتر : الذبح ، فقال الاصمعي (تعنز) اي : تطعن بالعنزة ، وهي الحربة ، وجعل يصيح ويشغب ، فقلت : تكلم كلام النمل واصب ، والله لو نفخت في شبور يهودي، وصحت الى التناد ، ما نفعك شيء ، ولا كانت الا (تعتر) (1) .

* ومن الجاحظ قال : مررت بمعلم وهو يلقن صبيا :

يا ابا الغباش جشى
اخرج الفتيان غشا

لبش في الارض ابياس
شرنوا املح مشا

فقلت : بالعبرانية هذا ؟ ! قال: لا ، هو بالعربية، فلما تأملته اذا هو مكتوب :

يا ابا العباس حيى
اخرج الفتيان منا

ليس في الارض اناس
شربوا املح منا

فقلت : ايها المعلم ، انك ضائع بهذا البلد ، قال: نعم ، فدور ومرازيق (2) .

ففي النموذج الاول ترتب على تغيير نقط الحروف وجود كلمتين هما (تعتر) و (تعنز) تنازع حولهما الشيباني والاصمعي ، وكلاهما صحيح لغة ومعنى .

اما النموذج الثاني فان تغيير نقط حروف الكلمات فيه أنتج كلمات لا معنىً لها حتى ظنها الجاحظ كلاما « بالعبرانية » وقدم للمعلم بسببها النصح الساخر قائلا « ايها المعلم ، انك ضائع بهذا البلد .

ثانيا : التغيير في شكل الحروف :

* قال خلف الاحمر : انشد المفضل للمخبل :

واذا الم خيالها طرقت
عيني ، فماء شئونها سجم

فقلت : انما هو (طرفت) فلج ساعة ، ثم رجع منه (3) .

* قال ابو احمد العسكري : ومما يقع فيه التصحيف حتى شك في ذلك بعض العلماء ، فجعل له تفسيرا آخر — روى أن النبي (ص) اتاه الملكان ، فشقا بطنه ، ثم قال احدهما (ايتني بالسكينة) فرواه بعضهم (ايتني بالسكينة) بكسر السين على انها مؤنث (سكين) وانما هي (السكينة) بفتح السين والكاف غير المشددة .

قال : وقد فسره ابن الانباري على انه لغة في (السكين) واكثر اهل اللغة لا يعرفون ادخال الهاء فيها، وهذا ذهاب عن الصواب (4) .

ففي النموذج الاول غيرت (طرفت) الى (طرقت) فوجدت كلمة جديدة ، وكل منهما تختلف عن الاولى في الصيغة الصرفية ، علاوة على ما غير من النقط فيهما ، وكل منهما صحيحة من حيث الصيغة والمعنى.

اما الثاني فان التصحيف بتغيير الحركات انتج كلمة ليست من اللغة ، وحكم عليها العسكري بأنها « ذهاب عن الصواب » .

---

(1) المزهر ج 2 ص 359 — شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 93 مع اختلاف يسير .
(2) محاضرات الادباء ج 1 ص 63 .
(3) التنبيه على حدوث التصحيف ص 78 .
(4) تصحيف المحدثين ص 126 .

ثالثا : التغيير في الحروف غير المنقوطة :

* روى الاصمعي بيت « أوس بن حجر »

اجون تدارك ناقتي بقرالهـــا
واكبر ظني ان جونا سيفعـــل

قال ابن الاعرابي : صحف الدعى ، انما هـــو (تدارك ناقتي بقرابها) اي : ما دمت اطمع فيها (1).

* ورد في كتاب « دليل لغة العرب » الكلمات الآتية والتعليق عليها .

الماس ــ الماظ تحريف

ببغان ــ ببغلن تحريف (2)

وفي النموذج الاول واضح الفرق بين (ترى لها) و (قرابها) بسبب تغيير الباء باللام، واما الامثلة الاخيرة فالصورة الحادثة بالتحريف صورة خاطئة لغويا ، فالكلمتان حرفتا نتيجة تغيير السين ظاء في الاولى ، وتغيير الباء غينا في الثانية .

رابعا : ظواهر النحو في التصحيف :

* عن ابي عمرو قال : انشدت الفرزدق وبده في يدي لابن أحمر :

فاما زال ســـرح عن معـــد
واجدر بالحوادث ان تكونـــا

فلا تصلى بمطـــروق اذا مـــا
سرى بالقوم اصبح مستكينـــا

فقال لي : ارشدك ام ادعك ؟ ! قلت : ترشدني ، قال : اذا كان ممن يسرى بالحى ، فليـــس بمطـــروق وانما هو (اذا سرى في الحى) فعلمت اني اغفلت ذالك، وان الامر كما قال .

وهذا من التحريف لا من التصحيف (3) .

فمن الواضح ان الخطا في الجملة جـــاء مـــن استخدام حرف الجر (الباء) في الموضـــع الـــذي يقتضي فيه المقام حرف الجر (في) وهو خطا يعود الى المعاني التي ترد في النحو لاستخـــدام حـــروف الجر في مواطنها المناسبة ، وقد علق العسكري على ذلك بانه من التحريف لا من التصحيف ، ويبـــدو ان هذا الفهم لما يشمله التحريف من بعض ظواهر النحو قد اتسع مداه فيما بعد حتى سوغ ذلك للصفدي في القرن الثامن الهجري أن يورد في كتابه « تصحيـــح التصحيف وتحرير التحريف » ما يشمل مظاهر اللحن في النطق ، ولا يقتصر في ذلك على النطق المترتـــب على الخطا في الكتابة .

واخيـــرا :

فان الذي سوغ لنا في البحث عـــن الصـــواب والخطا في اللغة ان نتعـــرض لقضيـــة « التصحيـــف والتحريف » ــ مع انهما يرجعان اصلا لرسم الكلمـــات وكتابتها ــ ما تبين مما سبق عرضه من الصلـــة بين الكتابة والرواية الشفهية من ناحية ، وما ترتـــب على الامرين معا من الخطا اللغـــوي المنطـــوق في معانـــي الكلمات وبنيتها الصرفية ، وبعض الظواهر النحوية .

---

(1) التنبيه على حدوث التصحيف ص 74 .
(2) دليل لغة العرب ص 32 .
(3) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 77 .

تعليق ونقد

علال الفاسي
الأستاذ بجامعة القرويين وجامعة محمد الخامس

ان هذا البحث طريف وقيم تناول فيه الدكتور محمدعيد قضايا اللحن ، والتصحيف والتوليد والتعريب في ضوء علم اللغة الحديث :

تحدث أولا عن معنى « اللحن » في الكلام العربي والتطور الذي حدث في استعماله وفي وسائل مقاومته ، فقد عرف اللحن أولا بمعنى الفطنة والذكاء وبالتظرف في الحديث ، حينما يخلط بالكلام الاجنبي او الكلام الذي يتعمد فيه الخطأ .

ثم اطلق اللحن على التورية وهو الذي عمل لهابن دريد كتابه الملاحن .

ثم استعمل اللحن في الخطأ في المعاني . وفيه الف الفاضل بن سلمه كتابه الفاخر « فيما تلحن فيه العامة » .

كل هذه الاطلاقات استعملت في معنى اللحن،فصلها المؤلف واستدل لها ولكنه لم يذكر تاريخ التطور الذي تحدث عنه بالمعنى الدقيق للتاريخ .وعلى كل حال فالبحث يتناول بالذات اللحن بمعنى خروج الكلام الفصيح عن مجرى الصحة في بنيسة لكلام او تركيبه او اعرابه بفعل الاستعمال الذي يشيع اولا بين العامة ويتسرب بعد الى الخاصة .

ولا شك ان هذا اللحن امر طاريء على اللغة اذالمفروض في كلام العرب هو الصحة وما حاد عنه يعتبر خطأ .

ثم يتحدث المؤلف عن السمات التي يوصف من اجلها الكلام باللحن . ومنها الخطأ في الاعراب كنصب الفاعل ورفع المفعول . وكذلك وضع الكلمات في غير موضعها وخطأ المعاني كقولهم خرجنا نتنزه اذا خرجوا الى البساتين مع ان التنزه هو التباعد عن المياه والارياف ، ومنها استعمال الطرب في الفرح فقط والحشمة في الاستحياء .

وقد اوضح المؤلف سر اعتبار هذا لحنا ،وزعم انهم لم يراعوا تطور الدلالة في الكلمة ، مع ان الكلمات ليست احجارا جامدة .

ثم حاول تفسير الخطأ في احلال بعض الحروف محل بعضها كقولهم دخل في غمار الناس ، مع ان العرب تقول دخل في خمار الناس ـ بالخاء لابالغين ـ بالتطور الصوتي . وبعد ان عدد عشرة أمثلة تتعلق ببنية الكلمة قال : ان الحكم عليها بالخطأ جاءفي ضوء القواعد الصرفية ، ثم اشار الى عناية العلماء بهذا النوع من الخطأ .

ثم ذكر امثلة عشرة ، لنماذج الخطأ في التركيب والاعراب كقولهم شكرت لك ونصحت لك، والصواب شكرتك ونصحتك ، ويبين ان الكثير منها يتعلق بتاليف التركيب العربي والامر الذي استقر عليه ، وهو من مباحث علم النحو . وقد اكد ان ايراد مثل هذه الاخطاء النحوية في دراسة (لحن العامة) ايراد لما حدث في اللغة الفصحى ، ويكون مقصورا على أوساط العلماء وان اطلقوا عليهم العامة ، بخلاف النماذج الاخرى فانها عمت مختلف الطبقات .

وقد اوضح صعوبة الوصول الى معرفة تاريخ بدء اللحن وتطوره في العصر الجاهلي ، وان انتقد النحاة بعض العبارات الجاهلية لمغايرتها للقواعد النحوية والصرفية الموضوعتين من بعد .

ولكن اللحن تردد عند العرب مع ظهور الاسلام على أنه كان معروفا . وفي عهد الامويين اصبح اللحن ظاهرة خطرة في استعمال اللغة ، وترتب عنها نشاط علمي متنوع . جاء بامثلة منه كالرحلة للبادية وتاليف الكسائي كتابه الذي لا يزال موجودا بين يدينا (ما تلحن فيه العامة) .. واستمرت موجة اللحن قوية مندفعة ، فالقرن الثالث اقل فصاحة من القرن الثاني واكثر لحنا . وفي القرن الرابع وصل اللحن الى مداه .

لماذا كان موقف علماء اللغة من هذه الظاهرة ؟

نظر العلماء الى هذه الظاهرة من جهة الخطأ ، فقاوموه بعنف ، وبدأت مقاومتهم منذ القرن الثاني ، وهنا جاء بقائمة لاسماء العلماء الذين كتبوا في تقويم اللحن ، تصل حد الثلاثين كتابا .

ثم لاحظ ان هذه المقاومة كانت في القرون الثلاثة الاولى قوية ثم ضعفت بعد .

وقد اعتمد اللاحقون على جهود السابقين ، دون ان يحاولوا استشهادات جديدة وسماعات من العرب غالبا .

وقصدوا غالبا بالعامة الناس العاديين بدليل قولهم الخواص او الخاصة . وجهودهم كلها تنصرف الى تنقية اللغة الفصحى .

لا وجود في هذه الكتب لحديث عن اللحن فكرة وموضوعا .

ثم يتساءل هل نجحت هذه الجهود التي قام بها اولئك العلماء ؟

وفي فصل خاص يحلل هذا الموضوع ارادة الجواب عن السؤال ، ويقول ان تحديد نظرة النحاة الى اللحن امر يسير ، لانهم نظروا اليه من زاوية الخطا واعتبروه انحرافا ولم يأخذوا في الاعتبار قوة الاستعمال وقهره والتطور الذي يمكن ترتبه على ذلك . مع ان لحن النحويين انفسهم في الاستعمال دلالة على خطورة الاستعمال . والخلاصة انه يؤكد في النهاية ان ما اطلق عليه النحاة منظور اليه من زاوية الخطأ ، وقبل ان يبين مدى نجاحهم فيما قصدوا اليه ، جاء بفصل في :

معنى التصحيف والتحريف وعلاقتهما باختلاف المعنى والبنية والاعراب، وانتهى الى القول بأن مجال البحث في الكلمتين واحد ، وهو البحث عن الخطأ الذي يحدث في نطق الكلمة العربية نتيجة الخطأ الاملائي .

ولم تستعمل الكلمتان دائما في مكان واحد ، بل في معان لها صلة بالخطأ ، من جهة :

1 ـ من جهة التحديد النظري لمعنى التصحيف والتحريف .
2 ـ سبب وقوع ذلك في الكتابة العربية خاصة .
3 ـ علاقة مظاهر الخطأ التي ترتبت على ذلك .

وقد فصل هذه الجهات الثلاث وارجع السبب في ذلك الى الخط العربي الذي لم يكن منقوطا ولا مشكولا . ثم ميزت حروفه بنقط وحركات منفصلة وتابعة للحروف العربية ، وبسأل كذلك عن هذه

المسألة علماء اللغة الذين يعطون لانفسهم حرية روايةالكلمة كما فهموها من السياق .

فالمسؤول اذن الرسم العربي ، والنساخ ووهم العلماء .

وبعد ان اتى بنماذج تمثل الاسباب السابقة ،عقد فصلا لمقاومة التصحيف والتحريف باسلوب الرواية وتنقية الاخطاء فذكر تطور ذلك على ما يأتي :

1 ـ ضبط الكتابة العربية بالنقط والشكل .

2 ـ ضرورة المشافهة فى رواية اللغة .

3 ـ تنقية الاخطاء بجمعها فى مؤلفات .

وقد جاء بانتقادات للعلماء على هذه الاساليب الثلاثة وعدم كفايتها لوقاية اللغة من التصحيف والتحريف .

ولاحظ ان هذا الجانب الذى هو تنقية اللغة بجمع ما صحف وحرف فى مؤلفات جانب دراسي بدأ فى القرن الرابع الهجري، كتب فيه المؤلفون الذين لم يكتفوا بنماذج التصحيف بل اضافوا الى ذلك تناول قضية التصحيف والتحريف من حيث نشأتها وعواملها .

ثم تساءل : اكان هذا المجهود حلا للقضية ؟

وقبل الجواب عن ذلك عقد فصلا :

لمعنى التوليد فى الالفاظ ومصادره اللغوية .

1 ـ ثم جاء بعرض تاريخي للمولد من حيث استعمال اللفظ ودراسة العلماء لظاهره .

2 ـ وبالتحديد النظري لمعنى التوليد كما رواه الاقدمون .

3 ـ وتحدث عن مصادر التوليد فى الالفاظ ودراسة العلماء لنماذجه .

وبعد ان فصل هذه الموضوعات تساءل ايضا عن:

مدى توفيق العلماء فى مباحث التوليد ؟

وقبل الجواب عنه ايضا انتقل الى بحث عن :

حركة التعريب وتطورها استعمالا ودراسة .

وطبعا فانه يعني بالتعريب معناه الاصيل الذى هو ادخال كلمة اعجمية فى الكلام العربي وتبنيها ، لا بالمعنى الحديث الذى نستعمله حينما نطالب بتعريب التعليم والادارة مثلا .

وقد بين فى هذه الفقرة :

1 ـ الصورة العلمية لحركة التعريب فى الكلام العربي فى عصر الاستشهاد

2 ـ الصورة العلمية لدراسة المعرب فى الكلام العربي بعد عصر الاستشهاد .

وقد اجاد فى بحث الموضوعين وما تفرع عنهما كوجود الدخيل فى القرآن ، وجاء بقائمة المؤلفات المهمة فى موضوع التعريب .

ولاحظ ان التأليف فى هذه الظاهرة تأخر نسبيا .

وضمنت فكرة التمهيد لذكر الكلمات المعربة بمقدمة علمية تتناول الافكار الخاصة بهذه الظاهرة .

3 ـ كلمة الدخيل جعلت عنوانا لبعض الكتب فى موضوع التعريب .

4 ــ من المؤلفات كتب فى التعريب وضعت اخيرا الامر الذى يدل على انه لا يريد تناول التعريب فى القديم فقط .

ــ اما الجانب اللغوي فقد عرض فيه نظر الاقدمين للمعرب وجهودهم فى اخضاعه لمسلك الصيغ العربية .

وقد فصل القول فى هذا الجانب واتى بتدقيقات مهمة .

ثم تساءل ماذا يستنتج من موقف علمائنا الاقدمين ازاء النقل من اللغات الاجنبية ؟

يتلخص ذلك فى امرين :

1 ــ قصر المعرب على العرب وحدهم الذين عاشوا فى فترة زمنية خاصة .

2 ــ فرض قواعد الصيغ العربية على استعمال المعرب من لغات متعددة

ولتقييم ذلك احال المؤلف على القسم الاخير الذى يجيب فيه عن الاسئلة المتقدمة .

وفي هذا القسم تناول راي علم اللغة الحديث في :

1 ــ اللحن بين تحكم القواعد وتطور الاستعمال

2 ــ التصحيف والتحريف من مظاهر الرسم العربي .

3 ــ الالفاظ المولدة فى ضوء تطور اللغة .

4 ــ التعريب بين قيود النحاة وحاجة الاستعمال .

وقد فصل آراء العلماء اللغويين المعاصرين فى هذه النقط وبين ميزة التسامح التى ظهروا بها ازاء المسألة الاولى ، وادلى بآراء اللسنيين عرب واعاجم ودعا الى :

1 ــ تنحية الفكرة القديمة عن المجموعة المدونة فيما تلحن فيه العوام واعتبارها تطورا يهدينا الى دراستها فى مراحل استعمالها

2 ــ النظر فى هذه المادة ودراستها مع غيرها من النصوص الموثقة فى عصرها ليعلم مدى انتشارها فى الاستعمال فيقبل منها ما تحقق له ذلك .وتناول بعد ذلك امر التصحيف والتحريف وابدى اعجابه بجهود العلماء فيها وقال : ان العلماء بعد ان عرفوا الضعف الموجود فى الرسم العربي لم يحاولوا تغييره ، وقال ان الرسم العربي شأن غيره فى اللغات الاخرى قد يشتمل على عيوب ، وهذه العيوب ينبغي احتمالها والرضا عنها ارتكابا لاخف الضررين ،واستدل على ذلك بنص للعالم اللسني فندريس .

اما من المولد فقد اعتبر ان الالفاظ المولدة مظهر لتطور اللغة .

وان موقف النحاة من هذه الالفاظ قد تحكمت فيه اعتبارات اعترفوا بها ثم استسلموا لها ، وينتقد عليهم خروجهم عن واجب الاستقراء الى الحكم بالاباحة او المنع على الالفاظ واعتبر ان الحق المعطى لبعض الناس فى ظروف معينة ينبغي ان يعمم على كل جماعة وكل عصر فيقبل ما ولدوه من كلمات دعت اليها حاجة اللغة وهدت اليها سليقتها .

ثم انتهى باستخلاص نظرة المحدثين للعوامل الطارئة على اللغة .

1 ــ اعتبار التطور فى اللغة من اسس النظرية الحديثة للمستوى اللغوي ، وتفسير هذا التطور حسب راي ــ فيرس ــ التغيير المستمر بين عناصر اللغة .

2 ــ لا تتطابق الكتابة لاية لغة مع نطق هذه اللغة فنحن، كما يقول فندريس، لا نكتب كما نتكلم بل نكتب كما يكتب غيرنا .

3 ـ ان تغير الظروف الاجتماعية ينعكس تأثيره على الالفاظ من حيث اختفاء بعضها واندثاره وحدوث الاخر واستعماله .

4 ـ نقل الالفاظ من اللغات الاجنبية يخضع للحاجات الاجتماعية المتجددة للناطقين انفسهم ، وهذا امر عادي لا خطر فيه .

اعتبر ان هذا الكتاب يكون بحثا قيما خاضعا للمناهج البحث اللغوي الحديثة متسلسلا في افكاره وموضوعاته وفي الاستنتاجات المترتبة عليها ، وانه استقرأ باختصار مباحث الاقدمين عن العوامل الطارئة على اللغة بكيفية لم يسبق جمعها في كتاب حديث ، ثم اعاد تقييمها على ضوء آراء علماء اللسنيات ، ومباحث العرب التي شغلت اوقات المجامع العربية ازيد من نصف قرن ، ولم يتقدم المؤلف باقتراحات تلقائية في تجديد اللغة خارجة عما ورد على السنة الباحثين المجمعين في الشرق العربي . ويظهر ان المؤلف لم يطلع على بعض البحوث التي قام بها المغاربة المختصون لاسيما في اصلاح الرسم العربي الذي وضعه الاستاذ الاخضر والذي يسعدني ان اقول مرة اخرى انه يصلح من عيوب الرسم العربي الشيء الكثير ، كما انه فيما يظهر لم يطلع على جهود مكتب التعريب المغربي ومحاولته لاحصاء كلمات الحضارة واستقرائها والاكتفاء بما هو موجود منها في كتب اللغة او في المجتمعات العربية من اتخاذ الدخيل الذي ينزع اليه عند عدم وجود الاصيل .

والكتاب بهذه الصفة جيد وجدير لقبوله من اللجنة المحترمة واجازته ، وبالمقارنة مع المباحث الاخرى، وآراء المقررين فيها يقع التفاضل ويتم الترجيح ، وان كنت اوصي بكل اخلاص بمجازاة هذا المؤلف على جهده المشرف وطبع رسالته .



الأضداد في اللغة

الأستاذ حسين محمد (القاهرة)

ونحن ننشر فى هذا العدد من مجلتنا القسم الاول من البحث ((حول الاختلاف فى مفهوم الاضداد)) مرجئين الى العدد المقبل بحول الله القسم الثاني حول((جمع الاضداد وتدوينها)) :

لا يماري انسان اتصل بالعرب او ادبهم او ثقافتهم ادنى اتصال انهم يرتبطون بلغتهم ارتباطا قل ان نرى مثيلا له فى الامم الاخرى ، وان هذا الارتباط جعلهم يلتزمون بها ، ويشعرون بكل تغيير — مهما كانت تفاهته — يجري عليها ، ويحاولون المحافظة عليها ما وسعتهم المحاولة ..

وكانت الثمرة على النحو واللغة . فقد اخذ العرب يتحدثون فى شيء من مسائلهما منذ وقت مبكر ، لسنا على يقين منه ، بل ربما رجع الى ما قبل الاسلام ، كما تنبيء بعض اخبارهم . ولست اريد ان اضرب فى وادي الاوهام ، او اركن الى الظنون . فما اتحدث عنه فى هذا الكتاب غني عن ذلك ..

فلا جدال ان علماء بالعربية اخذوا يظهرون فى المجتمع، ويحملون هذه الصفة ، فى القرن الثاني ، بل ربما لا اغالي اذا قلت اواخر القرن الاول . ولم يرد جهد الاولين من هؤلاء «العلماء بالعربية» على مدارسة تلاميذهم ، ومناقشتهم . ثم جاء خلف لم يرضوا بهذا الجهد وحده ، وطمحوا الى «التدوين» : تدوين ما قال شيوخهم ، وما وصل اليه جهدهم الخاص ..

وكانت الثمرة — فى المجال اللغوي الخاص — رسائل تحاول ان تجمع الفاظا لغوية ذات طابع خاص. ولا يهم ان يكون ذلك الطابع من معناها ، كان تكون هذه الالفاظ جميعا تتحدث من الابل وما تعلق بها ، فتعطينا الرسائل اللغوية على الموضوعات . او يكون ذلك الطابع من المصدر الذى وردت فيه ولفت الانظار ، كان تكون فى القرءان او الحديث ، فتعطينا رسائل غريب القرءان ، وغريب الحديث . او يكون ذلك الطابع من ظاهرة لغوية تغلب عليها كان تكون هذه الالفاظ مهموزة ..

ومن الضرب الاخير « الفاظ الاضداد » . فقد كان الذى لفت الانظار اليها ما تتحلى به من ميزة خاصة ، اذ ترد بصورة واحدة ، ولكنها تدل على معان يتقابل منها اثنان تقابلا تاما ..

ولم يكن تدوين الاضداد فيما نعرف من الرسائل اللغوية الاولى ، ولكنه تاخر عنها قليلا . وفى القرن الثاني تنبه اللغويون اليها ، فشرعوا يلتقطونها ، ويشيرون اليها ، ويتحدثون عنها .

وكانت الثمرة الطبيعة اول تدوين للاضداد فى اللغة العربية . وكانت هذه الثمرة الاولى باكورة عدة ثمار : جمعت الاضداد او درستها . وحول هذا الثمار ندور فى الصفحات الاتية : متاملين، ومتذوقين، ومقدرين ..

ودعائي الى الله ان يمنحني القصد فلا اجور ، والقدرة فلا اعجز ..

تعريـــف الاضـــــداد

ان من اقدم الامور التى تطلع اليها علماء اللغة العربية الاولون التفرقة بين الانواع التى يمكن ان تنقسم اليها الكلمة . فالقدماء يكادون يجمعون ان علي بن ابي طالب اول من تحدث فى قضايا نحوية ، ويذهب بعضهم انه اكتشف ان «الكلام كله اسم وفعل وحرف ..» (1) .

ولست فى صدد دعم هذا الكلام او دحضه ، انما يهمني ان القدماء كان فى خلدهم ان تقسيم الكلام العربي كان اول قضية نحوية . واذن فغير غريب ان يكون من اقدم القضايا اللغوية تقسيمات اخرى ..

واقدم ما يعنيني من هذه التقسيمات ما اورده سيبويه فى صدر كتابه ، دون ان يبين انقله من احد شيوخه أم كان من ابتكاره . والتقسيم الذي اورده ثلاثي ايضا يمكن ان اضعه على النحو التالي (2) :

ان من كلامهم :

1 ـ اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ... نحو جلس وذهب .

2 ـ واختلاف اللفظين والمعنى واحد ... ذهب وانطلق .

اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ... : وجدت عليه : من الموجدة ، ت : اذا اردت وجدان الضالة ..» .

بالنوع الثاني ما سماه اللغويون النوع الثالث ما سموه المشترك ..

ما دونه سيبويه « كتاب » النحاة رجعوا اليه وافادوا منه : وكان كان طبيعيا ان نجد هذا التقسيم . وكان طبيعيا بل اوغل فى هذا القول ـ ان نجد هذا التقسيم فى صدر كتابه الذى الفه فى الاضـداد ، ولـم يـزد عليـه غيـر شـيء مـن البسط والشرح والتمثيـل والتفريـع . قال ابـو علي قطرب : « الكـلام فى الفاظـه بلغـة العـرب على ثلاثة اوجه :

1 ـ فوجه منها ـ وهو الاعم الاكثر ـ اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، وذلك للحاجة منهم الى ذلك . وذلك قولك : الرجل ، والمراة ، واليـوم ، والليلة ، وقام ، وقعد ، وجاء ، وذهب . اختلـف اللفظان لاختلاف المعنيين . وهذا لا سبيل الى جمعه وحصره ، لان اكثر الكلام عليه ». وقد نشعر من هذه العبارة الاخيرة ان قطربا لم يسمع بمحاولة الخليل بن احمد الفراهيدي جمع اللغة فى كتاب العيـن ، والحق ان القدماء يقولون ان كتاب العين لم يرد الى البصرة من خراسان الا فى زمن متاخـر من وفـاة قطـــرب ..

2 ـ والوجه الثاني اختلاف اللفظين والمعنـى متفق واحد . وذلك مثل عير وحمار ، وذئب وسيد ، وسمسم وثعلب ، واتى وجـاء ، وجلـس وقعـد . اللفظان مختلفان والمعنى واحد .. وكانهم انما ارادوا باختلاف اللفظيـن ، وان كان واحـد مجـزئا ، ان يوسعوا فى كلامهم والفاظـهم ، كما زاحفـوا فـى اشعارهم ليتوسعوا فى ابنيتها ، ولا يلزموا امــرا واحدا ..

3 ـ والوجه الثالث ان يتفق اللفظ ويختلـف المعنى ، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعدا . وذلك مثل الامـة يريد الديـن ، وقـول الله : « ان ابراهيم كان امة قانتا لله » منه .. والامة : القامة ، قامة الرجل . والامة من الامم .

ومن هذا اللفظ الواحد الذى يجيء على معنيين فصاعدا ما يكون متضادا فى الشيء وضده » . وعلى هذه الصورة وصل قطرب الى غرضه ، اذ ابان ان هذا المشترك من الكلمات ـ الذى ذكره سيبويـه ـ نستطيع ان نجد تحته فئتين من الكلمـات : فئـة تختلف معانيها مثل الامة ، واخرى يزداد التخالـف الى ان تتضاد ، وهي « الاضـداد » التى الف من اجلها الكتاب ..

---

(1) نزهة الالباء 2 .

(2) الصاحبي لابن فارس 96 ، 201 ، والمزهر للسيوطي 1 : 388 ـ 9 .

وانتقل هذا التقسيم من كتاب قطرب الى كتاب اخر في الاضداد ، هو الذي الفه ابو بكر بن الانباري (4) . فقد اورده هذا برمته في مقدمته ، واضاف اليه بعض التوضيح والاعتراض . فقد روى ان ابن الاعرابي اعترض على المترادفات ، وانكرها ، واعلن ان كل كلمة منها لها معنى ليس في اختها ، احيانا نعرفه واحيانا لا نعرفه . وارتضى ابن الانباري راي ابن الاعرابي ودعمه بالحجج التي تؤيده . وصرح ابن الانباري ان الوجهين الاولين من الكلام ، اكثر كلامهم » ، اما الاضداد فاتفق هو وقطرب على قلتها ..

واذا نظرنا الى حديث قطرب السابق عن الاضداد وجدناه موجزا ومبهما ، لا يعطينا تعريفا شاملا دقيقا لها . وقد حافظت الكتب بعد قطرب على هذا الابهام . فاكتفى ابو حاتم السجستاني بان قال في مقدمة كتابه : « ضد الشيء : خلافه وغيره » . وقال ان الانباري في وصف كتابه (5) : « هذا كتاب ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة فيكون الحرف منها مؤديا عن معنيين مختلفين » .

وكان ابو الطيب اللغوي هو الذي ازال كل ابهام عن اللفظ ، حين عرفه في صدر كتابه فقال (6) : « الاضداد جمع ضد . وضد كل شيء ما نافاه ، نحو البياض والسواد ، والسخاء والبخل .. وليس كل ما خالف الشيء ضدا له . الا ترى ان القوة والجهل مختلفان ، وليسا ضدين ، وانما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم . فالاختلاف اعم من التضاد ، اذ كان كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين » .

الاختلاف في وجود الاضداد

وقد اختلف موقف اللغويين القدماء من هذا النوع من الالفاظ . فارتضى جماعة منهم وجودها ، واعترف بها ، وتحدث عما يندرج تحتها من الفاظ ، ومثلها احيانا . وكانت هذه الجماعة اسبق في الظهور من معارضتها ، اذ كان منها ابو عمرو بن العلاء والخليل ابن احمد ويونس بن حبيب وتلاميذهم . واستمر المنتسبون اليها في البقاء الى يومنا هذا . اما الجماعة الاخرى فاعترضت على الاضداد ، وانكرتها . ولا نعرف من انتمى اليها من القدماء غير عبد الله بن جعفر المعروف بابن درستويه (7) . وكثر اتباعها في العصر الحديث . فكان منهم عبد الفتاح بدوي كاتب مقالة « ضدان » في دائرة المعارف الاسلامية (مادة اضداد) وكان منهم اغلب المستشرقين ، الذين كتبوا المقالات والرسائل الصغيرة في رفض الاضداد ..

وبسبب هذا الاختلاف ، اضطر مؤيدو الاضداد الى الدفاع عن وجودها ، والرد على ما قاله المعارضون . ولعل اهم من قام بهذا العمل احمد بن فارس ، وابن سيده ، ومحمد ابن القاسم الانباري. اما الاولان فقد وجدت عندهما الدفاع . واقامه ابن سيده على الجدل العقلي ، فقال لشيخ منكر للاضداد (8) : « هل يجوز عندك ان تجيء لفظتان في

---

(4) 6 – 8 .

(5) 1 .

(6) 1 .

(7) ذكر الجواليقي في شرح ادب الكاتب ان ثعلبا انكر الاضداد ، وقال : « ليس في كلام العرب ضد .. لانه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالا، لانه لا يكون الابيض اسود ولا الاسود ابيض . وكلام العرب – وان اختلف اللفظ – فالمعنى يرجع الى اصل واحد » (ادب الكاتب 177)
والغريب ان تلميذه ابن الانباري لم يذكر ذلك ، بل اكثر من الرواية في كتابه عنه الى درجة تجعل المرء يوقن ان ثعلبا من القائلين بالاضداد . وروى عنه ما يدل على ان ثعلبا اعلن ان اللفظ قد يفيد مقابل معناه ، لعلة من العلل . قال : « قال ابو العباس (ثعلب) : انما جاز ان يقع الظن على الشك واليقين ، لانه قول بالقلب . فاذا صحت دلائل الحق ، وقامت اماراته كان يقينا . واذا قامت دلائل الشك ، وبطلت دلائل اليقين ، كان كذبا . واذا اعتدلت دلائل اليقين والشك كان على بابه شكا ، لا يقينا ولا كذبا » (الاضداد 16) .

(8) المخصص 13 : 259 .

اللغة متفقتان لمعنيين مختلفين ؟ (يشير الى المشترك) فلا يخلو فى ذلك ان يجوزه او يمنعه . فان منعه ورده ، صار الى رد ما يعلم وجوده وقبول العلماء له ، ومنع ما ثبت جوازه ، وشبهت عليه الالفاظ ، فانها اكثر من تحصى وتحصر ، نحو « وجدت » الذى يراد به العلم ، والوجدان ، والغضب ، و «جلست» الذى هو خلاف قمت ، و «جلست» الذى هو بمعنى اتيت نجدا (وتسمى جلس) . فاذا لم يكن سبيل الى المنع من هذا ، ثبت جواز اللفظة الواحدة للشيء وخلافه . واذا جاز وقوع اللفظة للشيء وخلافه ، جاز وقوعها للشيء وضده ، اذا لضد ضرب من الخلاف ، وان لم يكن كل خلاف ضدا » . .

ولم يلجا ابن فارس الى المنطق، والجدل العقلي، فى دفاعه عن الاضداد . وانما اعتمد فى احد رأييه على طبيعة اللغة العربية . فقال (9) : « ومن سنن العرب فى الاسماء ان يسموا المتضادين باسم واحد، نحو الجون للاسود ، والجون للابيض » . فالاضداد عنده واحدة من ظواهر اللغة العربية مثل الترادف . واعتمد فى رايه الثاني على الرواة الذين نقلوا لنا الاضداد ووقفنا منهم . فقال يصف راي المعارضين (10) : هذا ليس بشيء ، وذلك ان الذين رووا ان العرب تسمي السيف «مهندا» والفرس «طرفا» هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحد » فابن فارس يوجب ان نوحد موقفنا من هؤلاء الرواة . فان شككنا فيما رووا من الاضداد وجب علينا أن نشك فى بقية رواياتهم اللغوية ، وذلك امر مستحيل . فان وثقنا بما رووا من غير الاضداد، كان واجبا ان نثق بما أوردوه منها . والحق ان ابن فارس كان اكثر توفيقا فى دفاعه عن الاضداد ، واقرب الى طبيعة اللغة وما تفرضه من مناهج . ويؤسفنا الا نعثر على كتابه الذى الفه فى الدفاع عن الاضداد ، ووصف موقفه من مذهب المعارضين ، فى قوله (11): « وقد جردنا فى هذا كتابا ، ذكرنا فيه ما احتجوا به، وذكرنا رد ذلك ونقضه » .

واما ابن الانباري فقد تناول واحدا من اهم ءاراء المنكرين للاضداد ورد عليه . بل لعله اهم راي لهم ، اذ صدر عن راسهم ابن درستويه ، واستغلته جماعات متنوعة .

ولما كانت كتب المعارضين القدماء لم تصل الينا، كنا مضطرين الى الاعتماد على حكايات غيرهم عنهم ، وما تساقط الينا من اقوالهم ، فى تصور ءارائهم . وتؤكد لنا هذه الحكايات ان المعارضين رفضوا الاضداد جملة ، وانكروا وجودها فى اللغة . قال احمد ابن فارس (12) : « وانكر ناس هذا المذهب وان العرب تاتي باسم واحد لشيء وضده » . وقال السيوطي مصورا لموقف ابن درستويه ، الذى يعد راس المعارضين القدماء (13) : « قال ابن درستويه فى شرح الفصيح : النوء : الارتفاع بمشقة وثقل ، ومنه قيل للكوكب : قد ناء : اذا طلع . وزعم قوم من اللغويين ان النوء السقوط ايضا ، وانه من الاضداد، وقد اوضحنا الحجة عليهم فى ذلك فى كتابنا فى ابطال الاضداد » فاستفدنا من هذا ان ابن درستويه ممن ذهب الى انكار الاضداد، وان له فى ذلك تاليفا » .

وعندما نتتبع الاقوال التى اتى بها المنكرون لدعم رايهم لا نجد فيما بين يدينا من مراجع غير اقوال قليلة لا تدل على حقيقة موقفهم دلالة كافية . واهمها الراي الذى رد عليه ابن الانباري ، وجاء ابن درستويه فى شرح الفصيح حين قال (14) : « انما اللغة موضوعة للابانة عن المعاني . فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين ، او احدهما ضد للاخر لما كان ذلك ابانة بل تعمية وتغطية ..» .

وتلقف هذا القول من ابن درستويه فئتان من الناس . ابدا بالفئة المتاخرة فى الوجود ، اذ عاشت بيننا فى العصر الحديث ، وتقبلت القول فى نية حسنة ، ودافعت عنه فى مواجهة بعض ما وجه اليه

(9) الصاحبي 97 .
(10) الصاحبي 98 .
(11) الصاحبي 98 .
(12) الصاحبي 98 . المزهر 1 : 387 .
(13) المزهر 1 : 396 .
(14) المزهر 1 : 385 . اضداد ابن الدهان 5 .

من نقد على العصور . قال عبد الفتاح بدوي (15) : « ينبغي الا يعزب عنا ان التضاد مناف لطبيعة اللغة، وانه لا يسهل التفاهم بين الناس . فمن الصعب ان نقبل ان المعاني الاولية المتضادة يتفاهم الناس عنهما بلفظ واحد . والصعوبة التى تنشأ من التضاد اكبر جدا من التى تنشأ من الاشتراك . واذا قيل : ان القرائن توضح المراد كان هذا تسليما حقا بمنافاة التضاد لطبيعة اللغة ، لان الاعتماد على القرائن ليس من طبيعة اللغات فى سذاجتها . وانما هو طور آخر فوق ذلك » . .

اما الفئة الاولى فى الوجود فكانت مريبة . ولم تقبل القول الا لتستند اليه فى الطعن على العرب ، اذ سلمت بصحة القول وصحة وجود الاضداد فى مان واحد ، واقامت عليهما من الاحكام ما يتسق مع مآربها الحاقدة . قال ابن الانباري (16) : ويظن اهل البدع والزيغ والازراء بالعرب ان ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم ، وقلة بلاغتهم ، وكثرة الالتباس فى محاوراتهم ، وعند اتصال مخاطباتهم . فيسألون عن ذلك ، ويحتجون بأن الاسم منبىء عن المعنى الذى تحته ودال عليه ، وموضح تأويله . فاذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب ايهما اراد المخاطب ، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى »

وكان رد ابن الانباري على هذه الفئة الشعوبية بقوله (17) : « احدهن ان كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط اوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه الا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه . فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لانها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية احد المعنيين دون الاخر ولا يراد بها فى حال التكلم والاخبار الا معنى واحد .. ومجرى حروف الاضداد مجرى الحروف التى تقع على المعاني المختلفة وان لم تكن متضادة ، فلا يعرف المعنى المقصود منها الا بما يتقدم الحرف ويتأخر بعده مما يوضح تأويله .»

وتساقط الينا من اقوال منكري الاضداد ما يكشف من ادلة اخرى لهم . ولكن هذه الاقوال لا تحاول ان تهدف القاعدة التى قامت عليها الاضداد كما استهدف قول ابن درستويه السالف ، بل تسير فى اتجاه مخالف بعض المخالفة ، يجعلنا نستطيع ان نعتمد عليها ونستفيد منها فى موضع واخر . ولذلك نرجيء عرضها والحديث عنها الى ذلك الموضع ، وننقل الى المحدثين من الشرقيين والمستشرقين .

فيبرز امامنا عبد الفتاح بدوي اكثر الرافضين للاضداد تطرفا وتوسعا فى رأيه ، اذ انكرها انكارا باتا ، واعلن : « واننا لنتحدى الذين يزعمون ان فى اللغة اضدادا ونباهلهم، بجميع كلمات اللغة العربية، ان يأتونا بلفظ واحد له معنيان متقابلان بوضع واحد. فان لم يفعلوا ولن يفعلوا ــ فليس فى اللغة تضاد » . وقد اتخذ عبد الفتاح بدوي من قول ابن درستويه اساسا لم اقام عليه علته فى هذا النفي المطلق للاضداد . قال : « ينبغي الا يعزب عنا ان التضاد مناف لطبيعة اللغة ، وانه لا يسهل التفاهم بين الناس . فمن الصعب ان نقبل ان المعاني الاولية المضادة يتفاهم الناس عنها بلفظ واحد . والصعوبة التى تنشأ من التضاد اكبر جدا من التى تنشأ من الاشتراك » . ورد على ابن الانباري قائلا : « واذا قيل : ان القرائن توضح المراد ، كان هذا تسليما حقا بمنافاة التضاد لطبيعة اللغة ، لان الاعتماد على القرائن ليس من طبيعة اللغات فى سذاجتها ، وانما هو طور واخر فوق » . ثم قسم عبد الفتاح بدوي الاضداد الى طوائف ، واتبع كل واحدة بما يبطلها فى نظره. واعان ان امثالها موجود فى اللغات المختلفة ، واتى بشواهد من اللغة الفرنسية .

وقد اجملت دائرة المعارف الاسلامية والدكتور منصور فهمي الادلة التى اعتمد عليها المستشرقون فى انكار الاضداد ، فكانت كما يلي :

1 ــ كانت معظم الكلمات التى اوردها مؤلفو الاضداد معروفة عند العرب بمعنى واحد فقط .

اما المعنى الاخر المضاد له فلم يرد الا فى روايات نادرة ، بل روايات جديرة بالشك . ولا ريب ان بعض الالفاظ التى اوردتها كتب الاضداد من هذا القبيل ، مثل ذلك ما

(15) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة اضداد .
(16) الاضداد 1 .
(17) الاضداد 3 .

ما رواه ابو زيد (18) : « تصدق الرجل : اذا اعطى صدقته. وبعض العرب يقول: تصدق: سال، والجيد: تصدق : اعطى » . ولكن يجب الا يغيب عن بالنا ان القدماء انفسهم — وجامعي الاضداد — هم الذين نقدوا مثل هذا اللفظ ، وابانوا الرديء والجيد منه ، كما نرى في النص السابق ، ومقابله عند ابن الانباري (19) : « يقال : قد تصدق الرجل : اذا اعطى ، وهو المعروف المشهور عند اكثر العرب ، وقد تصدق : اذا سال وهو القليل في كلامهم » وعند ابي الطيب (20) : «قال ابو حاتم : والمعروف عند العرب تصدق : اذا اعطى الصدقة » . وامثال هذا النقد كثيرة عند ابي حاتم وابن الانباري وابي الطيب خاصة . .

2 — يعوز اكثر ما ذكروا من الاضداد الشواهد الموثوق بها ، حتى قال جيز Giese انه لم يعثر في الشعر القديم الا على 22 لفظا من الاضداد. وذهب هرشفلد الى ابعد من ذلك . فعقب على قول جيز معللا (21) ان هذا العدد يمكن ان تقلل منه لو ازدادت معرفتنا بالمعاني الاصلية لهذه الالفاظ . وكان ابن الانباري هو الذي لفت المستشرقين الى الشك في الاضداد التي لا يوجد شواهد عليها ، اذ فعل ذلك في الحميم قال (22) : « قال بعض الناس: الحميم من الاضداد، يقال الحميم للحار ، والحميم للبارد، ولم يذكر لذلك شاهدا ، والاشهر في الحميم الحار . . » . واعلن ان الشاهد هو الدليل على صحة التضاد حين قال (23) : « قال بعض اهل اللغة : الضد يقع على معنيين متضادين ، ومجراه مجرى الند . يقال فلان ضدي : اي خلافي ، وهو ضدي : اي مثلي . قال ابو بكر (ابن الانباري) : وهذا عندي قول شاذ لا يعول عليه ، لان المعروف من كلام العرب: العقل ضد الحمق ، والايمان ضد الكفر . والذى ادعى من موافقة الضد للمثل لم يقم عليه دليلا تصح به حجته » .

ولكن الحق ان القدماء اوردوا كثيرا من هذه الالفاظ ، او كثيرا من المعاني المتضادة ، مهملة . فلم يوردوا لها شواهد البتة ، او أوردوا منها ما يشهد للمعنى المعروف وتركوا المعنى غير الشائع بدون شواهد . مثال ذلك دهور، وزجور، ونهوز، وبحتر، في اضداد قطرب (24) ، ومثله روته بقية كتب الاضداد دون ان تكترث لاضافة الشواهد (25) . والامر نفسه نجده في اضداد الاصمعي (26) ، وابي حاتم (27) ، وابن السكيت (28) ، وغيرهم . ولكننا يجب ان نحترس هنا ايضا ، فان القدماء لم يكونوا يشعرون بوجوب ايراد الشواهد على كل ما يسمعون ويروون ، وخاصة اذا كان اللفظ قد سمعوه في غير شعر . بل انهم تخففوا في بعض الاحيان من بعض الشواهد التي كانت بين ايديهم ، كما فعل ابو حاتم عندما حذف بعض شواهد الاصمعي من امثال شوهاء ومعبد ومغلب .

3 — لا يجوز الاعتماد في اثبات التضاد على موضع اللفظ من الكلم دون الاعتماد على الاصل اللغوي لهذا اللفظ . والمراد بهذا النظر الى معنى اللفظ في حال افراده عندما يركب في جملة ، لان السياق قد يكسبه معنى جديدا ، هو الذي يخرجه الى التضاد مثال ذلك قول ابن الانباري (29) : « ومن الاضداد ايضا قول العرب للرجل : « ماظلمتك وانت تنصفني» يحتمل معنيين متضادين : احدهما ما ظلمتك وانت

(18) ابو حاتم 116 . ابن الدهان 14 .
(19) 110
(20) 437
(21) مجلة الجمعية الاسيوية الملكية بلندن ، سنة 1895 ، ص 223 .
(22) 82 . وانظر اضداد ابي الطيب 208 .
(23) 7 .
(24) 11 ، 15 ، 18 ، 49 .
(25) ابن الانباري 255 ، 242 ، 244 ، 257 . ابو الطيب 273 ، 332 ، 650 ، 85 .
(26) 17 ، 30 — 32 .
(27) انظر مادم ، افلت ، مؤدي ، اسد ، اشب ، امعن ، وغيرها .
(28) 196 ، 199 .
(29) 160 .

ايضا لم تظلمني ، بل مذهبك انصافي ، واستعمال ما استعمله من ترك الظلم لك والجنف عليك والمعنى الآخر : ما ظلمتك لو انصفتني ، فاما اذ لم تنصفني فاني اكافئك بمثل فعلك . وقول الله عز وجل : (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) يفسر تفسيرين متضادين : احدهما : وما كان الله معذبهم واولادهم يستغفرون، اي قد وقع له في علمه جل وعز انه يكون لهم ذرية تعبده وتستغفر لهم . فلم يكن ليوقع بهم عذابا يجتث اصلهم ، اذ علم ما علم من صلاح اولادهم وعبادتهم له جل وعلا . والتفسير الآخر : وما كان الله معذبهم لو كانوا يستغفرون ، فاما اذ كانوا لا يستغفرون فانهم مستحقون لضروب العذاب التى لا يقع معها البوار والاصطلام ، بل تكون كما وقع بهم من عذاب الجدب في السنين التى لحقتهم فاكلوا فيها الجيف والعلهز ، وكعذاب السيف والاسر الذى لحقهم يوم بدر وغيره . والله اعلم بحقيقة ذلك كله واحكم » .

ولم يلتفت المؤلفون الاولون في الاضداد لهذا النوع ولم يشيروا اليه في كتبهم . وانما ظهر في القرن الرابع عندما شاعت بين الكتاب الرغبة في الاحاطة والاتساع والاتيان بما لم يات به السابقون. فتجلى عند ابن الانباري، ومن اخذ عنه من اللاحقين عليه كابن الدهان والصغاني .

واضاف الدكتور منصور فهمي الى الاسباب السابقة سببا ءاخر ، يمكن ان نسميه ـ اذا احسنا الظن ـ تساهل اللغويين ، واذا اسأناه سميناه حب التكثر والتزيد والتباهي بما اورده كل منهم من الاضداد . لقد دفعهم ذلك الى ايراد كثير من الالفاظ لا صلة لها بالاضداد ، وانما هي من المشترك ، مثل المعصر والحرور والروح والقلب والماد وزنا ونسل.. الخ .

وتوجد الى جانب ما ذكرت عدة اسباب اخرى اوردها المستشرقون والدكتور منصور فهمي ، ولكن تنقصها صفة العموم التى تتحلى بها الاسباب التى ذكرتها . فهي لا تتحدث الا عن نوع واحد من الاضداد، ولذلك ابقيها الى حين معالجة انواع الاضداد ..

اصل الاضداد

منذ تنبه اللغويون الى الاضداد، واختلفوا فيها، وهم في محاولة دائبة لتعليلها والكشف عن نشاتها ، وكيف وجدت في اللغة . واشترك في هذه المحاولة من اتفقت ءاراؤهم ، ومن اختلفت ، ومن اعترفوا بها ومن رفضوها ، والقدماء والمحدثون ، والعرب والمستعربون . وان كثيرا من الآراء التى ادلى بها منكرو الاضداد هي في الحقيقة محاولة لتعليل وجودها ، ولذلك ادخرتها لاوردها هنا .

واختلفت الطرق التى سلكها العرب وغير العرب في دراسة هذه الظاهرة اللغوية، في كثير من الاحيان. فقد اوغل بعض المستشرقين في تاريخ البشرية وارجع ظاهرة الاضداد الى العصور القديمة، عندما كان العقل البشري في سذاجته، فلم يكن يفطن لما يعتريه من تناقض . وكان قائل هذه النظرية هو ابل Abel اذ اعلن ان الاضداد هي البقية الباقية مما كان للاوائل من تناقض منطقي في التفكير . ولكن هذا القول لم يلق رواجا حتى في اوساط المستشرقين ، فرد عليه فيل Veil ورفضه هو وراي لجست Leguest الذى ارجع الاضداد الى اشتقاقات مبالغ فيها ..

وتوسط بعضهم في الايغال ، فلم يرجع الى التاريخ البشري ، واقتصر على التاريخ العربي القديم . فاعلن جير ان العرب اقترضوا بعض هذه الاضداد من اللغات المجاورة لهم . ولما كان معناها الاصلي قد تختلف ايحاءاته ، فقد ادى ذلك الى التضاد في العربية . وضرب مثالا لذلك بلفظ (جلل). اعلن ان العربية اخذته من اللغة العبرية ، وهو فيها بمعنى دحرج . واذ كان الشيء المدحرج ثقيلا احيانا ، وخفيفا احيانا ، فقد اعتمدت العربية على هذين الايحاءين المتضادين للكلمة الواحدة واعطتها معنيين متضادين هما عظيم وحقير .

واقتصد بعضهم الآخر ، ونظر في تاريخ الجماعة الواحدة ، فوجد فيه من التطور ما يؤدي الى التضاد دون استعارة من الخارج . وضرب جير مثالا لذلك بالفعلين باع وشرى . فقد كان المعنى الاصيل لهما بادل، حين كان البيع والشراء يقوم على مبادلة السلع . فلما عرفت النقود ، اختص كل فعل منهما بواحد من القائمين بالعمل . ولكن رواسب العهد القديم بقيت حية ، فكانت تلقي ظلالها على معنى الفعلين ، فتخلط بينهما .

واضاف الدكتور منصور فهمي الى المثال السابق مثالا من حياتنا الحاضرة ، يلتبس فيه معنى الفعل لحداثة عهد الناس بالحديث الذى يدل عليه . فلما

كنا حديثي عهد بالقناطر (الكبارى) التى تفتح وتغلق، لم نستطع ان نستقر بعد على اعطاء لفظ واحد لكل من عمليها . فنحن نقول : فتحت القنطرة اذا اغلقت فى وجه المارة وفتحت للمراكب ، واذا فتحت امام المارة واغلقت طريق المراكب ايضا . وربما اجتمع الى حداثة العهد اختلاف النظرة .. فاصحاب المراكب يقولون عنها : فتحت ، اذا فتحت لهم واغلقت فى وجه المارة ، وهؤلاء يقولون : فتحت ، ان حدث العكس . ولكن هؤلاء وهؤلاء غير منفصلين ، ومن هنا صار للكلمة معنياها المتضادان والشائعان معا ..

ولم يلتفت فريق الى التاريخ وبحث عن العلة فيمن يراه من جماعة وفرد ، وما يسودهما من ظواهر ذات تأثير فى اللغة . فذهب الى ان بعض المعاني المتضادة يرتبط بعضها ببعض وتتداعى فى الذهن ، فتؤدي الى الاضداد . مثال ذلك كلمة « البين » التى تطلق على الفراق والاجتماع ، والسبب فى ذلك ان الانسان قد يفترق وحده عن جماعته ، وقد يفترق فيلحق بجماعة اخرى . ولا يختلف هذا القول كثيرا عن القول الآخر الذى اوردته دائرة المعارف الاسلامية ايضا منسوبا الى جيز ، ويرى ان الارتباط بين المعنى قد يكون بسبب ان احدهما نتيجة للآخر . مثل خفي البرق بمعنى ظهر واستتر . فان البرق لا يكاد يظهر حتى يختفي ، فالظهور والاختفاء متلاحقان ، وثانيهما نتيجة لاولهما. ومثل « ناء » بمعنى نهض بالحمل فى مشقة ، وحمل الحمل . ومثلهما ما سماه تداخل الاحداث ، فما كان ءاخرا لامر قد يكون اولا لغيره ، وما يكون اولا لامر قد يكون آخرا لغيره مثل « السدفة » فهي الوقت الذى بين النور والظلمة ، يمكن ان تختلف فيها القبائل او الافراد بل سامعوها من اللغويين فيظنوا ان المراد بها النور وحده او الظلام وحده .

وءاخر ما جعله جيز من اسباب التضاد غموض الانفعالات والمشاعر وانبهامها واختلافها من شخص الى ءاخر ، وتسرب هذا الغموض الى الالفاظ التى تدل عليها حتى يؤدي بها ذلك الى التضاد . مثال ذلك الذفر ، التى تطلق على الرائحة الطيبة والكريهة . وسبب ذلك اختلاف شعور الانسان بها ، اذ يحبها شخص ويرتاح اليها ، ويتأفف منها ءاخر وينفر لشدتها ..

اما اللغويون العرب فقصروا جهودهم على الاضداد العربية ، ولم يبعدوا عنها لا تاريخا ولا لغة ولا اجتماعا ، وحاولوا ان يتبينوا اصولها ونشأتها ومسالكها فى اللغة العربية نفسها . واكثر الآراء التى رأيتها شيوعا عندهم كون كثير من هذه الاضداد من ءاثار اللهجات الكثيرة التى ضمتها العربية الفصحى. قال ابن الانباري (30) : « قال ءاخرون : اذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فمحال ان يكون العربي اوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ولكن احد المعنيين لحي من العرب ، والمعنى الاخر لحي غيره . ثم سمع بعضهم لغة بعض فاخذ هؤلاء عن هؤلاء وهؤلاء عن هؤلاء .. فالجون الابيض فى لغة حي من العرب ، والجون الاسود فى لغة حي ءاخر . ثم اخذ احد الفريقين من الاخر ..» . وترددت اصداء هذا القول عند ابي علي الفارسي (31) ، وابن الدهان(32) ثم الكتاب المحدثين . وكان احد الدعائم التى استند اليها ابن درستويه (33) فى انكار الاضداد ..

واورد ابن الانباري رأيا آخر لم ينسبه الى احد ، وكان له صداه ، ايضا فى الدراسات اللاحقة . قال (34) : وقال ءاخرون : اذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فالاصل لمعنى واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع . فمن ذلك الصريم ، يقال لليل صريم . وللنهار صريم ، لان الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فاصل المعنيين من باب واحد ، وهو القطع . وكذلك الصارخ المستغيث ، سميا بذلك لان المغيث يصرخ بالاغاثة، والمستغيث يصرخ بالاستغاثة ، فاصلهما من باب واحد ..» .

وقد جعل الشيخ محمد الخضري هذا القول واحدا من رأيين له فى تعليل نشأة الاضداد قال (35):

---

(30) 11 .

(31) المخصص 13 : 59 .

(32) 5 .

(33) المزهر 1 : 385 .

(34) 8 .

(35) الاصول 174 .

اولهما ان يكون بين المعنيين فكرة واحدة تجمعهما فيصلح اللفظ لكل منهما لاشتراكه في هذه الفكرة . وحين يغفل الناس عن هذه الفكرة المشتركة يظنون ان اللفظ من الاضداد . مثال ذلك الصريم ، هو الليل او النهار . واصل اللفظ من الانصرام بمعنى الانسلاخ ، فالليل صريم لانه ينسلخ من النهار ، والنهار صريم لانه ينسلخ من الليل ، وهما متداخلان. ومصداق ذلك الآية الكريمة : « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » .

ونستطيع ان نضع تحت هذا القول ما علل به عبد الفتاح بدوي التضاد في الفعل باع . لقد رأى ان المعنى الاصلي له مد باعه ، سواء للاخذ او العطاء ، ومن هنا اطلق على الشاري والبائع لان كلا منهما يفعل ذلك في وقت البيع .

وجاء ابن درستويه بعلتين اخريين للتخالف والتضاد في معنى الكلمات . قال السيوطي (36) حاكيا قوله : « : فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين او احدهما ضد للاخر لما كان ذلك ابانة بل تعمية وتغطية . ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا العلل ، كما يجيء فعل وأفعل . فيتوهم من لا يعرف العلل انهما لمعنيين مختلفين ، وان اتفق اللفظان . والسماع في ذلك صحيح من العرب ، فالتأويل عليهم خطأ . وانما يجيء ذلك في لغتين متباينتين ، او لحذف واختصار وقع في الكلام ، حتى اشتبه اللفظان وخفي سبب ذلك على السامع وتأول فيه الخطأ . وذلك ان الفعل الذي لا يتعدى فاعله ، اذا احتيج الى تعديته لم تجز تعديته على لفظه الذي هو عليه حتى يغير الى لفظ آخر ، بأن يزاد في اوله الهمزة ، او يوصل به حرف جر بعد تمامه ، ليستدل السامع على اختلاف المعنيين . الا انه ربما كثر استعمال بعض هذا الباب في كلام العرب ، حتى يحاولوا تخفيفه ، فيحذفوا حرف الجر منه ، فيعرف بطول العادة ، وكثرة الاستعمال، وثبوت المفعول واعرابه فيه خاليا من الجار المحذوف. او يشبه الفعل بفعل آخر متعد على غير لفظه ، فيجري مجراه لاتفاقهما في المعنى ، كقولهم: حبست، الدابة ، وحبست ما لا على المساكين » . فأسباب التخالف عنده تداخل اللغات ، وحذف حرف التعدية من الفعل اللازم لكثرة الاستعمال ، وتشبيه الفعل بمرادفه في المعنى او ما نعرفه اليوم باسم التضمين. ويجدر بنا — قبل ان نترك ابن درستويه — ان نلاحظ انه اضطر الى الاعتراف بأنه « قد يجيء الشيء النادر من هذا » في اللغة ، فهو لم يستطع ان ينكر وجود هذا النوع المتخالف والمتضاد من الالفاظ في اللغة ، ويعلن خلوها التام منه ، وانما اعلن انه « نادر » وله علله . .

واسهم أبو علي الفارسي في التعليل ايضا ، فاضاف العلة المجازية . روى ابن سيده عنه (37) : « اما . . اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فينبغي الا يكون قصدا في الوضع ولا اصلا . ولكنه من لغات تداخلت ، او تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيء ، فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الاصل » . وقد كان لهذا الرأي الاخير صداه الواسع في تقسيم الاضداد بعد ذلك .

هذه هي الآراء التي جاء بها القدماء في معرض تعليل الاضداد حينا ، ومعرض انكاره حينا آخر . وتلقفها منهم المحدثون فاذاعوها بينهم مقتصرين عليها تارة ، ومتسعين فيها اخرى ، ومنشعبين بها في احوال كثيرة حتى خلصوا الى آراء ما كانت تدور في خلد القدماء . .

وبقي امامي المذهب الثاني الذي جمله الشيخ محمد الخضري (38) علة لنشأة الاضداد وهو ان يطلق اللفظ على شيء واحد ، تتغير مظاهره احيانا، فلا يفطن السامع الا الى المظهر ، فيحكم بالتخالف والتضاد . . مثال ذلك عنده الجون ، فالاصل فيها ان تطلق على السحاب . ولما كان من السحاب الابيض ومنه الاسود فقد ظن اللغويون أن هذه الصفة مراعاة في اللفظ ، وانه يطلق على الابيض من السحاب تارة ، وعلى الاسود اخرى ، فهو اذن من الاضداد . وليس الامر كما ظنوا ، فلا تضاد في اللفظ لانه لا يدل الا على السحاب مجردا من كل صفة . .

وآخر العلل التي عثرت عليها ما اضافه الدكتور منصور فهمي مستقيا اياه من اقوال القدماء عن

(36) المزهر 1 : 385 .
(37) المخصص 13 : 59 .
(38) الاصول 174 .

التفاؤل والتطير والتهكم ، اذ ان العرب اعتادوا ان يعدلوا عما يكرهون من الفاظ الى ما يحبون ، فسموا الصحراء المهلكة : المفازة من الفوز ، والاعمى : البصير ، والملدوغ : السليم : ونادوا الجاهل بقولهم : « يا عاقل » . ولا زلنا نحن نسمع في المقاهي عبارة: « خذ المليان » يريدون بها الاكواب الفارغة .

ويؤدي بنا التأمل الدقيق في العلل التي أوردها الدارسون للغة العربية نفسها دون محاولة للفلسفة او للعثور على نظرية عامة او الابعاد في مجاهل التفكير البشري ، يؤدي بنا هذا النوع من التأمل الى ان اهم ما قالوا من علل واخطره هو « المعنى الاصلي للالفاظ » . فنحن في حاجة الى اعادة النظر في هذه الالفاظ ، وفيما ذكره لها اللغويون من معان، وفي حاجة الى محاولة استكشاف الطريق الى المعنى الاصلي الحق لها ، الذي لا يأبه بما حولها من ملابسات ، ولا بما يرتبط بها من ظواهر ، ولا بما يؤدي اليه من نتائج ، ولا بما تقطعه اللفظ من اشواط سائرا في طريق معتدلة ءانا ومعوجة ءاونة . فان وصلنا الى ذلك المعنى ، غمرنا الضوء من كل مكان ؛ واستبان لنا تطور اللفظ ، وما اكتسبه من معان ودلالات ، وما احيط به من ظلال ، جعلته مشوبا بالغموض احيانا ، وعرضة للخطأ احيانا اخرى ..

واما بقية العلل فهي ارتياد لبعض الطرق التي سلكها اللفظ ليصل الى درجة التضاد مثل اللغات ، والمجاز ، والحذف للتخفيف ، وما اليها من امور .

كذلك يؤدي بنا التأمل الدقيق في الاقوال السالفة الى نتيجة قد تبدو غريبة ولكنها حقيقة واقعة . أعني انه لم يوجد من اللغويين على قدر ما نستطيع الحكم من خلال ما عندنا من معلومات من ينكر وجود الاضداد في اللغة العربية الفصحى . فمن رفضوا الاضداد رفضوا اصالتها ، اريد انهم رفضوا ان تكون وضعت اصلا للمعنيين المتضادين . ولكن ما خضعت له من تطور بالتوسع او المجاز او الحذف ادى الى وجود لفظين متماثلين في كل شيء، بحيث لا يمكن ان نفرق بينهما ونعدهما لفظين متمايزين ، غير ان معنييهما متضادان . كذلك ادى انصباب الروافد القبلية دون تمييز بينها في تيار العربية الفصحى الى ما اشبه الظاهرة السابقة . فالفصحى بصورتها الراهنة تحتوي على هذا النوع من الالفاظ (الذي نسميه الاضداد) باعتراف جميع القدماء ، وان اختلفت اصول هذه الاضداد ، والطرق التي سلكتها حتى وصلت الى التيار الحالي ..

ويؤدي بنا ايضا الى نتيجة اخرى اجمع عليها المنكرون والمؤيدون ، هي قلة الاضداد في اللغة العربية الفصحى . فابن درستويه من المعارضين يصفها « بالشيء النادر » ، وابن الانباري من المؤيدين يقول (39) : « هذا الضرب من الالفاظ هو القليل الظريف في كلام العرب » .

شروط الاضداد

اذا كان من انكر الاضداد اطلق قوله فيها ثم اضطر الى التراجع قليلا عنه ، عندما استقصى النظر في اللغة ، او أحتوى قوله على ما يومىء الى تراجع ، فاننا نجد الظاهرة نفسها عند المؤيدين لوجود الاضداد او بعضهم .

فقد كان في وهم المؤلفين الاولين ان الاضداد الفاظ قلائل في اللغة . فحاولوا جمعها وابرازها . وتحت اثر من هذا الاحساس ، ومن هذه الغاية ، جمعوا مع الاضداد الفاظا كثيرة عدوها اضدادا ، وهي واهنة الصلة بها . وكان اكثر المؤلفين وقوعا تحت هذا الاثر قطرب : اول من كتب عن الاضداد .

فاضطر من جاء بعده الى ادخال ما قاله في كتابه كيلا يتهم بأنه فاته من الاضداد شيء (40) . ولكن اهل القرنين الثالث والرابع كانوا قد اخذوا يتخلصون من هذا الاثر ، بعد ان رأوا امامهم من كتب في الاضداد . فاخذوا يعيدون النظر فيها ، وفي اضداد قطرب خاصة ، وينقدون منها كثيرا . وعند تتبع هذا النقد استخلصت كثيرا من الشروط يجب ان تتوفر في اللفظ حتى يدخلوه في الاضداد . ولكن الامر المؤسف ان هذه الشروط اهملها واضعوها انفسهم ، ولم يطبقوها على كثير من الالفاظ التي دونوها في كتبهم . وبالرغم من ذلك اتتبع هذه الشروط لاهميتها في توضيح «صورة الاضداد» في اذهانهم ، وان لم تتحقق كل التحقق في كتبهم .

واهم مؤلف يكثر عنده هذا النوع من الاقوال هو ابو بكر محمد بن القاسم الانباري . ونستطيع ان نقول انه يضع الشروط التالية في اللفظ ليعده من الاضداد :

(39) 6 .

(40) ابو الطيب 688 .

1 ــ ان تكون صيغة اللفظ ذي المعنيين المتضادين واحدة . فاخرج من الاضداد ما كان احد المعنيين لافعل والآخر لفعل . قال (41) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم : قد خدمت النعل : اذا انقطعت عروتها وشسعها ، واخدمتها : اذا اصلحت عروتها وشسعها . وهذا ليس عندي من الاضداد ، لان (خدمت) لا يقع الا على معنى واحد ، وكذلك (اخدمت) . ولفظ اخدمت يخالف لفظ خدمت . وما لم يعبر الا عن معنى واحد بلفظه لا يكون من الاضداد » . واتفق ابو الطيب اللغوي مع ابن الانباري في هذا الراي ، بل في كلامه الذي اذكره بعد ما يدل على اتفاقه معه في حديثه عن كل الصيغ التالية .

واخرج ابو بكر منها ما جاء على فعل المجرد وفعل المضاعف . قال (42) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم : بدن الرجل : اذا حمل اللحم والشحم ، وبدن تبدينا : اذا اسن وكبر وضعف . قال ابو بكر : وليس الامر عندي على ما ذكر قطرب ، لان (بدن) لفظه يخالف لفظ (بدّن) . وما لا يقع الا على معنى واحد لا يدخل في حروف الاضداد» .

واخرج منها على ما كان على فعل وفعل وفعيل من الصفات . قال (43) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم : رجل نجد : اذا كان سريع الاجابة الى الداعي اذا دعاه .. ويقال : رجل نجد : اذا كان مفزعا من اي وجه .. وقال غير قطرب : يقال للمفزع : منجود ونجيد .. قال ابو بكر : وليس النجد عندي من الاضداد ، لان العرب لا توقعه الا على معنى واحد ، وما كان بهذه الصفة لا يدخل في الاضداد » .

واخرج ما كان على فاعل ومفعول ، قال (44): « ومن حروف الاضداد : الطاحي : المنضجع . والطاحي : المرتفع ... هذا قول قطرب . وليس الطاحي عندي من الاضداد ، لانه لا يقال طاح للمنخفض ، انما يقال للمنخفض مطحو ومطحي » .

واخرج ما كان فعلا واسما ، قال (45) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم : قد جمرت المراة : اذا جعلت لها كالنزعتين من حلق ونتف ــ والنزعة : ما ينحسر من شعر جانبي الراس الذي يعضد نابت في الجبين ــ قال : ويقال للذؤابة جمار . ويقال : للمراة جماران ، اي ذؤابتان ضفرتا مقبلتين على وجهها .. فقول قطرب : جمرت المراة ولها جماران من الاضداد ، ليس بصحيح ، لان جمرت لا يكون بمعنى وفرت الشعر ، ولا يقال : جمار لما يضاد الذؤابة ، فلا وجه لادخاله في حروف الاضداد » .

فابن الانباري يشترط ان يكون المعنيان المتضادان لفعلين او اسمين او صفتين ، وكل منهما على وزن واحد ، ولا يحكم بالتضاد فيما شذ عن ذلك .

كذلك اشترط ان يكون للصيغة الواحدة معنيان متضادان لا يمكن ردهما الى معنى واحد ، قال (46): « قال بعض الناس : طرب : حرف من الاضداد . يقال : طرب اذا فرح ، وطرب اذا حزن .. ولم يصب هذا القائل عندي ، لان الطرب ليس هو الفرح ولا الحزن ، وانما هو خفة تلحق الانسان في وقت فرحه وحزنه » .

واتفق ابو الطيب اللغوي معه في هذا الرأي ، قال (47) : « ابو حاتم وقطرب قالا : ومن الاضداد المآتم . فالمآتم النساء المجتمعات في فرح وسرور ، والمآتم النساء المجتمعات في غم وحزن ومناحة ... وقال غيرهما : المآتم جماعة النساء ، لا واحد لها من لفظها ، وسواء كن في وليمة او مناحة او في غيرها بعد ان يكن مجتمعات . فعلى هذا ليس المآتم عنده من الاضداد » .

---

(41) 276 . وانظر 583 ، 291 ، 298 ، 304 .
(42) 310 .
(43) 320 .
(44) 302 .
(45) 279 .
(46) 57 . وانظر 58 ، 92 .
(47) 21 . وانظر 37 ، 57 .

واشترط ابن الانباري ايضا ان يكون هذان المعنيان فصيحين لا من ابتكار العامة ، قال (48) : « قال قطرب : الحرفة من الاضداد ، يقال : قد احرف الرجل احرافا اذا نما ماله وكثر ، والاسم الحرفة من هذا المعنى . قال : والحرفة عند الناس الفقر وقلة الكسب . وليست من كلام العرب انما تقولها العامة » .

واشترط ان يكون المعنيان معروفين استعملهما العرب في حوارهم . قال (49) : « قال قطرب : من الاضداد : الهجر ، يقال : هجرت الرجل : اذا اعرضت عنه ، وهجرت الناقة : اذا شددت في انفها الهجار – وهو حبل – لتعطفها على ولد غيرها .. وهذا القول عندي بعيد ، لان المعنى الثاني لم يستعمل في الناس ».

ويبدو ان ابا الطيب اللغوي يتفق مع ابن الانباري في هذا الراي ايضا ، وان لم يعلن ذلك صراحة » قال مثلا (50) : « قال قطرب ، ومن الاضداد التفل . فالتفل المنتن ، والتفل المتطيب . قال ابو الطيب : المعروف من التفل المنتن » .

واشترط ابو الطيب الا يكون المعنى الثاني مجازيا . فاخرج من الاضداد (51) : « ما جاء مسمى باسم غيره ، لما كان من سببه » مثل العشراء الذي يطلق على الناقة التي بلغت عشرة اشهر في حملها ، والناقة التي نتجت حديثا ، والارة الذي يطلق على الحفرة التي فيها النار ، وعلى النار نفسها .

واشترط في المعنى الا يكون مقلوبا او مزالا عن جهته ، مثل قولهم ناه بي الحمل ، ويا خيل الله اركبي . ولم يعد ذلك من الاضداد (52) .

وانفرد ابو الطيب اللغوي باخراج مجموعة من الالفاظ تتضاد في معانيها وتتماثل في صورتها ، ولكن هذه الصورة المتماثلة في ظاهرها مختلفة في حقيقتها ، اذ تختلف العلل ، الصرفية التي وصلت بها الى صورتها . مثال ذلك قوله (53) : « ومن الاضداد – زعم التوزي – قولهم : رجل مود اي هالك ، ورجل مود اذا كان ذا سلاح قويا . قال ابو الطيب : وليس كذلك ، لان المودي الهادي غير مهموز، وفاء الفعل منه واو ، يقال : اودى الرجل يودي ايداء اي هلك .. والمؤدي من السلاح مهموز ، وفاء الفعل منه همزة ، وانما معناه ذو اداة الحرب . يقال : قد ادى يؤدي : اذا تمت اداته للحرب وسلاحه .. فهذا غير الاول » . وقد ادى به هذا التصور للاضداد الى ان يخرج منها ما جاء على مفتعل ومفتعل مما عينه منقلبة عن ياء او واو ، اذ لا يبين فيه كسر العين وفتحها لسكون الالف، مثل المبتاع والمجتاب والمجتاح ، ومن المدغم العين في اللام ، مثل المبتز والمحتز والمختص . ووضعه في ءاخر الكتاب (54).

واخرج مجموعة تماثلها لاختلاف حرف العلة الاصلي فيها ، قال (56) : « قال ابو حاتم : ومن الاضداد قولهم : ضاع فلان ، من الضياع ، وضاع الشيء اذا ظهر وبدا .. قال اللغوي ، واما انا فلا ارى هذا من الاضداد ، لان شرط الاضداد ان تكون الكلمة الواحدة بعينها تستعمل في معنيين متضادين، من غير تغيير يدخل عليها . وقولهم : ضاع يضيع من الضياع انما الالف فيه منقلبة عن ياء ... وقولهم ضاع اذا ظهر الالف فيه منقلبة عن واو »

بل ذهب الى ابعد من ذلك واخرج من الاضداد ما اختلفت صيغ المجرد والمصدر منه من الافعال ، وعد ذلك اختلافا بينهما . قال (57) : « ومن الاضداد القانع ، زعموا . قالوا : فالقانع الراضي ، والقانع السائل الطالب... قال عبد الواحد: ليس هذا عندي من الاضداد ، لان شرط الاضداد ، على ما اصلنا

---

(48) 267 .
(49) 213 . وانظر 288 ، 289 ، 300 ، 346 .
(50) 113 . وانظر 163 .
(51) 711 .
(52) 720 .
(53) 671 .
(54) 691 .
(56) 452 .
(57) 577 .

اولا ، ان تكون الكلمة الواحدة تنبيء عن معنيين متضادين ، من غير تغيير يدخل عليها ، ولا اختلاف في تصرفها .. والقانع بمعنى الراضي يقال منه قنع يقنع ، مثل شرب يشرب ، والمصدر قناعة وقنعا وقناعا وقنعانا ـ اي رضي ـ فهو قانع وقنع . والقانع ـ بمعنى السائل ـ يقال منه قنع يقنع مثل صنع يصنع ، والمصدر قنوعا لا غيره ... واذا تغير البناء لتغيير المعنى فليس من الاضداد » .

ونستخلص من هذا غموض صورة الاضداد في ذهن قطرب او عدم وجود حدود لها ، واخذها في الوضوح والجلاء والتحدد على مر الزمن .. فكانت اللمحات الاولى منها عند ابي حاتم السجستاني . ثم كان كمال البروز والتحدد عند ابن الانباري وابي الطيب .

انواع الاضداد

نستشرف من الحديث السابق عن اسباب الاضداد ، والاختلاف فيها ، وتغير تصورها عند اللغويين ، نستشرف منه ان الاضداد لم تضم فئة واحدة من الالفاظ كان من المحتمل ان يتفق عليها العلماء او على كثير من الظواهر المتصلة بها .

وبالرغم من احساس العلماء المبكر بأن الاضداد فئات عدة ، لم اجد بين القدماء من حاول ان يصنفها، تصنيفا قاصرا او شاملا . وبالرغم من ان المحدثين اضطروا الى الفصل بين انواع منها ، ليسهل عليهم رفضها او تعليلها ، فانهم لم يرتقوا بهذا الفصل الى ان يكون تصنيفا .

والرجل الوحيد الذى حاول شيئا من ذلك هو عبد الفتاح بدوي . ويبدو انه اراد ان يعوض ما فات اللغويين ، فاعطانا تقسيمين لا واحدا . اما التقسيم الاول فصغير ومحكم ، ويقوم على أساس نحوي . فقد جعل الاضداد اربعة انواع :

1 ـ اضداد في اللفظ المفرد ، كالقرء للحيض والطهر .

2 ـ اضداد في الفعل ، كظن للشك واليقين .

3 ـ اضداد في التراكيب ، كعبارة « تهيبت الطريق وتهيبتني الطريق» .

4 ـ اضداد في المتعلقات ، كرغب عنه ورغب فيه .

وكان التقسيم الثاني واسعا ، ينظر الى عدة اسس بحيث تغيب عن النظر الذى يريد ان يصل اليها . فالاضداد في هذا التقسيم تقع في عشر طوائف ، هي :

1 ـ الاضداد التي تحقق المعنى في كل من المتعلقين على حد سواء ، مثل اطلاق الصارخ على كل من المغيث والمستغيث .

2 ـ الاضداد التي يكون احد معنييها حقيقيا والاخر مجازيا ، مثل اطلاق الكاس على الاناء والشراب الذى فيه .

3 ـ الاضداد الآتية من لهجات مختلفة ، مثل وثب وسجد .

4 ـ الاضداد التي يصح ان ينسب مصدرها الى اي من الطرفين ، مثل اطلاق المولى على السيد والخادم .

5 ـ الاضداد التي تتوافق منطقا وتختلف تصريفا ، مثل اطلاق المختار على الشخص الذى اختار ، والشيء الذى اختير .

6 ـ الاضداد الناتجة عن المتعلقات ، مثل رغب فيه ورغب عنه .

7 ـ الاضداد الناتجة عن السياق ، مثل : « نسوا الله فنسيهم » .

8 ـ الادوات والحروف ، مثل ان واذ واذا .

9 ـ الاضداد الناتجة من التفسير ، مثل شاة درماء ، ومأتم ..

10 ـ الاضداد الناتجة من تعسف اللغويين ، مثل بعض .

ومهما يكن من شيء ، فانني لن اعنى كثيرا بالتقسيمات النظرية ، وان كنت لن اهملها كل الاهمال . واجعل همي كله في تتبع الانواع المختلفة التى ادخلها مؤلفو الاضداد فعلا . في كتبهم ، اذا اختلف النظر والتطبيق عندهم . وابدا باول مؤلف : قطرب ، اذ توسع في تصور الاضداد اكثر من غيره، حتى اضطر من جاء بعده الى نقده . ورفض كثيرا منها . ولن اقف عند التقسيم ، بل اتبع كل صنف بما وجه اليه من نقد . وهاك ما وجدته من اصناف عند قطرب :

1 ـ الاضداد الحقيقية ، اعني الالفاظ ذات المعنيين المتقابلين عنده . قال (58) : « المعقوق للحامل والمعقوق للحائل ايضا» . وقال (59) : وقالوا في الاضداد : النحاحة : السخاء ، والنحاحة : البخل » . ونازعه غيره في تضاد بعض ما جاء به من الفاظ .

قال ابو الطيب (60) : وحكى : يقال : بردت الماء ، من البرد ، اي جعلته باردا . وبردته : سخنته. قال : وانشدنا بعضهم :

شكت البرد في المياه ، فقلنا
بـرديه توافقيه سخينا

قال قطرب: معنى برديه في هذا البيت سخنيه. وقال ابو حاتم : هذا خطا ، انما هو بردبه (يريد : بل رديه) من الورود ، ولكنه ادغم اللام في الراء ، كما يقرا (كلا ، بل ران على قلوبهم) قال ابو الطيب : وهذا الصحيح ، وبه يستقيم معنى البيت». وقال ابن الانباري عن لفظ ءاخر (61) : « ومن حروف الاضداد البحتر : يقال رجل بحتر ، اذا كان قصيرا ـ او بهترا بالهاء ايضا ـ ويقال : رجل بحتر اذا كان عظيما . ذكر هذا. قطرب ، وما علمنا احدا وافقه على أن البحتر يقال للعظيم » .

2 ـ الالفاظ المتضادة المعاني من اختلاف الصيغ ، مثل فعل وافعل ، وفعل وفعل من الافعال، وفعل وفعل وفعيل من الصفات . وقد اوردت ءانفا امثلتها ، وما وجهه اليها ابن الانباري وابو الطيب من نقد، واخراجهما ايهاها من الاضداد. والحق معهما، ولذلك لم يوافق قطربا من اتى بعده من مؤلفي الاضداد. فاستبعده اكثرهم من كتبه . وربما كان واجبا ان نستثني ابا عبيدة والتوزي من هذا الحكم ، اذ يبدو انهما اورداه في كتابيهما . قال ابو الطيب (62) : « قال ابو عبيدة : ترب الرجل يترب تربا : اذا لصق بالتراب من الفقر .. واترب الرجل يترب اترابا : اذا كثر ماله ككثرة التراب . فالترب المحتاج ، والمترب الغني» وقال ابو الطيب ايضا (63) : « قال التوزي : ومن الاضداد ثبت الرجل اذا اعطيته من الثواب ، واثبته اذا طلبت نواله . قال ابو حاتم : ولا اعرف الثاني الا توهما » .

اما الاصمعي فوجدت عنده مثالا لو صح وضعه مع ابي عبيدة والتوزي . قال (64) : « قسط : جار. واقسط بالالف : عدل لا غير . قال الله جل ثناؤه : (واقسطوا ان الله يحب المقسطين) اي العادلين . وقال في الجائرين : (واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) .. » . ويخيل لي ان في العبارة سقطا ، وتتمتها : « قسط : جار ، وقسط : عدل . واقسط بالألف:عدل لا غير»بدليل عبارة(لا غير) وبدليل ورودها على هذه الصورة عند ابن السكيت الذي يروي كثيرا من الاضداد عن الاصمعي ، وورودها كذلك عند غيره.

3 ـ الالفاظ التي تتفق في الصيغة والحدث، وتختلف في نسبته الى من قام به او من وقع عليه . ومثالها فعيل التي تدل على الفاعل والمفعول . قال (65) : «الربيبة : التي تربب . والربيبة : التي تربت. قال الله عز وجل في الربيبة : « وربائبكم اللاتي في حجوركم » .

---

(58) 69 . واورده ابو حاتم 224 ، وابن الانباري114 ، وابو الطيب 495 ، وابن الدهان 15 والصغاني 588 .

(59) 133 . واورده ابو حاتم، 253 ، وابن الانباري 301 وابو الطيب 650 وابن الدهان 20 ، والصغاني 670 .

(60) 86 . واورده ابن الانباري 31 ، وابن الدهان 7 .

(61) 257 . وارده قطرب 49 ، وابو الطيب 85 ، وابن الدهان 7 ، والصغاني 389 .

(62) 115 . واورده ابن الانباري 291 .

(63) 124 .

(64) 21 . واورده قطرب 98 ، وابن السكيت 293 وابن الانباري 26 وابو الطيب 594، وابن الدهان 17 ، والصغاني 625 .

(65) 84 . واورده الاصمعي 80 ، وابو حاتم 174،وابن السكيت 353 ، وابن الانباري 85 وابو الطيب 310 ، وابن الدهان 11، والصغاني 472 .

وصيغة فعول ، قال (66) : « ومنها قول الله عز وجل : (فمنها ركوبهم) لما يركب . وركوب للفاعل ايضا مثل ضروب وقتول . وقالوا : مكان ركوب : اي مركوب . وقال الاخر : « يدعن صوان الحصى ركوبا » اي مركوبا . طريق ركوب ، وطرق ركب. وقال اوس :

تضمنهـا وهـم ركـوب كانهـا
اذا ضم جنبيه المخـارم رزدق

وهو الصف من الناس اذا انقطعوا ، وهو بالفارسية رزده » .

وصيغة فاعل ايضا ، قال (67) : « وقد جاءوا بفاعل في معنى مفعول ضدا ، قالوا : سر كاتم ، اي مكتوم، وامر عارف، وما انت بحازم عقل : اي محروم عقل ، وهذه تطليقة بائنة : اي مبانة فيها . اخبرنا الثقة : ومثله قول الله جل وعلا : (لا عاصم اليوم من امر الله) كانه يريد لا معصوم ، و (هو في عيشة راضية) من ذلك اي مرضية ، وقد يجوز ان يكون المعنى في راضية لاهلها ...» . ويرى بعض النحويين ان العبارات تحتوي على فاعل مقدر بعد الصفات ، فالتقدير عنده سر كاتمه صاحبه او سامعه وامر عارفه الناس ... الخ .

ووافق اللغويون قطربا في عد هذا النوع من الاضداد ، وادخلوه في كتبهم . وتنبه بعضهم الى جمع الالفاظ المختلفة تحت صيغتي فعول وفعيل ، وفرقها بعضهم الاخر . فجمع قطرب معظم صيغ فعول وعقد لها عنوانا خاصا بها ، ولم يجمع صيغ فعيل. واتبعه في الامرين ابو حاتم ، حتى اشتركا في كثير من الالفاظ التي اوردها (154 – 163) . وجمع الاصمعي بعض صيغ فعول دون عنوان (87 – 91) واهمل صيغ فعيل . فاتبعه ابن السكيت .

واضاف ابو حاتم صيغة فعال ، التي تطلق على الفاعل والمفعول اليه. قال (68) : « التواب : التائب الفاعل . والتواب : الله تعالى . قال : (وان الله تواب حكيم) . وقال الله تعالى : (ان الله يحب التوابين) » .

ويجدر بنا ان نلاحظ ان الاحداث التي تدل عليها هذه الالفاظ او اغلبها تحتاج الى الاشتراك ولا يمكن ان تقع لفرد واحد . فالتربية مثلا تحتاج الى من يقوم بها والى من تقع عليه ، والركوب يحتاج الى راكب ومركوب .. الخ .

4 – الالفاظ المشتركة المعنى المختلفة مظاهره ، مثل قول قطرب (69) : « اهنف الرجل اهنافا – بالنون والتاء : ضحك ضحكا رويدا . واهنف ايضا : بكى . ويقال : تهانف الرجل تهانفا : اذا ضحك ضحك تعجب » . وقال ابن الانباري : « تهانف معناه قال : ايها ايها في البكاء » . والواضح ان الاهناف هو الحركة والصوت اللذين يصدران من الباكي والضاحك ، فالمعنى واحد ، غير ان مظاهر مختلفة تتصل به . ومثله المآتم كما راينا .

ولم ينفرد قطرب بهذا النوع ، بل وجد عند غيره من اصحاب الاضداد . فقد اورد الاصمعي في كتابه الطرب ، التي مر بنا نقد ابن الانباري لها . ولم اجد عند ابي حاتم من هذا النوع الا ما نقله من قطرب وابي زيد . مثال ذلك قوله (70) :

« قال ابو زيد : طبخته : اذا شويته ، وكذلك اذا طبخته في القدر . قال : ويقال ، طبختـه الشمس اي احرقته ، وطبختـه في التنور : اي شويته ..» فالمراد بالطبخ الانضاج ، سواء أكان بالشي ام بالغلي في القدر ..

والغريب ان ابن الانباري الذى نقد كثيرا مما ذكره غيره ، وقع هو نفسه فيه ، ورضي عن كثير منه . ومن اغرب ذلك قوله (71) : « الصلاة من الاضداد . يقال للمصلى من مساجد المسلمين صلاة ، ويقال لكنيسة اليهود صلاة . قال الله عز وجل :

---

(66) 13 . واورده الاصمعي 90 ، وابو حاتم 154،وابن السكيت 362 ، وابن الانباري 239 وابو الطيب 306 ، وابن الدهان 17 ، والصغاني 481 .
(67) 33 – 44
(68) 196 . واورده ابن الانباري 338، وابو الطيب111 ، وابن الدهان 8 ، والصغاني ، 411 .
(69) 52 . واورده ابن الانباري 258 ، وابو الطيب 683 ، وابن الدهان 21 .
(70) 211 . واورده ابو الطيب 462 ، والصغاني 554 ، ووضعه ابن الانباري في اشباه الاضداد 185.
(71) 225 . وانظر 227 .

(يا أيها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى) اراد لا تقربوا المصلى ، هذا تفسير ابي عبيدة وغيره. وقال عز ذكره : (لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد) والصلوات عني بها كنائس اليهود ، واحدتها صلاة ..» فالصلاة موضع صلاة الانسان ، مسلما كان أو مسيحيا أو يهوديا او غيرهم .

ويتمثل هذا النوع ايضا في أضداد أبي الطيب ، وابن الدهان ، والصغاني ، بسبب كونها تستهدف الجمع ، فهي تورد ما أوردته الكتب السابقة عليها . بل اضاف بعضها الفاظا جديدة لم ارها فيما بين يدي من كتب . ومثالها ما اورده الصغاني في قوله (72) : المعجباء : التي يتعجب من حسنها ، والتي يتعجب من قبحها » . واللفظ غني عن التعليق، فالواجب ان يفسر بانه التي يتعجب منها ، سواء كان ذلك التعجب للحسن او القبح أو غيرهما .

5 – المشترك المعنى المختلف المفهوم تبعا لاختلاف المتعلقات ، مثل قول قطرب (73) : «ومنه ايضا راغ عليهم : اتاهم . وراغ عنهم : ذهب عنهم وتنحى . وقال الله جل ثناؤه (فراغ عليهم ضربا باليمين) أي أقبل عليهم ضربا بالآلهة .. » وقد نقد بعضهم قطربا على هذا اللفظ ، قال ابن الانباري : « قال الفراء : لا يقال لمن رجع : راغ ، الا أن يكون مخفيا رجوعه .. وقال غير الفراء : لا يكون راغ ابدا الا بمعنى رجع على السبيل الذى ذكر الفراء ، وليس بحرف من الاضداد على ما ادعى قطرب » . وواضح أن معنى راغ واحد ، وهو الحركة الخفية ، ثم يحدد الحرف الذى يوضع بعد الفعل اتجاه هذه الحركة. فاذا كان الى او على ، كانت الحركة اقبالا ومجيئا . واذا كان عن ، كانت الحركة ادبارا وابتعادا .

ولكن قطربا لم ينفرد بهذا النوع من الاضداد ، بل وجد عند غيره من المؤلفين في الاضداد . ومثاله عند الاصمعي ما جاء في قوله (74) : « وحكي ان الاقهام الجوع ، وانشد : – وهو الى الزاد شديد الاقهام – يقال : اقهم عن الطعام واقهى : اذا لم يشتهه . واورد ابن السكيت وابو حاتم وابن الانباري وابن الدهان والصغاني ما ذكره سابقوهم من هذا النوع ، دون تعليق او نقد . واحسن من نقد هذا النوع هو عبد الفتاح بدوي في قوله : « جلي الا تفاد في شيء من الرغبة أو الروغ او الانصراف (في قولنا رغبت فيه وعنه ورغت عليه وعنه وانصرفت اليه وعنه) انما الضدية بين معنى في وعن ، وعلى وعن ، والى وعن . وهذه الحروف الفاظ مختلفة ، ليست من الضدية التى نبحث عنها في شيء ، فاين اللفظ الذى له معنيان متقابلان ؟» .

6 – الالفاظ التى اختلفت في العدد الذى تدل عليه قال قطرب (75) : « وقالوا ايضا : الزوج ، الفرد ، يقال : عندي زوجان من خفاف اي خفان . والزوج : الزوج ايضا » . وعلق ابن الانباري (240) على ذلك بقوله : « وهذا عندي خطا ، لا يعرف الزوج في كلام العرب لاثنين ، انما يقال للاثنين زوجان . بهذا نزل كتاب الله ، وعليه اشعار العرب. قال الله عز وجل (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى) اراد بالزوجين الفردين ، اذ ترجم عنهما بذكر وانثى . وقال عز ذكره : (ثمانية ازواج من الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين) وكذلك ما بعدهما ، فالازواج معناهما الافراد لا غير . والعرب تفرد الزوج في باب الحيوان ، فيقولون : الرجل زوج المراة ، والمراة زوج الرجل ... فمن ادعى أن الزوج يقع على الاثنين فقد خالف كتاب الله جل وعز ، وجميع كلام العرب ، اذ لم يوجد فيما شاهد له ، ولا دليل على صحة تأوله » . واظن أن سبب هذا الخلط ، ان اللفظ لا يطلق على كل فرد وانما الفرد الذى لا بد من اقترانه بآخر . وعلى اي حال فاللفظ لا يحتوي على معنيين متضادين ، وانما اختلف الناس في العدد الدال عليه فحسب : واحد او اثنين ، وليس هذا بتضاد .

ووقع فيما وقع فيه قطرب من اللغويين ابو عبيدة ، قال ابن الانباري (76) : « ضعف حرف من الاضداد عند بعض اهل اللغة ، يكون ضعف الشيء

---

(72) 574 .

(73) 209 . واورده ابو الطيب 328 ، وابن الدهان 11 ، ونقده ابن الانباري 92 .

(74) 13 . ورواه قطرب 104 ، وابن السكيت 288، وابن الانباري 144 ، وأبو الطيب 596 وابن الدهان 18 ، والصغاني 636 .

(75) 112 . واورده ابو الطيب 338 والصغاني 492 ونقده ابن الانباري 281 .

(76) 78 . واورده ابن الدهان 14 ، والصغاني 551 .

مثله ويكون مثليه . قال الله عز وجل (يضاعف لها العذاب ضعفين) قال ابو العباس ، عن الاثرم ، عن ابي عبيدة معناه يجعل العذاب ثلاثة اعذبة ، قال : وضعف الشيء مثله ، وضعفاه مثلاه . وقال ابو عبد الله هشام بن معاوية : اذا قال الرجل : ان اعطيتني درهما فلك ضعفاه ، معناه فلك مثلاه قال : والعرب لا تفرد واحدهما ، انما تتكلم بهما بالتثنية . وقال غير هشام وابي عبيدة : يقع الضعف على المثلين . قال ابو بكر : وفى كلام الفراء دلالة على هذا » . وفى هذا القول مغالطة ، لان ضعف الشيء اما ان يراد الشيء معه فيصير الجميع مثلي الاول ، واما ان يراد وحده فيكون مثله فحسب .

وكذلك سار فى طريقهما ابن الانباري ، اذ ارتضى قول الفراء (77) : « مثل حرف من الاضداد ، يقال : مثل ، للمشبه للشيء والمعادل له ، ويقال : مثل ، للضعف فيكون واقعا على المثلين . زعم الفراء : انه يقال رايتكم مثلكم . يراد به رايتكم ضعفكم ، ورايتكم مثليكم يراد به رايتكم ضعيفكم . من هذا قول الله عز وجل : (يرونهم مثليهم راي العين) معناه يرى المسلمون اي ثلاثة أمثالهم ، لان المسلمين كانوا يوم بدر ثلاث مئة وأربعة عشر رجلا ، وكان المشركون تسع مئة وخمسين رجلا . فكان المسلمون يرون المشركين على عددهم ثلاثة امثالهم » وفى هذا القول ما فى اللفظ السابق من خطا فى الشرح .

ويقرب من هذا الضمير (نحن) ، الذي ادخله ابن الانباري فى اشباه الاضداد قال (78) : « ومما يشبه حروف الاضداد نحن ، يقع على الواحد والاثنين والجمع والمؤنث فيقول الواحد : نحن فعلنا . وكذلك يقول الاثنان والجميع والمؤنث . والاصل فى هذا ان يقول الرئيس الذى له اتباع يغضبون بغضبه، ويرضون برضاه ، ويقتدون بافعاله : امرنا ونهينا ، وغضبنا ورضينا ، لعلمه بانه اذا فعل شيئا فعلـه اتباعه . ولهذه العلة قال الله جل ذكره : أرسلنا ، وخلقنا . ثم كثر استعمال العرب لهذا الجمع حتى صار الواحد من عامة الناس يقول وحده : قمنا وقعدنا ، والاصل ذاك » .

ومهما يكن ، فليس هذا النوع من الاضداد ، واسوتنا فى ذلك من اهمله من اللغويين امثال الاصمعي وابي حاتم وابن السكيت وابي الطيب ..

7 ـ الاضداد من اللغات . قال قطرب (79) : « المعصر ـ فى لغة قيس واسد ـ التى قد دنت من الحيض . واعصرت المرأة اعصارا . وقد دنا اعصارها. وبلغة الازد : التي قد ولدت أو عنست » . وسار على هذا المسلك جميع المؤلفين فى الاضداد ، وان عارضهم بعض اصحاب المعاجم مثل ابن دريد . ومثال هذا النوع عند الاصمعي قوله(80): فى المادة الاولى من كتابه : « القرء عند أهل الحجاز الطهر ، وعند اهل العراق الحيض .. » . وفى اضداده ايضا (81) : « قال ابو زيد : السدفة فى لغة تميم الظلمة ، وفى لغة قيس الضوء . قال ابن مقبل :

وليلة قد جعلت الصبح موعدها
بصدرة العنس حتى تعرف السدفا

اي اسير حتى الصبح فترى ضوء الصبح . وقال العجاج : « ـ واقطع الليل اذا ما اسدفا ـ اي اظلم » . وقال ابو حاتم (82) : « العنوة : القهر . واهل الحجاز يقولون الطاعة . يقال : اخذته عنوة اي قهرا ، وقال اهل الحجاز طاعة ، وانشدوا :

هل انت مطيعي ايها القلب عنوة
ولم تلح نفس لم تلم فى احتيالها

وقال كثير :

---

(77) 79 . واورده ابن الدهان 19 ، والصغاني 657 .
(78) 113 . واورده ابن الدهان 20 .
(79) 101 . واورده ابن الانباري 136 وابو الطيب 509 وابن الدهان 15 والصغاني 584 .
(80) واورده قطرب 99 ، وابو حاتم 134 ، وابن السكيت 276 ، وابن الانباري 8 ، وابو الطيب 571 ، وابن الدهان 17 ، والصغاني 620 .
(81) 43 . واورده قطرب 5 ، وابو حاتم 114 ، وابن السكيت 316 ، وابن الانباري 564 ، وابو الطيب 346 ، وابن الدهان 12 ، والصغاني 500 .
(82) 185 . واورده قطرب 173 ، وابن الانباري 42 ، وابو الطيب 491 وابن الدهان 15 .

تجنبـت ليلى عنـوة أن تزورهـا
وانت امـرؤ فى اهـل ودك تـارك

اي ظالما » . وكل ما ذكره السالفــون من اضداد اللغات نجده عند اللاحقين منهــم مثــل ابن السكيت وابن الانباري وابـو الطيب وابن الدهـــان والصغـانـي .

8 ـ الفاظ التثنية التى لا تفرد . قال قطـرب (83) : « الصرعان : ناحيتا النهار ، اي اوله وءاخره. ومنه مصراعا الباب بلمان ايضا . ضدان . ذلك لاول النهار وءاخره » . وتابعه فى هذا ابن الدهان وحده. واعترض عليه ابن الانباري قائلا : « وقال غيـره : الصرعان الغداة والعشي جميعا ، ولا يقع على واحد منهما دون صاحبه . وكذلك القرنان والبردان كما يقال لليل والنهار : الملوان ، والفتيان ، والردفان ، والعصران ، والجديدان ، والاجدان ، وابناسبات » . واغفله غيرهما ، مما يدل على ان القدماء انفسهم لم يرضوا من هذا النوع .

9 ـ المشترك من الالفــاظ دون ان يتضــاد . ومثاله ما اورده ءانفا من جمرت الشعر ، وللمراة جماران . ونقد ابن الانباري له . ويرفع ذلك لم يبرأ بعض اللغويين من الخلط بين الالفــاظ ذات المعانـي المتضادة والالفاظ ذات المعاني المختلفة فقط، كما فعل قطرب فهذا هو الاموي يقول (84) : « نار غاضيــة : اي عظيمة . وليلة غاضية : شديـدة الظلمـة » . والتضاد غير واضح فيه ، الا اذا فهمنا ان الغاضية هي النار الشديدة الاضاءة .

ووردت فى اضداد الاصمعي كلمتان لا تمتان الى الاضداد ، هما ضنين وظنين ، قيل (85) : « واما قوله : « وما هو على الغيب بضنين » و « بظنين » فهما وجهان معروفان . فالضنين البخيل ، يقال : ضننت اضن ضنا . والظنين المتهم ، وهو من الظنة اي التهمة ..» فهما اقرب الى كتب الابدال منهما الى كتب الاضداد . ولذلك لم يوردهما احد ممن جاء بعــده .

وورد فى اضداد الاصمعي تفسير عارض للفظ الانقياص ، اذ قيل فى مادة (قلص) (86) : « ويقال قد قلص الظل : اذا قصر ... وقلص ماء البئر : اذا جم وكثر . قال الراجز :

يا ريهـا من بـــارد قـــلاص
قد جـم حتـى هـم بانقيـاص

والانقياص : ان تنشق الركية طولا او السن ، قال ابو ذؤيب الهذلي :

فراق كقيص السن فالصبر انه
لكـل انــاث عثـرة وجبـور »

وسها ابن السكيت فى غمرة تتبعه لالفاظ الاصمعي، فالتقط اللفظ ، وخصص له مكانا بين اضداده ، بعد مادة قلص . ولكن احدا غيـره لم يقـع فى هـذا السهو ..

10 ـ الالفاظ المختلف فى تفسيرها . قال ابن الانباري (87) : « فوق حرف من الاضداد ، يكـون بمعنى اعظم كقـولك : هذا فـوق فـلان فى العـلم والشجاعة ، اذا كان الذى فيه منهما يزيد على ما فى الاخر ، ويكون فوق بمعنى دون قولـك : ان فلانـا لقصير وفوق القصير ، وانه لقليل وفوق القليل ، وانه لاحمق وفـوق الاحمـق ، اي هو دون المذمـوم باستحقاقه الزيادة من الذم . ومن هذا المعنـى قول الله عز وجل (ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) يقال : معنـى قولـه : « فمـا فوقها » : فما دونها .

ويقال : معناه فما هو اعظم منها . وقال الفراء: الاختيار ان تكون فوق فى هذه الآية بمعنى اعظم ، لان البعوضة نهاية فى الصغر ، ولم يدفع المعنى الاخر ولا رءاه خطأ وقال قطرب : فوق تكون بمعنى دون مع

---

(83) 106 ، وابن الدهان 14 ، وابن الانباري 127.

(84) الاصمعي 62 ، وابن السكيت 336 ، وابن الانباري 209 ، وابن الدهان 16 ، والصغاني 559 ، وابو الطيب 524 .

(85) 109 .

(86) 11 ، وابن السكيت 286 .

(87) 153 . واورده ابو حاتم 178 ، وابو الطيب 536 ، وابن الدهان 17، والصغاني 616 ، وانظر قطـربا 163 .

الوصف كقول العرب : انه لقليل وفوق القليل ، ولا تكون بمعنى دون مع الاسماء كقول العرب : هذه نملة وفوق النملة ، وهذا حمار وفوق الحمار قال : لا يجوز أن تكون فوق في هاتين المسألتين بمعنى دون لانه لم يتقدمه وصف ، وانما تقدمته النملة والحمار وهما اسمان ... » .

وهذا التعليل لجعل «فوق» من الاضداد خاطيء، فهذا اللفظ لا يكون بمعنى « دون » ابدا . وعبارة انه لاحمق وفوق الاحمق ، اي يزيد عنه حمقا ، لا دونه حمقا . فالمتكلم بهذه العبارة يريد منها المبالغة في وصفه بالحمق لا التقليل وكذا حال « فوق » مع جميع الصفات . اما مع الاسماء فاختلف فيها ، ولكننا نقول ايضا انها بمعنى « اعظم » لا غير . فمعنى الآية « ان الله عز وجل لا يستحيي ان يضرب الامثال بالبعوضة، وما هو اكبر منها حجما من الحشرات والحيوان ، مثل الذباب والطير والكلب والحمار ، التي استمد منها الامثلة في الآيات المختلفة . فاذا كان يقصد من البعوضة الضآلة والصغر ، فالمعنى انه سبحانه وتعالى لا يستحيي ان يضرب الامثال بالبعوضة وما هو اعظم منها صغرا وضآلة شأن . فالتفسيران يبينان ان « فوق » لم تخرج عن معناها الاصلي ، وهو « اعظم » .

ونلحق بهذا النوع قول قطرب الذي يثير منا ابتسامة (88) : قالوا : ليال درع : سود الصدور وبيض الاعجاز ، وليال درع : بيض الصدور وسود الاعجاز ، وشاة درعاء يا هذا : بيضاء المؤخر سوداء المقدم ، وشاة درعاء ـ سوداء المؤخر بيضاء المقدم » وقال ابن الانباري معلقا « وتابع قطربا على هذا جماعة من البصريين » .

فماذا كان يضيره لو فسر الليلة الدرعاء والشاة الدرعاء كما فعل عبد الفتاح بدوي بما اختلط بياضها وسوادها كأنها تلبس درعا ، دون اشارة الى المقدمة والمؤخرة فاستراح من عدها في الاضداد . وما اكثر الاضداد التي من هذا النوع .

11 ـ الافعال ذات الدلالة الزمنية المختلفة ، قال قطرب (89) : « وقالوا فعل : لما وقع ، وفعل : لما لم يقع . وفي التفسير (منع منا الكيل) ، اي يمنع منا . و (نادى اصحاب النار) اي ينادون . وقال الحطيئة :

شهد الحطيئة حين يلقى ربه
ان الوليد احق بالعذر

يريد : يشهد ، لانه قال : حين يلقى ربه ، ولم يلقه بعد .

« ويكون ايضا يفعل : لما وقع ، ولما لم يقع ، مثل قوله :

ولقد امر على اللئيم يسبني
فمضيت عنه وقلت لا يعنيني

كانه قال : ولقد مررت ، لانه قال : فمضيت عنه . وقال الآخر :

واني لآتيكم تشكر ما مضى
من الامر واستيجاب ما كان في غد

اي ما يكون في غد .. » .

وقال ايضا (90) : « ومن الاضداد ـ وهي آخره (يريد آخر الكتاب) ـ : اذ في القرآن لما مضى في معنى اذا ، واذ لما يستقبل ويجيء ايضا في معناها . وقال الله عز وجل (ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت) و (لو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم) المعنى يفزعون اذا ، ويوقفون ولم يوقفوا بعد . وقال ايضا : (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم) وكان القول يكون في القيامة . فهذا لما لم يقع . وقال ابو النجم :

ثم جزاه الله عنا اذ جزى
جنات عدن في العلالي العلى

كانه قال : اذ يجزي ، لان هذا لم يقع بعد ... وقال اوس :

والحافظ الناس في الزمان اذا
لم يرسلوا تحت عائذ ربعا

وهبت الشمال البليل واذ
بات كميع الفتاة ملتفعا

(88) 142 . واورده ابو حاتم 132 ، وابن الانباري 165 ، وابو الطيب 271 . وابن الدهان 10 ، والصغاني 465 .
(89) 121 .
(90) 218 .

فقال : اذ واذا فى معنى واحد ...» .

وارتضى ابو عبيدة هذا النوع من الاضـــداد ، وادخله فى كتابه . قال ابن الانبـاري (91) : « قال ابو عبيدة : كان من الاضداد ، يقال : كان للماضي ، وكان للمستقبل . فاما كونها للماضي فلا يحتاج لها الى شاهد ، واما كونها للمستقبل فقول الشاعر :

فادركت من قد كان قبلي ولم ادع
لمن كان بعدي فى القصائد مصنعـا

اراد لمن يكون بعدي . قال وتكون كان زائدة ، كقوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما) معناه والله غفور رحيم .

« قال ابو عبيدة : ويكون من الاضـــداد ايضا ، يقال : يكون للمستقبل ، يقال : يكون للماضي . فكونه للمستقبل لا يحتاج الى شاهد ، وكونه للماضي قول الصلتان يرثي المغيرة بن المهلب :

قل للقوافل والغزاة اذا غـــزوا
والباكريـن وللمجـد الرائـــح
ان السماحة والشجاعـة ضمنـا
قبرا بمرو على الطريق الواضـــح
فاذا مررت بقبـره فاعقـر بـه
كوم الجلاد وكل طـرف سابـح
وانضح جوانب قبـره بدمائهـا
فلقـد يكـون اخـادم وذبائـــح

اراد : فلقد كان .

« قال ابو بكر : والذى نذهب اليه ان « كـان ويكون » لا يجوز ان يكونا على خلاف ظاهرهما ، الا اذا وضح المعنى . فلا يجوز لقائل ان يقول : كان عبد الله قائما ، بمعنى يكون عبد الله . وكذلك محال ان يقول : يكون عبد الله قائما ، بمعنى كان عبد الله . لان هذا ما لا يفهم ، ولا يقوم عليه دليل . فاذا انكشف المعنى حمل احد الفعلين على الآخر ، كقوله جـل اسمه (كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) معناه : من يكون فى المهد فكيف نكلمه ، فصلح الماضي فى موضع المستقبل لبيان معناه . وانشد الفراء :

فمن كان لا يأتيك الا لحاجـة
يروح لها حتى تقضى ويغتــدي
فاني لآتيكـم تشكـر ما مضـى
من الامر واستيجاب ما كان فى غد

اراد ما يكون فى غـد . وقال الله عز ذكـره (ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار) فمعنـــاه : وينادى ، لان المعنى مفهوم . وقال جل وعز : (يا ابانا منع منا الكيل) فقال بعض الناس : معناه يمنع منا . وقال الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقـى ربـه
ان الوليـــد أحـــق بالعـــذر

معناه : يشهد الحطيئة . وقول ابي عبيدة : كان زائدة فى قوله تبارك وتعالى : (وكان الله غفـورا رحيما) ليس بصحيح ، لانها لا تلغي مبتداة ناصبة للخبر ، وانما التاويل المبتدأ عند الفراء ، « وكائن الله غفورا رحيما » فصلح الماضي فى موضع الدائم ، لان افعال الله جل وعز تخالف افعال العباد ، فافعال العباد تنقطع ، ورحمة الله جل وعز لا تنقطع وكذلك مغفرته وعلمه وحكمته . وقال غير الفراء : كان القوم شاهدوا الله مغفرة ورحمة وعلما وحكمة ، فقال الله جل وعز : وكان الله غفورا رحيما) اي لم يزل الله عز وجل على ما شاهدتم » (92) .

ويرى الباحثون البلاغيون ان هذه الافعـال لم تخرج عن زمنها ، سواء ادلت على الماضـي ام عـلى المضارع ، فهي مختلفة بمعناهـا الاصيـل . وانمـا استعمال المضارع فى الماضي التفات ذهني ، كي يبرز القائل الصور والاحداث الماضية ، ويجلبها تحت سمع السامع والقارىء وبصرهما ، وكانها تحدث فى الحاضر ، لتكون اشد تاثيرا فيه ، وانطباعـــا فى ذهنه . واستعمال الماضي فى الزمن الحاضر التفات ذهني ، كي يبرز القائل تاكده من حدوث هذه الافعال فى المستقبل ، وتيقنه من ذلك ، وكانما قد وقعت حقا وانتهى الامر . اما استعمال الافعـال الماضيـة والمضارعة فى غير زمنها فى بعض الشعر لغير غرض بلاغي ، فانما هو امر فرضته ــ فى غالب الظـن ــ الضرورة ، وليس بالتوسع اللغوي ولا الاضداد .

---

(91) 28 ــ 69 .

(92) اورده ابو حاتـــم 198 ، وابن الدهـــان 18 ، والصغاني 646 .

12 ـ عبارات التفاؤل والتطير ، قال قطرب (93) : ومنه ايضا : رجل اعور : للذاهب العين ، ورجل اعور : للحديد البصر . ويقال غراب اعور ، لحدة بصره ، وقال الشاعر : ـ في الدار تحجال الغراب الاعور ـ » وقال (94) : « وقالوا : البصير : الصحيح البصر ، والبصير : الاعمى . والادم : الابيض ، والظبية الادماء : البيضاء . وآدم : اسود . وبعير آدم : حسن البياض شديد سواد المقلتين » .

ووجد هذا النوع عند مؤلفي الاضداد جميعا ، وعند غيرهم . قيل في اضداد الاصمعي (95) : « قال ابو زيد : الناهل في كلام العرب : العطشان ، والناهل : الذي قد شرب حتى روي ، قال النابغة :

الطاعن الطعنة يوم الوغى
ينهل منها الاسل الناهل

اي يروى منها العطشان. وقال الاصمعي : الانثى ناهلة ، والجميع نهال ، ورجل منهل : اي معطش ، وابل نهال : اي عطاش ، يتطيرون بها من العطش فيقولون : هذه ابل ناهلة .. » .

وقال الاصمعي (96) : « سموا المفازة مفعلة من فاز يفوز : اذا نجا ، وهي مهلكة ، قال الله جل ثناؤه : (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب)اي منجاة. واصل المفازة مهلكة ، فتفاءلوا بالسلامة والفوز ، كقولهم للملدوغ سليم ، والسليم : المعافى » .

واضاف ابا عبيدة عبارات التطير ، اذ قيل في اضداد الاصمعي (97) : « قال ابو عبيدة يقال : فرس شوهاء . اي حسنة ، ولا يقال للذكر هذا شيء . ويقال : لا تشوه علي، اي لا تقل: ما افصحك، فتصيبني بالعين . قال : وما سمعتها الا في هذين الحرفين ، واما القبح فيقال : قد شوه الله خلقه ، ورجل اشوه ، وامرأة شوهاء ، قال الحطيئة :

ارى ثم وجها شوه الله خلقه
فقبح من وجه وقبح حامله

وقال ابو دواد يذكر فرسا :

فهي شوهاء كالجوالق فوها
مستجاف يضل فيه الشكيم »

واورد ابو حاتم وغيره هذا اللفظ ايضا، وفسره الاول تفسيرا واضحا ، اذ قال : « قال ابو عبيدة : مهرة شوهاء : قبيحة وجميلة . قال ابو حاتم : لا اظنهم قالوا للجميلة : شوهاء الا مخافة ان تصيبها عين ، كما قالوا للغراب : اعور لحدة بصره » .

وهذا النوع من التعبير ليس من الاضداد ايضا ، لان قائله يريد ان يوهم السامع بحقيقة اللفظ لا ضده ، او يوهم نفسه ايضا ، فهو حين يصف الملدوغ بالسليم يريد أن يوهم نفسه وسامعيه بانه سليم معافى ولا خوف عليه . ولا يريد باي حال من الاحوال أن يتصوره ملدوغا متالما . وكذا الحال في بقية الالفاظ . وقد نقد عبد الفتاح بدوي هذا النوع فقال عنه : « اذا طبقنا بسائط علوم اللغة على امثلة هذه الطائفة وجدنا المعنى الثاني مجازيا للكلمة ، والاول هو المعنى الحقيقي ليس غير ، ومعنى الضدية لا يتحقق بين الحقيقة والمجاز لانهما لا يتساويان في فهمهما من الكلمة ، وانما الذى يفهم هو المعنى الحقيقي فقط ، ولا يفهم المعنى الثاني الا بقرينته ، وبالانتقال من المعنى الاول حتما ، فيفوت معنى الضدية .

13 ـ صيغة الفعل قال قطرب (98) : « ومنه ايضا شكاني فلان فاشكيته : اذا شكاك فاعتبته ، وقد يقولون ايضا : فاشكيته ، اي زدته شكوى . ويقال : شكا الي ما لقي فما اشكيته اشكاء ، وقال الراجز :

(93) 75 . وانظر ابن الانباري 269 ، وابا الطيب 508 ، وابن الدهان 16 .
(94) 76 ، 17 . وانظر ابا الطيب 63 ، 12 ، وابن الدهان 7 .
(95) 45 . واورده قطرب 55 ، وابو حاتم 135 ، وابن السكيت 318 ، وابن الانباري 65 ، وابو الطيب 637 ، وابن الدهان 20 ، والصغاني 680.
(96) 38 . واورده ابن السكيت 319 ، وابن الانباري 59 وابو الطيب 560 والصغاني 615 .
(97) واورده ابو حاتم 220 ، وابن الانباري 181 ، وابو الطيب 408 ، وابن الدهان 13 .
(98) 201 . واورده ابو حاتم 147 ، وابن السكيت 365 ، وابن الانباري 140 ، وابو الطيب 390 ، وابن الدهان 13 ، والصغاني 526 .

تمـــد بالإعنـــاق :و تلويهـــا
وتشتكـي او انـا نشكيهـا »

وارتضى الاصمعي هذا النوع ، وادخلـه فى الاضداد ، قال (99) : « اطلبت الرجل : اعطيتـه ما طاب ، واطلبته : الجاته الى ان يطلب ، ومنه قول ذي الرمة :

اضلـه راعيـا كلبيـة صـــدرا
عن مطلب وطلى للاعناق تضطرب

يقول : بعد الماء منهم حتى الجاهم الى طلبه ، ويروى : — عن مطلب قارب وراده عصب — .

« ويقال : اشكيت الرجل : اذا اتيت اليه ما يشكو منه ، واشكيته : نزعت شكايته .

قال الراجز :

تمـــد بالاعنـــاق او تلويـــها
وتشتكـي لو اننـا نشكيهـا »

والامر فى هذا النوع يســير ايضـا ، فالمعنى الاصلي فيـها التعديـة ، قـال الرضـى (100) : « المعنى الغالب فى أفعل تعديـة ما كان ثلاثيـا » ، فالمعنى الاصيل لاطلب واشكى جعله يطلب ويشكو . ولكن هذا الطلب ، وهذه الشكوى ، كانا سببا فـى الاستجابة ، اي ازالة اسباب الطلب والشكـوى . فارتبط السبب (الشكوى) والسبب (ازالتها) فى ذهن العربي ، فربط بينهما فى لغته ، واطلق عليهما لفظا واحدا . ولكن هذا اللفظ كان حقيقيا حيـن اطلقه على السبب ، وكان مجازيا حين اطلقـه على المسبب ..

14 — صيغة تفعل ، قـال قطـرب (101) : «ويقال : تاثم فلان : كره الاثم ، وهو من لفظ الاثم ، وحرج ايضا يحرج : اثم » .

وقال ابن الانباري (102) : « وتاثم حرف من الاضداد ، يقال قد تاثم الرجل اذا اتى ما فيه المأثم ، وتاثم : اذا تجنب المأثم ، كما يقال : قد تحوب الرجل، اذا تجنب الحوب ، ولا يستعمل الحوب فى المعنى الإخر .. » وقال أيضا تحنث حرف من الاضـداد ، يقال : تحنث الرجل : اذا اتى الحنث ، وقد تحنث اذا تجنب الحنث ... » .

وقال الرضى 103 : « والاغلب فى تفعل معنى صيرورة الشيء ذا اصله ، كتاهل وتالم .. اي صار ذا اهل ، والم ... فيكون مطاوع فعل الذي هـو لجعل الشيء ذا اصله اما حقيقة كما فى البته فتالب واصلته وتاصل ، واما تقديرا كما فى تاهل ، اذ لـم يستعمل اهل بمعنى جعل ذا اهل » . ومن الطبيعي أن هذه الصيغة تاتي من الافعال التى تصلح فيهـا المطاوعة ..

وقال الرضى ايضـا (104) ان تفعـل تاتـي للتكلف نحو تشجع وتحـلم ، وما هو بشجـاع ولا حليم . اي الصفة منتفية عنه مسلوبة منه، وللاتخاذ، ويشترط ان يكون اصل الصيغة اسما لا مصدرا مثل تردى وتوسد من الـرداء والوسادة . فهـذا المعنـى ياتي من الاشياء المادية لا المجردة . وتاتي ايضا للعمل المتكرر فى مهلة نحو تجرع وتفهم . وكذلك بمعنـى استفعل فى الطلب ، والاعتقاد فى الشيء انه علـى صفة اصله ، نحو تنجزته واستعظمته ، ومن الواضح ان الفعل فيهما متعد لا لازم ، واخيرا تاتي للتجنب.

ولو وضعنا هذه المعاني المختلفة لصيغة «تفعل» بجوار معنى التجنب ، لظهر لنا الفـرق الجـــلي . فالصيغة فيها جميعا — ماعدا التكلف — متعـدية لا لازمة ، بخلاف الحال فى معنى التجنب . فالاختلاط والتشابه اذن بين التكلف والتجنب . والاثنان يفيدان السلب كما راينا ، لان متكلف الشيء يشعـر بعـدم وجوده فيه ، ولذلك يتكلفه . ولكن هناك امرا ذاتيا فيهما يفرق بينهما : ذلك هو الاصل المشتقة منـه الصيغة . فاذا كان الاصل مكروها فالصيغة للتجنب ، مثل تاثم وتحوب . واذا كان الاصل محبوبا فالصيغة

(99) 92 . واورده ابو حاتم 179 ، وابن السكيت 364 ، وابـن الانبـاري 48 ، وابو الطيـب 457 ، والصغاني 561 .
(100) شرح الشافية 1 — 86 .
(101) 90 .
(102) 105 . وانظر ابا الطيب 17 ، وابن الدهان 6 ، وابا حاتم 231 .
(103) 111 . واورده ابن السكيت 445 ، وابن الدهان 9 .
(104) شرح الشافية 1 : 104 — 107.

للتكلف والتظاهر مثل تكرم وتحلم وتشجع . ويؤكد لنا ذلك ان الالفاظ الستة التي قيل انها تأتي للتجنب ماخوذة من امور مستكرهة ، وهي : تحنث ، تأثم ، تحرج ، تحوب ، تنجس ، تهجد ، والهجود مستكره للاتقياء الذين يجمل بهم ان يقضوا الليل في العبادة وذكر الله ، ومن هنا وصفته بالاستكراه (105) ولما كان العرب يستعملون هذه الصيغة في احد المعاني كانوا يحرمون استعمالها في غيره الا اذا كان لا يلتبس به ، ولذلك قال الرضي (106) : « ليست هذه الزيادات قياسا مطردا ؛ فليس لك أن تقول في ظرف : أظرف ، وفي نصر : أنصر ... وكذا لا تقول : نصر ولا دخل . وكذا في غير ذلك من الابواب ، بل يحتاج في كل باب الى سماع استعمال اللفظ المعين ، وكذا استعماله في المعنى المعين ، فكما ان لفظ اذهب وادخل يحتاج فيه الى السماع فكذا معناه الذي هو النقل مثلا ، فليس لك ان تستعمل اذهب بمعنى أزال الذهاب ، أو عرض للذهاب ، أو نحو ذلك » . ويدلنا على ذلك انهم لم يرووا لنا شواهد على استعمال هذه الالفاظ في غير التجنب . وصرح ابن الانباري بان تحوب للتجنب وحده .

15 — الصيغ المتشابهة في ظاهرها المتضادة المعاني وفقا لاختلاف تصريفها واصلها .

قال قطرب (107) : « ومنه ايضا اردات الرجل : امنته واردیته ، وقول الله جل ثناؤه (ردءا يصدقني) وقالوا ايضا : اردیته : امنته ، واردیته : اهلكته » واظهر امثلة من هذا النوع صيغة اسمي الفاعل من « افتعل » و « انفعل » من الاجوف والمضاعف . وقد زاد هذه الفئة ابو حاتم في اضداده ، قال (108) : «اما كان من المعتل من بنات الياء والواو التي في موضع العين ، او من المضاعف على مفتعل ومفتعل ، لفظهما فيه سواء ، كقولك : مختار ، للفاعل والمفعول به ، اخترت عبد الله من الرجال فانا مختاره وهو مختار ، وكذلك المزدان من الزين ، والمعتاض ، والمكتال والمعتد ، الفاعل والمفعول به ، يقال : اعتد فلان شيئا ، فالرجل معتد ، والشيء معتد . وكذلك المنقاد ، تقول : انقدت لك ، فانا منقاد (لك) ، وانت منقاد لك .

والاصل : انا منقود لك ، وانت منقود لك . قال ابو حاتم : « والاصل في المختار اذا كان فاعلا : مختير ، فكرهوا حركة الياء فأسكنوها ، ثم قلبوها الفا للفتحة قبلها . واما مختار مفتعل ، فالاصل : مختير ، الياء مفتوحة فكرهوا حركتها فاسكنوها ثم قلبوها الفا . وكذلك مكتال ، لانه من بنات الياء ، من كال يكيل ، فكرهوا حركة الياء فاسكنوها ، ثم قلبوها ألفا لانفتاح ما قبلها . ومعتد ، اصلها معتدد ، بالكسر للفاعل . ومعتدد ، بالفتح للمفعول به ، فتحركت الدالان ، فسكنوا الاولى ثم ادغموها في الثانية فاستوت اللفظتان » .

ورضي التوزي وابن الدهان عن هذا النوع فادخلاه في اضدادهما ، ولكنه لم يحظ بمثل هذا القبول عند غيرهما ، فنقده ابو الطيب — كما رأينا — نقدا مرا ، ونفاه من الاضداد واكتفى غيره باهماله . وكشف عبد الفتاح بدوي عن رأيه في هذا النوع في قوله : « ولا جرم أن دعوى التضاد في هذه الطائفة انما هو اعتبار للنغمة الصوتية فقط ، مع تناسي حقيقة الكلمة ومقياسها فمختار الذي اصله مختير بكسر الياء لا يمكن ان يقال انه مختار الذي اصله مختير بفتحها . ومن ثم تكون دعوى التضاد في هذه الطائفة اشبه بالهذر منها بالحقائق العلمية ، لان التضاد انما يتصل بالمعاني لا بالانغام » .

ونسي هذا الكاتب ان التضاد يقوم على الانغام (اصوات الكلمات) ومعانيها في نفس الوقت ، وانه لو فرق بين الاثنين ما وجدت الاضداد ، وما وجد بحث فيها . ونسي ان الصرفيين عندما يقولون ان مختار اصلها مختير بكسر الياء اذا كانت اسم فاعل ، او بفتحها اذا كانت اسم مفعول ، فكرهت حركة الياء فحذفت ، وقلبت الياء الفا ، لا يريدون بذلك ان العرب نطقوا بها — اول ما نطقوا — بالياء المحركة ، ثم مر عليهم طور نطقوا فيه بالياء الساكنة ، ثم في الاطوار الاخيرة بالالف . فحسهم اللغوي ، وذوقهم اصوات الالفاظ ، جعلاهم يستعملون اللفظ بالالف منذ الوهلة الاولى ، لانهم لم يستحسنوا غيرها ، حتى قبل وجوده . اما الصرفيون فيفترضون انه لو كانت اللفظة في اصلها على هذا البناء ، لاستمر بها

(105) انظر تاج العروس : حنث .
(106) شرح الشافية 1 — 84 .
(107) 185 .
(108) 175 .

التغيير الى ما صارت عليه . فكأنما اقام الكاتب رده على افتراضات ، واعتبرها حقائق علمية ، فانهار نقده ، ولم يستطع الوقوف على تدعيمه . فالمعنيان في الحقيقة والواقع لا فرق بينهما ، ولم يكن يوجد فرق صوتي بينهما فقط ..

ولكننا ــ برغم انهيار نقده ــ لا نستطيع ان نلحق بهذا النوع من الالفاظ معنيين متضادين وانما نقول ان فيها تضادا في اتجاه المعنى ، لا المعنى نفسه . فهو مرة متجه الى الفاعل ، واخرى الى المفعول ، ولكنه هو هو في المرتين . فالاختيار لم يتغير ، وانما اتجه القائل ذات مرة الى فاعل هذا الحدث ، واتجه في المرة الثانية الى الذى وقع عليه الحدث . تلك هي الانواع التى اطلق عليها قطرب لفظ الاضداد ، وادخلها في كتابه . وقد ارتضاها اكثر المؤلفين كما رأينا ــ وزادوا عليها انواعا اخرى، فتتبعها في كلامنا التالي ..

16 ــ الاضداد المجازية ، اي التى احد معنيها حقيقي ، والآخر مجازي . ويتمثل هذا النوع في صنفين من المجاز :

ا) فالصنف الاول : الالفاظ التى تطلق على الاناء وما فيه . وظهر هذا الصنف عند أبي عمرو بن العلاء . قيل في اضداد الاصمعي (109) : « قال ابو عمرو : الارة : النار ، والارة : الحفرة التى فيها النار » . ووجد عند ابي زيد ، قيل في اضداد الاصمعي (110) « الظعينة : المراة على البعير ، ويجوز أن تكون في بيتها . قال ابو زيد : الظعائن : الهوادج ، وانما سميت النساء ظعائن لانهن يكن فيها » . وارتضى ابو عبيدة هذا الصنف ، قيل في اضداد الاصمعي (111) : « قال ابو عبيدة : الكأس : الاناء الذى يشرب فيه، والكأس: ما فيه من الشراب» وسار على ذلك الاصمعي ، وروى في اضداده (112):

« ويقال ناقة ثني : اذا ولدت بطنين ، وثنيها : ما في بطنها .. »

وسار المتاخرون على هذا النهج ، الذى اختطه الرعيل الاول من اللغويين ، فاورد ابن السكيت وابو حاتم وابن الدهان والصغاني ما اورده السابقون عليهم من امثلة هذا الصنف من الاضداد . واورد ابو حاتم مثالا لم يورده من قبله ، قال (113) « المجمر : العود الذى يدخن به . والمجمر ايضا : الذى يوضع فيه الدخنة ، ومنه قول ابن احمر :

لم يعد ان فتق الشجاع لهاته
والتمر قارحه كلز المجمر

اراد انه اول ما بزل، فقارحه مثل الحديدة التى يلزبها المجمر مثل الشعيرة او اصغر » .

ونستطيع ان نضع في هذا الصنف امثال ما جاء في اضداد الاصمعي (114) : « الراوية : البعير الذى يستقى عليه الماء ، يقال : رويت عليه اروى رية : اذا استقيت عليه ، وبه سميت الراوية التي عليه ، وانما هي المزادة ، قال ابو النجم :

تمشي من الردة مشي الحفل
مشي الروايا بالمزاد الاثقل

يقال : اردت الناقة ، وذلك اذا كانت عطشى ثم رويت فعطنت ، فينفتح ضرعها حتى تحسب انها حامل . »

وجعل عبد الفتاح بدوي هذا النوع والفاظ التفاؤل والتطير طائفة واحدة ، ووجه اليها النقد الذى ذكرته آنفا . والحق ان المعنى لم يتغير ولم يتضاد في أي لفظ منها . وانما كان من سنن العرب اطلاق اللفظ الواحد على الشيء وما يلازمه ، لاتجاه الذهن الى الاثنين معا كلما ذكر احدهما . فكان اللفظ في اصالته يدل على احد المعنيين ثم انتقل مجازا

(109) 64 . واورده ابن السكيت 338 وابن الانباري 208 والصغاني 373 .
(110) 68 . واورده ابن السكيت 342 وابن الانباري 100 وابن الدهان 15 والصغاني 566 .
(111) 67 . واورده ابن السكيت 341 وابن الدهان 18 والصغاني 639 وجعله ابن الانباري من اشباه الاضداد.
(112) 65 . واورده ابن السكيت 339 واسن الانباري 211 وابو الطيب 119 وابن الدهان 8 والصغاني 416 .
(113) 273 . واورده ابن الدهان 8 .
(114) 69 . واورده ابن السكيت 343 وابن الانباري 101 وابن الدهان 11.

الى المعنى الثاني لما بينهما من تلازم في الواقع والذهن .

(ب) لفظ امة ، الذى زاده ابن الانباري ، اذ قال (115) : « الامة حرف من الاضداد يقال : الامة للواحد الصالح الذى يؤتم به ، ويكون علما في الخير ، كقوله عز وجل : (ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا) . ويقال : الامة للجماعة ، كقوله عز وجل : (وجد عليه امة من الناس يسقون). ويقال : الامة ايضا للواحد المنفرد بالدين..».

وواضح ان عد هذا اللفظ من الاضداد فيه تعسف . فالمعنى لم يتضاد في اطلاق اللفظ على الفرد او الجماعة . بل اني اعتقد انه – حين يطلق على الفرد – يحتفظ بدلالته على الجماعة . فالآية تصف ابراهيم عليه السلام بانه كان يعادل في دينه وورعه وتقواه الجماعة من الناس ، أو انه جمع ايمان الامة وورعها وتقواها في شخصه ، او انه كان كل المؤمنين في وقته القانتين الحنفاء ولم يكن مؤمن غيره .

واضاف ابن الانباري الى ما سبق انواعا اخرى ، لست على يقين اكأها من عنده ام ينقلها عن غيره ، اذ لا دليل يميل بالمرء الى احد هذين الرأيين الا فيما اسنده الى غيره . وهاك هذه الانواع :

17 – الافعال المتعدية واللازمة بمعنى واحد . قال (116) : « زال حرف من الاضداد . يقال : قد زال المكروه عن فلان ، وقد زال الله المكروه عنه بمعنى ازال ... وخان حرف من الاضداد . يقال : خان النعيم فلانا ، وخان الدهر النعيم فلانا . فيكون النعيم فاعلا في حال ، ومفعولا في حال ، وخان غير متغير اللفظ .. وطل حرف من الاضداد. يقال : طل فلان دم فلان اذا ابطله ، وطل دم فلان : اذا بطل ، والاختيار طل دمه ..» ولا شك ان ابن درستويه كان يتحدث عن هذا النوع ، حين ذكر ان العرب تحذف احيانا حرف الجر للتخفف عند كثرة الاستعمال . فالاستعمال الاصيل للفعل كان باللزوم ثم حذفت منه اداة التعدية للخفة ..

18 – الحروف والادوات ، التى تدل على معان مختلفة مثل قوله (117) : « قال بعض اهل العلم : ان حرف من الاضداد اعني المكسورة الهمزة المسكنة بالنون ،، يقال : ان قام عبد الله ، يراد به: ما قام عبد الله . حكى الكسائي عن العرب : ان احد خيرا من احد الا بالعافية . فمعناه : ما أحد . وحكى الكسائي ايضا عن العرب : ان قائما ، على معنى ان انا قائما ، فترك الهمز من أنا ، وادغمت نون أن في نون أنا ، فصارتا نونا مشددة كما قال الشاعر :

وترمينني بالطرف اي انت مذنب
وتقلينني لكن ايـاك لا اقلي

اراد : لكن انا اياك ، فترك الهمز وادغم . يقال ان قام عبد الله ، بمعنى : قد قام عبد الله . قال جماعة من العلماء في تفسير قوله جل وعز (فذكر ان نفعت الذكرى) معناه : فذكر قد نفعت الذكرى..» ومن هذا الصنف ايضا علاجه لهل ، وما ، وأو ، وقلده فيها الصغاني وابن الدهان ولم يكن اعتبار هذه الحروف من الاضداد من ابتكاره انما هو مقلد فيها ، بدليل عبارة « قال بعض اهل العلم » ويبدو انه يريد بذلك الكسائي في هذه المادة . وحقيقة الامر في هذه الحروف والادوات انها بقايا الفاظ قديمة ، تخلفت لدينا من الاطوار الاولى من اللغة ، وان معظمها يتألف من عناصر اشارية مثل النون . فهذه المعاني المنسوبة اليها ، وصلت الينا من مراحل مختلفة من التطور اللغوي ، ولا يستطاع الحكم بأن هذه الانواع من الالفاظ من الاضداد (118) .

وقد عقب عبد الفتاح بدوي على هذا النوع بقوله : « ودعوى التضاد في هذه الطائفة تهافت لان معنى اللفظ لا تضاد فيه لان الاوضاع مختلفة فما النافية ليست ما الموصولة حتى نعقد تضادا او غير تضاد بين المعنيين » .

19 – التصغير ، اضافه ابن الانباري في قوله (119) : « من الاضداد ايضا التصغير ، يدخل لمعنى التحقير ، ولمعنى التعظيم . فمن التعظيم قول

(115) 169 واورده ابن الدهان 6 ، والصغاني 381.
(116) 175 – 177 . واوردها ابن الدهان 12 ، 10 .
(117) 116 .
(118) انظر كتاب التطور النحوي للغة العربية لبرجشتراسر .
(119) 191 .

العرب : انا سر يسير هذا الامر ، اي انا اعلم الناس به . ومنه قول الانصاري يوم السقيفة : انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، اي انا اعلم الناس بها . فالمراد من هذا التصغير التعظيم لا التحقير . والجذيل : تصغير الجذل ، وهو الجذع ، واصل الشجرة . والمحكك : الذي يحتك به ، اراد انا يشتفى برأيي كما تشتفي الابل اولات الجرب باحتكاكها بالجذع . والعذيق : تصغير العذق ، وهو الكباسة ، والشمراخ = العظيم . والمرجب : الذي يعمد لعظمه . وقال لبيد في هذا المعنى :

وكل اناس سوف تدخل بينهم
دويهية تصفر منها الانامل

تصغر الداهية معظما لها لا محتقرا لشانها ..».

واختلف العلماء في التصغير ، قال الرضي (120) : « قيل : يجيء التصغير للتعظيم ، فيكون من باب الكناية ، يكنى بالصغر عن بلوغ الغاية في العظم ، لان الشيء اذا جاوز حده جانس ضده ... واستدل لمجيء التصغير للاشارة الى معنى التعظيم بقوله :

وكل اناس سوف تدخل بينهم
دويهية تصفر منها الانامل

ورد بأن تصغيرها على حسب احتقار الناس لها وتهاونهم بها ، اذ المراد بها الموت : اي يجيئهم ما يحتقرونه مع انه عظيم في نفسه تصفر منه الانامل . واستدل ايضا بقوله :

فويق جبيل شاهق الراس لم تكن
لتبلغه حتى تكل وتعملا

ورد بتجوز كون المراد دقة الجبل وان كان طويلا ، واذا كان كذا فهو اشد لصعوده » .

نضيف الى ذلك ان تصغير اللفظ المفرد لا يفيد الا الصغر وما احاط به من ظلال وايحاءات كالرحمة والاشفاق والعطف والتدليل وما اليها . اما المعاني الاخرى التي تسبغ على الالفاظ المصغرة فتاتيها من تآلفها مع الفاظ اخرى في سياق واحد واللفظ لا محالة يتغير معناه بعض الشيء عند التاليف : ضيقا واتساعا ، ليأتلف مع جيرانه ويتجه معها في اتجاه واحد . ويجب ان تقوم دراسة الاضداد على الالفاظ المفردة ، لا المؤلفة في عبارات .

20 ـ ما يحتمل معنيين متضادين من العبارات .
واعتقد ان الذي دفع ابن الانباري الى الخوض فيه اتصاله بالقرءان . ونستطيع ان نصنفه الى ثلاث فئات ، هي :

أ ـ الآيات القرآنية ، وهي اكثر الفئات ورودا في الكتاب ، واكبرها حظا من تناول المؤلف ، الذي يطيل في بعضها ، ويورد اقوال المفسرين المختلفة . ومن اقصر الامثلة على ذلك قوله (121) : « ومما يفسر من كتاب الله جل وعز تفسيرين متضادين قوله جل اسمه : (وقال رجل مؤمن من ءال فرعون يكتم ايمانه) فيقول بعض المفسرين : الرجل المؤمن هو من ءال فرعون ، اي من امته وحيه ومن يدانيه في النسب .. ويقول ءاخرون : الرجل المؤمن ليس من ءال فرعون ، انما يكتم ايمانه من ءال فرعون . وتقدير الآية عندهم : وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من ءال فرعون » .

ب ـ الشعر ، وهو ان كان اقل من الآيات عددا الا ان حظه من التناول لا يقل عن حظ الآيات طولا . ومثاله قوله (122) : « ومما يفسر من الشعر تفسيرين متضادين قول قيس ابن الخطيم :

اتعرف رسما كاطراد المذاهب
لعمرة وحشا غير موقف راكب

ديار التي كادت ونحن على منى
تحل بنا لولا نجاء الركائب

قال ابن السكيت : اراد بقوله : غير موقف راكب ، الا ان راكبا وقف ، يعني نفسه . وقال غيره : لم يرد الشاعر هذا ، ولكنه ذهب الى ان «غيرا» نعت للرسم ، تاويله : اتعرف رسما غير موقف راكب ، اي ليس بموقف للراكب لاندراس الآثار منه وامحاء معالمه فمتى بصر به الراكب من بعد ذعر منه ، فلم يقف به .. » .

(120) شرح الشافية 1 : 191 .
(121) 292 . وانظر 167 ـ 8 ، 196 ، 223 ، 234 ، 237 ، 265 ، 270 ، 272 ـ 3 ، 297 ، 299 ، 333 ، 341 ، 353 ـ 57 .
(122) 183 . وانظر 197 ، 219 ، 238 .

ج ـ الاقوال . وهي تعادل الشعر كثرة ، ويتفاوت حظها من طول التناول . واقصر امثلتها قوله (123) : « ومن الاضداد ايضاً : قولهم : اقسمت ان تذهب معنا ، يحتمل معنيين : احدهما اقسمت الا تذهب معنا ، والآخر أن تذهب معنا . وكذلك نشدتك الله أن تذهب معنا ، يحتمل المعنيين جميعا ... » .

ووضع هذه العبارات في الاضداد غريب ، انكره بحق المستشرقون وعبد الفتاح بدوي . فلا يوجد لفظ معين يمكن أن يلصق به معنيان متضادان، وانما يستفاد المعنيان من السياق والقرائن .

21 ـ المقلوب من العبارات، بأن ينسب الحدث الى غير فاعله . وامثلته نادرة عنده كقوله (124) : « ويقال تهيبت الطريق وتهيبني الطريق بمعنى ، وهذا من الاضداد .. قال ابو بكر : وهذا عندي مما يقلب لان اللبس يؤمن في مثله ، فيقال : تهيبني الطريق ، لانه معلوم أن الطريق لا تهيب احداً ..» .

ووجد ابن الانباري مجموعة من الالفاظ تقارب الاضداد ، ولكنها لا تماثلها كل المماثلة ، فميزها عنها بعض التمييز ، وسماها احيانا « اشباه الاضداد » واحيانا « ما يجري مجرى الاضداد » ونجد تحت الاسم الاول الاصناف التالية :

1 ـ الالفاظ ذوات المعاني الحقيقية والمجازية قال (125) : « سمع حرف من الحروف التى تشبه الاضداد يكون بمعنى وقع الكلام في اذنه او قلبه ، ويكون سمع بمعنى اجاب . من ذلك قولهم : سمع الله لمن حمده ، معناه أجاب الله من حمده . ومن هذا قوله عز وجل : (أجيب دعوة الداعي اذا دعان) قال بعض اهل العلم : معناه اسمع دعاء الداعي اذا دعان . وقالوا : يكون سمع بمعنى أجاب ، واجاب بمعنى سمع ، كقولك للرجل : دعوت من لا يجيب ، اي دعوت من لا يسمع ، وانشدنا ابو العباس :

دعوت الله حتى خفت ان لا
يكون الله يسمع ما اقول

اراد يجيب ما اقول . وقال جماعة من المفسرين: معنى الآية أجيب دعوة الداع اذا دعان فيما الخيرة للداعي فيه ، لانه يقصد بالدعاء قصد صلاح شانه ، فاذا سئل ما لا صلاح له فيه فان صرفه عنه اجابة له في الحقيقة » . والحق ان الاجابة معنى مجازي لسمع ، لان السمع اول مرحلة من مراحل اجابة الطلب او الدعاء ، أو هي نتيجة السمع عند الرضى. فلا اجابة بدون سماع . ولما كان الامران بهذا الارتباط صح توسيع معنى السمع والاجابة بحيث تشمل المراحل كلها . فهذا الاستعمال توسع وتجوز لا تضاد ولا شبهه . ويبدو من عبارة ابن الانباري انه ينقل كلام بعض الناس قبله . ونضع في هذا التصنيف لفظي كأس وطبخ الذى سبق الكلام عليهما . واعتبرهما ابن الانباري من اشباه الاضداد .

2 ـ الالوان . قال (126) : «ومما يشبه حروف الاضداد الاحمر ، يقال : احمر للاحمر . ويقال رجل احمر اذا كان ابيض . قال ابو عمرو بن العلاء : اكثر ما تقول العرب في الناس أسود واحمر .

قال : وهو اكثر من قولهم اسود وابيض، وانشد ابن السكيت لاوس بن حجر :

واحمر جعدا عليه النسور
وفي ضبنة ثعلب منكسر
وفي صدره مثل جيب الفتا
ة تشهق حينا وحينا تهر

قوله : في ضبنه : معناه وفي ابطه . والثعلب : ما دخل من طرف الرمح في جبة السنان . وقوله : تشهق حينا : شهيق الطعنة ان تدخل الريح فيها فتصوت . وتهر : معناه تقبقب » . وكذا قال عن الاصفر والاخضر والاسود . ولكن هذه الالفاظ جميعا لا تضاد ولا شبهه فيها ، وانما الالوان نفسها لا تكون خالصة ، فبعضها اصفر مائل الى السواد ، وبعضها ابيض يشوبه شيء من حمرة ، وبعضها اخضر يغلب عليه السواد ... وهكذا . ولم تضع العرب الفاظا خاصة لجميع هذه الالوان الفرعية ، اكتفاء بالرئيسية منها ، فاصبح اللفظ الواحد يطلق على الدرجات المختلفة من اللون ، فظن انه من الاضداد، وادخل الصغاني وابن الدهان هذه الالوان كلها في اضدادهما ، كما ادخل قطرب فيها الاصفر .

(123) 200 ـ 202 . وانظر 159 ، 160 ، 206.
(124) 56 .
(125) 80 . واورده ابن الدهان 12 ، وعقب عليه بان فيه نظرا .
(126) 231 .

3 ــ عبارات الاستهزاء . قال (127) : « ومما يشبه الاضداد قولهم في الاستهزاء : مرحبا بفلان ، اذا احبوا قربه ، ومرحبا به اذا لم يريدوا قربه . فمعناه على هذا التأويل : لا مرحبا به . فالمعنى الاول اشهر واعرف من أن يحتاج فيه الى شاهد . والمعنى الثاني شاهده :

مرحبا بالذي اذا جاء الـ
ـخير او غاب غاب عن كل خير

هذا هجاء وذم ، معناه مرحبا بالذي اذا جاء غاب من كل خير ، جاء الخير او غاب . وتأويل مرحبا : لا مرحبا به ....

« ومما يشبه الاضداد ايضا قولهم للعاقل : يا عاقل ، وللجاهل اذا استهزؤوا به : يا عاقل ، يريدون يا عاقل عند نفسك ، قال الله عز وجل : (ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ، ذق انك انت العزيز الكريم) معناه عند نفسك ، فأما عندنا فلست عزيزا ولا كريما . وكذلك قوله عز وجل فيما حكاه عن مخاطبة قوم شعيب شعيبا بقولهم : « انك لانت الحليم الرشيد » (ارادوا أنت الحليم الرشيد عند نفسك) قال الشاعر :

فقالت لسيدنا يا حليم
انك لم تأس أسوا رفيقا

اراد يا حليم عند نفسك فانما عندي فانت سفيه » .

وهذه العبارات لا تضاد ولا ما يشبهه فيها ، فالمتكلم حين وصف الجاهل بالعاقل لم يقصد قط ان يصفه بحقيقته وهي الجهل ، بل اراد وصفه بالعقل . واعني بذلك انه لم يقصد قط ان يصفه بحقيقته وهي الجهل ، بل اراد وصفه بالعقل . واعني بذلك انه لم يرد أن نتصور انسانا جاهلا بقوله « يا عاقل » ، بل ارادنا أن نتصور انسانا عاقلا ، ونستحضر هذه الصورة امامنا حتى نمتلىء احساسا بها ، ثم ننظر الى هذا الجاهل ونرى مدى انطباق الصورة عليه . ومن المفارقة في الصورتين يأتي الاستهزاء والضحك . ولو كان يريد منا ان نتصور انسانا جاهلا بقوله هذا ، ما جعلنا نضحك ، لان الصورتين ستنطبقان : ولا تبرز المفارقة بينهما ..

اما الصنف الثاني ، او ما يجري مجرى الاضداد عنده ، فهو الاعلام التي يختلف في عروبتها او اعجميتها . قال (128) : « ومما يفسر من كتاب الله جل وعز تفسيرين متضادين قوله عز وجل : « طه » . قال بعض المفسرين : معناه ، يا رجل ، بالسريانية . وقال غيره : معناه : يا رجل ، بلغة عك ، وزعم ان عكا يقولون للرجل : طه ، وكذلك للرجال والنسوة ، وانشد :

ان السفاه طه من خليقتكم
لا قدس الله اخلاق الملاعين

وقال الاخفش : طه علامة لانقطاع السورة من السورة التي قبلها . وقال الفراء : طه بمنزلة الم ، ابتدا الله جل وعز بها مكتفيا بها من جميع حروف المعجم ، ليدل العرب على أنه أنزل القرآن على نبيه باللغة التي يعلمونها والالفاظ التي يعقلونها كي لا تكون لهم على الله حجة . » .

وقال (129) : « ومنها ايضا يعقوب يكون عربيا لان العرب تسمي ذكر الحجل يعقوبا ويجمعونه يعاقيب ، قال سلامة بن جندل :

اودى الشباب حميدا ذو التعاجيب
اودى وذلك شأو غير مطلوب

ولى حثيثا وهذا الشيب يطلبه
لو كان يدركه ركض اليعاقيب

واجرى نفس القول على اسحاق ، وعلى لفظ من غير الاعلام ، هو مشكاة ، التي قيل انها حبشية، وقيل عربية . ولا شك ان الاساس الذي اقام عليه ابن الانباري القول بتضاد هذه الاعلام او جريانها مجرى الاضداد منهار لا قائمة له ، ولا يحتاج الى تفنيد ..

---

(127) 156 ، 157 . واوردهما ابن الدهان 11 ، 16 .
(128) 314 .
(129) 337 .

تحليل ونقد

الأستاذ محمد ابراهيم الكتاني
الرباط

كتاب (الاضداد في اللغة) تأليف حسين محمد، من الجمهورية العربية المتحدة تناول فيه بالدرس العميق الهادىء الرزين المستوعب ظاهرة الاضداد في اللغة العربية من جوانبها المختلفة، واولى عناية خاصة لدراسة مواقف المؤلفين من الاضداد قديما وحديثا خصوصا المثبتين والنافين لها. ويقع في 129 ص، وقد جماه في مقدمة وبابين وخاتمة، فاستعرض في المقدمة نشأة الدراسات اللغوية في اللغة العربية، مؤكدا ان اللغويين تنبهوا للاضداد في القرن الثاني فشرعوا يلتقطونها، ويشيرون اليها ويتحدثون عنها.

وكانت الثمرة الطبيعية اول تدوين للاضداد في اللغة العربية، وكانت هذه الثمرة الاولى باكورة عدة ثمار جمعت الاضداد ودرستها، وحول هذا الثمار تدور الصفحات الآتية: متأملين، متذوقين، ومقدرين.

وتناول الباب الاول الاختلاف في مفهوم الاضداد وفيه خمسة فصول: تعريف الاضداد، والاختلاف في وجود الاضداد، واصل الاضداد، وشروط الاضداد، وانواع الاضداد.

فذكر في فصل تعريف الاضداد أن قطربا ذكر ان من اللفظ الواحد الذى يجيء على معنيين فصاعدا ما يكون متضادا في شيء وضده، وتابعه ابن الانباري، وابوحاتم السجستاني.

وكان ابو الطيب اللغوي هو الذي ازال كل ابهام عن اللفظ فقال: وضد الشيء ما نافاه، وليس كل ما خالف الشيء ضدا له.

وذكر في الفصل الثاني أن موقف اللغويين القدماء من هذا النوع من الالفاظ اختلف، فارتضى جماعة منهم وجودها، واعترف بها، وتحدث عما يندرج تحتها من الفاظ، وعللها احيانا، وكانت هذه الجماعة اسبق في الظهور من معارضتها اذ كان منها ابو عمرو بن العلاء، والخليل بن احمد، ويونس بن حبيب، وتلاميذهم، واستمر المنتسبون اليها في البقاء الى يومنا هذا.

اما الجماعة الاخرى فاعترضت على الاضداد وانكرتها، و نعرف من انتمى اليها من القدماء غير ابن درستويه ولا تصح نسبة ذلك لثعلب، وكثر اتباعها في العصر الحديث، فكان منهم عبد الفتاح بدوي كاتب مقالة (ضدان) في دائرة المعارف الاسلامية (مادة اضداد) وكان منهم اغلب المستشرقين الذين كتبوا المقالات والرسائل الصغيرة في رفض الاضداد.

وقد دافع القائلون بها عن وجودها وردوا على ما قاله المعارضون ولعل اهم من قام بهذا العمل احمد ابن فارس، وابن سيده، ومحمد بن القاسم الانباري، فاقام ابن سيده دفاعه على الجدل العقلي، واعتمد ابن فارس في احد رأييه على طبيعة اللغة

العربية . وفى الراي الثاني على الرواة الذين نقلوا لنا الاضداد ، وكان ابن فارس اكثر توفيقا فى دفاعه عن الاضداد واقرب الى طبيعة اللغة وما تفرضه من مناهج ويؤسفنا الا نعثر على كتابه الذى الفه فى الدفاع عن الاضداد .

واما ابن الانباري فقد تناول واحدا من آراء المنكرين ورد عليه بل لعله اهم راي لهم .

ولما كانت كتب المعارضين من القدماء، لم تصل الينا كنا مضطرين للاعتماد على حكايات غيرهم عنهم .

وقد اجملت دائرة المعارف الاسلامية والدكتور منصور فهمي الادلة التى اعتمد عليها المستشرقون فى انكار الاضداد ...

وفى اصل الاضداد ، ذكر ان اللغويين منذ تنبهوا الى الاضداد واختلفوا فيها وهم فى محاولة دائبة لتعليلها والكشف عن نشاتها وكيف وجدت فى اللغة ، واشترك فى هذه المحاولة من اتفقت داراؤهم ومن اختلفت ، ومن اعترفوا بها ومن رفضوها والقدماء والمحدثون والعرب والمستعربون.

واختلفت الطرق التى سلكها العرب وغير العرب فى دراسة هذه الظاهرة اللغوية فى كثير من الاحيان ، لقد اوغل بعض المستشرقين فى تاريخ البشرية وارجع ظاهرة الاضداد الى العصور القديمة عندما كان العقل البشري فى سذاجته فلم يكن يفطن لما يحتويه من تناقض ، وتوسط بعضهم فى الايغال فلم يرجع الى التاريخ البشري واقتصر على التاريخ العربي القديم . وان العرب اقترضوا بعض هذه الاضداد من اللغات المجاورة لهم ولما كان معناها الاصلي قد تختلف ايحاءاته فقد ادى ذلك الى التضاد فى اللغة .

واقتصد بعضهم الاخر ونظر فى تاريخ الجماعة الواحدة فوجد فيه من التطور ما يؤدي الى التضاد دون استعارة من الخارج .

ولم يلتفت فريق الى التاريخ وبحث عن العلة فيمن يراه من جماعة وفرد وما يسودهما من ظواهر ذات تاثير فى اللغة فذهب الى أن بعض المعاني المتضادة يرتبط بعضها ببعض وتتداعى فى الذهن فتؤدي الى التضاد .

اما اللغويون العرب فقصروا جهدهم على الالفاظ العربية ولم يبعدوا عنها لا تاريخا ولا لغة ولا اجتماعا، وحاولوا أن يتبينوا اصولها ونشاتها ومسالكها فى اللغة العربية نفسها ، ويؤدي بنا التامل الدقيق فى العلل التى أوردها الدارسون للغة العربية نفسها دون حاجة الى الفلسفة او للعثور على نظرية عامة او الابعاد فى مجاهل التفكير البشري الى ان اهم ما قالوه من علل واخطره هو **المعنى الاصلي للالفاظ** فنحن فى حاجة الى اعادة النظر فى هذه الالفاظ وفيما ذكره لها اللغويون من معان وفى حاجة الى محاولة استكشاف الطريق الى المعنى الاصلي الحق لها ، الذى لا يابه بما حولها من ملابسات ، ولا بما يرتبط من اشواط، سائر فى طرق معتدلة آنا ومعوجة آونة ، فان وصلنا الى ذلك المعنى غمرنا الضوء من كل مكان ، واستبان لنا تطور اللفظ ، وما اكتسبه من معان ودلالات ، وما احيط به من ظلال ، جعلته مشوبا بالغموض احيانا ، وعرضة للخطا احيانا اخرى.

واما بقية العلل فهي ارتياد لبعض الطرق التى سلكها اللفظ ليصل الى درجة التضاد ، مثل اللغات، والمجاز والحذف للتخفيف وما اليها من امور .

كذلك يؤدي بنا التامل الدقيق فى الاقوال السالفة الى نتيجة قد تبدو غريبة ولكنها حقيقة واقعة ، اعني انه **لم يوجد من اللغويين** على قدر ما نستطيع الحكم من خلال ما عندنا من معلومات**من ينكر وجود الاضداد فى اللغة العربية الفصحى ، فمن رفضوا اضدادا رفضوا اصالتها** ، اريد انهم رفضوا أن تكون وضعت اصلا للمعنيين المتضادين ، ولكن ما خضعت له من تطور بالتوسع او المجاز او الحذف ادى الى وجود لفظين متماثلين فى كل شيء بحيث لا يمكن ان نفرق بينهما ونعدهما لفظين متمايزين غير ان معنييهما متضادان ، كذلك ادى انصباب الروافد القبلية دون تمييز بينها فى تيار العربية الفصحى الى ما اشبه الظاهرة السابقة **فالفصحى بصورتها الراهنة تحتوي على هذا النوع من الالفاظ (الذي نسميه الاضداد) باعتراف جميع القدماء** ، وان اختلفت أصول هذه الاضداد والطرق التى سلكتها الى التيار الحالي .

ويؤدي بنا ايضا الى نتيجة اخرى اجمع عليها المنكرون والمؤيدون هي قلة الاضداد فى اللغة العربية الفصحى ...

وفي شروط الاضداد ذكر انه اذا كان من اكثر الاضداد اطلق قوله فيها لم اضطر الى التراجع قليلا عنه عندما استقصى النظر في اللغة ، او احتوى قوله على ما يومىء الى تراجع ، فاننا نجد الظاهرة نفسها عند المؤيدين لوجود الاضداد او بعضه .

لقد كان في وهم المؤلفين الاولين ان الاضداد الفاظ قلائل في اللغة فحاولوا جمعها وابرازها وتحت اثر من هذا الاحساس ومن هذه الغاية جمعوا مع الاضداد الفاظا كثيرة عدوها اضدادا وهي واهنة الصلة بها وكان اكثر المؤلفين وقوعا تحت هذا الاثر قطرب اول من كتب من الاضداد ، فاضطر من جاء بعده الى ادخال ما قاله في كتابه ، كيلا يتهم بأنه فاته من الاضداد شيء .

ولكن اهل القرنين الثالث والرابع كانوا قد اخذوا يتخلصون من هذا الاثر ، بعد ان رأوا ما رأوا امامهم من قبل كتب الاضداد ، فأخذوا يعيدون النظر فيها ، وفي اضداد قطرب خاصة ، وينقدون منها كثيرا .

وعند تتبع هذا النقد استخلص المؤلف كثيرا من الشروط يجب ان تتوفر في اللفظ حتى يدخلوه في الاضداد ، ولكن الامر المؤسف ان هذه الشروط اهملها واضعوها انفسهم ، ولم يطبقوها على كثير من الالفاظ التي دونوها في كتبهم .

وبالرغم من ذلك تتبع المؤلف هذه الشروط لاهميتها في توضيح صورة الاضداد في اذهانهم ، وان لم تتحقق كل التحقق في كتبهم .

واهم مؤلف يكثر عنده هذا النوع من الاقوال هو ابو بكر محمد ابن القاسم الانباري ونستطيع ان نقول انه يضع الشروط التالية في اللفظ ليعده من الاضداد :

1 ــ ان تكون صيغة اللفظ في المعنيين المتضادين واحدة ، اي ان يكون المعنيان المتضادان لفعلين او اسمين او صفتين ، وكل منهما على صيغة واحدة ، ولا يحكم بالتضاد فيما شذ عن ذلك .

2 ــ كذلك اشترط ان يكون للصيغة الواحدة معنيان متضادان لا يمكن ردهما الى معنى واحد .

3 ــ واشترط ابن الانباري ايضا ان يكون المعنيان فصيحين لا من ابتكار العامة .

4 ــ واشترط ان يكون المعنيان معروفين استعملهما العرب في حوارهم .. ويبدو ان ابا الطيب يتفق مع ابن الانباري في هذا الراي ايضا ، وان لم يعلن ذلك صراحة .

5 ــ واشترط ابو الطيب أن لا يكون المعنى الثاني مجازيا .

6 ــ واشترط في المعنى ان لا يكون مقلوبا او مزالا عن جهته .

7 ــ وانفرد ابو الطيب اللغوي باخراج مجموعة من الالفاظ تتضاد في معانيها ، وتتماثل في صورتها ولكن هذه الصورة المتماثلة في ظاهرها مختلفة في حقيقتها اذ تختلف العلل الصرفية التي وصلت بها الى صورتها .

8 ــ بل ذهب الى ابعد من ذلك واخرج من الاضداد ما اختلفت صيغ المجرد والمصدر منه من الافعال . ثم استخلص من هذا غموض صورة الاضداد في ذهن قطرب، او عدم وجود حدود لها ، واخذها في الوضوح والجلاء ، والتحدد على مر الزمان فكانت اللمحات الاولى منها عند ابي حاتم السجستاني ، ثم كان كمال التحدد والبروز عند ابن الانباري وابي الطيب .

ويعتبر الفصل الخامس في (انواع الاضداد) اطول فصول الباب الاول ، اذ يستغرق احدى وثلاثين صفحة . وبالرغم من احساس العلماء بان الاضداد فئات عدة ، فان المؤلف لم يجد بين القدماء من حاول ان يصنفها تاصرا او شاملا ، وبالرغم من ان المحدثين اضطروا الى الفصل بين انواع منها ليسهل عليهم رفضها او تعليلها فانهم لم يرتقوا بهذا الفصل الى ان يكون تصنيفا .

والرجل الوحيد الذى حاول شيئا من ذلك هو عبد الفتاح بدوي ، ويبدو انه اراد ان يعوض ما فات اللغويين فاعطانا تقسيمين ، اما الاول فصغير ومحكم، ويقوم على اساس نحوي ، فقد جعل الاضداد اربعة انواع .

وكان التقسيم الثاني واسعا ينظر الى عدة اسس بحيث تغيب عن النظر الذى يريد ان يصل اليها فالاضداد في هذا التقسيم تقع في عشر طوائف .

وبعد ان ذكرها المؤلف ذكر انه يعني كثيرا بالتقسيمات النظرية وان كان لن يهملها كل الاهمال

وانه سيجعل همه كله فى تتبع الانواع المختلفة التى أدخلها مؤلفو الاضداد فعلا فى كتبهم اذ اختلف النظر والتطبيق عندهم ، وانه سيبدأ باول مؤلف : قطرب اذ توسع فى تصور الاضداد اكثر من غيره، حتى اضطر من جاء بعده الى نقضه ورفض كثير منها ، وانه سيتبع كل صنف منها بما وجه اليه من نقد .

قد وصلت الاصناف عنده الى ستة عشر صنفا واضاف ابن الانباري اليها خمسة انواع اخرى فصارت واحدا وعشرين نوعا ، قبل مؤلفنا منها نوعا واحدا هو ما سماه بالاضداد الحقيقية وبين فى العشرين الباقية كلها انها ليست من الاضداد فى شيء .

ووجد ابن الانباري مجموعة من الالفاظ تقارب الاضداد ولكنها لا تماثلها كل المماثلة ، فميزها منها بعض التمييز ، وسماها احيانا (اشباه الاضداد).

وتناول الباب الثاني جمع الاضداد وتدوينها وفيه اربعة فصول : اسباب هذا الجمع واهدافه . وبواكير جمع الاضداد ، وكتب فى الاضداد وفصول فى الاضداد .

وقد لخص الفصل الاول فى ءاخره فذكر ان **الدافع الذى حمل اللغويين على تدوين الاضداد تغير من جيل الى آخر** ، فقد بدأ هواية فى القرن الثاني ، ثم صار تقوى تحمل على ازالة ما قد يعتري بعض الآيات من غموض فى القرن الثالث ، ثم تحول الى رغبة فى الدفاع عن العرب ولغتهم امام الدعاوي الشعوبية فى اوائل القرن الرابع وحب المعرفة المجرذة فى ذلك القرن ايضا ، وانتهى الى الرغبة فى [illegible] الباحثين عن المحسنات اللفظية ذخيرة لغوية جديدة فى العصور المتاخرة .

وتغير الهدف الذى سعى إليه كل من هؤلاء المؤلفين : فبينما كان اولهم قطرب يسعى الى استقصاء الاضداد من نهر اللغة مباشرة ، استكثر هذا ابو حاتم ووجد الا سبيل اليه واقتصر على التطلع الى جمع ما أمكن ، ثم سعى ابن الانباري الى الجمع ولكن من الكتب المؤلفة قبله ، واضافة بعض الشواهد [illegible]نعلل ، وسعى أبو الطيب الى ذلك مع التمحيص [illegible]تمد ، ثم كان الهدف الاختصار والجمع معا .

[illegible] **بواكير جمع الاضداد** ، ذكر ان **الخليل** [illegible] كان **يعد الاضداد من عجائب الكلام** ووسع العربية قد اشار الى قدر منها فى (العين) وروى واحد من الاضداد عن يوسف بن حبيب ، ورويت ثلاثة عن الكسائي وما نسب الى الفراء لا يتعدى الضد او الاثنين .

وتكثر الاضداد بعض الشيء عند ابي عمرو الشيباني ثم تكثر وتتنوع عند أبي زيد الانصاري ، وبقي بعض الناس يوردون أضدادا بعد عهد التاليف فيها ، دون ان يشاركوا هم فى تدوينها فى كتب خاصة ، مثل ابن الاعرابي .

ويعتبر الفصل الثالث من الباب الثاني الخاص بكتب الاضداد اطول فصول الكتاب اذ انه يقع فى 52 صفحة .

فقد عثر فى اثناء بحثه عن الاضداد على اسماء ثلاثة وعشرين كتابا فيها ، ثم أورد اسماءها مرتبة بحسب وفيات مؤلفيها ، مع بيان المفقود والموجود منها والمخطوط والمطبوع .

ثم تصدى للكلام على كل واحد منها بخصوصه، واصفا دارسا مقارنا ناقدا . فى اناة وتثبت وانصاف .

وفى الفصل الرابع والاخير عن فصول فى الاضداد ، درس ما ورد فى الغريب المصنف لابي عبيد القاسم بن سلام **وادب الكاتب** لابن قتيبة ، **والمخصص** لابن سيده ، **والمزهر** للسيوطي .

ولخص فى (الخاتمة) النتائج التى توصل اليها فى الكتاب .

الاضداد ظاهرة غريبة :

فالذهن ينكرها للوهلة الاولى ، ويابى ان يصدق وجود لفظ واحد يدل على معنى وضده ، وعلى هذا الاساس انكرها من انكرها ، ولكن هذا الاساس لم يمنع ان يومن بها جماعات من القدماء وقلة من المحدثين ، وكانت الفئة الاخيرة او افراد منها هي التى حاولت ان تعلل هذه الظاهرة الغريبة ولعل ظاهرة لغوية اخرى لم تحظ بمثل سوء التفاهم الذى احيطت به ظاهرة الاضداد ، فمنذ عهد مبكر اختلف اللغويون فيها ، وما زالوا مختلفين ، فاذا تاملنا ما دار بينهم من نقاش وجدنا الفاظهم وعباراتهم تتنافر وتتصادم ، والمؤدى الاخير لما يقولون واحدا ، فهم يتجادلون حول تصورين لا تصور واحد . وفي

مجالين لا مجال واحد ولو تحدثوا من تصور واحد ، وفى داخل مجال واحد ، لهدأ كثير من الخصومة وبطل كثير من الادلة ، وربما ضاع الخلاف .

فقد كان المنكرون للاضداد ينظرون فى مجال ضيق لا يتجاوز اية لهجة قبلية على حدتها ، ولما لم يعثروا على الاضداد فى داخل اللهجة الواحدة انكروا الاضداد برمتها وابوا ان يسموا بالاضداد ما جاء دالا على معان متضادة فى لهجات قبلية مختلفة ، وان ضمتها اللغة العربية بعد .

وقصر المنكرون تصورهم على الالفاظ فى وضعها الاول واعلنوا انهم لم يجدوا لفظا واحدا وضعه العرب حين وضعوه الا على معنيين متضادين ، اما اذا كان الاستعمال او التبدلات اللغوية او التغييرات العرفية قد ادت بعد ذلك الى ان تزول الفوارق بين بعض الالفاظ ذوات المعاني المتضادة فتبدو الآن فى صورة واحدة ومتضادة المعنى ، فليس ذلك من الاضداد عندهم .. ونستطيع ان نقول : ان كل لفظ توفر له سبب ما فادى به الى الدلالة على معنيين متضادين يابى المنكرون ان يسموه ضدا ، مهما كان السبب : لهجات قبلية او حذفا ، او تخفيفا ، او ابدالا ، او اعلالا ، او مجازا ، او تفاؤلا وتطيرا ، او ما شاكل ذلك من امور ، وانما الضد عندهم يجب الا يكون هناك سبب فى دلالته هذه ، بل وضع اصلا لها .

اما المؤيدون للاضداد فوسعوا نظريتهم ومجالهم : نظروا الى اللغة العربية فى شمولها وعمومها فلفت نظرهم وجود هذه الفئة من الاضداد ، ثم لم يعنوا بالبحث عن اسبابها ، او — ان شئنا الدقة — لم تهمهم الاسباب فقد عرفوا اسبابا للظاهرة ، واعلن اكثرهم ان كثيرا من الاضداد ءاتية من اللهجات القبلية ، وكشفوا عن كثير من هذه الطائفة من الالفاظ ، ولا خلاف بينهم وبين المنكرين غير انهم ارتضوا تسمية هذه الالفاظ القلبية بالاضداد، ولم يرتضها الآخرون .

كذلك لم يقصر المؤيدون نظرتهم على الالفاظ عند وضعها الاول ، بل اغفلوا هذا الوضع عامدين اذ لا اهمية له عندهم . وامعنوا النظر فى الالفاظ العربية التى يسمعونها ، ويتحدثون بها ، ويدونون ما يدونون، فوجدوا فيها فئة من هذه الالفاظ التقطوها ومنحوها اسم الاضداد ، دون ان يابهوا للاسباب التى ادت الى ذلك ودون ان ينكروا هذه الاسباب ، بل لقد شارك بعضهم كقطرب فى الكشف عن بعضها كالتوسع وما شاكله لان وجود سبب للتضاد لا يتنافى عندهم مع التسمية .

ولعل الاجابة عن الاسئلة التالية تزيل كل لبس امام المتنازعين :

1 ـ هل توجد فى العربية الفصحى التى نعرفها اليوم الفاظ ذوات صورة واحدة ومعنيين متضادين ؟

اعتقد ان احدا لا يستطيع ان ينكر هذا الوجود.

2 ـ هل تعد هذه الالفاظ ظاهرة خاصة يجدر بها التسجيل بين الظواهر اللغوية ؟ اعتقد ان احدا لا ينكر هذا ايضا ، واضيف الي ذلك ان هذه الظاهرة لا تنفرد بها اللغة العربية ، بل توجد فى بعض اللغات السامية كما كشف بعض المستشرقين ، وفى بعض اللغات الاوربية كما كشف الاستاذ عبد الفتاح بدوي، واذن فوجود الاضداد ليس منقصة للغة العربية كما ظن الشعوبيون قديما ، وكما يفهم من اقوال بعض المستشرقين حديثا ، مما كان واحدا من الدوافع — فى اعتقادي — التى حملت عبد الفتاح بدوي على المغالاة فى رفض الاضداد .

3 ـ هل تستحق هذه الظاهرة تسمية خاصة ؟ اعتقد ان كل ظاهرة مهما كان شيوعها يجدر بها ان يكون لها اسم خاص ، اما المؤيدون فقد سموها (الاضداد) فاذا كان المنكرون يجدون لها تسمية اكثر ملاءمة ، فاهلا بها .

4 ـ هل الاضداد بالشيوع الذى صوره القدماء؟ واضح من الدراسة الماضية ان تصور الاضداد اختلف من وقت لآخر ، ومن رجل الى رجل ، فضاق حينا واتسع آخر ، فكان تصور الاضداد ضيق المجال فى باديء الامر عند المتحدثين فيها دون ان يحاولوا لها جمعا او تدوينا ، ولكن هذا التصور اتسع اتساعا غريبا عند اول مؤلف فى الاضداد ، قطرب ، فشمل شتاتا غريبا من الالفاظ ، مما يدل على ان قطرب لم يكن يحسن تصور الاضداد، ولا احسن وضع الحواجز الفاصلة بينها وبين غيرها ، واضطر اكثر من جاء بعد قطرب الى تضييق المجال الذي وسعه ونفي كثير من الفئات والالفاظ التى ادخلها فى كتابه ، فاخذ تصور الاضداد فى الوضوح وحدودها فى البروز ، ثم اتسع المجال مرة اخرى عند ابن الانباري خاصة لما ادخل من انواع جديدة من الاضداد ، واذن فالمجال

كان متغيرا عند القدماء ، وما اظن الا انه كذلك عند المحدثين وان كان اضيق عندهم منه عند القدماء .

5 — هل تعد كل الانواع التي اتفق عليها القدماء من الاضداد ؟

اعتقد ان احدا لا يجادل في ان ذلك مستحيل ، وان بعض ما عده القدماء من الاضداد لا يستحق هذه التسمية ، وضرب لذلك امثلة :

أ — ما اختلف في تفسيره من الآيات والاشعار والاقوال .

ب — الفاظ وعبارات التفاؤل والتطير والاستهزاء

ج — ما وضع في الالفاظ تعسفا او تكثرا ، مثل الالفاظ التي تختلف معانيها دون ان تتضاد ، والالفاظ التي تتضاد معانيها بسبب ما يتعلق بها من ادوات كرغب عن والى

6 — ما السبيل الى معرفة اللفظ الجدير باسم الضد ؟

اعتقد ان السبيل الوحيد الى ذلك هو المعنى الذي يدل عليه اللفظ ، وهنا احترز فاقول المعنى الذي يدل عليه اللفظ ، واعني بهذا الاحتراز امثال هذه الالفاظ التي لم يحسن بعض اللغويين التنبه الى معناها الحق ونسبوا اليها معاني بدت متضادة ، فالصريم الوقت المنقطع اعني الوقت المنقطع من وقت آخر ، كالليل يقطع من النهار والنهار يقطع من الليل، وليس الصريم الليل خاصة ولا النهار خاصة

وامثال ذلك كثيرة ، تفطن اليها بعض القدماء انفسهم . . .

واذن فما وجدنا من الالفاظ معانيه تؤول الى معنى واحد لا تضاد فيه يجب ان نخرجه من الاضداد، وما دل من الالفاظ على معنى واحد : سواء كان معنى خارجيا او ذهنيا يجب ان نخرجه من الاضداد ، وما دل من الالفاظ على معنى واحد : سواء كان معنى خارجيا او ذهنيا يجب ان نخرجه من الاضداد .

وانما يجب ان يكون الضد لفظا واحدا ، ذا صورة واحدة ، ومعنيين متضادين حقا لم يكن الجمع بينهما ، تلك هي الصورة الصحيحة للاضداد، وذلك هو السبيل القويم الى تطبيقها .

ويتجلى من هذا العرض القيمة العلمية لهذا الكتاب وما يدل فيه مؤلفه من الوقت والجهد وما تحلى به من الصبر والتثبت والتأني ، وما تحراه من دقة التعبير والتجرد .

التطور اللغوي ونشوء العربية

الأستاذ محمد يوسف نور الدين
" بيروت "

ان اللغة هي منزل الكائن البشري هيدجر ...وان اساس اللغة لا يقوم على ما تحتويه من كلمات ، وانما يقوم على تركيبها الخاص وبامكاننا ان نقول : ان العرب في ظل الاستعمار ، لجأوا لحماية هويتهم الى اللغة العربية او بالحرى الى اللغة العربية القديمة .ومن هنا نلمس قوة وصلابة قيم ومزايا العربية التي ناضلت بنجاح، لا ضد غزوات اللغات الغربية المسلحة بقدرة علمية ، على الايصال وحسب ، وانما كذلك ضد اللهجات « المحلية العامية » التي حاول الاستعمار تغذيتها لزرع الفرقة والتجزئة(المستشرق جاك بيرك).

— والتطور اللغوي ونشوء العربية مغامرتان في قلب الزمان ، وشوق الانسان اليهما ، الاولى : سفر في التاريخ وغوص الى اعماقه ... ثم ارتفاع عائد الى شواطيء الحاضر ، محمل بلاليء الاعماق . والثانية : ارتقاء الى المستقبل ، وحوم على اعاليه...ثم اكتشاف غني سعيد يعود بالبشرى المقامر . من هنالك كانت نشاة اللغة العربية ، وبهذا السبيل الشمولي تسير فلاتتوقف بعد اليوم .

فاللغة بالاصل وجدان يتراءى بالكلمة ، وهي مرآة ذات وجهين في ايهما نظرت تطالعك البهجة .

فحاضرنا مشكل ، عديد المشاكل ، وقد زج انساننا العربي في اعتم المقلقات واخطرها ، أن في لغته ، او في عقيدته او في وجوده .

وعندي ان في هذه المقلقات اللغوية متشابكة تشابكا .

وقد عاش هذا القلق المصري،مغامر،يتخطى،لكتب منذ ثلاثين عاما ، كتاب « مقدمة لدرس لغة العرب » لذا فهذا يعني بان هذه المقدمة هي لاقتضاءات معاصرة،تثار في كل مكان من ارضنا العربية وتسير الى صعوبات اللغة العربية ومشكلاتها ، او تؤكد سهولتها واطمئنانها حتى لقد تألفت في ذلك مؤلفات جمة . وبعد فاقول : بان اللغة هي وجدان يتراءى بالكلمة ،وهما مرآة ذات وجهين ، في ايهما نظرت تطالعك البهجة .

من هنا كانت نشاة العربية ، وبمجراها تسير ،فلا تتوقف بعد اليوم .

العربية واللغات الاخرى :

اللغة منزل الكائن البشري ومرآة فكره ، يلجأ اليها لتاكيد وجوده وينطلق بها لتحقيق رغباته .

لكن المنازل تغنى بسكانها ، والمرايا تصفو وتجمل بالعيون الناظرة اليها والوجوه المصورة عليها .

فاذا هاجر السكان او ماتوا ، خلت المنازل واقفر فناها ، فهم روحها التي بها تحيا ، واذا قبحت العيون وشاهت الوجوه حالت المرايا وتعكر صفاؤها واقسد استعدادها، فالصور المطبوعة عليها وجهها الذي تبدو.

اللغات موطن الشعوب ومرايا اشواقهم .

واللغة العربية موطن العرب ومرآة تفكيرهم . فالمقارنة بين طبيعة اللغات ومميزاتها الحيوية من جهة، وبين طبيعة اللغة العربية وخصائصها من جهة ثانية . فالمقارنة الحقيقية بعيدة عن طبيعة اللغة العربية ، وملابساتها فى حياة العربي ، وعلى تحديدها وادراكها يتوقف تصحيح الاساوب التعليمي وتقويم المنهج التربوي ، واقتصاد الجهود المبذولة .

لان هذه الاسباب اثرت على النفس العربية تأثيرا شديدا وطبعتها بطابع غريب من الزهد باللغة .

ومن هذا التاثير وهذا الطابع .

1 — طغيان اللغات الاجنبية على حياتنا العامة فى كل مرافقها الضرورية كالبيع والشراء ، حتى يكاد العربي يشعر بالغربةفي محيطه العربي وبين ذوي قرباه.

2 — الرغبة الثقافية : وهذه الرغبة لا تتحقق للعربي ، ما لم يلم الماما كبيرا بلغة او اكثر من اللغات الاجنبية ، لان الانتاج الفكري والعلمي المعاصر اجنبي بكل نواحيه .

واننا فى حاجة ضرورية لان نعد عقلا عربيا اعدادا ثقافيا كاملا ولا يتسنى له ذلك الا بالاقبال على اللغات الاجنبية ؛ فالمستحضرات الكيماوية ، وقطع الغيار للصناعات الثقيلة وغيرها والادوية كلها لا يوجد لها مفردات مترجمة فى العربية ، فاضطر المثقف العربي لان يلم باكثر من لغة ليتسنى له ان يسير فى تيار التطور والرقي العالمي والعلمي والادبي .

3 — الامتياز : بمعنى ان متعلم اللغات الاجنبية المتحدث بها ، شخص ممتاز او مميز ، لان هذه اللغات بالنظر العام ، عنوان الحضارة فى الحياة والشخصية وعنوان الترف العلمي ، والاجتماعي ، والعقلي من كل الوجـــوه .

وليس فى جميع اسباب الشكوى ما يرجع الى طبيعة اللغة وجوهرها وانما هي اسباب عرضية ، غير موضوعية ، خامرت اجيالنا ، فلم تلم بلغتها الام واستصعبتها، ومالت الى اللغات الاجنبية واستسهلتها الا انّ فى نظري بان اللغة العربية هي اسهل اللغات ، ان فى قانون نحوها ، وصرفها ، أو املاءاتها او اشتقاقاتها بل اكثرها آلية اذا صح التعبير .

كل هذا لا يعني خلو العربية من الفوضى .

ادوار اللغات ونشوء العربية

ان تاريخ النشوء اللغوي وتطور اللهجة ، من المواضيع التي لا تزال اقرب الى الغموض منها الى التبيان . ومحاولة الكشف عليها تبسط رايا جديدا حول موضوع الغموض ، لم تتوقف عند بحوث المتكلمين وجدلهم بقضية اللغات أهي توقيفية، هكذا وردتنا من الله ؟ أم وضعية ، تعارف عليها الانسان ؟ كما لم تقتنع بتقسيمات ، علماء المقابلة اللغوية فى هذا العصر .

والحديث عندنا هو ان اغلب اللغات ان لم تكن جميعها قد مرت فى ادوار ثلاثة ، مرتقية منها أم غير مرتقية .

1 — دور المقطع البسيط : وهذا يعني بان المقطع كان واحديا غير مركب مثل (ba) وفى هذا الدور ولد الجدول الهجائي (ا ، ب ، ت ، ث ، ...) الخ .

بمختلف اصواته، بمختلف حركاته العربية، وان كل صوت يدل دلالة بعينها ، فمثلا ، (عو) يدل على الحيوانات الزئيرية و (وا) يدل على الصوت المغامف والمتكرر بحركة الفكين .

2 — دور المقطعين : اى دور الجمع بين مقطعين واحديين للدلالة على معنى جديد ، ويعتبر هذا الدور دور محاكاة الطبيعة فى مختلف اصواتها ، وفى آخره قصد الانسان الى التاليف من منطقه ، فجمع الانسان السامي بين المقطعين البسيطين (عو) و (وا) للدلالة على ان الحيوان يعوي فتوصل الى (عووا) بمعنى حيوان يصوت او يواصل التصويت .

والى هذا الدور تنظر المعلات فى العربية ، فهي ثنائية الوضع مؤلفة من مقطعين واحديين فقط .

وباستقرار العربية فى الثلاثي بدات تصحح الصوت فيها ، وتستحصل مثل (عوى) بمعنى صوت الحيـــوان .

3 — دور المقاطع : اى دور الجمع بين المقاطع البسيطة الواحدية وبين المقاطع الثنائية ، لتاليف دلالة مركبة .

وكان هذا الدور بقصد الانسان تلبية لحاجته الماسة اليه . وفيه اتخذت العربية وحدتها الكاملة واستقرت فى الثلاثي .

وختام لتمهيدنا هذا لادوار اللغات ونشوء العربية لقد مرت شتى ضروب اللغات بادوار ثلاثة : المقطع البسيط والمقطعين والمقاطع . وانها لتؤلف جميعها الدور اللغوي البدائي .

ولقد حييت لغات واميتت لغات، وهنالك لغات اخذت بالحياة ، وهذه الاخيرة وحدها الفت المهد اللغوي الثاني عهد اللغات المرتقية .

وتقسم هذه المرتقية باعتبار مرونتها للتصريف والاشتقاق الى متصرفة وغير متصرفة .

دور المقطع البسيط :

أ ـ الانسان الفطري: ان لبحث الانسان الفطري، علما قائما بذاته هو علم الانسان « الانثروبولوجيا » وما يهمني من ذلك الانسان الفطري في موضوعي هو البحث عن اصواته السليقية ، التي استقرت في غايتها على صورة وكانت لهجة ، ولا تعتبر الاصوات لهجة ما لم تستقر .

اما اذا اخذنا في تحليل كلمات العربية على معاني الجدول خرجنا بمقارنات يمكن عليها لرض التطور، واليك بعض الامثلة من الكلمات التالية : شجر ، جبل، جمل ، سمك .

المثال الاول : شجر ، شجرة وتحل الى حروفها، ش : معناه سن وهو ينظر الى مطلق النبات ، ج ومعناه جمل ، وهو ينظر الى مطلق الارتفاع،ر :ومعناه راس،

اما المعنى المؤلف : نبات مرتفع له راس ، وهو تماما معنى الشجر وانظر الى تخصيص اللغوي الشجر بما له ساق .

المثال الثاني : جبل وتحل الى حروفها ، ج : ومعناه ينظر الى الارتفاع ب ، ومعناه بيت ، ل ومعناه الملاصقة والمساس .

والمعنى المؤلف : بيت مرتفع ملاصق ، وكأنه للسحاب او للارض وهو تصور صحيح عن الجبل .

ومن هنا لا نطمئن الى القول ، بأن لغات العالم تفرعت عن مصدر واحد ، وانما هي وليدة اسباب مكانية اجتماعية ، وانفرادية كالعادات وليدة الطبائع والظروف .

واذا كان الانسان الفطري لم يتوصل الى الجدول الهجائي بترتيبه الحالي ، فانما توصل اليه كمجموعة لكلمات اللغة الفطرية .

واذا كان الجدول لا يضمن الدراسات لكل كلمة من كلمات اللغة على وجه التحقيق ، فانه يمكننا الاطمئنان الى انفصال اللغة عنه ثنائية فثلاثية .

كما يمكن الاستراوح بترتيبها الحالي هي ثمانية وعشرون حرفا .

— ◆ —

ان الانسان القديم جمع بين مقطعين واحديين للدلالة على معنى جديد .

لقد شرع الانسان يسعى وراء مقاصده في هذا الدور ، واخذ يحاكي الطبيعة ومن هذه المحاكاة التي تعتبر مصدره اللغوي الوحيد ترك ثروة لغوية هي اكثر المقاطع الثنائية .

ومن طبيعة الانسان معاني الجدول الهجائي يوقفنا على مستوى الاخيلة الواضحة ، ويساعدنا على تحقيق التطور الوصفي وتاريخ الاشتقاق .

واننا نورد هنا مثالين يوضحان ان الثنائي من وضع هذا الدور ، هما عبى ، والمعلات .

المثال الاول : عبى، تحلل الى حروفها ع : وتدل على الحيوان الرئيري ، ب وتدل على البيت .

أ ـ ابدال الهمزة : وهذه ظاهرة قليل من باحثي الاشتقاق العربي قد تنبهوا لها ، مع أن لها خطورتها في بناء الكلم وتحرير معانيها ، فمثلا : اخي اصلها وخي :

ب ـ الحذف والتضعيف : وهذه ايضا ظاهرة لغوية لم ينتبهوا اليها وهي بلا ريب عظيمة الاهمية من حيث وجوه المعرفة .

وخلاصة القول : في ان الانسان حاكي الطبيعة بمختلف اصواتها ، وقصد في آخرها الى التاليف من منطقه بالمعنى الذي اوضحناه ، للتاليف والجمع بين مقطعين احاديين وترك ثروة هي اكثر المقاطع الثنائية.

ورأينا كذلك حالة لا بد منها في نشوء اللغات ، واليه يرجع الثنائي بما في ذلك المعلات ، راسا على وجه الاطراد لان واحدا من هذه الحروف ليس اصلا .

— ◆ —

لقد كان بقصد الانسان تلبية لحاجته ، اذ كان يجمع بين المقاطع البسيطة الواحدية وبين المقاطع الثنائية لتأليف دلالات مركبة . ان العربية اتخذت وحدتها في هذا الدور واستقرت في الثلاثي .

ان هذا الدور هو عصر الحجر المهذب الذي تم فيه للانسان كثير من الرقي ، واننا نستعرض أدوار النشوء في بناء هيكل اللغة على سنة تدريجية غير آخذة سبيلا من الطفرة او قائمة على اسس المفاجئات المحضة .

ولقد كان الانسان بحاجة في هذا الدور الى الخطاب المبسوط ، بحكم عوامل الرقي والحضارة والتطور ، فلقد وجه العناية الكاملة الى اصلاح النطق .

ولقد تسم هذا الدور الى حلقات ، تعاقبت على اعتبار الثلاثي ، ولم تتغير في أساسها ، وانما اختلفت في نسب جعلت بينها تفاوتا ارتقائيا فقط ...

— وفي بحث هذه الحلقات ، حصرنا النظر في التطبيق على العربية ، ان تطبيقها فيما عدا العربية يحتاج الى مجهود أكبر ، وعرض اوسع .

أ — يتكون المنطق اللغوي والتعبير عن حاجته .

ب — تكثير اللغة وخوض الزيادة ...

ج — النضج اللغوي عند العرب كما يظهر في قاعدة القلب ، ومستلزماتها ونتائجها .

د — المعاني التركيبية ، وطريقة الغريبي في وضع الرباعي من الثلاثي ...

هـ — المنطق اللغوي ... والتعبير عن الحاجة .

لقد بذل الانسان ما في وسعه في سبيل ان يخضع ما حوله من أجل معاشه ، واعمل الحيلة لتكوين منطقه بين مطالب العيش الجديدة فصارت له لغة على مقياس من تفكيره وحوائجه ...

ومن المعقول بأن المنطق اللغوي قد امتد الى آخر العصر البرونزي الذي تم فيه للانسان وضع الحجر الاساسي في بناء الحضارة .

لقد بقيت لغة الانسان في المنطق اللغوي على غير تناسب ولا نظام ، اجتهد في اصطناع كلماتها لابراز ما في نفسه ولنقل ما يريد الى من يشاركه الحياة ويجاور المسكن .

وتتألف من :

أ — المفردات ذات المقطع الواحد .. اصبحت فيما بعد الجدول الهجائي .

ب — المفردات ذات المقطعين ، وهي المعلات في دور النضج اللغوي .

ج — واخيرا ذات المقاطع ... وهي في النهاية ذات وحدة في العربية منها تصدر كلمات العربية واليها تنسب .

— ◆ —

ولقد اخترعت الكتابة في هذا العهد ، ما يثبت لنا التقدم الاجتماعي ، وعلى العقلية اللغوية الراقية ، ويشير الى سمو هذا القسم من الوجهة اللغوية .

المهم ان اللغة لم تعد اتكالية أبدا بمعنى ان الانسان لم يعد يتكل في تكثير اللغة وتسمية الاشياء ، على المصادفات الطبيعية والملابسات الظرفية بل اصبح يلجأ الى التأليف والتركيب عند الحاجة وحسب المقتضيات .

ولقد بقيت اللغة فوضوية لسببين :

1 — لم يهتد اللغويون الى تركيب جدول الهجاء على وجهه .

2 — وكذلك لم يهتد اللغويون الى قانون الزيادة ومكانها ، فكان يزيد على الثنائي هكذا من غير تقرير لموضع الزيادة .

وهنالك تباين بين المنطق اللغوي ، والاكثار من اللغة ويرجع هذا الى فرقتين أساسيتين هما: التركيب والقصد .

1 — فالثلاثي في المنطق اللغوي كان عبارة عن تركيب مؤلف من ثلاث كلمات ، فلم يكن مفردا في مفهومه وان تعين بحكم دلالته وموضوعه والثلاثي في

الاكثار اللغوي كان عبارة عن مؤلف حرفي ، لا دلالة لحروفه على الانفراد في اللغة الاتية. :

2 ـ ان الثلاثي في تكثير اللغة دخله القصد في ان يكون ثلاثيا بينما كان ثلاثيا بضرورة تشخيص الموضوع للواضع .

— • —

بعد الاطلاع على ما سبق نعتقد بانه تم النضج اللغوي عند العرب فلم تعد اللغة في حاجة الى شيء مما كانت تحتاجه اولا ، بل خضعت خضوعا عاما لا اصول في الوضع ، اعتبرها اللغاويون (الفيلولوجيون) اسمى وارفع ما عرفت امة من الامم ، لقد رتب العربي الجدول الهجائي في طور الاكثار من اللغة ، فلقد كان لعرب الجنوب على ترتيب خاص يكتبون بها .

ولقد اجتهد في تنظيم قاعدة الوضع حتى استخلص قاعدة موزونة جدا ، وهكذا رتب الجدول الهجائي واصبح ضروريا أن تتكلم في تحديد معاني حروف الهجاء بما تسمح به النصوص المحفوظة .

ومعقول العربي ، في ترتيب الجدول الهجائي ، وفي اعتماده القاعدة بكل فروعها ، وفي ثورته اللغوية التي اخضع فيها لقاعدة جميع مواد اللغة ، هذا معقول وحده يكفل بقاء العربية في مواجهة المستقبل ...

ومن هنا كانت ثورة اللغويين على الانحرافات المضللة ، والاوهام المريبة التي تشد معقول العربي حسب العربية للفرد العربي .

ولقد عبر العربي عن معقوله اللغوي الراقي بقاعدة على مواد اللغة .

أ ـ تصحيح المعاجم

ب ـ الوقوف على الدخيل من الاصيل .

ج ـ ان تأخذ الوضع الجديد على مقتضاة لتسد نقص اللغة وتكفي حاجتها .

معاني الحروف العربية

بما تقدم من شرح ، وفر العربي للغته كل عناصر البقاء ، فاعتمد الجدول الهجائي ، بمعانيه العمومية ، نواة اللغة .

واعتمد كذلك خصائصه الحيوية ، ووحدة الكلمة حتى لقد اخضع جميع القوانين اللغوية وكرسها خدمة للغتـه .

ولم تعد لغة العربي في حاجة لغير مكملات تتحكم باللغة وتنفي عنها التريث البطيء، وتدفع بها الى المد غير المنجزر .

ولو بقي العربي في جزيرته العربية لبلغت اللغة العربية اوجها في الازدهار والتطور وتنظيم تلك المكملات ، ولما بقيت على فوضى الموازين ، والجموع والمصادر والافعال .

فتوقف تطور هذه اللغة بدواعي الخروج من جزيرته ، وتخلل العرب في بقاع متباعدة من الارض .

حتى لقد صادف الفرد العربي من لغته المعاني التركيبية ما لم تؤديه له في النضج اللغوي ، ولقد لاحظ أن معاني هذه اللغة لا تبنى سوى على الثلاثي ، كما لاحظ أيضا ان هنالك زيادة في المعنى تفتقر الى ما يؤديها لتتم دلالتها .

من هنا انبثقت حاجة الفرد العربي الى الزيادة ولقد توصل العربي في هذه الحقبة من الزمن الى التعرف على زيادات تصريفية ، جعل موضعها في أول الثلاثي وتم تولد الافعال الرباعية والخماسية ، وكانت هذه الزيادة ، قد استنبطت في وقتها لان العربي كان بحاجة اليها ، وعليه فالزيادات على اقسام :

1 ـ زيادة البناء : وتتكون هذه الزيادة من الثلاثي ولوضعها الوسط .

2 ـ زيادة الاشتقاق ، وتتكون من الثلاثي لكي يحصل العربي على الرباعي وما اليه وموضوع الاخر .

3 ـ زيادة التصريف:من قبل كتفعل واستفعل، وموضعها الاول غالبا لعدم الالتباس .

4 ـ اما زيادة الاسناد : كغريت ليست من اقسام الزيادة على معنى التاليف ، بل ان الكلمة تصبح مركبة ، لانها سواء كانت علامة أو ضميرا فانها حاجة غريبة عن الكلمة ، وقد تضاف لجمال الاسلوب .

هذه هي الطريقة الفضلى التي كان على العربي ان يسير اليها منذ حقبة من الزمن بعيدة .

لاستحصال الرباعي والخماسي .

وان هذه الطريقة هي نظرية ليس للمرء ان يشك بها ومستوجبا الاخذ بها ، ولا باس من ايراد امثلة تؤكدها ، كالقرطاس ، والعنقاش ، وختلم .

فالقرطاس : ذكرت المعارف الاسلامية معتمدة تحقيقات : ان القرطاس هو ورق البردي وانتهى الى انها دخيلة .

ولو عدنا الى ما قبل هذه الحقبة لوجدنا بان القرطاس يرجع الى قرط ، والقرط هو ورق الكراث، ولما كان الورق من البردي على نسق ، ابسط ، اضافوا اليه السين لكي يبرهن ويدل دلالة على اهم مميزات الورق النباتي المذكور .

ف ، قرط + س = ورق البردي .

فالقرط مجموعا الى السين يدل على السعة والبسطة ويعطي المعنى التحليلي للقرطاس .

– وعنقاش : ومعناه المتجول في القرى وهو كذلك بحسب القاعدة يرجع الى الثلاثي .

عنق : ومعناه شدة السير ، والشين تدل على التفشي وعدم النظام ، وعليه فالدلالة التامة له السير على غير نظام ، وهو المقصود من التجول في القرى .

– وختلم : ويرجع الى ختل في الاصل وهي موضوعة لاخذ الشيء خفية .

وهكذا كان فاخذ العربي عن الاولين هذه القواعد لقاعدة العربي هذه فوائد اهمها :

1 – وضع حد للتعريب .

2 – وضع قاعدة صحيحة لابحاث اللغة .

3 – المادة غير محدودة في الوضع للمستقبل ، وسد حاجة اللغة من بين هذا المد العلمي الزاخر بالمصطلحات .

4 – تصحيح المعاجم عن الاقدمين ، الذين كان اعتقادهم بأن الرباعي وما اليه تولد بالتركيب والاختزال ، فظن بأن بعثر من بعث – اثير – ومثل شقحطب من شق – حطب –

وقد يظن بأن هذا الاخذ الجديد الذي تدل العربية عليه ، من اقرار الموازين بدلالات قارة ، واقرار الاقفال على باب واحد ، وكذلك المصادر والجموع كل هذا لتصل العربية الى المستوى الذي كانت ستصل اليه لو بقيت في محيطها بدون براح .

التطور في اللهجة

للهجة منزلة كبرى وذات اهمية من اللغة ، ولا تقل شأنا عن الالفاظ ، لانها قد تكون وحدها فارقا على خطر . ويجدر بنا ان نقول ان تعرضنا للهجة العربية بحد ذاتها ، فهي متعددة الوجوه ، ومتعددة الاجناس وبتكلمها خلق كثير فعلينا اذن ان نتناول هذا البحث من هذه الزاوية من خلال الوجهة العامة وليس تعرضي لكل قبيلة او لكل جنس على حدة بل بصورة شاملة عامة .

1 – التطور الصوتي :

ان الباحثين والمدققين عن اللهجات اخذوا بقايا التطور المستمر في قبيلة ما علما عليها وحدها ، ولم يراعوا اعتبارات اللهجة الواحدة .

فهذا هو الخطأ بعينه لانه لا يصح من كل وجوهه، وبالتالي لان ما كانوا يسمونه باختلاف اللغات ، ليس له هذا المعنى حقيقة ، بل انها بقايا تركها التطور الذي لم ينته من تكامله .

ومن الامثلة التي خفيت على اللغويين ما يلي :

يعقيد : وهو العسل الذي يعقد على النار وكذلك يعصيد وهي بقلة مرة لها لبن لزج .

اللغويون لا يترددون فيما ذهب اليه صاحب المصباح وغيره من الكتب اللغوية، مع اعتبار ان الكلمات السابقة هي ابنية اسمية اشتق عليها توسمه .

ولكن القول بان العربي مر بهذه الكلمات في عهد من العهود اللغوية السابقةكافعال فقط ، فقد كان العربي يتخذ من الفعل وصفا ينطبق بالحركة حرفا ، فلا عجيبة ان يكون العربي قد وصف بهذه الافعال ، مثل يعقيد وينبوع .

وهكذا تطورت اللغة وظلت هنا دالة علىمسمياتها مع الاحتفاظ بكونها الاثير الذي ينظر الى وجوده السابق ، وبرهان ذلك يتلخص في :

1 – بقاء اللهجة المتقدرة على لسان بعض القبائل العربية فمثلا لقد ورد في الجاهلية على لسان الشاعر الاسود عنترة كلمة ينباع في قوله :

ينباع من ذفرى غضوب جسرة
زيافة مثل الفنيق المكدم

ووردت عند غيره ينبوع ، فهنا يبرز التباين في اللهجة ، بينما يرجعها اللغويون في المعاجم القديمة الى بابي طرب يطرب ، وحقد يحقد ، نبع ينبع .

2 — ويذكر بعض اللغويون كابن الاثير والانباري وابن منظور في لسان العرب وغيره من اللغويين وكتبهم، كلمة نعم بأنها نصت ينعم كما كذلك وردت في نعام .

اما النتيجة فواضحة بان هذه الكلمات هي افعال مضارعة اثرية بقيت في اللغة على سبيل التحفة الاثرية.

وري بعض اللغويين كابن فارس والفيروزابادي وتاج العروس بأن العربية مرت بعهدين :

أ — العهد الصوتي : ويمتاز بقيام اللغة العربية على الحروف ، ومحافظتها على اسلوب القرآن الكريم بالفاظ متفاوتة حركة وصرفا . مع الترداف المعنوي — مثل شيمال وشمال — .

ب — العهد اللفظي : ومن اهم مبتكراته قيام العربية على الحركات وبتحررها ، ولكن تحررا موضعيا من الصوتية وبتركها قوانين تعد اللغــة للتحــرر على الاطــــلاق .

ونقدر ان نقول بان في هذا العهد بلغت اللغــة الشوط النهائي من ترقي اللهجة .

ب — صوتية اللغة :

يجب ان يمتاز هذا القسم من الفصــل الثانـي تطور اللغة العربية بأمور هامة جدا وهي :

— على المتكلم ان ينطق كل حركة حرفا ، فهذا مما يدلنا انه كان هنالك كلمات في اللغــات العربيــة ولدت بعهود صوتية كما في المثل المتقدم سابقــا ، شيمال وشمال ، ومما لا شك فيه بأنها وردت كذلك بعهود كانت اكثر صوتية ، حيث كانت مركبة من حروف ذات اصول للمطولات بعينها .

— يفرض على المتكلم ان يبدا كلامه بحركة ساكنة، وان ينهي حديثه بتحرك ، نظنه الواو كما في الاشورية والبابلية فالابتداء بالساكن ، وهذا مما يدلنــا على ان اللغة مرت في عهد اكثر سكون ونطقت فيــه ساكنــة الاول مثل : اجفيل ، واخريط ، اعشوشب ، وقــد اضيفت الهمزة للتوصل الى النطق الساكن من مثل : امرؤ امراة ابن الخ ...

والانتهاء بمتحرك هو الضمة الممدودة أو الواو ، ويدعو اليه احتفاظ عمرو بالواو في املائيته. ومن بديهي القول ان معرفة العرب للكتابة قديم جــدا وان كان تطورها بطيئا ، وهكذا نرى بأن عمرو ، كلمة زيدت عليها الواو التي لا فائدة منها ولا غناء ، اما القول بأنها للتفريق بين عمرو وعمر فأمر هو اقرب الى التخريف منه الى التطور ، وانطلاقا من كلمة عمرو نرى :

ا — النصوص الحميرية : مثل اخت امهو اي اخت امه .

ب — ما في لسان بعض القبائــل من تحريــك ضمائر الجمع للغائب من مثل عليه اليهم وهو معروف في الكلام على قراءات القرآن الكريم .

ج — احتفظت العربية بالوقف بالروم في بعض المواقف ، والروم مختلسة تميل الى الضم .

د — لقد زادت العرب النون في فعــل فعلــو واصبحت فعلون ، لتمكين المنطــق والتخلــص مــن الصوتية .

هـ — بناء فعلين ، يرجع بأمــره الى بناء فعــل فعلون فهذا من افعال الاتباع وهو قانون شائع في اللغة

الدورة اللغوية الطويلة

ان الظن في هذا القســم هو انه من المؤكد انهــا محركة الاخر ولم تتحرر الكلمة من التقــاء الساكنيــن ومعنى هذا أن أسبابا من البناء اللغوي القائم ، جعل اللغة تتهيأ للتحلل وان لم يكن على الوجه الاكمل، وعليه فقد بقيت الحركة تنطق حرفا في كثير من مواضــــع الكلمة اي لم تعد تنطق كذلك بأطراد ، ومن ثــم كــان وجه للتحلل وان لم يكن على الوجه الاكمل وعليه فقد بقيت الحركة تنطق حرفا في كثير من مواضع الكلمة لم تعد تنطق كذلك بأطراد ومن ثم كان وجه للتحليل .

وفي اعتقادنا وبحثنا ان اللغة دارت دورتها وكانت طويلة جدا ومثمرة كثيرا وخلعت فيه من حركة الاخر، ولكنها تخبطت في تجارب كثيرة حتى خرجت العربية نهائيا بتجربة الاعراب المدهشة .

— ولقد حاول الاستاذ ابراهيم مصطفى صاحب كتاب (احياء النحو) درس هذه الظاهرة على وجــــه تعليلي نشوئي ولو درس العربية للنهج التطوري الذي تاخذ اللغة للوصول الى حلول حقيقية دغير رأيه في اشياء كثيرة .

ونخلص الى القول بان الفرد العربي كان همه ان يميت التطور الصوتي ولا يقصد الى التكثير والتزايد، ولكن وجدت هنالك أسباب عملت على حفظ تلك الاثريات في اللغة،مما ساعدنا على استنتاج ما نستنتج لتصحيح ما اخطأ به اللغويون ومن اقرار العربية في الوجهة التي قصد اليها العربي ، والتي تستطيع بها وحدها ان تكون لغة للمستقبل بين اشيائه الباقية .

الاسباب التي حفظت الاثريات

من الاسباب التي ساهمت في حفظ الاثريات في اللغة العربية هي :

1 ـ التشخيص العلمي : ومن ذلك يربوع ويسروع .

2 ـ القصد الكنائي : ومن ذلك باجوج وماجوج .

3 ـ حداثة الارتقاء : ومن ذلك انظور وطومار

4 ـ الكتابة : وذلك لاحتفاظ الفرد في الاملاء بواو عمرو الزائدة مثلا .

1 ـ التشخيص العلمي : وقولنا هذا يعتمد على ان نتخذ اللفظ مفهوما شخصيا وأن يحتفظ بمدلول معين ، فمن المعقول جدا الا يتأثر اللفظ بالتطورات التي تعرض لاصله الا نادرا بعد التشخيص العلمي لانه فارقه في المعنى . ومن الاثريات في هذا القسم من حفظ الاثريات من الافعال المضارعة .

1 ـ يسروع : اسم دويبه تكون في الرمل .

2 ـ يربوع : اسم دويبه اكبر من الفارة .

3 ـ يعسوب : اسم دويبه من النحل شبيهة بالجرادة .

4 ـ يقطين : نبات معروف .

ب ـ القصد الكنائي : القصد الكنائي يشابه التشخيص العلمي ، ولكن ذلك في المعاني ، فدلالة الكلمةاو التركيبليس الا المعنى المثلى فقطومنالاثريات المحفوظة في القصد الكنائي ياجوج وماجوج .

اما القصد بكلمة يأجوج ما يلزم عن معناهما الكنائي من التأجيج المتدافع ، والتأجيج في كل شيء.

اما لغويا فيأجوج فعل مضارع من ثلاثي أجج .

اما ماجوج فهو اسم مفعول منه ، وهو التأجيج للمتدافع واظن انه كله يستعمل لعهد القرآن كمثل في هذا المعنى .

ومما ساعد على حفظ مثل هذه الكلمات ووردها في النصوص القرآنية، فبقي لها امكنة واسعة رحبة.

وكذلك ورد في الاحاديث النبوية الشريفة على ما اظن جوع يرقوع ، وفرس يعبوب ، وطريق ينكوب وارض يخضور ، واعتمدنا في تفسير حركات الافعال في ابوابها الستة فالابواب الستة المشهورة هي :

نصر ينصر ، ضرب يضرب ، فتح يفتح ، علم يعلم ، كرم يكرم ، ورث يرث .

ـ الكتابة : ومن اهم الاسباب التي حفظت ، وعملت على بقاء الاثريات في اللغة هي الكتابة اطلاقا ومن ذلك قولنا في اسم عمرو والواو الزائدة فلولا الكتابة لما وجدت الواو في آخر الاسم .

وان النتائج في هذا البحث تتجلى في تاريخ التفريغ اللغوي وضبط عين الثلاثي ، وانطباع العربية بطابع الاعراب لهذا البحث أهميته الكبرى وهو تاريخ التفريغ اللغوي لانه الاداة الوحيدة للتاريخ والتشعب المدبـــر .

ان التطور في اللهجة يؤكد البرهان على اهمية الثلاثي ، كما يؤكد كذلك بان اللغة العربية انفصلت بعد تمخضات وبلوغات طويلة واستوت في أكمل ما تكون لغة بما لها من مميزات فانها في المميـزات المبينـة في الاعراب والبنية لادق لغة في ملابسات اللفظ للمعنى ملابسة حقيقية .

ومن ذلك ان المثنى شاهدا قاطعا لا يقبل التردد في غيرها ، فاننا حين نرى المذهب البياني في اللغات قاطبة يعبر عن الاثنين بسبيل الجمع ندهش كثيـرا وعلى وجه غير محدود للدقة العربية ، التي تبالغ في اعتباره ونجد غيره شيئا كثارا يشهد بدقة العربيـة كلغة؛ ويشهد بمقدار التسامـي اللغـوي في طبيعـة الفرد العربي .

التطـــور في اللغــة

كان بامكاننا ان نلج هذا الفصل نظرا لاهميته في طليعة تعرضنا للبحث عن اللغة العربية ولكننا تركناه الى الفصل الثالث ، بعد تعرضنا لضربين أساسيينمن

ضروب دراستنا ، وما يتبعهما من تشعبات وافنان يستدان الاهمية التي افترضتنا في الفصلين السابقين فمن ذلك ادوار اللغات ونشوء العربية ثم التطور في اللهجة وقد طبقنا كل شيء على العربية ، وقد عنينا باللهجة شكل اللغة المتطور من الصوتي الى اللفظي ، وهنا نصوغ الفكرة .

ا ـ نظرية التطور :

لقد مرت اللغة العربية كغيرها من اللغات في ثلاثة ادوار كما افصحنا سابقا ، دور المقطع ، والمقطعين ، والمقاطع وهذا يعني انها جابهت تطورا من الاحادي الذي كان مجموعة حروف الجدول الهجائي التي تمثل لغة الانسان الاول المعرض في القدم .

ومنها صارت الى الثنائي والثلاثي حيث استقرت فيه ونشطت في حلقات خمس ومن هذه النشاطات كان الرباعي والخماسي والسداسي .

فاللغة كانت كما اسلفنا بتطورها صوتية ، ثم لفظية لكنها في تطورها الصوتي احتفظت بعدة وجوه صوتية بسبب مغادرة العربي لجزيرته من جهة وبسبب الذين تناولوا اللغة ، وكان طابع مدرستهم الجمع فقط، ثم الوقوف في وجه كل اجتهاد يرمي الى تحرير اللغة من الاثريات القلقة في الافعال والموازين ، والجموع الا ان خلاصة قولنا ان اللغة العربية تطورت لغة ولهجة ، ولكنها توقفت قبل بلوغ ما كان يقصده العربي منها .

ب ـ اللغويون الاولون :

لدعوى التطور من قبل اللغويين الاولين صفة ذات اهمية ، ولرأيهم الخاص بهم ، كذلك اهمية نعلق عليها املا كبيرا اذ ان الذين يبدون آراءهم بتطور اللغة ليسوا ممن لبدتهم الحياة ، بل من اولئك الذين عرفوا كيف يبدون رأيهم وفي هذه الاراء زبدة دسمة نحن بحاجة ماسة اليها والى معرفتها والاطلاع عليها .

قال ابن اسحاق: وان الزيادة في اللغة العربية امتنع العرب منها بعد بعث الرسول العربي (ص) لاجل القرآن . وان معنى هذه العبارة صريح وواضح ، وهي ان العربية كانت خاضعة للتغيير المستمر ، فاللغة بين الزيادة والتنقيح على سنة غير متخلفة ، وهذا هو الغرض المقصود من التطور .

ولهذا الامتناع عن الزيادة وعزو ذلك الى القرآن الكريم ، انه نظم حواشي العربية ، واخضعها لقانون بياني ثابت وامات ما هو متراوح الغوص فيها، وانعشها بحيوية اخرى جديدة .

على ان ابن اسحاق لم يفهم السر الصحيح لهذا الانجاز وقد صرحت به غير مرة من المقدمة، وهو توزع العرب في الانحاء ، وتناول المدرسة اللغوية العربية على وجه خرج جدا من النطاق اللغوي .

فالقرآن هو الذي اعتمد لغة قريش في افصاح محتوياته ، والذي امات منها القسم الفوضوي وقد رجع بعض اللغويين الى اعتماد تجديد هذه الفوضى .

وخلاصة القول بان التطور عمل عمله في مادة اللغة كما عمل في صورتها ، وكان من ابرز ما قام به من اعمال منتجة في حروف الاعلال .

ـ من ابرز القوانين التي وقفت على تاريخ ماهية اللغة هي :

أ ـ ان لقانون منع الانتقال من الكسر الى الضم اقدم من تمام تحلل اللغة من الصوتية الى اللغوية .

ب ـ كان لابدال حرف اللين الهمزة تخلصا من الصوتية ، وليد ضرورة وهو متأخر عن قانون منع الانتقال .

ج ـ ان قانون الاتباع بالحركة متأخر جدا .

ان لكل قبيلة نطقا خاصا ولهجة خاصة بها،وكلمات تختلف عن كلمات الاخرى ، فمنهم من نطقت بـ ثندلان، وكذلك اخرى تقول زلبر ، فهذه الكلمات متخلفة تمام التخلف عن الارتقاء والتطور اللغوي واللهجي . اذن فالاستناد الى معرفة التطور من خلال قبيلة واحدة او من خلال قبائل خطأ ، فيجب على من نصبوا انفسهم لهذه الدراسات ان يجعلوا معلوماتهم صحيحة ويقارنوها الى محيطات متطورة ومتحضرة وليس الى محيط خاص بجماعة ضيقة بل ان يعرفوا المحيط المتطور ثقافيا ، واجتماعيا ، ولغويا ويلجوا بابه لمعرفة مدى تطور لغته ، وان يقارنوا هذا التطور مع تطورات اخرى من جهات اخرى لمعرفة النسبة التي سوف تكون نتائج حاسمة بالنسبة لهذه الدراسات .

ج ـ تطور الافعال :

لقد سبق لنا ان بينا قاعدة الافعال في الاثريات المحفوظة من بقايا اللغة وبسطنا معقول العربي في

تسوية الاختلاف بين أبواب الماضي والمضارع ، ونحن نتناول الان الفكرة بشكل أوسع من خلال الكلمات واليك بعض النماذج :

1 – دراك ، هيهات ، وى واننا نقول بان دراك اسم فعل أمر بمعنى ادرك وهيهات اسم فعل ماضي بمعنى بعد ، ووى بمعنى أعجب بكذا

وان كلمة دراك وامثالها بقايا تمثل الفعل الامري قبل تهذيبه على الشكل الذي وصل الينا .

2 – يراع ، ينبوع وهذان يعبران عن صورة الافعال في العهد الصوتي .

– يراع : فعل ماضي متخلف ...

– ينبوع : فعل مضارع متخلف ... ايضا ، ولكنهما ليسا على خلاف مع الوضع الذي استقر عليه الفعلان مما يدل على ان ترتيب الافعال على وضع مهذب سبق تمام التحلل الصوتية ، ولكن ما زالت الخلافات بين الافعال الماضية والمضارعة ، وقلنا بان هذه الافعال هي افعال اثرية ، والواقع ان اختلافها كان له مفهوم في طبع العرب الاقدمين، لان شكلية الحروف كان لها تأثير في تمام له مفهوم في طبع العرب الاقدمين لان هذه الشكلية كان لها تأثير في المعنى وانماه .

لقد ادركت اللغة العربية عهد الاصلاح والتهذيب، وحاولت التخلص من الاختلافات المذكورة التي لم تعد لها اى معنى في الوضع الاخير .

3 – وهل ويوهل : ومن معانيه الوهم والخطأ والضعف والخوف .

– واول وهلة : أول شيء والمثال يلي ما قدمنا ويظهر فيه عمل التطور بنقله الى باب : فعل ، يفعل

واعتبارها أصلية فيه ، وعلى قلة وشذاذة في باب فعل يفعل ، وهذا المثال متخلف لوجهين :

أ – التصحيح مع موجب الاعلال .

ب – الدوران بين بابي طرب يطرب ، وحسب يحسب ، ويظهر من هذا ان العربي فكر بتوحيد الابواب قبل تمام عمل الاعلام ولذا نقدم المثال الاخير والارقى

4 – وثق يثق : ومصدر هذا الفعل هو الثقة ، والوثوق ، والموثق ، ومعناه الائتمان ، وهذا المثال ارقى من سابقه لانه جاء من باب موات مع الاعلال الذي هو تمام العمل الارتقائي ، كما تشهد عبارة الفيومي في كتابه المصباح ، وتصدق كل ما رأيناه وجئنا به .

وخلاصة القول في هذا الموضوع اننا نستنتج مما تقدم :

– ان الصور التي عليها الفصل على اختلافه مهذبة سبقت بصور أميتت وآخرها ارتقاء الامر ، ثم استقر في انه يتبع المضارع .

– ان تهذيب الافعال سبق التحلل من الصوتية.

– ان توحيد أبواب الافعال متأخر عن التحلل من الصوتية .

– الاعلال متأخر في الطبع العربي .

تطور اسم الفاعل

وجدنا مما تقدم في بحثنا من تطور اللهجة ان صيغ اسم الفاعل ، فاعل ، فعيل ، فعل ، تستوي كلها في أصل الدلالة ، وانها ارتقاءات عن فاعيل امات قصد بعضها التنويع وبالبعض الاخر الامالة .

ونرى بأن الفرد العربي كان قصده طرد الفاعل في كل ثلاثي مجرد بدون نظر الى الابواب ، واذن لا حاجة لاختلاف اللغويين في أبحاثهم حول صيغة (ايها القياسي) وحول أبحاثهم في اسم الفاعل من الثلاثي المجرد .

فصيغ اسم الفاعل تطورات تفيد افادة واحدة ، وقد قصد العربي أن يعرض بها على كل المواد اللغوية، فحال بينه وبين قصده ما ذكرناه من مغادرة الجزيرة، وعمل اللغويين المحافظ ، فاكتفى بما وصل اليه وأمر الاكتفاء معروف عند اللغويين الاولين فقد قالوا في المصدر من الفعل ان العرب استغنوا في بعضه بأسماء وقعت موقع المصادر كما في وصاة مكان توصية وزكاة فاضاف تزكية وصلاة مكان تصلية .

تطور الاعلال :

الاعلال وسيلة لبقة وسامية، والاعلال يفيد المعنى الطبيعي ، كما في طال : فانه يفيد الطول بنمو طبيعي، واما التصحيح مع موجب الاعلال فيفيد المعنى بتكلف أو باضطراب ، كما في طول فانه يفيد التكلف في الطول.

الارتقاء في تطور الاعلال فيعود الى الامثال :

1 ـ عوية وتعني صوت الذئب ، وتعتبر اقدم الامثلــــة .

2 ـ الاتمام : منها ما هو مكسور ومنها ما هو مضموم ، فالاتمام ليس حركة كانت في اللسان العربي كما توهم اللغوي عبد القاهر الجرجاني ، في كتـــاب الايضاح ، ويظهر ان الاتمام اعلال بين ايدي التطور ، فمثلا نطقت اول مرة شوق .

ـ ثم اعلت باتباع الواو للحركة فقيل : شيــق وفي ذلك اتمام فالاتمام يعني نطق الضمة قبل الياء مع خفة المتكلم .

ـ وخلاصة قولنا في تطور الاعلال هو : ان العل كان على التصحيح اقدم عهود اللغة .

ـ ان قانون الاتباع هو قانون الاعلال الصحيح.

ـ ان الاتمام الى الضم اعلال اولي وليس بحركة زائدة اميتت .

ـ ان الاتباع يعمل في الاعلال على التناسب ولو لادنى ملابسة .

والخلاصة ان التطور اللغوي يرجع الى شعبتين اساسيتين : يتفرع عنهما كل شيء يتعلق بالعربية مادة وصورة ، وهاتان الشعبتان هما :

1 ـ اثر التطور في الاسلوب البياني .

2 ـ اثر التطور في الشعر .

1 ـ فالتطور الاول وهو الاسلوب والبيان ـ فهو معين تاريخ النشوء اللغوي وتطور اللهجة : فالدراسة العميقة في البيان والاسلوب البياني قادتنا الى :

أ ـ كان الجدول الهجائي بحركاته لغة للانسان القديــم .

ب ـ نشات العربية نشوا تطوريا عن الجدول ، فالاحادي اصل الثنائي وهذا اصل الثلاثي .

ج ـ تطورت العربية اللفظية عن اصلها الصوتي على ادوار متعاقبة .

وعلى هذه النتيجة ومراقبتها نتائج النظريـــة : فالبيان ، يساعدنا على مراقبة مقدار المسافات التـــي عملها التطور في اللغة على مختلف الانمــاء ســـواء في الاشتقاق ، والاعراب والموازين والاعــلال والافعـــال والمصادر وتطلعنا على تلك المسافات التي بقيـــت واضحة في منطق القبائل المختلفة ، ومنطق القبيلـــة الواحدة وبالتالي نقف موقفا مخالفا من علماء البيـــان فهم يبتدعون لها وجوها من التعليل، كاختلاف القبيلة، تداخل اللغات ، والضرائر والشذوذ والغلط ، وغير ذلك من حيل المتحيل .

انالتطور الذي قلنا عنه في المفردات يصـــدق عمله في الاسلوب والبيـــان على شتـــى اوضاعهمـــا ، فكتاب (المجاز) لمعمر بن المثنى المعروف بابي عبيدة يعالج التطورات المختلفة في هذه الناحية التي سماها مجازات اى اساليب ، والحق انها ابعد ما تكون عـــن معنى التسمية ، وما هي عند البحث الا تطورات وبقايا من مجازات انقرضت .

2 ـ اثر التطور في النظم والشعر :

حتى تطور الاوزان الشعرية لم تفلت من الانصقال والتشذيب، ولكي يتسنى للباحث ان يربط بين بحور الشعر العربي القديم ، فهنالك ابحر اميتت ، ان الشعر انتهى الى نتيجة خطيرة وهي ان البيان العربي ابتداء نظميا وتطور كذلك اخذ نحو التحلل ، وكان من آخـــر البحور المرتقية ، الخفيف وما اليه ، والرجز المرصع الذي منه تحللت الاسجاع ويدل على التحام الترصيع الشعري والسجع عند الشعراء وعليه فيكون السجع بين الشعر والنثر .

فمن هنا انبثقت القصيدة النثرية ، وهي التي تاخذ طريقا نحو الارتقاء في عالم القصائد .

اثر القرآن الكريم في التطور :

ان القرآن تناول العربية ولما تستقر ، بحيث كان سببا قويا في تهيئة الاستقرار على اكمل وجوهه :

ويوجد في النص القرآني شتـــى التطـــورات النثرية ، حتى يكاد يحتبك النثرية ، حتى يكاد يحتبك النثر بالنظم في بعض السور « انا اعطيناك الكوثر » ، وهذا يعني بانالقرآن يجمع بين مختلف السورالبيانية ويأتي بها علىنحو معجز جدا ثم يسوق اسلوبا جديدا لا ينتسب الى بيان العربية بحال ، وربما كان في اجتماع هذه السور الشتـــى من الاساليب في القـــرآن على مسحة متسامية ، سر اعجاز القرآن الصحيح.

وان الروح القرآنية والاسلوب القرآني، فقولنا في ذلك ان روحالبيان فيه مختلفة واجدر بنا ان ندرس

بيان القرآن لانه الوثيقة السامية في البيان والاسلوب العربي حتى نطبع به على الدوام فاشد الكتاب تطرفا عنه اشدهم تعلقا به على الحقيقة ، لان البيان غذى القرآن والغاية، ان القرآن امات الفوضى في اللغة واجبرها للانصياع لقانون بياني ثابت ، ودل فيما دل على تطورها ، كما اوضحنا في الفصول الاولى لنظرية التطور اللغوي :

ونستخلص من استعراض التطور في اللغة وجوه التخلف اللغوي الذي رافقنا خلال دراستنا .

فالعربية لم تزل على فوضى من الافعال والمصادر والجموع والموازين ، ولن تستقر على ما كان ما يريده العربي من لغته ، ولن تطمئن بين اشياء المستقبل الباقية .

الا بازالة ما بقي متشبثا بها من علائق الفوضى بسبب ظروف العربي ومغادرته لجزيرته .

وبسبب اللغويين وتشددهم في السماع وفي ما يكتم العربية ، ويمنعها من الانفتاح على الحياة اللغوية العصرية والمستقبلة .

التنقيـــح في اللغة العربيـــة

في الفصول السابقة التي اوضحنـا فيها تطـور اللغات ونشوء العربية في المقدمة ، رأينا عمل التطور في الغربية خلال هذه الفصول ، ان العربية تجاوزت حدا بعيدا دون ان تنتهي ، ولكنها مع ذلـك اخـذت بالاستقرار شيئا فشيئا واستمدت في سيرها مـا تدعو اليه الحاجة من موازين دخلتها الزيادة الصرفية كافتعل وما اليه ، ولقد يكون الاخذ الجديد الذي تدل عليه العربية ، من اقرار الموازين بدلالات ثابتة، واقرار الافعال على باب واحد ، وكذلك المصادر والجمـوع وهذا يعني الوصول بالعربية الى المستوى الذي كادت تبلغه لو بقيت في محيطها بدون براح .

ولكن الامر الذي يضع اللغة في مواضيع قلقة وبصورة تكاد تجعل منها لغتين :

أ ـ لغة القرآن الكريم :

ب ـ اللغة التي تبتدأ بالقرن العشرين .

وقد تتفاوت كلتا اللغتيـن تفاوتـا يكـون لا اقل في أساليبه ومفرداته من اللاتينيـة والفرنسيـة هذا هو موقف اللغويين التقليدي وهذا هو رأيهم في امر اللغة العربية ، وهذا الامر المتناقض ، وتهجمهم على اللغة العربية تهجما يجيزه هذا الدرع الذي باخذون الناس به ، واعني به جمع لغات الجزيرة ، وبكلمة ادق تعبيرا لهجات الجزيرة ، والمداخلة بينها ، مداخلـة مطلقة ، بغير تمييز ولا تنبيه ، بالاستنتاج منها مجتمعة قواعد اللغة في حين انهم شهدوا بالاختلاف فيما بينها بصورة مؤكدة ، وهذا الموقف التقليدي لم يلج بابه المحدثـــون .

ـ ولا نكون على مقربـة اذا قلنـا بان موقـــف اللغويين المتفاوت بأسباب أهمها ، عدم تفاهم لغويي البصرة والكوفة واتخاذ الخلاف بينهم صبغة تعصبية صرفـــا .

فلقد تشددوا بمنطق الاستماع وعـدم الحفظ اخذا على مذاهب الخصوم ، ان هذا الاغراق الشديد فيه هو من جراء التعصب القائم والتحامل البالغ ... وهذا مأخذ شعروا به ، ولكنهم دعوه تنقيحا .

وينتظم التنقيح للغة العربية باربعة ادوار :

1 ـ كان بما قدمته قبيلة يعرب بن قحطان .

2 ـ كان بفضل اسماعيل لما اصهر الى جرهم .

3 ـ بمعونة قريش بالتدريج انتخابا من لغات قبائل العرب التي كانت تفد عليهم في كل عام .

4 ـ كان بعمل علماء المصرين ، الكوفة،البصرة، اذ قصروا اختيارهم على لغة قريش وست قبائل من صميم العرب ، لم تحتك بغيرها ...

ـ التنقيـــح الجديـــد :

ان الظروف التي رافقت العربي بعد هجرته من جزيرته ، وبعد مواقف اللغويين الذين خرجوا عما كان يقصد من لغته، في هذين السببيـــن يكمـن مرض العربية الذي قصر بها مطالب العصر ، ناهيـك عـن مطالب المستقبل ولا شفاء لها الا بمعاودة الدرس مرة ثانية وتنقيحها تنقيحا جديدا لا يخرج عليها بالاساس ولا يقصر بها عن مطالب العصر ، وتطور المستقبـل . ولا بأس بتسمية ما نحاوله تنقيحا كان يكشف وحده حقيقة الماضي وينير طريق المستقبل ومن ثمة اصبح ضروريا ان نقول ما هي الاهداف الاساسيـــة التـي تلخص التنقيح الجديد .

اهـــداف التنقيـــح الجديـــد :

ان من اهداف التنقيح الجديد ان :

1 ـ نحذف السماع من اللغة العربية الا بالمعنى الذي سنقرره فيما يلي : وهذا يعيننا ان نخلص العربية من عوائق الفوضى في افعالها ونقرها على باب واحد هو باب ضرب يضرب ؛ وفاقا لما أوضحناه فيما قبل.

كذلك يجب ان ناخذ بعين الاعتبار بأن التنقيح يجب ان يجارى معقول العربي في لغته ، ان في قواعد الاعلال او في كل ما يتفرع من بحث الافعال : ثلاثية وغير ثلاثية من اشتقاق وغيره ...

2 ـ يجب ان يسمح بصوغ موازين الثلاثي كان، وكذلك الرباعي وموازينه ، لان التزايد المستمر في اللغات السامية يخضع لقانون الاشتقاق اي الموازين او قل التحرك من الداخل، لان العربية غنية في موازينها التي تبلغ الثلاثمائة للثلاثي الواحد ، كما اعطانا اياها سيبويه في كتابه النحو الضخم .

3 ـ تخصيص هذه الموازين مفردة او مجموعة بدلالات قارة ثابتة لا تختلف على اختلاف المواد، ففعال يخص بما يدل على الزائدة الاجنبية auto وفعالية يخص بما يلاقي في الاجنبية ism وبذلك تسهل مهمة الوضع الجديد ويكون اكثر علمية ، كما راينا في وجوه التخلف .

4 ـ توحيد المعاني في المادة الواحدة ... ونعني بذلك جعل كل معاني المشتقاتمن مادة ما معاني لها سواء اكانت مجردة أم مزيدة ، مما يصـــح معــه اشتقاق المجرد من المزيد وبهذا تزيد الوحدات المادية للمادة الواحدة .

5 ـ الاستفادة من قاعدة الدوائر او القاعـدة الدائرية ، بوضع مواد جديدة لم يسبق للعرب انهـم وضعوها او وضعوها واميتت ...

6 ـ الاستفادة من سنة الرباعي وما أليه بزيادة الحرف على الاخر بعد تحرير معاني الحروف الهجائية

7 ـ المعاقبة أو الابدال .

ان الهدف الخامس والسادس والسابع هيذات اهمية خطيرة في نتائجها .

ومن مجموع هذه الاهداف التي جاء بها تنقيحنا الجديد للغة العربية : وضع المعجم العربي بطريقـــة تلبي بمتطلبات وحاجات العصر وتمد المستقبل بمـــا يحتاج اليه ، وعلى تفصيل هذه الحاجة المزدوجـة ، وايضاح الشكليات اللغوية من خط واملاء ، وبيـــان ومعان ، وعروض ، وبديع وصرف،ونحو وسجع وغير ذلك من التابعيات ، كالاعجاز والتضمين ، والفك ، في حمل الادغام للدلالة والتصحيح في موجبه الاعـــلال لغرض ما .

مستقبل اللغة العربية

1 ـ داء العربية ودواؤها :

ان الفن كله قضية تعبير . والانسان الخالد كله قضية تعبير .

وقد قيل ان العربيـــة لا تتنـــاول من شؤون الحياة ما نحسه ونشعر به ، وتفتقدون البيان عنه بأى الفاظ من اية لغة فهي جديرة بان لا تكون الا في متحف يكتفي الناس منها بالنظر اليها . واني غير مطمئن الى ان الجماعة تقرر فكرتها على هذا النحو ، ولكنها تعني معنى آخر هو ما سبق لنا ان ما تكهناه وهو ان الجدير بكلمة العربية هي : مجموعة الكلمات التي تضمنهـــا المعاجم بالنقل عن لسان العرب قبل ان عراه ما عراه، وهذا الوضع الحرج الذي وضعوا فيه العربية ، الحق بها فيما ارى نتائج كاسواء ما تكون نتائج ومن اهمها :

1 ـ قصور العربية عن تناول مقتضيات الفكر، ولا ادل على هذا من عرض مجموعة كلمات الاصطلاح في اللغة العربية (المادة والجهة والموجهة) وقد ذكر في تعريفها ان كيفية النسبة في القضايا (مادة) واللفظ الدال عليها (جهة) والقضية الواقع فيها هذا اللفظ (موجهة) .

2 ـ جمود اللفظ في معناه فلا تجد فيه شيئا من المرونة والبســاطة كما يجب ان يكون ، بل تشعر بانه ينكمش في طبيعته حتى يعود اشبه شيء بالحصاة مهما تقاذفتها السيول تبقى كما هي حصاة غير متحولـــة شكلا ولا اعتبارا ، ومن هنا أتهم بعض مستشرقـــة الافرنج ، اللفظ العربي بأنه (كليشة) لا اكثر وسمي العربية (لغة الاكليشات) .

ـ نشوء العامية : وقد يرى عجيبا أن يعد تشدد اللغويين للغة هذا التشدد جر الى نشوء العامية ، او كان الاثر الفعال اليها ، ولكني على ما يرى من عجيب اؤكده بصورة لا تقبل الريب وذلك لان الوقفة المتزمتة

بهذا الشكل الذي لا يكفل حاجة الناس ولا يعبر عن اغراضهم اليومية وهي لا تنفصل منهم بحال أو لا يتأتى لهم ان ينفصلوا باى وجه ، جعل العامة يهجرون تباعا هذه اللغة التي للخاصة رغم انها لغة التشريع والابتهالات ورغم ان العامة لا تهجر مادة اللغة التي يتميز بها الخاصة الا لاسباب ماسة لها حدتها ولها عنفها .

فالانصراف الذي نلمسه في العامية قد كان اذن لاسباب لا يحقر ابدا شانها .

وكيف تحقر وقد سببت انصرافا عاما ، ولقد اوخذ بان هذه النتائج التي لرتبها اذا سلم بان العامية نجمت عن الانصراف المذكور ، ولم تكن لاسباب اكثر وضوحا مثل الدخيل والامتزاج .

الا ان الاعراب ليس وحده فارقة اللغة وميزتها وربما كان اقرب الى الظاهرة بمناها الصحيح ، والمفردات المتميزة المنتقاة ، التي تشمل عليها لغة الخطاب .

— ان الفوارق في اللغة قد حملت الواضع على اختصاصها الا اذ ان الفوارق هذه تلبدت على مد التطور وغابت عن متناول الرواة ، وقد يقوى هذا الظن ان تكون آخذة شكلا تقنيا ، اذا ما تفحصنا هذه الكلمة تراها رجعت الى تقن العربية التي جاءت بمعنى الطبيعة والمواقف من كل الجهات ، على منحى موزون خذ مثلا ، (فعفعيل) الذي يظهر ان اصله (فيعل) (وفعليت) الذي يرجع الى (فعل) و (فعلين) كذلك وهكذا مما سنأتي على ابداء الراي به جميعه ، باعتماد المقارنة التشاكلية ، وان كنت اقطع بأني مع هذا لا امثل تمام معقول العربي فيها ولكني اطمئن اليها على اي الاحوال .

الا ان الملاحظة التي لازمتنا في دراسة الموازين ، ان العربية كانت تصدر عن لواحق تزاد على الوزن اذا كان المراد الافادة عن معنى اللاحقة زيادة على معناه ، بدليل السوابق وما لها من المعنى المعتبر في العربية كسابقة (است) في استفعل التي تفيد الطلب او الصيرورة او العد . واظن بان هذا يقطع عرق النزاع كما يقولون من انه كان في العربية سوابق ولواحق لم تتوضح تماما عند قدامى اللغويين .

واننا لا نريد ان نغوص في اشياء نحن بغنى عنها لاسباب وجاهية .

1 — انها خطوة واسعة تشبه الطفرة التي لا تخلو من البعثرة والفوضى ، وليس ذلك من عدم صدق النظر وانما من عدم سلامة التطبيق من وجه ، ولندرة الامثال المحفوظة على هذه موازين العربية التي تحتفظ باللواحق من وجه آخر .

2 — حرمة موازين العربية التي هي شخصية اللغة ، ان ينضاف اليها ما لم يكن منها ومعنى هذا بعيدا عن الميزان ثم اضافتها على الوزن لتحصيل المعنى المطلوب يؤدي الى تزايد كبير في الموازين الجديدة على اشكال لم تعرفها العربية العريقة ، وان كانت ظواهر الدرس تقتضي بان العربي كان يعتمد لواحق بعينها لدلالات بعينها ، ومن يشك في هذا اذا تناولنا بعيدين عن تشبيه الدهشة من استنفار عابث مثل فعلوت ، وفعللوت ، وتفعلوت ، وفعلان ، فعلم وفعلين ، وفعلن ، وفعليت .

وانما خصصت هذه الموازين بالذكر الخاص لانه يظهر فيها صورة قاطعة للتردد في ان العربية كانت خاضعة لما يدعونه باللواحق في مذهب زيادتها ، ولكن تشذبت هذه اللواحق حتى عادت وهي جزء من الوزن لا تنفصل عنه وكان هذا بفعل الصقل اللغوي المستمر .

ان هذه الموازين هي اصطناع للعربية بخلاف ما اذا كان التفريع على مقتضى ما حفظ من الموازين فقط فانه يكون في غايته اشتقاقا متوسعا . وقد تدرك فرقا واضحا بينهما وان كنت أعود فاقرر بان ظواهر الدرس الذى اخذت باسبابه على الموازين يعطي هذا وانه مذهب العرب ، ودليله ان لاحق (وت) لم تختص بوزن ما ، له طابع يميزه كما رايت في مفعلوت ، وتفعاوت ، ولكنه كان مع ذلك خاضعا لشروط من اهمها :

1 — ان لا تزيد الكلمة باللاحقة على اكثر العدد الذي تكون منه كلمة في العربية . ان لاتجتمع فيها لاحقتان (كفعلان) مثلا فلا يجيء منه (فعلاتين) (وكفعفعيل) لا يجيء منه فعفعلين) وهكذا من مثل هذه الانماط .

من الظاهر بان اللاحقة تعتبر في اكثر من حرف ، فكل ما كانت الزيادة فيه حرفا فقط كان وزنا اصليا يمكن ان تسيره اللاحقة . وتنضاف عليه ونحن رغم انا نظن بانه مذهب العرب على صورة مؤكدة فالاخذ به فقط على شكلية المحافظة للعربية لا يقدر ان

يعطينا الموازين المحفوظة مغنية من احياء اللواحق والاشتقاق فيها .

اما اذا ما تأملنا في لائحة الافعال فنرى :

فعل : انه يختص بالدلالة على الاتصاف بوحدة المادة تقول (رتج) للشيء فيه القلق .

فعال : وهو يختص بالدلالة على ما تعددت فيه الوحدات من الوصف تقول (زبدد) للمتعدد الزبد .

فعلاء : وخصوصية الدلالة على المكان الذي يوجد فيه الشيء وعلى معنى التميز وعلى تعدد الشيء في غير انفصال ، تقول حرجاء لمكان الغابات الكثيرة وصنعاء للمكان الذي تكثر فيه المصانع .

فعلان : وهو يختص بالدلالة على تكامل الوصف في الشيء تكاملا من كل الجهات تقول (رونان) اي صوت متكامل وآلة ذات رونان .

فعلت : وهذا الفعل يختص على سرعة التأثر او الانفعال وعلى سرعة الاحتراق تقول (عصبت) لتأثر الاعصاب السريع .

فعلن : ويقال هذا النفوذ الوصف الى غاية الباطن ومن ثم يوضع منه لظواهر الباطن ، تقول (نفسن) للرجل المختص بالاعمال النفسية كالمنوم المغنطيسي .

وهنالك ضروب شتى من انواع الفعل يتعذر علينا ان نوردها هنا .

وهنالك الزيادة بالتاء ، مثل :

تفعال : وهو يتم على تجسيم المعنى ، مثل تمثال اي صورة شاخصة تقول (تظلال) للظل يتجسم فيصير صورة .

وتفعل : وهذا يدل على المنفعل من الوصف بأسباب مشتركة من نفسه ومن الغير تقول (تنور) للحشرة التي تضيء في الليل .

— وكذلك الزيادة بالميم :

مفاعل : وتدل على المتصف بالمفاعلة بين منفصلين تقول (مداور) للذي يدير شيئا آخر في حركة دورانه كما في الدواليب المتعاشقة .

مفعلاء : وهي تدل على الذي يوجد في المكان ويميز عنه حين تقول (مفعناء) للذي يوجد في مكان العفن النتن ولا يكاد يتميز عنه مما يصلح أن يسمى به مكروب العفونة .

مفعل : وهو يدل على الآلة ، وكذلك مفعال ومفعلة .

مفعلان : وهو يدل على اسباب الوصف فنقول للمكان الذي نستظل به الجلوس فيه في ضوء القمر مقمران .

وكذلك مشمسان لحمام الشمس ، ويدل ايضا على مضاعفة خصوصية (مفعل) فنقول (منظران) للمجهر المضاعف ...

وهنالك زيادة اخرى الا وهي زيادة النون .

فنهال : فناعل : فعنلى ، فنعلاء ، فعنلال ، فعنلوه ، فعتعل ، فعنلة ، فنعل .

الزيادة بالواو .

هفعولة : وتدل على اشاعة الوصف بحيث ينتسب الى كل جزء على انفراد اذ تقول (هرمول) للارض التي تشيع الرمال ، في كل مكان من انحائها ، ونقول كذلك هركولة ، ولقد اتى في هذا المعنى الشاعر الجاهلي الاعشى ، بقوله :

هركولة فنق درم مرافقها
تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوجل

وهذا في وصف امرأة في احد ابياته الشهيرة في وصف النساء ، فهنا اتت كلمة هر كولة في المعنى المناسب .

فهركولة اذن هي المرأة السمينة ذات الارداف

— وهنالك الزيادة لبعض الافعال من مثل :

فعوال ، فوعال ، فوعل ، فوعلاء ، فعول ، فوعلل .

الاوزان الكيماوية

فعليل ، وهو يعني في علم الكيمياء الاوكسيجين، الذي يعرف في اللغة الغربية بكلمة اكسيد . قبل

الاسم الممتزج ، ولكن للدلالة عليه يضاف اليه التـاء المتحركة ويصير الوزن فعليلة .

فعليت : وتعني في علم الكيمياء الهيدروجيـــن وقد يحوي خواص الاسيد الحقيقـــي ويميز باســـم ادراسيد ويسمونها في الاجنبية بزيادة أسيد ، على الاسم المتحد مثل (أسيد كلوريدريك)

الاوزان العدديـــــة :

فعل وهو مخصوص للدلالة على الآحادي نقول عقد لما فيه عقدة واحدة الى عشرة .

فعلان : وهو يدل على المثوى نقول (عقدان) لما فيه المائة الى الالف عقدة .

مفعل : خصوصيته الدلالة على الربـع نقـول (مشهر) أي ربع شهر يقال (مجلة مشهرية) للمجلة الاسبوعية ولكنها لا تستعمل لانها صعبة اللفظ .

وهكذا نكون قد انتهينا من اعداد بعض الافعـال والاوزان ، التي كانت داء في العربية وعرضنا كذلـك الدواء لذلك وهو الذي يعالج الامراض التي رافقـت اللغة العربية طوال.عهدها .

اللغة العربية غاية لا وسيلة :

ان ما نبوح به في هذا القســـم من الفصـــل الخامس هو أن اللغة العربية الفاظ يعبر بها كل قـوم عن أغراضهم ، وعما يحتاجون اليه ، فاذن هي غاية كي يجعلها دون الغرض تتناوله للكشف عنه ، ومشاركته عندما نتجه بنظرنا الى اللغة في دورها النشوئي، وأما هي بعده لمجموعة من الافكار ، والتقاليد، والعواطف، والاحاسيس ، والنزوات وشتى المشاعر والاعتبارات تنتظمها الالفاظ انتظاما أصبح منها كما يكون الشيء من الطبيعة .

اذن أصبح للالفاظ وجود معنوي على مقدارها لا تزال دونه في الاعتبارات كما لا يقع دونها كذلك .

والزيادة التي يتأتى لنا ان نصفها بالطفيليـــة لا يسهل تعليلها اذا كانت اللغة وسيلـة ، لفقط تكيفهـا المعاني المتجددة على مقاديرها ، وانما تكون اقـــرب قصدا من التعليل حينما نجعل للالفـــاظ وجودهـــا ألشاخص أو الشاهد قيمة معنوية ، وبعبارة أخـــرى كيانا معنويا ، تقصه افكارنا ، وقصته هذه تتوسل به الى الكشف عنها بالقياس على كون الالفاظ ، وهـــذا رأي لا نتفرد به قيل من قبل ، والعربية هي غاية دون الابعاد والامتدادات ، وان كان بالنظر الى ما يفيدنـــا منها تكون غاية بملحظ من الوسيلة ، واكثر الغايـات يكون لها هذا النصاب من الملحظ فهي غايات غيـــر استقلالية يفرض فيها التعاون مما يتأتى لنا تسميتها بالغاية المطاوعة ، والمقصود من هذا التنحي في اسلوب الشرح بيان انه دلالة الالفاظ على المعاني المتجـددة لا المستقرة دلالة مقايسة فاذا اردنا ان نؤدي صورة ما فانما نؤديها بضرب من المقايسة المحضة بين ما هو حاصل في خيالنا وبين معاني الالفاظ المستقرة .

فكان لالفاظ اللغة اية لغة ، التي تستخدم للتعبير عن مختلف الصور زوائد احيانا تفرغ على الصورة ما يزيد في معناها بحيث لا يظن انها كانت كذلـــك على كمالها في خيال الاديب أو العالم .

وهذا غير المجال التعبيري الذي يتأثر كل من يتذوق البيان لان ما نعني به نقص وزيادة على الصورة لا اشراق الديباجة ورونقة الالفاظ ورصانة التعبير .

وهذا موضوع على ما فيه من جلاء غموضـــا ، ولذا عبر وهو محل للاخذ والرد بين ادباء الجيل . ان في الادب لا بل في محيط البيان العربي عموما ، وجد يربي وحرى بكل عربي ، أن ينطـــوي على حفيظـــة مفرضة من هذا النوع وأسميها ، مفرضة لاني ابتغيها غير قابلة للتفهم ابدا ولا تسمح بأيـة مناقشـــة دون رعاية اساسها .

ولهذا نقصد ان نهدم بتحقيق اللغة غاية كما يكون الحساب ، والهندسة ، وما اليهما من أنواع الرياضيات والعلوم ، وترد مالم يكن في معرفة الكثيرين الذيـن يفزعون اذا ما قالوا العربية قالوها عن عبث .

وان دلالة مفردات اللغة على المعانـــي المتجددة دلالة مقايسة وموازنه ، والا لو دلت بالنفس لكان لها وجوادت متعددة بتعدد الاشخاص اللاقين .

لنقول شيئا عن بيان ابيات الشعر لندل فيهـا على ما يجدر بالناقد البصير أن يميزه ، أعني به تحقيق الفرق بين اشراق اللفظ وبين زائدة اللفظ وينبنـــي عليه في درس الادب والاديب كثير من التصحيح فقد قال قيس بن الملوح في ليلى :

بعيشك هل ضممت اليك ليلى
قبيل الصبح او قبلـــت فاهـــا

وهل رفت عليك فـــروع ليلـــى
رفيف الاقحوانة في نداهــــا

ويكاد يكون هذا الجزء عاما على لسان الشعراء العرب جميعا .

وهو لا يريد في اعتبارهم على (بريك) أو لعمرك وما يتبعهما وهذا ما يدلنا على أن قيس كان يقول هذه العبارات ليس اكثر من الحشو والتأكيد . وهـذا مـا يسمى مزاحمة تعبيرا في محل تعبير .

كل هذا من زائدة الالفاظ وذلك حين نرى بأن المجنون يرى العبث في ظل التي يهوى ويحب سعادة دونها السعادات الاخرى . وهو من نشدانها بقي يبكيها ابدا في انشودة الحزن المرة . بهـذا النظـر الطالـع للقسم حين يستفهمه عن شكل من الاشكال تلك السعادة ولون نرى من الوانها مرسوما بقسمة السحر وقبلة في عين الصبـــاح .

ومهما يكن من أمر فان غاية كل لغوي خدمـــة العربية والمناؤها والخروج بها من قوقعتها الضيقـة فاذا لم تكن للفرد غاية تامة صحيحة فلن يكون للجماعة فكر تام صحيح ، وفرض انسان بدون لغة معناه فرض انسان بدون فكر .

وبهذا نقدر ان نجدد القول بأن اللغة العربية هي لغة غاية لا لغة وسيلة .

والخلاصة ان قصة العربية هي قصة الحرية ، وان الفكر العربي مغلول بعبوديات كثيرة أهمها عبودية العادة والتاريخ ويتجلى هذا الامر في الجانب اللغوي منهـــــا .

فاللغة هي بيت الكائن الحي ومرآة فكره ، بل قد تكون اللغة هي وحدها الوسيلة للابداع والخلق ومرادف الانسان ، فالانسان لغة لا انسان بلا لغة ، واللغة غاية لا وسيلة ، منذ كان الانسان غاية سخر له كل شيء .

من هنا كان الاهتمام بالعربية اهتماما بالانســان العربي ، ليست كما يزعمون اصعب اللغات ان لم تكن اسهلها وامرنها والينها ، هي اصلــح مــن اترابها مــن اللغات للحياة والتطور والنمو والترقي .

كل ذلك البث الفوضى في تاريخنا واستجــلاء بداية العربية ثم مسايرتها في ادوار رقيها وحلقات تطورها حتى خروج أصحابها من جزيرتهم وتوقفهـــا المفاجيء قبل اتمام دورتها التطوريـــة ، مما حملهـا بعض الغلائق المتخلفة في الافعال والمصادر والجموع والاوزان ومما زاد في عمر هذه المتخلفـــات تزمــت اللغويين القدامى ، ومتابعة المحدثين لهم .

هذا داء العربية تنفثه جهــات خارجيـــة عن طبيعتهـــا .

اما دواؤها فتخليصها من التزوير عليها ، الا زورا عما تريد هي وعما كان يريد اصحابها منها .

هذا الدواء الشافي لقد افصحنا عنه وهو حذف السماع من اللغة وتحكيم القياس فمغنى العربية انما يجيبها من غنى قواعدها وانتظامها لا من أي شيء آخر وفي تحديد معاني الموازين وصوغها من اى ثلاثي كان وكذلك موازين الرباعي وفي توحيد معاني المشتقـات جميعا للمادة ومن التنسيق لشكلياتها المختلفـــة ، الخارجية كالخط والاملاء ، والداخلية كالبيان والمعاني والعروض والصرف والنحو .

في الفصل الاول كان نشوء اللغة والتطـور في اللهجة واللغة . وادراك المعقـول العربـي من خـلال ادوارها النشوئية ويرجع هذا التاخيـــر في اللغـــة لسببيـــن :

خروج العربي من جزيرته .

وتزمت اللغويين القدامى وتمسكهم بالسمـاع ، ومتابعة اللغويين المحدثين لهم رغم ضرورات العصـر الجديدة ...

ولقد كانت اهداف التنقيح الجديد الذي اوردناه في احدى الفصول بالسير بالعربية بعـد توقفهـا ، ولدفعها نحو المستقبل اللامحدود لتكون خالـدة بين اشيائه الباقية .

وفي سبيل ذلك المستقبل المنشود للغتنا العزيزة وشعبها العظيم تنادي اخوة لنا في المغرب الى اخراج مثل هذه الدراسات والابحاث .

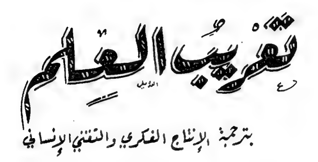
وفي هذا السبيل اغتنم الفرصة لابـداء بعض الملاحظـــات .

1 ـ ضرورة اعتماد الفكرة التطورية لانها وحدها الفكرة الجدية والحقيقية التي بها تزال مشكلات حياتنا اللغويـــة .

2 ـ الانطلاق بثورة صحيحة في اللغة العربية وكتابة قواعدها واساليب تدريسها وتفجير المزيـد من طاقاتها اللغوية .

3 ـ نتمنى ونحلم ، وهاتان قدرتان معجزتان ، فاذا ترجمنا عملا نحقق كل تطور وابداع .

ونتمنى على حكومات ومجامع الدول العربية أن تسير بالعربية وتمد يد المساعدة الى اللغويين ونحلم بـذلـــك .



أصدرت الامانة العامة لجامعة الدول العربية مذكرة اكدت فيهـا ان مجلس الجامعة قد اتخذ فى دور انعقاده العادي الثالث والخمسين (مارس 1970) بشان تعريب العلم فى الدول العربيــة القرار التالــي :

ايمانا من اللجنة بقيمة الترجمة العلمية باعتبارها حجر الأساس فى النهضـة العلمية العربية الشاملـة .

وتقديرا منها لضرورة التنسيــق بيــن الـدول الاعضاء فى هذا المجال الخطير فى حياة امتنـا ومنعـا للازدواج أو التكرار ، وحتى تكون الترجمة على هدى من المعرفة والتجربة والخبرة بموضوع الترجمة

فانها توصي بما يلي :

1 — ان تواصل الادارة الثقافية اتصالاتها مع الدول الاعضاء من اجل استكشـاف حـال الترجمـة العلمية فى الوطن العربي .

2 — وبعد ذلك تدعو الادارة الثقافية المكتب الدائم للجنة للنظر فيما انتهت اليه اتصـالات الادارة الثقافية من مسح عام للترجمة العلمية فى البلاد العربية يستخلص المكتب منها عددا من امهات كتب العلـوم يوصي بترجمتها .

3 — ان تعمل الادارة الثقافيــة وبالاتفاق مــع الدول الاعضاء على تكوين لجنة تمثل فيها جميع الدول العربية (ما امكن) بعلماء متخصصـين ممتازين ، تكون مهمتها :

ا) الاشراف على وضع خطة للترجمة واختيار الكتب والمترجمين من البلاد العربية .

ب) المساعدة (1) فى اصدار المعجـم العلمـي العربي الموحد الذي باشرت العمل فيه وزارة البحث العلمي فى الجمهورية العربية المتحدة .

جـ) وضع الميزانية المناسبة للانفاق على هـذا المشروع الضخم لشراء الكتب والمراجع والدوريات فى اللغات المختلفة من البلاد المختلفة ، مع توصيـة الامانة العامة بأن تدرج بمشروع ميزانيتهـا للسنـة القادمة 70 — 1971 اعتمادا قدره خمسـة آلاف جنيه حتى يمكن تنفيذ المشروع على أساس سليم .

1) من المعلوم أن المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي يعمل الآن ضمن اختصاصاته وفى نطاق جامعة الدول العربية على اعداد معجـم علمي وتقني عام موحد بعدة لغات .

4 ـ تعمل على ترجمة عدد من الكتب كل عام توزع على فروع العلوم الاساسية والتطبيقية المختلفة من كيمياء وطبيعة ورياضيات ونبات وحيوان وحشرات وجيولوجيا وفلك وارصاد واحصاء بالاضافة الى العلوم الطبية والفسيولوجية والهندسية والزراعية والصيدلية والبيطرية .. الخ .

5 ـ متابعة كل ما ينشر من الكتب والمطبوعات والدوريات فى اللغات المختلفة من انجليزية وفرنسية والمانية وروسية واختيار ما ترى نقله الى العربية .

ولما كان هذا القرار يشتمل على عدة نقاط هامة فان الامانة العامة (الادارة الثقافية) للجامعة تتشرف بذكر ما يلي :

1 ان الادارة الثقافية بالامانة العامة للجامعة سبق لها ان كتبت الى الدول الاعضاء الموقرة من اجل :

ا) تزويد الادارة الثقافية بالامانة العامة لجامعة الدول العربية ببيان عما تم تعريبه حتى الآن من الكتب العلمية التي تعد مراجع أساسية ومصادر لا غنى عنها للباحث فى ميدان تخصصه .

ب) ان تتفضل الجهات المختصة فى حكومتكم الموقرة بتزويد الادارة الثقافية ايضا باقتراح ما ترتئي تعريبه من امهات كتب العلوم العالمية (بكافة الفروع) التي لم تعرب حتى الآن ، واذا كانت هنالك بعض الدوريات التي ترتفع فى مستواها وبما تعالج من موضوعات وأبحاث الى مستوى المصادر الاساسية وترى تعريبها فلا بأس من ذكرها أيضا ، بين ما يجب تعريبه .

جـ) ان تتفضل الوزارة الموقرة ايضا بالايعاز الى جهات الاختصاص فى حكومتها الجليلة من اجل تزويد الادارة الثقافية ، كل ستة شهور او كلما دعت الحاجة الى ذلك ببيان بما يتم تعريبه مفصلا من الكتب العلمية

لذلك فان الامانة العامة (الادارة الثقافية) للجامعة ترجو التفضل بان ترامي جهات الاختصاص فى الحكومات العربية الجليلة ان الترجمة العلمية مقصود بها نقل امهات الكتب العلمية (فى العلوم الاساسية ـ البحتة ـ او التطبيقية) التي تعد مصادر اساسية لا غنى عنها للباحث او طالب العلم المتخصص الى اللغة العربية .

وفى ضوء اجابات الجهات المختصة فى الدول الاعضاء يمكن الوقوف على حال الترجمة العلمية فى البلاد العربية ثم دعوة المكتب الدائم للجنة الثقافية « للنظر فيما انتهت اليه اتصالات الادارة الثقافية من مسح عام للترجمة العلمية فى البلاد العربية يستخلص المكتب منها عددا من امهات كتب العلوم يوصي بترجمتها » .

2 ـ اما فيما يختص بتكوين لجنة تمثل فيها جميع الدول العربية (ما امكن) وهي المشار اليها فى البند (2) من قرار المجلس المشار اليه فان الامانة العامة ترى ان يتم ذلك عند انعقاد المكتب الدائم وبعد ان تكون الدول الاعضاء قد امدت الادارة الثقافية بالامانة العامة بالصورة الحقيقية لحال الترجمة فى البلاد العربية .

3 ـ وعلى ذلك ، وحتى تكون نقطة البداية فى هذا العمل القومي العلمي الجليل قائمة على أساس سليم ، فان الامانة العامة (الادارة الثقافية) للجامعة، تكرر رجاءها الدول الاعضاء ان تزودها بما سبق لها طلبه منها فى هذا الخصوص من أجل ان تستفيد من الفترة (جـ) من البند (3) من قرار مجلس الجامعة المشار اليه والخاص باعتماد مبلغ خمسة آلاف جنيه فى ميزانية 70 ـ 1971 ، فتبادر الى تكوين اللجنة المشار اليها لاختيار عدد من المصادر الهامة فى مختلف فروع العلم الاساسية والتطبيقية لنقلها الى العربية

هذا والامانة العامة (الادارة الثقافية) لجامعة الدول العربية تأمل فى ان تتلقى فى وقت قريب مناسب البيانات المطلوبة لتتمكن من تنفيذ قرار مجلس للجامعة ترجو التفضيل بأن ترامي جهات الاختصاص الجديدة 70 ـ 1971 للامانة العامة تبدا اول يوليو (تموز) 1970 .

وتنتهز الامانة العامة هذه الفرصة لتعرب عن فائق تقديرها واحترامها ..

تعريب التعليم في الجزائر ومشاكله

الأستاذ عبد الحميد المهيري – الجزائر –

القى الاستاذ عبد الحميد المهيري رئيس اللجنة المصغرة للتعريب فى الجزائر محاضرة قيمة فى مقر الجامعة الجزائرية حول تعريب التعليم ، تعطي صورة عما يتخبط فيه تعريب التعليم فى المغرب العربي من مشاكل ، ونحن نلخصها فيما يلي :

ذكر المحاضر فى البداية انه لا يريد القاء محاضرة بالمعنى المتعارف وانما اثارة المناقشة حول الموضوع .

ثم قال ان ما سيعرضه من افكار ليست افكاره ، وانما **آراء نضجت مع الزمن عند المهتمين بالتربية فى الجزائر** .

وقال ان **تعريف المشكل يضعنا فى نهاية التحليل وجها لوجه** ، اما ضرورة تحديد اختيار لغة او لغات التعليم ، وهو اختيار لم نقم به بعد ، ذلك لان على **الجزائر ان تضع سياسة بعيدة المدى للتعليم** ، وهنا يلقي السؤال : **هل يحسن بنا ان نتخذ لغة واحدة للتعليم ؟** ، وان الاجابة على هذا السؤال ليست سهلة كما يتبادر الى الذهن ، فهذه القضايا تثير مجموعة من المشاكل منها ما له صبغة لغوية بحت ، ومنها ما له اتصال بالجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية فى نفس الوقت .

ولهذا فان **معالجة المشكل** لا يمكن ان تتم الا عن طريق **الدراسة الكاملة لكل هذه الجوانب** ، والاقتصار على جانب واحد يؤدي بنا الى حلول ناقصة .

وقال ان هذا التعقيد الناجم عن طبيعة القضية قد يتخذ ذريعة لابقائها دائما تحت الدرس والمناقشة .

ولن نستطيع ان نوفي جميع جوانب المشكل حقها من الدرس فى محاضرة واحدة . ولكن نكتفي باثارة القضايا التي يتكون من مجموعها ما نسميه قضية **« تعريب التعليم »** .

واول الاعتبارات التي ينبغي اثارتها قضية **اللغة العربية** نفسها . **فهي ليست اللغة الام لجميع الجزائريين ولكنها اللغة الوطنية لجميع الجزائريين** .

واختيار هذه اللغة لم يات ارتجالا ولا بصفة اصطناعية ولكنه تم عبر القرون والتجربة التاريخية الطويلة . **وكانت لغة التعليم فى الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي هي اللغة العربية فى جميع مراحل الدراسة.** وهذه حقيقة تجعلنا نقرر اولا بأن هذه المشكلة تهم سائر الجزائريين وبان حلها ينبغي ان يشارك فيه جميع الجزائريين بدون استثناء .

الحقيقة الثانية ان **العربية كلغة ظهرت فجاة على المسرح العالمي وهي مكتملة من جميع النواحي** . ولم يستطع اللغويون على ما اعرف ايجاد تحليل كاف لهذه الظاهرة .

ذكر المحاضر بتاريخ اللغة العربية الطويل وتطورها واضطلاعها ابان العصر العباسي بدور ضخم

هو تمثل مختلف الوان الحضارات ونقل هذا التراث الى الاجيال اللاحقة .

ثم اصاب العربية انتكاس نتيجة تخلف المجتمع العربي نفسه . وفي الوقت الحاضر تعرف هذه اللغة نهضة جديدة .

واشار المحاضر الى ظهور لهجات التخاطب في البلدان العربية ، مبينا ان هذه اللهجات على اختلافها تكون وحدة تمكن المتكلمين بها من التفاهم بجهد بسيط

وخلص المحاضر من ذلك الى القول :

باننا امام لغة قديمة قامت بدور اساسي وامام لغة خطاب مختلفة احتفظت بوحدتها . ثم امام ظاهرة ثالثة وهي ظهور ما يسمى باللغة المشتركة أو العربية العصرية التي تجمع الاصالة ونوعا من التبسيط في متنها وتراكيبها بجعلها قادرة ومتفتحة على التيارات اللغوية المتصلة بها بشتى طرق الاتصال .

ثم اشار الى ان الاستعمار جعل ظل اللغة العربية يتقلص تدريجيا في المدرسة الجزائرية الى ان تفردت بها اللغة الفرنسية ، وهذا جعل المدرسة اداة لمسخ الشعب الجزائري وفرنسته .

وعند الاستقلال ، كان لا بد من تغيير هذه الوضعية ، وادخل في البداية وكخطوة أولى قدر ادنى من اللغة العربية كمادة درس اساسية في كل فصل .

وهنا وضعت مشكلة الاختيار أينصب على لغة واحدة للتعليم ام ينبغي الاحتفاظ بالازدواجية ؟ .

وقد راينا كيف ان هذا السؤال صعب الجواب نظرا لتشعب الموضوع ، وكيف ان طبيعة التشعب هذه تتخذ ذريعة لابقاء المشكل دائما تحت الدرس والمناقشة .

وقبل ان تتخذ الجزائر حلا جذريا ، حاولت الا يكون مجهودها المدرسي استمرارا لنشر الفرنسية في المدارس . فعربت مواد التاريخ والتربية الدينية والخلقية والمدنية والجغرافية مع كثير من التحفظ وعربت السنتان الاولى والثانية من التعليم الابتدائي واحدثت بعض الثانويات المعربة في اوائل الاستقلال . وكان هذا ما يمكن ان نسميه بالتجربة الجزائرية في حقل التعريب .

هل تكفي هذه الاجراءات لاخراج المدرسة الجزائرية من طبيعتها الموروثة وجعلها تعمل وفق الاختيارات الاساسية للجزائر ؟

اعتقادي الخاص وكثير من الاخوان في لجنة اصلاح التعليم ان ذلك لا يكفي وانها ان كانت خففت من هذه الطبيعة الموروثة ، فان المدرسة الجزائرية ما زالت وسيلة لنشر نوع من الفرنسية غير منظور . وهي لهذا السبب اخطر من المدرسة الفرنسية التي كانت تجابه الجزائريين بما يكرهون كاشفة القناع عن وجهها .

والسبب الرئيسي لهذه الوضعية هو ان المدرسة الجزائرية لا عن اختيار بل لتوقفها على اختيار طريقة ناجعة للتعريب ، انتهت الى الازدواجية : العربية في الدراسات الادبية (النظريات) والفرنسية في العلوم

هذا الوضع يقدم للطفل الجزائري صورتين ، صورة الماضي متمثلا في اللغة العربية ، وصورة المستقبل وبالتالي للفعالية متمثلا في اللغة الفرنسية.

واذا استمر الوضع على هذه الحال فانه يوشك ان يحدث اختلال في شخصية المواطن الذي نكونه وان امتنا لا تريد ان تزيل ماضيا بعيدا عن الاذهان بعيدا عن الفعالية وقد يرتبط هذا الماضي عندها باللغة العربية .

وبعد ما اشار المحاضر الى الحجج التي يقدمها البعض عن قصد حسن بغية اصلاح جهاز التعليم وجعله ملائما لتوفير العدد الكافي من الاطارات لمقاومة التخلف ، وقولهم ان المهم ان يكون في البلاد مثل هذه الاطارات وان اللغة شيء ثانوي . هذا التيار في نظر المحاضر يعتمد على نظرة ليس فيها عمق ، لان التعريب لا يمكن ان يكون منافيا لهدف التنمية .

مقدرة اللغة العربية :

ويبدو من الوضع الحالي للتعليم بالجزائر ان هناك تعارضا ظاهريا بين تعريب التعليم وتقنيته . قد ينجم عنه الشك في مقدرة اللغة العربية كما قد يكون نتيجة نظرة سطحية الى واقع العالم العربي .

فمن حيث الشك في مقدرة اللغة العربية ، يمكن ان يرجع الى ان هناك دولة عربية تستعمل اللغة العربية كاداة لتعليم جميع المواد ، هي سوريا .

والمختصون بالدراسات اللغوية يؤكـدون بان اللغـة العربية قطعت شوطا بعيدا في تطوير نفسها ، واصبحت مرشحة لان تكون لغة عالمية .

نعم هناك مشكل المصطلحات ما زال قائما لكـون المجهودات الفردية بشأنه مبعثرة غير منسقة . ولكن المشكل حاصل في مستوى معين . هو غير حاصل في مستوى التعليم الابتدائي ولا الثانوي ولا حتـى بعض الدراسـات الجامعيـة . وانما يوجـد في مستـوى **الاختصاص الضيق ـ والبحث العلمي ، والتبادل مع الغيــر .**

فما يقال عن عجز اللغة العربية انما يقال بـدون تمحيص ، فهي صالحة كل الصلاحية بدون ادنى عائق في مستوى الثانوي على الاقل .

على ان هناك **الادعاء القائل بان اللغـة العربيـة صالحة كاداة في تلقين الدراسات الادبية والانسانية ، وغير صالحة لتلقين التقنيات .**

أولا : مصطلحات العلـوم الصحيحـة قليلــة ومحدودة .

ثانيا : الصفة التي تمتاز بهـا المصطلحات هـي الدقة والوحدة .

وهذه مطالب غير عسيــر تحقيقهـا على جهــود العاملين في هذا المجال .

على ان هناك حقيقة يجهلها الكثيـر ، وهـي ان **مشكلة المصطلحات في الدراسات الادبية والانسانية ، اكبر منها بكثير في العلوم الصحيحة** . وذلك لتشعب تلك الدراسات وصعوبة وضع المصطلح الدقيق بشأنها

واعتقادنا ان هـذا الامر المعكـوس للغايـة . وان القصد من ذلك تبرير الوضـع القائم واكثر منـه تعبير عن حقائق علمية .

الجانب الثاني : النظرة السطحية الى واقـع العالم العربي .

تجارب العالم العربي في ميدان التعريب :

اعتبر المحاضر ثلاث تجارب اساسية

1) تجربة سماها شاملة ، هي تجربة سوريا .

ليست جديدة،ابتدات اثناء الحربالعالمية الاولى **تمت بتشجيع الخبراء الفرنسيين الذين كانوا يضعون التقارير تلو التقارير يؤكدون ان العربية صالحـة في جميع مراحل التعليم** . وكان حافزهم الى الرغبة في وقف انتشار اللغة الانجليزية في المشرق العربي .

اعطت هذه التجربة نتائج يمكن ان تعتبر حجـة كافية على صلاحية اللغة العربية . لكنها تصطبغ بنقص عابه السوريون انفسهم هو عدم اهتمامهـا بتدريـس اللغات الاخرى .

هذا جعل المتخرجين ، وخاصة المختصيــن والمشاركين في البحث العلمي يجدون **بعض الصعوبـة في ميادين الاختصاص** نظـرا لضعفهـم في اللغـات الاجنبيــة .

لكن هذا يمثل مرحلة هي الآن في طريق الزوال.

2) تجربة وقفت في نصف الطريق ، تمثلهـا ، مصر والعراق

وقفت هنا الابتدائي والثانوي والدراسات الادبية والانسانية في التعليم الجامعي ، وبقيت المواد العلمية باللغة الاجنبية .

وكان من نتائج هذه السياسة تناقض واضـح يتمثل في انشاء المجامع العلمية اللغويـة من جهـة ، **ورفض استعمال العربية في العلوم** من جهة اخرى .

فوقوف التعليم في الجامعة بالعربية لدى العلوم ليس منطقيا ، ولكنه مرتبط باوضاع .

هنا استعرض المحاضر الكفاح الذي خاضــه الشعب المصري تحت الاحتلال الانجليزي لفرض اللغة العربية في الابتدائي والثانوي ، واضطـرار الحكومـة للاستجابة واصرارها على عدم تعميمه على الجامعة .

وكيف ان الجامعات المصرية قامت بمجهودات الشعب الاهلية ولم تساهم فيها الحكومة .

وكيف ان القائمين عليها انتصروا على تعريـب النظريات لانها كانت في متناول مجهوداتهم المتواضعة ولا تكلف كثيرا .

وكيف ان تجربة العراق تشابه كثيــرا تجربـة مصر ، ثم قال :

ان الاتجاه الذي في سوريا ومصر والعراق هو التفكير الجدي في اكمال الحلقة .

3) اقطار المغرب العربي :

تتميز تجربة اقطار المغرب العربي بالتوقيف عن البت في اختيار لغة واحدة للتعليم ، وتخصيص اللغة الفرنسية لتلقين العلوم والتقنيات .

وهذه تجربة قد تؤدي الى مخاطر ، لانها مبنية على احكام سابقة غير ممحصة .

ثم لخص المحاضر الوضع في العالم العربي ككل، فقال ان التجربة ككل تعتبر عامل اللغة ، وتتناسى اشياء اساسية ، وهي أن حركة التعريب بدأت في وضع سياسي كان العالم العربي فيه خاضعا لنظم استعمارية، وان المجتمعات العربية في ذلك الحين كانت مجتمعات اقطاعية او شبه اقطاعية .

ولهذا فان تجربة التعريب كانت منعزلة تعتمد تطوير اللغة بمفردها ، دون البحث في الاسباب المؤدية الى تطوير المجتمع ككل . اذ مدى تطوير اللغة مرتبط بتطور المجتمع . وقد كانت تجربة تستهدف احداث ثورة في اللغة، في نفس الوقت الذى تريد تلافي احداث ثورة في المجتمع .

وهذا من شانه ان يؤدي الى الاخفاق .

اذ كيف يمكن أن تتطور اللغة العربية في مجتمعات اقطاعية او شبه اقطاعية لا وجود فيها لاساس مادي للعلوم والتكنولوجيا .

التعريب يبدا الآن

وعلى هذا ، فان التجربة الحقيقية للتعريب تبدا الآن بعد ان اصبح واضحا ان هذا لا يمكن ان يتم الا في نطاق ثورة شاملة . في اطار هذه الثورة يمكن ان تستكمل التجربة جميع أسباب النجاح .

النتيجة

انه اذا كان التعريب لم يؤد في نظر الاجانب الى نتائج ايجابية ، فالمسؤول عن ذلك ليس اللغة العربية، ولكن فساد النظم التي كانت سائدة ، تعكس صورة للمجتمع، وفقا على طبقة محظوظة، محشوة بالنظريات، بعيدة عن مجالات التطبيق يتميز بغلبة التكوين العام او الثقافة العامة على حساب العلوم الصحيحة والتقنية.

هذا الوضع لم يتغير جذريا . وهو قسمة مشتركة بين سائر اقطار العالم العربي ، ولا تشذ الجزائر عن ذلك .

ان الجزائر تحاول الآن ان تقوم بثورة شاملة في جميع المجالات وسلوك سبيل الاصلاحات الجذرية بغية تطوير المجتمع اقتصاديا واجتماعيا. واننا متجهون الآن الى اصلاح نظم التعليم بما يوافق اختياراتنا الاساسية . وهذا عنصر مساعد جدا .

سياسة رجعية ؟

على اننا نرى بعض المتحمسين للثورة ينكرون امكانية ان تكون العربية في الجزائر اداة للتربية . ويذهبون الى ابعد من ذلك اذ يتصورون ان العربية التي مضى عليها ردح من الزمن انكمشت فيه واصبحت لغة التعليم الديني فحسب ، وانقطعت عن تيار الحضارات والافكار الحديثة والعلوم التقنية ، لا يمكن ان تكون الا اداة لسياسة رجعية .

ومع ملاحظتنا على هؤلاء انه سواء بسواء يمكن ان تنفذ سياسة رجعية عن طريق الفرنسية ، فاننا اذا سلمنا ان العربية بما اصابها من تاخر بفعل تاخر المجتمع ، نرى ان احسن وسيلة لاجبار العربية على القيام بدور سلبي ، هو ابقاؤها بعيدة عن ميدان العلوم الصحيحة . لا غرو اذا اننا اردنا ان تلعب العربية دورا ايجابيا في تطوير البلاد وتحقيق الثورة ، يجب ان نتخذها اداة للعلوم . هذه الاختيارات النظرية . –

اضيف الى ذلك شيئا اساسيا هو الدعوة الى الازدواجية . وبهذا الصدد تعدد مزايا الازدواجية في التعليم وفي الحياة .

اعتقد ان الازدواجية ليست ذات معنى واحد . فهذا اللفظ يمكن ان يطلق على اشياء كثيرة تختلف من حيث الدرجة كما تختلف من حيث الطبيعة .

ونحن نرفض الازدواجية مبدئيا لاسباب بديهية هي :

1) ان الازدواجية بين العربية والفرنسية ليس لها سند سكاني .

كان الامر يختلف لو ان الاقلية الاوربية قررت البقاء في الجزائر اذن لكان المشكل قائما .

2) نحن نفرض الازدواجية ، اذا كانت تعني اعتماد الفرنسية كوسيلة وحيدة للتفتح على الحضارة العصرية ، لاننا لا نسلم بعجز اللغة العربية عن تادية هذا الدور .

يبقى هناك نوع من الازدواجية نسميه بالازدواجية التربوية . ويدعو اليه الكثيرون من المربين في العصر الحديث . معناها تعلم اللغات الاجنبية .

والازدواجية بهذا المعنى يمكن اعتبارها اذا كانت لغة التعليم موحدة والعربية لغة تدريس لجميع المواد في جميع المراحل ، يمكن اذ ذاك ان نفكر في تعليم اللغات الاخرى من اجل التفتح والاتصال .

والازدواجية بهذا المعنى بدا تطبيقها في بعض البلدان على سبيل التجربة وهي ما زالت في طور التجربة .

ونحن نستطيع ان نسلم جدلا بان الجزائر في استطاعتها ان تتبنى هذه التجربة في النطاق الوطني العام . وهذا يمكن ان يناقش ويستفاد منه .

التعريب من الناحية العلمية

الجميع يقر بان **العملية لا يمكن ان تتم دفعة واحدة . والتدرج نفسه اذا لم يطبق بدقة قد يكون سببا في الفشل وذريعة تتخذ لفرض مبدا التعريب نفسه .**

والتدرج يصطدم بصعوبات اهمها :

صعوبة توفير الوسائل البشرية والمادية والتربوية لتعريب صف كامل (التدرج العمودي من الاسفل الى الاعلى) . وهذا التدرج العمودي منطقي، ولكن صعب تخطيطه . فهو يضع المسؤولين أمام آجال لا تقبل التأخير . وفيه ايضا اجبار التلاميذ على تغيير اداة التعليم فجأة (ابتداء من السنة الثالثة الابتدائية الآن) : هناك التدرج الافقي — أن تعرب كل سنة مجموعة من المدارس الابتدائية والثانوية تعريبا شاملا وفق سلم التعليم .

مثلا — مائة مدرسة ابتدائية

وفي نفس الوقت 10 اعداديات

وبعد سنة 5 ثانويات

وقد يمكن التوسع اكثر اذا سمحت الامكانيات.

هذه الطريقة تضمن للتلاميذ ترقيا في السلك يوصلهم الى الباكلوريا بدون عائق .

ويمكن ادخال اللغة الاجنبية ابتداء من السنة الرابعة أو الخامسة ليتمكنوا من مواجهة تعليم الجامعة بالفرنسية ، اذا لم نكن قد تمكنا من تعريب الجامعة اذ ذاك .

خصم لوحدة التعليم :

هناك من يرى في هذا التدرج خصما لنظام وحدة التعليم الواقع أن الامر لا يخلو من ذلك . وقد نعيش لفترة طويلة على نظامين تعليميين يختلفان قليلا . ومع ذلك فان الفرق بين النظامين يكون **في العلوم الصحيحة فقط . ومن السهل ان نتصور التلاميذ الذين يتابعون النظام الانتقالي الحاضر بما يحصل لهم من ملكة في اللغة العربية ، يصبحون قادرين على مواصلة تعليمهم العالي باللغة العربية .**

هذا التدريج يمكن من التغلب على كثير من المشاكل ، الا أنه لا يعفينا ايضا من الاحتياجات البشرية والتربوية والمادية ، ومن الآجال الواضحة .

واخيرا فان تعريب التعليم لا يمكن ان يتم بواسطة الجهاز التقليدي لوزارة التربية ولا بد من انشاء مؤسسات تسهر على حركة التعريب ، وهي في نظري :

1) مركز وطني لتيسير اللغة العربية ونشرها . لا كمجمع ، اذ لا فائدة من ذلك بل مركز يجمع بين البحوث الاساسية في العربية ومحاولة إيجاد الحلول لمشاكل العربية ، وليست العربية بدعا بين اللغات في ذلك . وقد تكون المشاكل في العربية تختلف من حيث الدرجة ولكنها لا تختلف من حيث الطبيعة بالنسبة للغات أخرى .

أتصور **المركز ملتقى الباحثين** من رجال التربية واللغة والتعليم ، **لايجاد احسن الحلول لتعليم اللغة العربية** لا في المدرسة وحدها ، ولكن بأساليب عصرية ووظيفية للعدد العديد من الجزائريين المتعطشين للتزود بهذه الاداة التي تمكن من الاسهام الحقيقي في تعميق جذور الثورة وجعل معركة التعريب معركة الشعب .

مدرسة الترجمة

من هذه النواة يمكن الانطلاق لاعطاء مفهوم جديد للترجمة يجعل منها لا عملا هامشيا ، ولكن أساسا لتطوير المجتمع وتنظيم العلاقة بينه وبين الشعوب .

ينبغي اذن تكليف المدرسة برسالة أخرى . لا ينبغي أن تقنع بتكوين التراجمة للاعمال اليومية ، بل أن تنزع الى تخصيص علماء في مختلف المواد والعلوم لتكريس جهودهم لعمل الترجمة الذي هو على ما أعتقد عمل أساسي في بناء النهضة العلمية .

المؤسسة الثالثة

تنظيم واسع شعبي أعتقد من السابق لأوانه تصور جميع عناصره. ولكن أتصوره على شكل مؤسسة تجمع بين مسؤولين معينين يحتلون مراكز حساسة بالنسبة للعمل الاداري والجماهيري ، يسهرون على تطبيق المخطط العام للتعريب وربط تعريب التعليم بتعريب بقية الميادين .



تأثير العربية في سنغال

الأستاذ مالك انجاي «سنغال»

احتلت فرنسا سنغال والعربية هي اللغة الحية الوحيدة المستعملة فيه ، ووسيلة التفاهم بين الملوك فى مناطقه المختلفة اللغات . كان **الملوك يستعملون المستعربين** للكتابة والترجمة ، واتخذوا منهم القضاة والمستشارين فى الشؤون الدينية ، **فكانت العربية لغة تدوين الوثائق** من معاهدات وعقود ورسائل ، واتخذت فرنسا نفسها العربية واستعملتها فى التفاهم فى الاعلانات والمناشير التى تهم الخاص والعام من الاهالي . وكان الملوك والمشائخ يراسلون السلطات الفرنسية بالعربية . وفى كتاب « دراسات اسلامية عن سنغال » يقول الافريقاني الفرنسي «بول مارتي» **ان جميع المشائخ كانوا يراسلون السلطات الادارية بالعربية** ما عدا الشيخ «بوكنت» زعيم الفرقة القادرية الكنتية ، وسكت النقود حاملة الكتابة العربية مع الكتابة الفرنسية ، وصدرت الجريدة الرسمية الاولى للحكومة الفرنسية فى سنغال مكتوبة فيها الاخبار المهمة للاهالي بالعربية والفرنسية . وفتحت فى سان لوي عاصمة سنغال الاولى مدرسة فرنسية عربية لاغراء الناس على تعلم الفرنسية مع العربية . قال الافريقاني الفرنسي « روبير ارنو » Robert Arnaud فى كتابه (الاسلام وسياسة فرنسا الاسلامية في غرب افريقيا) :

« ... ما ترددنا عن فتح مدرسة عربية فى كل من جنه وتمبكتو وسان لوي حيث يجد طالب العلوم الدينية تعليما فرنسيا رفيعا مع دروس النحو والفقه ... والفكرة الداعية لانشاء المدارس العربية الفرنسية هي ان تصير محل تلاق وتوافق بين العقلية القرآنية وروح العصر . » (1)

وهذا اقرار واعتراف بانه وجدت وتشكلت **عقلية قرآنية** تستحق ان تتكيف السياسة لمجاراتها والسلوك معها مسلكا خاصا ، ومعنى وجود عقلية قرآنية كهذه هو وجود ثقافة عربية دينية راسخة يعتبرها الاحتلال الجديد منافسا لا يمكن الاغضاء عنه واخذ التدابير الحيلية للانتصار عليه .

ورغم اغراءات الحكومة وضغطها على الناس لارسال ابنائهم الى المدارس الفرنسية فلم تستطع ان تحمل الناس على الاعراض عن الكتاتيب ، ويشهد التقرير الرسمي لعام 1912 على ان 633 تلميذا فقط هم الذين كانوا يتابعون ، مع استمرارهم على دروسهم القرآنية فى الكتاتيب ، دروس المدارس الفرنسية ، وهذا من بين 11.451 تلميذا الموزعين فى كتاتيب سنغال البالغ عددها فى العام المذكور 1385 كتابا .

(1) L'islam et la politique musulmane française en Afrique Occidentale

وفى مجموعة الجريدة الرسمية لعامي 1878 – 1879 م الموجودة فى مكتبة الاتحاد الثقافي الاسلامي، والتى نقلنا منها النصوص الآتية فى آخر هذا الفصل ، توجد الاخبار الهامة لدى الاهالي مكتوبة بالعربية والفرنسية. والورق المسكوك فى دكار بتاريخ 13 اكتوبر 1924 تحمل الكتابة العربية فى احدى جهتيها مع الفرنسية فى الجهة المقابلة .

دور الطرق الصوفية فى التعريب :

ومن اهم الدوافع التعريب فى هذا القرن والقرون السابقة من غير شك الطرق الصوفية واهمها فى سنغال ثلاث : القادرية والتجانية والمريدية او القادرية المريدية بتعبير ادق . ويظهر تأثير هذه الطرق فى مجالين هامين هما مجال اعلام الاناس والاماكن والمنظمات والموائد ومجال التعليم ، والمجال الثاني تتكفل ببيانه الفصول المعقودة للمدارس العربية الكبرى فى سنغال كمدرسة التجانية فى تراوون ومدرسة المريدية فى جربل

اما المجال الاول فان تعلق القوم بالشخصيات الصوفية البارزة فى هذه الطرق مثل الشيخ سعد ابيه والحاج مالك والشيخ الخديم احمد بمب كان سببا للتبرك بهم والتقرب اليهم بتسمية الابناء باسمائهم واسماء من تفرع منهم . ولكون هؤلاء متعلقين بدورهم بالوجهاء المشهورين فى التاريخ الاسلامي من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وكبار المتصوفة فانهم لا يترددون فى اطلاق اسماء هؤلاء على ابنائهم وعلى ابناء من يخبرهم اسماء لواليدهم من المريدين وعلى من اهتدوا الى الاسلام بواسطتهم بدلا من اسمائهم العائلية ، فمن هنا تنسخ الابوة الروحية محل الابوة النسبية برضى ووفاق بين الطرفين . فما يلبث الولفي المهتدى الى الاسلام باسم « جبل » ان يتسمى باسم «محمد الامين» والسراري المهتدى باسم « لتسر » ان يحمل اسم « ابراهيم » والفلاني المهتدى باسم « جول » ان يحمل اسم «علي» وهكذا . ولو اراد الانسان ان يكتب عناوين الذين سموا الحاج مالك والخليفة ابا بكر سه والحاج منصور سه من الطائفة التجانية التواونية او عناوين الذين سموا احمد بمب ومصطفى البكى وبشير البكي من الطائفة القادرية المريدية للزمه للقيام بهذا العمل اضبارة من الاوراق . هذا ولم يمض على ميلاد اكبر هؤلاء سنا الا 115 سنة . فاذا عرفنا ان **هذا التعريب** يستمر بنفس الحماسة فى القادرية واللاهية . ادركنا اي سرعة يسير هذا التعريب الجماهيري فى اعلام الاشخاص ويتقدم نحو الشمول.

لا يسعنا وقد تكلمنا فى دور الطرق الصوفية عموما فى تعريب **اعلام الاشخاص** الا ان نتكلم عن دور المريدية والتجانية التواونية كل منهما فى فرع خاص من فروع المجال الاول من التعريب برت فيها غيرها من ضرائها . لقد فاقت المريدية فى **تعريب اسماء البقاع** وسبقت التجانية التواونية فى **تعريب اسماء المنظمات الداخلية** المسماة بـ « الدوائر » **الموجودة** فى جميع الطرق السنغالية والتى ابتدعها مجاراة للمريدية فى دساكرها الفلاحية .

ففي اقاليم بول وجلف وجنوب كجور يتجلى دور المريدية فى تعريب البقاع حيث قام الشيوخ المريدون بحماسة فائقة بتاسيس الدساكر والقرى والمدن حتى طبعوا المناطق المذكورة بطابع متميز عن طابع غيرها من المناطق السنغالية من حيث **تعريب كثير من اعلام قراها ودساكرها** . فنثروا على ارضها هذه الاسماء اللطيفة فى السمع مثل : طوبى – دار السلام – دار المعطي – دار الغفور – دار المنن – دار المنان – دار النعيم – دار العليم – دار الرحمن دار الرحمة – دار القدوس – الشام – مدينة – طائف – عالية – طوبى فال – طوبى كن ، وسموا سوق طوبي مهد المريدية عكاظ .

ونشاط المريدية فى تعريب اعلام الامكنة يضاهيه نشاط التجانية فى تعريب اعلام المنظمات الداخلية « الدوائر » . ومنذ نشاة هذه الجماعات اختارت القيادة التجانية التواونية تعريب اسمائها فاطلقت على اول جماعة تكونت منها اسم « دائرة الكرام » ثم تتابعت الحلقات فى هذه السلسلة : دائرة المهتدين – دائرة المنة – دائرة المقتفين – دائر المتقين – دائرة الوفاء – دائرة المهاجرين والانصار – دائرة المقتدين – دائرة المحسنين – دائرة الابرار – دائرة الخليفة الاكبر – دائرة الخير والبر – دائرة المومنين . الى غير ذلك من **الاسماء الرنانة التى اطلقت على مئات الجماعات** .

وهذا التعريب الذى يتولى كبره قادة الطرق الصوفية فى الاسماء التى يختارونها للقرى والاشخاص والجماعات ادخل فى الشعب حماسة مماثلة فعرب الكثيرون منهم اسماء القرى التى اسسوها ويتجلى هذا فى الاحياء الشعبية فى المدن السنغالية الاساسية حيث اتخذت الكثيرة منها اسماء مثل : فاس - نماط - طوبي - مدينة - دار السلام - مزدلفة الخ ..

خذ خريطة مفصلة للقرى والمدن السنغالية واجل بصرك فى اقاليمها المختلفة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب او تناول سجل العمال لاحدى المؤسسات الصناعية او سجل الاعضاء المنخرطين فى احدى الجمعيات ، او اسماء الجنود فى احدى الثكنات العسكرية او اسماء التلاميذ فى احدى المدارس فسيكون اول ما يلفت انتباهك ذلك العدد الكثير من اسماء القرى والدساكر والاشخاص المعربة .

قمت انا شخصيا لاختبار سرعة التعريب فى اسماء الاشخاص فاعجبتني السرعة التى يتم ويسير بها هذا التعريب ، فبينما كانت النسبة المئوية تتردد بين 44 ٪ و 48 ٪ فى اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن اعتمادا على القائمين المئويتين المعدتين من قوائم اسماء كثيرة من الجريدة الرسمية لعامي 1878م و 1879 م ارتفع خلال الستين سنة الماضية الى 69 ٪ و 77 ٪ فى عام 1966 م

اما الطريقة التى سلكناها فى هذا التحقيق فهي اننا اعددنا ست عشرة قائمة تتالف كل قائمة من مائة اسم . وقد مر فى السطور السابقة نتيجة القائمتين الاوليين . ولبتنا فى الجدول الملحق بهذا الفصل ثلاث مجموعات من القوائم تتالف المجموعة الاولى منها من ثلاثة قوائم مصدرها جريدة « دكار مشان» اليومية « Dakar Matin » فى عدديها الصادرين يومي الجمعة 22 - 7 - 1960 ويوم السبت 23 - 7 - 1960 . وهي قوائم اسماء النواب المرشحين للانتخاب لحزبين المتنافسين فى الحكم فى السنة المذكورة . والمجموعة الثانية مصدرها الجريدة المذكورة فى عددها الصادر يوم الخميس 18 - 1 - 1968 وهي قائمة اسماء النواب المرشحين للانتخابات التشريعية للعام المذكور مكملة بعشرين اسما من الوزراء وكبار المسؤولين فى الحكومة . والمجموعة الثالثة مؤلفة من عشرة قوائم مائوية مصدرها الجريدة المذكورة فى عددها الصادر يوم 2 - 8 - 1968 . وهي اكبر المجموعات الاربع واصدقها تمثيلا للواقع لانها تمثل قائمة اسماء الناجحين فى امتحانات الدخول فى السنة السادسة من التعليم الثانوي واصحاب اسماء هذه القائمة متقاربون فى السن لا يجاوز اكبرهم سنا ثلاث عشرة سنة ولا يقل عمر اصغرهم عن احدى عشرة سنة . ويزيد فى قيمة هذه المجموعة تمثيلها لجميع اقاليم السنغال السبعة لان الامتحان المذكور يجري فى جميع انحاء سنغال وتظهر نتائجه جملة مترتبة الاسماء فيها بترتيب أبجدي ومن هنا انتفت الاقليمية عن نتائج المجموعة .

تاثير العربية فى اللغات المحلية

اثرت العربية فى لغات سنغال المحلية ولاسيما الولفية والفلانية فقد استعملت كل من الجماعتين الحروف العربية فى الكتابة بلغتها ، وذلك منذ زمان قديم مجهول يترسلون ويدونون بها خواطرهم ، اما الولفية فيوجد بينها وبين العربية شبه كبير من خصائص البناء ليس هذا الكتاب مجالا للتفصيل فيها مثل كون اكثر الافعال الماضية مركبة من ثلاثة حروف ، وتقديم علامة المضارع على اصل الفعل والتلفظ بعلامة الجمع . وتاخير الضمائر المتصلة بالماضي عنه الى غير ذلك .

ونظم الشعراء المستعربون الولف والتكلور القصائد ملتزمين فيها قوانين العروض العربية من التفعيلات والقوافي والبحور واستحدث الشعراء المستعربون الوف فنا شعريا سموه البديع وهو قصائد منها «المصدور» يتالف البيت منها من صدر ولفي وعجز عربي . ومنها المعجوز صدره عربي وعجزه ولفي . ومنها المحشو يحشي القسم الولفي بين جزئين عربيين ومنها غير ذلك . وسنلحق بهذا البحث نماذج من هذا الفن لبعض الشعراء الولفيين.

طبق المستعربون الفلانيون والولفيون قواعد العروض ونظموا قصائد ذات اغراض مختلفة كالقصة والوعظ والمدح والهجاء والرثاء . ولا ينافي ذلك ان يستنكف الكثيرون من كبار المستعربين عن نظم الشعر

بالاعجمية ، ولعل ذلك ناتج عما يسود هذا المجال من الغلو المنافي للورع والمقاصد الصوفية .

يجد الباحث في العلاقات بين الولفية والعربية ظاهرتين لا محيص من ملاحظتهما والاقرار بهما والاعتراف بهما وهما ظاهرة **تاثير العربية في الولفية من حيث الحفظ وابقاء الكثير من مفرداتها وظاهرة تاثيرها فيها بانسناس الكثير من مفرداتها اليها .**

ففي الظاهرة الاولى نلاحظ ان **الكثير من المفردات الولفية المهجورة** في المخاطبات ومن ذواكر الاغلبية العظمى من الشعب – غير المستعربين – **بقيت محفوظة في صدور المستعربين** من الفقهاء واللغويين الولف ، وذلك بفضل المنهج الذى كانوا يسلكونه في الدرس بتفسير كل كلمة عربية على انفراد بالكلمة الولفية المرادفة لها . وبمرور قرون عدة على تدريس كتب الفقه والاصول والحديث واللغة مثل مختصر خليل في الفقه والورقات ومقامات الحريري ودواوين الشعر الجاهلي وغيرها . ولا شك انه اثناء تطور لغة الحديث بقيت اللغة الشبيهة بالمكتوبة متحجرة يتناقلها المستعربون كابرا عن كابر وحفظت الكثير من المفردات المندرسة من الذواكر . وفي العصر الحاضر **لا يمكن لاحد تاليف معجم ولفي كامل لغوي دونما استمداد واستعانة بهؤلاء المعممين** المدرسين في الحلقات المحظوظين بالدراسة على المنهج القديم المستحفظين في ذواكرهم جميع الكلمات الولفية المرادفة لما في مقامات الحريري ومختصر خليل وغيرهما من كتب الفقه والادب . وكفى للاستثبات من هذا الراي ان يستمع اكبر خبراء الولفية غير المستعربين الى عدة دروس لدى احد المعممين .

اما الجهة الثانية من تاثير العربية في الولفية وهي اندساس كثير من مفردات العربية الى الولفية **تتجلى في تسرب الكلمات العربية العديدة الى الولفية خلال الاحتكاك الطويل بين اللغتين** . والكلمات التى اقتحمت على الولفية عرينها ما اتيح لها ذلك النصر الا بالصبر على الجروح الغائرة التى اصابتها اثناء المعركة وهي متمثلة في التحريف المبنوي والمعنوي اصابها من اللحن والتحريف ما يصيب كلمات كل لغة عندما تغزو غيرها وتتسرب اليها .

والحق ان التحريف المبنوي للكلمات العربية المولفة اكثر شيوعا من التحريف المعنوي وهذا لا يعني ان كلمة من اطهر الكلمات العربية « صادقين » جمع صادق اقبلت ان تفتح دالها وان تكون لها معنى « فاسق » جزاء لدخولها الولفية .

يجرنا الكلام على تاثير العربية في الولفية الى ذكر ما يعترض الكلمة العربية من التحريف حينما تدخل في اللغة الولفية والى شرح ابرز قواعد التحريف . **ان الكلمة العربية قد تفقد بعض حروفها بالحذف ويتشوه البعض الاخر بالتحريف .**

العربية بتضمنها اثني عشرة حرفا غير موجودة بالولفية ، اصلا، تتعرض لتحريف لا محيد عنه، وهذا زيادة على ضروب التعبير التى تترك اثرها في الكلمة العربية . وهذه الحروف هي : ث ح ذ ز ش ص ض ط ظ ع غ هـ . اما اشهر دواعي التحريف المبنوي فهو :

1 ــ **الترخيم** : هو ضرب من التحريف ياتيه الولفي لاظهار التحنن على المعبر عنه وهو مستعمل في العربية ايضا ولكن بصورة تختلف من الصور الولفية في الترخيم ، وقد يكون بحذف اول الكلمة او حذف آخرها ، وهكذا يقولون في :

زينب	نب	سي	جارية	جار	فاطمة	فات
خديجة	جة	خد	محمود	مود	رقية	رق
نفيسة	نف	»	عبد	اب	حليمة	الحه
صفية	سف	»	ابراهيم	اب، ابر	آدم	آد
فرمة	فر	»	هرون	ار	رحمة	رم

ولعلنا لاحظنا ان العلم «زينب» اصبح شبه مجهول الاصل بعد حذف الحرفية الاخيرين وتبديل الزاي في اوله سينا فلم يبق فيه من اصله العربي الا اليـاء ومثل هذا يقال في «هرون» وغيره .

2 ـ ويتحرف العلم بزيادة حرف مد في آخره عند النداء وعدم مراعاة قاعدة الوقف العربية : مود (محمود) مودو ! . سال (صالح) سالو ! . آد (آدم) آدا . .

3 ـ تقلب العين والهاء والحاء همزة في اول الكلمة وتحذف غالبا في وسط الكلمة : حبيب (أبيب) حليمة (المة) عبد الله (ابلاي) هادي (آد) عائشة (ايسة) هرون (آرون) محمد (ممد) معاذ (ماس) مهدي (مدي) .

4 ـ يقلبون الثاء ، والذال والـزي والشيـن والصاد والظاء سينا لانها غير موجودة في لغتـهم : زينب (سينب) صالح (سالو) .

5 ـ ويقلبون الضاد لاما والطاء تاء .

قال الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه « علم اللغة » ص 231 ط : 4 : « والمفردات التي تقتبسها لغة ما عن غيرها من اللغات يتصل معظمها بامور قد اختص اهل هذه اللغات او برزوا او امتازوا بانتاجـها او اكثروا استخدامها » وفيما يلي قائمة من الكلمات العربية المولفة التي يبين تاثير العربية في الولفيـة خصوصا من الناحية الدينية .

الكلمات العربيـة المولفـة :

اجـل (نعـم)
آ د م
ابـيـس
الاثنيـن
الاحـد
الآخـرة
الاربعـاء
اسـرافيـل
الاول (الكاس الاولى من الشاي خاصة)
البيت (الجزء من القصيدة)
البـدعـة
البـــرادة
البرزخ (مقر الارواح بعد الموت وقبل البعث)
البركـة
البطـاقـة
البـــلاء
البهيمـــة
التخمـــة
التربية (بالمعنى الصوفي)
الترجمـــان
التسبيـــح
التفسيـــر
التهمـــة

التهجـي
التوبـة
التوفيـق
التيمـم
الثـلاثـاء
الجائحـة
الجامـع
الجان؟ (الحية)
الجاهـل
جبـريـل
الجلبـاب
الجمعـة
الجـن
الجنـة
الجنـازة
الجهـاد
جهنـم
الجـو
الجيـب
الحـاج
الحاجـة
الحـج
الحديـث
الحـرام
الحـرف
الحرمـة
الحـق

حـــواء
الخاتـم
الخبـر
الخطبـة
الخليفـة
الخميـس
الدائـرة
الدابـة
الـدار
الدبـران
دجنبـر
الدراهـة
الدرجـة
الدرهـم
الدنيـا
الـدواة
الـديـة
الـديـن
الـذكـر
ذو الوجهيـن
الـرايـة
الربـا
الركعـة
الركـوع
الـروح
الروضـة

الزاوية (مكان تجمع الصوفية للذكر)
الزيـارة
الزكـاة
الساعـة
السبـب
البـاب
سبـوح
السـتر
السجـادة
السجـود
السـر
السطـر
السطـل
السكـر
السـلام
السلام عليكم
السمـاء
السنـة
السـورة
الشـرح
الشـرط
الشريـف
الشغـل
الشيطـان
الصابـون
الصبـح
الصدقـة

الصراط	القلم	ما رغبت عليه	الناقة
الغر	القفطان	مارس	النصراني
الضعيف	القوال	المحراب	النفس
الطالب	القياس	المداراة	الهدية
الطبل	القيمة	المربط	الهلاك
الطريقة	لقصة	المسبح	الورقة
الطرة	الكاهد	المسيح الدجال	الوقت
عزرائيل	الكافور	المسك	الوكيل
المادة	الكاس	المسكين	الوظيفة
الصورة	الكامل	الملحة	الورد
العيب	الكمال	المصيبة	الوفاة
الغوث	الكرامة	المعنى	الولي
الفتنة	كش !	المقامة	يرحمك الله
الفجر	الكفر	المكان	يهديك الله
القاضي	الكلام	الملحفة	يوم القيامة
القبر	الكوب	الملاك	الزمن
		المهدي	العرش
القبة	لا بد	المنبر	اليهود
قدوس	الله	الميراث	القصبة
القصيدة	اللوح	ميكائيل	الشر
القطب	المامون	المنافق	الفوقية
القرنفل	المثال	لنافلة	الآية

لم انهمت بعد شيب عبرة ويمه
اراتها كلمتا سعدى يمه ويمه ؟

اذ كلمتني بتبين الكلمتين بلا
هزل ومزح بدا لي انها بنمه

وان حبل وصال صار منصرما
او واهنا خلقا تجديده لنمه

مالي اراني أن لامست غانية
عصر الشباب تقبل او تقل يبمه

واليوم ان لمست خودا يدي لعبا
تافقت ثم نادت : « يا ابي سرمه ! »

وكل ناهدة الثديين تلحظني
بعين سخط فتعلي صوتها فومه

وان لهوت تلهت او دنوت نات
وان أسل فجواب عندها خممه

كل كاعب واعدتني زورة عشقا
زمان شرخي ولما جئتها نخمه

ما قالت اذ كنت املودا كلمتها
بهيم ليل سوادا غادة منمه

لكن للشيب في فودي وجمجمتي
وخطا وخطا لعذراء النسا نبمه

— * —

الا ارعواء لمن ولت شبيبته
وآذنت بمشيب معلم هرمه

بل كل ضيف كريم القوم حوله
قرى عليه وهذا شيبه كنمه

فاقره ـ ان ترى ما عشت شادي من
هو الشفيع وكل قائل تلبه

من ذاته كل ذات لازمت عرضا
في عشر شمرتها لو تفتدى سقمه

من كل جرم له قدر يعمره
عند الفراغ فداه والفداد يمه

من دونه كل منطوق بحرف هجا
في الأسم الا الها غيره سكمه

من تحته كلْ موجود له جهة
من أي ست وربي انني لرمه

محمد سيد السادات لا احد
منهم مدانيه او قائلا كنمه

صلى عليه اله العرش ما رجيت
شفاعة منه او قول له ولمنه

يا من شفاعته يرجو ويأملها
اهل الكبائر امثالي غدا لنمه

فان جاهك عند الله منجعلْ
هو العظيم ففي الاهوال فتلكمه

اهوال دنياي او اهوال آخرتي
أو برزخ ثم عن ذكراك ديلنمه

لا زلت أثنيك واسمع ما اردده
يا خير من يرتجيه مرتج ويمه

وقال الشيخ ماجورسيسه متحديا للقاضي مجنحت كل ومنوها بشأن الشيخ احمد بمب :

ابدى الكجوري فنا فى البديـع « كمن
ندف » بديعـا كما ابدى وما بدعـا

ان الحقيقة بحر غـاص فيه « تفسر
درمو » عند التقاط الغـائص الودعا

اجاد مدح النبـي الهاشمـي « توخ
سخلا ميتم » واجاد المـدح والقلعـا

فالبث ليث عريض الساعدين « كجس
جفم « تيقن ان قد طال ما صرعـا

نفى وحوش الفلا عن ارضـه « بجـدو
جستى ج سو فم س» لاسيدا ولا ضبعا

— * —

لكن هنالـك شبـل رابـض « بجكـى
ج خمن » أن سيجيد الصيد والنقعـا

لولا حيـاء وتقـوى ربـه « أكتـم
د دول يم » شب بـسرا عالمـا ورعـا

وحرمة الشيخ « أكتم موك مك ث بدون
ك ملن من » رد مـاء حيثمـا نبعـا



نظرة في الصلات العربية الفارسية حتى مطلع الإسلام

الدكتور محمد التونجي

(2)

وكان من نتيجة اتجاه الحكم وجهة الشرق ان تأثر العرب بأساليب حكم الفرس ، وبمظاهر حياة جديدة الهوتهم جدتها وجذبهم لمعانها ، مما اضطر بعض خلفاء بني العباس خاصة الى التعرف على تاريخ الفرس والاطلاع على اخبار ملوكهم ومواعظ حكمائهم كجزء هام من ثقافة الخليفة او الامير . ولا زلنا نذكر ان المأمون حكم في بلاد فارس ردحا من الزمان، واستعان بالفرس على اخيه الامين في بغداد.

ولقد تطورت نظم الحياة الاجتماعية ومظاهر الحضارة ، وشاع الترف واللهو والطرب ، وتعددت الازياء والفرش والاثاث والآنية . وكان كثير من هذا غير معروف للعرب ، فسموها بأسمائها الفارسية او اليونانية او الهندية .

ونحن اذا تصفحنا المعجمات العربية – وليس ذلك بعسير – وجدنا **عددا وافرا من المفردات كتب المؤلف عنها انها اعجمية او معربة او ان اصلها فارسي.** كذلك اذا نظرنا الى القواميس الفارسية وجدنا **اكثر من ثلث الفاظهم** – ولم اغال في ذلك – عربية **ومستخدمة في لغتهم الى اليوم .**

ولم يتوان العربي عن اخذ اية مفردة احتاج اليها من جارته ، وقد تجرأ على تغيير شكلها بحرية بشكل يلائم نطقها العربي ، فأبدل الحرف بحرف يدنو من مخرجه ، ان لم يكن هذا الحرف نفسه ، لان نطقه في الفارسية لا يوازن نطقه في العربية ، فحور في الشكل ، ولاءم في المخرج .

وقد جرى هذا ، اما بإبدال حرف مكان ءاخر ، واما بزيادة حرف او حرفين ، واما بتغيير البناء كله ليصير من ابنية العرب ويتمكن من الاشتقاق منه . وقد ينقص حرفا او يبدل في الحركات ، او يسكن ، او يحرك الساكن . وقد يتركه على حاله دون تغيير ان لم يحوجه الامر الى ذلك .

والجدير بالملاحظة ان **العربي اخذ اسماء ولم يأخذ افعالا او حروفا** ، وحينما احتاج الى افعالها اشتق ما حلا له وما شاء . فمن (لجام) قال : الجمت الفرس . ومن (مهر) : مهر الكتاب . ومن (ديوان): دون الحساب. ويمكن حصر هذه الاسماء ، فهي اما اسماء نبات او حيوان او معادن او ءالات او مأكولات او مشروبات او عادات مما لم يكن يعهدها العربي من قبل .

فكلمة (طبرزين) التي هي في الفارسية (تبرزين) اسم لسلاح ، كان يحمله الفارس الفارسي معه . وقد تكلمت به العرب . قال جرير

فى رجل من بني كليب ، يقـال له (مجيب) ، اتهـم بترفة ، فلم يلحقوا عليه شيئا فخلوا عنه :

كان مجيد الخبث تلقـى يمينـه
طبرزين قين مقضبا للمفاصـل

تداركه عضـو الماجـر بمدمـا
دعا دعوة يا لهفـه عنـد نائـل

وكانوا يبدلون الحرف (ب) بثـلاث نقـط بـاء احيانا ، واحيانا اخرى فاء ، لان نطقه واقع بين الباء والفاء ، والثلاثة من الحروف الشفوية . فقالوا لـ (برند) فرند وافرند وبرند وهو السيف او جوهره. وكذلك قالوا لـ (بنكـان) فنجان . ومثلها : الاصفهاني والاصبهاني وكلاهما واحد . وكذلك قلبوا الشين سينا . فقالوا للصحراء (دست) وفارسيتها (دشت) قال الاعشى :

قد علمت فارس وحميـر والـ
أعـراب بالدسـت ايكـم نـزلا

وحولوا كلمتي (بنفشه ولشكر) الى بنفسج وعسكر . اما حرف (الكاف الفارسي) فقد اكثـر من تبديله وتحويله . فبعض الكلمات الفارسية قلبت كافها الفارسية الى كاف عربية مثل : (كردن : عنق) فقالوا لها: كردان . وقالوا لـ (الكنج) كنزا . وهنا حصل ابدالان ، فالقاف مكان الكـاف والزاي مكـان الجيم . وقد تبدل الكاف الفارسية قينا كما فى غربال التى اصلها (كربال). اما تحول الكاف العربية والكاف الفارسية الى جيم وقاف ، فقد كان كثيرا مثـال : لكام ــ لجام . كربه ــ قربـق ، ويعربهـا بعضهـم (كربج وكربق) ، وهي بمعنى دكان البقال قديما ، لاننا سنرى بعد اسطر انهم كانوا يبدلون الهاء جيما او قافا اذا كانت فى اخر الكلمة .

اما الكلمات الفارسية التى تنتهـي بهاء السكت فانهم بدلوها جيـما ، فكلمـة (بالـوده) عربت الى (فالوذج)، وهـي حلـوى مـن الطحيـن والنشـاء والشراب ، والعوام عندنا يلفظونها (بالوظـا) لفظـا تركيا . و(برده) عربوها الى (بردج) وهي السبي من الجواري او الغلمان . قال العجاج :

كما رايـت فـى الملاء البردجـا

وقالوا للقصر (جوسق) واصلها (جوسه) وقد تحولت فى العامية الى (كشك) . وقد يبدلونها قافا كما فى (باشه) وهو صقر الصيد ، قالوا له (باشق).

واذا اتى قبل الهاء حرف الدال فانهم يبدلونها بالدال فالجيم مثل : ساده ونموده، قالوا : ساذج ونموذج . وبدلوا التاء طاء ، فقالوا لـ (تازه) طازج .

وقد يزيدون على الكلمة حرفا او ينقصون منها حرفا ، فقالوا لـ (كليد) التى هي بمعنى المفتاح (مقليد) او (اقليد) . قال الراجز :

لم يؤذها الديك بصوت تغريده ولم تعالج غلقا باقليد

ونلاحظ انه لم يجتمع فى كلمة عربية الجيـم والقاف الا بحاجز ، ولا الصاد والجيم . وليس فى ابنية العرب اسم فيه نون بعدها راء مثل : نرجس . ولا زاي بعد دال مثل : انداذه ، ثم ابدلوا الزاي سينا فصارت هندسـة . كما انه ليس فى العربية كلمة مبنية من باء وسين وتاء ، واذا وجدنا كلمـة رباعيـة او خماسية وليس فيها حرف او حرفان من حروف الزلاقة ، وهي ثلاثة من طرف اللسـان : الراء والنون واللام ، وثلاثة من الشفة وهي : الفاء والباء والميم ، فالكلمة ليست عربية مثل : صهريج وشباروق وهـو فلذات اللحم التي تقطع للطبيخ .

كما كان يتم التاثـر عن طريـق الجـواري او الاميرات الفارسيات اللواتي انتقلن الى البيت العربي فكان لابد لهن من أن تؤثـر لغتهـن وعاداتهـن فى ازواجهن واولادهـن ، وكم عشـق الشـعراء هـؤلاء الجواري وكم نظموا فيهن . فلقد اهدى الوليد بن يزيد ابن ميادة الشاعـر جاريـة طبرستانية رائعـة الجمال ، كان نقصها الوحيد فى نظره انها لا تحسن العربية ، فقال فيها :

ياهلي مـا الـدلك عنـد نفسـي
لـو انـك بالكـلام تعربينـا !

ويتبدى هذا التاثر بواسطة الاسر الفارسيـة التى هاجرت من ايران الى البلاد العربية ، كما حصل لوالد المهلب الذي هجر بلاده ، وسافـر الى عمـان ، فطلق ديانته الزردشتية ، واسلم وجعل اسمه ابـا صفرة . والعرب اذا كانوا يأخذون اللفظة للحاجة ، فقد اخذوها للتفكه ، كقول ابي المهدي :

يقولون لي شنبذ ، ولست مشنبذا
طـوال الليالـي او يـزول ثبـيـر

ولا قائـلا زوذا ليعجـل صاحبـي
وبستان فى صـدري علـي كبيـر

وشنبد : من الكلمة الفارسية شنبه أي يوم السبت . وزوذا من زود معناها عجل . وبستان : خذ . او يأخذونها للتفاصح بمعرفتهم الفارسية ، كما نجد الامثال الكثيرة على ذلك في كتابي : يتيمة الدهر ودمية القصر .

وعلى هذا فقد **تأثر العرب بالفرس لغويا كما تأثروا بالامم المجاورة** ، على أن تأثرهم بالفرس اكثر واوسع نطاقا . وقد جرت **هذه الالفاظ الى العربية في أزمان متفاوتة** . فلم تزحمهم كثرتها ولم يمقتهم نطقها . ومن الحق ان نقول **ان للفارسية فضل رأب الحاجة الحضارية وسد النقص اللغوي الذى تطلبه العصر الجديد بعد الفتح** ، فدخلت في قرآننا ، وشعرنا ، ونثرنا ، وامثالنا .

واذا كنا تأثرنا بهم حكما وسياسة وتابعية ودينا ولغة قبل الاسلام ، فاننا اثرنا باستقلالهم واديانهم وادابهم ولغاتهم بعد الاسلام ، ولما ضاع استقلالهم ، واندمجوا في دولة الاسلام التى قادها العرب ، ولما ضاعت اديانهم وذابوا في الديانة الاسلامية ، انغمسوا في اللغة العربية وادابها وعاداتها .

وكنا ذكرنا في مقالنا السابق ان **الاثر العربي الاول في الفارسية كان في تغيير الخط البهلوي الصعب بالخط العربي السهل** .

على اننا لا نلبث نراهم يقتبسون الالفاظ الدينية لتتبعها الالفاظ العلمية ثم الالفاظ الادبية . ورغم ان **اللغة العربية هيمنت على الارض الفارسية** ، ورغم ان القرون الثلاثة الاولى كانت العربية لغة العلم فيها ، فان العربية لم تستطع ان تمحو الفارسية تماما . فقد ظلت متداولة بين الناس على الاقل ، وبين الشعراء لحاجتهم الى القوافي ، ولا يمكنهم استخدام الالفاظ الفارسية في القافية دائما لان الفاظهم غير كافية لذلك . ويكفي ان ينظر المرء في ديوان فارسي ليجد ان ثمانية بالمئة تقريبا من الفاظ القوافي عربية .

ولقد **بدأ الفرس في مقاومة العربية منذ القرن الرابع** ، فقد غاظهم ان تكون العربية رائجة كل هذا الرواج في بلادهم ، وأن يكون العرب حكاما لهم ، واول هذه المقاومات كان استقلال الدويلات الفارسية في مناطقها ، وتشجيع الشعراء الفرس على نظم القصائد الحماسية والقومية . فقام شعراء ينظمون الشاهنامات ، ويتعمدون الاقلال من ذكر الالفاظ العربية . وقام أدباء يحضون على الكتابة الفارسية — غير ان هاتين الطبقتين لم تستطيعا الحد من التأثر اللغوي للحاجة الماسة الى كل ما دخل من الفاظ ، حتى انهم انفسهم استخدموا الالفاظ العربية في موضوعاتهم الحماسية والقومية هذه .

وكما دخلت القرآن الكريم الفاظ فارسية فقد **دخل الحياة العربية كثير من الفاظ دالة على الزينة والترف** مما لم يكونوا رأوها ، كما رأوا من تنظيم الحكومة وتدوين الدواوين ما لم يخطر لهم على بال ، فاضطروا ان يقتبسوا من الامم المفتوحة الفاظا يدخلونها في لغتهم ، وكانت اللغة الفارسية اقرب نبع يستقون منه ما يحتاجون .

— فمن اسماء الازهار الفارسية : النرجس ، البنفسج . النسرين . الخيرى . السوسن . الجلنار . الارجوان .

— ومن الطيب : المسك . العنبر . الكافور . الصندل . القرنفل .

— ومن الاطعمة : السميد . الكعك . السكباج . الدجاج . الكبة . الخربز وهو البطيخ . الفستق .

ومن الحلوى : الفالوذج (وعربت الى البالوظة) . الجوزينج . اللوزنيج . الزرده . الجلاب .

— ومن التوابل : الفلفل . الزنجبيل . القرفة . الكراوية (وهي الاكلة المعروفة في دمشق خاصة) .

— ومن المفردات الحضارية : مهندس . روزنامة . نرد . برسيس (برجيس) . طربوش . بابوج . كوز . ابريق . طست . خوان . طبق ، كاسة (عربت الى قصعة) . خز . ديباج . سندس . لجام . غربال . كردان . ساذج . طازج . نموذج . برنامج . سمسار . دهقان . صولجان . فنجان . نيزك . زنديق . بازار .

— ومن مفردات الدواوين : مهر . ديوان .

— ومن الاسلحة والحرب : سبهبد وهو كالامير والقائد عند العرب . درفش (علم) . طبرزين . جند . عسكر . لجام . صولجان .

— ومن الحيوانات : شاهين . باشق . جاموس . جوذر (كاونر) . ذنب .

ولقد عمد العربي الى ما خف على اللسان ، واستعذبت الاذن جرسه ، وان كان عنده اسم لها ، فاستعار : مسك . توت . رصاص . ميزاب .

مكان : مشموم . نرصاد . صرفان .. مشعب .

ـ كما اخذوا بعض التراكيب منها :

ـ جلاب (ماء الورد) . ميزاب (سيل ماء). سرداب (الماء البارد) سراب (راس الماء) . زركشة (التطريز بالذهب) .

ـ كما استعملنا فى عاميتنا عددا كبيرا من الالفاظ كانت الخلافة العثمانية سببا هاما فى نقل بعضها لان اللغة الرسمية فى بلاط استانبول كانت اللغة الفارسية :

كبة . كفتة . نازيك . سيخ . كباب . كفكير . بشكير . خولية . مرموط . جادة . جاكوج . بوقالة . لهنا . بقلاوة . ارمغان . برشت . كشتبان . بابوج . طربوش .

ولقد استخدم الادباء العرب **الكلمات الفارسية فى تراكيبهم** . من ذلك قول الجاحظ فى البخلاء : « ويسكروا الدرياجة على صغار السمك » . والدرياجة هي البحيرة ، و (سكر) كلمة سريانية . وكان الاخفش يقول لتلاميذه : لا تقولوا عندي كلمة هم وبس . وهكذا لا تقولوا لفلان بخت . وفى حديث مجاهد : يغدو الشيطان بقيروانه الى السوق . وقيروان معربة عن كاروان معناها القافلة .

اما **المفردات العربية التى استخدمها الفرس فى لغتهم** ، فقد كانت فى كل باب . اذ انهم اخذوا :

ـ مفردات دينية : زكاة . حج . مسلم . مؤمن . كافر . منافق . فاسق . حنث . خبيث . قرءان . اقامة . تيمم . متعة . طلاق . زواج . قبلة محراب . منارة . ابليس ـ زقوم . سلسبيل . حلال . حرام . بركة .

ـ ومفردات فى الادارة والسياسة : خليفة . ملك . امير ، وزير . حاجب . قاض . غلط . خطا . عارية . نصح . فضيحة . جلاد . سياف . مستخدم

ـ ومفردات الدواوين : كتاب . حبر . قلم . مداد . خط . درس . فصل . باب . الاعداد حتى العشرة .

ـ ومفردات الالبسة : جبة . ازار . لحاف . مخدة . طراز . رداء .

ـ ومن اسماء الاطيار : فاختة . قمري . بلبل . لقلق . غراب .

ـ ومن اسماء ادوات الزينة : حناء . غالية . بخور .

ـ ومن اسماء البلاد والافلاك : بلد . صحراء . طبيعة . بركة . حوض . سهيل . فلك . مشرق . مغرب . شمال . جنوب . طالع . صبا : دبور .

ـ ومن اسماء اصحاب المهن : خياط . قصاب . بيطار . بقال . صراف . دلال .

ـ واسماء خاصة بالاطعمة واللهو : قمار . سفرة . قنينة . شراب . خمرة . غداء . حلواء . هريسة . قطائف . قلية . نقل .

ـ واسماء فى الحرب : حرب . جهاد . علم . طبل . عرادة . منجنيق . ركاب . لواء . نصل . دبوس . حربة . حلقة . قفل .

ـ واوصافها : نبيل . لطيف . ظريف . عاشق . شاعر . كاتب . وفاء . احمق . جاهل .

ـ كما اخذوا تراكيب وامثالا ، واعتبروها بشكل مفرد :

سرحدات : راس الحدود . فهميدم : فهمت (من الفهم) .

مرد لا ابالي : رجل مهمل . زمين لا يزرع : ارض لا يمكن زرعها . بالاضافة الى عشرات المفردات التاريخية . وعشرات المفردات الجغرافية ، وكذلك الطبية والفلكية . واذا طالعنا نثرا او شعرا فارسيا وجدنا ان النسبة المائوية للمفردات العربية تبلغ احيانا 45 او 50 ٪ ، واذا سعى الاديب ان يقل من الالفاظ العربية ، فانه لا يمكنه ان يستغني عن 20 ٪ من المفردات العربية .

والجدير بالملاحظة ان **اغلب الالفاظ العربية التى دخلت الفارسية بقيت محفوظة على شكلها** الذى اخذوه لعدم وجود الاشتقاق عندهم ، اما اللفظة الفارسية التى دخلت العربية فانها صهرت بالعربية واشتقوا منها حتى ضاع أصلها على المطالع . وربما قيض الله يوما لائمة اللغةمن الامتين تجمعهم حميةالعلم وفريضة الادب ليتحلقوا حول الدواوين والمعجمات سنوات ليصفوا ما لنا وما علينا ، وما احسب ان الامر يسير ، لما حدث من تلاحم واندماج ، بل لما هنالك من تشابهات وصدف . وهل اخذت اللفظة من العربية ام من العبرية ام من السريانية . ومن ناحية ثانية هل

اخذت من البهلوية ام السنسكريتية ام الفارسية الدرية ؟ .

ملاحظة اخرى جديرة بالانتباه تدل على مدى **التبادل اللغوي بين الامتين . ذلك ان العرب استخدموا اسماء فارسية لمسميات ، في حين ان الفرس استخدموا اسماءها العربية** . وقد حصل هذا في العصر الحديث خاصة :

فنحن نقول روزنامة ومعناها (كتاب اليوم) والفرس يستخدمون (تقويم)

ونحن نقول كهرباء ومعناها (جاذب القش) والفرس يستخدمون (برق)

ونحن نقول دستور ومعناها (قانون) والفرس يستخدمون (قانون)

ونحن نقول اركيلة ــ ناركيلة ومعناها (جوز الهند) والفرس يستخدمون (غليان)

ونحن نقول كنار ومعناها (طرف) والفرس يستخدمون (حاشية)

ونحن نقول كاسة ومعناها (زبدية) والفرس يستخدمون (باطية)

ونحن نقول دستور ومعناها (القانون الاساسي) والفرس يستخدمون (مشروطة)

ونحن نقول شرشف ومعناها (غطاء الليل) والفرس يستخدمون (ملافة اي ملحفة)

ونحن نقول خرضة ومعناها (القراضة والاشياء الدقيقة) والفرس يستخدمون (خرزة)

ونحن نقول بخشيش ومعناها (الانعام) والفرس يستخدمون (انعام)

وقد اخذ العرب اسماء فارسية وتسموا بها مثل : قابوس وهو معرب عن (كاووس) . وقد لقب بها النعمان بن المنذر . ومن النساء دختنوش ، وهو اسم بنت لقيط بن زرارة وهو معرب عن (دخت نوش) .

كما اننا نلاحظ وجود **مدن عربية اسماؤها فارسية** مثل : بغداد ومعناها اعطى الصنم او الله المعطي . البصرة ومعناها بعد الطريق وكانت (بس راه) . الانبار ومعناها المخزن ثم حورت الى عنبر . القيروان ومعناها القافلة . ونجد عددا من القرى والنواحي حول دمشق اسماؤها فارسية مثل : مزة ، كيوان ، برامكة ، بلودان ، زبداني ، جرجانية . وقد تكون هذه التسميات اطلقها النازحون من بلاد فارس الى بلاد الشام .

وقد استعملنا اعلاما فارسية حديثة مثل : شيرين . مهتاب . شهرزاد . شهناز . سوزان . كيتي . مهيار . فرهود . جهان . نرزان . وقد تكون هذه الاسماء اسماء غلمان وجوار وقد نكون استخدمناها تحببا برقتها .

واذا دخلت الاعلام الفارسية ، فان **اغلب اسماء الفرس كانت عربية او مركبة مع العربية** . لقد تاثرت الاعلام الفارسية بالاسلام فاستقوا من الدين الاسلامي ، ومن المذهب الجعفري خاصة هذه الاعلام . فمنها : خير الله . شكر الله . وقد تكون هذه الاعلام غير مستعملة عند العرب مثل : ذبيح الله ، قدرة الله ، يد الله . وقد يركب العلم من كلمة فارسية وكلمة عربية مثل : خدا مراد . خدا رحم . خدا كرم . وقد يستخدمون اسماء الانبياء واسماء ءال البيت مثل : عبد . محمد . عبد الرسول . عبد النبي . وقد يتغير اسم محمد الى ممد ، واسم محمد علي الى ممد لي . ويسمون كلثوم فيقولون لها كرسوم .

ثم هناك : علي . حسن . حسين . باقر . صادق . اصغر . كاظم . رضا . تقي . نقي . وقد يحرفون بعضها فيقولون لزين العابدين زينل او زئيل لابدين . وقد يركبونها او يدخلون عليها لفظة (عبد) : عبد الحسين . علي اصغر . عبد الرضا . غلامحسين . غلامعلي . كما ادخلوا عليها اسماء الاشهر الهجرية فقالوا : صفر علي . رجب علي . رمضان حسين .

وقد تاثرنا باعيادهم التقليدية القديمة ، واهمها النوروز والمهرجان . وبالرغم من ان الامويين لم يتعمدوا التاثر بالاعياد الفارسية . فانها أخذت تتسرب الى العرب بدون استئذان ، حتى اذا كان العصر العباسي نقلوا الينا الكثير من عاداتهم ، والتى كان لها النفع الكبير لمحبي اللهو والطرب ، والاثر في الادب العربي .

ونوروز ومعناها اليوم الجديد اي عيد راس السنة ، ويأتي في 21 مأذار من كل عام ، ويعتبر اول الربيع ، وهو اعظم اعيادهم . اما المهرجان ولفظه الفارسي مهركان ، فهو عيد الخريف ، ويبدأ في اول الخريف ، واوله 23 ايلول . واهم امر في هذين

العيدين اهداء الملابس والاموال الى الشعب وتقديم الاطعمة المتنوعة . يحكى انه قدم لسيدنا علي كرم الله وجهه طعام فارسي ، فاحبه وسأل : ما هذا ؟ قالوا : هو النوروز . فقال : نورزونا كل يوم . كما يحكى ان الحجاج اول من رسم هدايا النوروز والمهرجان فى الاسلام ، وابطلها عمر بن عبد العزيز . وشاعت فى العصر العباسي اذ كان الامراء يوزعون البستهم على حاشيتهم ، كما كان يفعل الاكاسرة . وصار من الشائع ان نسمع عن النوروز فى الشعر ، كما فى قول البحتري وهو يصف الربيع :

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد ان يتكلما

وقد نبه النيروز فى غسق الدجى
اوائل ورد كن بالامس نوما

وقد مدح المتنبي ابن العميد وهو يهنئه بعيد النوروز بقوله :

جاء نوروزنا وانت مراده
وورت بالذى اراد زناده

عظمته ممالك الفرس حتى
كل ايام عامه حساده

ووصف ابن الرومي عيد المهرجان حينما هنا عبيد الله بن عبد الله به فقال :

ما رات مثل مهرجانك عينا
اردشير ولا انو شروان

مهرجان كانما صورته
كيف شاءت مخيرات الاماني

اما **الحركة الادبية فقد حصل فيها تبادل تام بين الامتين** : ولكن هذه الصلة وهذا التبادل يقل ظهورهما فى الجاهلية ، الا ما ذكرنا من الفاظ وصور. واذا بقي الشعر الجاهلي الى اليوم واستطعنا تمييز ما اقتبسوه من الفرس ، فان الادب الفارسي ضاع قبل الاسلام ، فلم نعد نعرف بماذا تاثر العرب وبماذا اثر العرب .

على اننا عندما نقول الادب الفارسي فانما نعني الادب الذى يظهر بعد الاسلام ، وبعد ان ترعرع ونشا فى حقل الادب العربي ، وبعد ان غذته اللغة العربية والثقافة الاسلامية بجملها وتراكيبها وامثالها واساليبها وبلاغتها .

· واذا طالعنا **كتبهم الادبية** وجدناها **زاخرة بالاقاصيص العربية والحكايات الشهيرة** كحكايات حاتم الطائي ولقمان الحكيم وقيس وليلى . ومن اهم هذه الكتب : كلستان . بوستان . منطق الطير . قابوسنامه . كما انهم اقتبسوا من القرءان والحديث وقصائد الشعراء المشهورين كالمتنبي والمعري ، وكذلك تاثروا بالمقامات . والفوا على منوالها فى القرن السادس الهجري . على انهم اذا بداوا مقلدين لمذاهب واغراض الادب والشعر فانهم ما لبثوا ان تخطوا مراحل تجديدية ومبتكرة لدرجة اثروا فيها بالادب العربي والهندي والتركي .

اما **الادب العربي فقد تاثر بدوره بالادب الفارسي وثقافته** ، ذلك ان **كثيرا ممن دخلوا فى الاسلام اضطروا الى تعلم اللغة العربية** ، وسرعان ما ظهر منهم ومن نسلهم **كتاب وشعراء بالعربية** فى حين ان نطقهم للحروف العربية لم يكن سليما – فى باديء الامر – ومن اقدم هؤلاء : زياد الاعجم ، اسماعيل بن يسار النسائي . ابو العباس الاعمى . موسى شهوات. فهؤلاء وغيرهم نشاوا نشاة فارسية، وتادبوا بالآداب الفارسية ثم صاغوا ادبهم بالقالب العربي فاحكموا التقليد اذ ان الفاظهم عربية وتراكيبهم عربية واوزانهم عربية ، وكان الخيال الفارسي ، والروح الفارسية ، والمعاني الفارسية بادية فى شعرهم العربي الذى يصوغونه .

وعندما كان الشاعر الفارسي يفخر بقومه على العرب ، كان يستوحي من تراث اجداده ما يقدر ويتخيل ما كانوا فيعرضه بشكل تفاخر ، كقول اسماعيل :

رب خال متوج لي وعم
ما جد مجتدى كريم النصاب

انما سمي الفوارس بالفر
س ، مضاهاة رفعة الانساب

فاتركي الفخر يا امام علينا
واتركي الجور وانطقي بالصواب

واسالي – ان جهلت – عنا وعنكم
كيف كنا فى سالف الاحقاب

اذ نربي بناتنا وتدسو
ن سفاها بناتكم فى التراب

وكان اشعب فى السامعين ، فقال له : صدقت والله ، اراد العرب بناتهم لغير ما اردتموهن له . قال

اسماعيل : وما ذلك ؟ . قال اشعب : دفن العرب بناتهم خوفا من العار ، وربيتموهن لتنكحوهن ، (ويقصد انهم كانوا يتزوجون بناتهم) . فضحك القوم وخجل اسماعيل .

ومع قلة ما وصلنا ، فقد استفاد من ذلك الادب قدماؤنا فكثيرا ما يقول ابن قتيبة في عيون الاخبار: وفي كتب العجم كذا ، وقرات كتاب ابرويز الى ابنه شيرويه . وكثيرا ما ينقل صاحب التاج اشياء عن اخلاق ملوك الفرس وءادابهم وكتبهم .

كما ان كثيرا من الشعراء والادباء من العرب كانوا ينزلون فارس او العراق ، ويخالطون اهله ، ويرون مدنيته ، ويكون لذلك اثر في ادبهم وفي شعرهم . فقد نزل الطرماح وابو النجم الراجز وجرير والفرزدق العراق ، وابو تمام والمتنبي فارس. وقد كان الفرس شديدي الاعجاب بالشعر العربي فكانوا يتوخون محاكاته في كل اشكاله واغراضه .

فالموضوعات التي نظموا فيها ، بعضها تابع لموضوعات العرب **كالمديح والفخر والهجاء والغزل والرثاء والوصف والحكمة** ، وتفوقوا في **موضوعات الحماسة والقصص ووصف الطبيعة** . وقد قلدوا العرب في وصف الاطلال مع انه عربي خالص كالشاعر منوجهري في القرن الخامس الهجري وهو اول من قلد الاطلال . كما قلدوهم في بكاء الديار والآثار كما فعل خاقاني في وصف ايوان كسرى الذي سبقه البحتري بقرون في وصفه . وكذا بكى حميد الدين البلخي مدينة بلخ عندما خربها الغز سنة 548 هـ . كما انهم غالوا في الموضوعات الشعرية التي اخذوها من العرب كالمديح والخمرة والغزل . وبرعوا في الشعر القصصي، وتجلت براعتهم في نظم الفردوسي للشاهنامة التي يزيد عدد ابياتها على خمس وخمسين الفا من الابيات على بحر واحد هو المتقارب . ثم هناك يوسف وزليخا ، خسرو وشيرين ، ليلى والمجنون .

والتصوف من الموضوعات التي تاثر العرب بها واهم الشعراء المتصوفين الفرس جلال الدين الرومي وحافظ الشيرازي . اما الاوزان والقوافي فقد نشأ العروض الفارسي في احضان العروض العربي وفي دوائره وبحوره واصطلاحاته وقوافيه . الا ان الفرس ءاثروا بعض الاوزان العربية لانها اكثر طواعية للغتهم واقرب الى انطباعهم ، واضافوا ثلاثة ابحر وهجروا بعضها ، واكثروا من المثنوي اي الشعر مزدوج القافية بين الشطرين . كما اخترعوا الرباعيات ونظموا بها قبل الخيام وقبل العرب . وخالفوا الموشحات العربية بموشحات سموها ترجيع بند منذ اوائل القرن الخامس الهجري .

ومن الشعراء العرب الذين تاثروا بالصور الفارسية : الكميت . العتابي . الفرزدق . البحتري ابو تمام . المتنبي . المعري . وتورد بعض الكتب الادبية قطعا وابياتا تشير الى انها مقتبسة من الشعر الفارسي كالبيان والتبيين للجاحظ ، ويتيمة الدهر لابن قتيبة ودمية القصر للباخرزي . على ان المجال الضيق لايسمح لنا باستعراض نماذج من ذلك. ونذكر ان ابا نواس له قصائد فارسية لا يعرفها الادباء العرب ، سميناها (فارسيات ابي نواس) .

وما يقال عن الادب والشعر والعروض يقال عن البلاغة ، فقد كانت **قواعد الاسلوب الادبي الفارسي مطابقة تماما لقواعد الاسلوب العربي** من حيث الايجاز والاطناب والتشبيهات والاستعارات . كما ظهر نوع من الشعراء زادوا من التبادل الثقافي ، لانهم نظموا باللغتين فسموا (ذوي اللسانين) .

ويحسن ان اتوقف لحظات عند الخمرة والغزل المكشوف قبل ان اختم الموضوعات الشعرية . فالخمرة كانت معروفة في الجاهلية ، تاجروا بها ، وشربوها ، وحرمها القرءان ، ووصفها الشعراء . وازدادت مع الزمان حتى بلغت اوجها في الاتساع والجراة في العصر العباسي . وعلى هذا فالشعراء العرب الذين وصفوا الخمرة لم يقتبسوا عن الشعراء الفرس لسبب بسيط هو ان ميلاد الشعر الفارسي لم يبدا قبل اواخر القرن الثالث الهجري ، ونعلم ان الاخطل وبشارا وابا نواس ومن لف لفهم عاشوا وماتوا قبل ذلك بكثير . ولكننا نقول ان الترف الذي عرفه العرب عند تماسهم بالفرس فسح الطريق لمثل هذا اللهو اكثر .

والغزل المكشوف كان معروفا كذلك عند امريء القيس والنابغة والاعشى منذ الجاهلية ، وعند الاخطل وعمر والوليد وغيرهم في العصر الاموي . ويزداد الغزل المكشوف حرية حتى يبلغ العصر العباسي عند بشار وابي نواس واسماعيل بن يسار وغيرهم . ولم يتاثر الشعراء العرب بالغزل الفارسي للسبب الذي ذكرناه في الخمرة، ولكنهم تاثروا بالحضارة الفارسية التي زادت من جهة هذه الجراة في الكشف . اما الغزل الغلامي فالجاهلية لم تعرفه

ولا القرن الاول ، ولكن جاء به الترف والحضارة . الجديدة وكثرة الغلمان والسقاة . على ان الفرس ليس عندهم ضمير خاص بالمؤنث وضمير خاص بالمذكر ، فالضمير لكليهما واحد ، وكذا الامر في المخاطب والمخاطبة واسم الاشارة ، لذا فاذا نادى الفارسي لم يعرف السامع هل المنادى مذكر ام مؤنث، على ان هذا ليس دفاعا عن الفرس فهذا هو الواقع ، كما ان الفرس لم يقولوا الشعر قبل رواج الغزل الغلامي ، وبعدئذ برعوا فيه ، انما الحضارة وكثرة الغلمان والترف هي التى ساقت الشاعر والحياة الى هذا اللون من الغزل . وجدير بالملاحظة ان العرب في الطرف الغربي من الامبراطورية العربية لم يفعلوا فعل الشرقيين في الغزل المكشوف والغزل الغلامي .

ومما يقال عن كل ما مضى من تبادل في التاثر والتاثير نقوله عن القصص والحكايات ، فقد تاثرنا باساطيرهم وحكاياتهم واثرنا بهم في حكاياتنا وقصص قرءاننا . وكذا استفاد الفرس من الامثلة العربية ، كما استفاد العرب من الامثال الفارسية .

وتعتبر العقائد من اكثر الامور تاثيرا في الامم وفي ءادابها . فقد عرف العرب في الجاهلية الزردشتية وهي المجوسية ، والمانوية ، والمزدكية . وقد تجلى ذلك بتقديس العرب للنار المقدسة عند المجوس بحلفهم بها وبوصفها ، كما عبد بعض العرب الشمس وهي من عناصر الطبيعة التى عبدها الفرس والشرق ، وبدا كل ذلك في شعرهم . ونجد بقايا ذلك في اشعار الشعراء بعد الاسلام كبشار والمعري والمتنبي وأبي تمام . ولا أدل على تأثرهم بالاديان الفارسية من قول ابن قتيبة في كتابه (المعارف) ، عند كلامه على اديان العرب في الجاهلية : « وكانت النصرانية في ربيعة وغسان ، وبعض قضاعة . وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث ابن كعب وكنده ، وكانت المجوسية في تميم ، وكانت الزندقة في قريش . اخذوها عن الحيرة » . وقد رفض المنذر الثالث اعتناق المزدكية فعزله قباذ وعين مكانه الحارث ابن عمرو أمير كندة بعد ان اعتنق المزدكية .

وقد تأثر الاسلام بالزردشتية كما يقول احمد امين بعقيدة العامة من المسلمين في بعض الامور ، كما تاثرت المعتزلة بمسالة الجبر والاختيار . ومن الجدير بالذكر ان الاعاجم عندما دخلوا الاسلام كانوا على دين خاص ورثوه عن اجدادهم ، ولم تمح من مخيلتهم ملامح دينهم القديم فاضافوها على ما يتعلمونه من الدين الاسلامي .

ووجود الزندقة ، وبقايا المجوسية خلق حركة فكرية ومعركة ادبية جديدة ممثلة في مدارس علماء الكلام واهمهم المعتزلة . وقد الفوا الكتب ضد هؤلاء الزنادقة ، ونظم الشعراء القصائد في الرد عليهم او مشاركتهم ءاراءهم . ومن اهم من الف في هذا المضمار واصل بن عطاء في كتابه (الالف مسالة) الرد على المانوية . والجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) .

ورغم كل ذلك فقد ازال العرب من ارض فارس تلك الديانات التى وزعتهم فرقا ، وشتتتهم مزقا ، فجمعتهم تحت راية التوحيد ، الطاهرة ، وحررتهم من النظم الاجتماعية والطبقة الفاسدة .

وقد تبع هذه الحركة الفكرية ، حركة ادبية قريبة الشبه منها وفي مسالة تفاخر الموالي على العرب ، ورد العرب مزاعم الموالي الشعوبيين . ومهما كانت النتائج ونوعية الخصام فقد نتج من ذلك تبادل ثقافي تام الاركان فيه التاريخ والفلسفة ، وفيه الشعر والنثر ، وفيه التاليف الواسعة ، والاطلاع على الفلسفة . ومهما غشت هذه الحركة من مزاعم يشوبها الخطأ ، فان نتيجتها الادبية والفكرية الجديدة واقعة على الادبين العربي والفارسي على السواء .

ولقد كانت حركة المناواة شديدة في العصر الاموي، وتضعف الحدة ويتسع نطاقها الادبي كلما دنونا من العصر العباسي او خطونا فيه . ولقد شرقت قصور الخلفاء العباسيين بالموالي رجالا ونساء وغلمانا وغصت الجيوش بهم .

واذا كان الموالي يتخوفون من الرد على الشعراء العرب في العصر الاموي فانهم لم يتورعوا عن التفاخر بجدودهم امام خلفاء العصر العباسي ، وها هو الشاعر المتوكلي ، شاعر المتوكل ونديمه يقول :

انا ابن المكارم من نسل جم
وحائز ارث ملوك العجم

ومحيي الذى باد من عزهم
وعفى عليه طول القدم

الى ان يقول :

فعودا الى ارضكم بالحجاز
لاكل الضباب ورعي الغنم

فاني ساهلو سربر الملوك
بحد الحسام وحرف القلم

ويتهجم ابو نواس على العرب بوسيلة اخرى ، هي تهكمه الكثير بطريقة العرب في التقديم لقصائدهم بالغزل وبكاء الاطلال ، ودعوته الملحة الى بدء القصائد بالخمريات . ولا يمكننا ـ كعرب ـ ان نعتبره تجديدا في الادب لان ابا نواس احاط رغبته هذه بالسخرية والوضع من قواعد الشعر العربية ، وقد كان يستطيع ان يجدد بغير تندر ، كما في قوله :

عاج الشقي على دار يسائلها
وعجبت اسأل عن خمارة البلد

دع ذا ، هدمتك ، واشربها معتقة
صفراء تمتق بين الماء والزبد

كم بين من يشتري خمرا يلذ بها
وبين باك على نؤى ومنتضد

اما التجديد الحق ، فهو الذى قام به المتنبي، حينما هجب من الشعراء المتكلفين للحب ، اذا افتتحوا مدائحهم بالغزل ، فقال صادقا :

اذا كان مدح فالنسيب المقدم
اكل فصيح قال شعرا متيم ؟

لحب ابن عبد الله اولى فانه
به يبدأ الذكر الجميل ويختم

على ان الامر لم يقف فى هذه المعركة على الشعر بل انبرى الطرفان بتأليف كتب في هذا المضمار. فمن الكتب التى الفت انتصارا للشعوبيين من الموالي:

ـ فضل العجم على العرب وانتصار العجم من العرب . تأليف : سعيد بن حميد البختكان .

ـ ادعياء العرب . لصوص العرب . فضائل الفرس . تاليف : أبي عبيدة معمر ابن المثنى .

ـ المثالب . تأليف : علان الفارسي . المثالب الكبير والمثالب الصغير. تأليف : الهيثم بن عدي .

ومن الخير للطرفين ان هذه الكتب فقدت ، ولم يبق بين ايدينا الا الاسم ، والا النزر القليل منتشرة فى كتب الادب وعيون اخبارها . ومن اهم الكتب التى ردت على مزاعمهم :

ـ العرب ـ لابن قتيبة . البيان والتبيين للجاحظ .

وقد امتدت حركة الشعوبية الى ارض الاندلس بلون ءاخر ، فقد الف ابن غرسية رسالة فى التهجم على العرب ، فرد عليه عدد من الادباء منهم : يحيى ابن مسعدة وابو جعفر احمد البلنسي .

كما انالموالي ناهضوا افكارهم بتلفيق احاديث مكذوبة على لسان النبي (صلى الله عليه وسلم) . من ذلك : لا تسبوا فارسيا ، فما سبه احد الا انتقم منه عاجلا او ءاجلا » . كذلك اخترع العرب احاديث ترفع من قيمة العرب وتحط بالعجم ، من ذلك : « من غش العرب لم يدخل فى شفاعتي ، ولم تنله مودتي » . على ان هذه الحركة لم تنفع التبادل الثقافي ولم تنفع الحركات الادبية بل ضرتها . كما ان انتصار الموالي للرواة الفرس كأبي عبيدة، وانتصار العرب للرواة العرب كالاصمعي لم يات بالنفع بل اتى بالضرر . ومن اجمل الردود على مزاعمهم الشعوبية قول المتنبي :

وانما الناس بالملوك وما
تفلح عرب ملوكها عجم

لا ادب عندهم ولا حسب
ولا عهود لهم ولا ذمم

اما الحكم والامثال : فالانسان مع انه يغمض عينيه اذا سمع حكمة فانه ينصت اليها ويميل الى الاستفادة منها والاستشهاد بها . ولقد كان للفرس اثر كبير فى الاخلاق السامية والآداب من ناحية حكمهم . ذلك ان الاخلاق الاسلامية تأثرت بثلاثة مؤثرات :

1 ـ بالتعاليم الدينية التى وردت فى القرءان والاثر ، ومن الانجيل والتوراة .

2 ـ بالفلسفة اليونانية التى نقلت فى العصر العباسي .

3 ـ وثالثاً بحكم واقاسيص الفرس او ما نقل بواسطتهم من الهندية ، بما نقل من الملوك والوزراء ورجال الاديان الفارسية ووعاظهم . وقد ملئت كتب الادب بها، ومن اهم الكتب التى ملئت بأمثال هذه الحكم، عيون الاخبار، سراج الملوك ، وكتب الجاحظ وابي حيان . العقد الفريد.

ومن جملة الامثال الفارسية التى عرفها العرب واستخدموها :

ـ اذا جاء البعير حام حول البير .

ـ سألوا الثعلب اين شاهدك ؟ قال : ذنبي .

ـ احذروا صولة الكريم اذا جاع ، واللئيم اذا شبـــع .

ـ اذا اردت ان يقبل قولك فصحح رايـك ولا تشوبنه بشيء من الهوى . فان الراي الصحيح يقبله منك العدو ، والهوى يرده عنك الولد والصديق .

ـ اذا كلمك الوالـي فاصـغ الى كلامـه ، ولا تشغل طرفك عنه بنظرة الى غيره ، ولا اطرافك بعمل ولا قلبك بحديث نفسي .

ـ استح الحياء كله من ان تخبر صاحبك انك عالم وانه جاهل ، مصرحا او معرضا. الى غير ذلك مما تزخر به كتب الادب والحكم .

على ان الفرس اخذوا حكمهم كذلك من القرآن والحديث ومن حكم حاتم ولقمان والمتنبـي والمعـري وغيرهم واستفادوا منها بعد الاسلام .

ومن اهم الامـور التـى ادخلت العربيـة فى الفارسية ، والفارسية فى العربيـة التـــرف ، والجواري خاصة من اسباب الترف . فلقد ادخـل نظام التسـري الى الاسر العربيـة عادات وتقاليـد والوانا من الامور الاجتماعية ، وفنونا وموسيقا مـا كانت معروفة عندهم انما جاء بها هؤلاء الجواري من بلادهم .

ولقد كان العربي يشتري القينة لفن تجيده ، والشعراء كان عندهم قينات ، واغرموا بهن وعرفوا منهن اسماء الآلات الموسيقية والازهـار ورقة الغناء والوان الطعام . كان كل ذلك ينابيع للشعراء علـى تلوين شعرهم وتطعيمه باوصاف وتشبيهات لم تكن عربية . واذا استهجن الامويون ابناء الاماء فان اغلب امهات الخلفاء العباسيين كن اماء وقينات فارسيات وغير فارسيات .

وختاما لحديثي ، انه لمن الخطا والغلو ـ كمـا يقول احمد امين ـ أن نعتبر ان العرب كانوا بمعـزل عما حولهم من الثقافات والاديـان ، وان آراءهـم وآدابهم وعلومهم نبتت وحدها من عقول عربية ، من غير ان تغذى بغيرها.

فقد راينا انهم ـ حتى فى جاهليتهم ـ لم يكونوا بمعزل ، وانهم كانوا بعد الاسلام اكثر اتصالا والتحاما وعلاقة . ولا يقدح التبادل الثقافي اية امة ، فالعلـم ملك شائع ومرفق مباح يغترف منه الناس جميعا ، وليس له حدود فاصلة كالتي ترسمها السياسات ، وانما الذى يقدح فى الامة حقا ان تغمض عيونهـا ، وتسد ءاذانها عما حولها من نظريات وافكار ، او ان يدفعها التعصب الاعمى ان تنسب لنفسها ما ليس عليها ، وتعزو اليها خلق ما لم تخلق ، وابتداع ما لم تبتدع . كما على الامة أن تبحث عن تراثها، ولا تتهاون فيه ، وتحافظ عليه ، فهو الذخيرة الدسمة والمجـد الاثيل الذي عليها ان تبقى عليه .

ولشدة الارتباط الوثيـق بيـن الادب العربـي والادب الفارسي الاسلامي فى العصر العباسي غـدا لزاما على دارسي الادب العربي من الفـرس دراسة الخطوط العريضة على الاقل للادب العربي ، واصبح من الضروري لفهم الادب العباسي العربي تفهم الثقافة العربية التى كانت مفرغة من ارض الجزيرة العربية شرقها وغربها ، او مستقاة من الامم المجاورة ودراسة تطور الادب الفارسي لمعرفة الجديد فى ادبنا والجديد فى ادبهم .

لغة البادية

الأستاذ عبدالله بن خميس
«الرياض»

البادية خلاف الحاضرة ، وجمعها بوادي ، وتسمى بداوة بالكسر ، والنسبة اليها : بداوي ، بالفتح والكسر ، وبدوي ايضا .

وهي من بدا اذا نشأ ، أو اذا ظهر وبرز . وهو الارجح ، لبروز البادية في الفيافي والقفار ..

والبادية هم سكان الوبر ، الذين يتتبعون مساقط الغيث ، ويطلبون الكلأ والمرعى لماشيتهم ، ولا يستقر بهم القرار في مكان معين ، الا في فصل الصيف حيث يقطنون المناهل ، ويدنون من المياه . والبادية هي أصل العرب ، وسكان جزيرتهم الاولون ، وسفر لغتهم المعتمد ، منها تكونت الحواضر ، واليها ترجع الارومات الاصيلة ، ومنها تفرعت الشعوب والقبائل ..

وهي في الجاهلية رمز العرب ، ووجههم الامثل، وفي الاسلام — كما قال عمر — أصل العرب ومادة الاسلام . صريح اللغة وفصيحها مصدره البادية ، وعادات العرب الكريمة، وتقاليدهم الاصيلة، ومميزاتهم الاثيرة .. مصدرها البادية ، والشعراء المتاويل ، والخطباء المصاقع ، والمتكلمون اللسن .. اعلامهم ، ومبرزوهم ، من البادية .. لم تفسد الحضارة سحنتهم ولم تلن السنتهم ولم تغمز لهم صعدة ، ولم تفل لهم حد .. يتكلمون بالسليقة والفطرة ، فتفتر شفاههم عن قول فصل ، وكلام جزل ، وبيان سليم مستقيم .. يصدر عن طبع ابي ، وخاطر ذكي ، ولسان ذرب طلق ..

هذه الصفات دفعت بالامراء ، والرؤساء والخلفاء ، وعلية القوم ، وذواتهم .. ان يبعثوا بابنائهم الى البادية ، المدرسة الاولى لتربية اصيلة ، تعطي الشاب الى جانب الرشاقة ، وبناء الجسم بناء رياضيا متينا ، وتكوينا متكاملا فارها .. تعطيه قوة الشخصية، واستحصاد الراي ، ونفاذ الارادة ، ومصادر الشجاعة والدربة ، وسلامة المنطق ، وقوة العارضة ..

قال بعض الاعراب : نحن امراء الكلام ، فينا وشجت عروقه ، وعلينا تدلت غصونه ، فنحن نجني منها ما احلولى وعذب ، ونترك ما املولح وخبث ..

وقال الجاحظ : ليس في الارض كلام هو امتع ، ولا انفع ، ولا آنق ، في الاسماع ، ولا اشد للطباع ، ولا افتق للسان ، ولا أجود تقويما للبيان .. من كلام الاعراب الفصحاء العقلاء .

ووصفهم الحارث بن كلدة امام كسرى فقال : لهم انفس سخية ، وقلوب جرية ، وعقول صحيحة ، وانساب صريحة يمرق الكلام من افواههم مروق السهم من الرمية ، اعذب من الماء ، وارق من الهواء يطعمون الطعام ، ويضربون الهام ، وعزهم لا يرام ، وجارهم لا يضام .. ووصف احدهم امرأة فقال : كاد الغزال يكونها ، لولا ما نقص منه وتم منها .

واوجز احدهم قصيدة كاملة في جملة مقتضبة فقال : سبقنا الحي ، وفيهم ادوية السقام ، فقران بالحدق السلام ، وخرست الالسن عن الكلام ..

في هذه البيئة المتابية ، واللغة الصريحة .. تربى سيد العرب عليه السلام ، وتربى اعلام الخلافة ، وكبراء القادة ، ونبلاء المجتمع الاسلامي .. ولم يكن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، من ثقفته البادية ، وأصلحت لسانه ، فكان لحنة ، وظل لحنه وصمة عار في تاريخه . قال ابوه : أضر بالوليد حبنا له حيث لم نبعثه الى البادية .

خطب الناس يوم عيد فقرأ في خطبته : يا ليتها كانت القاضية بضم تاء ليت . فقال عمر بن عبد العزيز: عليك وأراحنا الله منك .

وعن البادية أخذ علماء اللغة فصيحها ، ومتوقحها ، وتعلموا في اختيار الافصح ، والا بعد عن الحواضر ، ومجاورة الاعاجم .. فعنوا عناية فائقة بما دونوه ، فاخلصوا لغة العرب في صميمها الذين لم ترتضخ لغتهم عجمة ، ولم يخدشها شذوذ ، ولم يداخلها تقصير .. دونوا لغة قريش ، وقيس ، وتميم ، وأسد ، وهذيل ، وبعض كنانة ، وبعض طيء ..

وتحاشوا الاخذ من لغة لخم ، وجذام ، وقضاعة، وغسان ، وأياد .. لمجاورتهم أهل الشام . وكذلك تحاشوا لغة تغلب ، ويمن الجزيرة ، وبكر ، وعبد القيس ، وازد عمان ، وأهل اليمن ، وبني حنيفة ، وثقيف .. لمجاورة بعضهم للفرس ، ولمجاورة الآخرين للاحباش ، ولان بعضهم اهل تجارة ، ونقلة ، واختلاط بمشبوهي اللغة ..

فاخلصوها من تلتلة بهراء ، ومن طمطمانية حمير ، ومن كشكشة ربيعة ، ومن ككة هوازن ، وفخفخة هذيل ، ووكم ربيعة ، ووهم كلب ، وعجعجة قضاعة ، وشنشنة اليمن ووتمها ، وعجرفة ضبة ..

وممن أخذ عن البادية ، ولقيهم في مرابعهم ومراتعهم ، وسمع منهم : يونس بن حبيب الضبي ، وخلف الاحمر ، والخليل بن احمد ، وأبو زيد الانصاري ، والاصمعي ، وأبو عبيدة ، والكسائي.. وهؤلاء هم من أول من رحل الى البادية واخذ عنها ، وهم من علماء القرن الثاني ..

وكان العلماء في القرن الاول يعتمدون الفطرة ، ويرجعون الى السليقة ، ويستأنسون بمن يلقونه من الاعراب ، ولما أوغل العلماء في التحقيق ، وتأنقوا في الاحصاء والاستقصاء ، وبعدت الحواضر الاسلامية من البادية ، وداخل لغة البادية المجاورين للحواضر ما داخلها .. بدأ عصر الرحلات ، ولقيا الاعراب ..

وكانوا اذا لقوا الاعرابي وشكوا في سلامة لغته ، امتحنوه ، وربما وضعوا له قياسا غير صحيح ، او جمعا غير وارد ، أو لفظا غير فصيح ، فان نطق به ، أو اقره ، طرحوا لغته ، وأن أبت سليقته ذلك اخذوا عنه ..

قال الاصمعي : سمعت أبا عمرو يقول : ارتبت بفصاحة اعرابي ، فاردت امتحانه ، فقلت بيتا ، والقيته عليه وهو :

كم رأينا من مسحب مسلحب
صار لحم النسور والعقبان

فافكر فيه ، ثم قال رد على ذكر المسحوب ، حتى قالها مرات ، فعلمت ان فصاحته باقية ..

وقال ابن جني : سألت مرة الشجري — وهو اعرابي من عقيل ، كانوا يرجعون اليه في اللغة — ومعه ابن عم له ، كان دونه في الفصاحة ، وكان اسمه غصنا — فقلت لهما : كيف تحقران حمراء ؟ فقالا : حميراء ، وواليت من ذلك احرفا وهما يجيئان بالصواب ، ثم دسست في ذلك علباء ، فقال غصن : عليباء وتبعه الشجري فلما هم بفتح الباء ، تراجع كالمذعور ، ثم قال : آه عليبى ..

وقال في موضع آخر : سألته يوما — يعني الشجري — : كيف تجمع دكانا ؟ فقال دكاكين . قلت : فسرحانا ؟ قال : سراحين .. قلت فعثمان؟ قال : عثمانون ! فقلت له : هلا قلت عثامين ؟ قال : أيش عثامت ؟ ارأيت انسانا يتكلم بما ليس من لغته ؟ .

وهكذا خاطب القرآن هؤلاء القوم ، بمستوى من البيان على غير مثال سبق ، ونهج من التعبير على غير مهيع عرف ، وبلاغة من القول هي المثل الاعلى ، والقول الفصل .. في كل ما تكلمت به أمة الضاد ..

لقد كان ازدهار لغة العرب بين يدي الاسلام، برعيل ممتاز من الشعراء المقاويل ، وبصفوة من الخطباء المصاقع ، وبصيارفة من النقاد ، يزنون ما تفيض به قرائح القوم ، وما تدفق به خواطرهم .. كانت تلك اليقظة اللغوية ، توطئة بين يدي الاسلام ، وترشيحا للذهن العربي لاستقبال المعجزة المنتظرة .. فكان البيان العربي قبيل ظهور الاسلام ، غاية في الابداع ، ونموذجا حيا في تاريخ اللسان العربي .. والا لما وقعت آية محمد عليه السلام من هؤلاء المقاويل ، موقع الذهول ، ثم الاستسلام ..

لم يكن الاعراب بلغتهم الصافية، وذكائهم الفطري واستعدادهم الذهني .. قوم استماع وفهم فحسب ، بل رشحتهم هذه الصفات ، ليكونوا مرجعا في تفسير القرآن ، وايضاح غريبه ، وتاصيل لغته ..

سال عمر بن الخطاب وهو على المنبر جماعة المسجد عن معنى قوله تعالى : او ياخذهم على تخوف. فسكت القوم ثم قام شيخ من هذيل فقال : هذه لغتنا التخوف : التنقص . قال عمر : هل تجد له شاهدا من لغة قومك ؟ قال نعم . قال شاعرنا :

تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن

وكان ابن عباس — وهو حبر الامة ، وترجمان القرآن — يقول : الشعر ديوان العرب ، فاذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي انزله الله بلغة العرب ، رجعنا الى ديوانها ، فالتمسنا معرفة ذلك منه .

وكان رضي الله عنه يجلس بفناء الكعبة ، ثم يكتنفه الناس ، يسالونه عن التفسير ، وثبته من كلام العرب ، وقد استشهد على جواب سؤال واحد بنيف وتسعين بيتا من الشعر العربي الفصيح .. وهو ما ساله عنه نافع بن الازرق .

وتابى سليقة الاعراب ان تقبل ما خرج عن مقاييسها الفطرية ، او تفهم ما جافى لسانها . بل ترد كل ما سمعته الى اصوله ..

دخل اعرابي على الوليد بن عبد الملك — وقد اسلفنا انه لحان — وكان عنده عمر بن عبد العزيز ، فقال الوليد للاعرابي : من انت بوصل الهمزة ؟ فظن الاعرابي انه يقول : منتت فقال : المنة لله ولامير المؤمنين . فقال عمر بن عبد العزيز : ان أمير المؤمنين يقول لك : من انت ؟ قال : فلان بن فلان . قال الوليد : ما شانك وفتح النون ؟ قال جدري في وجهي ، وفحج بساقي . فقال عمر بن عبد العزيز : ويحك ان أمير المؤمنين يقول : ما شانك وضم النون ؟ قال ظلمني ختني . قال الوليد : ومن ختنك وفتح النون ؟ قال : وما سؤالك عن ذلك يا أمير المؤمنين حجام عندنا بالبادية قال عمر : ان أمير المومنين يقول لك : من ختنك وضم النون ؟ قال : فلان . وهكذا ندرك ان البادية مصدر اللغة العربية الاول ، ومعدنها الاصيل ، وهي المرجع فيما اختلف فيه ، حتى في الفاظ القرآن والسنة .

ورغم ما اصاب الامة العربية من نكبات وهزات، عبر القرون المتتالية ، ورغم ما لحق لغتها من انتكاسات ، وعلق بها من أوضار ، وداخلها من عجمة.. مما جعل المعول في حفظها ، وبقائها .. على القرآن الكريم ، وعلى معاجم علمائها البررة .. رغم ذلك كله فقد بقيت البادية الى يومنا هذا ، تعتز بلغتها ، وتدل بلسانها الذرب ، وبيانها الجميل .. فعلي هضبة نجد ، ومرتفعات الحجاز ، ومناكب السروات .. قبائل ثابت لغتها على الواكز واللاكز ، وانفت من اللغة الحضرية اللينة الملحونة . وهي وان كانت لا تنطق لغة القرآن سليمة مستقيمة، ولا تواكب لغة أمرىء القيس، والنابغة ، وزهير .. واضرابهم ، على نحو ما وصل الينا من شعرهم ، الا اننا نجعل في الحسبان اختلاف اللهجات ، بشكل واضح ، ربما يصل الى استعصاء فهم قبيلة لهجة اخرى في بعض الاستعمالات والمسميات. ومعلوم ان لغة القرآن حصرت في لسان قريش .. كما نجعل في الحسبان ايضا ما هنالك من تسهيل في الهمز، وتسكين لاواخر الحروف ، وادغام لبعضها في بعض .. ونحو ذلك مما يكاد يتفق فيه أطلق الجميع .. بحيث اذا اجتمع بهم دارس العربية ، واستمع اليهم ينطقون.. ظنهم يرتضخون عجمة موغلة .. واذا تدبر ما يقولون ، وتفهم حقيقة النطق .. تكشفت له حقائق ما كان يظنها باقية في قومه .. وابرز ما يكون هذا في بلاد عسير ، وسراة قحطان ، ومنحدرات جبال الجنوب ، وسهول نجد ..

في احدى زياراتي لتلك المناطق ، كنت يوما جالسا في دكان احد الاخوة في مدينة ابها ، فدخل الدكان رجل مؤتزر بازار مصبوغ باللون الاحمر الغامق، ويلف اعلى جسمه ما عدا منكبه الايمن ، وجزءا من جنبه ، برداء سهك اغبث ، يشد وسطه على خنجر مفرطة الطول ، بحزام من الادم — هذا الرجل قصير اسمر ، نحيف ، عاري الاشاجع ، تتوقد عيناه ، وتريغان نظرهما هنا وهنالك ، مكشوف الرأس ، عن لمة منسدلة على مؤخرة رقبته ، مشدودة برباط من الادم ، غارزا في جوانبها طاقات من اغصان البعيثران والشيح .. فتكلم بما يشبه النقيق ، فهمه صاحب الدكان وأنا لم افهمه .. ولما قضى حاجته احب هذا البائع ان يعرفني مكانة هذا من اللغة العربية ، سليقة ، وفطرة، وكان البائع يعرف اهتمامي بمثل ذلك . فاجلسه معنا ، وقال لي تفهم كل ما يقول ، فاخذ يساله عن قبيلته ، وعن ارضه ، وماشيته ، ومن اية الطرق اتى ، وبماذا هبط المدينة.. الخ واذا به يتكلم اللغة العربية الفصيحة،

التي بعضها مهجور الاستعمال ، مودع بطون المعاجم ولولا سرعة نطقه ، وادغام بعض الفاظه ، وترك الهمز في بعضها ، لم يفتني من عربيته الاصيلة شيء..

قلت لصاحبي : ممن هذا ؟ قال : من قبيلة ربيعة. ومعلوم انها ربيعة اليمن لا ربيعة اخت مضر .

اما بادية نجد ، فهم صميم القبائل القحطانية ، والعدنانية . قحطان ، والدواسر ، وسبيع والعجمان، وآل مرة ، وبنو هاجر ، وبنو خالد ، والسهول ، وعتيبة، ومطير، وشمر، وحرب، وعنزة، والقرينية.. وغيرهم من القبائل الضاربة في نجد وما جاورها ، هؤلاء لكل منهم لهجة خاصة به ، من اليسير على العارف ان يلتقي فردا لا يعرفه ، ولا يعرف من اية القبائل هو .. وبمجرد مخاطبته يدرك انه من القبيلة الفلانية ..

فمثلا قبيلة شمر ، نشير الى شيء من لهجتها : هي تقلب الهمزة (شيء) الى نون ، فتقول : ما رأيت شينا ، وما وجد شين ، وما حظيت بشين .

وهي ايضا تستعمل لفظ (دهج) بمعنى مر ، او الم ، تقول : دهجت المنهل الفلاني : يعني مررت به ، او الممت به .

وتستعمل (نهج) بمعنى ذهب ، ومرادفاته ، تقول : نهج فلان : بمعنى ذهب او سافر ، او راح ..

كما أن لهجتهم على مذهب القائل :

ايها السائل عنهم وعني
لست من قيس ولا قيس مني

فهم يحذفون نون الوقاية ، من (عن) و (من) الشاذ حذفها فيهما لغة ، اذا اتصل بها ضمير المتكلم . فيقولون : ليس عليك مني ، بكسر النون فقط . وهل سال عني بكسر النون فقط وهكذا ..

وهم أيضا يقلبون الهمزة من (ماء) نونا فيقولون: مان :

وباء الجر المتصلة بالضمير يضمونها ، فيقولون: ما به مان : أي ما به ماء .

ويسمون الجدول : سريا ، وهذه موافقة للغة القرآن .

ويسمون السنبل : سبلا

ويسمون المنجل : مخلبا

ويسمون البندقية : بارودا .

وهكذا تتميز لهجتهم ، كما تتميز كل لهجة من اللهجات الاخرى ، عن اختها .. غير انها تلتقي في صميم اللغة وفصيحها .. وتجمع على محاربة الدخيل والشاذ .. ويتفق أهلها على نقد ما تاباه اللغة وتنكره.. ادخل احد الحضريين انفه في حديث في الابل ، بحضرة رجل كبير في بلادنا ، فجاء هذا الواغل بمفرد للابل ، فقال : ما راينا ولا (بلة) واحدة ، فكانت مثار سخرية ، وهمز وغمز ، واستهجان ومعروف ان الابل لا مفرد لجمعها ، وفي لهجتهم : يقال : ابل واحده للمجموعة الواحدة من الابل، وفي المجموعتين من الابل يقال : فلان يملك ابلين . ويقولون اذا تجاوزت الابلين: فلان يملك ثلاث رعايا ، او ثلاث عصي ، فيكنى بالعصا عن الابل . وهكذا .

واسماء اعضاء الناقة ، واجزاء جسمها ، تختلف عن اسماء ذلك . من الفرس ، ومن الشاة ، ومن غيرهما ، وكذا الحال بالنسبة للطير ، والوحش ، وسائر الدواب .. فاذا اعطى حضري ، أو مستعرب ، اسما أو صفة لجنس من ذلك هو معروف للجنس الثاني، فقد استهدف للنقد، وتعرض للسخرية والهزء..

ونجد ان من يعيش في احضان البادية من الحاضرة ، أو يكثر الاحتكاك بالاعراب ، او يعيش في قرى او مواضع تربها البادية .. نجد لغته تتسم بالفحولة ، والجزالة والقوة ..

ولما كان الشعر حليفا للعربي منذ اقدم العصور، تغنى به وفخر ، ووصف وبكى ، ومدح ورثى .. وسلك به شتى المذاهب، وولج شتى الابواب .. ولم يزل كذلكم فما هو شعر بادية اليوم ونحن لا نزال نعترف لهم بسلامة اللغة واصالة المنطق !

رغم ان شعر البادية اليوم يسمى شعرا شعبيا، ويسمى شعرا نبطيا ، ويعيش في عصر فارق فيه شعر السليقة والطبع ، وسلامة اللغة ، منذ ما يزيد على الف سنة ، ولكنه ينزع الى اصله ، ويمت اليه .. تقرؤه على انه شعر شعبي ، ويقرؤه الكل كذلك ، ولكن اذا وقفت عنده وقفة الدارس ، واردت ان تواشج بينه وبين الفصيح ، وجدته يعود اليه ، ويعول في أوزانه ، ورويه وقوافيه ، عليه ، ويلتقي معه في اغراضه ومناحيه ، ويحمل صورا من الجمال، ودفقات من الفن ، والموسيقى ، والجرس تطرب وتعجب ..

ان من يتذوق هذا الشعر ، بعد دراسة ورياضة طبع.. يجده ذلك الشعر الفصيح بعينه ، بل يمتاز عليه شعر البادية اليوم ، او الشعر الشعبي ، بانطلاقه من بيئة عربي اليوم ، ومجتمعة ، وحمله طبع العربي ، وصفته كما خلقه الله ، من غير تعمل ، ولا تمحل ، حيث ينطلق من الخباء ، والمزرعة ، والريف ، والفلاة، والقرية ، والمعسكر . الخ .. اما شعرنا الفصيح اليوم، فهو ابن المدرسة ، او المدينة المترفة ، او المجتمع المتحضر ..

تعالوا نستقرىء طاقة من شعر البادية، ونتلمس خلالها صلتها بشعرنا العربي الفصيح :

قال الشاعر الشعبي ما جد القبائي :

فما الناس الا من تراب معادن
وما طاب من تلك المعادن طابا

بيت من قصيدةشعبية طويلة، قالها اعرابي فيشملته انطلق فيها عن سجيته، وتراها كما يترؤها غير من رواة الشعر الشعبي، ومريديه، بلغة عامية دارجة .. ولكن حينما تعود بهذا البيت الى اصله ، بصفتك دارسا للشعر الفصيح ، ومتذوقا له، الست تجده بيتا موزونا مقفى ، سليم اللغة بكر السبك يرمز الى حكمة نبوية كريمة : الناس معادن كمعادن الذهب والفضة .. الخ.

ثم اقرأ للشاعر نفسه :

نديت على الدنيا شفا لو نديبه
على الدين ما مس النفوس عذاب

يقول نداب في طلب الدنيا ، دابا لو دابناه على ديننا ، ما مس نفوسنا عذاب . جرى شاعرنا على لغة من لا يهمز ، وقلب الهمزة ياء ، كما هو شأن الشعر الشعبي .

وللشاعر الشعبي راشد الخلاوي :

ولا يد الا يد الله فوقها
ولا غالب الا له الله غالبه

كل يد مهما قويت فهناك يد اقوى منها ، هي يد الله ، وكل غالب قاهر ، فالله اقوى منه ، وقادر على قهره وقهره .

وله ايضا :

على من تديم العمر نفس عزيزة
امضى على عصيانها بالنواجد

منذ نعومة اظفاري ، ونفسي لا تقبل الدون ، ولا ترضى بالهون ، واذا راودتني عصيتها ، وعضضت على عصيانها نواجذي ، فهي عزيزة ابدا ..

وقوله :

مقام الفتى في منصب العز ساعة
ولا الف عام يصحب الذل صاحبه

فلا بالتمني تبلغ النفس حظها
ولا بالتاني فاز بالصيد طالبه

حياة الفتى هي العز ، ولو لم يكن الا ساعة واحدة ولو عاش الف عام ، وهو في ذل ، فليست حياة الذل بحياة ..

ثم دعا في البيت الثاني الى العمل ، ورفض التمني ، ودعا الى انتهاز الفرص ، واهتبال الاوقات.. فبئس من كانت بضاعته الاماني ، وتعس من فرط في الفرص واضاعها ..

وقال الشاعر الشعبي ابو حمزة العامري :

تابى من الطمع الزهيد نفوسنا
وفروجنا تأبى عن الفحشاء

نفوسنا ابية لا تقودها المطامع الى ذلة ، وفروجنا عفة لا تستهويها الفحشاء .. ونعم الصفات صفاتهم .

وقال بركات الشريف :

فلا تعد تعدلاني لاني عن وقوفي بربعها
فمن قبلكم خالفت بالنصح عذالي

اروم الامور العاليات بهمة
ويمنعني خذلان قومي واقلالي

وجزت فجاج الارض شرقا ومغربا
على كل عيس تقطع البيد مرقال

وليس يلام المرء بعد اجتهاده
ولا يدفع المقدور حيلات محتال

الى ان قال مادحـــــا :

فتى لا يرى الامـــوال الا ودائعـــا
لديه سوى سيف ورمح وسربـــال

وعدة بولاد ولدن مـــــن القنـــا
وصفرا علنداة من الخيل مصهـــال

ألستم معي فى ان هذا الشعر الى جانب كونه صحيحا فصيحا ، فهو يحمل صورا حية من الجمال ، ولفتات بارزة من المعاني الشعرية ، المؤثرة .. وانـــه بهذا يمثل الشعر العربي الفصيح ، رغم انه قيـــل بالسليقة ، ونبع من البيئة العامية ؟!

وبعد فهذه هي لغة البادية ، نثرها وشعرها ، تبرز من خلالها سجايا هؤلاء الاعراب ، وتشف من طباعهم الكريمة ، وأخلاقهم المثلى ، وتنبىء عن الآصرة التي تربطها بالفصحى ..

لنا اذا لغة فى بطون الاسفار ، نجترها ، ونرجع اليها، ونصدر عنها .. تلتقي أخرى توارثتها السنة الاجيال ، وتناقلها الخلف عن السلف ، وبقيت مصدرها السليقة ، ومنطلقها الطبع ، وحارسها الغيرة ..

وعلى الغياري من علماء هذه الامة وادبائها فى هذا الجيل مسؤولية حملها اياهم اسلافهم البـــررة الاوفياء ، الذين خلصوا هذه اللغة من كل شائبـــة وريبة ، ولم يزالوا قوامين عليها ، غيرا على حماها.. يلقون ما يخدش لغتهم بالنقد اللاذع ، ويتقبلـــون ما يأنفونه بالرد الموجع ، ويلاحقون الواغل الدخيـــل ، كما يلاحق المجرم .. حتى وصلت الينا ..

فما هو موقفنا من هذا التراث الضخم ، فى عصر العلوم ، والفنون ، والمخترعات . وعصر تواشـــج الامم، وتقاربها واندماجها .. وعصر التقليد والمحاكاة ــ تقليد الاضعف للاقوى .. ان هذه الامانة تستهدفها هذه التيارات ، وتنقصها من أطرافها ، وتنازعها البقاء .. تريد منا غيرة ولا كغيرتنا على التراب ، والكيـــان ، والمصالح ..

وتريد منا لغة البادية ــ وقد علمنا مكانتها من لغتنا وقومنا ــ ان نتخذ الوسائل الكفيلة برعايتهـــا ، وحمايتها وجعلها منطلقا لاحياء لغة الضاد ، سليقة وطبعا ، فى السواد الاعظم من بني جلدتنا ، على نحو ما كان اسلافنا يعملون ، فى الاستفادة من لغة البادية، وطبعها ، وخشونتها ، ورجولتها ...

واننا ان شاء الله لفاعلون .

الصراع بين الفصحى والعامية
أو
أثر الازدواج اللغوي في أسلوب يوسف السباعي

الدكتور زكي عبد الملك
أستاذ الأدب العربي والعلوم اللغوية
جامعة يوطا (الولايات المتحدة)

في العالم العربي ازدواج لغوي قوامه اللغة الفصحى واللهجات العامية الدارجة . فأما اللغة الفصحى فتستخدم في اكثر الاغراض الكتابية كما تستخدم في اكثر الاحاديث التي يغلب عليها الطابع الرسمي . وأما اللهجات العامية فيستخدمها الناس في غير تكلف لقضاء حاجاتهم العادية . والاغلبية الساحقة من المثقفين في البلاد العربية يرون ان **اللهجات العامية لا تصلح للتعبير الادبي** ، ولهم في ذلك حجج يجدر بنا ان نعرض لها في ايجاز :

واهم تلك الحجج ان **اللغة الفصحى لغة القرآن** وعلى معرفتها يتوقف فهم القرآن . لذلك تحمل علماء اللغة فيما مضى الوانا من المشقة وضروبا من العناء في شرح قواعدها (1) ، ولذلك يأبى العرب اليوم ان يستبدلوا بها اللهجات العامية في كتابة الادب فيقصوها من حياتهم القصاء لا ندري أتعود بعده أم لا تعود .

ثم ان **اللغة الفصحى** تعتبر عند العرب **أرقى من اللهجات العامية وأعذب** ، واتقانها دليل عندهم على الثقافة العالية والذوق الرفيع . ليس غريبا اذن ان يرد طه حسين جهل فريق من الشعراء بالفصحى الى الكسل والتقصير والقصور (2) .

واللغة الفصحى مشتركة بين العرب اينما وجدوا فالمغربي يقرا ما يكتب في مصر فيفهمه ، والمصري يقرا ما يكتب في المغرب فيفهمه . أما اللهجات العامية فتختلف باختلاف المناطق ، واستخدامها في كتابة الادب يحول بين الادباء في كل منطقة وبين القراء في المناطق الاخرى .

بقيت حجة اعرب عنها الدكتور محمد مندور حين زعم ان العامية الدارجة تضيق عادة بالتعبير عن اعمق المشاعر وادق المعاني « بحكم انها لا تزال مقصورة على حياة الاميين الذين لا يستعملونها الا في التعبير عن حاجات حياتهم الضيقة في تنوع المشاعر ودقة التمييز بينها ، فضلا عن عمق الخاطر او اصالته » (3) .

ولما ظهرت القصة الحديثة في الادب العربي ونشأ فن المسرح العربي الحديث ، اخذ بعض الادباء يتبرمون باضطرارهم الى انطاق الشخصيات القصصية والمسرحية باللغة الفصحى . وتساءل أولئك الادباء : أليس عجيبا أن يجري الحوار بلغة فصيحة متينة السبك بين أشخاص لم يصيبوا من الثقافة كثيرا ولا قليلا ؟ أليس ذلك مما يفسد القصة والمسرحية وبناء

---

(1) « المقدمة » للعلامة ابن خلدون (القاهرة:مطبعة التقدم) ، الجزء الاول ، ص 455 .

(2) « حديث الاربعاء » لطه حسين (القاهرة :دار المعارف ، 1957) ، الجزء الثالث ، ص 200 — 201 .

(3) « المسرح النثري » للدكتور محمد مندور(القاهرة : معهد الدراسات العربية العالية ، 1959)، ص 81 .

بهما عن الواقع الذي تجتهدان في تصويره ؟ ومع ذلك ظل اكثر الادباء والنقاد يرون **اللغة الفصحى خير اداة للتعبير في المسرحية والقصة ، ويقاومون استبدال العامية بها ؛** فالدكتور محمد مندور مثلا لا يتردد في رفض الدعوة الى استخدام العامية في المسرحية ، وهو يعلل رفضه على النحو التالي :

« كل مسرحية انما هي حكاية حال ... ولا يمكن أن تكون حكاية لسان ، فالمؤلف لا ينطق لسان مقال شخصياته الروائية بل ينطق لسان حالهم ، والواقعية ليست في اللغة وانما في التصوير النفسي للشخصيات ومدى مطابقة هذا التصوير لواقع الحياة الظاهر منها والخفي ، والذي تستطيع الشخصيات التعبير عنه أو لا تستطيع . والذي يحدث فعلا هو ان المؤلف يعبر بلغته هو وبلسانه ، وكل ما يطلب منه هو ان يأتي تعبيره صادق التصوير لواقع شخصياته . وسيان في ذلك ــ من الناحية الفنية ــ أن يستخدم لغة عربية فصيحة أو عامية أو اية لغة اخرى » (4) .

والاديب المصري يوسف السباعي ممن يرون ان العامية في القصة والمسرحية دورا يجب ان تؤديه . وقد عرضه ذلك لنقد عنيف رد عليه أكثر من مرة لم تظاهر بالاعراض عنه ، ولكنه تأثر به ما في ذلك شك ، فقد مر اسلوبه القصصي بمراحل ثلاث : كان في المرحلة الاولى اسلوبا جزلا فصيحا يكثر فيه الاستشهاد بالشعر ويوشك أن يبرا من العامية . ومن خير الامثلة على أسلوب هذه المرحلة كتاب «اطياف» (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، 1947) ، فانت تقرأ فيه الصفحة تلو الصفحة فلا تجد من العامية (5) الا الفاظا قلائل متفرقة ، يدل عليها المؤلف ويميزها من بقية الالفاظ كأنه يعتذر منها الى القارىء : (6)

اني لم ارك منذ كنت تصطاد السمك على شاطىء الترعة « بالبنطلون القصير »

ما زالت ذاكرتك قوية « يا عم محمد »

ساجهز لك « سنارة » لصيد السمك .

وقد تجد بين صفحات الكتاب احيانا ما يبعث في نفسك شعورا قويا بأن المؤلف يشق على نفسه في الكتابة ، ويتكلف من العناء شيئا غير قليل في اختيار الالفاظ حتى تستقيم له العبارة ويبرأ اسلوبه من العامية : (7) .

ــ قم يا ابن اللئيمة . ماذا تفعل ههنا ؟ تالله لئن رأيتك خطوت الى هنا مرة ثانية لادقن عنقك .

ــ لتقر عيناك يا أبا لهب ، ولتهدأ بالا . لتتخذن لك من داري مأوى ومخبأ .

وفي المرحلة الثانية تنقسم القصة من حيث الاسلوب الى قسمين : القسم الاول هو ما يقدمه السباعي نفسه بين يدي القارىء من تحليل ووصف للزمان والمكان والاحداث والشخصيات . واسلوب هذا القسم فصيح رغم أن الالفاظ العامية تتسرب اليه بين الحين والحين . والقسم الثاني هو الحوار ، واسلوبه عامي ليس فيه من آثار الفصحى الا الهجاء . ومن خير الامثلة على أسلوب هذه المرحلة كتاب « السقامات » (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، 1952) الذي شرح السباعي في مقدمته موقفه من العامية :

« التقيت ذات يوم بالاستاذ احمد بك عباسي كبير مفتشي اللغة العربية بوزارة المعارف ، فانبأني ان الوزارة كانت توشك أن تقرر بعض كتبي لمدارسها لولا ان اللجنة المختصة رات ان الكتب تحوي بعض عبارات بالعامية ....

« وعلى هذا فلم اكد ابدأ هذه القصة حتى ذكرت وزارة المعارف ومطالبها التي تتفرع عن اللغة العامية، وعزمت أن أقيم سياجا منيعا يحول دون تسرب الالفاظ العامية التي تأبى الا أن تفرض نفسها فرضا في سياق الحديث . واخذت في الكتابة محاولا اجراء الحوار بين أبطال القصة باللغة الفصحى ، ولكني لم اكد أكتب بضع صفحات ، ولم اكد « أحمي » في الكتابة ، حتى وجدت أبطال القصة ينطلقون على الرغم مني في الحديث بالعامية ...

(4) المرجع السابق ، ص 57 ــ 58 .
(5) اللهجة العامية التي يستخدمها يوسف السباعي في قصصه هي اللهجة القاهرية .
(6) ص 82 .
(7) المثال الاول مقتبس من صفحة 25 والثاني مقتبس من صفحة 28 .

« ولست اشك اننا في فترة صراع بين العامية والفصحى .... »

« وهذه قصة يبدو فيها هذا الصراع بين الفصحى والعامية . ولا جدال هناك في ان الغلبة – في الحوار – للعامية ، لانه من المستثقل المحجوج أن نحاول انطاق اشخاص القصة باللغة الفصيحة وهم لا يمكنهم في حياتهم الطبيعية ان ينطقوا بها » . (8)

واستئثار العامية بالحوار جلي في العبارات التالية التي نقتبسها من الكتاب : (9) .

— ما فيش لزوم يا سعادة افندي . انا رايح القهوة بتاعتنا عشان عندي شوية شغل عايز اقضيهم .

— وماله . تقضي شغلك وبعدين نروح سوا .

بقي اسلوب المرحلة الثالثة ، وهو يفوق الاسلوبين السابقين في الاهمية لسببين :

أما السبب الأول فهو ان السباعي يلتزم ذلك الاسلوب في أكثر ما كتب من قصص ، ولعله قد استقر واتخذه مذهبا دائما . واذن فقد يكون ذلك الاسلوب النتيجة التي انتهى اليها الصراع بين العامية والفصحى عند السباعي . وما دامت خصائص الازدواج اللغوي واحدة في كل مكان (10) فقد يكون في اسلوب هذه المرحلة من الخصائص ما هو شائع في الاساليب القصصية اينما يوجد الازدواج اللغوي .

واما السبب الثاني فهو ان السباعي من أكثر العرب انتاجا ، فقد نشر بين عامي 1947 و 1968 خمسة واربعين كتابا ، منها خمس مطولات مسرفة في الطول هي : « رد قلبي » و « ناديا » و « جفت الدموع » و « ليل له آخر » و « نحن لا نزرع الشوك » . وأكثر قراء السباعي من الشبان الذين تبدأ حياتهم الادبية عادة بتقليد ما يطالعون . وقد ظفر السباعي من ثناء النقاد (11) بما يغري القراء بتقليده ان كانوا في حاجة الى الاغراء ومنهم من يعجبون به اعجابا يخرجهم من طورهم احيانا . (12) لن يدهشنا اذن ان يكتب عدد كبير من قصص المستقبل باسلوب المرحلة الثالثة .

لهذين السببين يجدر بنا ان نحلل اسلوب المرحلة الثالثة في شيء من الاناة والتفصيل . واول ما نلاحظه ان السباعي في تحليله ووصفه يصطنع اسلوبا فصيحا تعترضه احيانا الفاظ عامية او اجنبية كالالفاظ التالية:

برنيطة ، معيز ، بنج بونج ، دكة ، شلة ، شورت ، بوز ، تنس ، مد موازيل .

لكن الجديد حقا في اسلوب هذه المرحلة هو ما تجده في الحوار . ذلك أن لغة الحوار ليست فصيحة صرفا ولا عامية صرفا ، وانما هي بين بين ، تاخذ من هذه بمقدار ومن تلك بمقدار . ومن خير امثلة على هذا الاسلوب كتاب « نادية » (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، 1960) . تقرأ ذلك الكتاب فيخيل اليك ان الاشخاص يتخاطبون على فطرتهم بالعامية ، ولكنك تتأمل ما يقولون فاذا انت مضطر الى الاعتراف بان للفصحى أثرا ظاهرا لا سبيل الى انكاره . على هذا النحو يجتهد السباعي في التوفيق بين العامية والفصحى وهو يتوسل الى هذا التوفيق باربع وسائل هي : اقتباس ، واصطناع كلمات « الطبقة الدنيا » ، وترجمة التعابير العامية الى الفصحى ، وتجريد الكلمات من علامات الاعراب . ولنفصل :

الاقتباس

يقتبس السباعي من الانجليزية والفرنسية عددا غير قليل من المفردات ولكنه ، كما يتضح من الامثلة التالية ، قل ان يقتبس العبارات :

هالو
ول
تيم
جمنزيم
بونجور

(8) ص 6 – 8 .
(9) ص 261 .
(10) Charles Ferguson, « Diglossia », Word, Vol. XV (1959), pp. 325-340.
(11) من هذا الثناء ما كتبه توفيق الحكيم في « يا امة ضحكت » ليوسف السباعي (القاهرة : مطبعة روز اليوسف 1955) ، ص 5 – 8 .
(12) سجل يوسف السباعي شيئا من هذا الاعجاب في كتابه « اني راحلة » (القاهرة : مؤسسة الخانجي 1950 ، ص 10 – 15 .

غير ان ما يقتبسه السباعي من اللغات الاجنبية قليل اذا قيس بما يقتبسه من العاميــة . ذلــك ان السباعي لا يقنع فى اقتباسه من العامية بالمفردات بل يتعداها ، كما ترى فى الامثلة التالية ، الى التعابير ولا سيما التعابير المجازية والامثال السائرة :

ماما — فسحة — عبيطة

بابا — جاكتة — يزغد

شماعة — فانلة — طس

زور — فتلة

امال — سي (سي عمر)

اللــه ! — يا ريت

اما (اما مفاجأة !) — وماله

على سن ورمح — عيون فارغة — يفتح الله

لا هنا ولا هناك (لا انا لا هنا ولا هناك)

جــه تقبهــا على شونــة

اكف الجرة على فمها تطلع البنت لامها

الله يخرب بيته — الله يعمر بيته — لا مؤاخذة

راح الله لا يرجعه — اشيل مين فيهم — راجل اليط انت بنت مايعة — ميامة بنات — مش بطال — برك على انفاسي — حاضر يا فندم .

وثمة نوع آخر من الاقتباس يتميز به الحوار فى المرحلة الثالثة هو اقتباس التراكيب من العامية . ومن امثلة ذلك :

(1) العطف بدون حرف عطف :
قومي البسي

(2) تكرار اللفظة للدلالة على الاستهتار :
شيوعيون شيوعيون

(3) مخالفة البدل للمبدل منه فى التعريــف والتنكيـــر :
عند دادة فاطمة

(4) استعمال الواو للدلالة على الاستمرار :
ثلاث ساعات وانا واقف على قدمي

(5) مخالفة بعض الصفــات للموصوف فى التذكير والتأنيث ، او فى الافراد والتثنية والجمع :

فستان بمبة — زهور بمبة — ناس بلدي

ولنلاحظ ان السباعي فى اقتباسه من العامية متأثر بالفصحى من حيث لا يدري . فما ينطق فى بعض الكلمات العامية همزة يكتبه السباعي قافا ، وما ينطق فى البعض الآخر دالا يكتبه ذالا :

نقبها — خذ بالك

اصطناع كلمات « الطبقة الدنيا »

الكلمات المشتركة بين اللغة الفصحـــى واللهجة العامية القاهرية ثلاثة انواع :

(1) كلمات لا تختلف صيغها العامية من صيغها الفصيحة ، ومن هذه الكلمات « كتب » و « درس » و « بلد » و « من » وهلم جرا .

(2) كلمات لكل منها صيغة فصيحة واخــرى عامية : والصيغتان تختلفان اختلافا يقرره قانــون لغوي عام . فالصيغ الفصيحة « نائم » و « صائم » و « عائم » و « دائم » و « فوائد » تختلف عن نظائرها فى اللهجة القاهرية (« نايم » و « صايم » و «عايم » و « دايم » و « فوايد »)
اختلافا يقرره القانون اللغوي القائل ان المشتقات من مجرد الثلاثي الاجوف تكون عينها فى العامية القاهرية ياء اذا كانت فى الفصحى همزة .

(3) كلمات لكل منها صيغة فصيحة واخرى عامية : والصيغتان تتشابهـان الى حـد وتختلفـان الى حد ، ولكن ما بينهما من فرق لا يقرره قانون عام . فالفروق التي تميز الصيغ الفصيحة « رجــل » و « امراة » و « عربة » من نظائرها فى اللهجة القاهرية (« راجل » و « مره » و « عربيه ») لا تقررها قوانين عامـــة .

ومن الكلمات المشتركة ما له مترادفات تنفرد بها الفصحى من دون العامية ، ومنها ما ليس له مثيل هذه المترادفات : فالفعل « دوخ » مشترك بين العامية والفصحى ، وله مرادف فصيح لا تشترك فيه العامية هو « ارهق » . واسم الفاعل « صائم » مشترك بين العامية والفصحى كذلك ، الا اننا لا نجد له مرادفــا تنفرد به الفصحى من دون العامية .

يمكننا اذن ان نقسم الكلمات الفصيحة الى ثلاث طبقات : طبقة عليا تأتلف من كلمات تنفرد بها الفصحى من دون العامية (مثل « حذاء ») ، وطبقة وسطى تأتلف من كلمات مشتركة فصيحة الصيغة ليس لها مترادفات بين كلمات الطبقة العليا (مثل « صائم ») ، وطبقة دنيا تأتلف من كلمات مشتركة فصيحة الصيغة لها مترادفات بين كلمات الطبقة العليا (مثل « دوخ »).

وكلمات الطبقة الدنيا تتسم بطابع عامي مصدره وجود مترادفات لها فى الطبقة العليا . لذلك يزور أنصار الفصحى عن كلمات الطبقة الدنيا ؛ اما يوسف السباعي فيتعمد اختيار تلك الكلمات ليبلغ ما يريد من التوفيق بين العامية والفصحى . وفيما يلي بعض ما يستعمله السباعي من كلمات الطبقة الدنيا ، وما يؤثره أنصار الفصحى من كلمات .

كلمات الطبقة الدنيا	كلمات الطبقة العليا
قومي	انهضي
راقدة	مضطجعة
يدوخونه	يرهقونه

ترجمة التعابير العامية الى الفصحى

نصح الدكتور محمد مندور للقصاصين بترجمة اقوال العامة كلما دعت الى ذلك مشاكلة الواقع (13). وقد وفق السباعي الى نوع من الترجمة لا نزعم انه يرضي الدكتور محمد مندور ، ولكنه ابرز ما يتميز به الحوار فى المرحلة الثالثة .

يعمد السباعي الى العبارة العامية فيبقي فيها على النوع الاول من الكلمات المشتركة ، اما بقية الكلمات المشتركة فانه يستبدل صيغها العامية بالصيغ الفصيحة ، واما الكلمات التي تنفرد بها العامية من دون الفصحى فانه يستبدلها بنظائرها الفصيحة . وفيما يلي بعض العبارات العامية ، والترجمة التي يستعملها السباعي ، والعبارات التي يؤثرها أنصار الفصحى :

العبارات العامية	الترجمة	العبارات الفصيحة
سليم اربعة وعشرين قيراط	سليم اربعة وعشرين قيراطا	معافى تماما
سليم ميه فى الميه	سليم مائة فى المائة	معافى تماما
زي الجن الازرق	كالجن الازرق	معافى تماما
فاتك نص عمرك	فاتك نصف عمرك	ضاع عليك الكثير
وراني نجوم الضهر	اراني نجوم الظهر	ارهقني من امري عسرا
تشتغل عليه	تشتغل عليه	تنصب له اشراكها
ادهاني وانا واقف	اعطاها لي وانا واقف	اعطاني اياها فى الحال
ميهمنيش رمضان	لا يهمني رمضان	رمضان لا يعنيني فى شيء
راجل امير	رجل امير	رجل طيب القلب
تعملي العمله	تعملين العملة	تأتين ما يشين
لمي جسمك	لمي جسمك	احتشمي
لازم الفستان ما جاش عند المكوجي	لا بد ان الثوب لم يأت من عند المكوجي	لا بد ان الثوب لا زال عند الكواء

(13) « فى الميزان الجديد » للدكتور محمدمندور (القاهرة : مطبعة نهضة مصر) ، ص 55 .

. ونحن نصر على ان نقطة الانطلاق ليست العبارات الفصيحة ، اي ان السباعي لا يعمـد الى العبارات الفصيحة فيختار منها أقربها الى العامية . ولو كان ذلك مذهبه لما عثرنا في كتبه على تعابير مثل « رجل امير » و « تشتغل عليه » لانها لا تؤدي في اللغة الفصحى ما يقصد اليه من معنى .

تجريد بعض الكلمات من علامات الاعراب

اكثر الكلمات التي يجردها السباعي من علامات الاعراب هي اسماء العلم ، وهو يجردها عادة من علامة النصب ومن التنوين . غير أن السباعي احيانا يجرد من علامات الاعراب ومن التنوين كلمات غير اسماء العامية . وستجد في الجمل التالية امثلة على ما نقول: العلم ، ولا سيما اذا كانت تلك الكلمات مقتبسة من

ساعود الى البيت لارى فاضل

لا بد ان اذهب لارى عصام

انا احب عصام

اريد غيار لنادية

وضع الدكتور لها مرهم

اتظنين الرئيس جمال عبد الناصر فاضي ؟

يرى تشارلز فرغيسون ان « التخصص من اهم مميزات الازدواج اللغوي » . (14) وهو يقصد بذلك أن العامية قل أن تؤدي من وظائف الفصحى شيئا ، وان الفصحى قل ان تؤدي من وظائف العامية شيئا. ذلك حق ، ولكنا نرى مما سبق ان العامية والفصحى تتنازعان في بداية الامر ، وان ما يكون بينهما من تنازع على وظيفة بعينها لا يتمخض عن نصر حاسم الا بعد مرور زمن قد يطول . فظهور وظيفة جديدة في الادب العربي ، هي القصة الحديثة ، قد اثار بين العامية والفصحى خصومة شديدة وصراعا عنيفا . وليس اسلوب المرحلة الثالثة عند السباعي الا اثرا من آثار هذه الخصومة وصدى من اصداء ذلك الصراع .

(14) Charles Fergusson, « Diglossia », Word, Vol. XV (1959), p. 328.



أساليب ومناهج صياغة اللفظ في التعبير العربي

للدكتور باناهي (باكو) "الاتحاد السوفياتي"
ترجمة الأستاذ فؤاد حمودة "الرباط"

لم تزل صياغة الكلمات التي تعالج شتى مناحي الحياة الاجتماعية تشكل القضية العلمية التي تواجه المصطلح اللغوي او الفني الحديث في اللغة العربية ، والتي لما يتوصل بعد الى حلها .

ان مراجعة معاجم اللغة واستقـراء المـواد والنشرات العلمية لتعطي للقارىء فرصة الوقوف — بين الحين والاخر — على بعض المصطلحات الاوربية الدخيلة .

وفي العصر الحاضر وخلافا لما كان سائدا في العصور الوسطى فان عددا وافرا من تلك المصطلحات الاوربية الغربية ، تحيد عن قواعد اللغة العربية من حيث الصرف والاعراب وفن تركيب الكلمات وضبط التهجئة بل وفق قواعد علم الاصـوات والسميـات اللغوية ويتمثل ذلك في علوم الفسيولوجيا . والمترولوجيا . والجيولوجيا.... الخ .

ولا مناص من القول بان اقحام مثل هذه الكلمات في اللغة العربية من شانه ان يتهدد مستقبل تلك اللغة وعوامل تطورها ، فضلا عما يؤدي اليـه من بلبلة واضطراب في ضبط التهجئة واحكام الاملاء وصحة اللفظ وصياغة الكلمات واخيرا في قواعد الاعراب .

فاذا وقرت في الاذهان تلك الحقيقة العلمية فانه يجب أن يكون التدرج في الاخذ بتلك الكلمات الاوربية وفسح مجال لها في معاجم اللغة العربية ومراجعها بكيفية محدودة للغاية .

وثمة خطر آخر يواجه اللغة العربية يتمثل في نقل المصطلحات الفنية انطلاقا من اللغات الاوربية وترجمتها الى العربية . وليس يخاف أن معظم الكلمات المركبة والاوربية الاصل قد استعارتها بحالتها الانشائية الثابتة اي اخذت الكلمة بصورتها الاوربية وكتبت باحرف عربية. بالرغم من انه كثيرا ما نجد أن الكلمة الاوربية تلك انما يتكون هيكلها من مزيج مركبين او اكثر الامر الذي ينتج عنه في بعض الحالات أن العديد من تلك الالفاظ لا يتوام ومقتضيات مفهوم الكلمات ومعناها . لا سيما وان منها ما هو متعدد المعنى ، اي يمكن استعماله للدلالة على اكثر من معنى واحد فهي — والحال هذه — ليست محكمة الضبط للتعبير عن معنى بعينه ، مما قد يؤدي في النهاية — حال استعمالها بتمام شكليتها الاوروبية معربة — الى عدم تحديد مؤداها وما تستهدفه على وجه التدقيق — من معنى او صفات وسمات مميزة تلك هي النتيجة المبتسرة التي يؤدي اليها استعمال تلك الكلمات والتي مردها عدم احكامها وتوثيقها والاقتصار على مجرد تغيير ملامحها باستبدال الحروف العربية بالاحرف الاوربية. ولهذا فانه لمن الاهمية بمكان الاشارة الى ان اي تركيب لغوي — يراد تحويله الى كلمة مركبة او تغيير فني أو مصطلح علمي — يجب التيقن بادىء ذي بدء أنه يتوفر على صيغة متماسكة معينة كما يحتوي على مضامين مدققة فكما أن من شان ذلك تلخيص هذا التركيب من خاصية تعدد المعنى وتكريسه للدلالة على مفهوم محقق ومضبوط ، فانه من شانه ايضا أن يؤدي الى

تفهم صياغة الكلمات المتزاوجة وليدة هذا التركيب . وهذا التركيب في اللغة العربية يطابق ما يسمى بالمركب المزجي الذي يساير كل القواعد اللغوية . وكما ان اساليب متنوعة قد استخدمت في انشاء التركيب المزجي هذا فان طبيعة المادة التي هي موضوع التركيب تسهم في الدور الذي يؤديه التركيب المزجي في تشكيل علم الاصطلاح اللغوي لوضع الاسماء العلمية ومصطلحات الفنون .

وتسود علم اللغات العربية آراء متضاربة فيما يتعلق بكيفية تاليف تلك المصطلحات الفنية في نطاق المركب المزجي .

وعلى ضوء ما هو ملموس لدينا يمكن القول بان استيعاب المؤلفين لاسلوب صياغة المصطلح من خلال المركب المزجي لا يرتكز على قواعد التحول او التطور الذاتي للغة العربية .

كما يبدو لنا انه في صدد صياغة المصطلح الحديث ـ نجد لزاما علينا استخدام نماذج واساليب من تلك التي كانت سائدة في العصور الوسطى والاستعانة بها. ومن ثم ، فان النماذج يجب أن تكون ـ دون غيرها ـ الانماط التي تتمثلها اللغة العربية وتهتدي بهديها . كما ينبغي أن تكون الكلمات المركبة الوليدة متوائمة وقوام اللغة العربية .

ويختلف تركيب هذه العناصر اختلافا جذريا عن تركيبها في اللغات التركية والهند و ـ أوروبية

ولما كانت الكلمات المركبة يجب ان تتساوى مع نماذج ثابتة محددة المعالم في بنية اللغة العربية فان عملية المركب المزجي قد تتم بالاحتفاظ بحرف ساكن أو حرفين من كل مركب وطرح ما تبقى من أحرف ، أما الآحاد المعجمية واللغوية فتتركب من عناصر مختلفة بواسطة الابقاء على ثلاثة او اربعة حروف او خمسة ـ في حلات نادرة ـ تتشكل طبقا لقواعد قارة .

والتركيب المزجي الذي كان بمثابة حقل تزدهر فيه صياغة الكلمات المركبة في العصور الوسطى قد لا يكون هذا شأنه اليوم . وقد يكون العكس صحيحا . اذ بمقارنة النماذج التي تؤلف فيما بينها المصطلحات الحديثة في اللغة العربية المعاصرة مع تلك كانت سارية في اللغة التقليدية ـ نلاحظ ان هناك توافقا فيما بينها وقصورا في الصلة بين اللغتين في هذا المجال :

ففي العصور الوسطى كانت الكلمات المؤلفة في سياق المركب المزجي تنشأ من ادغام اداة النفي (لا) في الاسم او اسم الفعل على الشكل التالي :

(لا + بد) = لا بد ، (لا + شيء) = لاشيء، (لا + ابالي + يه) = لا اباليه ، (لا + مبالاة) = اللامبالاة .

وبتتبع هذا المنهج من مناهج المركب المزجي في معاجم اللغة العربية نلمس انه لم يكن له نصيب وافر في صياغة الكلمات المركبة ، بينما نجد في الطور المعاصر من أطوار اللغة العربية أن مثل هذه الصياغة للمصطلحات الحديثة معتادة مالوفة .

وعلى ضوء هذه الحقيقة اقر المجمع العلمي العربي بدمشق صلاحية العديد من الكلمات المركبة طبقا للقاعدة المذكورة واجاز استعمالها في مجالات الفلسفة والاحياء والطب والصيدلة الخ مثل :

اللا ادريه ، اللادينية ، اللاسياسية ، لا تعري ، لا توبجي ، اللاتزاوجي اللاتزامل ، اللادماغية ، اللامقلة اللاممكوسية ، اللاجفن ، لاسلكي . . . الخ .

وهناك أيضا عدد من الكلمات المركبة نشأ من دمج الاداة (ما) فيما يتلوها من كلام مثل :

(ما + هي + ية) ماهية ، (ما + جرى) = مجريات أوماجريات ، (قل + ما) = قلما ، (حيث+ما) حيثما ، (لا + سي + ما) = لا سيما .

وهكذا نجد في اللغة العربية المعاصرة بعضا من تلك المصطلحات الفنية في ميادين الفلسفة والصيدلية وسائر فروع العلوم صيغت جريا على قاعدة دمج حرف (ما) فيما يلحقه من كلمات مثال ذلك :

(ال + ما + لا + عرف) = المالايعرف . و (ال + ما + كشف) = المايكشف ، (ما + فوق × بنفسجي) = مافوسجي) .

وعلى اي حال فان استعمال تلك المصطلحات الحديثة على النمط المشار اليه ـ ما زال يحدوه عامل الندرة في الوقت الحاضر .

هذا وان استحالة التركيب اللفظي المستقل الى مزيج لغوي قد لوحظت فقط بالنسبة للغة العربية العصرية نتيجة لترجمة بعض المصطلحات الحديثة من اللغات الاوربية مثل :

حيهوائي = حي بالهواء ـ airobic ، الحلماة ـ التحليل بالماء = hydration يحلمىء = يحلل بالماء hydrolyse (to)

ويتبين من استقراء تلك الامثلة ان النهج الذي اشيع في صياغة تلك الكلمات المركبة كان باضافة الحرفين الاولية من المركب الاول الى المركب الثاني، وتلك القاعدة كانت متبعة من زمن بعيد في اللغة العربية تشهد بذلك الامثلة الآتية :

(مش « من مشمس » + لوز) ـ شلوز ، (شق « من شق » + حطب) ـ شقحطب ، (حب « من حب) او عب « من عب » ـ حبقر .

ونجد اليوم ان تلك الصياغة اضحت نسبيا مثمرة وان المصطلحات الحديثة التي صار تشكيلها على هذا النمط قد حظيت بموافقة المجمع العلمي العربي مثال ذلك ما تم اقراره منها مثل :

(حرارة + ماء) الحرمائي ، (بر + ماء) = البرمائية ، (تحت + تربة) التحتربة (شبه + بلور) = شباور ، (ماء + غول) ـ ماغول ، (شبه + غراء) شبغراء .

(لبنان + ارز ـ لبارز ، (حيز + زمن) = حيزمن ... الخ .

فاذا ما كان الحرف الاول او الثاني في التركيبين همزة ساكنة فانها تحذف عند صياغة المركب المزجي: مثل : (راس + مال) ـ رسمال .

وقد كان العديد من الافعال والصفات الموصولة تتم صياغته منذ زمن بعيد يرتد الى العصور الوسطى بوصل الحرفين الاولين من كل مركب على وزن تفعلل، فعلل وقد كانت صياغة التركيب على هذا النحو اجدى في ابتكار العديد من التركيبات بالقياس الى غيره مثل:

(جعلت فداك) ـ جعفد ، (عبد شمس) = تعبشم ، (عبد القيس) = تعبقس ، (عبد الدار) ـ عبدري ، (امريءالقيس) ـ مرقسى) .

ويظهر الكثير من تلك المصطلحات الحديثة في الادب العربي المعاصر مصوغا على نهج الامثلة السابق تبيانها وقد حظيت هي ايضا بموافقة المجمع العلمي العربي عليها ومثال ذلك :

(انف + فم) ـ انفمى ، (بروم + حديد) = برحد ، (كبريت + اكسوجين + حديد) = كباحد .

وبانعام النظر في التركيب الاخير (كباحد) يتضح أن اشتقاقه تأتى من وصل الحرفين الاولين في كل من المركبات الثلاثة بعضها ببعض .

وتحتوي اللغة العربية القديمة على عدد من النماذج لم تعهدها في العصر الحديث مثال ذلك ما تتضمنه من كلمات مركبة تصاغ باضافة الحرف الاول الصامت من المركب الثاني الى المركب الاول مثل :

(عين + دم) ـ دمع حيث أخذت ع من عين واضيفت الى دم فصار دمع (خرم + شرم)ـ خرمش، اضيف الحرف ش اخذا من شرم الى خرم فصارت خرمش .

ويمكن متابعة نفس القاعدة في الكلمات المركبة التي يرجع اصلها الى اللغة الفارسية والتي صار استعمالها من قبل اللغة العربية مثل :

(ك ماخوذة من كاه . P = ق A + خورن = خوردن .) الخورنق A = خوردنكاه . P
وليس ثمة جدال ان اللغة العربية كانت تشمل على الكثير من الانماط في كيفية صياغة الكلمات وان بحثا خاصا في تاريخ جذور اللغة العربية وصلتها باللغات الاخرى التي كانت متآخية معها ليبدو ضروريا للتعرف على ماهية هذه الانماط وتبيان معالمها .

ولقد استطاع اللغويون في العصور الوسطى ان يتعرفوا على العناصر او المركبات التي صيغت منها الكلمات التالية :

(برق + نقش ـ برقش ، (برق + رقعه) = برقع الخ .

بيد انه من الصعوبة بمكان تحديد الاحرف الماخوذة من كل مركب في المثال السابق ، فبالنسبة للمصطلح الاول نجد انه يشتمل على الاحرف ب، ر ،ق من الكلمة الاولى، كما يشمل على الحرفين ق ، ش من الكلمة الثانية . وايضا بصدد المصطلح الثاني نجد انه يشتمل على الحرف « ب » من (برق) والحرف «ع» من الكلمة الثانية . الا انه يعوزنا الاساس او الدليل حتى يتاتى لنا الجزم بان الحرفين (ر، ق) انما ينتسبان الى واحدة من الكلمتين دون الاخرى لان كلا الكلمتين تشتملان على ذات الحرفين فليس من وسيلة الى ارجاع كلا الحرفين الى الكلمة الاولى دون الثانية او العكس . وما يقال عن المصطلح الاول في هذه الحيثية ينصب على المصطلح الثاني .

وانه من المتعذر تحديد النمط او النهج الذي استعمل في صياغة مثل هذين المصطلحين الاخيرين او التعرف على الاسلوب المتبع في تدبيرها . كما انه يتعذر ايضا مقارنتهما او القياس عليهما بالنسبة للمصطلحات اللغوية الحديثة التي تشكلت في اللغة العربية المعاصرة .

هذا ولا غرابة في ان وصل الحرف الاخير من الكلمة الاولى بالحرف الاول من الكلمة الثانية من شانه ان ييسر عملية الاشتقاق وتوليد المصطلح المقصود بمعنى أن نهج هذا الاسلوب من خاصيته توفير الجهد وتخفيف المشقة في صياغة الكلمات المركبة . مثل :

حيز + من او حي + زمن او (حيز + زمن) ــ حيزمن .

وهناك عدد من التغييرات الحديثة في اللغة العربية المعاصرة تختلف عن المصطلحات المشار اليها في طريقة صياغتها ومن الانماط التي يمكن اتباعها من اجل توليدها ، ويمكن تحديدها في النقاط التالية :
والتي صيغت من امتزاج المركبين (orthos + pteron) يتضح لنا أن الاختزال قد تناول المركبين معا وليس احدهما فحسب كما بالنسبة لصورة الكلمة بالعربية السالف شرحها .

الكلمات المركبة التي تشير الى ظرفين الزمان والمكان والمترجمة حرفيا عن الاصل الاوروبي والتي صيغت من وصل المقطع الهجائي الاول من المركب الاول بالمركب الثاني مثل :

قبل التاريخ ــ قبتاريخ واصلها الفرنسي ... Préhistoire

لم الصفات المركبة التي تكونت من تواكب اسمين جغرافيين متساويين . ومما يميز هذه الحالة من الصياغة ان المركب الثاني من تلك الصفة المركبة لا يفقد قوامه الذي كان عليه قبل التركيب بحيث يبدو دائما وكانه كلمة مستقلة تؤدي ذات المعنى الذي كان متعلقا بها قبل الصياغة والكلمات التي من هذا القبيل قد صيغت في العربية مرتكزة على حرف الوصل « ي » الذي استبدل بحرف o في اللغات الاوروبية مثل :

انجلو امريكي ingliu : amriki

افرو آسيوي ifru : asiiavi

أسيوي افريقي asilu : afriki

هذا وان استعمال التراكيب المقتضبة طبقا لهذه الحالة في الخطابة ولغة الصحافة قد حظي بقبول المجمع العلمي العربي في سنوات 1946 ــ 1947 الامر الذي ثارت بسببه المجادلات والمساجلات بل واحيانا مشادة بين العلماء .

وختاما لهذا البحث لم يبق الا ان نقرر ان نشاة المصطلحات الحديثة في ظل المركب المزجي وانتشارها انما يرتكز على الاصول الآتية :

اولا : من المسلم به ان الكلمات المركبة قد شاع استعمالها في اللغات الاوروبية وهكذا نرى الكثير من المصطلحات الحديثة التي ذاعت في الوقت الحاضر في شتى مجالات العلوم ، قد قامت صروحها على هذا التركيب . كما ان تلك المصطلحات الحديثة قد وجدت طريقها الى اللغات الاخرى ومنها اللغة العربية ومن ثم كان ظهور الكلمات المركبة وفقا لاسلوب التركيب المزجي فيها .

ثانيا : ان المصطلحات المركبة هذه ليست بالشيء الجديد او الغريب على اللغة العربية التي عهدت انماطها وطرق صياغتها ومناهجها منذ زمن بعيد وهذا ما يفسر تقبل اللغة العربية المعاصرة لهذه المصطلحات وتبنيها .

1 ــ التعابير التي تتكون من تزاوج كلمتين مثال:

(عرض + حال) ــ عرضحال ؛ (قائم + مقام) = قائمقام ، (قبل + فكي) ــ قبلفكي ؛ (يا + نصيب) = يانصيب .

فاذا ما كانت الهمزة هي حرف استهلال المركب الثاني في مثل هذه الكلمات فانه ، كقاعدة عامة ، تسقط من الحسبان عند الصياغة كما تبين من الامثلة التالية :

(حمض + امين) حمضمين ؛ (غول + اثير) ــ غولثير .

واحيانا ما تجوز الصياغة بتآلف الكلمتين بتمامهما معا مثل :

البادزهر ، يوسف افندي .

2 ــ الكلمات المركبة من حرفي التصدير من المركب الاول والحرفين الاخيرين من المركب الثاني على وزن فعلل مثل :

(قل « من قلم » + بر « من حبر ») ــ قلبر .

3 ـ الكلمات المصوغة من المقطع الهجائي المكون من حرفين من المركب الاول والحرف الاخير من المركب الثاني فتأتي الكلمة المشتقة على وزن فعليل مثل :

(كهرباء + مغنطيس) ـ كهرطيس .

4 ـ الكلمات المولدة من ربط المركب الاول بالحرفين الاخيرين من المركب الثاني وبهذا تكون الكلمة الناتجة على وزن فعليل مثل :

(حمض + اسيل) ـ حمضيل .

5 ـ الكلمات المركبة من اضافة الحرفين الاولين من المركب الاول الى المركب الثاني ـ اي الحالة المكسية للكلمات المشتقة وفقا للاسلوب المتبع في البند السابق ـ ومثل هذه المصطلحات تستعمل في حالات المجمع مثل :

(جوف + معى) ـ الجومعيات ، (مستقيم + جناح) ـ مسجناحيات ، (شمال + غرب) ـ الشمغربيات .

والكلمات المركبة وفقا لهذا الاسلوب دخلت اللغة العربية عن طريق استعارتها من اللغات الاوروبية بعد ترجمتها الى العربية وتشكيلها وفقا لما يتلاءم وقواعدها مما ادى الى تباين في كيفية صياغة الكلمة في اللغتين ـ (لغة الاصل واللغة الناقلة) ـ ففي كلمة مسجناحيات التي تأتت من امتزاج المركبين (مستقيم + جناح) يلاحظ انه عند الصياغة قد جرى الاختزال بالنسبة للمركب الاول وحده في الوقت الذي ظل بمنأى من المركب الثاني اي ظل هذا بكامل هيئته، بينما لو انعمنا النظر في اصل كلمة مسجناحيات هذه في اللغة الفرنسية : orthoptères (1)

ثالثا : ان استعمال المصطلحات الحديثة يجب ان يكون بكيفية واضحة لا يكتنفها غموض .

رابعا : ان استعارة تلك الكلمات المركبة من اللغات الاخرى ونقلها الى اللغة العربية حرفيا دون تعديلها بما يتوائم وقواعد تلك اللغة قد يضربها بل قد ينتهي الامر تدريجيا الى افسادها .

1) يبدو ان هناك نقصا في الاصل .



"الشعر العربي"

اللغة عنصر من عناصر الحياة

يجب أن يتجدد باستمرار

الأستاذ إلياس قنصل، بوينوس أيرس

ترجمة الاستاذ محمد محمد الخطابي

تلقينا هـذا البحـث القيـم مـن الاستاذ الياس قنصل وهـو عبارة عـن محاضرة القاها حضرة الاستاذ باللغة الاسبانية من الاذاعة الارجنتينية تحت رعاية المعهد الثقافي الارجنتيني ــ العربي بعنوان : ((تمهيد لمعرفة الثقافة العربية)) وقد نشرنا الاصل فى مكان آخر من هـذا العـدد

ليس هنالك شعب من بين الشعوب القديمة فاق الجنس العربي فى تقديره للشعر ، ونستعمل كلمـة « تقدير » ونحن على علم أنها لن تستطيع ان تعطينـا التعريف القاطع للاحترام الـذي كان يوليـه العـرب لفن الشعر .

البديهيات على ذلك كثيرة ، فحتى **تاريخ العرب فى الجاهلية انما هو تاريخ الشعر** .

وكل ما نعرفه من اخبار الحقبـة التي سبقـت الاسلام جاءت مروية ضمن « القصائد » التي وصلتنا منذ ذلك العهد ، والتي ما زالت حتـى ايامنـا هـذه موضع بحوث ودراسات مختلفة .

تلك القطع الشعريـة الموضوعـة على نسـق واحد ــ التي جادت بها القرائح فى عزلة الصحراء وفى لحظات الضيق الروحي ــ رغم القرون البعيدة ــ مـا زالت تحتفظ حتى الآن بالنكهة التي تصور لنا حنيننا موسيقيا نحو الاوطان .

واذا استثنينا من هذه القطع الشعرية الكلمات التي فقدت مدلولها بمرور الزمن ــ ونحن **نعتبر اللغة عنصرا مجهزا من عناصر الحياة ينبغي له ان يتجـدد بصفة مستمرة** ــ اى اذا استثنينا الكلمات التي لم تعد تكتسب صبغة الحاضر ــ والتي هي قليلة جدا ــ فاننا سنجد فى **الشعر العربي الجاهلي تعبير الروح النقيـة الصافية لمشاكل الحياة العصرية ، هذه** الروح التي هي شبيهة « برادار » كفيل بالتقاط اقل ذبذبات القلق الانســـاني .

لقد كانت « الكعبة » التي تقع فى مدينة « مكة » بمثابة المكان المقدس لدى القبائل العربيـة ، وفى مطلع كل عام ، كان يهرع نحو هـذه المنطقـة ، ذوو الوقار والمهابة من مختلف الميول والاتجاهات ، لاقامة تجمعات كبيرة ، كانت ذات موضوع مميـز الا وهـو الادب ، حيث كانوا ينشدون القصائد التي تخضع لنقد بناء ، ويحللون فيها تلك التي تتواءم واهواء العامة ، واجود هذه القصائد ــ اي التي كانت تحظـى برضى الحكام الثقات ــ كانت تكتب على رقوق فاخرة ثم تعلق على « الكعبة » . فى هذا المكان الذي كان ينال احترام الجميع من شيخ القبيلة العظيم الى الرجـل العـادي المجهول ، كان فى امكان الجميع قراءة هذه القصائد ، وبهذه الوسيلة يصبح **للفن والبلاغة شعائر وطقوس** .
ولما جاء الاسلام الغى هذه العادة التى كانت تتضمن بعضا من الوثنية البدائية . وفى تلك الحقبة نفسهـا كانت تقام دعائم **المباريات الادبية** التي ما زالت لها ردود فعل عديدة فى الوقت الحاضر . لقد **كـان ((سـوق عكاظ)) ضربا من ((الاولمبياد)) الفني** ، كان يضـم

احسن الشعراء ينشدون امام الجميع آلافا من اجود القصائد المنتقاة . ودائما كان هناك مراقبون من « **حكام الكلمة** » المتسمين بالنزاهة والانصاف ، يدلون بافكارهم القيمة ، والذين كانوا صريحين في آرائهم وموجهين في احكامهم ، **وكانت القصائد المختارة بمثابة البرهان الكبير على عظمة القبيلة التي ينتمي اليها الشاعر الفائز .**

ان الاسلام لم يضع حجر العثرة في طريق الشعر المزدهر ـ كما يزعم ذلك بعض المستشرقين ذوي النظرة السطحية المجلى ـ وانما **جعل الاسلام حدا لعبادة الوثنية وحولها الى اهتماماته العادية ؛ ويحسن القول انه احل محلها معرفة فنية خالصة .**

« حسان ابن ثابت » الشاعر العظيم الذي كان صديقا حميما للرسول « محمد » رافقه في عديد من غزواته ، وتغنى بانتصاراته ، كان النبي يوليه اهمية خاصة واضعا بذلك الشعر في مكانه المناسب من الاعتبار دون ان يسمو به الى قمة الالوهية او يهوى به الى سفح الانحطاط .

وحينما بسط العرب نفوذهم حول العالم طفر الشعر العربي طفرات جديدة ، تحول الى وسيلة لنشر الافكار ، ولعضيد قوى الفتح الجديد ، وتسخير الاتجاهات السياسية ، رافلا في ثوب جديد من اثواب البيان ؛ تحول الى **قاعدة للنشر والذيوع ، وقام بالدور الذي تقوم به الآن الجريدة والمذياع والتلفاز .**

كانت الامور غريبة ، بحيث يحدث أن نجد اثنين من الشعراء المرموقين ذوي نزعات متباينة وهما يجاهدان تحت سياسة واجدة ، ذات مصلحة عليا تهم العالم العربي وامارته التي كانت تمتد من الشرق الى الغرب .

وكانت للمعركة أيديلوجيات مختلفة ، فاحيانا تكون معمعتها ذات سلاح متنوع قاطع ، لتكون الكلمة البليغة احده واخطره ، واحيانا اخرى تكون سخرية حرة من خلال تطاحن الكلمات ، الشيء الذي يوضح لنا بجلاء التمكن التام من اللغة ، ويبرز لنا ـ في ذات الوقت ـ الذكاء الخارق للعادة المسخر لخدمة المثل العليا .

سيطول بنا الحديث اذا عددنا الامثال ، وترجمنا القصائد ، او اذا شرحنا المواقف ، غير انه لا بد لنا ان نورد **ثلاثة من الشعراء الذين يشكلون في رأينا ـ صروح القمة في الشعر العربي القديم .**

انهم الوان مختلفة ذات قدرة بلاغية ، دعائمها الخيال الخصيب ، والملاحظة الحازمة والحجة القاطعة. ان دواوين الشعراء الثلاثة ما زالت تدرس ـ حتى ايامنا هذه ـ في المدارس ، وسوف تظل دائما موضوعات بحث وتحليل .

« **المتنبي** » الشاعر الذي اودع الخيال العربي في القصائد ، وهو الذي عين في امثال سيارة طريقة التفكير عند العرب ووسيلة تصويرهم للحياة وكل ما هو موجود فيها من سمو وقوة .

ككل عبقري كان « المتنبي » يعد من المفتونين الاكابر الذين ينشرون ـ في كل مكان ـ اشعارهم وامثالهم بين الاعداء المتطرفين الذين كانوا ينتقدون على المتنبي كبرياءه وغروره اللذين جاوزا كل حد .

لقد كان المتنبي ، في نظرته الرجولية يعي جيدا طموح الماضي العربي ، كان **نذيرا متحمسا لوحدة العرب ، وواحدا من المبشرين بالقومية النقية من كل تعصب .**

الشاعر الثاني هو « **المعري** » الذي كان ضريرا منذ طفولته البعيدة ، **الرجل الواسع المتبحر العارف باحاسيس البشرية** ، لقد كان **فيلسوفا** بالمعنى الدقيق للكلمة ، وكانت فلسفته متنوعة بحيث شملت كل انواع الاضطرابات وجميع مستويات العقل ، سواء كان يتخللها حزن متعاقب او يعلوها حدث سعيد. انه ساخر رقيق تكاد تكون سخريته غير مرئية ، ولقد كان يضمن سخريته هذه افكاره التي كانت تتعارض ووجهات نظر الحكام .

وحسب البحوث الاخيرة الخالية من كل تعصب، فقد تأثر « دانتي » في كتابته لعمله الخالد « الجحيم » او (الكوميديا الالهية) ـ تأثر « برسالة الغفران » للمعري التي كانت مترجمة في ذلك العهد الى لغات مختلفة .

الشاعر الثالث هو « **ابن الرومي** » وهو الذي يكمل **الثالوث الحاكم في الشعر العربي** ، هذا الشاعر الذي **اثرى الشعر العربي بغنائياته التي هي جديرة بكل اعجاب** ، هذا العاشق الواله للجمال في جميع اشكاله ، لقد استطاع هذا الشاعر ان يسبر ابعد اغوار التفكير ، لطبع كل ذلك في قصائد حافلة بالحركة والحياة . لقد كانت عيناه المتلهفتان ابدا الى التقاط كل مظاهر الحياة ، بمثابة عدستين فوتوغرافيتين غاية

فى الحساسية لتلتقطان ادق دقائق الامور ، باعثتين الحياة فى كل الاشياء ، ان اوصافه لما كان يـراه او يحس به او يجري وراءه — انما هي استعراض متوال من الصور التي تفوق كل شيء حيوية ونقاوة ولمعانا.

لم تتوان المراة العربية فى مشاركتها المحمودة فى الشعر العربي ، لقد عرفت الكثيـرات ممن قرضـن الشعر ، ولكي تتضح لنا مشاركة المراة فى عالم الفن نورد الحكاية التالية :

سال خليفة احد رعاياه المشهورين مرة فقال له :

— بلغني انك تستطيع ان تنشد الف قصيدة فهـل هذا صحيح ؟ .

فاجاب الاعرابي :

— اجل يا صاحب المهابة ، ولكن هل تريدون ان اسمعكم الالف قصيدة من شعر الرجال أم من شعـر النســاء . . ؟ (1)

ان الشعر العربي المعاصر قد تاقلم مع طبيعـة الحياة العصرية ، مدلوما بتجدد العقل العربي بعد ان عاش احداث اربعمائة سنـة من الضيـق الخارجـي محتفظا — فى جوهره بكآبة خفية — عن اجياله الماضية.

ان الشاعر العربي المعاصر يقف حاملا بين اعطاف قلبه حيرة يصعب تحديدها ، هذه الحيرة التي كانت تستولى على روح الاعرابي الذي كان عليه ان يقطع كل يوم صحاري لا نهاية لها ، محدقا فى الآفاق التي تنتهي عند خط مستقيم دون حائز للتساؤل .

ولا ندعي القول بان الشعر العربي المعاصر قـد احتفظ بماضيه المشرق ، ذلك لان « فن القول » فى العالم قد تقهقر ازاء الاكتشافات العلمية الحديثـة ، ولم تكن الثقافة تكتسب قيمتها من الخيال الفسيح ولا من الكلمة المؤثرة الجميلة ، **ولكن رغم كل ذلك ما زال الشعر العربي يحتفظ — باصالته وقدرته الهائلتين —** فى مثل هذا الجنس ، وهذا عامل من الاهمية فى شيء بالنسبة للنهوض العربي الفائق .

لا نقول ان الشعر العربي المعاصر يتميز بطابـع معين يحدد هذا الشعر ، ذلك انه عانق كل — او تقريبا كل — القوالب المعقدة للحياة العصرية ، ولا نجزم بان الشعر العربي الحديث يسير فى طريق محكم يسهـل توضيحه بل انه قد تعرض لجميع المشاكل المتنوعة فى حياتنا الراهنة .

ان المؤرخ النزيه الذي يؤرخ لتطور الشعـــر العربي المعاصر لا يستطيع الاستغناء عن ذكر — **ظاهرة من ظواهر هذا الشعر — التي تكاد تنفرد بنفسها بين تواريخ الادب عامة** . فاذا كان حقا ان الشعر العربي قد بلغ أوج عزه فى مواطنه الاصلية ؛ فانه لحق كذلك **ان هذا الشعر قد اكتسب لمعانا واشراقا ملحوظين فى بـــلاد امريكـــا** .

ان مئات من الآلاف المهاجرين وعلى الخصوص فى الارجنتين والبرازيل — كان من بينهم شعراء كبار ، ساهموا مساهمة محمودة فى الادب العربي .

ان سماء هاتين الجمهوريتين ، وجمهوريـــات اخرى قد جمعت تحتها كثيرا من الشعراء العرب الذين رفعوا عاليا امجاد اوطانهم النائية معبرين بذلـــك عن الحب الذي يكنونه لبلادهم الام الكائنة وراء البحار ، ومشيدين — فى نفس الوقت — بعظمة الاثر المكتوب

ان هؤلاء الشعراء البعيدين عن مساقط رؤوسهم والذين كانوا ملجمين من طرف قوات اجنبية ، قـــد وجدوا فرصة نشر قصائدهم الحماسية بعد ان تهيـا لهم جو من الحرية ، كانوا يتوقون اليه من قبل .

لقد وجد هؤلاء الشعراء فى المواطن الارجنتيـن الاخ الذي فتح لهم ذراعيه بحرارة وصدق — ونحـن نقول هذا عن تجربة — ووجدوا فى الارجنتين نفسهـــا الركن الذي رحب بهم اشد الترحيب ، وهو بالنسبة لهم ينبوع الهام لتفكيرهم وتأملاتهم .

بهذه الكلمات الختامية ، نقدم شكرنا عن هـــذا الكرم النبيل ، ونستاذن لنحمل لهذا الوطن الجديـد تحية شعرية من اوطاننا الاصلية . . مـــرات تفــوق الآلاف .

---

1) وفى رواية اخرى ان شاعرا زار شاعرا آخر ، فلما طرق باب بيتـه خرج خادمـه ، فقال له : ان سيدي لا يستقبل الا من كان يحفظ — على الاقل — الف قصيدة ! . فاجابه الشاعر الزائر : اذهب وقل لسيدك هل يعني الف قصيدة من شعر الرجال ام من شعر النساء ! (المترجم)

الألقاب عند العرب والمسلمين

الشيخ طه الولي « بيروت »

اذا اردنا ان نتحدث من الالقاب عند العرب والمسلمين ، فليس لنا بد من طي السنين بله القرون والعودة باذهاننا الى صدر الاسلام اذ نجد بين المؤرخين من يقول بان الالقاب عرفت سبيلها الى العرب منذ هاتيك الايام. وبالفعل فاننا نعرف ان اول لقب اطلق بين يدي الاسلام كان ذلك الذى اطلقته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم قبيل بعثته وهو ((**الاميـن**)) فلما كانت البعثة اصبح لقبه عليه السلام : « رسول الله » وبهذا اللقب كان يخاطب الناس ويكاتب رؤساء القبائل العربية وملوك الدول الاجنبية . وكانت كلمة « رسول الله » منقوشة على خاتمه الشريف الذى استعمله هو بنفسه كما استعمله من بعده ثلاثة من خلفائه الراشدين وهم ابو بكر وعمر وعثمان ، وفى عهد هذا الاخير سقط هذا الخاتم فى بئر اريس وفقد منذ ذلك الحين كما هو معروف فى التاريخ .

ثم ان كبار الصحابة رضي الله عنهم عرفوا كذلك القابا رافقت اسماءهم بل هي حلت محل هذه الاسماء فى بعض الاحيان حتى ان بعض هؤلاء الصحابة عرفوا بالقابهم دون اسمائهم لدى المؤرخين فيما بعد ؛ وكان عبد الله بن ابي قحافة ابو بكر الخليفة الاول يعرف باسم « الصديق » الذى لقبه به النبي صلى الله عليه وسلم . وكان عمر بن الخطاب الذى تولى الامر من بعده يعرف ((**بالفاروق**)) الذى قيل ان قوما من السريان اطلقوه عليه لان معناه فى لغتهم الرجل الذى يفرق بين الحق والباطل . وكان عثمان بن عفان يعرف ((**بذي النورين**)) لزواجه من اثنتين من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد اطلق على علي الخليفة الرابع بعد وفاته لقب « ابي تراب » هذا اللقب الذى قال قوم بانه من صنع خصومه الامويين لتبزه وتحقير شانه بنسبته الى التراب كما قال قوم آخرون بانه من صنع شيعته الذين ارادوا به التعبير عن تواضعه وكثرة التصاق جبهته بالتراب لملازمته الصلاة آناء الليل واطراف النهار . ولعلنا نستطيع ان نعتبر كلمة ((**صحابي**)) من الكلمات التي اصبحت لقبا على كل رجل ادرك النبي صلى الله عليه وسلم واجتمع اليه وآمن به كما نستطيع ان نعتبر كذلك كلمة ((**تابعي**)) من الكلمات التى اصبحت لقبا على كل رجل ادرك ، وهو مسلم ، واحدا او اكثر من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع اليه .

ولكي لا نقف طويلا عند عصر الرسالة النبوية والسنوات القليلة الاولى التى تلتها فاننا نأتي الى العصر الاموي الذى اختلف المؤرخون فيما نسب الى اركانه من الالقاب . فذهب قوم الى ان الخلائف من بني امية اتخذوا لانفسهم القابا . بينما ذهب قوم آخرون الى ان هؤلاء الخلفاء عرفوا باسمائهم من غير القاب اضيفت اليها او حلت محلها . وفى هذا يقول المسعودي فى كتابه « الاشراف والتنبيه » :

« وقد رأينا بعض المتاخرين من ينحرف عن الهاشميين ، الطالبيين منهم والعباسيين ، ويتحيز الى الامويين ويقول بامامتهم ، يذكر انه كانت لمن ملك من بني امية القاب كالقاب خلفاء العباسيين وذكر في ذلك روايتين :

احداهما : قال . روى محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد القرشي ، قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن ابيه عن جده ، قال ، حدثني سابق موسى عبد الملك بن مروان قال : « سمعت امير المؤمنين عبد الملك يقول : « تلقب امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان ، ((**بالناصر لحق الله**)) ويزيد بن ابي سفيان « **بالمستنصر** على الربيع » ومعاوية بن يزيد « **بالراجع الى الله** » ومروان **بالمؤمن بالله**)) » .

وبالثانية قال حدثنا ابو مطرف عن ابيه عن جده قال : تلقب عبد الملك « بالمؤثر لامر الله » والوليد بن عبد الملك « بالمنتقم لله » وسليمان بن عبد الملك « بالمهدي » لما احدث من قطع ما كان على المنبر ، ومهده الى عمر بن عبد العزيز وتلقب هو « بالداعي بصنع الله » وسمي هشام بن عبد الملك « بالمنصور » فلم يزل على ذلك حتى عهد اليه يزيد فلقب بالمتخير من ءال الله . وتلقب الوليد بن يزيد « بالمكتفي بالله » ويزيد بن الوليد « بالشاكر لانعم الله » وابراهيم بن الوليد « بالمتعزز بالله » ومروان بن محمد بالقائم بحق الله . وكان عبد العزيز بن مروان ، وكان ولي العهد ، يدعى على المنابر « بالمعظم لحرمات الله » وكان مسلمة بن عبد الملك لما بنى مدينة على خليج القسطنطينية سماها « مدينة القهر » وتسمى هو « بالقاهر بعون الله » .

على ان المسعودي لم يكن مقتنعا بما نقل عن تلقيب ملوك بني امية فاردف قائلا على ما تقدم : ... ان الكافة على خلافه . فلو كان الامر على ما ذكر ، لظهر واشتهر واستفاض وجاء في الاخبار المنقولة القاطعة والاعمال الموروثة . فلما لم يذكره الجمهور من حملة ونقلة السير والاثار ولا دونه مصنفو الكتب في التواريخ والسير، من ذكر اخبارهم ووصف ايامهم من تولاهم او انحرف عنهم ، علم ان ذلك لا اصل له .. »

على انه ما ان ادبرت ايام الامويين واقبلت ايام العباسيين حتى اصبح لكل من هؤلاء الاخيرين لقب يرافق اسمه الى جانب « امير المؤمنين » واول من تلقب منهم كان اول خلائفهم : ابو العباس المعروف ((**بالسفاح**)) واختلف الناس في تفسير هذا اللقب، فقالت طائفة بان الرجل تلقب بالسفاح لكثرة ما سفح من الاموال في التمهيد لوثوبه بالدولة الاموية واحتلال مكانها في السلطان والحكم . كما قالت طائفة ثانية ان هذا اللقب التصق باسم اول خليفة عباسي بعد ان اكثر هذا من وضع السيف في اعيان بني امية سافحا دماءهم في سبيل تأثيل ملك قومه بعد اجتثاث كل اثر لاي اموي تتوهم قدرته على الثورة او التفكير في العودة الى دست الولاية .

وبقي بنو العباس على ما ابتداوا به من اعتماد الالقاب للخلفاء الى جانب اسمائهم الاصيلة الى ءاخر عهدهم بالخلافة حين انتقل السلطان سليم العثماني بالمتوكل على الله ءاخر الخلفاء العباسيين ، من مصر الى اسطمبول واضعا بذلك حدا للعباسيين وانصارهم من سلاطين المماليك في مصر والشام والعراق وباقي الجزيرة العربية . وهكذا كان **اول القاب العباسيين: السفاح ، وءاخرها : المتوكل على الله .**

ففي اليوم الثامن من شهر محرم الحرام 923 هجرية (1517 م) دخل الاتراك العثمانيون مدينة القاهرة واصبح سلطان اسطمبول سيد الشرق العربي بلا منازع وانقلت دولة المماليك بغير رجعة . وفي ذلك يقول محمد فريد في كتابه « تاريخ الدولة العلية العثمانية » : « ومما جعل لفتح وادي النيل اهمية تاريخية عظمى ان ءاخر ذرية الدولة العباسية الذى حضر اجداده لمصر بعد سقوط بغداد مقر خلافة بني العباس في قبضة هولاكو خان التتري سنة 656 هـ (1091 م) وكانت له الخلافة بمصر اسما ، تنازل عن حقه في الخلافة الاسلامية الى السلطان سليم العثماني وسلمه الآثار النبوية الشريفة وهي البيرق والسيف والبردة وسلمه ايضا مفاتيح الحرمين الشريفين ، ومن ذلك التاريخ صار كل سلطان عثماني ((**اميرا للمؤمنين**)) و ((**خليفة لرسول رب العالمين**)) اسما وفعلا . » ا. هـ .

غير اننا نجد في كلام محمد فريد عن انتقال لقب « امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين » الى السلطان سليم العثماني وزواله عن المتوكل على الله العباسي ، مجرد استنتاج لا تدعمه الوثائق التاريخية لاسيما تلك التى كتبت من قبل المؤرخين الذين عاصروا تلك الفترة ودونوا وقائعها وتفاصيلها، دون أن يدعوا من هذه الوقائع والتفاصيل لا شاردة

ولا واردة امثال ابن اياس الذى قال فى كتابه «بدائع الزهور فى وقائع الدهور » وهو من ادق ما كتب فى هذا الموضوع . قال هذا المؤرخ وهو شاهد عيان :

« .. وفى يوم الجمعة سلخ سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة .. خطب باسم السلطان سليم شاه على منابر مصر والقاهرة ، وقد ترجم له بعض الخطباء فقال : « .. وانصر اللهم السلطان ابن السلطان ، مالك البرين والبحرين ، وكاسر الجيشين وسلطان العراقين وخادم الحرمين الشريفين ، الملك المظفر سليم شاه . اللهم انصره نصراً عزيزاً وافتح له فتحا مبينا ، يا مالك الدنيا والآخرة يا رب العالمين » .

وفى حوادث سنة 923 هجرية قال ابن اياس : « .. وفى يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادى الاولى خرج امير المؤمنين المتوكل على الله قاصدا للسفر الى اسطمبول ، وخرج صحبته اولاد ابن عمه خليل وهما ابو بكر واحمد ، وخرج صحبته الناصري محمد بن العلاى علي بن خاص بك صهر الخليفة .. وآخرون من الاعيان ، فتوجهوا الى بولاق ونزلوا من هناك فى المراكب ليتوجهوا الى ثغر رشيد . فحصل للناس على فقد امير المؤمنين من مصر غاية الاسف وقالوا : لقد انقطعت الخلافة من مصر وصارت فى اسطمبول، وهذه من الحوادث المهولة .. الخ » .

يتبين من هذا النص ان السلطان العثماني لم يجرد المتوكل على الله من لقب الخلافة وينتحله لنفسه وان الناس لم يقولوا يومئذ بان الخلافة انتقلت من بني العباس الى بني عثمان ، بل كل ما حصل هو ان السلطان التركي المنتصر اراد أن يفرض الاقامة الجبرية على الخليفة العباسي فى اسطمبول كيلا يشكل بقاؤه فى القاهرة سببا لاثارة الناس الى خلق المتاعب فى وجه العهد الجديد ، وربما لتصبح اسطمبول مقرا رسميا للخلافة .

غير انه مما لا شك فيه ، ان **المتوكل على الله** كان آخر من حمل لقبي **« الخليفة وامير المؤمنين » من العباسيين وان هذين اللقبين بقيا شاغرين لم يحملهما احد من ملوك بني عثمان الا ابتداء من السلطان محمود الثاني** ، فان هذا السلطان وجد ملكه يضطرب تحت وطأة ثورات داخلية اضرم نيرانها بعض حكام العرب المسلمين تحت شعارات اسلامية فما كان منه الا ان واجه هذه الشعارات بالالتجاء الى **لقب الخلافة العظمى** كي يفسد على الثائرين به خطتهم الدينية ويتقوى عليهم باللقب الذى كان آباؤه واجداده بغير حاجة اليه لتمكنهم من اسباب الغلبة والقوة العسكرية بحيث لم يكن لقب الخلافة عنصرا مؤثرا فى هذه الاسباب من قريب أو بعيد .

اما عندما كانت السلطة العثمانية فى اوج مجدها فان لقب ، أو بالاصح ، القاب ملوكها كانت كما ننقلها فيما يلي عن مقدمة الرسالة الجوابية التى ارسلها السلطان سليمان القانوني الى فرانسوا الاول ملك فرنسا الذى استنجد به على حماية مملكته من عدوه شارلكان ملك اسبانيا وذلك فى سنة 922 هجرية (1526 م) :

« الله العلي ، المغني ، المعطي ، المعين :

بعناية حضرة عزت الله جلت قدرته وعلت كلمته ، وبمعجزات سيد زمرة الانبياء وقدوة فرقة الاصفياء محمد صلى الله عليه وسلم الكثيرة البركات، وبمؤازرة قدس ارواح حماية الاربعة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وجميع اولياء الله ،

انا ، **سلطان السلاطين وبرهان الخواقين متوج الملوك** ، ظل الله فى الارض ، سلطان البحر الابيض والبحر والاسود ، والاناضول ، والروملي ، وقرمان الروم ، وولاية ذي القدرية ، وديار بكر وكردستان واذربيجان والعجم والشام ، وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس وجميع ديار العرب واليمن ، وممالك كثيرة فتحها ايضا آبائي الكرام واجدادي العظام ، بقوتهم القاهرة انار الله براهينهم ، وبلادا اخرى كثيرة افتتحتها يد جلالتي بسيف الظفر ، انا السلطان سليمان خان ، ابن السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان ، ... الى فرنسيس ملك « ولاية » فرنسا ... وصل الى اعتاب ملجأ السلاطين المكتوب الذي ارسلتموه مع تابعكم فرانقيان النشيط .. الخ ...»

اما بعد ان هرمت الدولة العثمانية وتقطعت منها الاوصال بانفصال ما كان تابعا لها من الولايات الاوروبية واحتلال الاجانب لكثير من ولاياتها العربية فى آسيا وافريقيا. بعد ان آل أمر هذه الامبراطورية الى هذه النهاية المحزنة فقد اصبح لقب السلطان العثماني فى ايام المغفور له ساكن الجنان عبد الحميد الثاني ، « **السلطان المعظم والخاقان الاعظم** ، امير

المؤمنين وخليفة المسلمين ومولانا السلطان ابن السلطان الغازي عبد الحميد خان .»

حتى اذا استمر دولاب عز العثمانيين في تقهقره الى الوراء اخذت المدارس الحكومية في عهد السلطان محمد رشاد الملقب بالخامس تعلم طلابها لقب العاهل التركي كما يلي :

« جناب رب ، منان ، باديشاه ، **خاقان البرين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين** ، ولي نعمت بي منت ، امير المؤمنين ، محمد رشاد افنديمير ، حظرتلري .. »

وءاخر من حمل لقب « **امير المؤمنين الخليفة الاعظم** » من ملوك بني عثمان ، كان السلطان محمد وحيد الدين الملقب بمحمد السادس الذى اقاله مصطفى كمال باشا من السلطنة ثم من الخلافة سنة 1923 ميلادية وبانتهاء السلطنة والخلافة من بني عثمان اصبح لقب « **امير المؤمنين والخليفة الاعظم** » .. **في ذمة التاريخ** على الرغم من المحاولة التى قام بها الشريف حسين بن علي ملك الحجاز في بلدة الشوبك الاردنية حينما استدعى اليه بعض اعيان البلاد لمبايعته « خليفة للمسلمين واميرا للمؤمنين » . وهي محاولة لم يأخذها احد في ذلك الحين على محمل الجد وسرعان ما تجاهلها المسلمون حينما تناقلت اسلاك البرق الانذار الذى وجهته الحكومة الانجليزية سنة 1922 الى حليفها بالامس القريب الذى طمع في الحلول محل سلاطين بني عثمان في حمل لقب « امارة المؤمنين وخلافة رسول رب العالمين » .. وهي البرقية التى تقول للحسين بن علي شريف مكة وسليل اشرافها :

« ان حكومة بريطانيا تصر بالحاح على وجوب مغادرتكم العقبة ، ولا يمكنها ان تسمح لكم بالبقاء اكثر من ثلاثة اسابيع »

ومن العقبة الى قبرس ، ففي هذه الجزيرة كان ءاخر المطاف بالثلاثة وراء لقب « امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين » وكان ذلك في سنة 1924 ميلادية .

ومنذ ذلك الحين .. لم يعد احد يحمل اعظم الالقاب الاسلامية : امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين ، بوصفه اعلى مرجع اسلامي في العالم . وان كان **ما يزال في بعض الاقطار العربية من يدعى الى الآن بلقب امير المؤمنين** . كما هي الحال في بلاد المملكة المغربية حيث لقب الملك فيها : امير المؤمنين . وكما هو الحال في المملكة المتوكلية اليمنية حيث يلقب امامها بأمير المؤمنين . وكما هو الحال كذلك في بعض الجماعات الدينية المنتشرة في جنوب الجزيرة العربية حيث توجد بقايا الخوارج من الطائفة الاباضية ببلاد عمان التى ما تزال تدعو امامها بلقب أمير المؤمنين .

وليس من شك في أن هذه البلدان وما فيها من فرق وطوائف ، حيث تلقب عاهلها او رئيسها بأمير المؤمنين فانما تعني في الواقع انه « امير المؤمنين الخاضعين بالفعل لسلطته السياسية في حدود بلاده الجغرافية » . ومن الطبيعي انه لا يخطر ببال احد أن هذا اللقب ينسحب في ايامنا على المعنى الذى كان يحمله صاحب الخلافة العظمى الذى كان ، ولو شكليا ، المرجع الاعلى لجميع المسلمين في العالم على اختلاف بلدانهم وطوائفهم .

وها نحن الآن ، ننتقل من لقب رئيس الدولة في الاسلام الى بيان لقب الشخص الذى كان يليه في حمل تبعات الادارة والاضطلاع بمسؤولية الحكم ، وهو الشخص الذى تواضع الناس من اهل زماننا على تسميته **برئيس الحكومة او رئيس الوزارة .**

قال القلقشندي : « كانوا في اوائل امر الخلافة يعبرون عنه **بالكاتب** ، لا يعرفون غير ذلك كما اشار اليه القضاعي في «عيون الاخبار» ثما جاءت الدولة العباسية ولقب أبو العباس أول خلفائهم كاتبه ابا سلمة الخلال «بالوزير» **استقر لقب الوزارة من حينئذ ورفض التلقيب بالكاتب** » .

ولقد استعملت كلمة « الوزير » مستقلة ، **للدلالة على الرجل الذى يختاره الخليفة لمعاونته في تحريك اطارات الدولة وضبط اجهزة الحكم وعناصره** . على ان كلمة « الوزير لم تبق منفردة لوحدها مدة طويلة ، اذ ان الشعراء ، ما لبثوا ان اضافوا اليها لقبا يتقدمها ، زيادة في تعظيم حاملها ، واشعارا للناس من خاصة او عامة ، بسمو المهمة التى يمارسها . فقد نقل الراغب الاصفهاني في محاضراته ان الشاعر جحظة البرمكي توجه الى الوزير الذى كان في أيامه بقوله :

قل للوزير ادام الله «دولته» اذكر منادمتي والخبز خشكار

اذ ليس فى الباب بواب «لدولتكم»
ولا حمار ولا فى الشط طيار

فاضاف الشاعر لقب «الدولة» الى لقب «الوزير» فاصبح كلا اللقبين متلازمين لا يكاد يفترق احدهما عن الآخر منذ ذلك الحين الى ايامنا هذه ، رغم جميع القرارات « الثورية » التى صدرت فى العهود الاخيرة ، بالغاء الالقاب وعدم استعمالها ، لاسيما فى المكاتبات الرسمية .

ثم ما لبث لقب الوزير ان اضيف اليه فيما بعد لقب ءاخر ، فكان ابو سلمة الخلال وزير السفاح يعرف بلقب « **وزير ءال محمد** » ولما ولي المهدي ابن ابي جعفر المنصور مدة الخلافة، لقب وزيره يعقوب بن داوود بن طهماز «الاخ فى الله» ، والمامون بن هرون الرشيد لقب وزيره الفضل بن سهل حين استوزره « بذي الكفايتين » كما لقب اخوه الامين وزيره الحسن بن سهل « **بذي الرياستين** » .

وان ارباب السيوف من امراء الدولة العباسية وكبار عمالها ، اصابهم ما اصاب غيرهم من المدنيين فى الادارة . فكان لقب ابي مسلم الخرساني « **امير ءال محمد** » وقيل «**سيف ءال محمد**» ولقب ابو الطيب طاهر بن محمد « **ذا اليمينين** » ولقب الخليفة المعتصم قائد عسكره حيدر بن طاووس «**بالافشين**» من حيث انه اشروسني والافشين لقب على ملك اشروسنة..»

والى جانب لقب دولة الوزير الذى كان يقال لمساعد الخليفة فى نفس عاصمة ملكه فلقد عرف العهد العباسي لقبا ءاخر استحدث فيما بعد لاطلاقه على ممثل الخليفة ، نفسه فى البلدان التى كانت خاضعة لسلطانه . ذلكم هو لقب « **الاستاذ** » واستاذ ، كلمة فارسية الارومة ، وكانت تكتب « اوستاد » ومعناها بلغة الفرس «معلم او سيد» وعن الفرس اخذها العرب بعد أن كثر بين الامتين التداخل والاختلاط بعد الاسلام .

واول ما استعمل لقب « استاذ » كان فى العهد العباسي وذلك حين **اطلق على نائب الخليفة فى الديار المصرية والبلاد الشامية ابي المسك كافور بن عبد الله الاخشيدي** ، الذى عرف باسم **الاستاذ كافور الاخشيدي** . وهو الخصي الاسود الذى اشتراه سيده ابو بكر محمد الاخشيدي بثمانية عشر دينارا ورباه واعتقه قبل ان اصبح الحاكم المطلق باسم الخليفة على مصر والشام وما اليهما من ثغور وبلاد، والاستاذ كافور هذا هو الذى بالغ فى مدحه المتنبي عندما كان طامعا فى بره وصلته ثم عاد فسلقه باهاجيه المقذعة عندما وجد أن طمعه فيه كان فى غير محله .

وقد استعملت كلمة **«استاذ» فى اوساط النخاسين** الذين كانوا يتعاطون تجارة الرقيق فكانت تتداولها الالسنة فى هذه الاوساط للاشارة الى مالك رقبة المملوك فكانوا يقولون: فلان **استاذ المملوك** الفلاني اي صاحبه ومالك رقبته بالرق ، ثم ما لبثت كلمة استاذ ان تطورت فى العهد العثماني لاسيما فى الهزيع الاخير من ايامه ، كما تطورت طريقة التلفظ بها . **فلقد تحولت كلمة استاذ الى كلمة «اوسطا» او «اسطه»** وبهذا الشكل الاخير ما زالت تلفظ فى ايامنا . وقد اصبح لقب **استاذ يطلق على ارباب الصنائع واصحاب الحرف اليدوية منهم على الاغلب** . والمعاصرون من اهل مصر كثيرا ما يستعملون كلمة « اوسطا » بقصد المناداة على الشخص الذى يجهلون اسمه ، وتقابلها فى بلاد الشام سورية وفلسطين ولبنان ، كلمة « **معلم** » والغرض والمعنى، هنا وهناك واحد كما هو معروف .

على انه لابد من القول ، بان كلمة استاذ قد تشعبت فيها اساليب الاستعمال فى ايامنا حتى انها كثيرا ما غدت تطلق على الشخص العادي من الناس، ولو كان من سوقة القوم وصعاليكهم أو حتى اراذلهم، كما انها تطلق كذلك على واحد من اثنين من ارباب السن الفكرية . المحامي الذى يتوكل للترافع عن اصحاب القضايا العدلية ومعلم المدرسة مهما كانت درجته من الثقافة او رتبته من الوظيفة .

وعلى الجملة فان كلمة «استاذ» هي اليوم « عمومية » الاستعمال بدون ضابط ولا ميزان ، من اي انسان لاي انسان .

ونعود الى القاب حكم الولايات والاطراف فى الدولة العباسية ، فنقول : انه عندما تراخت قبضة السلطة المركزية التى كانت تمارسها بغداد فى علاقاتها مع عمالها فى الولايات والاطراف التابعة لها ، واستشرى نفوذ هؤلاء العمال واصبحوا يتسامون الى الانفراد بالسلطة فى مناطقهم ، عندما اصبح الامر كذلك نزع منهم الى مشاركة الخليفة بمظاهر الملك من مراسيم والقاب حتى اصبح الخليفة يجد نفسه

وقد اصبح شبه مجرد من كل حول ومن كل طول ، ان ينزل عند رغبات هؤلاء الموظفين الكبار في دولته، وان يلبي رغباتهم ويحقق مطالبهم وان يمنحهم من الالقاب السلطانية ما يتطلعون اليه راغبا ام كارها على حد سواء .

ويصف لنا ابن مسكويه في كتابه « تجارب الامم » حالة الخلافة في تلك الايام حين لم يبق للخليفة من «اثار السلطان الا نقش اسمه على السكة والدعاء له فوق اعواد المنابر ، لا اكثر ولا اقل ، فيروي لنا هذا المؤرخ عن المطيع لله العباسي (سنة 361 هـ) انه لما سأله بختيار تزويده بالمال لاجل الغزو والجهاد ، اجابه الخليفة على طلبه بقوله :

« ان الغزو يلزمني اذا كانت الدنيا في يدي ، والي تدبير الاموال والرجال ، واما الآن ، وليس لي منها الا القوت القاصر عن كفائي ، وهي في ايديكم وايدي اصحاب الاطراف ، فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء ، مما تنظر الائمة فيه ، وانما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به على منابركم ، تسكتون به رعاياكم ، فان احببتم ان اعتزل ، اعتزلت من هذا المقدار ايضا ، وتركتكم والامر كله ! ... »

وهكذا ، لما اصبح لقب الخلافة في مثل هذا التهافت والوهن ، وعدم النفوذ وقلة الجدوى ، اذا بالقاب الحكم والسلطان تأخذ سبيلها الى اولئك العمال الذين هم من حيث المبدأ والوضع القانوني مجرد موظفين لدى الخليفة خاضعين لولايته في التعيين والعزل والسلطة والصلاحية .

وبقال ان اول من اتخذ الالقاب لنفسه من هؤلاء الموظفين هو الحسين بن قاسم بن عبد الله الذي لقبه الخليفة المكتفي ((بولي الدولة)) فكان هذا الامير اول من لقب بالاضافة الى الدولة في الاسلام

ثم وافت الدلالة لآل بويه الديلم ، فسمى الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي ((**بركن الدولة**)) وهو الذي كان صاحب اصبهان والري وهمذان ، وجميع عراق العجم ، واستمر في الملك اربعا واربعين سنة وشهرا وتسعة ايام ، ونحا نحوه في اتخاذ الالقاب ابناؤه الذين قسم عليهم الممالك التي كانت تحت يده اثناء حياته فتلقب **بفخر الدولة**، حتى ان اولهم فنا خسرو اضاف الى لقبه **عضد الدولة** لقبا ثانيا طلبه من الخليفة الطائع لله ، وهو ((**تاج الملة**)) ثم انه لم يكتف بهذين اللقبين الساميين،

وتطلع الى لقب ثالث ، يجعله فوق جميع اصحاب الالقاب من امثاله المعاصرين له ، فتلقب **بشاهنشاه (اي ملك الملوك)** وامر خطباء المساجد ان يشركوه بالدعاء الى جانب الخليفة نفسه بهذا اللقب الاخير وهذا اللقب الذي كان الفقهاء يمانعون في اطلاقه على اي انسان ، مهما سما مركزه وقويت شوكته ، لما فيه من المعاني التي لا يجوز ان تقال الا لله عز وجل الذي هو جلت قدرته ، ملك الملوك وحده دون سائر خلقه من بني الانسان .

ولقد كان اطلاق اللقب على احد الحكام من قبل الخليفة ، يتم وسط مراسم حكومية تجري في غاية الابهة والفخامة ، فلقد حكى صاحب تاريخ الاسلام في اثناء الكلام عن تلقيب عضد الدولة الذي اشرنا اليه من قبل ، بتاج الملة :

ان الخليفة ، الطائع لله ، جلس في هذه المناسبة على السرير ، وحوله مائة بالسيوف والزينة ، وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة وبيده القضيب ، وهو متقلد سيف النبي صلى الله عليه وسلم ، وضربت ستارة بعثها عضد الدولة ، وساله ان تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين احد من الجند قبله . ودخل الاتراك والديلم وليس مع احد منهم حديد .. ووقف الاشراف واصحاب المراتب من الجانبين، ثم اذن لعضد الدولة ثم رفعت الستارة . فقبل عضد الدولة الارض ، فارتاع زياد القائد لذلك وقال ، بالفارسية : « ما هذا ايها الملك، اهذا هو الله عز وجل ؟!. » فالتفت اليه عبد العزيز ابن يوسف وقال له : «فهمه» فقال له: «هذا خليفة الله في الارض» ثم استمر (اي عضد الدولة) يقبل الارض سبع مرات ، فالتفت الطائع الى خالص، الخادم، فقال : استدنه فصعد عضد الدولة ، فقبل الارض دفعتين ، فقال له ادن الي ، الى ان دنا وقبل رجله ، وثنى الطائع يمينه عليه ، وامره فجلس على كرسي بعد ان كرر عليه «اجلس» وهو يستعفي ، فقال له، اقسمت لتجلس ، فقال : عندي معلوم ، فقال ، نيتك موثوق بها ، وعقيدتك مسكون اليها ، فأوما براسه . ثم قال له الطائع : قد رايت ان افوض اليك ما وكل الله الي من امور الرعية في شرق الارض وغربها وتدبيرها في جميع جهاتها سوى خاصتي واسبابي . فتول ذلك مستخيرا بالله ، قال عضد الدولة يعينني الله على طاعة مولانا وخدمته ، واريد وجوه القواد ان يسمعوا لفظ امير المؤمنين ، فقال

الطائع : هاتوا الحسين بن موسى ، ومحمد بن عمر وابن معروف ، وابن أم شيبان ، والزينبي ، فقدموا. فأعاد الطائع لله القول بالتفويض ثم التفت الى طريف الخادم ، فقال ، يا طريف ، تفاض عليه الخلع ويتوج فنهض الى الرواق ، والبس الخلع .وخرج فاومأ بقبل الارض ، فلم يطق لكثرة ما عليه ، فقال له الطائع : حسبك ، حسبك ، وامره بالجلوس ، ثم استدعى الطائع تقديم الويته ، فقدم لواءين واستخار الله ، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعقدهما ثم قال : يقرأ كتابه فقرىء فقال له الطائع: « خار الله لك ولنا وللمسلمين ، آمرك بما امرك الله ، وانهاك عما نهاك عنه ، وابرأ الى الله مما سوى ذلك، انهض على اسم الله. »

ثم اخذ الطائع سيفا كان بين المخدتين فقلده به مضافا الى السيف الذى قلده مع الخلعة ، وخرج من باب الخاصة ، وسار فى البلد ! .. »

والجدير بالذكر ، أن حكام الديلم من بني بويه المذكورين ، كانوا قدوة فى هذا الباب ، لمن جاء بعدهم من ارباب الحكم فى ولايات الامبراطورية الاسلامية العباسية ، خارج بغداد ، فكثرت الاسماء التى التصقت بها الالقاب من مثل صمصام الدولة ، وغضنفر الدولة ، وشرف الدولة وما شابه ذلك .



تطور الفكر العلمي ولغة التقنيات بالمغرب منذ العصور الوسطى

الأستاذ : عبد العزيز بنعبد الله ، الرباط

لقد استعرضنا مختلف العوامل التي كان لها اثرقوي أو ضعيف في تطور الفكر واللغة بالمغرب ومن تلك المؤثرات العناصر الحضارية الاموية والقيروانية والاندلسية ثم الثقافية من قرآن ولغة ودين وادب وتصوف غير أن نظرتنا الى هذا التطور لن تتم ما لم نستشف من خلال البحوث والدراسات ذات الطابع العلمي **ما امكن للكيماويين والرياضيين والطبائعيين والاطباء والصيادلة والفلكيين والفلاسفة أن يسهموا به من آراء ونظريات ومصطلحات لبلورة اللغة العربية واستكمال تطورها في المغرب** ، وبما أن المغرب الاقصى لم يكن يعيش في تقص مقفل بالنسبة للشرق العربي وانه دشن منذ القرن الثالث الهجري مع الاندلس عهد تبادل فكري أوثق فان من الضروري استكناه محتويات هذه الاواني المستطرقة (1) جميعها للتعرف على الهيكل العلمي ومقوماته ، ففي خصوص الطب والصيدلة والكيمياء المستجدة في المغرب الاقصى نلاحظ بأن الاندلس ، وبالتالي المغرب ، كانا عالة على الشرق حيث ظهر امثال جابر بن حيان والحسن بن النكد الموصلي وابن سينا والرازي وءاخرين ونظمت صناعة الطب منذ عام 295 هـ (2) باقرار الخليفة المقتدر نظام الامتحانات فتخرج في عام 319 هـ وحدها ببغداد 860 طبيبا واجري أول امتحان للصيادلة ايام المعتصم عام 221 هـ وأول مارستان بني في الاسلام كان بالشام في عهد الوليد الأموي عام 86 هـ (3) ثم في مصر في عهد احمد بن طولون وكان في المارستان العضدي اربعة وعشرون طبيبا فيهم الكحالون والطبائعيون والجراحون .

ومن أطباء الأندلس وصيادلته في هذا العصر ابن جلجل (وهو أعظم طبيب طبائعي) والوليد المدحجي الذي دخل الأندلس مع عبد الرحمن بن معاوية وهو طبيبه الخاص، وعبد المالك بن حبيب السلمي المرداسي القرطبي المتوفى عام 238 هـ ، **واول من ادخل الطب الى المغرب هو** اسحاق بن عمران وابن الجزار صاحب « زاد المسافر وقوت الحاضر » وهو أحمد بن ابراهيم بن ابي خالد المتوفى عام 395 هـ (4) ومحمد بن عبدون الذي أشرف على مارستان القاهرة ورجع الى

---

1) وهو مبدأ غاليلي Galilée المعروف بـ Vases Communicants
2) (القفطي ص 130) .
3) المقريزي في الخطط والآثار ج 2 ص 405 طبعة بولاق .
4) صبح الأعشى ج 3 ص 337 .

الاندلس عام 360 هـ (5) وأبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (6) .

ويظهر ان هذه العلوم بدأت تزدهر في المغرب الاقصى منذ هذا العصر حيث كانت **جامعة القرويين وملحقها جامع الأندلس بفاس تدرسان الطب** ضمن الكتب المقررة وقد اشار لوكلير الى هذا الأزدهار (7) ولاحظ (8) ان **المغرب اشد اقطار الاسلام عمقا من الناحية العلمية** وهو يقصد المغارب الثلاثة وخاصة افريقية ؛ وقد لاحظ القفطي (9) ان المعز الفاطمي نقل معه الى مصر كثيرا من الاطباء المغاربة واشتهر قسطنطين التونسي آنذاك كطبيب ماهر واسست بفاس مدرسة طبية منذ القرن الرابع (10) وكان القرنان الخامس والسادس الهجريان ابرز العصور العلمية في الاندلس المسلمة رغم الاضطراب الذي تمخض من تدخل المرابطين ثم الموحدين وذلك بفضل العناية التي اولاها هؤلاء الخلفاء للعلم والعلماء، اذيمكن القول – والدكتور لوكلير يؤكد هذا (ج 2 ص 72) **بان الفكر لم يسبق له ان تحرر كما وقع في هذا العصر** وشهد بذلك نبوغ أمثال ابن طفيل وابن باجة وابن‌رشد (الذي هو اعظم فيلسوف انجبته الاندلس) وبني زهر الذين توارثوا الطب طوال ثلاثة قرون واعظمهم هو ابو مروان عبد الملك الذي يعتبره بعض المؤرخين اكبر طبيب تخرج من المدرسة العربية ، يضاف الى هؤلاء الغافقي (11) وابو الصلت امية ابن عبد العزيز الداني اللذان الفا في تاريخ الطب الطبيعي وابن العوام (12) مؤلف « **كتاب الفلاحة » الذي لا يوجد له نظير في الادب العربي** لما يحتوي عليه من معارف تطبيقية ووثائق قديمة ثمينة (13) بل هو اعظم ما انتجه ، لا العرب وحدهم، بل حتى العصور القديمة (ص 110) .

واصبحت هذه المصنفات اساسا دراسيا لرجال القرن المقبل امثال ابن البيطار (14) المالقي واستاذه ابي العباس النبطي وهما اعظم العلماء النباتيين العرب الذين وصلتنا مؤلفاتهم ولم ينجب الشرق في هذه الاثناء من اعاظم العلماء سوى فخر الدين الرازي **فاستطاع الاندلس بفضل شبكة علمائه ان يحمل راية الفلسفة والطب في العالم الاسلامي (15)** .

---

5) يوجد الجزء الاول من هذا المخطوط في المكتبة الوطنية بالرباط وكذلك مختصر كتاب « الاعتماد » في الادوية المفردة لابن الجزار ومختصر الطب لابن‌حبيب المرداسي .
6) (النفح ج 1 ص 444) والزهراوي هو صاحب (التعريف لمن عجز عن التاليف) وهو اعظم جراح عربي (لوكلير – الطب العربي ج 1 ص 334) اعتمده مؤلفو الجراحة في العصور الوسطى وهو اول من ربط الشرايين ووصف عملية تفتيت حصاة المثانة وعالج الشلل واستعمل خيوط الحرير في الجراحة ويوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط جزء من هذا الكتاب ((عدد 1427 د) الذي طبع بالهند وقد مات بعد الاربعمائة كما عند حاجي خليفة والحسن الوزان الذي ارخ وفاته بـ 404 هـ (موافق 1013 م) ووهم كازيري Casiri الذي اكد في المجلد الاول من فهرسته (ص 137) انه عام 500 هـ (لوكلير ج 1 ص 437) .
7) نفس المصدر (ج 1 ص 334) .
8) (ج 1 ص 407) .
9) في (اخبار العلماء بأخبار الحكماء) ص 75 .
10) (شهيرات المغرب) للكانوني وهو مخطوط نقل من كتاب حول (الاسنان بالمغرب الاقصى) لعالم فرنسي لم اتبين اسمه بوضوح في المخطوط المذكور .
11) هو ابو جعفر احمد بن محمد وهو غير محمد بن قسوم الغافقي صاحب « المرشد » في طب العيون ويوجد « كتاب الاعشاب » للغافقي في دار الآثار العربية وهو يحتوي على 380 رسما ملونا لنباتات وعقاقير وحيوانات متقنة الرسم .
12) هو ابو زكرياء يحيى بن محمد الذي لا نعرفه الا من خلال مصنفاته ويزعم كازيري انه عاش في القرن السادس الهجري .
13) (لوكلير ج 2 ص 11) .
14) ابن البيطار توفي عام 646 اكل عقارا قاتلا فمات من ساعته (نفح الطيب ج 2 ص 874) .
15) (لوكلير ج 2 ص 72) .

وبفضل الانبعاث العربي في الاندلس (16) صارت اوربا تنفض عنها اردية الركود واصبح المسيحيون يتوافدون على طليطلة للارتشاف من معين العلم وقد استنجد ريموند Raimonde اسقف المدينة بعلماء العرب لعلاج الفقر اللاتيني واذ ذاك بدات ترجمة مصنفات العرب العلمية ، ثم ورد جيرار دوكريمون على طليطلة حيث استقر نحوا من نصف قرن نقل خلاله من العربية الى اللاتينية ستة وسبعين كتابا عربيا او افريقيا معربا .

وقد بدأت حركة الترجمة في افريقيا منذ القرن الرابع فهذا قسطنطين التونسي الصقلي قد اسس مدرسة سالرنة وهي اول مدرسة من نوعها في اوربا وكانت مبعث انوار الطب الحديث في العالم الغربي ، ولد حوالي عام 400 بتونس وحمل مخطوطات طبية الى سالرنة Salerne بقيت غذاء أوربا عدة قرون وترجم الى اللاتينية اهم كتب الطب العربي منها « زاد المسافر » لابن الجزار وكتب للرازي واسحق ابن سليمان الاسرائيلي والف نحوا من 24 كتابا في الطب منها قانون الطب في 12 مجلدا و « فياتيكوم » في الطب العام في سبعة اجزاء ومات عام 475 .

وكان القرن السابع في الشرق عصر ازدهار ثم انهيار نسبي للعلوم كما كان قبله القرن السادس في الاندلس ولكن لم يكد يمضي العقد الاول من القرن السابع (17) حتى بدا صرح العلم ينهار وطمست الاضطرابات ذلك الرواء الذي تالق نجمه منذ عهد الناصر الاموي طوال ثلاثة قرون .

نعم في العهد الذي كانت الاندلس خاضعة لسلطان مراكش تكونت — كما يقول لوكلير (ج 2 ص 340) جماعة من الاطباء التفت حول ملوك المرابطين والموحدين وسار معظمهم في ركاب هؤلاء الملوك الى المغرب حيث قضوا بقية حياتهم في العلاج وتدريس الطب — فافاد المغرب كثيرا من نكبة الاندلس .

ويظهر ان علوم الحكمة تقلص ظلها مؤقتا في عهد المنصور عندما حورب الفلاسفة حتى اضطر ابن رشد الى التخلي عن الخوض في ذلك ، والمنصور هذا وان كان لم يقصد اضطهاد رجال الطب حيث اناط بابن زهر نفسه مأمورية تعقب الفلاسفة ثقة به الا انه عمد الى تدوين الاحاديث وترتيب الجرايات لحفظها فاتجه الناس اليها انجذابا للمادة فقل المفتنون بالحكمة والطب ، على أن اعتقال المنصور لابن رشد وابى جعفر الذهبي زاد الناس ريبة في مصير الفلاسفة والاطباء ولعل المنصور شعر بخطورة هذه التدابير فاعاد الحظوة الى الرجلين وكلف ابا جعفر بالسهر على مصالح الاطباء وطلبة الطب ، وتلك من المنصور محاولة لا باس بها لتنظيم المهنة الطبية .

وقد أكد الدكتور رينو Reinaud أن المغرب لم يقم على وجه العموم بدور يذكر في العصر الذي كان الطب وبقية العلوم يتالق نورها في سوريا والعراق ومصر وحتى في أسبانيا المجاورة ، ولكن منذ أواخر القرن الحادي عشر وخاصة الثاني عشر الميلاديين — وهما أبرز عصور أسبانيا المسلمة — امتزج تاريخ الاندلس بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين والموحدين « فكيف يمكن اذن أن نفصل بين دراسة الطب بالمغرب ودراسة حياة العلماء الذين انجبتهم الاندلس او الذين تكونوا في مدارسها ثم ساروا في أعقاب ملوك المغرب من اشبيلية او قرطبة الى فاس او مراكش او افمات ، فللمغرب الحق اذن أن يتبنى ابن باجة وابن طفيل وابن رشد » الخ (18) وكانت الحكمة تشمل آنذاك جميع

---

16) وقد نبغ في القرن السابع امثال السويدي صاحب التذكرة المتوفى عام 691 هـ (يوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط مختصر للتذكرة لعبد الوهاب الشعراني المتوفى عام 973 هـ في 141 ورقة) وابن ابي اصيبعة وجمال الدين القفطي (على بن يوسف المصري الوزير الملقب بالقاضي الاكرم المتوفى في عام 646) وعبد اللطيف البغدادي (المتوفى عام 629 هـ والذي امتاز في وصف اعشاب مصر) وابن النفيس المصري المتوفى عام 687 هـ والذي كان اعظم اطباء عصره وهو صاحب « كتاب الشامل » الذي لم يكمل المؤلف منه سوى 80 مجلدا من بين 300 (يوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط موجز قانون ابن النفيس لعلي بن ابي الحزم القرشي المتوفى عام 687 في 38 ورقة) .

17) اي بعد غزوة العقاب التي انهزم فيها الموحدون عام 609 « وكانت السبب في هلاك الاندلس » كما يقول ابن عذارى في « البيان المغرب » (ج 4 ص240) .

18) الطب القديم بالمغرب — رينو Reinaud نشرة معهد الدروس العليا عدد 1 ص 72 ابن القاضي (درة الحجال ص 117) .

شعب الفلسفة والعلوم وان كان مفهومها سيتقلص في القرون الاخيرة عندما يضعف الفكر العلمي بالمغرب ليقتصر على جزء من الطب هو الكحالة أو مرض العيون.

ويظهر ان أبا العلاء زهر بن زهر هو أول طبيب اندلسي ورد على المغرب بعد استيلاء المرابطين على الاندلس وقد كان طبيبا خاصا ليوسف بن تاشفين بعد ان كان طبيب المعتمد بن عباد باشبيلية (19) ووالد أبي العلاء هو أبو مروان عبد الملك ابن أبي بكر محمد بن مروان بن زهر الذي تولى رياسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان (20) وكانت له اراء شاذة في الطب منها منعه من الحمام اعتقادا منه بانه يعفن الاجسام ويفسد تركيب الامزجة (21) وقد تمخضت تجارب أبي العلاء في المغرب من تأليفه لكتاب «التذكرة» (الذي ترجمه وطبعه كولان عام 1911 بباريس) وهو مجموعة من الملاحظات سجلها لولده ابن زهر لتعريفه بالادواء الغالبة في مراكش والادوية المناسبة .

وبعدما توفي ابو العلاء أمر علي بن يوسف بجمع ملاحظات طبية أخرى كان ابو العلاء سجلها في أوراق وهي « المجربات » (22) وولده هو ابو مروان عبد الملك بن زهر خدم المرابطين مثل ابيه والف كتاب الاقتصاد (23) وهو اعظم من ابن سينا ولا يعدله سوى الرازي في الشرق .

وقد قرا عليه أبو الحكم ابن غلندو الاشبيلي الشاعر عام 535 كتاب « الاقتصاد » في سجن مراكش حيث مكث ابن زهر نحو العشر سنين . وكان ابن رشد يفضل ابن زهر على غيره من اهل عصره (24) . وقد نهج ابن زهر في كتاب « التيسير) اسلوبا جديدا في الحكمة القياسية مستخدما التمحيص العقلي للوصول الى أحسن النتائج فهو طبيب التجربة والتمحيص العلمي وليس من صناع اليد كما يقول في « التيسير » ولذلك توصل بفضل قياساته الطبية وتجربته الشخصية الى الكشف عن امراض جديدة لم تدرس قبله فقد اهتم بالامراض الرئوية واجرى عملية القصبة المؤدية الى الرئة وتمكن هو بعد ذلك من تشريح القصبة في مرض الذبحة فعولج المريض وقد اختص في امراض الجهاز الهضمي واستعمل انبوبة مجوفة من القصدير لتغذية المصابين بعسر البلع واستعمل الحقن المغذية واكتشف طفيلية الجرب وسماها صؤابة كما بسط طرق العلاج القديمة واوضح ان الطبيعة — اذا اعتبرناها قوة داخلية تدبر

---

19) ذكر المراكشي في « المعجب » ان المعتمد استدعى ابا العلاء لمعالجة « الرميكية » عندما كان اسيرا باغمات .

20) (النفح ج 1 ص 445) .

21) الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة ج 2 ص 64 — 66)

22) جمعت بمراكش عام 526 هـ يوجد مخطوط منها في الاسكوريال (844) وقد ترجم جان دوكابو التذكرة من العبرية الى اللاتينية (نسخة من مكتبة كلية الطب بباريس) ثم توالت التراجم عام 1280 والمطبوعات (عشر مرات بين 1490 و 1554) .
وتوجد الآن نسخة في مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس يرجع تاريخ طبعها الى 1531 وهي تحتوي ايضا على كليات ابن رشد .
وهناك رسالة في امراض الكلى كتبها ابو العلاء لعلي بن يوسف ولا توجد سوى ترجمتها باللاتينية المنشورة عام 1497 كما يوجد مخطوط له حول الخواص بمكتبة باريس ومنه استقى ابن البيطار خواص لحوم الحيوانات ، ولابي العلاء مقالة في شرح رسالة يعقوب بن اسحق الكندي حول تركيب الادوية .
وتوجد نسخة من (جامع اسرار الطب) لابي العلاء في المكتبة الوطنية بالرباط وهي تحتوي على 185 ورقة .

23) لابراهيم بن يوسف اخي علي (يوجد منه مخطوط بباريس رقم 2959) وكذلك نسخة في الاسكوريال حسب رينو محررة بالعربية ومكتوبة بحروف عبرانية وفرغ من الكتابة عام 515 هـ .

24) ابن عبد الملك في « الذيل والتكملة » .

شأن الجهاز البشري — تكفي وحدها في الغالب لعلاج الادواء (25) .

والحفيد أبو بكر بن مروان كان طبيبا شاعرا متين الدين خدم الدولتين اللمتونية والموحدية (عبد المؤمن ويوسف ويعقوب والناصر) توفي عام 596 هـ بمراكش ألف « الترياق الخمسيني » ليعقوب المنصور ودس اليه ابن يوجان وزير المنصور السم هو وابنة أخته وكانت هي وأمها ماهرتين بالطب لاسيما في امراض النســـاء وتدخلان الى نساء المنصور (26) وكان أبو بكر يحفــظ صحيح البخاري (27) **ولم يكن في زمانه أعلم منه باللغة وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب (28)**

أما أبو بكر محمد بن يحيى ابن الصائغ المعروف بابن باجة (29) فهو شيخ ابن رشد ، وقد استوزره أبو بكر يحيى بن تاشفين مدة عشرين سنة وكان يشارك الاطباء في صناعتهم فحسدوه وقتلوه مسموما عـــام 533 هـ (30) . ولم يصلنا شيء من المؤلفات الطبيـــة المنسوبة لابن باجة ولا يعرف الا من طريق ابن البيطار الذي يقتبس منها في « جامع المفردات » . ومن تلامذة ابن باجة سفيان الاندلسي المتوفى عام 537 الذي كان احد أطباء علي بن يوسف وتعاون مع شيخه ابن باجة في تأليف كتاب التجربتين (31) .

ومن الاطباء الذين نبغوا في هذا العصر : أبو جعفر بن هارون الترجالي طبيب يوسف وهو تلميذ المازري في الحديث وشيخ ابن رشد في التعاليم والطب وكان عالما بصناعة الكحل (طب العيون) (32) .

أما الوليد ابن رشد فاهم مصنفاته كتاب الكليات الذي طلب من ابن زهر اعداد ملحق لـــه (33) في الجزئيات لتكون جملة كتابيهما كتابا كاملا في الطب، وقد نتم عليه المنصور وأجبره على المقام بالبسانة الآهلة باليهود قرب قرطبة وقد اقترح ابن رشد في شرحه لابن سينا ما يسميه الاطباء اليوم وهو **تبديل الهـــواء في الامراض الرئوية** ، أشار الى جزيرة العرب وبلاد النوبة كمراكز شتوية (34) .

---

(25) (حضارة العرب) جوستاف لوبون ص 530 من الطبعة الفرنسية . وقد وهم كودار لزعمه في كتابــه حول تاريخ المغرب (ص 452) أن أبا مروان ابن زهر يهودي ثم أكد أن ابن زهر استعاض بالمنهـــج التجريبي والطريقة المعقلية عن التقليد في ممارسة الطب وكانت له عبقرية فذة تطورت بفضلها شعب ثلاث حاول توحيدها وهي الصيدلة والجراحة والطب العام .

(26) (ابن أبي اصيبعة ص 67) .

(27) (الانيس المطرب) (ج 2 ص 180)

(28) (المطرب لابن دحية) .

(29) المتوفى بفاس (ابن أبي اصيبعة ج 2 ص 63)

(30) وقد زعم مونك أن ابن رشد لم يتلمذ لابن باجة الذي مات عام 1138 (525 هـ) أي عندما كان لابن رشد 12 سنة وابن أبي اصيبعة كتب تاريخه بعد وفاة ابن رشد بأربعين سنة .
(مزيج من الفلسفة اليهودية والعربية ص 420) .
ويذكرون أن وفاته كانت سنة 533 هـ بفاس فيكون قد اتيح بذلك لابن رشد أن يتتلمذ له.
كما خطأ عمر فروخ في كتابه «ابن طفيل وقصة حي بن يقظان» ص 31 «المراكشي» حينما زعم أن ابن طفيل قرا على ابن باجة » .
واضطرب الفتح بن خاقان في ابن باجة حيث نسبه في القلائد للتعطيل وانحلال العقيدة وحلاه في « مطمح الانفس في ذكر رجال الاندلس » بالخير والدين والاستقامة (والسلوة ج 3 ص 262) .

(31) (لوكلير (تاريخ الطب العربي) (ج 2 ص 79)

(32) ابن أبي أصيبعة (ج 2 ص 75) وذكر ابن عذارى في « البيان المغرب » (ج 4 ص 49) أن الخليفة أبا يعقوب اعتل عام 573 فوفدت عليه الاطباء في الاندلس للمعالجة الى أن وجد الراحة » .

(33) وذكر أيضا أن أبا يعقوب لما خرج في الغزوة التي مات اثرها بالاندلس كان الاطباء الحاضرون لديه هم ابن زهر وابن مقبل وابن قاسم (ج 4 ص 70) .

(34) (حضارة العرب جوستاف لوبون ص 531 من الطبعة الفرنسية) .

وابن رشد هو أول (35) من أشار الى الدورة الدموية وعللها في كتابه « الكليات » الذي استمد منه ويليام هارفي William Harvey معظم نظرياته . وهناك أطباء آخرون ينيف عدد البارزين منهم على العشرين ، ازدهر بأبحاثهم القطاع العلمي في عهد المرابطين والموحدين (36) نخص بالذكر منهم عالمين اثنين من سبتة هما علي بن يقظان الطبيب الشاعر الذي زار مصر عام 544 هـ ثم اليمن والعراق ، وابن سمعون أبو الحجاج يوسف بن يحيى (37) الذي كان طبيبا لميمون أمير حلب ولملك مصر الظاهر ، وذلك علاوة على ابن الرومية النبطي الاشبيلي أحمد بن محمد بن مفرج المعروف بابن العشاب الذي رحل الى الشرق عام 614 (38) بعد ما درس أعشاب الاندلس والمغرب واقتبس منه تلميذه ابن البيطار ذوقه الخاص وعلمه الواسع، وكان لرحلة بن البيطار الى المغرب أثر قوي في نقل المصطلحات البربرية الى معجمه العربي الجديد الذي أصبح المرجع الاساسي في الشرق وخاصة بمصر حيث عين ابن البيطار رئيس العشابين (39) .

ومن أبرز من ظهر في هذا العصر أيضا الشريف الادريسي الذي صنف كتابه «النزهة» في الجغرافية عام 548 هـ (1154 م) ووضع كرة فضية للعالم جعلت منه أستاذ أوربا كما شحن كتابه في الادوية بنتائج تجاربه الشخصية القيمة ، حذت الطبائعي الشرقي الكبير ابن البيطار الى الاقتباس منه في مائتي موضع من كتابه في الاعشاب (40) والاعتماد عليه وحده في ثلاثين موضعا مع الاشارة الى أسمائها بالبربرية . ويتجلى من هذا العرض ان العلوم ازدهرت في المغرب الاقصى الى القرن السابع واتصهرت معطياتها ومفرداتها في بوتقة مع مصطلحات الشرق العربي عدا فروق ترجع الى اللون المحلي كالنباتات والازهار والأعشاب العقاقيرية التي تحمل أسماء خاصة متأثرة بالعقاقير الجهوية ونضرب مثالا لذلك بالجوزة الصحراوية التي عرفت في المغرب بهذا الاسم بينما عرفت في كل من الشرق والجزائر بجوزة الشرك (41) وقد استعمل الطبيب هرون بن اسحاق ابن عزرون في أرجوزته التي استدرك فيها على الحميات الواردة في أرجوزة ابن سينا (وهو من رجال القرن الرابع عاش في عهد عبد الرحمان الثالث) نحو ثلاثين كلمة مغربية أندلسية بدل مقابلها الفصيح منها :

تبن مكة (اذخر)
والحلحال (= اسطوخودوس)
والمتربان (= استولوفندريون Scolofendre)
والفاسوخ (= أشق :
(Gomme Ammoniaque
وشيبة العجوز (= افسنتين Absinthe)
والمجيبة (= اكليل الملك Mellilot)
وحبة حلاوة (= انيسون Anis)
والرجلة (= بقلة حمقاء Pourpier)
ويربوز (Blette) = بقلة يمانية) .
وحبق الاترج (= ترنجان Basilic citronnelle)
والصفصاف (= خلاف Saule ou Peuplier)
والجزر البري (= دوقو Carotte sauvage)
والنافع (= بزر الرازيانج Graine de fenouil)
والبرستم المكور (زراوند مدحرج
(Aristoloche ronde
والهندبا (= سريس Chicorée)
والمحمودة (= سقمونيا Scammonée)

(35) ابن النفيس المصري ، اكتشف الدورة الدموية الصغرى وهي الدورة الرئوية قبل الغربيين بثلاثة قرون (نشرة المعهد المصري ج 26 عام 1934 — بحث بقلم ماكس مايرهوف ص 33) وقد أشار ابن النفيس الى ذلك في « الكتاب الشامل في الطب » الذي كان يحتوي على 300 مجلد وقد أهدى مؤلفه منه 80 مجلدا لمستشفى قلاوون .
(36) تحدثنا عن جميعهم في كتابنا « الطب والاطباء بالمغرب » المطبعة الاقتصادية 1960 بالرباط .
(37) القفطي ج 2 ص 160 و 193 و 256 .
(38) توفي عام 637 هـ وصنف كتابا في الحشائش رتبه على حروف المعجم وفاق أهل زمانه في معرفة النبات (نفح الطيب ج 1 ص 635) وتلميذه ابن البيطار هو أعظم نباتي العرب الذي قارنه لوكلير (ج 2 ص 225) بالغافقي والشريف الادريسي ورشيد الدين الصوري والنبطي .
(39) نفح الطيب ج 2 ص 683 .
(40) لوكلير Leclert (ج 2 ص 680)
(41) ابن البيطار في « جامع المفردات » وعبد الرزاق الجزائري في « كشف الرموز في بيان الاعشاب » (طبعة الجزائر 1903 و 1917) .

والحبق القرنفلي (= شاهشبرم Petit basilic)
ومشيشترو او (= نعناع Menthe فوذنج)
وحب الملوك (= تراسيا Cerise
والكروية البرية (= قردمان Carvi sauvage)
وقصة الحية (= قنطوريون Centaurée)
والشمع الابيض (Cire blanche) = موم)
وغير ذلك .

وكان النباتيون يسمون الشجارين والحشائشيين بالشرق بينما يعرفون بالعشابين في المغرب ومنهم ابن العشاب المعروف بابن الرومية .

ولعل العامية المغربية من اغنى اللهجات العربية الدارجة في مصطلحات العلوم بالرغم من وجود مرادفات بربرية ولنضرب لذلك امثلة مقتبسة من معجمنا في « الاصول العربية للعامية المغربية » .

ففي خصوص الاعشاب والازهار : بابونج (بابنوج) ــ بسباس (المعجم الوسيط) مقدونس (معدنوس ترفاس) ــ الترنج (الكباد بالشام) ــ ترياق (دواء للسموم) الجلبان ــ حب الرشاد ــ الحرف ــ الجلجلان ــ جلنجين ــ الجوز ــ الباذنجان ــ البحيرة (البستان) ــ برقوق ــ اجاص ــ البصل ــ العنصل ــ الفول ــ البطيخ ــ البرسيم ــ التبن ــ الثوم ــ الحب ــ الحرمل ــ الحشيش ــ الحلبة ــ حلفاء ــ حماض ــ حمص ــ حناء ــ حنظل ــ خبيزة ــ خزامى ــ خس ــ خشخاش ــ خشاش ــ خوخ ــ خيار ــ ذرة .

وفي العلوم : التوتيا ــ الجلمود (الصخر) ــ الجدول ــ الجذري ــ الجذام ــ الجذر ــ الجليد ــ الحادور (المكان المنحدر) ــ الحارة (الفضاء) ــ حامض الرئة اي مر النفس ــ الحبل (حمل المراة) والحرقة والحصحاص (الارض الحجرية) ــ الحكة والحراج ــ والخنان والدمل الخ .

ومن اعضاء الجسم : بعصوص (عظم بين الاليتين) (المعجم الوسيط) جمجمة ــ انف الانف ــ الجفن ــ الحاجب ــ الحبو ــ والحدبة ــ حك الورك (اي حك وهو مغرز راس الفخذ) حلقوم ــ حنجرة ــ خرطوم ــ اما في عموم الحيوان فنذكر من المفردات :

الحيوان ــ البغل ــ الجبح (خلية النحل) والجمل والحمار والبرغوث والبق والنحل ــ والبعوض والتمساح والتيس ــ والثعبان ــ والحية ــ والحنش والافعى ــ والجحش والجراد والجرثومة والجرو والجماد والحجل ــ والحداة ، والحرجة (جماعة الغنم والابل) والحظيرة والحلس والحوار (ولد الناقة) والحوت والحولي ــ والحيتطان (الدراج) (الحيقون في زعير) وختل الصياد ــ والخروف والدلفين ــ ودوارة البطن (امعاؤه) والديك ــ والذباب ــ والدب ــ والخيل ــ والخيال ــ والخطاف ــ والخفاش ــ والخنفساء الخ .

اما في عصر المرينيين فان **الملكة العلمية تضاءلت** وصار حفظ النصوص هو الغالب لا في علوم الالة كالنحو او علوم الشريعة بل حتى في المنطق والحساب والطب وسائر العلوم العقلية (42) ويظهر ان هذه الآفة الفكرية قد اصابت بشلل جزئي قطاعات علمية في الشرق حيث بدأ **عصر الانحطاط العلمي في القرن الثامن وبداية التاسع على اثر السيول الجارفة التي حطمت في طريقها معالم المدنية** تحت امرة جنكيز خان وتيمورلنك ، واذا كان ابن بطوطة قد تحدث لنا عن المدرسة النظامية التي كانت ما زالت قائمة البنيان فان اساتذتها وطلبتها اندرسوا وقد لاحظ لوكلير انه امكن في هذه الفترة تسجيل نحو الاربعين عالما نصفهم من الاندلس لا يوجد من بينهم طبيب مشهور لقلة الطرافة والاكتفاء بالجمع والتاليف (43) .

ويرى بعض المستشرقين **ان جامعة فاس التي ظلت تدرس الطب بكتب ابقراط وجالينوس وديوجينوس المعربة لم تكن لتحسد جامعات العواصم العربية الاخرى** (44). والواقع ان الفكر العلمي بدأ يتحجر ليجمد على النصوص الظاهرة بالرغم عما يقال من

---

42) « نشر المثاني » ج 2 ص 97 « وسلوة الانفاس » ج 1 ص 74 نقلا عن كتاب لعلي بن ميمون الفاسي .
43) كتاب الطب العربي لوكلير (ج 2 ص 258) .
44) ليفي بروفنصال Lévy-Provençal (هسبريس Hesperis عام 1952 ص 3) ولوكلير « الطب العربي » (ج 1 ص 575) وقد وصف كل من الرحالة باديا ليبليش المعروف بعلي العباسي والدكتور رينو Reinaud . (الطب القديم بالمغرب ص 77) مدينة فاس بانها اثينة افريقيا اي شبيهة بعاصمة الفكر اليوناني باوربا .

وجود مدرسة للطب في سلا (45) ومن ظهور دراسات مغربية حول علل وطرق علاج «الطاعون الاسود» (46) الذي ظهر في منتصف المائة الثامنة .

وابرز من ظهر من الاطباء انما عاشوا في أوائل عهد المرينيين امثال ابي العباس الشريشي السلوى الذي قرأ الطب في الشرق على ابن بنان (47) ومحمد ابن خليل السكوني الذي صنف في الخواص الطبية والكليات في الاغذية والبيطرة وفن ركوب الخيل وتدبير الحروب (48) .

اما في القرن الثامن فان العلماء أصبحت لهم مشاركة محدودة مثل احمد ابن علي الملياني المراكشي الذي جمع بين الشعر والكتابة والطب (49) بينما كانت لهذه المشاركة سمة الضلاعة والعمق عند التبطي مثلا الى أوائل القرن السابع حيث كان الى جانب اختصاصه في علم النبات اماما في الحديث حافظا ناقدا .. « لوجود القدر المشترك بين صناعتي الحديث والنبات اذ موادهما — كما يقول ابن الخطيب في الاحاطة — الرحلة والتقييد وتصحيح الاصول » ، وقد شملت المشاركة جوانب شتى عديدة من العلوم والتقنيات اهمها الرياضيات والهندسة والهيئة . وكان العرب اساتذة النهضة الاوربية في الحساب (50) وقد فند سيديو Sedillot (51) ما زعمه بعض المستشرقين من ان علماء العرب انما اقتبسوا من الاغريق مشيرا الى ما ابدعه الفكر العربي في هذا المجال مثل ادراج الخطوط الماسة للدائرة Tangentes في الحسابات ، والاستعاضة عن الاساليب العتيقة بحلول مبسطة اصبحت اساسا في حساب المثلثات الحديث Trigonométrie

وقد لاحظ العالم شال Chasles انه كان للعرب فضل التفكير في تطبيق الجبر على الهندسة ، وتأكد ذلك بعد ان نشرت مؤلفات محمد بن موسى الخوارزمي منذ عام 1836 م من طرف روزن Rosen

ومن بينها بحث في الجبر حلت مشاكله في المعادلات الثلاثية بطرق هندسية، ويقال بان الخوارزمي هذا لم يحل سوى المعادلات من الدرجة الثانية Equation de 2° Degré وان الذي حل معادلات الدرجة الثالثة هو عمر ابن ابراهيم (52) ولعل لفظتي الغوريتم واللوغريتم مشتقتان من اسم الخوارزمي الذي يعتبر اقدم الرياضيين العرب حيث عاش في عصر المامون العباسي ونقلت كتبه في الجبر والمقابلة الى اللاتينية ، وقد ابدع العرب في علم المثلثات نظرا لتطبيقاتها في علم الفلك .

واسهم الغرب الاسلامي اي المغرب الكبير والاندلس في بلورة هذا الاشعاع العلمي العربي فظهر ابن حمزة المغربي في القرن الرابع واستعمل طرقا جديدة في اللوغريتم ، واشتهر في الاندلس ابو عبيدة مسلم بن احمد ويحيى ابن يحيى المعروف بابن السمينة وابو القاسم اصبغ بن السمح (له تآليف منها المدخل الى الهندسة في تفسير اقليدس ، وكتاب كبير في الهندسة) وابو القاسم ابن الصفار وابو الحسن الزهراوي (كان عالما بالعدد والطب والهندسة له كتاب شريف في المعاملات) وابو الحكم عمر الكرماني (من الراسخين في العدد والهندسة) وابو مسلم بن خلدون (كان متصرفا في الفلسفة والهندسة والنجوم والطب) وتلميذه ابن برغوث (اختصاصي في العلوم الرياضية) وتلميذه ابو الحسن مختار الرعيني (كان بصيرا بالهندسة والنجوم) وعبد الله بن احمد السرقسطي (ناقد في الهندسة والعدد) ومحمد بن الليث (بارع في العدد والهندسة) وابو حي القرطبي

---

45) ورد في الجزء الاول من سلسلة « مدن المغرب وقبائله » المتعلق بالرباط وناحيته (ص 32 و 225) ان « المدرسة البوعنانية » المنسوبة الى ابي عنان المريني بسلا كانت « مدرسة للطب » ونسب ذلك الى « الاستقصا » الذي لم يشر اليه عند تعرضه للمدرسة (ج 2 ص 151) .

46) الطب القديم بالمغرب — رينو — ص 47 .

47) توفي بالفيوم عام 641 هـ (الاعلام للمراكشي ج 1 ص 351) .

48) توفي عام 646 (الاعلام ج 3 ص 145) .

49) (جذوة الاقتباس ص 73) .

50) كوتيي Gautier في كتابه « عادات المسلمين واعرافهم » ص 238 .

51) تاريخ الطب العربي — لوكلير ج 1 ص 320 .

52) « حاضر العالم الاسلامي » (ج 1 ص 151)

(بصير بالهندسة ، رحل الى مصر عام 442 هـ) وأبو الونشي الطليطلي (الهندسة) (النفح ج 2 ص 874)

ومن العلماء الذين برزوا في الهندسة والرياضيات بالمغرب الاقصى في مختلف العصور : أبو بكر الصايغ المعروف بابن باجة Avempace له تعاليق في الهندسة (53) .

والحاج يعيش الذي صنع لعبد المؤمن ابن علي مقصورة من الخشب لها ستة أضلاع تسع اكثر من الف رجل وقد وضعت على حركات هندسية ترتفع بها لخروجه وتنخفض لدخوله (54) .

والمهندس عبيد الله بن يونس الاندلسي الذي استخرج المياه التي تسقى بها بساتين مراكش بصنعة هندسية (55) .

وأبو جعفر بن الحسن بن أحمد بن حسان القضاعي الذي كان عالما بالهندسة وسائر التعاليم(56)

وعبد الله بن حجاج المعروف بابن الياسمين الفاسي وهو بربري توفي بمراكش عام 600 أو أوائل 601 هـ وتوجد نسخ من ارجوزته في الجبر والمقابلة بخزائن باريز وبرلين واكسفورد والاسكوريال والقاهرة (57) .

وأبو عمران موسى بن حسن بن أبي شامة من اهل المعرفة بالبناء والهندسة وهو صانع « البيلة » و « الخصة » بصحن القرويين عام 599 هـ (58) .

وفي عهد المرينيين ظهر كثير من المهندسين ، ففي عام 674 هـ خرج يعقوب المريني الى ضفة وادي فاس « ومعه أهل المعرفة بالهندسة والبناء » فوقف على المدينة البيضاء (فاس الجديد) وشرع في حفر أساسها (59) .

ومن هؤلاء العلماء :

محمد بن عبد الله المعروف بابن حجلة شيخ ابن البناء في الحساب (60) .

ويوسف بن أحمد بن حكم التجيبي قاضي الجماعة بفاس اخذ عنه ابن البنا الحساب والتعاليم (61) .

ومحمد بن علي المعروف بالشريف استاذ ابن البنا المراكشي الذي كان يذاكره مسائل من كتاب الاركان لاقليدس (62) .

---

53) توفي بفاس (« عيون الانباء في طبقات الاطباء » لابن ابي اصيبعة ص 63) وكانت وفاته عام 533 هـ (الاعلام للعباس بن ابراهيم المراكشي ج 8 ص 6) .

54) فاذا قرب وقت الرواح الى الجامع يوم الجمعة دارت الحركات بعد رفع البسط من موضع المقصورة فتطلع الاضلاع في زمان واحد ولا يفوت بعضها بعضا بدقيقة ، وكان باب المنبر مسدودا فاذا قام الخطيب ليطلع عليه انفتح الباب وخرج المنبر في دفعة واحدة بحركة واحدة لا يسمع لها حس ولا يرى ، وذكر المقري في النفح ان آثار هذه المقصورة كانت باقية عام 1010 هـ .

55) (نزهة المشتاق للادريسي ص 67 من الجزء المطبوع حول افريقيا والاندلس) .

56) انتقل الى فاس حيث توفي في حدود ستمائة (الجذوة لابن القاضي ص 72) .

57) ومن شراح الارجوزة حسب بروكلمان ابن الهائم المصدري المتوفى سنة 815 هـ (وهو مخطوط باكسفورد والقاهرة) والقلصادي وهو « تحفة الناسمين في شرح ارجوزة ابن الياسمين » (مخطوط بخزانة مكتب الهند بلندن والخزانة العامة بالرباط) وسبط المارديني المتوفى سنة 900 ويسمى « اللمعة المارديني في شرح الياسمينية » (مخطوط ببرلين والقاهرة واسطنبول) وله ارجوزة في اعمال الجذور توجد بخزانة الاسكوريال (راجع بحث الاستاذ محمد الفاسي مجلة رسالة المغرب 1942 (السنة الاولى — عدد 1) ومن شرح الارجوزة سعيد العقباني التلمساني الملقب برئيس العقلاء (نيل الابتهاج ص 106) .

58) (الجذوة بين 37 و 57) .

59) (السلوة ج 3 ص 145) .

60) الجذوة ص 76) .

61) الجذوة ص 346) .

62) توفي عام 682 هـ (الاعلام ج 3 ص 192) .

وابو العباس بن البنا العددي المراكشي لــــه «التلخيص» في الحساب ومقدمة في اقليدس واختصار في الفلاحـــة (63) .

وابو جعفر بن صفوان الامام في الحساب وهـــو تلميذ ابن البنا (64) .

وعلي اليفرني المكناسي الشهير بالطنجي امام في الفرائض والحساب في وقته توفي عام 734 هـ (65)

وعبد الله بن محمد بن احمد التلمساني ولد سنة 748 قرا الهندســة بكتاب اقليدس على والده بفاس(66)

وعلي بن احمد التلمساني موقت القرويين أيام ابي عنان المريني صنع « المنجانة » المقابلة للمدرسة العنانية عام 758 هـ (67) .

وعبد الرحمن اللجائي تلميذ ابن البنا في العلوم التعليمية توفي عام 773 حسب تلميذه ابن قنفذ (68)

واحمد الاوسي المراكشي المعروف بابن الشماع امام في الحساب عارف بالمنطق والهندسة (من أهل القرن الثامن) (69) .

ومحمد الشريف التلمساني من علماء الحساب والهندســة والهيئة ، كان لسان الدين ابن الخطيب اذا الف تاليفا بعثه اليه وطلب منه أن يكتب عليه بخطه(70)

وجمال الدين المارديني خليل بن يوسف المهندس المتوفى عام 872 هـ (71) .

ومحمد القوري حافظ فاس الحيسوبي الطبيب المتوفى عام 872 هـ (72) .

وامير المؤمنين في الفرائض والحساب ابراهيـم المصمودي ، توفي بفاس عام 912 او 913 هـ (73) .

واحمد الغزالي الفاسي كان استاذا فرضيـــا حيسوبيا له معرفة بالفلك توفي عام 920 هـ (74) .

ومحمد بن قاسم بن تورت التلمساني « استخدم مثله في حل مشاكل الهندسة » وهو من مواليد نهاية القرن التاسع الهجري (75) .

---

63) توفي عام 221 هـ على قول ابن قنفذ (نيل الابتهاج ص 42) كان يقصد شيخه عبد الرحمـــان الهزميري فيما اشكل عليه من مسائل الهندسة (137) وله ايضا جزء في « المساحات » (الجـذوة ص 77) .
ذكر ابن القاضي في « درة الحجال » (القسم الاول ص 5) ان له كتابا في الجبر والمقابلة سماه « الاصول » وكذلك « رفع الحجاب عن تلخيص أعمال الحساب » زيادة على «تلخيص أعمال الحساب» وذكر عباس بن ابراهيم في الاعلام ان كتاب « الجبر والمقابلة» موجود في المكتبة الخديوية (ج 1 ص 379) وممن شرح تلخيص ابن البناء احمد بن رجب ابن طنبغا القاهري المتوفى عام 850 هـ المعروف بابن المجدي وممن اختصره وسماه ««بالحاوي ابو شهاب القرافي المعروف بابن الهائم المتوفى عام 815 ونظمه محمد بن غازي المكناسي وابن القاضي صاحب « الجذوة » (ص 384) وممن شرح التلخيص ابو العباس بن قنفذ في كتاب سماه « حط النقاب عن وجوه الحساب » ولابن قنفذ هـذا « بغية الفارض من الحساب والفرائــض » . (الاعلام ج 2 ص 17) .

64) (الاعلام ج 2 ص 2) .

65) (الدرة ص 441) وهو بن عبد الرحمان بن غيم (نيل الابتهاج لابن بابا السوداني ص 192) .

66) (نيل الابتهاج ص 127) .

67) (جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 31) .

68) السلوة ج 1 ص 304 .

69) الاعلام ج 2 ص 10 .

70) نيل الابتهاج ص 258 و 264 .

71) له « غاية الانتفاع بالبخشي الذي في طرف قوس الانتفاع » طبع حجر ، فاس .

72) السلوة ج 2 ص 116 .

73) درة الحجال (ص 107) (وسلوة الانفاس (ج 2 ص 4) تلميذه ابراهيم الزواوي فقيه كنو من السودان (الدرة ص 111)

74) درة الحجال ص 91 .

75) نيل الابتهاج ص 340 .

ومحمد بن هلال « امام التعاليم في سبتة وشارح المجسطي في الهيئة » مات عام 949 هـ (76).

ومحمد بن يوسف المعروف بابن مشون من أساتذة المرية رحل الى سبتة ونظم رجزا في علم الجبر والمقابلة ، توفي عام 989 (77).

اما في عصر السعديين فلم ينبغ من الاطباء والرياضيين والجغرافيين وغيرهم من العلماء سوى عدد محدود ، منهم الطبيب بن عزوز المراكشي صاحب ذهاب الكسوف (78) وعبد الرحمن سقين الفاسي المحدث الاديب الذي كان يدرس الفية ابن سينا (79) . وابو القاسم الوزير الغساني صاحب شرح حميات ابن عزرون » و « وحديقة الازهار في شرح ماهية العشب والعقار » (80) .

وقد نشر الدكتور رينو في نشرة معهد الدروس المغربية العليا (81) دراسة حول «حديقة الازهار» ذكر فيها أن هذا الكتاب « يمتاز بمنهاجه الواضح جدا في الوصف النباتي الذي يتسم غالبا بطابع من الاصالة والطرافة ، وقلما يخلو الكتاب من الاشارة الى منابت الاعشاب التي توجد بالقرب من فاس وبذلك يزودنا بمعلومات ثمينة حول معظم المواد الصيدلية بفاس ، فهي اذن محاولة مفيدة لترتيب ثلاثي يدخل عنصرا جديدا في وصف أعشاب المدرسة الصيدلية الشرقية ».

ومن اطباء هذا العصر وعلمائه :

عبد الوهاب الزقاق الذي كانت له مشاركة في الادب والاصليين والطب والتفسير والحديث والنحو وولي القضاء بفاس (توفي عام 961 هـ) .

وطبيب المنصور أبو عبد الله محمد الطيب (82) .

ومحمد الاندلسي الذي كان مولعا بالكيمياء والرياضيات والطب والهيئة والطبيعة (83) .

وداود بن عبد الله البغدادي ثم التلمساني الطبيب الماهر (84) .

واحمد بن عبد الحميد المعروف بالمريد المراكشي الذي كان اماما في جميع الفنون حكيما ماهرا في الطب (85) .

وعبد الرحمن الفاسي الذي انفرد بتحقيق تعاليم وتحدث في كتابه « الاقنوم في مبادىء العلوم » عن الطب وعمليات التشريح وفنون العلاج وعن البيطرة وعلم الزردقة اي طب الحيوان وعن الصيدلة وهو علم الاقرابادين وآخر هؤلاء الاطباء احمد بن محمد بن حمدون بن الحاج الذي ساقه رينو كانموذج اخير للطبيب العالم ، له كتاب « الدرر الطبية » في الطب والطبائع والهواء والاغذية والاشربة والامراض وطرق علاجها والادوية مع تقسيم فني جديد لهذه الادوية .

والسلطان احمد المنصور الذهبي له قدم راسخ في المنطق والحساب والهيئة والهندسة (86) .

واحمد بن قاسم معيوب كان له معرفة بالتعاليم من حساب وهيئة (87) .

واحمد بن القاضي المكناسي المؤرخ له (غنية الرائض في طبقات اهل الحساب والفرائض) (مفقودة) و « المدخل » في الهندسة ، ونظم تلخيص ابن البنا (نشر المثاني ج 1 ص 129) وظهرت في

(76) الاعلام ج 3 ص 263 .
(77) درة الحجال ص 176 .
(78) اقتبس فصل طب العيون من الكحال الشرقي علي بن عيسى (الطب القديم بالمغرب ص 75) .
(79) توفي عام 956 (نيل الابتهاج ص 153) .
(80) الفه للسلطان المنصور السعدي عام 994 (نشر المثاني ج 2 ص 125) .
(81) ج 18 ص 195 .
(82) « نزهة الحادي » طبعة هوداس ص 146 .
(83) قتل عام 980 هـ (الاعلام ج 4 ص 318) .
(84) لقيه ابن القاضي في مصر عام 986 (درة الحجال ص 143) .
(85) توفي عام 1048 (الاعلام لابن ابراهيم ج 2 ص114) .
(86) نشر المثاني ج 1 ص 77 . فهم كتاب اقليدس من غير شيخ لعزة وجوده بالمغرب فكان يفك شكلا في كل يوم (درة الحجال ص 51) وتضلع ايضا في الجبر والمقابلة (السلوة ج 3 ص 226) .
(87) توفي بمراكش عام 1022 هـ (الاعلام ج 2 ص 82) .

وفقه الحرف المهمة التي لم تكن بالمغرب منها الحساب والهندسة والمساحات (88) .

والرحالة محمد بن القاسم ابن القاضي أوحد عصره في علم الحساب والتنجيم والجداول ، له « البرق الوامض في الحساب والفرائض » (89) .

واحمد القلصادي موقت القرويين كان يدرس كتاب القلصادي (90) .

ويعقوب البستاني امام الفرائض والحساب (91)

واحمد التلمليتي العارف بالحساب والتعديل والمساحات وبعض مبادىء الهندسة ، وهو شيخ « جماعة الفنون » المذكورة بمراكش ، وهو معاصر لمؤلف درة الحجال (92) .

ومحمد بن سعيد السوسي المرغيتي صاحب المقنع في التوقيت (93) .

ومحمد ادراق السوسي .

ومحمد بن محمد بن سليمان الفاسي الروداني ، كان يتقن فنون الرياضة واقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي ويعرف انواع الحساب والمقابلة والارتماطيقي والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره (94) .

وقد تنافس الناس في اقتناء الآلة التي اخترعها ، وكان يبيعها بثمن غال وقد الف رسالة في وصفها وهي منشورة في الاعلام (ص 350) والآلة عبارة عن كرة مستديرة مسطرة دوائر ورسوما ركبت عليها أخرى مجوفة منقسمة نصفين فيها تخاريم وتجاويف (95) .

غير ان هذه « العلوم فقدت منذ أوائل القرن الحادي عشر سمتها العلمية فأمست مجرد (حرف) تقنية ضمت اختصاصيين في الحساب والهندسة والمساحات » (96) ومما يدل على عقم الصيدلة ما لاحظه الحسن الوزان من ان العقاقيريين بفاس لم يكونوا قادرين على ترتيب الاشربة والأدهان طبقا لوصفات الأطباء فكانوا يجتمعون كلهم لاعدادها ثم يرسلونها الى دكاكينهم لتوزيعها وهي ظاهرة ان كانت تنم عن انخفاض في المستوى العلمي فانها تدل مع ذلك على أمانة واخلاص للمهنة . وبالرغم من تقلص شبكة العلوم فان الروح العلمية ظلت تذكي الخاصة من العلماء الذين كانوا يشعرون بالفروق الدقيقة في الاتجاهات العلمية ، ويتجلى ذلك في تقسيمات ابي علي اليوسي للعلوم : الى فلسفة وملية ، وتحديده لماهية علم الفلسفة الذي يهدف الى « تكميل النفس الناطقة والاطلاع على حقائق الاشياء بقدر الطاقة » وانه — كما يقول — اما نظري واما عملي، والاول اما مجرد عن المادة مطلقا وهو العلم الالهي ، او في الذهن فقط وهو العلم الرياضي، او مقيد بالمادة وهو العلم الطبيعي، والثاني اما متعلق بنفس الشخص من حيث هي ، وسمي سياسة النفس وعلم الاخلاق ، او بها وبما يحتاج اليه من شهوات قواها وهو علم تدبير المنزل ، او بما يعم وهو الملكية والسلطنة » .

وقد اصبحت التعاليم تنحصر على عهد العلويين في عمليات تطبيقية منها ما صنفه :

محمد المسناوي مرينو الاندلسي المنجم الحيسوبي الذي وضع مؤلفات في « تقدير فرض النفقات » بعمل

---

(88) الاعلام للمراكشي ج 1 ص 46 . (توفي عام1025 هـ) .
(89) توفي قتيلا بفاس عام 1040 هـ (السلوة ج 3 ص 287) .
(90) توفي عام 1063 (نشر المثاني للقادري ص 207) أما علي بن محمد القلصادي(810 — 891هـ) فاصله من بسطة ، واستوطن غرناطة ومات بباجة بتونس له « شرح الارجوزة الياسمينية في الجبر والمقابلة» و « قانون الحساب » و « كشف الاسرار في الجبر » (الاعلام للزركلي ج 5 ص 163) وله ايضا شرحان على تلخيص ابن البنا والحوفي والفنية في الفرائض ، أخذ بمصر عن ابن حجر كما في رحلته (النفح ج 2 ص 684). وقد طبع كتابه « كشف الاسرار عن علم حروف الغبار » مرارا بحجر فاس.
(91) كان يقرؤها في الهواء فاذا اراد فاملها يصورها في اللوح ضربه بالقضيب على يده (الجذوة ص 350) . وهذا يدل على استعمال السبورة في شرح العلوم بالمغرب في ذلك العصر .
(92) الدرة 92 .
(93) توفي عام 1809 م (نشر المثاني ج 2 ص 37)
(94) توفي عام 1094 هـ (الاعلام ج 4 ص 334 نقلا عن خلاصة الاثر) .
(95) نشر المثاني ص 87 .
(96) الاعلام للمراكشي ج 1 ص 46 .

الرموز والأرقام مرتبا على أطوار حياة المنفق عليهم(97)

والأستاذ المعطي مرينو له مؤلفات في التوقيت ، منها كتاب في تعديل الكواكب السبعة سماه « كنز الأسرار » ، وآخر في أبعاد النيرات ورصده ، وابتكارات أخرى في علم « المزاول الرخامية » وغير ذلك (98) .

وأحمد بن الطاهر المراكشي العالم بالأحكام النجومية والأزياج والهندسة والجدول (99) .

وأحمد حدو الهنتيفي الأستاذ في الحساب والرصد والأسماء (100) .

ومحمد متجنوش استاذ انفرد في علم الحساب والتنجيم (101) .

وعبد الرحمن لبريس المنطقي الفلكي الحيسوبي (102) .

ومحمد بن الرئيس بن الحسن علي التركي الضليع في الهندسة والرياضة . ومن أوضاعه في هذه مثال سماه « الشكل الكوري » شامل لسائر الزوايا والخطوط واشكال الهندسة مما تشمله أصول اقليدس وتهذيب الطوسي (103) .

وأحمد بن عبد الله التناني المعروف بالصويري ، كان عارفا بالحساب والتنجيم وعلم الأحكام الفلكية وعلم الهيئة ، له مؤلفات وتعاليق في الحساب والجبر والمقابلة وفي اللوغاريتم ، وحل اشكالا هندسية طبقها في الرياضيات ، وكان عينه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان « رئيس المهندسين » وعينه مولاي الحسن « رئيس قواد الطبجية » (أي المدفعية في العامية المغربية) وخليفة وزير الحرب (104)

وهنالك رياضيون ومهندسون آخرون تتجلى قيمتهم العلمية فيما صنفوه من كتب وأبحاث تكفلت المطبعة الحجرية في فاس بطبعها عندما أنشأها السلطان محمد الرابع منذ أزيد من قرن (105) .

وقد اندرس التعليم الرسمي للطب والعلوم بجامعة القرويين رغم ما أشار اليه دلفان (106) من استمرار اعتناء الطلبة آنذاك « بالكامل » للرازي « والقانون » لابن سينا « وزبدة الطب » للجرجاني « والتذكرة » للسويدي « وتذكرة الأنطاكي » وكليات ابن رشد ومفردات ابن البيطار وكشف الرموز للجزائري ومع ذلك **ظل الأطباء يجرون بمهارة بعض العمليات التشريحية الصغرى** (107) .

وقد بدأ المغرب منذ العهد السعدي يستدعي « خبراء فنيين » معدودين كالطبيب الفرنسي كيوم بيرار (Guillaume Berard) الذي كانت له ثقافة متواضعة (108) . وهوبير (Hubert) أستاذ العربية بجامعة باريس (109) والطبيب الانجليزي لمبريير والدكتور براون الذي منحه السلطان مولاي عبد الرحمن رخصة لممارسة مهنة الطب بالمغرب ، وذلك علاوة على الأطباء اليهود الذين كانت تستقدمهم الجالية الاسرائيلية ، أو من كان يولد في الاجزاء المحتلة من المغرب أمثال الطبيب النباتي الاسباني السبتي كريسطوف دا كوسطا . وشمعر المغرب

---

97) توفي عام 1207 (ج 1 ص 136 — الاغتباط) لأبي جندار .
98) توفي عام 1223 (ج 2 ص 116 — الاغتباط)
99) مات عام 1250 هـ (الأعلام ج 7 ص 214) .
100) وكان يحسن نحوا من ثمانية عشر علما توفي عام 1285 هـ (السلوة ج 3 ص 82) .
101) توفي عام 1290 — وعمره 31 سنة (ج 1 ص212) .
102) سافر الى الحج 1307 وهو من مواليد القرن الثالث عشر (ج 2 ص 134 — الاغتباط) .
103) الاغتباط لأبي جندار (ج 2 ص 192)
104) الأعلام (ج 2 ص 267) .
105) راجع مطبوعات المغرب للأستاذ ادريس الادريسي وهي مخطوطة)
106) في كتابه « فاس وجامعتها » طبعة 1889 Delphin
107) رينو — ص 128 (راجع في كتابنا « الطب والأطباء بالمغرب » نماذج لمهارة بعض المحترفين في هذا المجال ص 72 — 80)
108) رينو — « نشرة معهد الدروس العليا » ج 18 ص 206 .
109) كودار — تاريخ المغرب ص 399 و ص 490« المغرب الحديث مملكة تنهار » كامبو 1866 ص 16.

بتفاؤل الاختصاصيين فأسس مدرسة للفنون بفاس الجديد « ومدرسة مركزية للمدفعية » بالجديدة (110) تخرجت منها فئات من الطلبة توجهت لاستكمال دراستها في مصر وكذلك في انجلترا وأسبانيا وفرنسا وايطاليا والمانيا وامريكا . وقد تابعت بعثة مكونة من اثني عشر طالبا دراستها في جامعة مونبيليي (Montpellier) بفرنسا خلال سنوات (1885 – 1888) درست فيها اللغة الفرنسية والحساب والهندسة التطبيقية والهيئة والرياضيات والكيمياء والتلغراف والتليفون وعلم البصريات والكهرباء والضغط الجوي وترصيف الطرق والسكك الحديدية ومسح الاراضي وفن تحرير التصميمات الهندسية بالاضافة الى التمارين العسكرية وبناء الخنادق واجهزة الدفاع وصنع آلات الحصار ، وحذق هؤلاء الطلبة فاصبحوا يحررون المذكرات ويتأهبون للاضطلاع برسالة تقنية هامة في المغرب الحديث ، وتم الاتفاق بين المغرب وفرنسا على توجيه فوج جديد لاستكمال الأطر المغربية تدريجيا في مدينة فرساي (Versailles) ولكن شيئا من ذلك لم يتم ، حيث توفي الحسن الاول بعد سنوات ودخل المغرب في خضم من الدسائس الدولية عرقلت توثبه للانبعاث ، **ووجه الحسن الاول كذلك الى اوربا طلبة لدرس الطب** تابع ستة منهم تمارين بالمستشفى الاسباني بطنجة في ميدان الفحص والتضميد والتشريح وعين ثلاثة من خريجيها اطباء في الجيش بكل من طنجة ومراكش ، اما مصر فانه لم يتوجه اليها عدا الأستاذ عبد السلام العلمي لدراسة الطب بالقاهرة ، وكأنها كانت النواة الأولى أراد السلطان الحسن الاول ان يستكنه بها **قيمة الدراسة العلمية في الشرق العربي** غير أن هذه البعثة لم تجدد كمثيلاتها في أوربا بالرغم من ارتفاع مستوى التعليم في مصر آنذاك ، والواقع أن المغرب افاد كثيرا من الروح الجديدة التي تقمصها الشريف العلمي الذي ما لبث أن صنف بعد عودته كتابا سماه « ضياء النبراس » في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس (111) ذكر فيه شيوخه في « الاسبطالية الكبرى » بالقصر العيني الذي اسس عام 1827 م بأمر من الخديوي محمد ، ويعتبر هذا الكتاب في نظري نقطة تحول في تاريخ الطب المغربي حيث يحاول المؤلف التوفيق بين الشهور والبروج والأدوية وأنواع النباتات المتداولة في الشرق والغرب وفي المغرب مصححا في بعض الأحيان اغلاط سلفه ومنظرا بين المصادر المطبوعة ودروسه في مصر وتقاليد أطباء المغرب وصيادلته وما يسميه بالطب الجديد والكيمياء الجديدة باوربا وامريكا ، ويأتي أحيانا بأسماء الدواء بالعربية ومختلف لهجاتها ثم باللاتينية والافرنجية مع تخليل ذلك بالمصطلحات الحديثة العامة كالتصعيد والتقطير ، وقد نقل من مصر نماذج عديدة من النباتات والعقاقير والادوية ، ويحكى عن تجارب شيوخه في قصر العيني واسهامه الشخصي في هذه التجارب وقد ذكر أنه شاهد زرافة مصبرة بالقصر العيني خلال قراءته على الحيوانات (الضياء ص 57) وشارك في تحضيرات بالمعمل الكيماوي بمصر (ص72)

وقد نقل عن نحو الخمسين مؤلفا منهم ابن الخطيب (ص 80) والوزير الغساني صاحب الحديقة وعبد الرحمن الفاسي وعبد القادر ابن شقرون والطبيب الصيدلي العجلاني والطبيب المصري أحمد بن حسين الرشدي الذي عاش اول القرن الماضي وابن الحشاء صاحب تفسير الألفاظ الطبية واللغوية الواقعة في الكتاب المنصوري (108) . وقد أسس الطبيب مولاي عبد السلام العلمي **مصحة صغيرة بفاس** عمل بها حتى توفي عام 1323 هـ ، **ورسالة العلمي هذه مشحونة بالاصطلاحات الحديثة ووصف العمليات العلمية التي كانت تجري بالقصر العيني وانواع العلوم التي كانت تدرس به مثل علم التشريح الهيكلي والعضلي والمفصلي والتشريح العصبي والتاريخ الطبيعي والكيمياء الطبية والأقرباذين** (الصيدلة) وطب الرمد والامراض الجلدية والداء الزهري وعلم الحيوانات المصبرة واحجار المعادن وأمراض النساء والاطفال (في اسبطالية أمراض النساء بمصر) .

ويعطينا كتاب « ضياء النبراس » صورة عن **الاختلاف الملحوظ في المصطلحات العلمية بين الشرق العربي والمغرب الأقصى الذي عرف عشرات الاعشاب** والنباتات باللسان البربري انفرد بها المغرب . ويتجلى من الصراع السياسي والعسكري الذي بدأ المغرب يخوضه منذ بداية هذا القرن ان التعليم العربي أصبح يسير رويدا نحو التقلص الى أن انحصر في جامعة القرويين وروافدها المحدودة التي بعد عهدها بالعلوم . وازدادت اللغة العربية ابان الحماية تقلصا عندما اتخذ الاستعمار اللغة الفرنسية أداة وحيدة للتلقين في المدارس وقام « التعليم الحر » المعرب برد فعل عنيف

(110) الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 367 .
(111) طبع بالمطبعة الحجرية بفاس عام 1318 .

معرب تدريس العلوم وخاصة بشمال المغرب حيث توجهت أفواج من الطلبة لاستكمال دروسهم فى الشرق، وكانت الحماية الاسبانية فى هذه المنطقة اقل مضايقة للمواطنين فتكاثر عدد المتخرجين من الشرق العربي وشجع الباب المفتوح الطلبة على متابعة دروسهم الثانوية فى المعاهد المصرية على عكس ما ابتدعه الفرنسيون فى منطقة نفوذهم بالجنوب من أساليب المكر والدسائس للقضاء على لغة الضاد . ومع ذلك فقد واصل **« التعليم الحر المعرب » رسالته الخالدة محافظا على كيان اللغة بالرغم من « تفرنس » اغلبية المثقفين وازدواجية ثقافة الاقلية الضئيلة من هذه النخبة التي تزعمت بروحها العربية الإسلامية حركة الثورة ضد الاستعمار** . وكان التعليم المعرب يستورد خلية من الشرق — وخاصة من مصر — جملة من المصنفات معظمها فى الآداب واللغة والنحو وظل الحاجز كثيفا بين لغة عربية علمية تتطور فى الشرق وتواكب النهضة الجديدة وبين عربية تمس جناحها فى المغرب الاقصى لا كلغة علمية بل كمجرد لغة ، وقد قامت الصحافة العربية بدور هام فى تجديد الصلة بين الشرق والمغرب متتبعة البحوث الجديدة ومصطلحاتها المولدة فى الاقتصاد والسياسة والقانون وتاريخ المذاهب الشيوعية والاشتراكية والنزعات الأدبية والفنية المستطرفة مقتبسة فى ذلك ما راج فى الشرق العربي من تعابير ومفردات وطفق المغرب بعد استقلاله فى عام 1956 يتطور ببطء نظرا لتراكم المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فرسم التخطيطات فى شتى الميادين الحضارية وضاعف حصص اللغة العربية فاكتمل الآن تعريب السلك الابتدائي وان كانت قلة الأطر المغربية الصالحة تهدد بتحجر هذه الحركة، وظل الثانوي فى طوريه يلقن العلوم بالفرنسية عدا التعليمين الحر والأصلي أي الاسلامي الذي هو من روافد جامعة القرويين بكلياتها الجديدة (الشريعة بفاس ، واصول الدين بتطوان ، واللغة العربية بمراكش) كما ظل اقبال المغاربة ملحوظا فى مدارس البعثة الفرنسية التي بدأت منذ يناير من سنة (1969) تلقن العربية لتلاميذها . وقد تزايدت حصة اللغة العربية فى معظم الأسلاك بينما احدثت اقسام معربة فى كليتي الآداب والحقوق والمدرسة العليا للاساتذة مع بقاء الكليات التقنية ككلية العلوم ومدرسة المهندسين ومعاهد الفلاحة والأكاديمية العسكرية فى معزل عن أي تعريب ، ولذلك يلاحظ أن الأطر ما زالت تستعمل الفرنسية تبعا للغة الخبراء الفنيين الذين يقل عددهم نسبيا بفضل حركة المغربة (112) **على ان هذه** المغربة لا تواكب حركة التعريب فقد ظلت لغة معظم الاختصاصيين المغاربة أجنبية فى تحرير النصوص والخطابات والمناشير وكذلك التخاطب فى المحافل والمؤتمرات باستثناء وزارة العدل والمرافق التابعة لها حيث شمل التعريب جميع المحاكم) ولعل المشكل واحد فى مجموع اقطار المغرب العربي — عدا ليبيا — نظرا لما نتج عن تعميم التعليم (ازيد من مليون طفل اليوم بالمغرب بدلا من ربع مليون قبل الاستقلال) من هلهلة فى تكوين الاطر وضعف فى المستوى والظاهرة الغريبة هي أن جامعة القرويين نفسها قد تضامل طلبتها لكون ازدواجية اللغة ما زالت مقياسا لتقييم الأهليات فى مختلف مجالات الحياة ، ولم تكد تمر اربع سنوات على الاستقلال حتى **شعر جلالة المرحوم محمد الخامس بفعل الرواسب التي تباعد بين جناحي العروبة خاصة فى حقل المصطلح « العلمي والتقني » فدعا عام 1960 الى عقد « مؤتمر للتعريب » انبثق عنه فى اطار جامعة الدول العربية المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي** ، ذلك المكتب الذي يستهدف الاستفادة من تجربة الجناح الشرقي لدعم حركة التعريب فى الجناح الغربي ، وقد نشر هذا المكتب عدة معاجم فى العلوم بلغات مختلفة ، كما أصدر « اللسان العربي » وهي مجلة دورية للابحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب فى العالم العربي ، وأسس مكتبة للعلوم زاخرة بأحدث ما أصدره الشرق من مصنفات فى مختلف القطاعات التقنية ، وقد خطط لنفسه تصميما عشاريا غايته الأساسية استكمال الاداة العلمية والتقنية فى أمد محدود بتوحيد المصطلحات واستقرائها تعزيزا لصراع ثنائي تخوضه لغة الضاد كلغة عمل فى كثير من المحافل الدولية ، وقد اندرج هذا العمل التنسيقي ضمن مشاريع تسهم فيها المجامع والمجالس العليا والاتحاد العلمي العربي والجامعات والهيآت الثقافية فى مختلف العواصم العربية ومآت الاختصاصيين الذين يراسلون المكتب الدائم من جميع أنحاء العالم العربي .

وقد بدأ هذا الكفاح يؤتي اكله باقتناع النخب المغربية — القليلة الصلة بالثقافة العربية — **بفعالية لغتنا القومية فى مجال الحضارة والعلم كاداة طيعة للتخاطب فى الحقل الدولي** ، ولكن هذا الاقتناع لن يتم

112) ما عدا قسما يسيرا تعملوزارة الوظيفة العمو مية على تعريبه بدروس خاصة تنظمها للموظفين .

الا اذا استقصينا تدريجيا المصطلحات التقنية التـــي اصبحت حتى عند دول كبرى كفرنسا مثار غزو ثقافي بسبب ما تزج به مخابر الكشوف في الاسواق الدولية من مصطلحات تقنية يبلغ عددها خمسين مصطلحا في كل يوم

هذا وان مواكبة حضارة العصر الحديث لن تكتمل بالنسبة الينا معاشر العرب الا اذا توازت فيها ذاتيتنا العربية مع انسانيتنا الحضارية ، والمقوم الجوهري لهذه الذاتية هو اللغة العربية التي ظلت — كما يقول ماسنيون Massignon اداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الحقل الدولي وعنصرا جوهريا للســـلام في مستقبل الامم والشعوب » .



تدريس العربية كلغة حية في الولايات المتحدة الأمريكية

الدكتور سامي عياد - الدكتور نجيب جريس
الولايات المتحدة

بالرغم من ان دخول اللغة العربية فى برامج عدد كبير من الجامعات الامريكية ظاهرة حديثة ، فان الاهتمام بها نما نموا مطردا خلال السنوات العشر الاخيرة . وهناك من الادلة ما يفيد بان الدراسات العربية اصبحت ميدانا علميا هاما وان عدد الجامعات الامريكية التي تقدم فى برامجها اللغة العربية وحضارتها العريقة قد بلغ أكثر من ثلاثين جامعة .

ولكن هذا الاهتمام وهذا التوسع اثار مشاكل تربوية واصبح السؤال الذي يردده كل استاذ هو كيف ندرس اللغة العربية ومن اين نبدأ .

فهناك الفصحى والعامية . اما العامية فنحن نعلم ان هناك لهجات عربية عديدة فمنها اللهجة اللبنانية والمصرية والتونسية والمغربية وهكذا .. وتزداد الصورة تعقيدا بان كلا من هذه اللهجات لها لهجات محلية . ففي مصر نرى اللهجة القاهرية واللهجة الصعيدية . ثم تزداد المشكلة تعقيدا بان الكتابة العربية نفسها — بدون شكل — تسمح بنطق كلمة واحدة فى عدة اوضاع بمعانيها المختلفة . فمثلا (ك ت ب) يمكن نطقها باشكال مختلفة .

اقدم عدد من اساتذة علم اللغويات والتربية الحديثة على عدد من الحلول . فمنهم من يعتقد ان الطالب الامريكي يجب ان يتعلم الفصحى فقط قراءة وكتابة . ومنهم من يدعي ان العامية هي التي يجب ان ندرسها لان الهدف من تعليم اللغة هو الاتصال والتفاهم مع الناس فى أحداث كل يوم العادية . وهناك من يومن بتعليم الفصحى اولا ثم بعد ذلك العامية عن طريق احدى لهجاتها .

وهذه الحلول المختلفة تبدو غير مرضية بتاتا فى نظر آخرين يومنون بانه اذا كان الهدف من تعليم العامية هو تمكن الطالب من محادثة الرجل العادي العربي فهو يضيع وقته سدى لان بتعليمه العامية سيحدد له لهجة معينة كما انه وان لم يستعملها فى مكانها فهو لن يستفيد منها . فمثلا اذا تعلم لهجة مراكش فقط وذهب بعد ذلك الى بنغازي فلن يمكنه التفاهم الكامل معها . اما اذا تعلم الطالب الاجنبي اللغة العربية المكتوبة او بالاحرى الفصحى بدون التعرض الى اللهجات فهذا يعده البعض اسلوبا غير واقعي فى تعليم لغة حية كما انه لا يتفق ونظريات علم اللغويات الذي يدور حول محور هام وهو ان الكلام ياتى اولا وان الكتابة انما هي رمز لما ينطق به المتكلم. وعلى هذا يبدو ان الحل المثالي للمشكلة فى نظر هؤلاء العلماء لابد ان **يكون عمليا** ويتفق مع **الواقع اللغوي العربي** وفى نفس الوقت مع **نظريات علم اللغويات الحديثة** . معنى هذا انه اذا واتفقنا على ان نبدأ تدريس العربية للاجانب بلغة الحديث فلابد من البدء باللغة العامية . ولكن اية لهجة نختار ؟ والاجابة على هذا السؤال تتوقف الى حد كبير على الهدف من تعلم اللغة نفسها .

لناخذ تعلم الانجليزية كمثل لنا . فالانجليزية الامريكية مثلا التي يتعلمها الاجنبي هي لغة الشمال وليس الجنوب . وفي انجلترا أيضا يتعلم الاجنبي اللغة المعروفة Received English وقد يكون لاختيار هاتين اللغتين عدة أسباب . اولا : انها لغة مهذبة للحديث . وثانيا ان لها أهمية خاصة في التطبيق والاستعمال العام . بمعنى آخر ان اللغة التي تدرس هي التي تمكن الطالب من تحقيق الاتصال والتفاهم الكامل مع اصحاب هذه اللغة بحيث يفهمهم وهم يفهمونه .

لنعد الآن الى العربية التي هي لغة ما يقرب من تسعين مليون عربي كما انها **لغة القرآن الكريم التي يعرفها ما يقرب من سبعمائة مليون مسلم في العالم .** ونحن نعلم ايضا انه منذ ظهور القومية العربية فقد **ظهر في الافق العربي يقظة ورغبة قوية في تحقيق الوحدة الثقافية واللغوية** . شكرا للتبادل الثقافي ووسائل الاعلام المختلفة في البلدان العربية . اما **الفروق اللهجوية فلم تعترض قط طريق الوحدة الثقافية .** وظهر خلال هذه العملية نوع جديد من لغة الحوار وهو ما يمكن ان نسميه **باللغة المهذبة** او لغة المتكلمين خصوصا تلك اللغة التي تتميز بها مراكز الثقافة الكبرى التي يفهما الجميع حتى الذين لا يتكلمونها . وهذا هو بالضبط السبب الاهم في ان الطالب الاجنبي الذي يرغب في تعلم اللغة العربية يجب ان يتجه الى احد هذه المراكز الكبرى حيث يمكنه أن يجد وسيلة للتفاهم تساعده ليس فقط على فهم جزء من العالم العربي بل جزء مهم من الحضارة العربية .

ولا شك ان هنالك مراكز هامة للثقافة العربية مثل القاهرة وبغداد ودمشق وبيروت وفاس . وكلنا نعلم ان القاهرة بالذات تتمتع بكثير من الامتيازات كما ان لهجتها « المهذبة » او لهجة المتعلمين فيها تعتبر مهمة جدا بالنسبة للطالب الامريكي الذي يبحث عن وسيلة تمكنه من التفاهم مع أكبر عدد من العرب في بلادهم المختلفة . ولكن ليس معنى هذا ان اللهجة المهذبة القاهرية هي الوسيلة الوحيدة لهذا التفاهم بل اللهجة المهذبة الرباطية والبيروتية والبغدادية يمكنها ان تقوم بنفس العملية وتحقق نفس الاهداف .

واللهجة التي يفترضها اصحاب هذه الطريقة الحديثة هي التي يتحدث بها الشباب العربي المتعلم الذي حصل على قسط وافر من التعليم الجامعي . وهي ايضا التي يذاع بواسطتها بعض البرامج الاذاعية العربية في كثير من المدن العربية الكبرى . والسبب في اختيار هذه اللهجة هي انها مفهومة تماما في جميع البلاد العربية . وشكرا لوسائل الاعلام الحديثة من تلفزة وراديو وأفلام سينمائية التي قربت هذه اللهجة الى عدد كبير من الشعوب العربية . فهي لغة مقبولة للجميع وتتمتع بشهرتها المعروفة واحترامها .

فالذي يقترحه اصحاب هذه النظرية في اول خطوة لتعليم العربية هو البدء باللهجة المهذبة .

وهنا يجب تحديد العلاقة بين ما نسميه « بالعامية » « والفصحى » . فاية لغة من لغات العالم لا تتكون من عنصرين فقط يمكن تحديدهما تحديدا واضحا . بل بالاحرى تتكون من « مستويات كثيرة » وكل مستوى يرتبط بمستوى ثقافي معين ووظيفة معينة . ولكي يكون استخدام العربية فعالا يجب على الدارس والمدرس ان يكونا متيقظين لهذه المستويات وان العربية نمت وزادت بلاغتها على مر الايام والاجيال . وعلى ذلك يمكن ان نميز على الاقل ثلاثة مستويات عامة :

اولا : **العربية الفصحى او لغة القرآن الكريم .**

ثانيا : **العربية الحديثة وهي تشمل ما تقراه في الصحف اليومية والمجلات والاذاعة** . وفي نطاق هذا المستوى لابد من تاكيد الكتابة الرسمية رغم ان هناك الآن كتابة لبعض العامية : الاغاني مثلا ، والامثال العامية ، والقصص الخرافية .

ثالثا : العربية الخاصة بالحوار او التحدث اليومي وهي تمثل **اللهجة المهذبة** التي تحدثت عنها . وهنا يجب ملاحظة ان العامة العرب غير المتعلمين يستخدمون الكثير من النماذج بالعربية الفصحى (عند ذكر بعض آيات القرآن الكريم او الحديث الشريف او اصطلاحات معينة مثل « حالا » و « بسرعة » . و « أهلا وسهلا » . الخ) .

ولسنا في حاجة الى تاكيد الحقيقة وهي أن **هذا التقسيم لا يعني مطلقا ان كل قسم منفصل تماما عن الآخر** . فهذا ليس من شأن اللغات الحية . ومن هنا يؤكد لنا اصحاب هذا الراي — وهو رايي انا ايضا ان « **اللهجة المهذبة** » **تستخدم كقنطرة تسهل الانتقال من لغة الحديث الى اللغة الفصحى** فمثلا حرف «القاف» يتردد كثيرا في لغة الحديث خصوصا عند ذكر كلمة « القرآن » و « القاهرة » فهذه اللهجة المهذبة تحتوي

على كلمات كثيرة من الفصحى وتتبع ايضا عن قرب قواعد الفصحى .

كما ان اللغة العربية المعاصرة او الحديثة يمكن بسهولة تمييزها عن الفصحى من طريق الكلمات الجديدة التي تحتويها . فنحن نقول الآن « تلفزيون » او « تلفزة » و « فيلا » .

وبالنسبة للعامية يمكن تمييزها عن الفصحى بما يحدث من تغيير في بعض الاصوات فمثلا تقول « كتب » بدلا من « كتب » و « ولد » بدلا من « ولد — ولدا — ولد » .

وايضا الولد او الولد بدلا من الولد — الولد — الولد ؛ يفتح بدلا من يفتح (باللهجة المهذبة القاهرية مثلا) .

وايضا تغيير صوتي في بعض الحروف مثل (ت) بدلا من (ث) فتقول مرة « تانية » ، وعشرين ثانية ، (داب) بدلا من (ذاب) و (ازا) بدلا من (اذا) .

ثم ايضا نلاحظ التفخيم : / فرد / و / فرض /

والاساس الهام الذي يبنى عليه تعليم اية لغة اجنبية هو التقدم من لغة الحديث الى الكتابة او من الصوت الى الرمز . ولهذا السبب تستخدم الرموز الصوتية فقط في المرحلة الاولى حتى يمكن للطالب ان يتلقن كل الاصوات ويميز بينها بدقة . ولكي يتم تحقيق ذلك نقدم نماذج « زوجية » خاصة Minimal Pairs مثل : (دم) ، (ضم) لتوضيح التفخيم .

(كلب) / (قلب) لتوضيح اهمية نطق احرف معينة في معنى الكلمة .

(س) / (ساد) لتوضيح اهمية الاصوات الطويلة .

وفي هذه النماذج يكون التركيز على ابراز اختلاف واحد فقط لان الاستماع ياتي قبل النطق وان القدرة على تمييز الاختلاف في الاصوات ياتي قبل اعادة انتاجها. وبمجرد أن يتمكن الطالب الاجنبي من ترديد النماذج الصوتية الاساسية يمكنه بسهولة أن ينتقل الى الكتابة ومنها الى الفصحى .

كيف نقدم الفصحى بعد ذلك ؟

لعلنا نذكر كثيرين منا عندما بدأوا يتعلمون العربية الفصحى في أول سنة ابتدائية رددوا كلمات وافعالا مشهورة مثل (قتل) ، (ضرب) ، اما في اللاتينية مثلا فتعلمنا « حب » وما شابهها . وليست المشكلة في الواقع مشكلة معان ولكن المشكلة هي انه لم يكن هناك اهتمام بفكرة «التدرج» في تقديم «الاصوات» وتركيب الجملة او مميزات تراكيبية خاصة Morphological distinction وانتقلت هذه الطريقة الى الغرب في تعليم العربية واصبح الاهتمام منصبا على المفردات والقواعد الصماء .

وفي السنين الاخيرة لاحظنا ان بعض اساتذة العربية في الجامعات الامريكية التي تقوم بتدريس العربية قد الفوا كتبا خاصة لتعليم العربية للمبتدئين ووصلوا في تفكيرهم الى اهمال كل المستويات اللغوية والتركيز على ما اطلقوا عليه اسم **« العربية الحديثة »** Modern Standard Arabic **وبهذا الاسلوب يبدو انهم قد فشلوا في تقديم العربية كلغة حية لها مستوياتها** الثقافية والنشاطية المختلفة . فالرمز المكتوب هو التعبير الوحيد للعربية وينتج من هذا انه من المستحيل للطالب ان يفهم الكثير مما يسمى « العربية الحديثة » عندما يستمع الى حديث او اغنية عربية بالاذاعة او خطبة عامة او ادب شعبي . اضف الى ذلك انه اذا استخدم الفصحى الحديثة في حواره فانه يكون يتكلم ككتاب لا يعبر عن واقع لغة الحوار .

وعلى ضوء هذه الانتقادات تقدم الفصحى في المرحلة الاولى من تعليم العربية في نطاق الاساليب الآتية :

اولا : **ان المحتويات التركيبية يجب ان تقدم بالتدريج على اساس البساطة في التركيب ، التكرار ، والقيمة العلمية** . وبناء على ذلك فمن الناحية الصوتية تقدم الاصوات السهلة والتي تماثل لغة الطالب الاجنبي اولا (فحروف القاف والعين والحاء والخاء والغين تؤجل الى فترة مقبلة) ومن الناحية الاعرابية والصرفية فالجمل الاسمية تقدم قبل الجمل الفعلية : مثل انا من ليبيا ، الرباط مدينة جميلة .

ومن الناحية التركيبية تقدم بعض الضمائر الهامة فقط مثل : أنت ، أنتِ ، انتم .

ثانيا : **يجب على النماذج التركيبية ان تمثل الثقافة والحضارة العربية** وان تبرز الهام منها . كالحج وشهر رمضان المبارك والعائلة العربية وخلافه بدلا من « أين الفيل يا خليل » او « عقد مجلس الوزراء جلسة خطيرة » .

ثالثا : في تطبيق مبدأ التدرج وربط النماذج بالحضارة

يتحقق غرضان مهمان : الاول هو ان الطالب في هذه المرحلة الاولى الحرجة يبدأ بالشعور بالنجاح بدون الالتجاء الى « ضغط من الذاكرة » وثانيا ان رغبته في المزيد من التعليم تزداد ومعها تزداد شهيته لمعرفة الثقافة الجديدة التي تمثلها اللغة . او بمعنى آخر ان النماذج اللغوية يصبح لها معنى في ذهن المتعلم مما يجعل عملية التعلم ممتعة وفعالة . وكلنا نعلم ان أول اتصال في تعلم لغة اجنبية له اهمية قصوى في مواصلة تعلم تلك اللغة .

نعم فهناك في بعض الاحيان فرق واضح بين كلمة عامية ومقابلها بالفصحى — مثل (بالزاف) و (كثير) ولكن هنا تبدو ابداعية استاذ اللغة في اختيار النماذج المشتركة بين اللهجة المهذبة والفصحى — كالامثلة التي سبق الاشارة اليها . هذا هو **القاسم المشترك** الذي عليه يبني المعلم المرحلة الاولى من تعليم اللغة العربية للاجانب .

اما من حيث **القواعد** فكلما ذكرت ان النماذج التي تقدم يشتق منها الطالب القاعدة بدلا من تقديم القاعدة في قالب اجوف لحفظها فقط .

وهنا تلعب التمارين الخاصة بكل درس دورها الهام في عملية التعلم فبدلا من سؤال الطالب أعرب ما يأتي : او استخرج اسم المفعول من كل فاعل — تقدم تمارين من نوع جديد متفق عليه ونظريات أصول التعلم وعلم اللغويات . فتمارين الاستبدال Substitution مثلا والتحويل Transformation وغيرها من التمارين الفعالة التي «تثبت» ما يتعلمه الطالب . فمثلا : هو من القاهرة

هـي

انـا

انـت

بيـروت

هذا مسجد

هذه مدينة

هذا مسجد جميل

هذه مدينة جميلة

اما المفردات فيجب الا تبعثر في الدروس بلا نظام او احكام . فالكلمات التي تتركب منها النماذج التركيبية يجب أن يكون اختيارها في غاية الدقة والتحديد مع تكرارها في الدروس المتتالية حتى يتمكن الطالب من التركيز على النماذج الاساسية التركيبية بدلا من مجرد ضغط كلمات لا معنى لها .

هذا ملخص مختصر لاحدث طرق تدريس اللغات الاجنبية ومن ضمنها العربية بمستوياتها الثقافية المختلفة .

أبحاث مختلفة

العلوم الطبيعية في القرآن

الشيخ طه الولي «بيروت»

بين ايدي الناس الآن كتاب جديد عنوانه «العلوم الطبيعية في القرآن» من تأليف العالم الفيزيائي الكبير الاستاذ يوسف مروه من افاضل جبال عاملة في جنوبي الجمهورية اللبنانية، وقد تفضل المؤلف الكريم فاهداني هذا الكتاب. وانه ليهمني التأكيد بأني لدى مطالعته، وجدتني امام **محاولة جريئة لدراسة القرآن** الكريم باسلوب الرجل المسلم المؤمن الذي اراد ان يتصدى للحملة التي اثار اوارها وخاض غمارها بعض أساتذة الجامعة الامريكية ببيروت تحت شعار **التناقض المزعوم بين المعطيات العلمية، الحديثة، وبين مسلمات العقيدة الدينية، القديمة**. وليس من شك بان هذه الحملة التي اضطربت بضجيجها اروقة الجامعة المذكورة ورددت صداها بالنقد والتعليق أقلام الكتاب في عدد من الصحف ببيروت وخارجها، ليس من شك في ان **هذه الحملة ليست وليدة العصر** الذي نعيش فيه اليوم، بل انها مألوفة من قبل، وهي ما زالت تتردد وتتجدد من قديم الزمان حتى اليوم لاسباب تتفاوت من حيث منطلقاتها وغاياتها ما بين القلق الفكري المجرد وبين النزوات الشخصية المشبوهة.

وليس لنا الآن، أن نرسل القلم على غاربه في جولة استعراض تفصيلي للمراحل التاريخية التي مر بها مبدأ الايمان بالله الذي أرست قواعده الاديان السماوية مع تلك الطائفة من الكتاب الذين تجلببوا برداء الافكار الفلسفية او قطروا اسماءهم بقافلة من الالقاب العلمية الجذابة، لاننا نرى ان مثل هذا الاسترسال، من شانه ان يقودنا الى الخروج عن جادة الموضوع الرئيسي الذي نريد أن نأخذ به نفسنا الآن، وهو الموضوع الذي اردنا قصره على ما جاء في الكتاب الذي قصد به مؤلفه الاستاذ يوسف مروه اثبات **العلاقة الحتمية الوثيقة بين التفسير العلمي الحديث للظواهر الكونية المادية البحت، وبين المعاني الالهية الخالدة التي التحقت بها**، بين حين وحين بعض آيات القرآن الكريم في اثناء دعوتها الناس من كافة الاجناس الى الايمان بوجود الله الخالق الديان.

على انه، لابد لنا من التقديم بين يدي موضوعنا، ان كتاب الاستاذ مروه الذي تدور فصوله وأبوابه، حول رغبة المؤلف بربط **اغراض القرآن الكريم مع ما توصل اليه العلماء المعاصرون من اراء وافكار ونظريات في الجغرافية والفيزياء والفلك** وما الى ذلك من العلوم الانسانية الوضعية والمادية، نقول، انه لا بد لنا من التقديم بان هذا الكتاب ليس جديداً في بابه او مادته، فلقد سبق ان نحا هذا النحو الجدلي، في دراسة القرآن الكريم وتفسيره، غير الاستاذ مروه من الكتاب المسلمين الذين ارادوا أن يلتقطوا قفاز التحدي ويرموا به في وجه المستكشفات والاختراعات العلمية، عن طريق اقامة الدليل العقلي بان القرآن الكريم كان اسبق من كل ما عداه من كتب البشر الى التحدث عن هذه المستكشفات والاختراعات في العديد من آياته وسوره التي نزل بها الروح الامين بالوحي السماوي، على قلب الرسول الاعظم سيدنا وسيد الخلق اجمعين محمد صلى الله عليه وسلم.

ففي اواسط العقد الثالث من النصف الاول للقرن العشرين الذي نحن فيه ، كثر الحديث عن احد المؤلفين المصريين الذى **حاول تفسير القرآن الكريم تفسيرا علميا يتجاوب فيه مع روح العصر الذي** تطورت فيه الافكار الانسانية وراح يطلق قلمه وراء ما يسبح عبر الفضاء الرحب من الكواكب والاقمار والشموس ، او يغوص بهذا القلم ، الى داخل احشاء الارض باحثا في هذه الاحشاء عما يتقلب فيها من عوالم الجماد والحيوان والنبات ليبرهن للناس ان الغلاف الخارجي للكون والاعماق الداخلية فيه ، احاط به كتاب الله في كلامه الازلي بالتفصيل والبيان والايضاح ، وهذا المؤلف هو الشيخ **طنطاوي جوهري** ، الذي كان استاذا في دار العلوم المصرية والمتوفى سنة 1358 هـ (1940 م) فقد صنف هذا الشيخ كتابا تحت عنوان : « **الجواهر في تفسير القرآن الكريم** » وطوى صفحاته التي تجاوزت المئات عددا ، على تفسير القرآن الكريم « تفسيرا ينطوي على كل ما وصل اليه البشر من علوم » على حد قوله .

فقد اخذت فكرة تفسير الظواهر الكونية من خلال تفسير القرآن الكريم ، بلب الشيخ طنطاوي جوهري وملكت عليه احاسيسه ومشاعره حتى اعتقد بأن العناية الالهية اختارته من بين سائر الناس للقيام بكبر هذا العمل فاطلق قلمه عبر كتابه بنداء وجهه الى المسلمين قاطبة قال فيه :

« يا أمة الاسلام ، آيات معدودات في الفرائض اجتذبت فرعا من علم الرياضيات ، فما بالكم أيها الناس بسبعمائة آية ، فيها عجائب الدنيا كلها .. هذا زمان العلوم ، وهذا زمان ظهور الاسلام .. هذا زمان رقيه . ياليت شعري ، لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ، ما فعله آباؤنا في آيات الميراث ولكنني اقول ، الحمد لله ، الحمد الله ، انك تقرأ في هذا التفسير (ويقصد كتابه) خلاصات من العلوم ودراستها افضل من دراسة علم الفرائض ، لانه فرض كفاية ، اما هذه ، فانها للازدياد في معرفة الله وهي فرض على كل قادر .. أن هذه العلوم التي ادخلناها في تفسير القرآن ، هي التي اغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء في الاسلام .. فهذا زمان الانقلاب وظهور الحقائق .. والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم.

ثم ان هذا الشيخ يتابع نداءه مسترسلا في حماسته واندفاعه ويقول :

« ان نظام التعليم الاسلامي ، لا بد من ارتقائه ، فعلوم البلاغة ليست هي نهاية علوم القرآن بل هي علوم لفظه ، وما تكتبها اليوم ، علوم معناه ، وانطباقها على العلوم التي اظهرها الله في الارض وبعد هذا الزمان سيظهر فيه آثار قوله تعالى « ثم ان علينا بيانه » فان البيان المذكور ، في سورة القيامة ، فسر بمعنى اننا نبينه بلسانك فتقرأ كما قراه جبريل ، وبمعنى انه اذا اشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك ، وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والعجائب ، ولا جرم ان ما يتحدد اليوم من العلوم مما ذكر في هذا التفسير ، وما لم يذكر، من البيان الذي اكد الله انه يظهره لامة الاسلام»

وهكذا ، يمضي الشيخ طنطاوي ، من خلال حماسته بما اقتنع به ، في تحميل كل آية من كل سورة في القرآن الكريم من التاويل والتحليل والعليل ، ما لم ينزل به من عنده الله برهان ولا شاهد ولا دليل .

واذا كان المتقدمون من العلماء قد انفقوا حياتهم في استنباط المعاني التي تؤدي اليها آيات القرآن الكريم لتحديد العقيدة الاسلامية في توحيد الله عز وجل وبيان اغراض الشريعة في ضبط علاقة الناس بخالقهم من جهة وبانفسهم من جهة ثانية ، فان الشيخ طنطاوي جوهري قد انفق حياته في تتبع هذه الآيات وتخريج معانيها وفق ما توهمه فيها من اشارات الى الدراسات التي يقوم بها رواد العلوم النظرية والعادية وراء مكاتبهم وتحت أضواء مختبراتهم ومعاملهم ثم هو لا يكتفي بعرض آرائه وتقريرها بصورة متحدية جازمة، بل انه يتوجه باللائمة على اولئك العلماء السابقين بقوله :

« لماذا ألف علماء الاسلام عشرات الالوف من الكتب الاسلامية في علم الفقه .. وعلم الفقه ليس له في القرآن الا آيات قلائل لا تصل مائة وخمسين آية ؟ فلماذا كثر التأليف في علم الفقه ، وقل جدا في علوم الكائنات التي لا تخلو منها سورة ؟ بل هي تبلغ **سبعمائة وخمسين آية صريحة** ، وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحة ، فهل يجوز في عقل او شرع ان يبرع المسلمون في علم آياته القليلة ، ويجهلوا علما ، آياته وهي كثيرة جدا ، ان آباءنا برعوا في الفقه ، فلنبرع نحن الآن **في علم الكائنات** ، لنقم به لترقي الامة » .

واذا نحن اقبلنا على قراءة كتابه « الجواهر في تفسير القرآن » نجده يحشد في هذا الكتاب الفريد من نوعه كثيرا من صور النباتات والحيوانات ومناظر

الطبيعة وتجارب العلوم لكي يؤكد لقارئه ان ما يقوله في تفسيره من طرائف وغرائب هو الحقيقة بعينها بناء على ما يقدمه من تلك الصور والمشاهد الحسية .

وعندما تعوزه الصور والمشاهد الحسية فانه يستنجد بما جاء عن افلاطون في فلسفته او بما ردده اخوان الصفا في رسائلهم فاذا لم يجد عند افلاطون او اخوان الصفا ما يرتكز عليه في ارائه فانه لا يتورع عن الاعتماد على الارقام العددية التي ينظمها حساب الجمل المعروف .

ومن الغريب حقا ، ان نجد الاستاذ يوسف مروه يعالج موضوعه في كتابه « العلوم الطبيعية في القرءان » بنفس الاسلوب الذي اعتمده الشيخ طنطاوي جوهري في كتابه « الجواهر في تفسير القرءان » حتى يكاد يخيل لنا ان كلا الرجلين نهلا من معين واحد وهما يدرسان القرءان الكريم ويفسران اياته . فالاستاذ يوسف مروة يؤكد في كتابه المذكور ان **« ميزة القرءان الكبرى انه اورد صورة بسيطة واضحة وسهلة للكون والطبيعة تنسجم تماما مع صورة الطبيعة البسيطة التي كشفت عنها الفيزياء الحديثة . »**

ومثلما فعل الشيخ طنطاوي جوهري حين احصى في القرءان الكريم حوالي سبعمائة وخمسين آية من الايات التي تحتوي على مبادىء العلوم الكونية فان الاستاذ يوسف مروه قام بدوره باحصاء هذا النوع من الايات فقال :

« واذا عبرنا بطريقة كمية عن هذه المواضيع العلمية القرءانية ومقدار ورودها ووجودها في القرءان لتبين لنا اكثر من عشر الايات القرءانية تتعلق بمواضيع العلوم الطبيعية وعلى وجه التدقيق 670 آية تبحث في شتى المواضيع العلمية موزعة كما يلي :

الرياضيات	61 آيــة
الفيزياء	64 آيــة
الذرة	5 آيــات
الكيمياء	9 آيــات
النسبية	62 آيــة
الفلـك	100 آيــة
المناخيات	20 آيــة
المائيات	14 آيــة
الرياضيات	57 آيــة
علم الفضاء	11 آيــة
علم الحيوان	12 آيــة
علم الزراعة	21 آيــة
علم الاحياء	32 آيــة
الجغرافية العامة	73 آيــة
علم السلالات البشرية	10 آيــات
علم طبقات الارض	20 آيــة
علم الكون وتاريخ الاحداث الكونية	36 آيــة
وصف العلم والعلماء والحث على طلب العلم	64 آيــة

وجريا على العادة التي يتبعها كثير من الكتاب المسلمين بالاستشهاد على صدق الدعوة الاسلامية وصحة ما جاء في القرآن الكريم من قوانين تشريعية ومفاهيم اجتماعية واخلاقية ، فانا نجد الاستاذ يوسف مروه يستهل كتابه تحت عنوانه : « آراء وافكار حول القرآن » بطائفة غير قليلة من الاقوال التي وردت في كتب غير المسلمين من علماء أوربا وفلاسفتها ونختار من هذه الاقوال قول رينورت :

« يجب ان نعترف بان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات التي انعشت اوربا في القرن العاشر مقتبسة من القرآن » .

« وقول ريتوينورت » :

« يجب ان نعترف ان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة مقتبسة من القرآن . فجميع العلماء مدينون له ولعل الاستاذ مروه والذين سبقوه او يحاكونه في الاستنجاد باقوال الغربيين لدعم الايمان بالاسلام والقرآن ، لعله وهؤلاء انما يريدون العمل بالقول المأثور . والفضل ما شهدت به الاعداء . ولسنا ندري اذا كانت شهادة الاعداء تصلح دائما لان تكون دليلا يمكننا الاحتجاج به فيما ندلي من آراء واجتهادات وتفسيرات وتاويلات بصدد القرآن الكريم بالذات لا سيما اذا كانت هذه الشهادة تريد ان تصنف كلام الله في عداد التقارير العلمية التي كثيرا ما يناقض بعضها بعضا بين حين وآخر بسبب ما يلابس البحوث العلمية عادة من تطورات مع تقدم الافكار البشرية التي تخضع لظروف الحضارة المليئة بالمفاجآت غير المنتظرة .

على اننا نرى بانه لا يجوز لنا حمل آراء الاستاذ مروه وامثاله من الكتاب والعلماء المسلمين على محمل التنطع في جر آيات القرءان الكريم الى ساحة الابحاث العلمية البحت بدافع من الفضول والرغبة في التجديد بما لا طائل منه لصالح القرءان واهدافه الدينية والدنيوية . بل نحن نرى ان ما يذهب اليه الاستاذمروه واحزابه في هذا الصدد ، انما هو في الواقع ، رد **فعل عفوي لمواجهة التحديات العنيفة التي تفرضها الافكار المبهورة بما بلغته الحضارة الانسانية من تقدم وتطور وازدهار في هذا العصر** . كما انه يعتبر بمثابة جواب غير مباشر على الشكوك التي تراود بعض الافهام السقيمة التي القت على كاهل الدين الاسلامي وزر ما يعانيه المسلمون اليوم من مظاهر التقصير عن ادراك شأو الحضارة الغربية في مستواها العلمي الرفيع .

وها هو الاستاذ يوسف مروه يعلن في اوائل الفصل الثامن من كتابه الذي نحن بصدده :

« ان الغاية الرئيسية من هذه الفصول المتواضعة هي :

اولا : ان نثبت **للمتزمتين والمتعصبين ضد طلب العلوم الحديثة ، أن القرءان قد دعا وشدد في طلب جميع العلوم (الدينية والطبيعية)** بلا استثناء ، ولذلك فاننا ندعو رجال الدين للاطلاع بانفسم على معطيات العلم الحديث لان عدم المامهم بهذه المعطيات قد شجع على انتشار الكفر والالحاد بين افراد شباب المسلمين المثقف ، ذلك ان بعض رجال الدين الذين يجهلون كل شيء عن العلم الحديث ، قد فشلوا فشلا ذريعا في توجيه الشباب المسلم الى التمسك بتعاليم الدين الحنيف .

ثانيا : ان نثبت للمثقفين المسلمين وغير المسلمين الذين يحاربون الدين باسم العلم ، ان هذا **الدين قائم على العلم وان آيات القرءان وتعاليمه تنسجم انسجاما كليا مع معطيات العلم الحديث** في ادق واخطر مباحثه وتجاربه واكتشافاته من ذرة وفضاء ونسبية وغير ذلك من المواضيع العلمية الخطيرة ولنؤكد ان العلم الذي دعا القرءان الى طلبه ، والذي اقبل عليه المسلمون ، لم يكن العلوم الدينية والشرعية فحسب ، بل دعا الى طلب العلوم الطبيعية ايضا وان تراث الاسلام في حقل العلوم الطبيعية لهو اكبر دليل على ما نقول :

وعندما وصل الاستاذ مروه الى آخر هذا الفصل اعلن قائلا :

« وانني في محاولتي هذه سأقتصر على اهم واخطر مواضيع العلم الحديث وهي **الذرة والفضاء والنسبية في الباقي لنفي التناقض بين العلم والدين**)».

ولم ينس الاستاذ مروه ، وهو في ذرة حماسته لاثبات الانسجام التام بين العلوم الطبيعية وبين معاني الايات القرءانية) لم ينس أن يشير الى آخرين من العلماء المسلمين الذين عالجوا بدقة وتفصيل مدى انطباق وتوافق هذه الآيات او بعضها مع مواضيع العلم الحديث وذكر منهم الاساتذة احمد امين واحمد محمود سليمان والشيخ طنطاوي جوهري (الذي تناولناه في حديثنا هذا من قبل) وكذلك الدكتور احمد زكي في كتابه « مع الله في السماء »

واذا كان الاستاذ مروه قد اختار لمواجهة التحديات العصرية الحديثة للاسلام بالكشف عن المعطيات العلمية التي فصلت بها آيات القرءان الكريم فان **الاسلوب الذي التزمه في كتابه للتعبير عن هذه المواجهة قد تجاوز من غير شك الاغراض التي ارادها الله في هذه الآيات** حتى انتهى به الامر اخيرا الى انتزاع القرآن الكريم من حدود مقاصده التشريعية والتوجيهية وحشره حشرا غير طبيعي الى جانب الكتب الوضعية التي طوى اصحابها صفحاتها على مبادىء نظرية تخضع في طبيعتها لقوانين العقل البشري هذا العقل الذي هو مستعد دائما وابدا ، لان يرفض اليوم ما قبله بالامس ، وان ينفي في الغد ما اثبته اليوم وهكذا تبعا لما يعرض له من ظواهر الاشياء التي يعالجها وهو في طريقه الى الحقيقة العلمية المطلقة التي يبشر بها الانسان في مسيرته الحضارية غير المحدودة في هذه الحياة .

وان من يمعن قراءة المقدمة التي استهل بها الاستاذ يوسف مروه كتابه لا بد انه يلاحظ بأن الكاتب الفاضل ، كان شديد الحرص على تأكيد دور القرءان الكريم في حث المسلمين على اعتماد العقل والتفكير واحصى 64 آية من آياته تحت عنوان « وصف العلم والعلماء والحث على طلب العلم » ولم يكتف بذلك بل انه اختار من آثار المرحوم الشيخ مصطفى الغلاييني ما كتبه من نحو اكثر من ثلث قرن حول الدين والعلم وجعله في مطلع كتابه وقال : « اعجبت بدقة وعمق بحثه ورايت من الواجب أن انقل للقارىء بعض ما كتبه

هذا الفقيه العالم كتقديم للموضوع الخطير الذي اعالجه » .

وانا لا ندري ، لماذا يصر الاستاذ مروه على اقناع قارئه بان الاسلام يدعو الى التعلم ويطلب الى الناس احترام العلماء ، مع العلم بان احدا منهم لم يزعم يوما بان هذا الدين يدعو الى الجهل او يطلب الى اتباعه تقدير الاميين . حتى خصوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم واعداء رسالته السماوية ، فانهم لم يصلوا في شنآنهم للنبي ورسالته الى حد اتهامهما بانهما ضد العلم وأهله . ولو ان المؤلف حصر جهوده في اقناع قارئه بموضوعه الاساسي ، وهو توافق الآيات الكريمة مع ما حققه الانسان المعاصر في حقل العلوم الطبيعية ، لو انه حصر جهوده في هذا الموضوع فقط لكان وفر على نفسه وعلى قارئه كثيرا من الوقت والجهد .

ثم ان الاستاذ مروه كما يقول الشيخ موسى الصدر ، ساير ذلك الذى قال في كلمته ان علماء الدين يحملون مسؤولية عدم تفسير النصوص القرآنية والسنن المطهرة . على ضوء العلوم الحديثة . وأني من رأى الشيخ المذكور بان الاطلاع على ظروف علماء الدين الاسلامي يكشف انهم بذلوا اضعاف امكاناتهم في سبيل هذه الغاية الشريفة وقدموا عشرات الكتب بهذا الصدد ، حتى ان بعضهم الفوا كتبا في خواص العلم التجريبية زائدا على تاليف كتب تحاول عرض النصوص والاحكام الدينية بصورة علمية دقيقة في حقل الفلسفة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والحقوق وغيرها .

ونحن نزيد على ما قاله الشيخ الصدر بهذا الصدد بانه لا يوجد كتاب في طول الارض وعرضها من بداية التاريخ حتى اليوم ، خدمه اهله من العلماء مثلما خدم علماء المسلمين كتاب الله وان رفوف المكتبات تكاد تنوء باحمالها من آلاف الكتب التي تتناول القرآن بالدرس والتحقيق والشرح والتفسير وبيان دوره الجبار في توجيه البشر بمختلف اجناسهم والوانهم الى الحقائق الازلية التي تضمنتها آياته البينات .

ولعلنا نستطيع ان نلفت نظر الاستاذ المؤلف الى الكتاب الذي الفه سماحة الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس ولبنان الشمالي تحت عنوان « قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن » لان هذا الكتاب الذي صدر مؤخرا وأعيدت طباعته مرارا ، من شأنه على ما نعتقد ان يقنع الاستاذ مروه بأن أهل العلم الصحيح من شيوخ المسلمين لم يبخلوا في اداء واجبهم نحو القرآن الكريم في الحاضر كما ان السلف الصالح من امثالهم وزملائهم ، لم يبخلوا كذلك في الماضي في القيام بهذا الواجب . على ان الفرق بين الاستاذ مروه وبين هؤلاء واولئك انهم فهموا القرآن الكريم على حقيقته وعلى طبيعته في التشريع التنظيمي والتوجيه الاخلاقي بينما اراد استاذنا الفاضل ان نفهم هذا الدستور الالهي عبر الانفعالات النفسية التي اثارتها موجة التحديات العصرية الوافدة علينا من آفاق العالم الغربي .

وهنا ، اجدني اعود مرة اخرى الى تأييد وجهة نظر الشيخ موسى الصدر الذي يقول :

« ان القرآن الكريم كتاب دين وهداية ، **وليس من مهمته الابحاث العلمية وذكر القوانين التجريبية** ، او وضع أسس للانتاج الثقافي البشري ، **فالقرآن الكريم يحاول أن يصنع الانسان الكامل** الذي هو مبدأ العلوم وغايتها ، ويتقن هذه المحاولة باحكامه الفردية والاجتماعية وتعاليمه المقدسة .

ويقول الشيخ الصدر كذلك :

« واعود لاؤكد ان **تناول القرآن لهذه المباحث (اى العلوم الكونية) هو استطراد** ذكر وامثال ، وليس من مهمة القرآن وضع الاسس ونقل القوانين العلمية ، شأن الكتب العلمية .

ونحسب انه لا يمكننا ان نزيد على كلام الشيخ الصدر ما يزيده بيانا وايضاحا فوق ما هو عليه من البيان والوضوح ، اذ لا يعقل ان يأتي القرآن الكريم ولا اي كتاب سماوي آخر الى الناس بالقواعد المادية والطبيعية التي يقوم عليها الكون لان مهمة الدين ، اى دين ، هي ان يأخذ البشر بالمبادىء التوجيهية التي ترسم امامهم طريق الايمان بالله عز وجل والعمل بما فيه انضباطهم وصلاحهم في هذه الحياة الدنيا . وليس من مهمة الدين ، في قليل أو كثير ، أن يتناول العناصر التي يتألف منها الكون في مادته المجردة الا في حدود المقدار الذي يضرب به المثل للعظة والاعتبار والتأمل .

ومثل الكتب السماوية في هذا ، مثل الدساتير التي يضعها قادة الامم لضبط الافراد والمجتمعات في نطاق الروابط التي تحكم أواصرهم وتشدهم الى العيش بعضهم مع بعض دون اى تناقض ولا اصطدام .

وان الطريقة التي اخذ بها الاستاذ يوسف مروه في تفسير القرءان وتاويل آياته وفق النظريات العلمية الحديثة يمكننا ان نقول فيها ما سبق ان قاله في امثالها غيرنا من جهابذة العلماء المسلمين امثال **الشيخ رشيد رضا الذي نجده ، في مقدمة تفسيره «المنار» ينعي على من تاثروا في تفسيرهم بالنزعة العلمية المادية.** وان الشيخ رشيد قد **نعا على الفخر الرازي ما اورده في تفسيره من العلوم الحادثة في الملة** ، واعتبر ان هذا العمل من شانه أن يصرف الانسان عن القرءان وهديه ، كما توجه بمثل هذا اللوم على الذين قلدوا الفخر الرازي في طريقته من المفسرين المعاصرين. فلقد قال .. وقد زاد الفخر الرازي صارخا آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده ، كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها ، وقلده بعض المعاصرين (ويقصد الشيخ طنطاوي جوهري) بايراد مثل هذا من علوم العصر وفنونه الكثيرة الواسعة فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية ، فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة ، كالسماء والارض من علوم الفلك والنبات والحيوان ، تصد القارىء عما انزل الله لاجله القرءان .

وبمناسبة الكلام عن جنوح بعض المفسرين الى الاستطراد في تاويل بعض آيات القرءان الكريم على غير مقاصدها الاخلاقية والتشريعية . فاننا لا نرى باسا من ايراد قصة ذلك المستشرق الذي اراد ان يباسط الامام الشيخ محمد عبده فقال له : انتم معشر المسلمين تزعمون ان القرآن يحتوي على كل شيء من العلوم والاحداث كما جاء في الآية 38 من سورة الانعام: « ما فرطنا في الكتاب من شيء » فهل ورد في القرآن ذكر لاسم شركة « كوك » الانكليزية للسفريات . فما كان من الاستاذ الامام الا ان اجابه ، على سبيل المباسطة ، لذلك فورا ا جل فان اسم هذه الشركة ورد فعلا في سورة الجمعة حيث يقول تعالى « وتركوك قائما » فكانت نكتة ما يزال الناس يتبادلونها حتى اليوم ...

وبعد ، فلقد أطلنا الكلام في نقد كتاب « العلوم الطبيعية في القرءان » حتى كدنا نوهم قارئنا بان الاستاذ يوسف مروه قد خرج من جهده في هذا الكتاب على غير طائل ، بينما نحن ، علم الله ، ما لهذا قصدنا وما كنا لنغمط هذا المؤلف العالم حقه من التنويه بالروح الدينية العارمة التي تشيع في كل من سطور كتابه ، بل وفي كل كلمة من كلماته ، وما كنا كذلك لنجحد له فضله في الانكباب على دراسة كتاب الله سوره سورة ، وآية آية ، كي يخرج من هذه الدراسة بهذا **الكتاب الفذ الذي تضمن من المعلومات القيمة ما يدل على الثقافة العلمية الغزيرة** التي يتمتع بها مؤلفه لا سيما في حقول الفيزياء وما اليها من نظريات حديثة مما يجعله في نظرنا ونظر كل منصف مفخرة شباب العرب والاسلام في هذا العصر ، بل نحن خرجنا بعد دراسة كتابه ، على قناعة وثيقة بان هذا الشاب النابغة يستحق ان يوضع اسمه بين أسماء فطاحل العلماء المسلمين الذين اضافوا لتراثنا القومي صفحة مشرقة ليس في تاريخ العرب والاسلام وحسب بل في تاريخ الفكر الانساني قاطبة . وانه جدير بامتنا ان تباهل بمكانته العامية وان تفاخر بذهنه المتفتح أكثر الامم تقدما وابعدها شاوا في مضمار الحضارة والتطور والازدهار .

واذا كان لنا ما نختم به هذا الحديث ، فاننا نختمه بالتمني على المسؤولين العرب ، بان يفيدوا من مواهب الاستاذ مروه وكفاياته في علوم الذرة والفزياء والكيمياء . هذه العلوم التي اصبحت اليوم ، ميدانا تتزاحم فيه الامم الحية لاحراز قصب السبق في خدمة اغراضها القومية وتحقيق انتصاراتها العلمية من اجل مستقبل افضل للمجتمع الانساني والحضارة العالمية.

الإعداد العلمي في الوطن العربي

اصدر المؤتمر الثقافي العربي الثامن الذي انعقدبالقاهرة بين 20 و 30 ديسمبر (كانون أول) 1969 توصيات في موضوع اعداد العلميين في الوطن العربي جاء فيه :

« التوصيــة الاولــى »
اللغة العربية لغة العلم في التعليم العالي :

لما كانت اللغة القومية لكل امة هي الوعاء الفكري للمواطن ، اذ انها اداة التفكير كما انها وسيلة التعبير.

وتحقيقا للاهداف العلمية والتربوية لوضع المادة العلمية في متناول ادراك الطالب وفهمه دون عوائق لغوية خارجية تزيد من صعوبة المادة وتعمل على الابطاء في استيعابها .

وايمانا بان تأصيل العلم والتفكير العلمي لدى اية امة يتطلب استعمال لغتها القومية في كل من التدريس والبحث العلمي في جميع مراحل الدراسة .

وادراكا ان استعمال اللغة القومية في التدريس والبحث العلمي يزيد من ارتباط العلماء بشعوبهم ومن ارتباط العلم وتطبيقاته بقضايا وطنهم وحاجات امتهم ومتطلباتها ، ويساعد على الاحتفاظ بهم والحد من هجرتهم .

وتقريرا للحقيقة التاريخية المعروفة ان اللغة العربية وسعت في عصور ازدهارها جميع جوانب المعرفة العلمية والحضارية ، وكان لها اثرها الواضح في النهضة العلمية الاوربية .

واعتمادا على طبيعة اللغة العربية وسعتها ومرونتها وقدرتها على التطور والاستيعاب والتعبير عن العلم الحديث وتطبيقاته ، وقد تمثل ذلك في التجربة الرائدة التي نهضت بعبئها الجامعة السورية خلال نصف قرن بالتدريس والتأليف في الكليات العلمية العملية باللغة العربية ، والتي تتطلب من الجامعات العربية الاخرى الاسراع الى التعاون والدعم والمساندة.

ومع الاعتراف بالصعاب الحالية التي تعترض سبيل استعمال اللغة العربية لغة تدريس وبحث علمي في الكليات الجامعية والمعاهد ، والتي تستدعي :

1 — اعداد هيئة التدريس .

2 — ترجمة المصطلحات وتعريبها وتوحيدها .

3 — استكمال النقص في المراجع والمصادر العلمية .

وهي الصعاب التي امكن التغلب عليها عملا في مراحل التعليم العام وفي كليات الحقوق وفي الدراسات الاجتماعية والنفسية ، التي اصبح التدريس فيها منذ زمن باللغة العربية في كثير من البلاد العربية امرا واقعيا وحقيقة مقررة ، بعد ان كان التدريس فيها

بلغات أجنبية ، وكانت الاعتراضات على تعريبهـا والصعاب أمام ذلك هي الاعتراضات والصعاب نفسها التي تثار الآن في مجال استعمال اللغة العربية للتدريس والبحث العلميين .

ومع التأكيد على ضرورة بذل مزيد من العناية باللغات الاجنبية لتكون نافذة تطل على سير العلم في البلاد الاخرى ووسيلة لمتابعة التطور العلمي في العالم.

فان المؤتمر يوصي بما يلي :

1 — المبادرة الى **استعمال اللغة العربية لغـة للتدريس والبحث العلمي في جميع مراحل الدراسة بالكليات والمعاهد العلمية والتقنية في البـلاد العربية** ، على ان يصدر في كل بلد عربي تشريع ملزم بذلك ، وان يكون البدء بتنفيذه في السنة الاولى (الصف الاول) بتلك الكليات والمعاهد في بداية العام الدراسي التالي مباشرة لصدور التشريع ، وان ينص على أن يكون التنفيذ في السنوات (الصفوف) التالية متتابعا عاما بعد آخر دون فواصل زمنية .

2 — **انشاء مركز لترجمة أمهات الكتب والمراجع اللازمة لتعريب التدريس** في الكليات والمعاهد العلمية .

3 — **اعادة تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العربية** الذى سبق ان وافق مجلس جامعة الدول العربية على تأسيسه وعلى نظامه الاساسي ، وحث مجلس جامعة الدول العربية على أن يرصد لـه اعتمادا ماليا كافيا يمكنه من القيام برسالتـه العلمية والقومية الجليلة في مجالي التعريب والترجمة العلمية . على أن يتطور هذا الاتحاد في المستقبل ليصبح مجمعا لغويا عربيا مركزيا وتصبح المجامع الاخرى في البلاد العربية فروعا لـه .

4 — **ارتباط المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط باتحاد المجامع وفقا لترتيب خاص يمنع الازدواج في العمل والتكـرار في الجهـد .**

5 — حث الحكومات العربية التي لا توجد في بلادها مجامع على **تأسيس مجامع لغوية** ، تكـون رسالتها العمل في نطاق القطر نفسه على **قيـام نهضة لغوية فكرية** بشتى الوسائل وتكـون في الوقت نفسه شعبا لاتحاد المجامع ودعامة لـه في عملـه .

6 — **تأسيس الجمعيات العلمية** لمختلف فروع العلم في كل بلد عربي لتكون عونا للجامعات والمجامع واتحاديها والاتحاد العلمي العربي في النهـوض بالتعريب والترجمة العلمية .

7 — بذل مزيد من **العناية باللغات الاجنبية** في التعليم الاعدادي والثانوي والجامعي ، والعمل على رفع مستواها للاستفادة بها في نشر البحوث العلمية العربية على الصعيد العالمي .

« **التوصيـة الثانيـة** »

السياسة العامة للاعداد العلمي :

لما كان المؤتمر يدرك ان المعركة التي تخوضهـا الامة العربية هي معركة حضارية في المقام الاول وان الامة العربية في حاجة الى تقدم حضاري يستفيد من العلم مضمونا واسلوبا في تدعيم الجبهة العربية ، ولما كان المؤتمر يرى أن التفاعل بين الحركة العلميـة والتطور الصناعي والانتاجي أمر ضروري للنهـوض بها جميعا ، فانه يوصي بما يلي :

1 — وضع الخطط طويلة الامد لتربيـة الجماهير العربية تربية علمية اصيلة تقوم على **الايمـان بالاسلوب العلمي في التفكير** والوعي بـدور العلم في تطوير الحياة الانسانية ، **وباهمية العمل العلمي في حل المشكلات .**

2 — ان تقوم اجهزة التعليم والاعلام بالعمل علـى ازالة العراقيل التي تعوق الحركة العلمية حتى يفسح لها مجال العمل على رفع مستوى الثقافة العلمية بين الجماهير واشاعة الفكر العلمـي وتأصيل النظرة العلمية للامور وتربية الاجيال الصاعدة تربية علمية شاملة .

3 — اعتبار **عملية الاعداد العلمي عملية متكاملة** تبدأ مع الطفل وتستمر حتى الدراسات العليا وان هذا التكامل يقتضي الربط بين مراحل الاعداد المختلفة وتحديد مستوياتها في كل مرحلـة ؛ ولذلك فالمؤتمر يوصي بانشاء هيئات او مجالس دائمة تكون مسؤولة عن تطوير خطط ومناهـج الدراسات العلمية في المراحل المختلفة ورسـم

سياسة شاملة للاعداد العلمي ، والقيام بالدراسات والابحاث الخاصة بتحديد نوعيات الاعداد ومستوياته .

4 — **توثيق العلاقات بين المؤسسات العلمية ومراكز الانتاج والخدمات** بحيث يتم تبادل الخبرات العلمية فيما بينها والعمل على حل المشكلات التي تواجهها تلك المراكز ، **واتاحة الفرصة لتدريب الطلاب العلميين** بصورة دورية في مراكز الانتاج والخدمات وانتقاء موضوعات البحث من المشكلات التي تطرحها هذه المؤسسات والمراكز .

« التوصية الثالثة »
الاعداد العلمي في التعليم العام :

يقدر المؤتمر الجهود التي تبذلها جميع الدول العربية في مجال تدريس المواد العلمية في التعليم العام ، ويرى **وجوب اعطاء مزيد من الاهتمام لتحسين نوعية الاعداد العلمي** في جميع مدارس التعليم العام نظرا لاهميته سواء لاعداد المواطن القادر على مواجهة مشكلات مجتمعه والمساهمة في حلها او لاعداد العلميين المتخصصين .

ولذلك يوصى المؤتمر بما يلي :

1 — **العناية** اثناء تدريس العلوم في المرحلة الاولى **بالدراسات التطبيقية** على الطبيعة ، اي ان تقترن عملية التعليم بالمشاهدة ما أمكن ذلك وان تنمي المبادرة الفردية واكتساب بعض المهارات العلمية بحيث يمكن تنمية الشخصية العلمية المزودة ببعض المعارف العلمية الاساسية .

2 — **اعادة صياغة المناهج العلمية** بحيث تهتم بأساسيات المعرفة العلمية دون ازدحامها بالتفصيلات على ان تجري عملية متابعة وتقويم لهذه المناهج باستمرار في ما تسفر عنه من نتائج وما يستجد من احتياجات تمشيا مع التطور العلمي الحديث .

3 — **تطوير أساليب التدريس** ، وهذا يرتهن باعداد المعلم ، ولذلك فالمؤتمر يوصي بالاهتمام **باعداد المدرس** وتوفير الجو والظروف المناسبة لكي يقوم بدوره على أحسن وجه ، وذلك عن طريق تحسين ظروفه المادية والمعنوية **وتزويده بوسائل التدريس** اللازمة ومده باستمرار بالجديد في العلم وفي طرق التدريس **وتنظيم الدورات التدريبية** والتجديدية المناسبة .

4 — الاهتمام بمزج الاعداد العلمي بالاعداد الانساني والقومي ، وبوجه خاص انماء احساس الطالب بالانتماء للوطن وادراكه لمسؤولياته تجاهه .

5 — العناية بتدريس اللغة العربية باعتبار ان **اللغة القومية هي الوسيلة المثلى للتعبير عن الافكار العلمية** وتبادلها بين اجزاء الوطن العربي . كما يؤكد ضرورة العناية بتدريس اللغات الاجنبية لانها وسيلة **هامة** من وسائل تحصيل العلم .

6 — **العناية بالمدارس المهنية** وزيادة عددها وتنوعها طبقا لمتطلبات خطط التنمية على ان يرتفع مستوى الدراسة العلمية النظرية في هذه المدارس الى ما لا يقل عن مستواه في المدارس العامة على ان لا يكون ذلك على حساب النواحي المهنية مع اتاحة الفرصة للمتخرج في هذه المدارس بمواصلة دراسته في التعليم التقني العالي اذا كان صالحا لذلك ، على ان يراعى في قبول الطلاب في هذه المدارس الميل والكفاءة .

« التوصية الرابعة »

الاعداد العلمي في المرحلة الجامعية :

يقدر المؤتمر الجهد الذي تبذله جميع الدول العربية في التوسع في التعليم الجامعي العالي ، ويرى ان الوقت قد حان للاهتمام بنوعية الاعداد في هذه المرحلة بما يفي باحتياجات الامة العربية . ولهذا يوصي المؤتمر بما يأتي :

1 — ان تحدد كل دولة عربية **اهداف التعليم الجامعي** بصورة واضحة في ضوء احتياجاتها المحلية من علميين على مختلف انواعهم ، آخذة في **الاعتبار الحاجات القومية على نطاق الوطن العربي** .

2 — ولما كان تحديد التخصصات وأنواعها ومجالاتها امرا يرتبط بخطط التنمية الوطنية والقومية ، فان المؤتمر يوصي بانه اذا لم تتوافر خطط للتنمية طويلة الامد فيفضل ان تكون التخصصات عريضة تتيح للمتخرجين في الجامعة العمل في مجالات متنوعة بحيث يستطيعون سد حاجات

مختلف القطاعات والمشروعات التي يتقرر انشاؤها في المستقبل .

3 ـ **تجنب الازدواج بين الاعداد الاكاديمي والاعداد التطبيقي** ومراعاة الاحتياجات الفعلية للمجتمع

5 ـ زيادة الاهتمام بالعلوم الانسانية والاجتماعية في الكليات العلمية العملية .

6 ـ لما كان توفير المختبرات والاجهزة العلمية والمكتبات يحتاج الى نفقات كبيرة قد لا تتحملها الطاقات المحلية ، فان المؤتمر يوصي بالتنسيق بين مراكز البحث والجامعات بحيث يستفاد من الامكانيات الموجودة وذلك بانشاء معامل ومكتبات مركزية وتوفير خدمات التوثيق العلمي. وفي هذا المجال يوصي المؤتمر بأن تتبنى البلاد العربية مشروع **انشاء مؤسسة عربية لتصنيع وصيانة ادوات واجهزة المختبرات والوسائل التعليمية** .

7 ـ توفير اعضاء هيئات التدريس اللازمين للقيام باعباء التدريس بحيث تصل نسبة هيئة التدريس الى الطلاب في اقرب وقت ممكن الى النسب المقبولة عالميا .

8 ـ ان تتحمل الجامعات والمعاهد العليا مسؤولياتها في **متابعة النمو العلمي للخريجين** عن طريق البرامج التدريبية ووسائل النشر والاعلام ومراكز خدمة الخريجين .

« التوصية الخامسة »

اعداد الباحثين العلميين :

ان المؤتمر اذ يدرك ان اية نهضة علمية اصيلة تقوم اساسا على اكتاف مجموعة من الباحثين في المجالات المختلفة ، قادرين على **تنشيط حركة البحث العلمي وربطها بالحركة الاجتماعية والاقتصادية** ، فانه يوجه النظر الى ضرورة الاهتمام باعدادهم وتوفير الظروف الملائمة لهم ، وفي هذا المجال يوصي بما يلي :

1 ـ لما كانت اساليب البحث العلمي واهدافه في الجامعات قد تختلف عنها في مؤسسات البحث العلمي الاخرى والتي ينبغي ان يرتبط العمل فيها باحتياجات تنمية المجتمع ، فان المؤتمر يوصي عند تقويم اداء العلميين العاملين في مجالات البحوث التطويرية والتطبيقية **بالاعتماد على الانتاج العلمي بدلا من الاقتصار على اعداد رسائل الماجستير والدكتوراه** .

2 ـ لما كان خريج الجامعة يحتاج قبل قيامه بالبحث الى تدريب خاص يكسبه المهارات الاساسية اللازمة للبحث فان المؤتمر يوصي **بانشاء دراسات خاصة للخريجين** الذين يدخلون ميدان البحث العلمي وتقويم عملهم فيها للتعرف على صلاحيتهم لمتابعة البحث العلمي .

3 ـ تشجيع الربط بين بحوث الماجستير والدكتوراه وغيرها من البحوث الجامعية وبين احتياجات المجتمع ما امكن ذلك .

4 ـ يرى المؤتمر ان هناك حاجة الى مزيد من الاهتمام بالدبلومات المهنية التطبيقية بحيث تتنوع وتأخذ صورة ذات طبيعة تطبيقية يقصد بها اعداد المتخصصين المهنيين اعدادا علميا وعمليا للعمل في فروع التخصص التي يحتاجها المجتمع .

5 ـ **تشجيع الباحثين على متابعة تكوينهم العلمي** بالانتساب الى دراسات ودورات تدريبية لرفع مستواهم بشكل مستمر .

6 ـ الاهتمام باعداد **وتدريب اخصائيين في التوثيق والنشر العلمي** .

7 ـ الاهتمام باعداد **وتدريب اخصائيين في اعمال الادارة العلمية والتخطيط العلمي** .

« التوصية السادسة »

اعداد الفنيين والمعاونين في البحث العلمي :

لاحظ المؤتمر ان مرافق المؤسسات العلمية والانتاجية لاسيما المراكز الصناعية في الوطن العربي تعاني نقصا كبيرا في الفنيين ، مع ان العمل في هذه المرافق يستند الى خدمات الفنيين في عمليات التنفيذ بقدر ما يحتاج الى المهندسين والعلميين من ذوي الاختصاصات العالية في عمليات التصميم والبحث . لذلك يوصي المؤتمر بما يلي :

1 ـ **الاهتمام باعداد ورعاية الفنيين والمعاونين في** شؤون البحث العلمي في قطاعاته المختلفة بخاصة الفئات التالية :

ا — المختصون بصيانة واصلاح الاجهزة العلمية .

ب — المختصون باجهزة القياس الدقيق والتحليلات ومختلف التحضيرات العلمية

ج — الفنيون الدربون على الاجهزة الالكترونية واجهزة الصناعات الكيميائية والتعدينية وغيرها .

د — الفنيون في اعمال التصميم والتجارب نصف الصناعية .

هـ — الفنيون في اعمال الرسم والتصوير العلمي.

و — الفنيون اللازمون للمعاونة في اعمال المكتبات والتوثيق والنشر العلمي .

ويجب ان يكون اعداد الفنيين متناسبا مع متطلبات العمل .

2 — تشجيع الفنيين ماديا ومعنويا وذلك بتحسين أوضاعهم المادية وتنمية الشعور بأن عمل الفنيين لا يقل اهمية عن الاعمال العلمية الاخرى.

3 — ان يكون المشرفون على اعداد وتدريب الفنيين من مدرسين ومدربين من ذوي الخبرة الفنيين المتمرسين بمثل هذه الاعمال .

« التوصية السابعة »

هجرة العلميين ووسائل الاحتفاظ بهم :

يوصي المؤتمر بأن تراجع كل دولة عربية **الظروف التي تدفع العلميين العرب الى الهجرة مثل :**

— ضعف الدعم المادي للعمل العلمي وقلة دخل العلميين التي تصرفهم عن تكريس جهودهم للعمل العلمي المنتج .

— عزلة العلميين بعضهم عن بعض على الصعيدين المحلي والعربي وعدم اشتراكهم في وضع خطط التنمية في بلادهم .

— التركيب البيروقراطي لكثير من المؤسسات العلمية وطرق التوظف فيها والتي أدت الى وضع كثير من غير المناسبين في مسؤوليات حساسة في ميدان العمل العلمي ومن ثم سلبية كثير من العلميين العائدين بعد تدريبهم وتأهيلهم في الخارج .

— القيود التي تفرض في بعض البلدان العربية على حرية العلميين في التفكير والعمل وعدم الاستقرار في مجالات العمل العلمي وهيئاته ؛ مما يضر باستمرارية العمل .

كما يوصي المؤتمر كل دولة عربية بالعمل على **الاحتفاظ بالعلميين داخل الوطن العربي وعلى حسن الافادة من طاقاتهم ، وعلى ترغيب من هاجر منهم في العودة ،** وذلك بتوفير المناخ العلمي اللائم والمشجع عن طريق اتخاذ الاجراءات التالية :

1 — توفير الدخل المادي الكافي الذي يضمن تكريس كل جهود العلميين لواجباتهم العلمية مع وضع الحوافز المادية والمعنوية لهم .

2 — **رفع القيود على تحركات العلميين داخل الوطن** العربي للاغراض العلمية واعطاء العلماء العرب الاولوية في شغل الشواغر في الوطن العربي ضمن برنامج المنظمات الدولية .

3 — **انشاء مركز عربي لجمع بيانات عن احتياجات الوطن العربي من العلميين في حقول التخصص** المختلفة وكذلك جمع بيانات عن القوى العلمية العربية العاملة في الوطن العربي وخارجه ، وذلك من أجل التنسيق بين احتياجات الدول العربية المختلفة بما يضمن توزيعا متكاملا للعلميين واستخدام اكبر عدد ممكن منهم داخل الوطن العربي .

4 — مبادرة الدول العربية الى **وضع خطط مشتركة تحدد فيها مشكلاتها العلمية واحتياجاتها من العلميين** وترصد لها الإمكانيات اللازمة لتنفيذ الخطة العربية المشتركة وحل ما يعترضها من عقبات .

5 — متابعة القيام بدراسات ميدانية تهدف الى **التعرف على المشكلات التي واجهها ويواجهها العلميون العرب** داخل الوطن العربي ومسببات هجرتهم .

6 — اعادة النظر في مؤهلات العاملين في مختلف الحقول الانمائية في البلاد العربية وشغل تلك الحقول بذوي المؤهلات العلمية القادرة المتخصصة .

7 ــ مبادرة الهيئات العلمية الى خلق مدارس **البحث العلمي** المرتبطة باحتياجات المجتمع كوسيلة لربط العلميين بمجتمعهم وللحفاظ على العلميين الذين يعودون الى هذه الهيئات من الخارج ولتوضيح الدور الذي يجب ان يلعبه العمل العلمي في بناء المجتمع العربي .

8 ــ **انشاء صندوق عربي يتولى تنفيذ برنامج لتبادل العلماء العرب** داخل الوطن العربي من جهة وبين المؤسسات العلمية العربية ونظيراتها في الدول المتقدمة من جهة أخرى .

9 ــ اتخاذ الاجراءات الضرورية للحد ما أمكن من خروج الطلبة العرب للدراسة الجامعية الاولى الى الجامعات الاجنبية خشية انصهارهم في المجتمعات الاجنبية التي يذهبون اليها .

« التوصية الثامنة »

مسح الامكانيات العلمية :

يوصي المؤتمر ان تقوم كل دولة عربية بالعمل على **تحقيق مسح شامل وكامل لمؤسسات البحث فيها** وذلك من حيث تركيبها وأماكنها وتجهيزاتها وقدراتها والعاملين فيها (مؤهلاتهم وخبراتهم) وتمويلها والجهات التي تتبعها ومواضع اختصاصاتها ونشاطها وذلك تمهيدا للاستفادة من أمكانياتها في خطط الانماء والبحث العلمي ولاستكمال نواقصها وتمهيدا لاستحداث وحدات جديدة في أماكن وميادين تعين على ضوء الحاجات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، كما يوصي بأن يكون جمع هذه البيانات والاحصاءات مستمرا ، وان تعمل أدارات الامانة العامة للجامعة العربية (الادارة الثقافية ــ قسم العلوم والتكنولوجيا وغيرها) على جمع هذه البيانات من الدول العربية وتصنيفها ونشرها .

« التوصية التاسعة »

تنظيم البحث العلمي على النطاق المحلي :

يوصي المؤتمر بأن تعمد كل دولة عربية الى **انشاء هيئة مركزية على أعلى مستوى تتمتع بالاستقلال** الاداري والمالي وتكون مهمتها **وضع السياسة العلمية الوطنية وتوجيه البحث العلمي** وتنسيقه وتشجيعه واعداد الباحثين والعلميين على ضوء خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ويوصي المؤتمر بأن تنظم البلاد العربية مؤسسات البحث العلمي فيها على ضوء المسح الذي تجريه ، وهي تؤكد ضرورة وضع خطة علمية تستهدف التنسيق بين مختلف مراكز البحث بحيث تستفيد الى أقصى حد من الامكانيات العلمية المتوفرة وتوجهها الى تناول مواضيع البحث ذات الاهمية بالنسبة لحسن استغلال الموارد الطبيعية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية . كما يوصي المؤتمر بأن تتوخى خطة انشاء وتدعيم مراكز البحث تمكين هذه المراكز من تحقيق دورها في ميادين البحث الاساسي والتطبيقي والتكنولوجي وفي أعداد العلميين والباحثين الرئيسيين والمساعدين على السواء . وان يتم **توزيع البحوث على المؤسسات العلمية** بحيث تاتي متكاملة في خدمة المصلحة الانمائية العامة وبحيث تتجنب التكرار والازدواجية مع التاكيد على اهمية دور الجامعات في البحث العلمي ، وبحيث **يقوم البحث العلمي بدوره كجسر لنقل التكنولوجيا الحديثة الى البلاد العربية .**

« التوصية العاشرة »

تنظيم البحث العلمي على نطاق الوطن العربي:

ان التنسيق بين جهود الدول العربية في المجال العلمي ضرورة ملحة لتحقيق اهدافها القومية وعبور فجوة التخلف، وبخاصة ان المشكلات التى تواجهها هذه الدول في حقول التنمية الاقتصادية والاجتماعية تتشابه موضوعيا ، مما يحتم عليها أن تتعاون وان تنسق جهودها لحاقا بالتقدم العلمي والتكنولوجي المعاصر ، وبخاصة ان التحديات الراهنة والمقبلة التى تواجهه وستواجه الامة العربية قد وصلت الى مرحلة بالغة الخطورة ، وان عناصر التقدم العلمي من موارد بشرية وامكانات مادية وطبيعية ليست موزعة بشكل متوازن على رقعة الوطن العربي .

لذلك يؤكد المؤتمر **اهمية التعاون العربي في حقل البحث العلمي** ، وضرورة التنسيق والتوثيق وتبادل الخبرات والمعرفة ، ويوصي بما يلي :

أولا ــ ان يبادر العلميون في مختلف الحقول اينما وجدوا في الوطن العربي الى **انشاء جمعيات علمية عربية تضم الاختصاصيين في الحقول العلمية**

المترابطة والمتداخلة في جميع البلدان العربية وعلى سبيل المثال تنشأ الجمعيات الآتية :

ا — جمعية العلوم الرياضية والفيزيائية .

ب — جمعية العلوم البيولوجية .

ج — جمعية العلوم الكيميائية والجيولوجية .

د — جمعية العلوم الهندسية .

هـ — جمعية العلوم الطبية .

و — جمعية العلوم الزراعية

ز — جمعية العلوم الاجتماعية .

ح — جمعية العلوم الادارية

ط — جمعية العلوم الاقتصادية

على ان تتضمن مهام هذه الجمعيات اصدار **دوريات علمية لنشر البحوث على مستوى الوطن العربي** وعقد المؤتمرات العلمية الدورية

ثانيا — ان يقوم **اتحاد الجامعات العربية** — وهو اطار مناسب للتنسيق العلمي بين الجامعات العربية — بدور اكثر فعالية في هذا المجال . ويحتاج ذلك الى :

1 — مزيد من الدعم المادي من الجامعات والحكومات العربية .

2 — توسيع قاعدة المؤتمر العام لاتحاد الجامعات ليشمل ممثلين لاعضاء هيئة التدريس من غير اعضاء مجالس الجامعات ومن مختلف التخصصات العلمية ، وعلى أن يعقد المؤتمر العام للاتحاد مرة كل عام .

3 — تنشيط عمل لجان الاتحاد الفنية واشراك اكبر عدد ممكن من اعضاء هيئة التدريس الراغبين والقادرين على المساهمة فيها .

4 — **عقد مؤتمرات دورية تمثل اتساع التخصص** في كل جامعة لتنسيق شؤونها العلمية والتعليمية .

5 — عقد حلقات دراسية لبحث المشكلات التي تواجه التعليم الجامعي في الوطن العربي مع الاهتمام بوجه خاص في المراحل القادمة بالموضوعات الآتية :

ا — مركز الاقسام العلمية وخصوصا البحث منها نظرا لتداخل فروع العلم المتقاربة ولتجنب بعثرة الامكانيات .

ب — التنسيق فيما بين الاقسام التخصصية في الجامعات المختلفة لتوزيع اهتماماتها في مجال البحوث والدراسات العليا وتوزيعها بحيث تصبح متكاملة ومتفاعلة .

ج — اعداد ونشر دليل سنوي لاعضاء هيئة التدريس والعاملين في الجامعات العربية في مختلف حقول التدريس .

د — التنسيق بين الجامعات العربية في مجال المشاركة العربية في المؤتمرات العلمية والدولية وتنظيم الاستفادة منها .

هـ — اعداد دراسة تستهدف وضع معدلات سليمة لتكلفة تعليم وتأهيل الطالب في مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي .

ثالثا — **انشاء مجلس علمي عربي يضم البلاد** العربية وتكون من بين مهامه الامور التالية :

1 — انشاء وادارة مراكز البحوث الاقليمية .

2 — انشاء وادارة مراكز الخدمات العلمية الاقليمية .

3 — انشاء وادارة مراكز اقليمية لتدريب الفنيين العلميين .

4 — انشاء وادارة مركز للتوثيق العلمي .

5 — انشاء مركز يتابع تطور الحركة العلمية لدى العدو واستعمال العلم في جميع مجالات حياته .

6 — تدعيم البحث العلمي عن **طريق تقديم المنح للباحثين حيثما كانوا في الوطن العربي** .

7 — تبسيط العلوم ونشر الثقافة العلمية باللغة العربية لمختلف فئات الشعب .

ويرى المؤتمر ان يستفيد هذا المجلس ما امكن مما هو متوفر من مؤسسات علمية تقوم الآن في البلدان العربية وذلك اما بتقويمها أو بالحاق اقسام للخدمات والبحث فيها .

ويرى المؤتمر كمدخل لتحقيق ذلك ان تبادر الامانة العامة لجامعة الدول العربية (قسم العلوم

والتكنولوجيا) الى دعوة عدد من العلماء الاكفياء في الوطن العربي لوضع مشروع نظام هذا المجلس وعرضه على مجلس الجامعة في أول اجتماع مقبل له .

« التوصية الحادية عشرة »

التعاون العلمي العربي :

ينوه المؤتمر باهمية **التعاون العربي في مجال البحوث العلمية** والمراكز الاقليمية المشتركة (من امثال مركز النظائر المشعة والمركز الاقليمي العربي لدراسات المناطق الجافة والاراضي القاحلة ومراكز البحوث التي اقرها مركز التنمية الصناعية التابع للجامعة العربية) ؛ وبالنشاط الذي يقوم على نطاق الوطن العربي وينوه باهمية « المجلس العربي المشترك للطاقة الذرية » الذي قرر انشاءه مؤتمر القمة الثاني .

ويوصي بأن يكون انشاء مراكز البحوث الاقليمية مرتبطا بموضوعات علمية تهم الوطن العربي والتنمية الاقتصادية فيه .

« التوصية الثانية عشرة »

التوثيق والنشر العلمي :

نظرا لان نتائج البحوث العلمية اصبحت تنشر في العالم في ملايين من التقارير العلمية بعشرات اللغات، فقد اصبح **التوثيق العلمي من اهم الامور التي يجب أن تعنى بها مؤسسات البحث العلمي** ؛ ويعتمد التوثيق العلمي الكامل اليوم على اجهزة حديثة بالغة الدقة لذلك يوصي المؤتمر بأن تتعاون البلاد العربية على انشاء مركز للتوثيق العلمي يستخدم الوسائل والاجهزة الحديثة ويكون في خدمة البحث العلمي على الصعيد العربي كله .

« التوصية الثالثة عشرة »

تنظيم براءات الاختراع والملكية الصناعية :

يوصي المؤتمر بانشاء وتنظيم **جهاز براءات الاختراع في كل دولة عربية**، على ان يكون الجهاز ادارة استقبال اسرار التكنولوجيا المرفقة بطلبات براءات الاختراع ، واداة ارسال تلك الوثائق الى مراكز البحث العلمي والجامعات والمصانع ، واداة متابعة تعميم تطبيق احدث الاختراعات في الصناعات الرئيسية . على ان تتبع ادارة براءات الاختراع الجهاز العلمي المركزي في الدولة ، وان يتمتع الجهاز بكيان ذاتي . ويتعين ان يتضمن جهاز براءات الاختراع فضلا عن الادارة التقليدية التي تختص بالاجراءات والتسجيل ، ادارة تكنولوجية واقتصادية ، وادارة وثائق واعلام ، وادارة ابحاث قانونية وعلاقات دولية .

ويوصي المؤتمر البلاد العربية بالعمل على **اعداد فئة من العلميين والقانونيين والاقتصاديين واخصائي الوثائق والمكتبات تتخصص علما وعملا في براءات الاختراع والملكية الصناعية .**

« التوصية الرابعة عشرة »

يوصي المؤتمر بالتعاون بين الدول العربية في مجال **الملكية الصناعية بتكوين** مركز للملكية الصناعية ووثائق براءات الاختراع . ويختص المركز بالعمل على تنسيق تشريعات الملكية الصناعية في الدول العربية وتوجيه حركة التشريع لتحقيق مصالح الدول العربية **وحماية حقوق المخترعين العرب** كما يختص بالقيام بالابحاث الخاصة بالاتفاقيات الدولية في الملكية الصناعية واعمال وثائق براءات الاختراع ونشر هذه الوثائق .

« التوصية الخامسة عشرة »

تمويل البحث العلمي :

يوصي المؤتمر بأن تخصص كل دولة عربية للبحث العلمي ما لا يقل عن الواحد بالمائة من الدخل القومي العام على ان ترتفع هذه النسبة الى اثنين بالمائة في ظرف ثلاثة اعوام . ويكون توزيع اعتمادات هذه المخصصات مرتبطا بخطة البحث العلمي التي تنبثق من خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

« التوصية السادسة عشرة »

دور العلم والعلميين في مواجهة التحديات :

لما كان الاعداد العلمي يحتاج الى وحدة فكر وعمل بين جميع الاجهزة المسؤولة عنه ، ولما كان هذا الاعداد يتم ضمن اطار اجتماعي يوجهه نحو

غاياته المرجوة ، ولما كان للعلم دور رئيسي في مواجهة متطلبات المعركة المستمرة مع الامبريالية وقاعدتها الصهيونية وهو دور لن يتحقق الا باتخاذ التدابير اللازمة على المستوى الوطني وعلى المستوى القومي فان المؤتمر يوصي بما يلي :

1 — ضرورة وضع سياسة عامة للاعداد العلمي تنبثق من واقع الوطن العربي وتكون على مستوى التحديات التي تواجهه عسكريا واقتصاديا وحضاريا ، وتحقق متطلباته واحتياجاته في ضوء خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعبئة العسكرية .

2 — الاسراع باجراء الدراسات الخاصة بالعدو وطاقاته وامكانياته وسياساته العلمية والطرق التي يتبعها في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والعلمية والتكنولوجية واجراء دراسات عن طاقاتنا العربية التي يجب حشدها من اجل المواجهة الحالية والمستقبلة مع العدو . وفي هذا المجال أيضا يشير المؤتمر الى اهمية الاستعانة بملحقين علميين يتم تعيينهم في الدول المختلفة لجمع المعلومات العلمية .

3 — تنظيم وتدريس برامج ثقافية عامة ومناهج في التعليم العام والجامعي تتناول عدونا وطاقاته وطرق مواجهته والتعريف كذلك بالانجازات العربية .

4 — الاهتمام بالدراسات التي تهدف الى رفع مستوى العلوم ذات التطبيقات العسكرية في الجامعات والمعاهد الفنية العالية .

5 — انشاء معاهد تكنولوجية متخصصة او اضافة فروع للمعاهد القائمة تختص بالدراسات والبحوث ذات الصلة بالعمل العسكري وفي هذا المجال ، يوصي المؤتمر الدول العربية التي توجد بها نواة لمثل هذه المعاهد ان تضعها في خدمة العمل العربي الشامل بغرض تنفيذها لتحقيق اهداف نضالنا القومي .

6 — الاهتمام بايجاد جهاز من العلماء المتخصصين ضمن القيادة العسكرية لكل دولة عربية في اطار الدفاع المشترك. ويكون هذا الجهاز مسؤولا عن تقديم معوناته بشأن وضع العلم واجهزته وبحوثه في خدمة العمل العسكري .

7 — تعبئة جميع الطاقات العلمية العربية الموجودة في الوطن العربي وخارجه لتوجيهها نحو خدمة متطلبات المعركة الحالية ، وفي هذا المجال يشير المؤتمر بصفة خاصة الى توجيه قدرات البحث العلمي لانتاج اسلحة مناسبة بموارد متاحة داخل الوطن العربي ، هذا الى جانب تدريب ابناء الامة العربية على المهارات الحربية والادارية المناسبة.

8 — يناشد المؤتمر اجهزة الاعلام في الوطن العربي اعطاء مزيد من الاهتمام لنشر الوعي العسكري العلمي حتى يكون جميع افراد الامة العربية على مستوى متطلبات المعركة سواء بالنسبة للعمل العسكري المباشر او بالنسبة لوسائل الدفاع المدني .

التأنيث في العربية

الأستاذ عبد الحق فاضل - الدار البيضاء

قرات منذ اكثر من عشرين عاما — في مطبوع ما ، لعله مجلة غاب عن بالي عنوانها — لمستشرق نسيت اسمه — بحثا شائقا حاول فيه تفسير ظاهرة التانيث في لغتنا بما فيها من غرابة ومفارقات. والذي تستطيع الذاكرة ان تستعيده الآن من ذلك البحث هو النقطتان الاساسيتان اللتان عليهما كان مدار الموضوع.

النقطة الاولى قوله ان العرب انثوا من الجمادات ما هو شبيه بالانوثة مما كان مقتوبا او عميقا او موطوءا او نحو ذلك ، كالرحي والبئر والارض . وبوسعنا جريا على هذه النظرية ان نضيف الى ذلك من الجمادات المؤنثة التي تشبه المراة ما كان ساميا كالسماء، ووهاجا كالشمس ، ومتقلبا كالريح ، ومحرقا كالجحيم، ومدمرا كالحرب ..

والنقطة الثانية قوله ان العرب كانوا قد مروا في احد عهودهم القدمى بمرحلة الامومة كغيرهم من الامم ، اي مرحلة سيادة المراة الام على العائلة قبل الانتقال الى مرحلة الابوة اي سيادة الرجل الاب . ويخيل لي ان المستشرق قد استشهد على رايه هذا بنبذة من كلام هيرودتس عن علاقة مغايرة للمالوف الحديث كانت على عهده قائمة بين الرجل والمراة ، لدى بعض العرب ، ولا نحسب ان ذلك الاستشهاد كان وافيا بمرامه لانه لا يدل على سيادة المراة فيما نذكر . وعلى اية حال كان من تاثير سيطرة الانثى الام، على قوله ، ان العرب انثوا الكثير من اسماء الاشياء غير المؤنثة ، حتى من الذكور البشر ، كتانيث اسم العدد من الثلاثة الى العشرة ، فقالوا مثلا : (سبعة) رجال ، بدلا من : سبع رجال .

ولا يحق لنا التمادي اكثر من هذا في عرض راي الباحث المستشرق اعتمادا على الذاكرة بعد هذا الامد المتطاول ، مخافة ان نظلم الرجل فنعزو اليه ما نتوهم انه قاله وهو لم يقله ، او قاله على نحو آخر . لكننا نذكر اننا حين قراتا ذلك البحث لم نقتنع بتاويلاته ولو اننا تقبلناه على انه مقال طريف ومحاولة جريئة لتفسير ظاهرة لغوية غريبة ، من زاوية جديدة .

اما بصدد النقطة الاولى فان الكثير من اسماء الجمادات لا يخضع للقاعدة المذكورة فقد وردت في العربية مؤنثات من الجمادات لا مشابهة لها بالانوثة كالعصا والفاس والذراع ، ومذكرات لا شبه لها بالذكورة كالوادي والغار ، والجب المرادف للبئر المؤنثة .

واما بصدد النقطة الثانية فاذا اعتبرنا التانيث في بعض الحالات تكريما للمراة حيث قيل سبعة رجال فان الباحث لم يذكر فيما نظن ان اسم العدد يذكر ايضا مع المؤنث — مما يقلل هيبة المراة ويغل من سطوتها — فيقال (سبع) نساء ، بدلا من سبعة نساء . ولعل المستشرق الفاضل قد ذكر ذلك وفسره بطريقة لم تقنعنا على كل حال .

ولاندري الآن ما اذا كان قد فاته كذلك ان الجمادات تؤنث وتذكر في اللاتينية وبناتها . فهل نعزو ذلك الى مشابهة المسميات للذكورة والانوثة او الى سيطرة الام على الرومان قبل ان تتوطد لديهم سيطرة الاب ايضا ؟

ويلاحظ ان اسم الجماد الخلو (1) في اللاتينيات اما مذكر فقط واما مؤنث فقط . واما في العربية فان الكثير من اسماء الاخلاء يجوز فيها التذكير والتأنيث . فهذا يضعف راي المستشرق الباحث في قوله ان لمشابهة الاشياء بالانوثة علاقة بالمسألة . ولو نحن مضينا في التطبيق قياسا على نظريته لقلنا ان جواز التذكير والتأنيث في الكثير من اسماء الاخلاء في العربية يدل على مرور العرب بعهد سادت فيه الخنثى على العائلة.

قبل الادلاء برأينا في تفسير ظاهرة التأنيث يطالبنا الانصاف ان نحيي هذا الجهد المخلص الذي انفقه المفضال المستشرق — المجهول لدينا في الوقت الحاضر ، وقد نهتدي الى معرفة اسمه ذات يوم — فهو وامثاله من الباحثين الاجانب ، الذين قاموا بعملية استكشاف واسعة المجال في قارة التراث العربي ومنه تراث اللغة ، قد اسدوا الى العربية خدمات قيمة مشكورة ، ولا عتب عليهم أن اخطأوا احيانا ، فان لهم الفضل انهم اصابوا احيانا كثيرة أخرى .

الضمائر العربية :

اذا حللنا الضمائر العربية — انا ، انت ، هو .. الخ — نجدها تتألف من ثلاثة عناصر اساسية : الالف والنون والتاء . وقد تطرقنا في كتابنا « مغامرات لغوية » (في فصل اسرار الضمائر) (2) بشيء من التفصيل الى هذه العناصر الضميرية الثلاثة التي نطقها الانسان الاقدم (آ) و (نـا) و (وتـا) أول الامر ، ثم تطورت فتعددت صيغها وتنوعت معانيها ، اي ان الاقدمين كانوا يختلفون في نطق هذه الضمائر فنشأت لها صيغ كثيرة ، وكانوا لفقرهم اللغوي يستعملون كلا من تلك الصيغ في مختلف المعاني التي يتوقون الى الافصاح عنها ولا يجدون الالفاظ المعبرة عن كل منها .
وكانوا يلحقون هذه العناصر البدائية الثلاثة (آ ، نا ، تا) بالاسماء والافعال كضمائر او اسماء اشارة ، فمن الحاقهم الهمزة بها مفتوحة ومضمومة ومكسورة نشأت حركات الاعراب ، ومن الحاق النون بها نشأ التنوين بمختلف حالاته .

التـاء :

والذي يهدينا اليه استعراض الضمائر العربية في شتى احوالها وصورها هو ان هذه العناصر الضميرية البدائية الثلاثة لم تنشأ في مكان واحد عند فريق معين من الاعربيين (العرب الاوائل) ، بل ان كل طائفة منهم كانت تستعمل واحدا من هذه الضمائر. ففريق منهم كانوا يستعملون ضمير (تا) كما كان فريق ثان يستعملون ضمير (آ) وفريق ثالث ضمير (نا) كالذي فصلناه وعللناه في كتابنا الآنف الذكر ، فلا حاجة للاعادة فيه هنا .

وهكذا كان نصيب التاء ان الحقوها كأخويها الضميرين الآخرين بالاسماء والافعال . وهذا هو سر وجود التاء في بعض الاسماء مثل : جبهة ، هضبة اجمة ، مقدرة ، خشبة .

فليس التأنيث هو الغرض من التاء في اسماء هذه الاشياء المجردة من اي اثر لاي تأنيث او تذكير ، وانما التاء هنا مجرد بقية اثرية من عهد لغوي مندرس بعيد كانوا فيه يلحقونها بكل الاسماء والافعال .

وقد كان من نتيجة اختلاط القبيل الذين يستعملون التاء بغيرهم من الاعربيين الذين لا يستعملونها ان ضعف شأنها وقل استعمالها حتى أنها سقطت من كثير من الافعال مثل : افعل وتفعل ويفعلون ، ومن معظم الاسماء مثل : جبل ، طير ، نهر ، أرض ، كوكب ، تراب ، بحر ... وبقيت عالقة باسماء أخرى كالتي ذكرناها : هضبة ، جبهة ، الخ ... وبقيت متارجحة في اسماء اخرى حيث يمكن حذفها واثباتها في مثل : ليل ونجم .

قلنا ان التاء الحقوها بالاسماء والافعال لاداء معنى الضمائر او اسماء الاشارة أول الامر ، لكن تطاول الاحقاب وتعاقب الاجيال جعلها تظهر اولا في صور مختلفة بسبب اختلاف القوم في نطقها كما قلنا ،

---

1) نستعمل كلمة الخلو — زنة الصنو والشلو — بمعنى الشيء الخالي من الانوثة والذكورة . ومؤنثها : الخلوة ، وجمعها : الاخلاء — زنة الاشلاء .
2) وفي مجلة « اللسان العربي » العدد الخامس ، لسنة 1967 .

وتؤدي ثانيا اغراضا مختلفة بسبب البتر اللغوي الذي الممتا اليه ما اضطرهم الى استعمال الكلمة الواحدة في اكثر من معنى واحد .

فمن اختلاف الطوائف الاعربية في نطقها نجدها في لغتنا مضمومة ومفتوحة ومكسورة وساكنة . ومن بقايا استعمالها بمعنى مختلف الضمائر سوف يستغرب القارىء ان نقول له ان (تو) ما زالت تعني أنا بالعربية ، وان (تا) تعنى أنت المخاطب ، و (تي) تعني أنت المخاطبة ، و (ات) تعنى هي . لكننا نجد هذا كله جليا مدهشا في الفعل الماضي ، فالتاء المضمومة تعني انا في فعلت (= فعل + تو)، والمفتوحة تعنى انت في : فعلت (= فعل + تا) ، والمكسورة تعني انت في : فعلت (= فعل + تي) ، والساكنة تعني هي في : فعلت (= فعل + ات) . وهذه الصيغة الاخيرة (أت) قد ذابت همزتها كما تذوب الهمزة في كثير من الحالات التي سميت فيها همزة وصل .

وظـائـف التـاء :

اوضحنا في كتابنا المذكور كيف تفقد الضمائر احيانا وظائفها اي معانيها ، أو تعتاض منها وظائف اخرى . وقد كان شأن التاء في هذا شأن غيرها من الضمائر فقد تقلبت عليها احداث لغوية افقدتها وظيفتها احيانا وابدلتها بها وظائف اخرى احيانا اخرى ، في ظروف تطورية مثيرة ، نجملها فيما يلي :

اولا : فقدت التاء وظيفتها تماما في بعض الاسماء مثل : نجمة وضفدعة وماءة — فيجوز لك حذف التاء من هذه الاسماء فتقول : نجم وضفدع وماء ، بنفس المعنى . اي ان التاء هنا لم تستطع ان تجد لها وظيفة ما او تتخصص بحالة معينة تميزها عن حالة تجرد الاسم من التاء . فيمكننا على هذا أن نسميها (التاء الزائدة)

ثانيا : وجدت التاء لنفسها بعض الوظائف تؤديها في بعض الحالات ، من ذلك انها تغير معاني بعض الالفاظ مثل : الظهير والهاجر والجر . فهذه الالفاظ تكتسب معاني جديدة ليست لها اية علاقة بمعانيها الاصلية حين تلحق بها التاء فتصبح : الهاجرة والظهيرة والجرة . فهذه قد يجوز تسميتها (تاء التغيير).

ثالثا : صارت التاء تخلق معنى لبعض الالفاظ التي لا معنى لها . وبتعبير آخر أن التاء صارت جزءا متمما لبعض الاسماء بحيث تصبح لا معنى لها اذا حذفت التاء منها ، مثل : الامسية والبكرة والرئة والبؤرة — فلا معنى لالفاظ الامسي والبكر والرىء والبؤر . اي ان التاء هنا قد التصقت ببناء الكلمة فاصبحت جزءا من نسيجها كحروفها الاصلية . وهذه يصح ان نسميها (التاء اللازمة) .

رابعا : صارت التاء أداة لتكوين بعض المصادر كما في الفعلين: دحرج واستقام، فمصدراهما: دحرجة واستقامة — وهي قاعدة قياسية لا حيد عنها ، اما في الفعل المضعف فان التاء وجوبية احيانا في مثل : وصى توصية وعبا تعبئة .. وجوازية احيانا في مثل : قدم تقدمة او تقديما ، وكرم تكرمة او تكريما .. وممنوعة احيانا كما في علم تعليما وكسر تكسيرا ، فلا يقال تعلمة وتكسرة . وهذه أجدر بأن تسمى (التاء المصدرية).

خامسا : صارت التاء تؤدي معنى الحرفة في مثل: الكهانة والسفارة والسدانة والعيافة — اي حرفة الكاهن والسفير والسادن والعائف . وهذه نسميها (تاء الحرفة) .

سادسا : صارت التاء تؤدي أيضا معنى توكيد الصفات في مثل : النسابة والذواقة والراوية . فاذا حذفنا التاء من هذه الصفات فقلنا النساب والذواق والراوي ، ضعفت قوة المعنى ، على حين انه لا يجوز حذفها من بعض الصفات المؤكدة بها مثل الطلعة والهمزة واللمزة (بضم الاول وفتح الثاني في اللفظات الثلاث) — أي الكثير التطلع والهماز واللماز ، فلا يقال فيها : الطلع والهمز واللمز ، وهذه التاء أجدر بأن تسمى (تاء التوكيد) . وهي تاء لازمة في نفس الوقت في الطلعة والهمزة واللمزة .

سابعا : صارت التاء تدل على معنى الافراد في بعض الاسماء كالشجرة والحمامة والسمكة ، فاذا حذفت من هذه الاسماء وأمثالها صارت تدل على الجمع اي اسم الجنس : الشجر ، الحمام ، السمك، ولا يمكن اعتبارها تاء تأنيث حتى في الحمامة والسمكة وغيرهما من الاحياء ، لان الكثير من امثال هذه الاسماء تطلق على الذكر والانثى دون تمييز . وتتجلى وظيفة الافراد على نحو أوضح في مصادر بعض الافعال. فالنظرة هي النظر مرة واحدة ، والابتسامة والضربة والاكلة هي الابتسام والضرب والاكل مرة واحدة . فهي اذن (تاء الافراد) .

ثامنا : على العكس من هذا صارت التاء تعنى الجمع في أسماء اخرى مثل : العدناني والقحطاني

والمضري واليماني والسياف والخيال .. فقد جمعوها على عدنانية وقحطانية ومضرية ويمانية وسيافة وخيالة — اي بمجرد اضافة التاء الى الاسم المفرد دون تغيير في تركيب بنيته . على حين ان بعض الاسماء تتغير بنيتها اذا جمعت بالتاء مثل جمع الماشي والبازي على مشاة وبزاة ، وجمع القائد والسائق على قيادة وساقة ، وجمع الغساني والمنذري على غسابنة ومناذرة ، وجمع الكاتب والفاعل على كتبة وفعلة ، وجمع الدب والفيل على دببة وفيلة .

ومن الطريف ان التاء صارت اداة الجمع في بعض اللغات الآرية ايضا كالانجليزية والفرنسية والاسبانية ، لكن بعد ابدالها سينا (s) ، وابدال التاء سينا موضوع له اهميته اللغوية الخاصة ، وقد اوضحناه في كتابنا الآنف الذكر ، والعدد المذكور من مجلة « اللسان العربي » .

هذا في الإسم ، غير ان فعالية التاء في ميدان الجمع شملت الفعل ايضا ، كما في : قالت الاعراب وتقول الرجال ، فالتاء هنا تعني الجمع لا التأنيث كما توهم النحاة ، بدليل ان التاء في قولنا (انفضت الناس) تحل محل واو الجمع في قولنا (الناس انفضوا) ؛ وانها في قولنا : (تفعل الرجال) تعمل عمل الواو والنون في قولنا (الرجال يفعلون) . وهذه التاء ما هي الا (تاء الجمع) .

تاسعا : واخيرا نأتي الى تاء التحويين ، أي التاء التي تدل على التأنيث في أسماء بني الانسان والحيوان أي الكائنات المنقسمة الى اناث وذكور مثل : مرأة وهرة ونمرة وسعيدة وعاقلة — تأنيثا لمرء وهر ونمر وسعيد وعاقل . وهي نفس التاء الملحقة بالفعل الماضي في قولهم : جاءت وذهبت — تأنيثا لقولهم : جاء وذهب

وكانت التاء الملحقة بالاسماء تنطق صريحة فيما نعتقد حتى عند الوقف عليها في آخر الكلام كما هي الحال في الفعل الماضي (فعلت هي) . وما زال بعض العرب على ذلك اي ينطقون تاء التأنيث في الاسماء حتى عند الوقوف عليها فيقولون حين يقرأون في الفصحى : الشجاعت والحرارت والانسانيت — وهي احدى اللهجات في لبنان . ومثل ذلك يفعل الاتراك والفرس في الالفاظ العربية التائية المستعملة في لغتيهما مثل: محبت امانت ، سلطنت ، انسانيت ، ملت .

وقد نطق بعض العرب أسماء الاناث بمد الفتحة قبل التاء ، ولا يزال على ذلك بعضهم كالمصريين في نطق شربات وعنايات (اسم علم للانثى) ، ومع الزمن تخصصت هذه الصيغة المديدة لدى الاعربين بجمع المؤنث السالم ، مثل جميلات وراضيات وغائبات .

في اللاتينية :

وبعض العرب المعاصرين ينطقون تاء التأنيث في لغاتهم الدارجة في بعض الاسماء ويهملونها في بعض ، كالعراقيين الذين ينطقونها في مثل: المساوات والحيات والشربت ، ويهملون نطقها في مثل : الحرية والتربية والصلاة .

واهمال نطق التاء في بعض الالفاظ منحدر من اصل عربي عريق فيما يظهر ، منشؤه أن بعض الاعربين صاروا يسقطونها في الاسم عند الوقف عليها في آخر الكلام فقط — كما هي الحال في الفصحى الى يومنا . وبذلك زالت التاء وبقي منها اثر هو الهاء الساكنة ؛ ومن هنا صارت المعاجم العربية تسميها (الهاء) بدل (التاء) . والواقع انها ليست هاءا بالمعنى الصحيح فهي على الاغلب تنطق مجرد فتحة على آخر الاسم . ويظهر ان بعض اللهجات القدمى اتخذت ذلك قاعدة عامة لها حتى عند وقوع التاء في داخل الجملة ، وقد بقيت هذه القاعدة في بعض اللغات الآرية كاللاتينية والإيطالية ، ففي اللاتينية يقال : filia (بنت) و amica (صديقة) ، و lupa (ذئبة) — تأنيثا لقولهم filius و amicus و lupus . وهذه المؤنثات الثلاث توجد بنفسها في الايطالية — غير ان البنت تكتب figlia (وتنطق filia ايضا) . اما مذكراتها في الايطالية فهي : figlio و amico و lupo

واما في الفرنسية فان التاء تنطق صريحة في الالفاظ المؤنثة بها مثل toutes (جميع ، للمؤنث) و cette (هذه) و coite (هادئة) — ومذكراتها tous و ce و coi يضاف الى ذلك في الفرنسية ان تصغير الاناث ايضا يتم بالحاق التاء في مثل : table (منضدة) و casse (صندوق) و française (فرنسية) — وتصغيرها : tablette و cassette و francette

اختلاط الوظائف :

صفوة القول ان التاء وردت فى معان مختلفة متعددة متميزة ذكرنا ما يحضرنا منها هنا باجمال ، ولا ندري ان كنا قد اغفلنا بعض حالاتها المهمة ، لكننا نتوقع على كل حال ان المستقبل سينتج بحوثا مفصلة فى هذا الموضوع بعد التتبع الطويل والاستقراء الشامل، وما نرجو لحديثنا هذا السريع الا أن يكون خميرة لذلك المستقبل .

ويكفينا الان ما تقدم بنا من مظاهر التاء التي سميناها بحسب وظائفها : التاء الزائدة ، وتاء التغيير، والتاء اللازمة ، والتاء المصدرية ، وتاء الحرفة ، وتاء التوكيد ، وتاء الافراد ، وتاء الجمع ، واخيرا تاء التانيث. افليس من العجب العجاب أن النحاة المشهورين بتدقيقاتهم المبالغ فيها فى بعض التوافه ، لم يميزوا بين حالات التاء المختلفة هذه بل احتطبوها جميعا ، خبط عشواء ، وكدسوها تحت اسم تاء التانيث !

وقبل ان نفرغ من حديث التاء وننتقل الى مظهر آخر من مظاهر التأنيث فى العربية يجدر بنا ان نلاحظ ان الاعتباطات التطورية قد عملت عملها فى خلط وظائف التاء بعضها ببعض شانها فى مختلف التطورات اللغوية. اي اننا نجد للتاء أكثر منوظيفةواحدة فىالكلمة الواحدة أحيانا ، مثل : تفعل انت وتفعل هي ، تفعلان انتما وتفعلان هما الغائبتان ، اقبلت الجارية واقبلت الفرسان. ومثلذلك: المراة المدنانية والعربالمدنانية. بل قد تجتمع فى الكلمة الواحدة ثلاث وظائف مثل (النسابة) وهي تعني المراة النسابة او الرجل النساب او الرجال النسابين . وشبيه بذلك (السفارة) التى اكتسبت الآن معنى حديثا بالاضافة الى معناها القديم — فقد صارت السفارة تطلق على المؤسسة الرسمية التى يراسها السفير .

غير ان هذا الاختلاط فى المعاني لا يرفع الملامة عن النحويين الذين لم يتفهموا شيئا من نشاطات التاء اصلا ، فقد كان عليهم — جزاهم الله رفعا ونصبا ووقاهم الكسر والجر — أن يميزوا بين بعضها وبعضها ويسموا كلا منها باسمه كما ميزوا مثلا بين حالات النصب الكثيرة فى الاسماء وسموا كلا منها باسمه .

العدد والمعدود

ونأتي الآن الى تلك القاعدة الشذوذية التي حيرت الافهام واعتبرت من بدوات اللغة العربية ونزواتها البوهيمية ، وهي قاعدة تانيث العدد (من الثلاثة الى العشرة) مع الذكور وتذكيره مع الاناث ، لنتفهمها على ضوء تحليل وظائف التاء . فما تفسيرها يا ترى؟

مفتاح هذا اللغز هو التفريق بين وظيفتي الجمع والتانيث . فقبل كل شيء يجب أن نعترف بأن التاء فى (الثلاثة) واخواتها انما هي تاء جمع لا تاء تانيث، فحين قال اجدادنا البداة فى عهد جاهلي سحيق : سبعة فرسان ، لم يخطر لهم أن يؤنثوا الفرسان مثلما لم يخطر لهم ان يؤنثوا اليمانيين والغازين والخيالين حين سموهم : يمانية وغزاة وخيالة .

اما فى حالة عد الاناث فقد استثقلوا اجتماع التاءين — تاء جمع العدد وتاء تانيث المعدود — فى مثل (خمسة بقرات) فاسقطوا احدى التاءين ، تخفيفا . ولقد كان التطور اللغوي منطقيا جدا هذه المرة اذ اسقط تاء الجمع ، لا تاء التأنيث ، لان معنى الجمع مفهوم بذاته فى اسم العدد . اما لو انهم اسقطوا تاء التانيث من البقرات والفتيات والوالدات لتغير معنى التانيث الذى اراده القائل ، فلذلك امتنعوا منه .

وحذف تاء الجمع من العدد ينطبق كذلك على جميع اسماء الاخلاء (الجمادات) المنتهية بالتاء كالنخلات والهضبات والجفنات ، ثم سرى ذلك على جمع اسماء الاخلاء المؤنثة ، ولو لم تكن منتهية بالتاء ، كالعصي والدور والفؤوس والحروب .

هذا التفسير يؤيده لنا انهم وازنوا — لغرض التخفيف ايضا — بين التاءين — وكلتاهما للجمع — فى الاعداد العشرة ، فصاروا اذا نطقوا التاء فى احد شطري العدد اسقطوها من الآخر ، فقالوا : خمسة عشر حصانا وخمس عشرة فرسا ، اي انهم استعملوا تاءا واحدة لكل من المذكر والمؤنث فى كل من الحالتين .

لم يكن غرض القوم اذن تانيث الرجال ولا تذكير النساء ترضية لغرور المراة واحتراما ببأسها .

هـو وهـي :

هذا جانب من حكاية التانيث ، فلننتقل الآن الى الجانب الآخر منها لنتحسس ابعاده في ضمير الغائب (هو) وتطوراته .

ان تانيث الاسم يعرف من صيغته مثل : جميلة وذلفاء وعطشى ، او من معناه مثل : مرضع وعشر وحامل ، او من الضمير الدال عليه مثل : هي ، هن .

والذي نعتقده ان العرب كانوا أول الامر يستعملون ضمير (هو) للدلالة على الذكر والانثى والخلو جميعا — انسانا وحيوانا وجمادا .. وما زال الامر على ذلك في الفارسية التي ينطق فيها هذا الضمير بصورته البدئية (او — u)) ، اي كما كان ينطقه العرب قبل ان يبدلوا همزته هاءا. نعني ان العرب كانوا في عهودهم اللغوية الاولى يقولون : هو الرجل، هو المراة ، هو الشمس ، هو القمر . ثم ظهرت فئة منهم نطقت (هو) بالكسر : (هي) بنفس المعنى . ثم اختلطت هذه الفئة من العرب بغيرها من الفئات العربية فصار المختلطون يقول بعضهم (هو) وبعضهم (هي) ، ثم نشا منهما جيل يستعمل كلا الضميرين بمعنى واحد . ومما يدل على ان الضمير (هي) كان يستعمل اولا للذكر انه ما يزال كذلك في الانكليزية بنفس النطق (هي : he)) . كذلك اطلق الساميون القدامى في ارض بابل ضمير (هي) — قبل ابدال همزته هاءا — بصيغة (ايا — Ea) على الاله الذكر (ماء القمر)

وبمرور الزمن تخصصت في العربية صيغة (هو) بالمذكر وصيغة (هي) بالمؤنث . وتظهر (هي) بمعنى التانيث في اللاتينية (ايا : ea)) اي نفس اسم الاله (ماء القمر) .

ومثل هذا التخصص مالوف في التطور اللغوي حين تظهر لفظتان بمعنى واحد مع وجود معنى آخر لا لفظ له . فالعادة أن المعنى المحتاج الى لفظ يعبر به من وجوده يختطف احد اللفظين المترادفين . وهكذا اختطف معنى التانيث (هي) واستأثر بها لنفسه .

فعندئذ تفاقمت فوضى التانيث والتذكير في العربية . ذلك بان الجماد كذي الروح لابد من الاشارة اليه بضمير ما . وقد كان يقال للجماد (هو) و (هي) دون تمييز عندما كان معنى الكلمتين واحدا ، اي عاما لثلاثة أصناف : الذكور ، والاناث ، والاخلاء . وهكذا صار بعضهم يقول : هو الروح وهو العنق وهو السكين وهو الطريق وهو السبيل .. وبعضهم يقول : هي الروح وهي العنق وهي السكين وهي الطريق وهي السبيل ، اي انهم اضطروا الى تذكير الجماد الخلو او تانيثه لانهم لم يجدوا ضميرا ثالثا يخصونه به كما خص الانكليز مثلا ضمير it بالخلو الغائب المفرد (لكنهم استعملوا نفس الضمائر للمذكر والمؤنث والخلو في الحالات الاخرى اي في حالات الخطاب والجمع) . ومع الزمن استقر التانيث في العربية لبعض الاخلاء كالنار والحرب والدار، واستقر التذكير لبعضها كالجبل والنهر والليل والنهار ، وظل بعضها الآخر هائما مترددا بين الحالين اي يؤنث ويذكر دون تمييز كالروح والعنق والسكين ..

من جهة اخرى نجد ان التاء ايضا قد تخصصت بالتانيث في مثل الوالدة والمراة والسعلاة والجنية ، ومن هنا صارت العادة ان تعامل كل اسماء الاخلاء المنتهية بالتاء معاملة المؤنث وكانما توهم قدامى العرب — كما توهم النحاة من بعدهم — أن تاء البانة والركوة والخيمة والرابية ايضا تعنى التانيث فقالوا : هي البانة وهي الركوة وهي الخيمة .

وبتعبير آخر ان التانيث (الحقيقي) قد تفاعل فيه ضمير (هي) في مثل هي الاتان ، مع تاء التانيث في مثل الذئبة والفتاة ، فصارت (هي) تستعمل كقاعدة عامة مع اسماء الاناث سواء أكانت منتهية بالتاء ام لم تكن ، ومع اسماء الاخلاء المنتهية بالتاء . وقد عوملت هذه الاسماء معاملة الاناث في مختلف حالات الكلام ، فصاروا يقولون : هي الاتان وهي الشمعة وهي الغابات .

اما ما يدل على الذكر والانثى من الاسماء غير التائية مثل الفرس فيؤنث اذا قصدوا الانثى ويذكر اذا قصدوا الذكر .

واما الاسماء التي يجوز نطقها بالتاء وبدونها كالنجمة والليلة فقد انثوها مع التاء وذكروها بدونها فقالوا : هو النجم وهي النجمة وهذا الليل وهذه الليلة ، وذلك الماء وتلك الماءة . لكن الضفدعة انثوها في كلتا الحالتين فقالوا : تلك الضفدعة وهذه الضفدع ، لانهم اعتبروها انثى في كلتا الحالتين ، اما ذكر الضفدع فسموه العلجوم .

وإذا كانت حياة الاستقرار والاجتماع في صعيد قد ادت الى ثبوت القواعد اللغوية ، مثل التأنيث بالفتحة كقاعدة عامة في اللاتينية ، فان حياة التنقل في المعربة وتكرار افتراق اهلها واجتماعهم على غير نظام قد جعل من المعربة مختبرا لغويا تتم فيه تجارب لغوية كثيرة التنوع والتعقيد دائمة التفاعل والتمخض والتولد . (وقد استمرت المعربة تصدر نماذج منها الى الخارج، لغات ولهجات، على السنة الآريين والحاميين والساميين ، منذ سحيق العصور) .

وبنتيجة ذلك التفاعل والتمخض والتولد في المعربة صار بعض القبائل يؤنث بعض اسماء الاخلاء كما رأينا ، وبعض القبائل يذكرها ، وبعضهم يؤنثها ويذكرها . فلهذا اختلف اللغويون فيما يؤنثون ويذكرون من أسماء الجمادات لان بعضهم يروي عن هذه الطائفة وبعضهم عن تلك .

وقد اخذ المحدثون من معاصرينا يميلون الى اعتبار (هو) ضميرا عاما للتذكير والتجريد من المنسل (1) معا ، فقل اليوم من يقولون (هي الطريق) واقل منهم من يقولون (هي السوق) فيما عدا قولهم: السوق السوداء والسوق المشتركة . واما كلمة (السلم) فلا نظن اننا قرأناها مؤنثة لاحد من المحدثين ولا حتى المتطلسين منهم . واما (الرمح والغول) فلا نذكر انهما مرا بنا شخصيا مؤنثين في شعر او نثر حديث ولا قديم، بالرغم من أن اللغويين ادرجوهما ضمن الاسماء المؤنثة .

وفي اللهجة المصرية يؤنثون الامضاء والهناء مثلا وينطقونهما الامضة والهنة لانتهائهما بالفتحة ، وفي اللهجة المغربية يؤنثون الزيت لانتهائه بالتاء . وبعض العراقيين يؤنثون الرأس والباب والبطن ، بل ان بعض ضعاف الكتاب من معاصرينا يفعلون ذلك ايضا ، وقد وجدناه حتى عند ذوي الاسماء الآفاقية (اي التي طبقت شهرتها الآفاق) .

هذه البلبلة التي كانت شغلا شاغلا للغويين القدامى ، هي التي حدت ببعضهم الى ان يقول بجواز التأنيث والتذكير في جميع اسماء الجمادات التي لا تدل صيغتها على التأنيث . واصوب من هذا هو الاتجاه الذي ينتحيه التطور في هذا الجيل كالذي نوهنا به ، اي تغليب التذكير على الاسماء الخلوة ، الا ما ورد في صيغة التأنيث أو استقر في الكلام تأنيثه حتى في الدارجات كالشمس والارض والحرب والنار ..

ونشهد لقدامى العرب انهم اصابوا حين انثوا بعض الاسماء مع خلوها من علامة التأنيث كالظئر والمرضع والحامل ، لان هذه الصفات لا تكون الا في الاناث ، ولو أنهم — العرب — شذوا حين عمموا صفة الولادة على الرجل . ويبطل استغراب القارىء لقولنا هذا اذا تذكر انهم يسمون الاب (الوالد) مع استحالة الولادة عليه . واضفاء صفة الولادة على الاب وهو منها براء ليس كذلك من باب مجاملة المرأة او الخضوع لسطوتها ، وانما جاء من اطلاق (الوالدين) على الام الوالدة والاب ، كما اطلقوا (القمرين) على الشمس والقمر . وقد اطلقوا عليهما (الابوين) ايضا ، لكنهم لم يسموا الوالدة ابة كما سمو الاب والدا .

الا ان ذلك المنطق — في الظئر والحامل والمرضع — يطير هباء في مثل : الخادم والعاقر والرسول والضيف وامثالها من الاسماء التي تطلق على الذكر والانثى ، اي ان الصيغة في هذه الاسماء يمكن اعتبارها خنثى ، وانما تكون ذكرا او انثى حين تميزها قرينة من الضمائر او غيرها حيث يقال : هي الخادم ، وهن العاقرات ، وتلك الرسول ، وهذه الضيف .. او : هو الخادم وهم العاقرون ..

تأنيث الجموع :

والآن وقد رأينا التأنيث في حالتيه ، اي نشوئه من اضافة التاء اولا ومن استعمال ضمير (هي) ثانيا ، نأتي الى ظاهرة اخرى منشؤها اختلاط معنى الجمع بالتأنيث ، في كلتا الحالتين .

ان معاملة بعض الاخلاء من الجمادات معاملة الاناث قد سرت عدواها الى جموع تلك الجمادات ثم الى جموع كل الجمادات ، فصارت تؤنث بالتاء ويشار اليها بما يخص الانثى المفردة من الضمائر واسماء الاشارة والصفات ، ما تجتمع نماذجه في مثل قولك : تلك هي (الجبال) الشماء الزاهية التي تسر رائيها . فجميع الالفاظ في هذه العبارة خاصة بالانثى مع انها تدل على الجبال التي مفردها (الجبل) مذكر .

---

(1) نقصد بالمنسل — زنة المبرد — آلة التناسل للذكر والانثى .

وتعامل الاخلاء احيانا معاملة جمع المؤنث السالم فيقال « انهن عصور متطاولات ودهور داهرات » .

فاذا اضفنا الى هذا جموع المؤنثات الحقيقيات من بني الانسان والحيوان علاوة على بعض أسماء الذكور التي تجمع بالتاء كاليمانية والخيالة ، وتقول الرجال وتفعل — مما ظنوه تأنيثا — اتضح لنا لماذا تغلب التأنيث على اكثر الجموع ، وعرفنا لماذا قـال شـعرور النحاة :

ان قومـي تجمعـــوا وبقتلـــي تحدثـــوا
لا أبالـي بجمعهـــم كل جمـع مؤنـــث !

وما سميناه شعرورا لفثالة شعره لكن لأنه زعم بالاضافة الى ذلك ان (كل جمع) مؤنث ، متجاهلا جموع الذكور مثل : هم الرجال ، عملوا ، ويعملون ، وعاملون . ولو قد قال بدلا من ذلك « رب جمع مؤنث » لاحسن وأصاب ، بمعنى أن (رب) للتكثير لا للتقليل .

فهذا فيما نظن موجز حكاية هذا التأنيث الفوضوي الذي بلبل بال اللغويين والنحويين ، قديما وحديثا ، من شرقيين ومستشرقين — المسؤول في احداثـــه ضمير (هي) الذي خدع العرب الاقدمين بمعنييـــه للتذكير والتأنيث ، وشريكته في الجرم (التاء) التـــي خدعت العرب الاقدمين والنحاة من بعدهم بمعانيهـــا الكثيرة المتشابكة .

علم الأصوات الحيوانية عند العرب

الأستاذ عبدالهادي الفضيلي أستاذ اللغة العربية بكلية الفقه
"النجف الأشرف العراق"

يعزو تاريخ علم النفس وضع نظرية التعلم الشرطي الى العالم الفسيولوجي الروسي ايفان بتروفيتش بافلوف Pavlov المتوفى 1936 م .

وهي من مهمات نظريات التعلم ومن مهمات موضوعات علم النفس .

ويعني التعلم الشرطي : ذلك الترابط الآلي بين الاستجابات الطبيعية والمنبهات الصناعية الشرطية ، والذي تنوب فيه اشارات ورموز اشارة السلوك عن المنبه الاصلي .

وقد توصل اليها العلامة بافلوف من تجاربه التي اجراها على الكلب الذي كان يثبته على مائدة التجارب.

حيث كان يضع على لسان الكلب مقدارا من مسحوق اللحم المجفف ، قارعا جرسا كهربائيا قبيل وضع المسحوق في فم الكلب .

ولاحظ بعد أن كرر التجربة اكثر من مرة ان قرع الجرس الكهربائي وحده كاف في افراز لعاب الكلب .

واعاد التجربة مستبدلا قرع الجرس باضاءة مصباح امام الكلب وقبيل وضع المسحوق في فمه ايضا.

ولاحظ ان اضاءة المصباح وحدها بعد تكرار التجربة كافية في ان يسيل لعاب الكلب عند رؤيتها .

وثالثة اعادها وهو يربت على ظهر الكلب او كتفه وقبيل وضع المسحوق في فمه أيضا .

فكانت النتيجة ذاتها .

فاهتدى من هذا الى ان المنبهات البديلة او ما يسميها بـ (المنبهات الشرطية) تستدعي الاستجابة أو ما سماه بـ (الفعل المنعكس الشرطي) كما تستدعيها المنبهات الطبيعية .

وقد اطلق على تعلم الحيوان الاستجابة للمنبهات الشرطية مصطلح (التعلم الشرطي) .

وانتهى ايضا الى ان هذا اللون من التعلم موجود في جميع الحيوانات حتى احطها .. والى انه يستطاع بواسطة تفسير جميع مظاهر السلوك الانساني والحيواني (1) .

ونحن عندما نرجع الى تراثنا العلمي العربي نجد جذور هذه النظرية تبدأ وبتفصيل من قبل العلامة النحوي العربي رضي الدين الاسترابادي المعروف بـ (الرضي) والمتوفى عام 684 هـ ، وذلك في كتابه النحوي (شرح الكافية) عند دراسته موضوع (الاصوات) .

قال :

« وثالثها : **اصوات يصوت بها للحيوانات عند**

---

1) اصول علم النفس للدكتور احمد عزت راجح 281.

طلب شيء منها ، اما المجيء كالفاظ الدعاء نحـــو (جوت) و (قوس) ونحوهما ، واما الذهـــاب كــ (هلا) و (هج) و (هجا) ونحوها ، واما امر آخر كــ (سا) للشرب و (هدع) للتسكين .

وهذه الالفاظ ليست مما يخاطب به هـــذه الحيوانات العجم حتى يقال انها أوامر او نواه — كما ذهب اليه بعضهم — لانها لا تصلح لكونها مخاطبة ، لعدم فهمها للكلام كما قال الله تعالى : (كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الادعاء ونداء) (1) ، بل كان اصلها ان الشخص كان يقصد انقياد بعض الحيوانات لشيء من هذه الافعال فيصوت لها اما بصوت غير مركب من الحروف كالصفير للدابة عند ايرادها الماء ، وغير ذلك، واما بصوت معين مركب من حروف معينة لا معنى تحته ثم يحرضه مقارنا لذلك التصويت على ذلك الامر اما بضربه وتاديبه ، واما بايناسه واطعامه ، فكـــان الحيوان يمتثل المراد منه اما رهبة من الضرب أو رغبة في ذلك البـــر .

وكان يتكرر مقارنة ذلك التصويت لذلك الضرب او البر الى ان يكتفي الطالب بذلك الصوت عـــن الضرب او البر لانه كان يتصور الحيوان من ذلـــك الصوت ما يصحبه من الضرب أو ضده فيمتثل عقيب الصوت عادة ودربة فصار ذلك الصوت المركب مـــن الحروف كالامر والنهي لذلك الحيوان .

وانما وضعوا لمثل هذا الغرض صوتا مركبا من الحروف ولم يقنعوا بساذج الصوت لان الصوت من حيث هو هو مشتبه الافراد وتمايزها بالتقطيع والاعتماد على المخارج سهل ، فلما كان الافعال المطلوبة مـــن الحيوانات مختلفة ارادوا اختلاف العلامات الدالة عليها فركبوها من الحروف .

وما ذكرنا من الترتيب يتبين منه كيفية تعليـــم الحيوانات كالدب والقرد والكلب وغير ذلك .

هذا .. وانا لا ارى منعا من ارتكاب صيرورة هذه الاصوات المقارنة في الاصل للضرب أو البر لما استغنى بها الطالب عنهما اسماء افعال بمعنى الامـــر — كما ذهب اليه بعضهم — فتكون أوامر ونواهي ، لان الله سبحانه وتعالى جعل العجماوات في فهم المطلوب من هذه الاصوات بمنزلة العقلاء ، فلا باس بان تخاطب وتكلم بما تفهمه كالعقلاء » (2) .

وفي ضوء المقارنة بين هذا النص (الذي نقلتـــه بكامله ليفاد منه) وبين تجارب بافلوف ونتائجـــه .. نستطيع ان ننتهي الى ان الرضي كان سابقا في الاهتداء الى هذه النظرية (نظرية التعلم الشرطي) .

وربما افادها من ملاحظاته المتكررة لحيـــاة الحيوان وسلوكه حيث لم يذكر تاريخيا انه قام بتجارب مماثلة لما قام به بافلوف .

والنظرية كما تأتي نتيجة لتجارب تجري في معامل الترويض ، تأتي ايضا نتيجة للملاحظـــة المنظمـــة الدقيقة للسلوك .

ونستطيع ان نعلل عدم اعطاء اهتداء الرضـــي للنظرية الاهتمام الدراسي المطلوب ، بمجيئه سابقـــا بقرون لوجود علم النفس ، ولانه كان في مجال غيـــر نفسي وهو المجال النحوي .

وعامل آخر عدم دراسة نظريات الرضي لغوية وغيرها من قبل الباحثين العرب أو غيرهم — فيمـــا اعلمه .

فقد خلف الرضي ثروة علمية ضخمة ، وذلك في كتابيه (شرح الكافية) في علم النحو العربي (وشرح الشافية) في علم الصرف العربي ، اللذين عالج فيهما مسائل ذينك العلمين ونظرياتهما معالجة واعية اتسمت بالاصالة في الراي والعمق في البحث والانتهاء الى آراء خاصة ذات قيمة مهمة في المجالين اللغوي والنحـــوي منحته لقب (المحقق) بين العلماء (ونجم الائمـــة) باستحقاق .

واخيرا :

للعالم بافلوف تاكيد النظرية بالتجربة العملية ، وبلورتها الى مصطلح اخذ مجاله العلمي .

---

1) 171/ البقرة .
2) شرح الكافية 80/2 و 81 .

ملاحظات حول النقد الأدبي

الدكتور محمد رجب البيومي "القاهرة"

يطيلون الحديث من معنى النقد في اللغة فيلمون بكل ما قالت المعاجم في مادة نقد ومشتقاتها ثم يحاولون أن يعقدوا صلة ما بين كل معنى وما تعورف عليه الآن من معنى النقد الادبي ، وذلك جهد ان أبان عن حسن التصرف وبراعة الاحتيال فانه يكثر الحديث في غير طائل ، والاوفق ان نختار من معاني الكلمة اللغوية ما يمت بالصلة القريبة الى المعنى الاصطلاحي بلا تزيد في التفسير لنصل الى الحقيقة دون تصعيب .

واذا كان من أوضح معاني النقد في كتب اللغة انه تمييز الجيد من الرديء ، تقول نقدت الدراهم وانتقدتها بمعنى انك ابنت الزائف من الصحيح ، وميزت الجيد من الرديء ، فان هذا المعنى الواضح هو القريب من مدلول النقد في الاصطلاح الادبي لان الناقد لا يخرج عن كونه صيرفيا ماهرا ، يعرف الزائف من الصحيح ويميز الجيد من الرديء ، غير ان مادته هي الاساليب الادبية بمختلف فنونها واجناسها ، فهو اذن جوهري المعاني والالفاظ ، يزن الخواطر والمشاعر والتعابير بميزانه الادبي ويبعث بفكره وراء كل كلمة وخاطره مبينا مكان ذلك من البناء الفني المتكامل للجنس الادبي فهو بعمله هذا من المدلول اللغوي قريب قريب واذا كان الناقد الادبي يعمد الى تصحيح الخطأ وتقويم المعوج وفي ذلك من توجيه اللوم ضمنيا الى صاحب الاثر المنقود ما قد يقع منه موقع الالم وعدم الارتياح فان من معاني النقد اللغوية ما يمت بصلة قريبة الى ذلك ، اذ أن العرب قد يستعملون النقد بمعنى العيب والانتقاص فقد جاء في قولهم نقدته الحية بمعنى لدغته ، ونقدت راسه باصبعي بمعنى ضربته وفيما يروى من حديث أبي الدرداء ان نقدت الناس نقدوك بمعنى ان عبتهم عابوك ومن هنا رجح بعض الباحثين غلبة معنى النقد على مدلول المؤاخذة والتخطئة مشيرا الى ان اللغة قد وضعت لفظ التقريظ لما يقابل المؤاخذة من المديح والاطراء اخذا من قول العرب قرظت الجلد اذا دبغ بالقرظ فحسن وزين وجمل وقد شاع معنى التقريظ اليوم شيوعا ظاهرا ، اذ نرى نفرا من الناس يحرصون على كتابة مقدمات لمؤلفاتهم تتضمن المديح الخالص دون ان تتعرض — الا في القليل — لمخالفة صريحة في الراي والاتجاه ، ونحن لا نرفض التقريظ اذا صدر عن راي واعتقاد ووافق موضعه من البحث الرائع والعمل الممتاز ، فهناك من الآثار الادبية ما هو جدير بالتقريظ الجميل ، ولكن المشاهد المؤلم أن اكثر من يتجهون الى التقريظ لا يضعونه الموضع الصحيح فربما رجح عندهم البهرج وشال الصحيح .

اذن فتمييز الجيد من الرديء ، والعيب المنتقص كلاهما من مدلول المعنى اللغوي لكلمة النقد فاذا اتجهنا الى المعنى الادبي للنقد عند العرب وجدناه يستعمل في القديم بمعنى التحليل والشرح والتمييز والحكم فالنقد لا يخرج لديهم عن دراسة الآثار الادبية وتفسيرها وتحليلها ثم بيان مداها من الاصابة والخطأ مقدرين درجتها الفنية شارحين اسباب الاستحسان

والاستهجان وذلك ما يراه المحدثون اذ يقولون عن النقد انه التقدير الصحيح لاي اثر فني مع بيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة الى سواه ، واذا كان النقد الادبي اليوم في جوهره هو دراسة الاسلوب فكرة وتصويرا وتعبيرا واحساسا مع الحكم عليه فان ذلك ما يلتقي بمعنى النقد في كتب الادب القديمة من أيسر السبيل .

واذا كانت الكتب المؤلفة في النقد العربي القديم، هي الجامعة لمذاهب العلماء والادباء في الفن ، والحافلة بآراء شيوخ الادب في النثر والشعر ، فاننا لا نصل منها الى تحديد اول من اطلق كلمة النقد على مدلولها الادبي من هؤلاء ، واقدم نص وردت فيه هذه الكلمة يرتفع الى البحتري حين تحدث عن ابي العباس ابن ثعلب فقال عنه : « ما رايته ناقدا للشعر ولا مميزا للالفاظ » ولكن رواية البحتري جاءت على لسان عبد القاهر في «دلائل الاعجاز» فلعله روى المعنى دون اللفظ، واظهر من نص على هذه الكلمة صراحة هو ابو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي من علماء القرن الرابع (337) هـ حين سمى كتابه نقد الشعر وصرح بانه يبحث في تخليص جيده من رديئه ، وقد سبقه الى هذا المضمار محمد بن سلام الجمحي (232) هـ في كتابه «طبقات الشعراء» والجاحظ (255) هـ في «البيان والتبيين» وابن قتيبة (276) هـ في «كتاب الشعر والشعراء»، الاان هؤلاء الثلاثة لم يشيروا الى كلمة النقد اطلاقا حتى جعلها قدامة اسما لكتابه فتعورفت واشتهرت، وترددت بعد ذلك في ما كتبه الآمدي والجرجاني والزمخشري وابو هلال وابن رشيق حتى أصبحت علما على فن أدبي طائر الصيت ، ويخيل الى ان خلف الاحمر (180) أول من اشار اليها من قريب دون ان ينص على لفظها الصريح وكانه حوم ولم يقع ، فقد روى صاحب طبقات الشعراء (1) ان قائلا قال له : اذا سمعت أنا بالشعر استحسنه فما أبالي ما قلت فيه أنت واصحابك فقال له : « اذا اخذت أنت درهما فاستحسنته فقال لك الصراف انه رديء هل ينفعك استحسانك له » والصيرفي في اللغة هو الناقد وقد قرنه خلف الاحمر بمن يفحص الشعر ويزنه بميزانه الصحيح ، ثم صار الفاحص ناقدا دون تفريق . هذا الناقد الذي يجلس من الاثر الادبي مجلس القاضي فوق منصة القضاء ، يحلل البواعث ويكتنه السرائر ويتعمق المعاني ما موقفه من النص المنقود ؟ ايقتصر في نقده على ايضاح مشاعره الذاتية ازاء النص فيجيء حكمه النقدي صدى لشعوره النفسي ومعبرا عن مدى استجابته الشخصية للنص المدروس أم يتقيد بقواعد علمية مرسومة تعارف عليها السابقون وجعلوها مناط الاحتذاء والترسم لقد طال النقاش حول الذاتية والموضوعية فانبرى الذاتيون ينادون بان الناقد ليس آلة في يد المقررات السابقة يسير في ضوئها ، ويمشو الى نارها ويحرص على التزامها دون انحراف ، فان له من مشاعره الخاصة وثقافته النيرة ، وبصيرته الناقدة ما يستطيع به أن يضع بعض المقررات الجديدة التي تفتح اتجاهات مغلقة ، وتشير الى طرق حديثة في مجال التعبير والتصوير ، وبذلك يتقدم الادب في شتى مجاليه ويضيف اللاحق الى السابق ما يطرد به النمو الادبي نحو الكمال هذا بعض ما يقوله الذاتيون ، أما انصار النقد الموضوعي ، فيرون ان الاهواء الشخصية تتحكم ، والميول النفسية تسيطر فاذا تجرد الناقد من كل مصطلح مقرر امكنه تحت هذه الميول المتحكمة ان يمدح المخطيء ويذم المصيب ولن يعدم من اوجه التمحل والافتعال ما يظهر نقده بمظهر المحايد المتجرد ، واذا استطاع بعض الحصفاء ان يدركوا مآخذ الضعف في انحرافه فان الكثرة من القراء سينخدعون بطلائه ، ويسيرون في تياره وربما احتذى الناشئة حذوه فاندفعوا الى محاكاة أدب هابط رفعه ناقد مغرض لحاجة في نفسه فامتد ضرره السيء الى نطاق بعيد هذا بعض ما يقوله الموضوعيون ، وتلك قضية تلزمنا أن نقول ان الحدود ليست فاصلة بين النقد الذاتي والنقد الموضوعي ، اذ أن النقد الذاتي مهما استجاب لتاثيره النفسي وتجاوبه الشعوري ومهما عبر عن انفعاله الخاص نحو اثر يقرؤه ويتذوقه فانه يصدر في تجاوبه واستجابته عن حصيلة قراءات سابقة تتفق على استحسان الجيد واستهجان الرديء ، وهو بعد لم يستطع ان يشق طريقه في ميدان النقد بحيث يصبح ذا تاثير كبير على قرائه الا بعد رسوخ في النظر المستقيم وادمان على البحث الجيد ، ومواصلة للدراسة المنقبة عن مطاوي المعارف ومجاهل الآراء ، وهو بكل هذه الدراسة الموضوعية لا يستطيع ان يكون ذاتيا يتجرد عن جميع ما قرره السابقون من أحكام ، كما أن الناقد الموضوعي مهما التزم القرارات المعلومة وتقيد بالمعارف المرسومة ونهج منهج المحافظين على قضايا الفكر ومذاهب البحث فانه انسان يحس ويتاثر

1) ص 8 طبقات فحول الشعراء .

ويستجيب ، وله ذاتيته التي تدعوه الى التفاعل مع النص تفاعلا يسير به الى تحبيذه في ضوء ما يعلم من المقررات فعنصر الذاتية قريب منه قرب الموضوعية من صاحبه ! فليست هناك حدود فاصلة تجعل الناقد الموضوعي ينعزل انعزالا تاما من الناقد الذاتي ، غير اننا نلحظ السمة البارزة لدى الناقد فاذا غلبت الذاتية على احكامه عد من انصارها واذا غلبت الموضوعية عليه كان ناقدا موضوعيا ، ومن خير الادب ان يوجد الناقد الذاتي والناقد الموضوعي معا ليبتكر الاول ويجدد ويدعو الى آفاق جديدة تفيض بالضياء فيطرد النمو الادبي وتتسلسل الحلقات الجديدة على تناسل الزمان ، اما الناقد الموضوعي فيقف حائلا دون الشطط الجامح ، وحاجزا دون التهور في الراي والاسراف المغرق ، وسيمر الزمن في دورته لينشأ في الجيل اللاحق من يزن آراء الذاتيين والموضوعيين معا ، فيرمي بالزبد ويبقى الصريح .

واذا كنا نحب الادب ونحرص على الاستمتاع بصوره والافادة من افكاره والالتذاذ بموسيقاه فان حبنا للادب يدفعنا تلقائيا الى حب النقد ، اذ ان النقد يتولى شرح الاثر الادبي وتحليله فيسلط اشعته القوية على زواياه الخافية ، ويهدي القارىء الى مناح دقيقة قد تغيب عن ذهنه فيجيء عمله مكملا لعمل الاديب ، وقد يضيق كثير من المنشئين بهؤلاء النقاد ، ويتبرمون بما يبدون من ملاحظات واذكر اني قرأت قصة غريبة تهدف الى السخرية من النقاد وتصفهم بالفشل والجدب وتتحداهم ان يضعوا اثرا من الآثار الفنية التي يعملون فيها معاولهم الهادمة ولعل كاتب القصة ممن تعرضوا الى نقد متتابع ازعجه واقلق راحته ، فاندفع يثأر لنفسه من قوم يحملون معاول الهدم وادوات البناء معا ، لان الناقد حين يهدم اثرا فنيا انما يدل على نواحي ضعفه ومواضع تهافته ليتجنبها من يزاول الانتاج وهو في الوقت نفسه يدل على طريقة الانشاء الجيد هادما بانيا في وقت واحد وكل ناقد يعمد الى الهدم فقط دون ان يشير بالعلاج المسدد لا يؤدي رسالته كما يجب ان تكون ، والقارىء ظافر حين يقرأ النص ثم يطالع نقده لانه حين قرأ النص قد خرج منه لا محالة بفكرة ما دقيقة او مضطربة ، فوزنه بميزانه الشخصي الذي تخلقه الطبيعة في نفس كل قارىء يقرأ ويحكم فاذا قرأ بعد ذلك نقدا جيدا لهذا الاثر ، فانه يوجهه الى ما فاته لدى قراءته الاولى من ملاحظات وربما دفعه الى نهج يلتزمه عند القراءة فتنمو في نفسه بذرة ناقد حقيقي يشرئب للنمو ، وقد يشق طريقه الى الميدان ، او يكتفي بما اتيح له من قوة الملاحظة وسعة الافق حين درس وجهة النظر الجديدة فيما طالع ودرس ، واذا كانت فائدة القارىء عظيمة فان فائدة صاحب الاثر الفني اعظم وادسم ، لان كل صاحب عمل نظري او فني يحب ان يستطلع آراء المتخصصين فيه ، فهو يشعر في اطوائه برغبة ملحة الى الاستماع لكل ما يدور حوله من وجهات النظر المختلفة ، فاذا صادف ناقدا مخلصا لهدفه فانه يكمل نقصه بما يبدي من اعتراض او مؤاخذة ، ولن يضيره في شيء ان يحصي الناقد اخطاءه في دقة وتعليل لانه اذا آلمه من هذه الناحية فسيسره حين يتعرض بالتحليل الكاشف الى مواطن الابداع في فنه وموضع النبوغ في نظراته ، وقد يكون سفيره الى القراء، اذ يوثق صلاتهم به حين يفتح عيونهم على منافذ جديدة في انتاجه لم تكن لتتاح للكثرة القارئة دون ناقد نزيه ، وعلى ان من الخطر كل الخطر ان يصبح الاديب تلميذا لناقده يخضع لتوجيهه ويرضى بتقبول توصياته ، اذ ان من الناقدين من تشمخ نفوسهم الى الاستعلاء فيدعون انهم اساتذة الادباء مع انهم في حقيقة نفوسهم لا يعيشون على غير تراث هؤلاء التلاميذ المزعومين فلولا ان الشاعر او الكاتب قد ابدع اثره الفني ما وجد الناقد مجالا للحديث ؟ وفي الناس من يشترط في الناقد ان يكون اديبا منشئا زاول الانتاج الفني ليكون ابصر بمضايقه، وادرى بمنعرجاته وقد يكون ذلك ميسورا لدى بعض الموهوبين من النقاد، الا انه ليس امرا عاما لدى الجميع ، وقد كان الرافعي رحمه الله يشترط في ناقد الشعر ان يكون شاعرا ، وهو اشتراط عسير التحقيق من ناحية وغير ضروري من ناحية اخرى اذ ان اكثر نقدة الشعر المجيدين في القديم والحديث ليسوا بشعراء ولم يمنعهم ذلك عن تاليف الكتب الناجحة والمقالات الحاسمة في فن الشعر ومآخذه على ان الناقد من الاديب قريب غير بعيد اذ ان ميدان الفن الادبي هو الانسان والطبيعة فالاديب اما ان يتعرض للنفس الباطنية بما يموج بها من تيار العواطف والنوازع فيصدر عن الذات الداخلية ناظرا الى العلائق البارزة في العلاقات الاجتماعية والمتناقضات البشرية والموافقات الانسانية ومتخذا من كل ذلك مادة جميلة يقرأ فيها الناس نفوسهم الخفية في غبطة وارتياح ، واما ان يتعرض للطبيعة من حوله صامتة وناطقة فيتحدث عن الطير والحيوان وعن النبات والشجر والجماد وسائر ما يدهشنا به الكون من صور ومشاهد متخذا من كل ذلك مادة جميلة يقرأ فيها الناس نفوسهم

الخفية في غبطة وارتياح ، واما أن يتعرض للطبيعة من حوله صامتة وناطقة فيتحدث عن الطير والحيوان وعن النبات والشجر والجماد وسائر ما يدهشنا به الكون من صور ومشاهد متخذا من هذا المحيط الزاخر مسرحا بديعا لخياله الخالق ، وهو في نظريته الداخلية والخارجية لا يقدم للناقد شيئا غريبا عنه ، فهو انسان مثله يرى ويحس ويتصور ويحكم ، ولئن فاته ابداع المصور المنشىء فلديه ابداع المحلل الشارح وقد تكون المقالة النقدية بانسجام بنائها وتسلسل افكارها وايماض لفتاتها وسر ايحائها ذات متعة وجدانية لدى المتذوقين .

ولكن اي ناقد الذي يمتعنا بفنه الادبي كما يقنعنا بنظره الفكري هذا؟ اننا نقرأ كل يوم في الصحف والمجلات — حتى الرصينة منها — فصولا تتسم بسمة النقد الظاهرية ولكنها لا تؤدي وظيفته الحقيقية فكم من ناقد يتعرض الى قصة او ديوان او مؤلف فلا يلج الى خوافيه ولا يفسر مراميه — مخالفا او مؤيدا — بل يكتفي بعرض عام يلم به من يقرأ مقدمة المؤلف في كتابه ، حتى قيل لكل موظف في مجلة او صحيفة انه يستطيع أن يكون ناقدا ، وقد يكون عرض ابواب الكتاب والاشارة السريعة الى مضمونه مما يفيد القارىء بعض الافادة ولكن صاحب هذا العرض لا يمت الى النقاد بسببوثيق مهما اخذ مظهرهم الخارجي في حديثه ونحن نشعر الآن بانخفاض المستوى الادبي في التاليف عما كان عليه في حقبة قريبة ، ومرد ذلك في بعض اسبابه الى ضحالة النقد الادبي ، وفقد الناقد الموجه ، الذي يملك القدرة على التسديد والتوجيه ، وليست الصفات المفروضة في هذا الناقد المسدد بالامر المعجز ، فهي مما يدخل في طوق نفر من الموهوبين لو تركوا الكسل الوادع ونشطوا الى العمل الدءوب .

واول صفات الناقد الهادف قوة البصيرة المستندة الى الذكاء اللامح ، فهو صاحب الراي الممتاز في صفوة ما تنتجه العقول الممتازة من بيان ولابد أن يجد لديه من النفاذ والعمق ما يسعفه بالتفسير الهادف ، والملاحظة القوية كما يمده برصيد حي من التجربة الفنية والدراية الشخصيةبالبواعث والغايات، ومبلغ ذلك كله من نفسه التي تتوهج بالفكر وتزخر بالعاطفة والاحساس والتصور وتلك ذخائر ثمينة يلمسها صاحب الاستعداد الاصيل في نفسه ليتصل بها الى ما يريد من التقييم والتقويم .

وهذه البصيرة المستندة الى الذكاء في حاجة ماسة الى الاطلاع المستمر على أحدث ما يجد من النظريات والآراء الدائرة في محيطه الفني ، لان سعة المعرفة تفتح آفاق النظر وتسلح صاحبها بأقوى عدده الماضية ، وكلما زادت هذه المعرفة منحت جناح صاحبها ريشا يحلق في آفاقه المترامية ، واذا كنا نرى الآن بعض من يدأبون من النقاد على الاطلاع ويحرصون على اقتطاف اشهى الثمار من الحقل العلمي ثم لا يبلغون باطلاعهم الواسع ما يريدون من صدق النقد وكمال التوجيه فذلك لان الاطلاع الواسع وان تنوعت روافده لا يفيد الناقد اذا عدم البصيرة القوية المستندة الى الذكاء اللامح ، اذ أن هذه المعارف المختلفة اغذية جيدة تفيد الجسم اكبر فائدة ولكن على شريطة ان توجد الاسنان القاضمة والمعدة الهاضمة بحيث تتحول الى دم حار قوي يمنح الجسم نشاطه ويجدد انسجته وخلاياه فالذين يمعنون في الاطلاع الدائب دون أن يتسلحوا بالذكاء اللامح والخبرة الحصيفة لا يعطون الصورة الامينة للناقد المنشود .

وتاتي بعد قوة البصيرة وسعة الاطلاع صفة ثالثة للناقد الجيد وهي تجرده الخالص من ميوله الذاتية واهوائه الشخصية بحيث ينسى عصبيته لما يعتنق من مذاهب حين يتجه الى النص بالنقد اذ أن هذه الميول الخاصة تضع على الحقائق ستارا يحجب كثيرا من لالائها الساطع ، ونحن نعلم ان الانصاف الادبي خلق عزيز المنال لا يرقى اليه غير ذوي العزم من أصحاب المبادىء النبيلة ولكنه على صعوبة مناله موجود متحقق لدى قلة تتسم به وتصدر عنه فيما تدلى به من الاحكام ومن غرائب النفس البشرية ان صاحب التعصب الذهني قد لا يلتفت الى بعض أحواله الى تعصبه بل يتجه اليه لا شعوريا تحت تاثير عوامل قوية بعيدة الخفاء في منطقة التاثير الباطني فهو صادق بينه وبين نفسه حين يعلن اليك تجرده النزيه في نقده اذا اردنا بالصدق موافقة النقد للاتجاه الشعوري في راي الناقد ولكنه غير صادق حين نحلل أعماقه الدفينة التي قد يجهلها جهلا تاما لندرك ما القى التعصب على عينيه من غشاء ، وعلى القارىء ان يدرس ناقده دراسة وافية ليعلم مذاهبه التي يتمسك بها في مختلف افانين الراي من سياسة وادب واجتماع ما دام يصدر عنها لا محالة ، فالتعصب المذهبي كان ولا يزال مما يضع الحوائل الكثيفة دون الصواب الصريح اذ ان صاحب الاتجاه الديني أو السياسي أو الاجتماعي لا يستطيع التخلص من مبادئه

الفكرية فى سهولة مفرطة ليجنح الى الحكم النزيه على اثر ادبي لا يرتضي منحاه وفى تاريخ النقد العربي امثلة كثيرة لشيوخ يعتنقون مذاهب خاصة فى الحديث والقديم تشل عقولهم من التفكير الصحيح ، فهناك من يتعصب للجاهليين وحدهم ، ولا يكاد يفضل غيرهم فى مجال الاستشهاد وهناك من يفسح صدره فيضم الاسلاميين والامويين الى دائرة رضاه ويقف موقف السخرية مما احدثه ادباء العباسية من انتاج ، كما وجد أيضا من شيوخ النقد القديم من ينزع عنه رداء التعصب ، وينظر الى النص الادبي نظرة مجردة عن التعصب لاتجاه معين يصدر عنه فيما يقول ولعل ابن قتيبة قد افصح عن نفسه وعن غيره حين قال فى كتابه من الشعر والشعراء : « ولم اقصد فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد او استحسن باستحسان غيره ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ولا المستاخر منهم بعين الاحتقار لتاخره بل نظرت بعين العدل الى الفريقين واعطيت كلا حقه ووفرت عليه حظه فاني رايت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه موضع متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا انه قيل فى زمانه ورأى قائله ، ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ولاخص قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده وجعل كل قديم منهم حديثا فى عصره ، وكل شرف خارجية فى اوله ، فقد كان جرير والفرزدق والاخطل يعدون محدثين ، وكان ابو عمرو بن العلاء يقول لقد نبغ هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم وكذلك من يكون من بعدهم لمن بعدنا كالخريمي والعتابي والحسن بن هانيء فكل من اتى بحسن من قول او فعل ذكرناه له واثنينا عليه به ولم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه » .

ولابد ان نشير الى صفة رابعة للناقد الجيد وهي الصفاء النفسي الذي يطبعه بطابع الهدوء الوادع ويمنحه اعتدال المزاج ، واطمئنان الاعصاب فلا يثور لمخالفة او يهتاج لنقيصة بل ينظر الى الاثر نظرة الحكيم العالم بالبواعث العطوف على الانسانية فى ضعفها وكبوتها ، فهو مع النص المنقود دارس متزن يعرف دوافع القول ، ويلقى صاحبه بابتسامة الود حين يشرح وجهة نظره ويضع نفسه مكانه مصورا ما اشتجر فى صدره من الاحاسيس حين رسم خلجاته فى ما قدم من انتاج ، ولا نريد بذلك ان ينقلب النقد تقريظا مجاملا ، بل نريد أن يكون هذا الود الانساني مدعاة الى تفهم الاثر على حقيقته من ناحية وعاملا على قبول المنقود له وانتفاعه بما يحمل من تسديد وتوجيه، فما أضر بالنقد فى حديثه وقديمه غير قوم راوا الاستعلاء والسيطرة باب المؤاخذة والنقض فشنوا حربا طاحنة كان الاولى أن تكون مسامرة هادئة حتى لقد وقر عند الناقدين أن الشدة العنيفة هي طريقة التصويب والتقييم ، كما انتقلت العدوى الى جمهرة القراء فاخذوا يتابعون أصحاب القسوة المفرطة معجبين ، وقد تعجب حين ترى بعض المتزعمين فى ميدان النقد قد نالوا بسلاطتهم المفرضة ما لم ينله الشرفاء من امناء الكلمة وأرباب الهدوء المتزن وان كان مع هذه الجمهرة المشغوفة بقسوة النقد قلة منصفة تنفر من الضجيج المفتعل ، وتسد اذنيها لدى الفرقعة الصاخبة ، وهي طائفة المستنيرين من ذوي النظر البعيد ، ومن الحظ الحسن ان يكون هؤلاء على تلتهم اداة الترجيح الحقيقية فى المعركة اذ يقولون فيسمعون .

ونحن فى عصر تقدمت فيه العلوم الانسانية فتشعبت فروعها واتسعت ميادينها واصبحت تمد المثقف المعاصر بزاد دسم يعينه على النظر الثاقب والفكر الصحيح، واذا كان الناقد ملزما كل الالزام ان يلم الماما حسنا بخير ما ينتجه الفكر الانساني من علم وفلسفة، لتتسع آفاقه الفكرية ، فقد شهدت المعارك الادبية فى هذا العهد نقاشا حادا حول صلة هذه العلوم الانسانية بالنقد المعاصر ، فذهب فريق من الكاتبين الى تقعيد النقد ودعمه على اسس علمية ترتكز على هذه العلوم بمعنى أن تكون من علوم النفس والاجتماع والجمال اسس صالحة للنظر النقدي اذ ان عالم النفس حين يلم بالنفس الانسانية ويعلم نوازعها المتباينة وتياراتها المتصارعة وما تسببه العقد النفسية من صراع ، وما تمليه الغرائز من اهواء وميول فانه يستطيع على ضوء هذه المعرفة النفسية أن يحلل النص الادبي تحليلا يبرز مكامن القوة وأسباب الضعف فى جملته وتفصيله، كما ان عالم الاجتماع حين يرصد موقف الاديب من مجتمعه واثر المجتمع فى تكوين الاديب وتلوين مشاربه، وتنازع اهوائه فانه يلمس اثر ذلك فيما قدم من انتاج ادبي ، وربما التمس له بعض العذر فى ما يخالف وجهة النظر العامة بعض المخالفة ، وكذلك عالم الجمال الذي درس اصوله والم بمقاييسه وعرف مدى ما توصل اليه فى البحث عن حاسة الجمال وميزان الشيء الجميل فانه بمقاييسه الجمالية يستطيع ان يزن الاثر الادبي ميزانا علميا لا تميل به النوازع

الخاصة في شيء ، هذا ما ذهب اليه فريق من الباحثين وتطاحنوا من أجله مع فريق آخر يرى ان الدعوة الى تقعيد النقد الادبي ودعمه على أسس علمية ترتكز على العلوم الانسانية خطر داهم يحيط بالنقد الادبي ، لانه يصرف الناقد عن التذوق الفني الخالص الى اصطلاحات علمية تلتقي على دراسته ظلمة مبهمة ، لا تساعد على ارتقاء ذوق او تفهم احساس اذ يرون ان عمل الناقد الاول هو دراسة النص الادبي وتفسيره في أفقه الادبي المتذوق بحيث يقف الناقد ليسجل خواطره الذاتية محللا مفسرا دون ان يتمالم بمصطلحات تقف كالصخور الثقيلة في طريق القارىء دون جدوى . هذا بعض ما تنازع حوله الفريقان باذلين جهودهم الشاقة في التدليل والتعليل ، فأصحاب الراي الاول يرون ان العلوم المختلفة تتشابك وتمتد لتقدم للذهن البشري غذاء يسدد نظره وينير طريقه ، ولابد من الالمام بها لنصل الى الحقائق الادبية دون انحراف ، فان العصر الحاضر هو عصر الدراسات التجريبية في كل مجال ولابد ان تطبق هذه الدراسات على الانسان ليفهم على ضوئها منازع اتجاهه وبواعث خواطره ، وذلك مما يدعو الى تثقيف الناقد تثقيفا بصيرا ، لترتفع البحوث الادبية الى المستوى المنهجي ذي القواعد المضبوطة ، والموازين الدقيقة ، أما الذين يخالفون ذلك فهم في راي دعاة التثقيف العلمي انفعاليون لا يصبرون على بحث بل يسرعون الى الاستجابة الى تاثراتهم السريعة عند القراءة العاجلة مما يدفعهم الى الشطط في الحكم والانحراف عن الجادة ، ولن يسكت أصحاب الراي الثاني عن خصومهم فهبوا يقولون انهم ينسون وظيفة النقد الحقيقية وهي دراسة النصوص الادبية ، وتحديد كل معنى وكل لفظ مع ايضاح صلة الافكار وارتباطها وملاءمة الشكل للمضمون وكل اقحام للمعارف الانسانية على هذه الدراسة مما يبعد بالناقد عن ميدانه ، ولسنا نقول بعدم جدوى هذه المعارف الانسانية للناقد فهي توسع مداركه وتفسر غوامضه دون نزاع ، ولكننا نقول ان اقحامها في النقد مما يطمس بريقه ويضعف تاثيره وهم بذلك يتفقون مع أصحاب الراي الاول في جدوى هذه الدراسات كثقافة عامة للناقد ، ويختلفون معهم اختلافا يصل الى حد الضراوة والعنف في محاولة استخدام مصطلحاتها العلمية واساليبها النظرية في عملية النقد ذاته ، ونحن معهم في أن النقد الادبي يجب ألا تتكدر مشاربه بهذه التقسيمات النظرية والمصطلحات العلمية بل يظل في مستواه الفني واضحا مشرقا يخاطب الذوق والعقل والعاطفة دون غشاء ، ولدينا المثال البارز على فساد التفريع العلمي في مجال النقد الادبي بما نعرفه من انحدار علوم البلاغة في عهودها الاخيرة على يد المقننين من امثال السكاكي والقزويني والسعد وغيرهم ممن جانب مذهب عبد القاهر في الاستشفاف الذوقي المستند الى الموهبة البيانية والخبرة الادبية اذ ان هؤلاء المقننين جعلوا من بحوث البلاغة الادبية مجالا للمنطق والفلسفة ثم خلف من بعدهم خلف نظر الى هذه المباحث نظرة المماحكة والتبرير فخنقت البلاغة خنقا فيما كتبوه من متون وحواش وتقريرات؟ فالراي الفصل فيما نشب من عراك حول هذه العلوم الانسانية ان يلم بها الناقد الماما يزيد من ثقافته وعمقه على ان يبتعد عنها كل الابتعاد في مجال التطبيق الادبي اذ يقف أمام النص الفني وجها لوجه دون ستار، وقد ذهب معارضو اقحام هذه النظريات العلمية في مجال النقد الادبي الى الاستشهاد باقوال اساطين النقد الاوربي مثل لانسون الفرنسي حين يقول فيما ترجمه عنه الدكتور محمد مندور « ان الاصطلاح العلمي عندما ننقله في الادب لا يلقي غير ضوء كاذب ، بل يحدث ان يلقي ظلمة ، وامعن في الروح العلمية موقف أولئك الادباء الذين لا يدعون بناء اي شيء على انموذج غيره ، بل يقصرون همهم على رؤية الوقائع الداخلة في مجال بحثهم ، والعثور على العبارات التي لا تخلف شيئا خارجا عنها ولا تضيف اليها الا اقل ما يمكن والشيء الذي يجب ان ناخذه من العلم ليس كما قال فردريك وهو هذه الوسيلة او تلك بل روحه » . واذا كان الدكتور محمد مندور في طليعة من نادوا بالابتعاد عن اقحام العلوم الانسانية في مجال النقد الادبي فقد أيد وجهته بما ترجمه عن اساتذة النقد في فرنسا من مقالات وكتب تناقش هذه المسائل ، كما لم ينس اجداده العرب حين بحث عن اقوالهم المتصلة بهذا الموضوع فنقل عن ابن قتيبة قوله في مقدمة «ادب الكاتب» (1). ولو أن هذا المعجب بنفسه الزاري على الاسلام برايه نظر من جهة النظر لاحياه الله بنور الهدى وثلج اليقين ، ولكنه طال عليه ان ينظر في علم الكتاب وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وفي علوم العرب ولغاتها وآدابها

(1) النقد المنهجي عند العرب لمندور ص 27 — النقد المنهجي ص 115 .

فغضب لذلك وعاداه وانحرف عنه الى علم قد سلمه له ولامثاله المسلمون وقل فيه المناظرون له . ترجمة تروق بلا معنى ، واسم يهول بلا جسم فاذا سمع الغمر والحدث الغر قوله ، الكون والفساد ، وسمع الكيان والاسماء المفردة والكيفية والكمية والزمان والدليل والاخبار المؤلفة ، راعه ما سمع وظن تحت هذه الالقاب كل فائدة ولطيفة فاذا طالعها لم يحل منها بطائل انما هو الجوهر يقوم بنفسه ، والعرض لا يقوم بنفسه ، ورأس الخط النقطة ، والنقطة لا تقسم، والكلام اربعة ، أمر وخبر واستخبار ورغبة . ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب وهي الامر والاستخبار والرغبة وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر . والآن حد الزمانين مع هذيان كثير ، والخبر ينقسم الى تسعة آلاف وكذا وكذا مائة من الوجوه ، فاذا اراد المتكلم ان يستعمل بعض تلك الوجوه في كلامه كانت وبالا على لفظه وقيدا للسانه وعيا في المحافل وعقلة عند المتناظرين » ، ولن نعلق على نقل الدكتور مندور عن ابن قتيبة بشيء سوى ان صاحب « ادب الكاتب » قد ذكر ما يدور من اصطلاحات العلوم في عصره مما تداوله علماء المنطق والفلسفة والكلام من امثال الجوهر والعرض والكيف والكمية ، ولكل عصر مصطلحاته وقواعده ، فما يذكر اليوم من مصطلحات علوم النفس والاجتماع والجمال شبيه بما دار في عصر ابن قتيبة من غوامض التعريفات ولم يكتف الدكتور مندور بقول ابن قتيبة بل عززه بما ذكره ابو القاسم الآمدي في الموازنة بين الطائيين حيث قال بعد نقل متشعب :

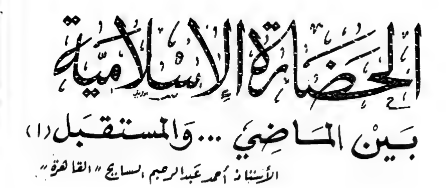
« واذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة — طريقة السهولة والوضوح — وكانت عبارته مقصرة عنها ولسانه غير مدرك لما يعتمد دقيق المعاني من فلسفة يونان وحكمة الهند ، او ادب الفرس ، ويكون اكثر ما يورده منها بالفاظ متعسفة ونسج مضطرب، وان اتفق في تضاعيف ذلك شيء من صحيح الوصف وسليمه قلنا له قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة فان شئت دعوناك حكيما او سميناك فيلسوفا ولكن لا نسميك شاعرا ولا ندعوك اديبا لان طريقتك ليست على طريقة العرب ولا على مذاهبهم فان سميناك بذلك لم نلحقك بدرجة البلغاء ولا المحسنين الفصحاء ، وينبغي ان تعلم ان سوء التاليف ورديء اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى يحتاج مستمعه الى تامل وهذا مذهب ابي تمام في معظم شعره ، وحسن التاليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا حتى كانه احدث فيه غرابة لم تكن وزيادة لم تعهد وذلك مذهب البحتري » .

وواضح ان الآمدي يتحدث هنا عن الشاعر لا عن الناقد وقد يظن ظان ان الاستشهاد في غير موضعه ؛ ولكننا نقول ان النقد الادبي في حقيقته الاصيلة — عمل ادبي كالشعر ، وكاتب النقد كناظم القصيدة يجب ان يقدم نقده واضحا شفافا بعيدأ عن غموض العويص من اللغة والدقيق من المصطلحات ؛ واذا كان للشاعر ان يثقف بالدراسات الانسانية كما يثقف الناقد فان مصطلحات هذه الدراسة لا يجوز ان تنتقل الى القصيدة الشعرية كما لا يجوز ان تنتقل الى الكتابة النقدية سواء بسواء .

واذا كنا نعرف ان النقد الادبي يقوم على الذوق المستشف البصير بمراقي النبوغ ومهاوي الضعف في الاثر الادبي ، فليس لكل قارىء ان يقيم من ذوقه الخاص ناقدا يصدر الاحكام الادبية ويوزعها ذات الشمال وذات اليمين كما يشاء ، ولكن صاحب الاستعداد الفطري بالطبيعة والمكتسب بالقراءة والموازنة وسعة الخبرة هو الذي يستطيع النفاذ الى النص الادبي تحليلا وتفسيرا وحكما ، وهو القادر على ان يندمج فيما يقرأ اندماجا يوحي له بكل ما يعن من تقدير او مؤاخذة ، مستعينا بعاطفته وعقله وحسه على اداء وظيفته النقدية ومستجيبا الى هواتف نفسه فيما توحي به من ارتياح او نفور ، وفق ما ادى اليه تمرسه الطويل ومزاولته المستمرة في محيط العمل الفني فذوق الناقد لا يقف به عند مجرد الاستحسان او الاستهجان بل يهديه الى حيثيات ما يصدر من حكم يكمن وراءه الذهن الصافي والقريحة الخصبة والحس المتيقظ لادق الخلجات وابعد اللوامح ، ونقد يخالف الناقد الذواقة زميله الذواق في حكم ، ويكون كلاهما صحيح النظرة سليم الاتجاه لان الحلبة الادبية تتسع لاكثر من اتجاه ، ولان الطبيعة البشرية تفترق في مدى الاستجابة وقوة الايحاء وفق ما لابس الناقد من خبرات قد تختلف في بعض تجاريبها عن خبرات زميله، ومن هنا نجد الناقدين الكبيرين يحكمان على القصيدة او المسرحية او المقالة بما قد تفترق به الاتجاهات ، ومن البعيد ان يبلغ الاختلاف بينهما درجة التضاد والتباين وان وقع ذلك فهو من الندرة بحيث لا يمثل قاعدة مطردة اذ ان المسلم به انه توجد مع عوامل الخلاف عوامل اخرى للاتفاق تحول دون التضاد الصريح ، انما يكون هذا الاختلاف بين الناقدين

الكبيرين غالبا فى درجة الحكم ونسبته فهو يترجح بين الحسن والاحسن أو الجيد والاجود او الضعيف والاضعف ، وهذا حين يكون النقد فنيا تاثريا لا مذهبيا عقائديا حيث يلتزم الناقد باتجاه دينى او اجتماعي او سياسي يدعو اليه ، فمن الممكن اذن ان يصل الخلاف بين الناقدين الى درجة التضاد ، ومن حسن الحظ ان النفوس اصبحت تضيق بالنقد المذهبي فى مجال الادب الخالص ، وتراه عامل تعصب لا يهدف الى الحكم المجرد النزيه انما النقد ذوق خالص مثقف يستوحي النص دون تقيد او تضييق ، وهذا الذوق هبة عليا تمنح لذوي المواهب وتصقل بالقراءة والنظر والتمرس البصير ، ويهمنا أن ننقل عن ناقد عربي كبير رأيه الخاص فى تقدير الذوق الموهوب وارتكاز النقد الادبي عليه ارتكازا يجعل كل تعليم دائب لا يكاد يغني عنه شيئا ذلك هو ضياء الدين بن الاثير حيث يقول فى مقدمة « المثل السائر » « اعلم ايها الناظر فى كتابي ان مدار علم البيان على حكم الذوق السليم الذي هو انفع من ذوق التعليم ، وهذا الكتاب وان كان فيما يمليه عليك استاذا واذا سئلت عما ينتفع به قيل لك هذا ، فان الدربة والادمان اجدى عليك نفعا ، واهدى بصرا وسمعا ، وهما يريانك الخبر عيانا ويجعلان عسرك من القول امكانا ، وكل جارحة منك قلبا ولسانا ، فخذ من هذا الكتاب ما اعطاك واستنبط بادمانك ما اخطاك ، وما مثلي فيما مهدته لك من هذه الطريق الا كمن طبع سيفا ووضعه فى يمينك لتقاتل به؛ وليس عليه ان يخلق لك قلبا فان حمل النصال غير مباشرة القتال .

هذه خطرات امهد بها للحديث عن النقد العربي فى اطواره المتعاقبة لنعطى القارىء اضواء تهديه فى ارتياد طريق ممتدة الشعاب ، وهي بعد خلاصة مركزة لبعض ما يدور حول هذا الفن من آراء تشغل النقد والناقدين .



الأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح "القاهرة"

يمتاز الاسلام بانه دين الحضارة الانسانية الكاملة : بمعنى انه كان منذ نزوله دين عبادة ودين معاملة .

وانه انشا لونا من الحضارة عرف باسمه . وهو الحضارة الاسلامية .

ومفهوم كلمة الحضارة مفهوم تطور مع الزمن لاسيما فى تاريخ الحياة العربية الاسلامية . والمفهوم الاصيل لكلمة الحضارة فى اللغة العربية انها : —

تعنى حياة الحضر والاقامة الثابتة فى المدن والقرى وعكسها البداوة . وهي حياة التنقل من البادية . ولقد عرف العرب الفارق بين حياة البادية وحياة الحضر منذ كانت بادية وكان حضر .

وكان اول من تصدى لهذا التمييز على اساس من الدراسة والتسجيل والتحليل العلمي هو العلامة عبد الرحمن بن خلدون . **بل ان هذا العالم العربي هو اول من عالج شئون الحضارة بطريقة علمية تحليلية .**

على انه اذا كان ابن خلدون قد بلور مفهوم الحضارة عند العرب على انها ذلك النمط من الحياة المستقرة . والذى يناقض فى مضمونه البداوة . فينشيء القرى والمدن ويضفي على اصحابها فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة وادارة شؤون الحياة .

اذا كان ابن خلدون قد بلور هذا المعنى التاريخي واعتبر الحضارة غاية العمران فان مفهوم **الحضارة فى العصر الحاضر قد امتد الى الوان من المعنى** ، هي ابعد واوسع مما رءاه ابن خلدون فى عصره ، وفى بيئته العربية فى انتقالها الاجتماعي والسياسي والمدني من البادية الى الحضر .

ولئن كان بعض العرب القدامى قد استعملوا لفظ « مدني » بمعنى « اجتماعي » فان مفهوما ءاخر ظهر واتصل بها ، اصبح الآن يعرف باسم المدنية .

وابن خلدون نفسه كان سباقا ايضا فى هذا المجال اللفظي فاستعمل كلمة ((**التمدن**)) وكان يعني بها ((**التحضر**)) .

على ان تلك المفاهيم اللغوية انما نشات فى بيئة عربية كانت حياة الحضر فيها تقابل حياة البادية . ولكن هذه الحالة من التقابل لا تكاد توجد بصورتها التقليدية الا فى جهات قليلة جدا خارج العالم العربي .

ولذلك فان لفظ الحضارة فى مفهومه العالمي ومفهومه الحديث المعاصر بصفة خاصة قد اصبح اكثر اتساعا مما كان يدل عليه فى مفهومه اللغوي والتقليدي واذا كان اصل معنى الحضارة « بفتح الحاء وكسرها » الاقامة فى الحضر . فان المعاجم اللغوية الحديثة تعرف الحضارة فى استعمالها المولد

المعطاء بانها : **مظاهر الرقي العلمي والفني والادبي والاجتماعي والاقتصادي في الحضر .**

وقد يكون من المفيد معرفة مفهوم لفظتين اخريين لهما في الحياة الانسانية شان كبير واثر واضح . وهما : **الثقافة والمدنية .**

فاصل مادة **التثقيف** في اللغة العربية : التشذيب والتهذيب والتقويم والحذق والفطانة والمعاجم اللغوية تعرفها في الاستعمال المحدث بانها : العلوم والمعارف ، والفنون التي يطلب الحذق فيها. ونستطيع ان نقول انها : تشمل كل ما يتصل بالروح والفكر والعقل والذوق والمشاعر ، وهي حصيلة الحياة الانسانية في مجالات الحياة كلها . وتجمع انماط الحياة الروحية والفكرية واللغوية والادبية والفنية . ولها صورها التي تتعدد وتتلاقى بين الشعوب والتي يتصل بعضها بتراث للانسانية مشترك ، ويتصل بعضها الآخر بحياة جماعات بذاتها دون سواها .

ومادة مدن وتمدن متصلة بالمدنية والعيش فيها والاخذ باسباب الحضارة وقد اتصل لفظ المدنية في المفاهيم الجارية بالجانب المادي والمظهري من الحياة. وذلك من حيث مقوماتها الطبيعية ومنشاتها الملموسة .

وكذلك من حيث الانماط المعيشية في اسسها المادية . وفي صورها المحسوسة في حياة المجتمع . وما يتصل بهذه المظاهر المادية والمحسوسة في حياة الجماعة من قواعد ونظم واعراف .

والحضارة بمفهومها الحديث هي : الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة ومجموع الحياة في صورها وانماطها المادية والمعنوية .

وبعبارة اخرى هي : الخطة العريضة التي يسير فيها تاريخ كل شعب من الشعوب على الارض ومنها الحضارات القديمة والحضارات الحديثة والمعاصرة ومنها الاطوار الحضارية الكبرى التي تصور انتقال الانسان او الجماعات الخاصة من مرحلة الى مرحلة .

ولئن كان الاسلام **قد امتاز بانه دين الحضارة الانسانية من حيث تقديس حرية الفكر ، واعزاز حرية الانسان وكرامته . وتشجيع المعرفة والنظام والمساواة بين الناس في ظلال اخاء شامل ، وعدل تام وروحانية صافية واعتزاز بالمثل العليا والقيم الاخلاقية الرفيعة .**

فان واقع الامر يبين للدارس والباحث والمفكر ان الحضارة الاسلامية استمدت مقوماتها وعناصرها ووجودها واسباب نمائها من الاسلام ذاته .

واذا كان ظهور الاسلام قد سبق في الجزيرة العربية وما جاورها حضارات اقدم منه . كما سبقته ايضا في البلاد التي انتشر فيها الوان من الحضارات القديمة ذات الطابع المحلي او الاقليمي .

فان **الاسلام بطبيعته الذاتية استطاع ان يضفي على البلاد التي شملها لونا مشتركا من الفكر الديني والحياة** والمعاملات والعلاقات الانسانية الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية حتى اصبح هناك قدر حضاري مشترك بين المسلمين في مختلف الاقطار وبلاد الدنيا .

دعائم الحضارة الاسلامية :

1) ان الاسلام قد انطوى على **طاقة روحية** جعلت منه قوة فاعلة بل ان فاعليته في هذه الناحية شملت حياة الافراد والجماعات من جميع الجوانب. فهي ثورة روحية وثورة في العبادة والنفوس وثورة في الحياة العملية والمعاملات . وثورة في النظم الاجتماعية بل وفي نظم الحكم وصلة الحاكم بالمحكوم وكذلك في تشريعات الجماعة والاسرة .

والشيء المهم في هذه القوة الفاعلة انها كانت اصلاحا جذريا يمس اساس الاوضاع في حياة الناس .

2) ان الاسلام كان منذ يومه الاول **دين دعوة** له رسالة يجب على المسلم ان يبلغها الى الناس كافة . وكانت حياة الشعوب واتصالاتها قد اهلتها لان تتلقى الرسالة الالهية التي فرضت على اصحابها ان يبشروا بها بين الناس شرقا وغربا .

وفكرة الدعوة في العقيدة الاسلامية قد واتتها ظروف الانتشار في النطاق العالمي وبالتالي تمكن الاسلام من ان ينشر طابعه الحضاري كعقيدة وكنمط للحياة .

3) كان الاسلام **دينا سهلا غير معقد** ولا مركب في عقيدته ونظمه وتعاليمه وكان في الوقت

ذاته ، دينا مباشرا يتصل فيه الانسان بخالقه دون وساطة .

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله » وقد كانت البساطة في العقيدة الاسلامية شاملة للعبادات ، والمعاملات جميعا .

وما نظن دينا يطلب الى الفرد شهادة ابسط من شهادة الاسلام على عمقها وعظمتها « لا اله الا الله محمد رسول الله » عبارة سهلة رائعة تقف بالانسان على عتبة الاسلام موقفا سهلا .

وكانت القاعدة الثابتة لدى من بشر بالاسلام ، ان الدين يسر لا عسر « ومن هنا كان الاطمئنان الروحي والفكري اول ما يستشعره من يدخل في دين الله خصوصا وان اعتناق العقيدة كان لابد ان يأتي مباشرة دون وساطة او وكالة . على انه من الحق ان نذكر ان هذه البساطة لم تنته بالضرورة الى ذلك القدر من المرونة الذى قد يشوه التطبيق .

ولعل المقوم الاصيل الذى لم يجعل البساطة تنقلب الى مرونة مشوهة ، هو ان **القرآن كان وعاء العقيدة كلها** ، حفظها على مر العصور واضفى عليها الطابع المشترك في مختلف البيئات وتحت مختلف الظروف .

4) كان الاسلام **دينا رحبا يقبل الاجتهاد** ، ويدعو اليه في حدود أصول العقيدة . وكان يدعو الى سبيل العقل كما يدعو الى سبيل الضمير والحق . ومن هنا كانت الدعوة الى النظر والى المعرفة اساسا من أسس الدعوة الاسلامية وكان التفتح البصير مفتاح الدعوة الحضارية .

والاسلام في رحابته الحضارية استطاع ان يمتص الوان الحضارة في البلاد التى انتقل اليها وان يسبغ عليها طابعا اسلاميا شاملا .

5) كان الاسلام **دينا للدنيا والآخرة معا** وفي هذا قد اختلف عن كثير من الديانات والعقائد التى يتبع بعضها في ماديات الحياة لم يضفي عليها مسحة من العبادة او الفلسفة ويتبع بعضها الآخر في مجال الروحية التجريدية .

وقد ترتب على ما اتصف به الاسلام من **جمع بين الروح والمادة** انه اصبح دينا رحبا حيا يلائم حياة الناس ومنطق التطور . كذلك اصبح الاسلام اكثر التصاقا بالحياة في مفهومها الحقيقي وصورتها الواقعة . وفي الوقت ذاته اصبحت العقيدة على اتصال دائم بالبناء الحضاري في مجال المدنية من جهة والثقافية والروحية والعقلية بل والاجتماعية من جهة اخرى .

6) **كان الاسلام دين قيم وضوابط سلوكية مادية ومعنوية** . وهذه القيم يتصل بعضها بحياة الافراد ويتصل بعضها الآخر بحياة الجماعات .

فالاسلام اعطى نظاما متكاملا للحياة سواء من وجهة نظر الفرد أم من وجهة نظر الجماعة . وهذا النظام شمل علاقات الافراد وكثيرا من نواحي الحكم ذاته .

وقد يكون من أبرز القيم التى استند اليها نظام الحياة الاسلامية فكرة القيمة الذاتية للانسان . واستنادها الى فكرة المسؤولية الفردية « كل نفس بما كسبت رهينة » « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » ثم فكرة الاخاء التى تجعل الانسان المسلم ينتمي الى جماعة المسلمين ويحس بأنه عضو من اعضاء الجماعة السامة يعمل لمصلحة الجماعة والجماعة تسعى للارتفاع بمستوى الفرد . فهو جزء من كل يكمله ويكتمل به ويعطيه ويأخذ منه ويحميه ويحتمي به .

وليس في الاسلام انفصال بين مسؤولية الفرد نحو المجتمع ومسؤولية المجتمع نحو الفرد لان هاتين المسؤوليتين هما اولى وسائل الاسلام في الاصلاح الانساني العام .

والاسلام من ناحية اخرى اعترف بالقيمة الذاتية للافراد باعتبارهم مدينين بوجودهم لله مسئولين امامه عن اعمالهم « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم » والاسلام حينما جعل الفرد مسئولا عن اعماله والمسئولية ـ هنا تقع عليه وحده ـ الاسلام جعل ذلك ليرفع من قيمة الانسان الذاتية ويصل به الى اعمال الخير والقدرة على الدفع والبناء . وفي الوقت نفسه الانسان لبنة من لبنات المجتمع الانساني يعمل لمصلحة الجميع .

والاسلام لا يعترف بالقهرية التى يدمج بها الفرد في المجتمع قسرا ورغما عنه كما في الشيوعية لان الشيوعية من الوجهتين العملية والنظرية تستغني عن الفرد ان لم يخدم غرض الدولة او ان لم يتبع طريقة الحزب دون نقاش .

7) البيئة بعواملها المحلية وموقعها الجغرافي قد ساعدت على اعطاء الحضارة الاسلامية ما كان لها من طابع ومن مكانة . ولقد كانت الجزيرة العربية ذاتها منطقة وصل بين اطراف العالم عند ملتقى القارات الثلاث في العالم القديم . ومن شواطئها تمتد بحار الشمال بادئة بالبحر المتوسط ، وبحار الجنوب بادئة بالبحر الاحمر والخليج العربي . وقد كان عدم اتصال المياه بين الشمال والجنوب سببا في أن شبه جزيرة العرب كانت نقطة تغيير في وسائل المواصلات وفي ظهور دور الوساطة الذي كتب للعرب ان يقوموا به ولم يكن الامر في ذلك بالطبع مجرد التوسط الجغرافي على اهميته . وانما كان الامر اوسع واعمق .

فهو توسط من ناحية الطبيعة البشرية ، ومن ناحية السلوك الانساني ، ومن ناحية الاعتدال ، في كل ما يتصل بالمادة والمعنى في الحياة . وهي امور اتصلت كلها بطبيعة البيئة العربية . ومن هذه البيئة الوسط انتشر الاسلام شرقا وغربا بالبر والبحر على حد سواء .

8) القرءان الكريم ذاته وذلك ان القرءان لم يكن كتاب دين ، يحث على العبادة والتوحيد . وما يتبعهما من عقائد وعبادات واوامر ونواهي ، كان دستورا من اعظم الدساتير الصالحة التي عرفتها الانسانية في تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن وذلك بما تضمنه من القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانساني السليم .

ولقد كان اول اثر من ءاثار القرءان في الفكر الانساني اهتمامه الواسع بالعلم وذلك ان العلم اساس التقدم ومرءاة نهضة الامم وعنوان حضارتها . وقد كانت عناية القرءان بالعلم تفوق حد الوصف ، تأمل القرءان وتدبر ءاياته تجده يدعو الى تحكيم العقل والمنطق في مظاهر الكون واحداث الماضي . والقرءان نفسه مشتق من القراءة والقراءة ادنى مفاتيح العلم للانسان واول ماتزل على محمد عندما كان يتحدث في غار حراء خمس ءايات هي قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ».

ففي هذه الآيات الخمس بدأ الوحي الالهي بالقراءة في اول آية وكررها مرة اخرى في الآية الثالثة واوضحها مؤكدا ما رمى اليه من معنى وهو التعليم وزاد التأكيد بذكر القلم ثم لفت النظر الى الاصل الذي خلق الله منه الانسان وهو العلق وفي قوله تعالى « علم الانسان ما لم يعلم » ما فيه من مكنون اسرار هذا الكون مما سيعرفه الانسان عبر مسيرته في هذه الحياة وحتى نهايتها .

واول قسم في القرءان اقسم به رب العزة في ثاني ءاية نزلت بعد الامر بالقراءة صدر بحرف من حروف الهجاء وكان بالقلم وبما يسطر العالمون « ن والقلم وما يسطرون » فاول سورة نزلت من القرءان سورة العلق ومن العلق يخلق الانسان وكانت السورة التالية في النزول بسورة العلق هي سورة القلم « وبالقلم يكتب ويتعلم الانسان » .

فانسانية الانسان لا تكون الا بالخلق ولا تتم الا بالعلم « الرحمن علم القرءان، خلق الانسان علمه البيان » .

وما الطف قول الشاعر :

اذا افتخر الابطال يوما بسيفهم
وعدوه مما يكسب المجد والكرم

كفى قلم الكتاب مجدا ورفعة
مدى الدهر ان الله اقسم بالقلم

والقرءان دائما يهتف بالانسانية « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » والقرءان يرفض ان يقف بالعلم عند حد بل يفتح للانسانية باحة ليس لها نهاية .

ولقد وضع الاسلام القواعد السليمة لوزن المعلومات . وتمييز صحيحها من زائفها فقرر ان المسائل لا تأخذ طابعا علميا ولا ترتقي الى درجة معلومات الا اذا قامت عليها بينة واستندت الى دليل ومن ثم كان القرءان ينادي دائما « هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » ، « هل عندكم من علم فتخرجوه » « ائتوني بكتاب من قبل هذا أو اثارة من علم » « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا » .

وهذه الآية الاخيرة تنهى عن اتباع ما لم يقم به علم يستند الى حجة سمعية او رؤية بصرية او براهين عقلية وهي طرق الاستدلال التي تنحصر في العقليات والسمعيات والمحسوسات .

وهذا الميزان الذى وضعه الاسلام يدفع الناس دفعا الى تلمس الادلة . ويمشي بهم فى طريق النور والمعرفة ومظاهر الكون والرقي .

ولقد دعا **الاسلام الناس ان يعملوا فكرهم فى هذا الكون الفسيح** وينعموا النظر فيما حوى من عجائب ؛ ليستغلوا ما حواه من موارد ويستكنهوا اسراره واسباب الحياة فيه قال تعالى « قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق » .

وقال تعالى « قل انظروا ماذا فى السماوات والارض » ولم يكتف القرءان بهذا بل ردد كلمة (العلم) بجميع اشتقاقاتها وتصريفها فى سوره وءاياته زهاء سبعمائة وخمس وستين مرة وهذا وحده يكفي لتقدير المنزلة التى رفع القرءان « العلم » اليها . وكلمة العلم فى الاسلام عامة تشمل مختلف قطاعاته وتعدد اغراضه ومراميه .

وهذا كله دليل على ان **الشخصية الانسانية لا يرقيها شيء غير العلم** « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

والقرءان مليء بالايحاءات لتنمية القوى العقلية المفضية الى النظر فى البراهين الدالة على قدرته سبحانه وتعالى الداعية الى التفكر والتأمل فى هذا الكون العجيب الذى يمتليء بالظواهر الطبيعية التى تسير فى نظام ودقة عجيبين .

9) اللغة العربية نفسها فهي : من اعرق اللغات العالمية منبتا واعزها جانبا واقواها جلادة ، وابلغها عبارة واغزرها مادة وادقها تصويرا لما يقع تحت الحس ، وتعبيرا عما يجول فى النفس وذلك لمرونتها على الاشتقاق ، وقبولها للتهذيب ، وسعة صدرها للتعريب

نزل القرءان الكريم بلسانها فجعلها اكثر رسوخا واشد بنيانا واقوى استقرارا وبفضل القرءان صارت ابعد اللغات مدى واوسعها افقا واقدرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذى تعيشه الانسانية .

واستطاعت فى ظل عالمية الاسلام ، ان تتسع لتحيط بابعد انطلاقات وترتفع حتى تصل ارقى اختلاجات النفس .

فليس هناك معنى من المعاني ولا فكر من الافكار ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية من النظريات تعجز اللغة العربية عن تصويره بالاحرف والكلمات تصويرا صحيحا حي المقاطع واضح السمات بارز القسمات .

هذه اللغة فتحت صدرها لتراث الانسانية الخالدة ومعارف البشرية الرائعة كما اتسعت لمقومات الامة الانسانية الاسلامية التى شرقت بالحضارة وغربت .

برزت الى الوجود قوية تتمتع بقوة لغة بالغة اشدها ، فما عرف التاريخ لها طفولة وما بدت الا لتكون لسان الحضارة الاسلامية فى ظلال القرءان .

ولقد اشترك مع اللغة العربية لغتان اخريان بكونهما لغتين عموميتين لافكار دينية وعقائدية ومذاهب سياسية انتشرت بين شعوب مختلفة ؛ وهاتان اللغتان هما اللغة اليونانية واللغة اللاتينية .

فقد كانت اللغة اليونانية تستعمل من « كمبانيا » فى ايطاليا الجنوبية الى الجزر البريطانية ومن نهر الراين الى جبل الاطلس .

واستعملت اليونانية من اقاصي صقلية الى شاطيء دجلة ومن البحر الاسود الى تخوم الحبشة لكن ما اضيق ذلك الانتشار اذا ما قوبل بانتشار العربية التى امتدت الى اسبانيا وافريقيا حتى خط الاستواء وجنوب ءاسيا وشمالها الى ما وراء بلاد التتار فقد استولت لغة العرب الكتابية على جميع انحاء الشرق الاسلامي .

لقد امست اليونانية واللاتينية فى صف اللغات الميتة منذ هبطت مدنيتاهما فما الذى حفظ اللغة العربية حية ؟

قالت الكاتبة « مسي » ان الذى كان باعثا على قيام الحضارة العربية الاسلامية هو الذى ما زال حافظها الى اليوم وهو القرءان، لقد كان الاسلام يرمي الى التوحيد سواء فى الدين والسياسة واللغة .

لذا ستظل اللغة العربية حية ما دام الاسلام حيا فمن ذا الذي لا يعرف للقرءان فضله فى بقاء اللغة العربية حية ؟ ومن ذا الذى يجهل ان اللغة العربية باقية ما بقي الاسلام ؟ من ذا الذى لا يعترف بما ادته هذه اللغة من خدمة للانسانية وبانها كانت الصلة الوحيدة بين حضارات الماضي وحضارات اليوم .

لقد اندثرت جميع اخواتها السامية من ارامية وكنعانية وكلدانية وسريانية واشورية وغيرها في حين بقيت هي على رغم ما مر بها من عصور الركود وما فتئت تفيض قوة وحيوية .

انها **الرابطة النفسية** التي تربط بين اهل البلاد والصيغة الجميلة التي تودعها مكنوناتها العقول والقلوب جيلا بعد جيل .

هذه اللغة وسعت مباديء ومثلا عليا لم تضق بها ولم تنكل عن احتمال اعبائها بل في ظل حضارة الاسلام مرنت وامتصت وتفاعلت ونمت نماءها الطبيعي المتطور من داخلها وهضمت خلاياها القوية كل ما قدم لها من خارج محيطها حتى تعملقت واتسعت آفاقها وانتشرت ظلالها وتخضت في دورانها العظيم على كل ما يقف في طريق انسيالها وتفوتها وكل ما يعرقل انطلاقتها ويثقل اجنحتها من التحليق والارتفاع واستطاعت بقوتها الذاتية ان تتشح اللهجات الغامضة وتخرج من كل جولة ــ جالتها في صراع ــ بغذاء مفيد ودماء جديدة وقدرة فائقة وطاقة خلاقة .

هذه اللغة دعمها القرآن اذ اخذت تفرض سلطانها في بيئات جديدة في اقطار الارض ولم تمض حقب طويلة حتى غدت لغة الشعوب من اواسط آسيا حتى جبال البرانس في شمال اسبانيا ولم تستطع لغة من لغات هذه البيئات ان تثبت لها او تحول بينها وبين سيادتها .

وقد يكون من اسباب ذلك انها لغة القرآن وقد يكون من اسبابه قوتها وجمالها الفني بحيث لم تستطع ان تقف لها لغة من لغات هذه البيئات ومهما تكن الاسباب فانها اصبحت لغة قوية لامم وشعوب قد تختلف وتتباين في اجناسها واصل نشأتها ولكنها لا تلبث ان تعيش لها وبها وتحيا فيها حياتها المعنوية الادبية والعقلية .

والعربية ما تزال لغة الشرق الاسلامي من الخليج الى المحيط الاطلسي تتوهج جذوتها وترسل اشعتها وشررها الى كل مكان حتى في امريكا تناول منها المهاجرون الى تلك الديار النائية اقباسا لا تزال تضيء في المجلات والآثار الادبية .

وواضح انها اجتازت آمادا واحقابا متطاولة من الزمن وقد المت بها خطوب كثيرة ولكنها وقفت في طريقها كالصخرة في مجرى السيل يلم بها ثم يزايلها ، وليس معنى ذلك انها ظلت جامدة لا تتطور بل لقد تطورت اطوارا كثيرة بحكم ما تلقت من ثقافات الفرس واليونان والهند ومصر واسبانيا اللاتينية . فوسعتها جميعا وتمثلتها تمثلا منقطع النظير وكأنما اصبحت نهرا كبيرا تتدافع اليه جداول شتى من المعرفة والفكر وهو لا ينحرف ولا يغير وجهته بل يجري غزيرا زاخرا متدفقا مقتحما كل ما يصادفه من حواجز وسدود بين الامم والشعوب ، ولقد وحدت العربية بين هذه الامم والشعوب فاذا هي عالم واحد مهما تدانت وتباعدت ومهما شرقت او غربت .

لغة كريمة انضجها الزمان المتطاول واخرجتها الفطرة السليمة والاحساس المرهف والادراك النافذ.

لغة تكاد تصور الفاظها مشاهد الطبيعة وتمثل كلماتها خطرات النفوس وتتجلى معانيها في اجراس الالفاظ تتمثل في نبرات الحروف كأنما كلماتها نبضات القلوب ومشاعل الحياة ، فالمعاني المحسة والمعقولة مبينة في الفاظ تدرك الفروق الدقيقة بين الاشياء المتشابهة فتضع للشبيه لفظا غير ما وضعته لشبيهه ادراكا للفرق الدقيق بينهما فاذا وضعت بعض اللغات للضرب مثلا كلمة واحدة وضعت العربية كلمات تختلف باختلاف آلة الضرب وموضعه من الجسم واذا دلت اللغات على صفات الوجه الانساني مثلا بكلمات مركبة لكل صفة دلت العربية على كل حلية في الانسان وكل صفة في عينيه وحاجبيه وانفه وفمه واسنانه وغيرها باسماء خاصة وليس هذا مقام التمثيل والتفصيل .

ثم هذا الاحساس الحاد الدقيق المتمثل في المفردات يتجلى في التركيب مدهشا ، فكل كلمة لها في الجملة مكان يحس بها المتكلم وان شئت فقل تحس بها الكلمة نفسها فتعطي او تاخذ صوتا مكافئا لهذه المكانة فالكلمة الاصلية لها اقوى الاصوات وهو الضم والاخريات لهذ الفتح والجر .

وما هذا الا ضربا من الحياة في الالفاظ والتركيب يبين عن ادق الاحساس والطفه واذا اشتملت اللغات على كلمات هي مادتها ، ففي اللغة العربية مادة وقوالب يستعملها صاحبها حين الحاجة، فيها مادة ووزن تخذ المادة او اخلقها او استعرها من لغة اخرى ثم صبها في قالب من قوالب الاسماء والافعال وصورها بالقوالب او الاوزان، فمن سمع

فاعلا اومفعولا ادرك ان هذا الوزن فى حركاته وسكناته له معنى يلازمه فى المواد كلها وبهذا امتازت العربيـة واستبانت خصائصها حتى نفت من نفسها كل كلمة اجنبية ما لم تخضع لاوزانها وقوانينهـا وللاسمـاء اوزان وللافعال اوزان فما لا تزنه هذه الاوزان فهو اجنبي وبهذا بقيت على الدهر المتطاول نقية .

ولقد اختبرها التاريخ الطويل فلم تعجـز ولم تعي ولم تضق بكل ما ادركه الانسان من علم وثقافـه من صناعة بل وسعت حضارة القرون المتطاولة والامم المختلفة غير كارهة ولا مكرهة .

ولقد اراد الله لها أن تكون لغة كتابه وترجمـان وحيه وبلاغ رسالته فاشتملـت على العالـم الحسي والعقلي مصورا فى كلمات وءايات وجوزيت على هذا خلودا ما خلد للانسان عقـل وقلب وما استقام لـه ادراك واحساس .

وتقلب الزمن وتوالت المحن وثـارت الفتـن والعربية ثابتة ناضرة وامحت لغات وخلقت لغـات وبدلت لغات وحرفت لغات والعربية هي العربية لم تمح ولم تتغير ولم تبدل .

ما آية الخلود بعد هذا ؟

ولم تبق العربية لغة العرب وحدهم بل ثقفتها الامم الاخرى واولتها من العناية والحفاوة اكثر مما اولت لغاتها احيانا فصارت **لغة العلوم والآداب للعرب وغير العرب حقبا طويلة ما بين اقصى المغرب واقصى المشرق ولا تزال على تبدل الاحوال وتوالي الغير لغة ادب وعلم فى كثير من الامم الاسلامية غير العربية .**

وما تزال لغـات هذه الامـم مترعـة بالفـاظ العربية وما تزال تستمـد مـن العربيـة الحـروف والكلمات .

وقد حوت العربية على مر العصور ادبا لا تحويه لغة ادبا مواطنة ما بين الصين الى بحر الظلمات كما يقول العلماء ــ وزمانه اربعة عشر قرنا من الزمان .

ولا نعرف فى آداب العالم قديمهـا وحديثهـا ادبا اتسعت به المواطن هـذا الاتساع وامتـدت بـه الاعصار هذا الامتداد .

انتشرت العربية وحدها بقوتها الخاصة وبقوة الاسلام وقوة القرءان وبهذا **استطاعت العربية ان تكون لغة عالمية لاول مرة فى التاريخ الانساني .**

ولاول مرة تجد فى التاريخ لغة تنتشر بهـذه القوة فقد **انتشرت اليونانية فى جميع البلاد الشرقية ولكنها لم تصل الى اعماق الشعـوب** ولم تغير لغـة من اللغات التى كانت قائمة فى تلك الايام فى بـلاد الشرق **ولكن اللغة العربية غلبت كل هـذه اللغـات غلبتها وتعمقت شعوبها .**

والرومانيون استطاعوا ان ينشروا اللاتينية فى المغرب الاوربي فى فرنسا وفى بريطانيا وفى اسبانيا وحاولوا ان يجعلوها لغة منتشرة فى شمال افريقيا فلم يفلحوا .

ولكن العربية استطاعت ان تقهر اليونانية فى الشرق وان تقهر اللغات الشعبية التى كانت منتشرة فى هذه البلاد وان تقهر اللغة الفارسية نفسها ، ثم ان تقهر اللاتينية فى المغرب العربي وفى الانـدلس وان تصبح هي اللغة العالمية التى يتكلمـها النـاس فـى الشرق والغرب جميعا .

هذه اللغة منذ تم لها الانتشار لم تكن لغـة حديث فحسب ولكنها كانت **لغة حديث ولغة سياسة ولغة ادارة ولغة الدين** وكانت فى الوقت نفسـه **لغة التفكير والانتاج الادبي والعصري** وفى اقل من قرنين كانت هذه اللغة **قد استطاعت ان تسع كل الثقافات التى كانت معروفة فى العصور القديمة .**

اساغت ثقافـة اليونـان على سعتـها وعمقهـا وصعوبتها واساغـت فلسفتهـم وعلومهـم وطبهـم وفنونهم .

واساغت ثقافة الفرس وثقافة الهند بعد ذلـك الثقافات التى كانت متوارثة بين السامية

فالعربية : **اداة الفكر الحي** نقل الناس اليهـا كتب السماء المنزلة مثل التوراة ، والانجيل والزبور وسائر كتب الانبياء من السريانية والعبرانية .

ونقلوا اليها ما جاء به الحكماء وسائر ذلك من كتب الفلسفة والطب والنجوم والهندسة والحساب.

10) وبجانب هذا وذاك كانت هناك مقومات تاريخية وبشرية تتصل بالعصر الذى ظهر فيه الاسلام وانتشرت عقيدته . ثم بالعنصر البشري والتكويـن السكاني للمجتمعات الاسلامية .

فاما عن العصر فان الاسلام كان ختام الاديان السماوية وكان بذلـك رباطـا لهـا مـن الناحيـة

التاريخية . كما كان في الوقت ذاته تصحيحا ووحيا لصور من الديانات السابقة التي شوهها الزمن . وكان على الاسلام أن يصححها وينقيها ويرد اليها اصالة الفكر التوحيدي .

ولقد كان هذا كله مصدر قوة ودفع للفكر الاسلامي وما اتصل به من حضارة . وكذلك كان الامر بالنسبة لتصدي الاسلام لمعتقدات غير سماوية.

فهذا التصدي كان الحافز الاصيل للفكر الاسلامي والنظم الاجتماعية في ان تحتفظ باصالتها من جهة وان تجدد حيويتها وتوسع نطاق وحاجتها ومرونتها من جهة اخرى .

ومن هنا انطوى التفاعل الاسلامي مع الوان الحضارات التى التقى بها على قوة غلبت كل التحديات فانتشر طابع الحضارة الاسلامية في فعالية لم يعرف لها مثيل .

ومما يذكر ان قوة الاسلام في انتشاره وترسيخ معالم حضارته قد تضاعفت بفعل مقوم انساني آخر عظيم هو تنوع السلالات التى دخلت في الاسلام .

ثم هناك ظاهرة اخرى ترتبت على كل هذه الجوانب والعوامل وهي ظاهرة الاتصال والاستمرار الزمني في الحضارة الاسلامية .

ان هذه الحضارة تمتاز بان كل مقوماتها الجوهرية تنبع من وحي رسالة السماء التى تمدها بالروح والقوة والتماسك . وتوجهها الى الموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهد المعطل للعمل وعن المادية الجامحة الفاسدة

فالحضارة الاسلامية :

1 — في نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله وافراده بالعبادة والتعظيم والتمسك بما شرع من آداب السلوك والمعاملة .

2 — وفي نظامها السياسي تقوم على الشورى والنزول على راي الجماعة والمساواة بين الناس واحترام حقوق الانسان والتزود بكل اسباب القوة والمنعة ، والدفاع عن مقدسات العقيدة والوطن .

3 — وفي نظامها الاخلاقي تقوم على خلوص النية ونقاء الضمير والتمسك بقيم الخير والحق والتزام الاداب الفردية والاجتماعية التى تسير بالانسانية الى الكمال والتقدم

4 — وفي نظامها الاجتماعي تقوم على الاسرة المتماسكة القائمة على ركائز من المودة والرحمة والاخلاص والاحترام والتعاون والتعارف . وقيام كل راع بمسئوليته .

5 — وفي نظامها الاقتصادي تقوم على تبادل المنافع واتخاذ المال وسيلة لا غاية واحترام الملكية الفردية .

6 — وفي نظامها التشريعي ، تقوم على اصول رئيسية واسعة . وقد تمثلت هذه الناحية في ثروة من الفقه الاسلامي . تجلت فيها عبقرية الحضارة الاسلامية وتمثلت فيها حرية الاجتهاد الفكري .

7 — وفي نظامها الثقافي تعتمد على طلب المعرفة ايا كانت واستخدام العقل في كسب المعارف وتسخير الطبيعة لسعادة الفرد والجماعة . واعتبار الثقافة ايا كان مصدرها ومهدها تراثا عاما للانسانية .

8 — وفي نظامها الفكري تقوم على حرية الفكر واستقلال الارادة . فلم تنهض العقول ولم تتحرك الا بعد ان عرفت ان لها حقا في طلب الحقائق

ونستطيع ان نصل الى ان الحضارة الاسلامية:

1 — وصلت بين قديم الحضارات وجديدها بما حفظت من تراث الاقدمين وما اضافت اليه من صنع عبقريتها المبدعة الخلاقة .

2 — انقذت العالم القديم مما كان يعيش فيه من فوضى وانهيار واضطراب في الحضارات واستعباد وظلم اجتماعي .

3 — اعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد في اسمى صورها ومجتمعا جديدا يقوم على التعاون والتسامح والحرية والتعايش السلمي بين الجميع

4 — اعطت الانسانية ذخيرة حية ضخمة من المعارف افاد منها الغرب في عصر الاحياء والنهضة ، واعتمد عليها العالم الاسلامي في يقظته الحديثة وفي بناء نهضته المعاصرة .

5 ـ وضعت بعض اصول المنهج العلمي الحديث كطريقة الشك عند الغزالي والاحاطة بجميع جوانب الموضوع ايجابا وسلبا . ولقد جاء في رسائل اخوان الصفا دستور علمي ينحصر في تسعة احكام . وهاهي كما جاءت في الرسالة السابعة :

السؤال الاول هل هو :
يبحث عن وجود الشيء او عن عدمه

السؤال الثاني ما هو :
يبحث عن حقيقة الشيء

السؤال الثالث كم هو :
يبحث في مقدار الشيء

السؤال الرابع كيف هو :
يبحث عن صفة الشيء

السؤال الخامس اي شيء هو :
يبحث عن واحد من الجملة او عن بعض من الكل

السؤال السادس اين هو :
يبحث عن مكان الشيء او عن رتبته

السؤال السابع متى هو :
يبحث عن زمان كون الشيء

السؤال الثامن لم هو :
يبحث عن علة الشيء المعلول

السؤال التاسع من هو :
يبحث عن التعريف للشيء .

6 ـ فتحت للانسانية افاقا جديدة في البحوث الانسانية كفلسفة التاريخ والاجتماع عند ابن خلدون . وعلم البصريات على يد «ابن الهيثم» وابتدا مرحلة جديدة في تطور علوم الرياضة على يد « الخوارزمي » و « عمر الخيام » .

7 ـ ساعدت بآدابها على نهضة الاداب في اوربا وفتحت افاقا جديدة امام شعراء الغرب وكتابه .

8 ـ ساعد حلفاؤها وقادتها بسلوكهم الاخلاقي وبنماذج المروءة والشرف التي تحلوا بها على اشاعة المثل الاخلاقية الرفيعة مما كان قدوة لمن احتك بهم في السلم او في الحرب .

ولقد تلمست اوربا انها حضارة المسلمين العلمية فاستقت من روافدها المعرفة والفلك والجبر والهندسة والكيمياء والطب والفلسفة والزراعة وسائر انواع الفنون الحضارية وبنى رجال اوربا بما تعلموه في معاهد المسلمين بالاندلس وبما نقلوه من علوم اسس النهضة الحديثة التي ظهر نجمها في القرن الثامن عشر وازدهر في القرن التاسع عشر وتالق في القرن العشرين .

والاسلام بدعوته الى العلم هو الذي خرج رجال الحضارة وجهابذة العلم واساتذة الدنيا وعمالقة العلماء امثال :

ابن الهيثم والكندي والفارابي وابن سينا والبيروني والفرغاني والطوسي والبغدادي والدينوري والرازي والقزويني والانطاكي والزهراوي والغافقي والخوارزمي والصوفي وجابر والجاحظ وابن البيطار وابن النفيس وابن حيان وابن حمزة والادريسي والمسعودي وابن بطوطة وابن زهر .

وهذا **ابن الهيثم** (965 ـ 1039) يبحث في السهول والاودية ويجول فيها طولا وعرضا حتى يضع قواعد علم الضوء .

وابن الدجيلي يسهر على قمم الجبال العالية يحدق في الكواكب والنجوم ليحدد افلاكها ويعرف ابعادها ويقيس محيط الكرة الارضية بالاجهزة الدقيقة .

وابن النفيس يجري التجارب والاختبارات حتى يثبت ان الدم ليس سائلا مستقرا في الاوردة والشرايين المبثوثة في الكائن الحي . بل هو سائل متحرك يدور في جميع اجزاء الجسم وذلك قبل ان يكتشف (هارفي) الدورة الدموية بثلاثة قرون .

وابن مسكويه الذي يسبق فلاسفة اوربا وعلماءها بثمانية قرون في علوم الاخلاق والفلسفة والتهذيب والبيلوجيا .

وجابر بن حيان يحلل عناصر الطبيعة وتفاعل المواد المختلطة حتى يضع اصول علم الكيمياء ، وابن يونس يسبق العلماء في اختراع بندول الساعة (الرقاص) .

هذا كله في الوقت الذي كانت اوربا فيه تعيش في ظلمات الجهل والفوضوية والهمجية والتاخر ولم ينقذ اوربا من ورطتها التي كانت واقعة فيها الا نور

الاسلام وما زالت اسماء العلماء والمصطلحات التى اعطاها هؤلاء العلماء المسلمون لغرائب العلم ما زالت حية نابضة فى جتيع اللغات رغم ما نالها من تحريف وتغيير ، ولقد سجل التاريخ آيات هذه الحضارة العربية الاسلامية باعزاز كما شهد لها المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخيه الذين لا يبغون من بحوثهم ودراساتهم الا مرضاة العلم فى ذاته . والذين لا تسيطر عليهم العصبية الهوجاء والسطحية العمياء .

واننا نسوق الى العربي بعض النقول التى جاءت على لسان فلاسفة العالم والتى تشهد صراحة وضمنا لمجد الحضارة الاسلامية .

والواقع أن الاسلام ليس فى حاجة الى اقوال هؤلاء فهو قوي بذاته لكننا ناتي بها لما نراه من ان كثيرا من كتابنا ومؤرخينا يغمطون حق حضارة العرب. وان شئت بعبارة اقرب فقل انهم يجهلونها ولا يعرفون عنها الا النذر اليسير والى هؤلاء واولئك بعض اقوال كواكب الاستشراق والبحوث العلمية والدراسات الواسعة .

قالت الكاتبة الالمانية الدكتورة (سيجريد هونكه) ان هذه الطفرة العلمية الجبارة التى نهض بها ابناء الصحراء من العدم من أعجب النهضات العلمية الحقيقية فى تاريخ العقل البشري فسيادة أبناء الصحراء التى فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة وحيدة فى نوعها" وان الانسان ليقف حائرا امام هذه المعجزة العقلية الجبارة والتى يحار الانسان فى تحليلها وتكييفها .

وقالت ايضا : « وان أوربا تدين للعرب وللحضارة العربية وان الدين الذى فى عنق اوربا وسائر القارات للعرب كبير جدا »

وقال العلامة «كاربنسكي» ان الخدمات التى اداها العرب للعلوم لم تكن مقدرة حق قدرها من المؤرخين وان الابحاث الحديثة قد دلت على تعظيم ديننا للعلماء المسلمين الذين نشروا العلم بينما كانت أوربا فى ظلمات القرون الوسطى.

وقال الفيلسوف الفرنسي « الكسي لوازون » : خلق محمد للعالم كتابا هو آية البلاغة وسجل للاخلاق وكتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثا او المكتشفات الحديثة مسالة تتعارض مع الاسس الاسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القرءان والقوانين الطبيعية .

وقال العلامة « دريبر » المدرس بجامعة (هارفارد) بامريكا فى كتابه (المنازعة بين العلم والدين) : « ان اشتغال المسلمين بالعلم يتصل باول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة 638 ميلادية اي بعد موت محمد بست سنوات ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استانسوا بجميع الكتب العلمية وقدروها حق قدرها .

ولو اردنا ان نستقصي كل نتائج هذه المعركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا واوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم .

« ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذى نالته الصناعات فى عصرهم فقد استفادت منها فنون الزراعة فى اساليب الري والتسميد وتربية الحيوانات وسنن النظم الزراعية الحكيمة وادخال زراعة الارز وقصب السكر والبن وقد انتشرت معاملهم ومصنوعاتهم لكل من انواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن . وكانوا يذيبون المعادن ويجودون فى عملها على ما حسنوه وهذبوه من سبكها وصنعها واننا لندهش حين نرى مؤلفاتهم من الآراء العلمية وما كنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر .

ويقول فى مواطن اخرى : « ان جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الاوربيين الذين نزحوا اليها من بلادهم لطلب العلم وكان ملوك اوربا وامراؤها يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها .

وقال العلامة « سديو » فى كتابه تاريخ العرب :

« كان المسلمون فى القرون الوسطى منفردين فى العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها اينما حلت اقدامهم وتسربت عنهم الى اوربا فكانوا هم سببا لنهضتها وارتقائها . وقال العلامة « جيبون » المؤرخ الإنجليزي :

« كان من اثر تنشيط الامراء المسلمين للعلم أن انتشر الذوق العلمي فى المسافة الشاسعة بين سمرقند وبخارى الى فاس وقرطبة» ويروى عن وزير لاحد السلاطين انه تبرع بمائتي الف دينار لتاسيس جامعة علمية فى بغداد ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا وكان عدد طلبتها ستة ءالاف لا فرق فيهم بين غني وفقير .

وقال « دريبر » : أول مدرسة انشئت للطب فى أوربا هي المدرسة التى اسسها العرب فى (بالرم) من

ايطاليا واول مرصد اقيم فيها هو ما اقامه المسلمون في اشبيلية باسبانيا وانهم رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا واوجدوا علوما اخرى لم تكن موجودة من قبلهم .

ولقد امتاز العرب في الجمع بين فروع العلم والادب وفاقوا غيرهم في هذا الميـدان ومن يطلـع على كتب محمد بن موسى الخوارزمي يجد ان المؤلف جمع بين الجبر والادب .

وانظر الى كتـب البيرونـي تجـد ان الادب والرياضيات اجتمـعا متعانقيـن .. قـال العلامـة «درابرا» : « لقد كان تفوق العرب في العلوم ناشئا من الاسلوب الذى توخوه في مباحثهم وهذا الاسلوب هو الذى اوجب لهم الترقـي الباهـر في الهندسة والمثلثات .

وقال الكاتب الهندي « فسواني » : التهذيب العربي هو الذى انشا في آسيا واوربا نشاة جديدة وانسـانية جديدة .

ان هذه الاقوال التى جاءت على لسـان علمـاء افذاذ لمرضاة العلم في ذاته تشهد صراحة وضمنـا وجملة وتفصيلا لحضـارة المسلميـن ومدى فاعلية الحضارة الاسلامية الانسانية التى لمست الانسانيـة فيها معاني السيـادة ومسـت القلـوب فيها معانـي السـعادة واعتلت في ظلها صروح المجد .

هذه الحضارة ستظل خالدة خلود الابد باقية بقاء الدهر مدوية دوي الآذان لا ينضب لها معين ولا ينتهي لها مدى ولكن ذلك رهين برجـوع العرب الى منابع عزهم ، هذا واذا كانت الحضارة الاسلامية لها من الدعائم والركائز المشرفة ما وصل بهـا الى ذروة ما قدر للانسـانية من التقدم ولها من التعاليم والقيـم والآداب ما يسـمح لها ان تكون لها فلسـفتها الخاصـة بوجودها .

فهل يمكن لهذه الحضارة ان تعود الى اشراقها من جديد فتساهم في اعطاء الحضارة الانسانية ذخيرة من القوة والقدرة .

الحقيقة التى لا يسوغ انكارها أن آداب وتعاليم الاسلام كفيلة بان تجعل العالم الاسلامـي في وضـع يسمح له بان ينمي فلسـفته الخاصة به والتى تنبع من الفكر الاسلامي . ويتضـح ذلك مـن الحقائـق التاليـة :

اولا ـ ان العـالم الاسلامـي يشمـل منطقـة جغرافية تمتد من المحيـط الباسفيكـي شرقـا الى المحيط الاطلسـي غربـا . مجتـازة جاليـات ودولا اسلامية ذوات طاقات بشرية واقتصاديـة وعقليـة وحضـارية لا حدود لهـا ومنطقـة العالـم الاسلامي تتميز بأنها :

1 ـ تقع من العالم موقـع الحـزام من جسـم الانسـان . بعيدة عن القطبين ومسالمة من الاعاصير والطوفانات والثلوج والبراكيـن. ولها دفء معيـن يساعد على تنوع الحاصـلات الزراعيـة وتناسل الحيوانات البرية .

2 ـ وانها تمتلك من شواطىء البحار الكبيـرة والصغيرة ما يمكنها من الاشراف على عدد كبير من اعظم موانئ العالم كما بها من الانهار والمنابـع مـا يجعلها من اخصب المناطق واكثرها ازدهارا ونماء .

3 ـ وان فيها من موارد الحضارة كالماء والنفط والمعادن والحاصلات الحيوانية والزراعية ما يمكنها من اغناء الحضارة الانسانية وزيادة الامن والرخاء.

4 ـ وبها من مواطن السياحة ما يرقى بها الى اسمى ما قدر من التقدم والسمو والمجد والسؤدد .

5 ـ وان التجانس المذهبي بين سكان العـالم الاسلامي يجعل المنطقـة في منـأى عن الانشقـاق الملحوظ في المذاهب الاخرى ويقرب بينها ويحفـظ وحدتها ويزيدها تفاعلا وتفتحا وتقدما .

وتلك امور تجعل العالم الاسلامي قوة ايجابية مهيبة الجانب مخطوبة الود . يتهيب العدو بأسـه ويخشى سلطانه وتجعله ايضا مهيأ للاسهام في بناء الحضارة الانسانية واعـادة صنـع الحيـاة وانقاذ البشرية من الهوة السحيقـة المترديـة فيها ووهدة الفوضوية والاباحية والاستعمار والالحاد .

ثانيا ـ واذا انتقلنـا من الحديث عن الناحيـة الجغرافية والموقع وما لهما من خصائص ومميـزات وما لهما من كنوز وخيرات الى الحديث عن الاسلام نفسه فاننا نجد انه دين العقيدة الحيـة الصحيحـة التى جاءت وقت بلـوغ العقـل البشري طـور رشده وكماله وتفتحه .

العقيدة التي تقر التوحيد الخالـص والتنزيـه البالغ ارقى صوره واشكاله عقيدة ترفـع من قيمـة الانسـان لانها تصله بالله الواحد الذى لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعـاله . « قل هو الله

احد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا احد » .

ولا تبيح تلك العقيدة الاسلامية للانسان ان يتعلق بالمخلوقات او يدعو ويعبد غير الخالق الذى أبدع وفق حكمته جميع ما يشاهد ويحس « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » . والاسلام من جهة اخرى دين اجتماعي يراعي حاجة الانسانية ومصالحها الحيوية فى حدود الحق والفضيلة وباعتبار انه دين توحيد واجتماع امكن للاسلام ان يقيم المجتمع على اسس القيم الاخلاقية العليا وان يرضي مطالب الروح والجسد حتى ترافقا فى اعتدال وكونا حقيقة الانسان المهذب والمؤمن الكامل .

وبالجمع بين السمو الروحي والتهذيب الاجتماعي امكن للاسلام ان ينتشر فى اركان الدنيا بالعدل والحق والاخلاق وسمو المبادىء .

والاسلام وليد العقيدة الرائقة الرائعة التي تطهر النفس وتذكي القلب وتربي الخلق وتغذي العقل وتوقف الغريزة عند حدها وتعطي كل مطمع من مطامع الانسان معناه الذاتي وسيره الطبيعي .

والعقيدة الاسلامية : عقيدة استعلاء من اخص خصائصها انها تبعث فى روح المؤمن بها الاحساس بالعزة من غير كبر وروح الثقة فى غير اغترار وشعور الاطمئنان فى غير تواكل .

ثالثا — ان الاسلام متصل بشؤون الحياة والحكم والفكر ، والاسلام قادر بطبيعته الذاتية على مواجهة تطور الازمان واختلاف البيئات والمجتمعات ، وله من القدرة والقوة ما يمكنه من التباور والتناسق بحيث لا يتوقف ولا يجمد ولا يتعارض مع طبائع الامم فى حركتها الداخلة الممتدة عبر العصور .

والاسلام ينظر الى الحياة نظرة كاملة وشاملة ويتدخل فى جميع شؤونها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبالاضافة الى انه دين يهتم بالجانب الروحي من الانسان ويريد منه ان يتحمل الخلافة فى الارض بأمانة وقوة وحزم وعزم . نادى الاسلام بامانة وقوة وحزم وعزم . نادى الاسلام بالحرية والاخاء والمساواة ورسم وسائل تحقيقها واقام موازين الحق والانصاف والعدالة ودعا الى التعاون والتبادل والمودة والالفة .

ويمكن ان نقول بعبارة أوجز : انه ما من شيء يهم الانسانية ويشغل بالها ويأخذ قسطا من عنايتها الا وله فى الاسلام هدى وبيان واهتمام وما من شيء يلامس حياة الناس أو يتعقبها الا وله فى الاسلام عرق ينبض وأصل عريق .

ولقد اكتملت قوة الاسلام بوحدة العقيدة وجامعة اللغة العربية واشتراك المجتمع فى مظاهر العبادات والعادات والتقاليد زيادة على توحيد الاهداف والغايات من الحياة .

رابعا — ان تعاليم الاسلام الغراء صالحة لكل زمان ومكان وفى الاصلاح الاسلامي من كليات وجزئيات ما هو كفيل بقيام مجتمع انساني تسوده روح الصدق والمحبة والتعاون والبر والوفاء والاخلاص ولكن ذلك رهين برجوع المسلمين الى منابع عزهم ومجدهم والتمسك بأسمى القيم الاخلاقية الاسلامية والعمل بتلك القيم والاسترشاد بالتعاليم الحية النابعة بالسمو والمليئة بالجدوات المتقدة التي لا يخبو ضوءها .

قال الدكتور جورج سارطون : « ان المسلمين يمكن ان يعودوا الى عظمتهم الماضية والى زعامة العالم السياسية والعلمية — كما كانوا من قبل — اذا عادوا الى فهم حقيقة الحياة فى الاسلام والعلوم التى حث الاسلام على الاخذ بها . »

وقال العلامة دامبري : « ان روح نظام المسلمين هو الدين والذى احياهم هو الدين والذى يكفل سلامتهم فى المستقبل هو الدين ليس الا » .

ويرى الدكتور فيليب حتي : « ان الشرق الاسلامي هو اليوم فى مطلع دور جديد فى حياته العلمية كما انه فى فجر طور جديد فى حياته السياسية وهو دور يمكن ان نسميه دور الابداع والابتكار ضمن اطار الميراث الخالد من القيم الدينية والادبية . ولنا ان نتكهن ان ابناء الثقافة الاسلامية على اختلاف بيئاتهم سيقومون بقسطهم فى خدمة المدنية والانسانية » .

والدكتور سمث استاذ ورئيس قسم الديانات بكلية ووستر بولاية اوهايو يرى انه لو امكن اثارة التماسك الاسلامي فى سبيل اغراض ايجابية وتكتيل الامم الاسلامية الكثيرة المختلفة فى وحدة حية لامكن ان تصير هذه الوحدة قوة ايجابية فى العالم ..

(يتبع)

نقد الكتب

الدكتور ممدوح حقي

«خبير في المكتب الدائم»

امامي الآن ثمانية دواوين لثمانية شعراء من الكويت . وقد قرأتها جميعا بلهفة لاني ما كنت أتصور ان هذه الدولة العربية الصغيرة بحجمها ، القليلة بعدد سكانها ، قادرة على ان تنتج مثل هذا العدد الضخم من الشعراء ، في مثل هذه الفترة القصيرة من الزمن، ولو كان في المجلة متسع لنقدها وتقريظها تفصيلا لفعلت ، وانها لجديرة بذلك ، ولكنني مضطر الى عرضها مجملة ، تعريفا بها ، ولئلا يفوت قراءنا العلم بالنهضة الادبية المتوثبة في هذا القطر الحبيب .

ولاحظت ان ثلاثة من هذه الدواوين أنشئت باللهجة الكويتية ، ويسمونها هناك « **اللغة النبطية** » فهمتها كلها ولم يفتني منها الا القليل النادر ، وهذا ما يؤكد لي بأن اللهجات العربية، مهما تباعدت الاقطار فيما بينها ، هي متقاربة جدا سواء بمفرداتها أم بتراكيبها . كما اني لاحظت ارتقاءها بمستواها عما كنت اعهده فيها قبل بضع سنين ، وهذا دليل واضح على الاتجاه الطيب الذي تتجه اليه اللهجات العامية في جميع بلاد العرب نحو اللغة الفصحى . ومع اني اعجبت بشاعرية اصحاب هذه الدواوين الثلاثة ، السادة : **وليد جعفر في « آهات قلبي » وعبد الله عبد العزيز الدويش ، وصقر النصافي** ، فاني لا أراه أكثر من شعر محلي .

اما الدواوين الخمسة الاخرى ، فلغتها عربية فصيحة على تفاوت فيما بينها قليل

1 ـ ديوان صقر الشبيب 460 صفحة من القطع الكبير .

2 ـ نفحات الخليج ، عبد الله سنان محمد 260 صفحة من القطع الكبير .

3 ـ بيت من نجوم الصيف ، علي السبتي 172 صفحة من القطع الصغير .

4 ـ النور من الداخل ، محمد الفايز 260 صفحة من القطع المتوسط .

5 ـ الطين والشمس ، محمد الفايز 98 صفحة القطع الصغير .

اما الاول والثاني فشعرهما اتباعي النسيج ، البيت فيه شطران والقافية موحدة . الا أن موضوعاتهما متلاحمة مترابطة كأنها قصة ذات مقدمة وموضوع ونهاية ، وفي ذلك تفوق حسن على كثير من الشعراء الاتباعيين المعاصرين ، لولا ان لغتهما ليست من القوة بحيث تشبه لغة كبار الشعراء .

واما الثلاثة الاخيرة ، فقد سلكت طريق الشعر الحر ، اصابت في بعضه وضعفت في بعضه الآخر . وموضوعاتها على العموم رومانسية تذكرنا بشعراء النهضة الاوائل في لبنان وسوريا ومصر .

وفي طريقة العرض ميل الى الرمزية ، فديوان الطين والشمس مثلا ، يعرض الشاعر في كل صفحة ثلاثة أبيات ، واحيانا بيتا واحدا ، واحيانا صورة رمزية كرجل مصلوب ، او رجل عريان قاعد على راس تل وفوق راسه غراب ... وكلها من الرسم القريب من السريالي . والديوان كله يقرأ بنحو نصف ساعة!!

الا ان شاعرية هذا الشاب قد تستوقفك احيانـــا للتأمل والتفكر .

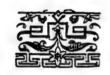
واحب ان اشير هنا الى كتابين آخرين تلقيناهما من الكويت كذلك هما :

1 ـ دراسات كويتيـة — فاضـل خلـف
154 صفحة من القطع الكبير .

2 ـ ادباء الكويت فى قرنين — خالد سعود
288 صفحة من القطع الكبير .

وهما كتابان جيدان يوضحان كثيرا مما غمض فى تاريخ الكويت الادبي ، ويشرحان كثيرا مما تعقد على الدارس فهمه. وقد اتكأت عليهما وساعداني مساعدة مجدية فى تفهم شعراء الكويت نصيحهـم ونبطيهـم .

اما الكتاب الاخير الذي وقفت عنده كثيرا على صغر حجمه (93 صفحة من القطع الصغير) فهـو « **مقالات عن الكويت ، لاحمد البشر** » فقـد عـرض جزءا من تاريخ الكويت الادبي القديم وجلا ناحية لم يسبقه اليها احد : اثبت بأن **جبل كاظمة** الذي دفـن فيه غالب بن صعصعة والد الفرزدق ، ما هو الا المكان المسمى الآن «**امغيرة**» قرب الجهراء. وان «**الفرزدق**» نشأ بين قومه هناك ، وانه كان يثوب اليه بعد كـل سفر . وعلى هذا **فالفرزدق سيد شعراء بني اميـة الاوائل ، ما هو الا شاعر كويتي** ، واذا لم يكن للكويت من فخر فى تاريخها الادبـي الا انهـا انجبـت مثـل الفرزدق لكفيت بذلك فخرا .



الموسيقى لغة الروح

الأستاذ ابراهيم الدرويش المصري
مفتش التربية الموسيقية في سوريا

علي الدرويش علم من اعلام الموسيقى فى القطر العربي السوري .

يأخذ موقفنا من الموسيقى أوضاعا ثلاثة :

1 ـ نستمع اليها كوسيلة للترفيه والطرب ، والاستماع الفني .

2 ـ نبحثها كعلم وفن وصناعة ومهنة .

3 ـ نبحثها فى أثرها العام كثقافة وتذوق وتوعية وتوجيه ، وفى أثرها التربوي الخاص ، وهو ما يهمنا فى هذه الكلمة .

الموسيقى فن رفيع بل لعله أرفع الفنون . هي لغة الروح المجردة عن المادة ، المنطلقة من سلاسل الحياة وقيودها . هي لغة نبيلة تستطيع ان تأنس اليها كل روح ويطمئن اليها كل قلب لانها **الصدى الذي يعبر عن مشاعر لا تستطيع لغة الكلام ان تجاريها فيها.** وارتباط الموسيقا هذا الارتباط الوثيق بالعاطفة الانسانية يجعل تأثيرها أمضى وأكثر من غيرها من الفنون الجميلة فى توجيه الروح والقلب وفى تفتح الطاقات وتفجيرها ، كخطوة أولى فى سبيل توجيه الفكر البشري .

لان تأثير الموسيقى لا يزول بتأثير النفحة واللحن المنبعث عن الآلة الموسيقية أو عن الحنجرة البشرية ، اذ انها تنقل المشاعر الى عالم جميل علوي يستسيغه العقل ويعمل فيه بحرية وحيوية .

ولما كان التفكير يتأثر بالمؤثر الخارجي وبالظروف الآنية التي ينشط فيها ، فان النتيجة التي يصل اليها فى حالة التأثر بالموسيقى ، هي نتيجة لا شك انها من مقومات الفهم التام والجمال المجرد الذي يتجه ناحية الخير .

ولم يعد أثر فن الموسيقى محصورا فى اطراب الاذن واشباع الحواس ، كنوع من الترف والكماليات كما كان شأنها فيما مضى ، بل تعداه الى تأدية خدمات جليلة فى كل ميدان من ميادين التربية والمادة والمجتمع .

وكانت الحرب العالمية الاخيرة اختبارا قويا لقيمة هذا الفن فى ميادين عدة كالتوعية والتوجيه والترفيه .

ولقد أدت الموسيقى دورها من قديم كوسيلة للدعاية المثمرة . فقبل قرن مضى تقريبا كانت « بولونيا » لا تعدو كونها أمة مستعبدة تتناوب حكمها دولتان قويتان ، روسيا والمانيا وكانت أخبار كفاح شعبها الباسل ـ نظرا لتأخر وسائل المدنية آنذاك ـ تصل مشوهة لا تلفت ولا تثير الا عطفا وقتيا . لقد أخفقت السياسة وفشلت الدعاية فى لفت أنظار العالم الى نصرة بولونيا الجريحة ولكن الموسيقى نجحت فيما أخفقت فيه جميع الوسائل ونجح موسيقى فى استدرار العطف على أمته واثارة ضمير الانسانية فى صالح بلاده. فقد صور شوبان فى مقطوعته(البولونية)

كفاح شعب جريح وصور فى ألحانها نداء الحق المهضوم فاذا بهذه المقطوعة الموسيقية تسدي خدمة لم تسدها السياسة قط الى شعب مناضل مكمم . وتحررت بولونيا لان موسيقى (شوبان) قد حركت الضمير البشري .

وعندي أكثر من مثال على أن **الموسيقى تستطيع** باشراف الدولة **أن توجه الجماهير والشباب والاجيال فى التربية والتوعية الهادفة** ، توجيها كليا .

مثالنا على ذلك موسيقى (فاكنر) الالماني التي أدت دورا هاما فى حياة المانيا ، فقد أوحت مقطوعاته الى الشعب الالماني روح النضال والكفاح فى سبيل البقاء والاتحاد ، وكانت عاملا قويا فى تكوين المانيا أيام حرب السبعين ، ثم استخدمت ثانية فى النهوض بالمانيا بعد هزيمتها فى الحربين العالميتين الاولى والثانية فقد ادخلت فى البرامج الدراسية وفى الشهادات العامة وبثت فى نفوس الشعب الالماني فوجهته الىالتفاني فى محبة الوطن والقومية وخدمت اغراض السياسة أيضا .

وقس على ذلك نشيد (المارسيلياز) الذي كان من عوامل حماية الثورة الفرنسية وقد الف كلماته ولحنه الثائر (روجيه دي ليل) . واناشيد معركة بور سعيد العربية عام 1956 واخص بالذكر نشيد (الله أكبر) ، ثم بعض اناشيد الثورة فى الجمهورية العربية السورية . وهناك امثلة لا حصر لها .

ولم يقتصر عمل الموسيقى على الميادين الروحية بل تعدتها الى الميادين العملية ، اذ ان استخدامها فى المصانع خلال الحرب الاخيرة وما بعدها ، قد أدى الى زيادة الانتاج زيادة كبيرة ملحوظة .

ولا أغالي اذا قلت بأن الدول الكبرى كالولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي ومعظم الدول النامية واخص بالذكر سويسرا التي ظهر فيها المربي (جاك دلكروز) مؤسس **مدرسة التعليم والتربية الموسيقية** عام 1913 – كانت سباقة فى ادخال الموسيقى كوسيلة من وسائل التربية ، فقد أثبتت الاختبارات العلمية الدقيقة أن **الموسيقى تلعب دورا هاما فى تكوين شخصية ونفسية الطفل فى سنيه الاولى وفى دور المراهقة والشباب أيضا** .

ولذا اصبحت **الموسيقى من مقومات الحضارة الحديثة** كعلم وفن وصناعة ومهنة ووسيلة خطيرة من وسائل الدعاية والتوجيه والتوعية والتربية والتعليم.

كما أن الموسيقى تريح العقل كما يريح الاستجمام الجم لمابثه من نشاط فكري نشاهد أثره واضحا جليا فى تفكير الطفل وزيادة قابليته للفهم والاستيعاب.

وهكذا نلمس للموسيقى آثارا ثلاثة فى التربية:

1 – أثرها فى التوجيه والتربية العامة للشعب .

2 – أثرها فى تربية الروح القومية والمحبة للانسانية .

3 – أثرها التربوي فى المدرسة .

لهذا كان لا بد لنا اذا ما أردنا أن نقوم على تربية جيل جديد يتوقف عليه ازدهار شأن امتنا **أن نأخذ بعين الاعتبار مسألة ادخال الموسيقى بصورة جدية فى وسائل التربية كعنصر أساسي للتربية النفسية والخلقية وتقريرها فى مناهج التعليم العام بجميع مراحله** واعتبارها فى الشهادات العامة ، والعمل على افتتاح المعاهد الموسيقية لرعاية الموهوبين والمعاهد الشعبية لتثقيف الهواة ، وتنظيم الامور الموسيقية والعناية بها باخلاص ونزاهة فى كل من الاذاعة والتلفزيون . على أن يكون هدفنا دوما توجيه فن الموسيقى توجيها سليما للتأثير على عقلية رجال ونساء الغد بما فيه دعم بناء الامس .

وارى أن تكون الموسيقى قطعة من حياة الطفل ذكرا كان أم انثى وخاصة فى مرحلة رياض الاطفال والتعليم الابتدائي ، وارى أن تربى غرائز الطفل ونفسيته تربية موسيقية وخلقية قويمة بتوجيه فني تربوي ، يستطيع أن ينفذ الى مشاعره ويسمو بها .

وبهذا تسهل مهمة المربي والمربيةلان الموسيقى أداة فعالة فى تدريب عقلية الطفل وتهذيب نفسيته وتوسيع مداركه فى الطريق التي ترسمها قواعد التربية .

ولنضرب مثلا للمجهود العربي فى هذا المجال بحياة علم من الاعلام الموسيقى فى القطر العربي السوري **هو الاستاذ علي الدرويش** : فقد ولد وتوفي فى حلب 1884 م – 1952 م .

كان جده الاكبر من أصل مصري عربي ، خلف ولدا اسماه ابراهيم ، كان ابراهيم هو والد علي الدرويش يشتغل بتجارة الاقمشة وقد نشأ نشأة عصامية دينية ، تعلم القراءة والكتابة فى الكتاتيب

والمدارس الدنية وكان ذا صوت حسن ومن اتباع الطريقة المولوية «التكايا المولوية » فى المعهد التركي العثماني ، فكان لذلك اثر كبير ورثه عنه ابنه الصغير علي ، وعندما كان الفتى الصغير علي يدرس في المدرسة الاشرفية الابتدائية ، ينتهز العطل المدرسية وخصوصا أيام الجمعة ليزور والده فى التكية للاستماع الى حفلاتهم الخاصة ، فكان يستمع طويلا الى اناشيدهم وموسيقاهم الصوفية ويعجب بها ومن هنا نشا تعلقه بالموسيقى وشغفه بها .

انس شيخ التكية « عامل جلي » بالشاب علي صوتا جميلا وميلا قويا للموسيقى فاوكل اليه مهمة اداء الاذان في شهر رمضان .. ثم طلب من والده ان يلقنه الحان الطريقة المولوية واغانيهم كي يشترك ابنه علي فى حفلاتها وكانت تضم جدران التكية المولوية فى ذلك الحين « عثمان بك » الملقب « كجوك عثمان » مؤذن السلطان عبد العزيز سابقا الذي نفاه السلطان عبد الحميد عند توليه الحكم وعلى يدي « عثمان بك» تلقى علي دروسه الاولى فى مبادىء الموسيقى وقواعدها الاولية . ثم زار مدينة حلب فى هذه الفترة من الزمن موسيقار تركي من اشهر نافخي « الناي » يدعى « شرف الدين بك » وقد اخذ عنه علي الشاب دراسة النفخ بالناي ؛ وفى تلك الاثناء كان يجمع ما بين دراسته فى المدرسة اثناء النهار ودراسته الموسيقية فى التكية اثناء الليل . وعندما انهى دراسته الابتدائية التحق بالمدرسة العثمانية للعلوم الدينية سابقا وهي « الخسروفية » والكلية الشرعية حاليا وكان من اساتذتها المرحوم الاستاذ الكبير الشيخ بشير الغزي . وعندما انهى دراسته فى هذه المدرسة بعد اربع سنوات كان ما زال منكبا على دراسته الموسيقية وقد لقب بالشيخ علي لتقدمه فى الفن الموسيقي على اقرانه وتفوقه فيه ، ثم لدراسة فى المدرسة العثمانية ولقب بالدرويش ايضا لانتسابه الى الطريقة المولوية فاطلق عليه الشيخ علي الدرويش ، وكان يطلق عليه ايضا « علي دده » بالتركية لانتسابه الى الطريقة المولوية . لذلك فقد اتقن هذا الشاب اللغتين العربية والتركية وعمره لا يتجاوز الثانية عشرة .

وقد عينه بعد ذلك شيخ التكية (عامل جلبى) فى وظيفة (قدوم زادباشي) رئيس جماعة الموسيقيين فى « المطرب » وهو المكان الذي كان يجلس فيه جماعة العازفين والمغنيين اثناء حفلاتهم الخاصة ، وبقي فى هذا العمل زهاء عشرة اعوام متوالية ، كان خلالها دائم البحث والتنقيب عن أصول الموسيقى ودقائقها بصورة عامة والموسيقى والالحان والمؤلفات العربية التركية بصورة خاصة . لذلك فان الشيخ علي تاثر كثيرا بأساليب والحان الموسيقى التركية التي طعم بها الموسيقى العربية بمؤلفاته والحانه، وقد لحن عددا كبيرا من الالحان باللغة العربية ومن الالحان الآلية كالبشارف والسماعيات ؛ ومن الالحان المولوية باللغة التركية وهي الحان مطبوعة بطابع الخشوع والوقار والمعروفة باسم « آيين شريف » ومن الحانه آيين كرديلي حجاز كار وغيره ..

رحل الشيخ علي رحلته الاولى من حلب الى امارة المحمرة فى ولاية البصرة وقد ارسل فى طلبه امير المحمرة على راس فرقة موسيقية غنائية وذلك بعد ذيوع شهرته خارج البلاد السورية،وعندما سافر الى المحمرة كان عمره حوالي السابعة والعشرين عاما بعد أن استقال من وظيفته فى المولوية نهائيا . وكان تاريخ سفره الى المحمرة وعودته منها ما بين عام 1912 الى عام 1914 م . وقد عاد الى بلده حلب فى بداية الحرب العالمية الاولى لقد امضى فى ضيافة (الامير خزعل) سنتين كان فيهما موضع حفاوته واكرامه مع اعضاء فرقته الموسيقية .

انتهز فرصة وجوده فى تلك البلاد فزار البصرة وبغداد وطهران ومنها سافر الى الهند وحل فى كراتشي وبومباي ثم قفل راجعا الى حلب ابان الحرب العالمية الاولى أيام حكم السلطان رشاد كما ذكرت.

وفى عام 1914 حتى عام 1923 م . سافر الى البلاد التركية قاصدا استنبول بصحبة شيخ تكيه حلب « عامل شلبي » وهناك فى استنبول اتم الشيخ علي دراسته العالية فى الموسيقى فى معهد « دار الالحان » الشهير . وقد عين بعد ذلك مدرسا للموسيقى فى مدنة « قسطمونى » وهي مركز ولاية قسطمونى الواقعة شمالي تركيا قريبة من شاطىء البحر الاسود . وقد الف فى مدينة قسطموني فرقة موسيقية نحاسية اعضاؤها من طلبة المدارس الثانوية ودور المعلمين والصنائع والميتم الاسلامي كانت هذه الفرقة تعزف فى المناسبات الرسمية وغيرها . وكانت اقامته فى مدنة قسطمونى تسع سنوات تزوج خلالها من هناك .

وقد انجز فى هذه الفترة كتابا فى دراسة الموسيقى من تاليفه فى خمسة الى سبعة ابواب .. ثم

عاد بعد ذلك الى مدينة حلب تاركا في قسطموني اجمل الذكرى وخلف عددا من التلاميذ اصبحوا اساتذة من بعده .. وعندما عاد الشيخ علي الى اهله وذويه في حلب كانت سوريا حينذاك تحت الانتداب الفرنسي . مكث ثلاث سنوات الف خلالها الكثير من الالحان الغنائية والآلية..مثل سماعي عجم عشيران وسماعي نهاوند ولونغا فرحفزا وغيرها . وقد بحث في هذه الفترة عن الالحان العربية القديمة التى اشتهرت بها سوريا وخاصة مدينة حلب فجمع من التراث العربي الشعبي القديم وغيره ودونه وسجله بالعلامات الموسيقية الحديثة كالموشحات والقدود والادوار وفاصل « اسق العطاش » ورقص السماح مع تدون الحانها .

ثم انتسب عضوا عاملا الى نادي « الصنائع النفسية » وكان من اعضائه الاساتذة المرحوم شرف الدين الفاروقي والدكتور فؤاد رجائي والاستاذ سعد الدين القدسي مؤسس النادي وغيرهم .

وفي هذه الفترة سافر على راس فرقة موسيقية الى استانبول ، نال هناك نجاحا باهرا ثم عاد مصطحبا معه عددا ضخما من الكتب والمؤلفات الموسيقية في شتى الفروع والاختصاصات في النغمات التركية والعربية وغيرها ، وفي عام 1927 م حتى عام 1931م رحل الشيخ علي الى القطر المصري ، بعد تسلمه دعوة رسمية من النادي الموسيقي الشرقي بمصر الذي اسس في القاهرة عام 1913 م . ذهب لتدريس الموسيقى هناك بعد ان اتفق اعضاء النادي المذكور الذي شمله الملك فؤاد الاول برعايته وعلى راسهم رئيس النادي مصطفى بك رضا ، على شراء كتاب مؤلف في الموسيقى للشيخ علي وتدريسه مدة اربع سنوات بصورة مبدئية على ان يكون للنادي الحق في نشر الطبعة الاولى من هذا الكتاب . وتعرف اثناء اقامته في مصر على كثير من الشخصيات الفنية وغيرها . ودرس عليه في هذه الاثناء بعض المشهورين الان كالاساتذة : محمد عبد الوهاب ، رياض السنباطي والسيدة ام كلثوم . وكان الشيخ علي يعود الى حلب خلال عطلة النادي صيف كل عام . وفي عام 1931 م اي قبل انعقاد مؤتمر الموسيقى العربية بسنة واحدة تعرف الشيخ علي في مصر بمستشرق انجليزي يدعى البارون ديرلنجيه والذي دعاه هذا الاخير للعمل معه في تونس لاتمام ابحاثه في الموسيقى العربية بعد ان اعجب بمقدرته الفنية ثم استحصل له من طريق النادي الموسيقي الذي كان يعمل فيه على اذن ملكي صادر في سراي راس التين بالاسكندرية في18 تشرين الاول عام 1931م. وذلك للسفر مع ديرلنجيه الى تونس للعمل معه على اتمام ابحاثه في الموسيقى العربيــــة .

وقد اشترك الشيخ علي في عام 1932 م . في مؤتمر الموسيقى العربية الذى عقد في مدينة القاهرة بدعوة ملكية رسمية . هذا المؤتمر المشمول بالرعاية الملكية والذي اشترك فيه نخبة من اساتذة الشرق والغرب ودام انعقاده قرابة شهر . سافر الشيخ علي الى تونس ومكث هنــاك مـن عــام 1931 م حتــى عــام 1939 اي حتــى بــدايــة الحــرب العالمية الثانية . عندمـا سافـر الى تونس عام 1931 م . كما ذكرت سابقا ومكث هناك عدة اشهر ، عاد الى القاهرة بعد ان طلب رسميا لمؤتمر الموسيقى العربية واثر انتهاء هذا المؤتمر سافر الى تونس صحبة البارون ديرلنجيه للعمل معه على اتمام ابحاثه ودراساته حول الموسيقى العربية بعد ان ترك القطر المصري نهائيا ، وبعد شهرين من وصوله الى تونس الخضراء ، تعاقد مع وزارة المعارف التونسيــة في معهدي العطارين والرشيدية لتدريس الموسيقــى . **فمكث في تلك الديار زهاء ثماني سنوات كان يطوف خلالها مع ديرلنجيه في جميع البلاد التونسية وشمالي افريقيا للبحث عن الالحان الباقية من آثار الاندلسيين الذين هاجروا قديما الى تونس والقيروان** واكثرهم من سكان قرطبة وغرناطة واشبيلية وقد كلفت هذه الابحاث البارون ديرلنجيه مبالغ طائلة ولكن الشيخ علي وفق اثناء ذلك الى **جمع وتدوين اربعة عشر « نوبة اندلسية » وعشرين ملحقا لهذه النوبات وجملة موشحات اندلسية** . وقد استطاع الشيخ علي الاحتفاظ لنفسه بنسخة من هذه النوبات والموشحات الاندلسية لتكون في حوزته .

وقد اسس الشيخ علي عند عودته الى مدينة حلب خلال العطل الصيفية مع رهط من اصدقائه من هواة الموسيقى حوالي عام 1934 م . ناديا موسيقيا لتدريس الموسيقى ونشرها باسم « النادي الموسيقي بحلب » وكان مقره وقتئذ في باب النصر، ثم انتسب عضو شرف في نادي « دوحة الميماس للموسيقــى والتمثيل » في مدينة حمص وكان في تلك الاثنــاء عضوا عاملا في حزب الكتلة الوطنية الذي كان يتزعمه الزعيم الراحل ابراهيم هنانو ضد الانتداب الفرنسي، فلحن الكثير من الاناشيد الحماسية والوطنية في مناسبات عديدة . فاذا ما انقضت العطلة الصيفية عاد الشيخ علي الى مقر عمله في تونس .. وقد عمل

ايضا في الاذاعة التونسية وقام من تونس مع بعض الاصدقاء برحلات الى اوربا وحضر بعض الحفلات الموسيقية لدور الاوبرا والسنفوني اذ كان يعجب جدا بتلك الموسيقى التي وصلت الى ما وصلت اليه في تطورها من الرقي والكمال .

وفي هذه الاثناء توفي البارون درلنجيه ماسوفا عليه بالنظر لخدماته الجلى للموسيقى العربية وقبل مغادرة الشيخ علي الديار التونسية انعم عليه باي تونس آنذاك بوسام الافتخار من الدرجة الثالثة تقديرا له على خدماته للموسيقى العربية في المملكة التونسيـــة .

وفي ابتداء الحرب العالمية الثانية عام 1939م قفل الشيخ علي راجعا الى وطنه تاركا آثارا طيبة واصدقاء وتلاميذ اصبحوا عمداء النهضة الموسيقية في تونس ومنهم الاستاذ صالح المهدي رئيس اللجنة القومية للموسيقى حاليا ، وعندما عاد الى حلب الف كتابا في الموسيقى بعنوان « النظريات الحقيقية في علم القراءة الموسيقية » .

وفي عام 1942 م . عين الشيخ علي عميدا ومدرسا في المعهد الموسيقي الشرقي بدمشق .

وفي عام 1944 م . سجل في محطة الاذاعة في القدس بفلسطين نخبة كبيرة من الموشحات القديمة ثم عمل مدرسا في معهد الفنون الجميلة في بغداد من عام 1945 حتى عام 1951 م . وقد سجل في اذاعة بغداد ايضا عدة تسجيلات من الموشحات القديمة وبقي هناك زهاء ست سنوات ، وفي عام 1946 م . كان الشيخ علي الدعامة الكبرى في تاسيس المعهد الموسيقي في حلب ولدى عودته الاخيرة الى الوطن عام 1951 م . عاد الى عمله السابق في المعهد الموسيقي ، هذا المعهد الذي اسسه المرحوم الدكتور فؤاد رجائي ثم عين الشيخ علي الى جانب عمله في المعهد مستشارا فنيا في دار الاذاعة السورية في حلب الى ان وافته المنية في مدينة حلب يوم الخميس المصادف في 12 ربيع الاول 1371 هـ . الموافق في 26 تشرين الثاني عام 1952م عن عمر ناهز الثامنة والستين وقد شيعت جنازته في حفل رهيب مشى فيها بعض الهيئات الحكومية وقد جاء خصيصا من اساتذة المعهد الموسيقي الشرقي بدمشق للاشتراك بتشييع جنازته الى جانب اساتذة وطلاب المعهد الموسيقي في حلب حشد كبير من الجمهور ، ودفن في مقبرة آقيول بحلب .

واورد هنا مقتطفات من قصيدة شعرية للشاعر التونسي محمود بورقيبة يمتدح بها ضيف تونس حينذاك المرحوم الاستاذ علي الدرويش عنوانها :
ـ رابطة الفن بين تونس وشقيقتها سوريا ـ

يقول الشاعر محمود بورقيبة :

لعمدة الفن اجلالي واعظامي
الى «العلي »الى ذي المركز السامي

الى الذي حل بالخضراء فاعترفت
من فنه علم اوزان وانغام

الى الذي كان يلقي من شبيبتها
دوما عواطف تقدير واكرام

الى ان قال :

« علي » بلغ لسوريا الشقيقة من
خضرائنا كل تبجيل واعظام

وعد لتونس يا استاذ عودة ار
هار الربيع لها في عذب تبسام

وانشر باجوائها لنا رفعت له
راسا كريما فاضحى شامخ الهام

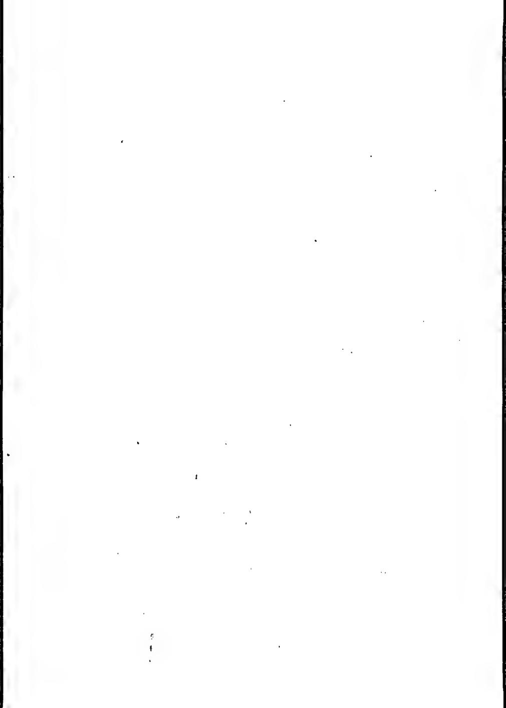
الى أن قال :

سر عمدة الفن نحو الشام وابق لنا
الذكرى العزيزة ذكرى خير ايسام

واحمل الى الشام من خضرائنا ارجا
عربون ود عميق بالحشا نامي

والشرق في صدره لا زال يجمعنا
والفن قد ربط الخضراء بالشام

المعلمة العربية



التحقيق العلمي

عند الدكتور مصطفى جواد

محمد ابراهيم الكتاني ، الأستاذ في جامعتي القرويين
ومحمد الخامس « المغرب الأقصى »

اوفد المكتب الدائم الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني ليمثله في حفل تابين المرحوم الدكتور مصطفى جواد ببغداد وقد القى الاستاذ باسم المكتب الدائم المحاضرة الآتيـــة :

ان الناظر في كثير من آثار الفقيد الدكتور مصطفى جواد رحمه الله ، — ولو كان معجلا ، يتجلى لـه بوضوح متانة ثقافته واتساعها وعمقها ، واطلاعـه الواسـع ، واستقلاله الفكري ، ومعرفته الكبيرة بالكتب

فهو ذو **ثقافة لغوية متينة** . شديد الحرص على سلامة **التعبير** العربي من المسخ والانحراف عن النهج السليم . وهو في نفس الوقت **شديد العناية بمسايـرة اللغة العربية لركب التطور** ، **ومواجهة المشاكل التي تعترض سبيلها** ، وهو اذا كان عارفا بالتراث معتزا به قادرا له حق قدره ، فانه في نفس الوقت يفرق عن معرفة واسعة بين ما هو من جوهر العربية وذاتيتها القائمة على اساس المقدسات التي لا تحتمل تطورا ولا تبديلا . وما هو من اجتهادات المجتهدين التي يحـــق لغيرهم ان يناقشهم فيها وان يدلي من جهته بتجربته الخاصة ، حسبما جرت عادة الباحثين في عصـــور ازدهار الفكر العربي . وهو بهذا **التفكير الاصيل المتحرر** في نفس الوقت ، **يواجه مشكلة المصطلحات** ومشكلات نحو العربية وصرفها : من الجمود وعدم الابـداع ، ويعني بالجمود اتباع قدماء النحويين في سرد القواعد من غير عرضها على كلام العرب وشعرهم الخالي من الضـرورة .

ويذكر من اسباب اختلال النحو اختلالا فاحشا فصله عما يسمى (علم المعاني) الذي كان من النحو، ومنها الاخذ من نحو البصريين دون الكوفيين ؛ مع ان مذهب البصريين مناف لطبيعة اللغات .

وفي (الصرف) يبين بطلان فكرة (المطاوعة) و (المصدر الصناعي / و (عدم النسبة للجمع) .

وفي مشكلة معجمات العربية ومفرداتها يذكر ان **اللغة العربية محتاجة الى معجمات تستوعب الفصيح وغير الفصيح ، والقديم والمولد ، والعربي والمعرب،** مما ورد في كتب المسلمين الى زمن انقطاع التاليـف المتقن .

فيذكر ان **الكلمة العربية لها قيمتان دائما ، قيمة معجمية لا حياة فيها ، وقيمة استعمالية حيوية،** وانك اذا تصفحت هذه المعجمات اللغوية المتداولة قلمـــا تجد الشواهد القرآنية لاستعمال الكلم مع انها اقـــدم الشواهد تسجيلا واصحها .

فالمعجمات ينبغي فيها ان تاخذ وجوه استعمـــال الكلمات في القرآن الكريم ، وتجب **دراسة القـــرآن** دراسة لغوية ودراسة نحوية عودا على بدء . ففي ذلك نعش للعربية من كبوتها وتقوية وتوسيع .

ويقرر ان **من اعظم ميسرات العربية علـــى طالبيها والكتاب الناشئين وضع (قواعد عامـــة) تغنيهم في كثير من الاحيان عن مراجعة المعجمـات** ، وقدم 16 قاعدة امثلة لما يقترحه من القواعد .

وكل هذا في مقدمة محاضراته عن (**المباحث اللغوية في العراق**) وقد اشار في اواخرها الى مؤلفاته في هذه الموضوعات : (**المعجم المستدرك**) الذي نشر منه شيئا في (مجلة المجمع العلمي العراقي تحت عنوان (**مبحث في سلامة اللغة**) و (المصبح النذير ، للمصباح المنير) و (**قل ولا تقل**) و (**فقه اللغة العربية**) على حسب مباحث العلم الحديث في المباحث اللغوية ، وقال : ان فيه مباحث من قبيل الابداع ، لا التحسين والاتباع ، (وكتاب القلب والابدال) قال : وتغلب عليه الجدة والاستنباط . و (نهج السداد ، في كلام النقاد) و (معجم الجمل العربية ــ الفرنسية) وحقق ونشر بالاشتراك (الجامع الكبير) لابن الأثير في البلاغة . وقد كان يعرف الى جانب العربية والفرنسية الفارسية والالمانية.

وهو كذلك ذو **اطلاع واسع في التاريخ** وفروعه المختلفة من تاريخ الحوادث والتراجم والحركة الفكرية ووصف البلدان واقوال الرحالين والادباء في ذلك .

وقد نشر في هذه الموضوعات كثيرا من المؤلفات والبحوث والدراسات ، وحقق كثيرا من المخطوطات

مثل دراسته عن (ابن الفوطي / وعن (بقية الادارسة بمصر) ، وعن (أصفهان ، معقل الادب العربي في ايران) و (معجم مواضع واسط واعيان واسطيون من حملة العلم والاثر) و (الثقافة العقلية والحال الاجتماعية في عصر ابن سينا) و (الفتوة واطوارها واثرها في توحيد العرب والمسلمين) و (جاوان القبيلة الكردية المنسية ومشاهير الجاوانيين) و (علم ابن النديم باليهودية والنصرانية) وكلها نشرت بمجلة المجمع العلمي العراقي ، و (سيدات البلاط العباسي)

كما نشر بالاشتراك (دليل خارطة بغداد) وحقق وعلق ونشر (الجزء التاسع من الجامع المختصر) و (نساء الخلفاء) كلاهما لابن الساعي . و (تكملة اكمال الاكمال) لابن الصابوني ، و (المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي) والقسم الرابع من (تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي) . وهذه الآثار ــ وغيرها ــ من آثار الفقيد الى جانب كونها تدل على سعة ثقافية وتنوعها وعمقها واصالتها ، تتسم في الغالب بطابع التحقيق العلمي ، من جهة .

وتدل من جهة أخرى على ما كان يتصف به الفقيد من الكثير من اخلاق العلماء، من **التثبت والتحري والدقة في التعبير** ، وعدم القاء الكلام على عواهنه ، **والعفة في المنطق** ، والتواضع وعدم الدعوى .

وكما يتجلى فيها بوضوح **شغفه الكبير بالكتب** ومعرفته الواسعة بمطبوعها ومخطوطها ، والصحيح والسقيم من طبعاتها ، وما هو منسوب خطا لغير مؤلفه ، ومن هو مؤلف بعض من جهل مؤلفه منها وما هي قيمتها ، وما هو تام منها وما هو ناقص، والموجود منها وأمكنة وجوده ، وما هو مجهول المكان ، فان ذلك يتجلى ايضا فيما نشره عن الكتب من دراسات ومقالات لا تعد ، مما يؤكد صحة ما قاله الفقيد رحمه الله عن الكتب والمخطوطات في الحديث الذي نشرته مجلة (اقلام) في الجزء الاول من السنة السادسة بقلم الاستاذ سالم الالوسي : (انها عماد حياته وسر بقائه) .

وقديما قيل : (العلم معرفة المظان) فمن لم يعرف المراجع التي تناولت الموضوعات المختلفة وقيمة هذه المراجع من الناحية العلمية ، لم يستطع معرفة ما يحتاج معرفته او لم يكن على ثقة من صحة ما يجده فيها .

ومن امثلة تحقيق الفقيد العلمي في دراسته للكتب؛ بحثه القيم عن (**الضائع من معجم الادباء**) لياقوت الرومي الحموي ، فقد بين فيه وقوع النقصان فيه ، وفي مواضع لم يتنبه لها ناشره مرجليوث ؛ وفقدان القسم الثاني من الجزء الثالث والشك في كون الجزء الرابع اصلا او مختصرا فقط ، وان السابع مختصر فقط ثم شك في ان يكون كل من الجزأين الرابع والسابع منتزعين من (معجم الشعراء) لياقوت الحموي ، ان لم يكونا جزأين منه ، ثم عقب بذكر تراجم تعتبر ضائعة من معجم الادباء عثر عليها من مطالعاته وتصفحاته ، وقد وقفت منها على 46 ترجمة في العددين السادس والسابع من مجلة (المجمع العلمي العراقي) وقال : له صلة ، فما ادرى انشر شيئا بعد ذلك اولا ؟

ويعتبر ميدان تحقيق المخطوطات من ابرز ميادين التحقيق العلمي .

وغير خاف انه كان للعرب والمسلمين في عصور ازدهار الحضارة العربية والثقافية الاسلامية تقاليد رائعة في ميدان تحقيق المخطوطات ، فقد كان المؤلف يكتب تاليفه ويصححه ، ثم يمليه على الطالب وهو يكتب ثم يقرأ الطالب على المؤلف ما كتبه والمؤلف يمسك نسخته ، فيصحح الطالب بين يدي المؤلف ما

عساه يكون قد صدر منه اثناء الكتابة من خطا ، وبعد فراغ الطالب من مقابلة جميع الكتاب مع المؤلف يكتب له المؤلف بخط يده وتوقيعه على نسخته شهادة بان الطالب قد قرأ عليه هذا الكتاب وقابله معه حتى اصبحت نسخته هذه طبق اصل المؤلف ، ويضيف المؤلف لذلك ما مؤداه اعترافه بأن هذا الكتاب من تاليفه وانه موافق على صحة هذه النسخة باذنه لهذا الطالب (واجازته) له ان يروي عنه هذا الكتاب ، وهكذا يفعل هذا الطالب عندما يصبح استاذا مع طلبته ، فتتفرع عن نسخة المؤلف الأصلية فروع طبق الأصل بقدر من قرأوها على المؤلف وقابلوها معه واجاز لهم روايتها عنه ، ثم تتفرع عن كل نسخة من هذه النسخ المطابقة لاصل المؤلف نسخ عديدة طبق الفروع المنسوخة منها ، وهكذا دواليك .

وقد عرف تاريخ الثقافة الاسلامية نسخا اصلية مصححة ومقابلة استمرت الاجيال المتعاقبة في مختلف الاقطار تتناقلها وتقابل عليها الفروع المستنسخة منها ، وتتصل روايتها عن مؤلفها او ناسخها بالسند المتصل جيلا بعد جيل ، وكان اهل العلم يتنافسون ويتغالون في الحصول على هذه النسخ ويعرفون لها قيمتها . على أنه لا نكران انه كان الى جانب هؤلاء المتثبتين المتحرين المتقنين طائفة اخرى من النساخ الجاهلين الذين لا ذمة لهم ، مما استحقوا معه ان يسموا بالماسخين !

وظهرت المطبعة العربية اول مرة في اوروبا وقام اعاجم غير مسلمين بطبع بعض المخطوطات العربية لاغراض خاصة . وعلى نطاق محدود ، وكانت عندهم امكانيات مادية كافية ، ولم يكن بعضهم يخلو من معرفة وروح علمية .

وعندما انتقلت المطبعة العربية الى البلاد ذات الثقافة العربية قامت بعض المؤسسات الرسمية باسناد مهمة تصحيح المطبوعات العربية الى طائفة من أهل العلم ، فنشرت مخطوطات مهمة لا تنقصها الصحة في كثير من الاحيان ، ولكن تحول نشر المخطوطات الى عملية تجارية كان نكبة عظيمة للكتاب العربي مسخته مسخا شنيعا ، مما دفع بعض المخلصين للتراث العربي في بعض البلاد العربية الى القيام بحركات لانقاذ الكتاب العربي بنشره نشرا علميا .

ولكن هؤلاء المحققين لم يسلكوا منهجا واحدا في التحقيق ، وزاد الامر تعقدا تسرب جماعة من انصاف المتعلمين الى الميدان — وفيهم من يحملون شهادات عليا من جامعات أجنبية — وقيامهم بأعمال مشوهة باسم التحقيق العلمي ، ممن دعا الى وضع رسائل عن المنهج العلمي لتحقيق المخطوطات ، فيها الاصيل وفيها المتقول .

وقد كان الفقيد — رحمه الله — من أبرز العاملين في ميدان **التحقيق العلمي للمخطوطات** ، ولكننا لا نعرف له رسالة خاصة أو مقالا عن المنهج العلمي لهذا التحقيق (1) وبالرجوع الى بعض اعماله في هذا الميدان نستطيع استخلاص بعض آرائه في الموضوع .

وسنتخذ عمله في رسالة (نساء الخلفاء) لابن الساعي التي نشرتها (دار المعارف) بمصر بدون تاريخ ضمن سلسلة (ذخائر العرب) رقم 27 مرجعا في هذا البحث .

1) اسم الكتاب

سمى المؤلف كتابه (جهات الخلفاء من الحرائر والاماء) وسماه صاحب (كشف الظنون) (نساء الخلفاء) فجمع المحقق بين الاسمين بتقديم الثاني لوضوح معناه ، وتأخير الاول نظرا لعدم استمرار استعمال كلمة (جهة) فيما كانت تستعمل فيه .

2) مؤلف الكتاب

لم يكتب اسم المؤلف على النسخة الوحيدة المعروفة من الكتاب .

وقد نسبه الاستاذ مكرمين خليل مدرس التاريخ بجامعة استانبول الى كمال الدين عبد الرزاق المعروف بابن الفوطي المؤرخ ، فتصدى المحقق لبيان بطلان هذه النسبة التي لا دليل عليها لا في الكتاب ولا خارجه ، وقدم أربعة أدلة على انه لابن الساعي لا لابن الفوطي استغرقت خمس صفحات .

ثم بين خطأ اهمال كتابة اسم المؤلف على الكتاب ، وذكر ان المؤلف المعروف في زمن قد تذهب شهرته او كثير منها في عصر آخر واورد امثلة على ذلك

3) التعريف بالمؤلف وعصره

لقد كان الترتيب الطبيعي يقتضي تأخير التعريف بالمؤلف وعصره الى ما بعد اثبات انه ابن الساعي لا

(1) علمت بعد القاء هذا البحث في المهرجان التأبيني ان له بحثا مخطوطا في الموضوع .

ابن القوطي ولا غيره ، ولكن المحقق راى ان الادلة التي قامت له على انه ابن الساعي تنفي كل احتمال ممكن في انه لغيره ، فلذلك تجاهل هذا الاحتمال أولا وتصدى للتعريف بعصر المؤلف والمؤلف فاورد ما قاله ثمانية من الرحالين والمؤرخين عن الحالة السياسية في عصر المؤلف . وأورد قائمة بأسماء بعض الشعراء والعلماء ، بمعنى العلم الصحيح ، والمؤرخين .

وفي كلامه على سيرة المؤلف ، ذكر مولده ، واشار الى عدم وجود ذكر لوالده في التاريخ ، وبين معنى الساعي وسماع المؤلف للحديث ، ودراسته الادب والتاريخ ولبسه خرقة التصوف وشيوخه .

ثم ذكر ان بعض من ذكروا المؤلف التبس عليهم اسمه ابن الساعي بابن الساعاتي ، وبين غلطهم .

وان ابن الساعي عرف بالخازن ، وبين معناه وذكر اسماء بعض من كانوا يختلفون الى دور الكتب في هذا العصر ، وان ابن الساعي الف اكثر كتبه في ايام الدولة العباسية ، وان العباسيين كانوا يجيزونه عليها ، واضاف : وهذا يطعن في حياده عند أهل التحقيق والتدقيق !

ثم ذكر بعض من استمد من تآليفه ، وقيمته كمؤرخ وضعف طعن من طعن فيه ، ثم اورد قائمة باسماء مؤلفاته ومن ذكر كل واحد منها .

ويقع هذا التصدير في 40 صفحة بالحرف الصغير بينما تقع الرسالة بتماليقها في 92 صفحة اغلبها بالحرف الكبير .

هذا — وقد سبق للمحقق ان حقق ونشر (الجزء التاسع مع المختصر ، في فنون التواريخ وفنون السير) لابن الساعي . وصدره بمقدمة ترجم فيها المؤلف ، وذكر نظم الدولة العباسية في اواخر عهدها، والخلافة على عهد الناصر لدين الله فيعتبر عمله في تصدير (نساء الخلفاء) تتميما لعمله السابق .

4) مصدر النسخة وصفتها

ذكر المحقق — في التصدير — كيف علم بوجود النسخة ومكانها ، وكيف تم تصويرها ثم اخراجها على الورق وقيامه بنسخها ، ووصف خط النسخة وذكر تاريخها .

5) اصلاح اخطاء النسخة

ذكر المحقق انه صحح ما في النسخة من خطأ النسخ ، فالناسخ نقل في عدة مواضع ما لم يفهمه من الكتاب ونسخ ما هو غير واضح ، الى اخطاء املائية يرتكبها .

وقد حدث خلل في النسخة : وهو ان قسما من اخبار احدى المترجمات ادغم في اخبار ترجمة اخرى، فاستوجب ذلك تنبيها واصلاح الخلل ، ولم ينبه على ذلك احد قبل المحقق .

ونشير الى أن من محققي المخطوطات من يحافظون على ما في النسخة كما هو صوابا وخطأ ، ثم يعلقون في الحاشية ببيان الاخطاء ووجه الصواب فيها ، ومنهم من يصلح الاخطاء ، في الاصل ويذكر في الحاشية ما كانت عليه في المخطوط ، ووجه اصلاحها .

وقد سلك الفقيد هذا المسلك الاخير في (نساء الخلفاء) اربعا وعشرين مرة ، منها ما هو خطأ نحوي ، ومنها ما هو خطأ في الاعلام ، ومنها ما اصلحه اعتمادا على المصادر ، ومنها ما اصلحه لعدم مناسبته المقام ، ومن امثلته :

ومطربها (بمعزفه) ... يؤوب الى نوائحها . مكان (بمعرفة) قال : لا محل للمعرفة فيه ، وانما العبرة في صيرورة المطرب بمعزفه الى النوائح !

ولكن المحقق ابقى أخطاء أخرى على حالها ونبه على خطئها مثل (الرزازين) التي هي تصحيف الزرادين و (قصر الخلافة) والصواب قصر (الرصافة) (وظفرسي) الداعي العلوى ، وهو قريب من ظفر ابن الداعي العلوي .

وتارة يبقى الخطا على حاله ويضيف كلمة (كذا) اليه . هذا كله فيما اتضح فيه وجه الخطا ، اما ما كان محتملا فانه يبقيه على حاله ويذكر الاحتمال في التعليق، فقد وردت في المخطوط — مثلا — كلمة (فقلبتها) ويجوز ان تكون (فقبلتها) كانها فعلت ذلك احتراما لمهديها .

6) هل الكتاب تام أم ناقص ؟

استظهر المؤلف في تعليق (ص 53) انه ناقص .

7) هل التزم المؤلف شرطه ؟

ختم المحقق تصديره بأن المؤلف لم يلتزم شرط

كتابه بتضمينه اياه نساء الخلفاء ، فقد اضاف اليه من نساء السلاطين والامراء .

8) شكل الكلمات

ويولي الفقيد رحمه الله عناية خاصة للكلمات التي تحتمل الخطأ عند النطق بها بتشكلها بالحركات مثل : العكبري ، وبغا والدبيثي ، والسهروردي ، والجنابذي ، وخمارويه ، وبنفشا ، والصلح .

وضبط شمعة بفتح الشين والميم ، فرارا من قول من قال : ان تسكين الميم من كلام المولدين — وان لم ينبه على ذلك — .

واحيانا يناقش المصادر في ضبطها لبعض الكلمات .

فعريب ضبطها الذهبي بالضم . ولكن ورد في الجزء الثامن عشر من الأغاني شعر يدل على ان العين مفتوحة والراء مكسورة .

وبنان بضم الباء وضبطها مصححوا كتاب الاغاني بدار الكتب المصرية بالفتح .

9) تفسير الكلمات المحتاجة الى تفسير

سمى المؤلف كتابه (جهات الخلفاء) — جمع جهة وهي كناية من زوجة الخليفة او حظيته ، او زوجة السلطان او حظيته ، استعملت كذلك في العصر السلجوقي وما بعده، واريد بها احيانا السيدة المتزوجة مطلقا . ووردت كلمة (البدنة) في كلام المؤلف واحمد ابن ابي طاهر وابي جعفر الطبري ، بدون تفسير ففسرها واستعمل المؤلف كلمة (الغابرين) بمعنى الباقين وهذا هو الوجه الفصيح في استعمال الغابر وهو الوارد في القرآن الكريم ، واما استعمال الغابر بمعنى الماضي وكونه من الاضداد كما عند ابن الانباري فناشىء — من رأى المحقق — من تصحيف العابر بالعين المهملة .

10) التعريف بالامكنة الوارد ذكرها في النص

اذا ورد ذكر مكان ، وكل الامكنة الوارد ذكرها من بغداد ، فان المعلق يعين المحل الذي كانت توجد فيه .

فقصور دار الخلافة ومرافقها كانت في الشارع المعروف اليوم بشارع المستنصر بالله في بغداد الشرقية .

ومحلة نهر عيسى تسمى اليوم محلة السوق الجديد من الجانب الغربي من بغداد وما قاله ياقوت عن نهر عيسى مأخوذ من تاريخ الخطيب البغدادي ، واكثر ما في تاريخ الخطيب مأخوذ من كتاب انهار العراق لابن سرافيون .

والظاهر ان سوق الخبازين كان مجاورا لدرب الخبازين المعروف اليوم بدرب الماقولية بشرق بغداد ويعرف بسوق الحيدر خانة .

ومن المعروف ان المحقق الف في هذا الموضوع بالاشتراك — كما سبق القول — (دليل خارطة بغداد) .

11) التعريف بالاشخاص

يعلق المحقق — غالبا — على اسم المترجمة في الكتاب بذكر مراجع ترجمتها ، وبعض المراجع التي لها فيها ذكر ، مطبوعة ومخطوطة ، مع ذكر الجزء والصفحة ومكان الطبع وتاريخه — غالبا في كل ذلك — ويذكر في المخطوط — زيادة على الجزء والصفحة — المكتبة التي يوجد بها ورقمه ، والمكتبة التي توجد بها صورة عنه ان كانت هي التي رجع اليها ، ويكرر ذلك كلما ورد ذكر الكتاب .

وقال عن واحدة انه لم يجد لها ذكرا في كتب التاريخ والادب التي وصلت اليها يده سوى كتاب واحد

وقال عن اخرى انه لم يقف على ذكر لها في كتاب آخر .

ولكنه لم يشر الى مراجع 16 ترجمة ، فالظاهر انه لم يقف على ذكرهن من غير ان ينبه على ذلك .

12) الرجوع الى المراجع التي احال عليها المؤلف

من ابسط قواعد التحقيق العلمي ان يتأكد المحقق مما ينقله المؤلف عن مرجع من المراجع . فيعرف هل هو موجود فيه أولا ، واذا كان موجودا فما هو مقدار مطابقته لما نقله عنه المؤلف .

وقد نبه المحقق على عدم وجود بعض ما ذكره المؤلف في المصدر الذي رجع اليه .

فقد نقل المؤلف من الجهشياري فلم يجد المعلق الخبر فى المطبوع من كتاب (الوزراء والكتاب) لان المطبوع ناقص كما هو معلوم .

ونقل المؤلف من ابن الجوزي فلم يجد المؤلف الخبر فى (المنتظم) لأنه انتهى قبل ذلك التاريخ ، فالظاهر ان هذا الخبر من (درة الاكليل) .

ونقل المؤلف من ابي بكر الصولي فاستظهر المعلق ان المؤلف اخذ هذا القول مما ذكره ابو الفرج فى اخبار ابي العتاهية .

واورد المؤلف كلاما مضطربا فأصلحه المعلق من (مروج الذهب) . والذي جرت به عادة محققي المخطوطات وعليه درج الفقيد فى كثير من تحقيقاته (تلخيص مجمع الاداب) مثلا ، بيان جزء المصدر والصفحة الذين يوجد فيهما ما نقله المؤلف .

ولكنه اهمل هذا فى تحقيقه (لنساء الخلفاء) فقد ذكر المؤلف فى ترجمة (عنان) ان لها اخبارا مدونة ذكرها ابو الفرج الاصفهاني فى (كتاب الاغاني) وذكر المعلق فى مراجع ترجمتها الاجزاء : العاشر والعشرين والثالث والعشرين المخطوط . ولكنه لم يذكر فى اى جزء من هذه الاجزاء يوجد انه ما نقله المؤلف .

وكذلك فى ترجمة عريب ، وبدعة الكبيرة .

وكذلك فيما نقله من (كتاب بغداد) لاحمد بن ابي طاهر ، ونقل من كتاب (الورقة) لابن الجراح فذكر المعلق ان المطبوع منه ناقص ، ولكنه لم يشر الى ما اذا كان ما نقله المؤلف موجودا فى المطبوع اولا .
الى غير ذلك .

13) التعريف بالمراجع

وقد يضيف المحقق التعريف بالمرجع الذي نقل منه المؤلف فقد نقل عن تاريخ ثابت بن سنان بن قرة ، فنقل عن القفطي التعريف بهذا التاريخ ، وبيان المدة التي ارخها واهميته .

14) ايضاح المبهمات

فالحافظ ابو عبد الله البغدادي هو محب الدين محمد ابن النجار وابو القاسم الأرجي هو يحيى بن اسعد بن بوش ، وابو احمد الامين هو عبد الوهاب ابن سكينة ، وابو محمد الجنابذي هو عبد العزيز بن محمد بن الأخضر ، ومحمد بن داود هو ابن الجراح ، والمشهور بأبي عبد الله الحنبلي فى عصر ابن النجار هو ابو عبد الله محمد بن مكي بن ابي الرجاء الملقب تقي الدين .

15) التنبيه على اوهام المراجع

ويولي الفقيد رحمه الله عناية بالغة للاوهام الواقعة فى المراجع فيهتم بالتنبيه عليها وبيان الصواب فيها ، فقد نسب ابن خلكان للسمعاني انه ضبط كلمة جهير بالضم وهو غلط ، مع ان الوارد فى (الانساب) هو الفتح ، وكذلك ما فى مختصره (اللباب) .

وبنان بضم الباء، وضبطها محققوا كتاب الاغاني بدار الكتب المصرية بفتحها .

وظن ابن تغرى بردي ان ابن الساعي كان حنفيا مع انه شافعي ، وقد نبه المحقق على ما يمكن ان يكون السبب فى ظنه هذا .

وذكر علي بن الحسن الخزرجي ابن الساعي فسماه ابن الخازن والصواب الخارن .

ومن مؤلفات ابن الساعي (الاحاديث الثمانية). وقد ورد فى بعض المصادر (اليمانية) من غلط النسخ او الطبع .

ولابن الساعي كتابان فى نساء الخلفاء ، وقد حسبهما الذهبي وبعده الصفدي وتابعه ابن تغرى بردي كتابا واحدا .

وسمى المؤلف احد شيوخه عبد العزيز بن المبارك ، وجاء فى (تذكرة الحفاظ) للذهبي : عبد العزيز بن مسعود ، وهو خطا ، ولم يصحح هذا الخطا مصححوا « معجم البلدن » (طبعة دار صادر ببيروت) .

وذكر ياقوت باب المحول من الجانب الشرقي من بغداد والصواب الغربي .

وتردد صاحب مختصر بغداد فى نسبة خبر للمعتضد او المعتمد والصحيح انه المعتمد .

ولقب ابن النجار فى (النجوم الزاهرة) بمجد الدين بدلا من محب الدين وهو من خطا النسخ وعدم التصحيح فى الطبع !

وذكر ابن جبير دار ابي الفرج ابن الجوزي ، مع انها مدرسة بنفشا وكان يسكن فيها لانــه كـان مدرسها يومئذ .

وكان انشاء تربة عون ومعين ايام الناصـــر . واخطأ الصلاح الصفدي فنسب عبارات الناصر ومنها تربة عون ومعين الى أبيه محمد الظاهر .

ووقع في ترجمة ثابت بن سنان في تاريخ الحكماء للقفطي اضطراب في تاريخ وفاته : حيــث ذكر مــرة انها كانت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، ومرة سنة خمس وستين وثلاثمائة . وورد اسم (شاهفرند) في تاريخ الطبري وفي الكامل شاه آفريـد ، وفي بعـض نسخ (مروج الذهب) للمسعودي (سارية) وهـو تصحيف .

ورجح ابن خلكان ما ورد عند العماد في (الخريدة) على ما ورد عند السمعاني لظنه ان بينهما تعارضا ، فبين المحقق انه لا تعارض بينهما .

وورد ذكر ابي بكر ابن العلاف ، فذكر المحقـق مصادر ترجمته وقال : وهو صاحب الابيات المشهورة في رثاء الهرد ، وليست هي لثعلب كما ذكر الكمال بن الانباري في (نزهة الألباء) .

16) التعريف بمؤلفي بعض المخطوطات الغفل

نقل المحقق من (ذيل تاريـــخ بغــداد) لابــن الدبيثي، نسخة كمبردج ، وزاد : ولم يعلم المفهرس انه تاريخ ابن الدبيثي وقد حققنا ذلك وتأكد لنا .

17) التنبيه على الخطأ في نسبة بعض المؤلفات لغير مؤلفيها

تقدم انه بين أن (نساء الخلفاء) لابن الساعي لا لابن الدبيثي ، ومن مؤلفات ابن الساعي (اخبار الخلفاء) ، وأما هذا المطبوع المسمى (مختصر اخبار الخلفاء) فهو مدسوس عليه نحله اياه بعض المزورين الذين اعتادوا التزوير في كل أمورهم وشؤونهم !

و (المحاسن والأضداد) منسوب خطأ للجاحظ .

وكتاب (الذخائر والتحف) مجهول المؤلف ، وقد نسب الى القاضي الرشيد ابن الزبير ، وكتب تحتــه (القرن الخامس الهجري) . قال المحقق : وكل ذلك خطأ على خطأ !

وذكر محقق الكتاب الدكتور الفاضل محمد حميد الله انه مع سعيه لم يعثـر على ترجمــة القاضـي الرشيد ، مع انه مترجم بتفصيل في مصادر اوردهــا المحقق . وهو من أهل القرن السادس لا الخامس . ثم قال : ونسبة الكتاب المذكور اليه ــ وهو من تأليف القرن الخامس ــ خطأ مبين يجب اصلاحه ، ولعلــه من مؤلفات ابن بابشاد المشهور .

و (طبقات الشعراء) منسوب لابن المعتز .

18) التنبيه على نقصان بعض الكتب

الظاهر ان ترجمة عبيد الله بن احمد بن ابــي طاهر فقدت فيما فقد من (معجم الادباء) .

والمطبوع من (كتاب الوزراء والكتاب)للجهشياري ناقص كما هو معلوم ، وما اكثر المفقود منه !

والمطبوع من (كتاب الورقــة) (بعنايــة دار المعارف !) وتحقيق الاستاذين الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار فراج خال من الترجمة التي نقلها ابن الساعي فالنسخة ناقصة .

وقد ورد في (اخبار النساء) خبر منقــول من (الورقة) لا يوجد في المطبوع .

وفيها نقل عن احمد بن ابي طاهر لاذكر له في المطبوع منه المعروف (بأخبار بغداد) .

ونقل عن تاريخ هلال بن محسن الكاتب لاذكر له في المطبوع منه الملحق (بتاريـــخ الوزراء) لهــلال المذكور ، فهو ناقص .

19) التنبيه على خطأ تسمية بعض المؤلفات

كان النقيد قد صحح قديما مخطوطا غفــلا من التسمية وتسمية المؤلف ، سماه في المطبوع (الحوادث الجامعة) لكمال الدين ابن الفوطي ، وقد صدره ناشره بمقدمتين اولاهما بقلم صديقنا الاديب الكبير محمد رضا الشبيبي رحمه الله ، وقد جاء فيهــا : (ومن رأيــي ــ وقد تصفحت الكتاب ــ انه كتــاب (الحــوادث والتاريخ) لمؤلفه ابن الفوطي ، وزاد : وان لدينا من الادلة ما يكفي في نسبة هذا الكتاب الغفل الى العلامة المذكــور .

وثانية المقدمتين بقلم الفقيد ، مصحح الكتاب والمعلق عليه ، وقد أورد اسم (الحوادث الجامعة) بدون نقاش .

وذكر أول من نسبه لمؤلفه في عصرنا .

ولكنه في تعاليقه على (نساء الخلفاء) يقول : الكتاب الذي سميناه (الحوادث الجامعة) استرجاحا فظهر انه غيره !

20) التنبيه على قيمة بعض الطبعات

ينقل المحقق من (وفيات الاعيان) طبعة بلاد العجم ، ثم قال عنها انها أصح من الطبعات الأخرى .

21) اضافة ملحق للكتاب

اضاف المحقق الى (نساء الخلفاء) ملحقا أورد فيه اخبارا متعلقة ببعض المترجمات في الكتاب وردت في (الذخائر والتحف) السابق الذكر .

22) الفهارس وقائمة المراجع

الفهارس مفاتيح الكتب ، فالكتاب الذي لا فهارس له تكون الاستفادة منه صعبة وفي نطاق محدود . ولهذا كان وضع الفهارس من أهم ما يقوم عليه المنهج العلمي لتحقيق المخطوطات .

وقد اختلف موقف الفقيد من هذه القاعدة فهو تارة يضع الفهارس اللازمة والمتنوعة ، مثل ما فعل في جزء (الجامع المختصر) .

حيث اضاف له خمسة فهارس احدها للكلمات المفسرة وآخر عمراني للاخلاق والعادات والشؤون الاجتماعية ، وفي (تكملة اكمال الاكمال) لابن الصابوني حيث اضاف له اربعة فهارس ، ثالثها للفوائد الشاردة وفي (الجامع الكبير) لابن الاثير ثمانية فهارس .

وفي (دليل خارطة بغداد) فهرسان .

وتارة أخرى يكتفي بفهرس مختصر مثلما فعل فيما سماه (الحوادث الجامعة) .

ومثل جزاي (المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي) حيث ذكر في الاول مراجع التصحيح والايضاح والتراجم ، وفي الأخير ثبتا مختصرا للمترجمين في الجزء ، ومثل القسم الثالث من الجزء الرابع من (تلخيص مجمع الآداب) لابن الفوطي حيث اقتصر على فهرس أبواب هذا القسم الثالث من الكتاب ، ووعد أن يثبت في القسم الرابع والاخير منه الفهارس العامة التفصيلية للجزء الرابع كله ، ولم اقف الا على القسم الثالث وحده .

ولكنه تارة ثالثة لا يضع فهرسا بالمرة مثل سيدات البلاط العباسية و (نساء الخلفاء) .

واذا كان مظهر (سيدات البلاط) لا يدل على طابع تحقيق علمي ، لخلوه من التعليقات والمصادر فأحرى الصفحات وما يتبعها ، الى جانب الصورة التي على الغلاف !

فان النسخة التي وقفت عليها من (نساء الخلفاء) خالية من الفهارس والمراجع ، فما أدري أسقطت من هذه النسخة فقط ، أم أن المحقق رأى أن صغر الرسالة في غنى عن الفهارس ، أو انما الغيت من طرف الدار) اقتصادا في النفقات ! !

22) اخطاء الطبع

قلما يسلم مطبوع من خطأ مطبعي ، و (نساء الخلفاء) التي بذل محققها رحمه الله جهودا في التحقيق والضبط لم تسلم من خطأ مطبعي !

ومن امثلة ذلك في ص 60 بفتح الواو والصواب الميم ، وفي 135 السادس والصواب الخامس ، وفي 124 الجبارين والصواب الخبازين ، وفي 120 وأقرت والصواب وأقرت .

وكثير من محققي الكتب يوردون في آخر الكتاب جدولا للخطأ والصواب ولم يرد في (نساء الخلفاء) شيء من ذلك !

23) نماذج مصورة من الاصل

في أول الكتاب صور 3 صفحات من المخطوط لتمكين القارىء من تكوين فكرة عن المخطوط .

الاستطراد

ومن مظاهر اتساع ثقافة المحقق استطراده العابر المفيد .

فالتصوف والتشيع اخوان ، وأوقف ابن الساعي كتبه على المدرسة النظامية قبل موته بقليل ، كما هو

عادة العلماء الواقفين كتبهم على المدارس ، وفعل ذلك قبله ابن النجار ، ودفن ابن الساعي بمقبرة الشونيزية بالجانب الغربي من بغداد ، وهي مقبرة الصوفية وذوي المشرب الصوفي وان لم يتصوفوا ، وفيها دفن الجنيد الصوفي الزاهد المشهور ، ولا يزال قبر الجنيد معروفا مزورا .

ومن شيوخ المؤلف ابو البقاء العكبري المنسوب اليه (شرح ديوان ابي الطيب المتنبي) المطبوع غير مرة مع انه تاليف عفيف الدين علي بن عدلان الموصلي المتوفى سنة 666 هـ .

الاعتراف بالجميل

وقد كرر المحقق التنويه بفضل ماسينيون الذي كتب اليه مخبرا بوجود المخطوطة في استانبول . كما نوه بالاستاذ (احمد آتش) التركي الذي صور المخطوطة بالمايكروفيلم (يعني الشريط الدقيق) .

وهكذا تجد الفقيد يعترف لكل ذي فضل بفضله ولا تشعر انه يحاول غمط حق احد ممن يرد ذكرهم في كلامه ، وهو اذا كان حريصا على بيان الاخطاء التي وقع فيها المؤلفون فانه يعبر عن ذلك بعبارات مهذبة ولبقة ، مع التماس الاعذار لكل مخطىء غالبا، وفي كثير من عباراته التي اوردناها سابقا امثلة على ذلك .

وقد علق على وصف الموفق بالامام : ولم يكن الموفق اماما اي خليفة ، بل كان ولي عهد ، فان صح ان هذا قول المؤلف فهو خطأ ، ولعل الاصل الامير .

التواضع

ويرجو المحقق ان لا تخلو تعاليقه من فائدة يقطفها القارىء في اثناء قراءته الكتاب ، والباحث عند استمداده منه ، ويزيد : ولا أبرىء نفسي من تقصير ولا من ذهول فان نشر كتاب مخطوط اول مرة لا يبلغ الكمال في كل الاحوال .

وهذه العبارة الاخيرة ليست من باب التواضع ولكنها الحقيقة الواقعية ، وصدق الله العظيم : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا !)

— ◆ —

هذه صورة من ثقافة الفقيد واخلاقه العلمية كما تتجلى للناظر في كثير من آثاره ، ومنها يتجلى انه رحمه الله كان علما بارزا من اعلام النهضة الثقافية العربية في هذا العصر .

ولعل مما ساعده على ذلك انه تثقف في اول امره **ثقافة اسلامية عربية متينة خالصة** ، ولم يتصل بالفكر الاجنبي الا بعد ان تكونت شخصيته تكوينا سليما ، فلم يصب بما **أصيب به الكثيرون ممن اتصلوا بالفكر الاجنبي في حداثتهم فنجح في مسخ شخصيتهم ، وقطع صلتهم بتراثهم الفكري والحضاري المجيد .**

رحم الله الفقيد رحمة واسعة ، وجزاه احسن الجزاء ، كفاء ما قدم من **خدمات جليلة للغة العربية وتراثها** واحسن عزاء الامة العربية التي فقدت فيه ركنا من أركان نهضتها ، ووفق تلامذته لمواصلة اداء رسالته في خدمة اللغة العربية وتراثها ، وعسى ان يقوم المجمع العلمي العراقي بجمع جميع مقالات الفقيد وبحوثه المتفرقة في اعداد مجلة المجمع وغيرها من المجلات وطبعها حتى يعم الانتفاع بها ، وتسهل الاستفادة منها ، فان مجلة المجمع — مثلا — على اهميتها الكبيرة محدودة الانتشار جدا في الوطن العربي.

كما ان من الواجب الاكيد ايلاء عناية خاصة لآثار الفقيد المخطوطة حتى تخرج للوجود ويستفيد منها قراء العربية في كل مكان .

وشكرا جزيلا لوزارة الارشاد على تبنيها لهذا العمل الجليل واتاحتها لهذه الفرصة التي مكنت زمرة من اهل الفكر العرب ان يجتمعوا في دار السلام التي اغنت الفكر العربي والاسلامي بآلاف العلماء والمؤلفين الذين انجبتهم في عصورها الزاهرة ، والذين قاد الكثيرون منهم الفكر الاسلامي والعربي في مختلف انحاء الوطن العربي والاسلامي عدة قرون .

الفكر العلمي العربي
في شخص العباس بن فرناس حكيم الأندلس

الأستاذ سعيد الديوه جي
عضو المجمع العلمي العراقي

ابو القاسم عباس بن فرناس بن ورداس التاكرني الاموي بالولاء ـ احد اساطين العلم والادب والفن فى الاندلس .

لم نقف على ولادة هذا العالم الجليل ، والذين ترجموا له ذكروا : انه توفي سنة 274 هـ (884 م) وانه اربى على الثمانين ، فتكون ولادته فى آخر القرن الثاني للهجرة (حوالي سنة 194 هـ)

اصله من برارة « تاكرنا » ونشا فى قرطبة ، عاصمة الدولة الاموية ، وهي ـ اذ ذاك ـ **مركز العلم والادب والفن فى اوروبة ، يشدون اليها الرحال ، ويقتبسون من معارف العرب وفنونهم وصناعاتهم ، التى كانت تبهر عقولهم ، وتاخذ بالبابهم .**

فى هذا المحيط الزاهي بالعلوم والمعارف ، شب ابن فرناس ، وكان ذكي الفؤاد ، سريع الحفظ ، دقيق النظر .

تعلم القرآن الكريم، ومباديء الدين الحنيف فى الكتاتيب التى كانت كثيرة فى قرطبة ، ثم اخذ يرتاد الحلقات العلمية ، التى كانت تعقد فى جامع قرطبة ، ويستمع الى ما يجري فيها من محاضرات ومناظرات ومجادلات علمية ، وما يلقيه علماء الاندلس من طريف ما اخذوه عن المشارقة .

ويقصد المجالس الادبية ، ويستمع الى شيوخها استماع متبصر ، يريد ان يستفيد مما يجري فى الحلقات والمجالس ، مما كان يلقيه شعراء الاندلس وادباؤها من جميل النظم والنثر ، ومن غريب الاخبار واللغة التى اخذوها عن **اهل المشرق .**

وكان يتردد الى اصحاب الفنون الرفيعة ، ليستمع الى الاصوات التى وضعوها ، والآلات الموسيقية التى يوقعون عليها .

درس كتب الطب ، **وخصائص الامراض واعراضها ، وطرق الوقاية** منها ، وعلاج من اصيب بها .

درس **خصائص الاحجار والاعشاب والنباتات ،** ووقف على ما تفيده فى المعالجة ، وكان يقصد الاطباء والصيادلة ويناقشهم فيما ظهر له من اطلاعه وتجاربه فى هذا العلم الجليل ، الذي يحفظ صحة المجتمع ، ويقيه شر الامراض .

واشتهر بين اطباء عصره ، فاتخذه الامراء الامويون (1) طبيبا خاصا لمعالجة الاسرة الحاكمة ، يشرف على صحتهم وطعامهم ، ويرشدهم الى انجح الطرق فى معالجة مرضاهم .

درس **الفلسفة والمنطق والنجوم والعلوم الروحانية** ، وجمع الكتب التى تبحث منها ، والتى صعب الحصول عليها، وقراها قراءة مدقق ، واستفاد منها وافاد قومه .

اشتغل بالنحو ودقائق الاعراب ، واطلع على آراء النحاة فى التعليل وصار **من نحاة عصره فى الاندلس** ، يؤخذ عنه وذكره الزبيدي فى الطبقة الثالثة من نحاة الاندلس ، وقال عنه : كان متصرفا فى ضروب من الاعراب .

كان يقصد اهل الصناعات الرفيعة ، ويدقق باعمالهم وصناعاتهم ، وفنونهم الدقيقة ، ويسالهم عن سر ما لم يهتد الى معرفته بنفسه ، فاقتبس منهم صناعات ومعارف ساعدته على ابراز ما علمه ، مما يحتاج الى عمل آلات علمية .

وهكذا صار ابو القاسم العباس بن فرناس متضلعا بعدة علوم وفنون وصناعات ، وآداب مختلفة، فبرز على علماء زمانه ، بما انفرد به من معارف وعلوم لم تتهيا لغيره من اهل الاندلس ، حتى انهم اطلقوا عليه ((**حكيم الاندلس**))

ـ 2 ـ

كثير هم الذين قنعوا من العلم بالامور المبسطة ، التى يسهل فهمها . وبالنظريات المجردة ينقلونها عن غيرهم ، ولم يكلفوا انفسهم عناء البحث والتدقيق فيما درسوه ، او تحقيق ما علموه ، ولم يحاولوا تطبيق العلم على العمل ، ليتاكدوا من صحة ما نقل اليهم ، او اخذوه من غيرهم .

وابو القاسم لم يكن من هذا الرعيل القانع بالسهل المبسط ، بل كان **يدقق ما يدرسه ، ويحقق ما يفهمه** ، ويتدبر ما يقراه ، ويطبق عمليا ما يحتاج الى العمل ، ليتاكد صحة المدعى ، ويستفيد مما اخذ، فهو احد **العلماء العاملين** ، **الذين وضعوا اسس الحضارة العلمية والعملية فى الاندلس** : سهلوا العويص ، وشرحوا الغامض ، ويسروا العسر ، **وابتكروا آلات علمية ومعارف عملية** .

فابو القاسم من العلماء الذين علموا وعملوا : عكف على تحقيق القضايا التى درسها ، وهيا لنفسه ما يحتاجه عمله من **آلات دقيقة ، وادوات مختلفة والاجهزة العلمية** ـ التى ساعدته على اظهار علومه ومعارفه عمليا، ورسم طريقة مثلى لاهل بلاده . وهي **محاولة تطبيق العلم على العمل** ، بحيث يحققون ما يدرسونه ، ويصنعون لانفسهم الآلات والادوات العلمية التى يحتاجونها من غير ان يتكلوا على غيرهم، وبذا يحق لهم ان يكونوا علماء عاملين ، يسعى اليهم، ويؤخذ عنهم ، ويعتز بآرائهم المؤيدة بالعمل بعد العلم .

وعلى هذا **فابو القاسم فاق اهل عصره فى طريقته العملية** ، فبرز فى علوم ومعارف اوجدها من تجاربه فى التوليد والاختراع ثم الابتكار ، ومن ذلك :

1 ـ **عانى صناعة الكيمياء ، وقام بتجارب وفحوص مختلفة** ، واهتدى الى حقائق ، لم تكن معروفة عند الاندلسيين ، منها : **انه استنبط صناعة الزجاج من نوع من الحجارة** ، وبذا يسر للاندلسيين صناعته من مادة بخسة الثمن ، سهلة التناول ، فانتشرت صناعته فى الاندلس ، وتفوقوا فيها .

2 ـ **عانى علم الفلك والتنجيم** ، راقب النجوم والكواكب فى افلاكها ومداراتها ، **وصنع الآلات التى تساعده على الرصد** . ومما صنعه **الآلة المعروفة ((بذات الحلق))** ورفعها الى الامير محمد بن عبد

---

(1) اتصل ابن فرناس بثلاثة امراء ـ وكان مقربا اليهم وهم على التوالي :

1 ـ الحكم بن هشام 188 ـ 206 هـ ـ 803 ـ 821 م

2 ـ عبد الرحمن بن الحكم 206 ـ 238 هـ ـ 821 ـ 852 م

3 ـ محمد بن عبد الرحمن 238 ـ 273 هـ ـ 852 ـ 886 م

الرحمن الاموي ، وكتب عليها ابياتا من نظمه تناسب الآلة ، وما تقوم به من عمل :

قد تم ما حملتني من آلة
اعيا الفلاسفة الجهابذ دوني

لو كان بطليموس الهم صنعة
لم يشتغل بجداول القانون

فاذا رأته الشمس في آفاقها
بعثت اليه بنورها المخزون

ومنازل القمر التي حجبت معا
دون العيون بكل طالع حين

يبدون فيها بالنهار ــ كما بدت
في الليل في ظلماتهن الجون

3 ــ **عمل الميقاتة لمعرفة الاوقات ــ وهي** تقوم مقام الساعة في يومنا هذا ، ورفعها الى الامير محمد بن عبد الرحمن ، وكتب عليها من نظمه :

الا انني للدين خير اداة
اذا غاب عنكم وقت كل صلاة

ولم تر شمس بالنهار ، ولم تنر
كواكب ليل ، حالك الظلمات

بيمن امام المسلمين « محمد »
تجلت عن الاوقات كل صلاة

4 ــ **اتخذ في داره هيئة السماء** ، وصور فيها الشمس والقمر ، والكواكب ومداراتها ، والغيوم والرعد والبرق ، فكان من اعاجيب الصنعة والابتكار.

5 ــ **انه اول من طار وحلق في الهواء ــ** كما تطير الطيور وهذا من الاختراعات المدهشة التي قام بها « حكيم الاندلس » .

قام بعدة تجارب تمهيدية ، درس بها **ثقل** الاجسام ، ومقاومة الهواء لها ، **وتاثير ضغط الهواء** عليها اذا ما طارت في الفضاء ، وكان له خير مساعد على هذا تفوقه في العلوم الطبيعية والرياضية والكيمياء ، فاطلع على خواص الاجسام ، واجتمع لديه من المعلومات ، ما حمله على ان يجرب الطيران بنفسه .

كسا نفسه بريش اتخذه من سرقي الحرير (1) ، لمتانته وقوته ، وهو يتناسب مع ثقل جسمه ، وصنع له جناحين ــ من الحرير ايضا ــ يحملان جسمه اذا ما حركهما في الفضاء ، وبعد ان تم له كل ما يحتاج اليه هذا العمل الخطير ، وتأكد ان باستطاعته اذا ما حرك الجناحين ، فانهما سيحملانه ويطير في الفضاء ، ــ كما تطير الطيور ــ ويسهل عليه التنقل بهما اينما شاء .

اعلن للناس إنه يريد ان يطير في الجو ، وان طيرانه سيكون من الرصافة ــ ظاهر مدينة قرطبة ــ فاجتمع الناس فيها ليشاهدوا البطل يتهادى في سماء قرطبة .

صعد ابو القاسم فوق مرتفع ، وحرك جناحيه ، وقفز في الجو ، وطار في الفضاء مسافة بعيدة عن المحل الذي وقف فوقه ، والناس ينظرون اليه بدهشة واعجاب ، يهللون له ، وشاعرهم يقول :

يطم (2) على العنقاء في طيرانها
اذا ما كسا جثمانه ريش قشعم

ولما هم بالنزول الى الارض ، تأذى في ظهره ، وفاته ان الطائر انما يقع على زمكه (ذيله) ، ولم يكن يعلم موقع الذنب في الجسم اثناء هبوطه الى الارض ، فاصيب بما اصيب من أذى .

هذه اول عملية جريئة يقوم بها حكيم اندلسي ، يجرب الطيران بنفسه ، وينجح بعمله الى حد ما ، **وهذا النجاح الذي سجله حكيم الاندلس ، دفع الناس**

(1) شقق الحرير الابيض والواحدة سرقي
(2) طم : علا ، غلب ، والقشعم : المسن من النسور .

بالاقدام على محاولة الطيران ، فكان عمله نواة طيبة، نمت وازدهرت ثم اثمرت .

على ان تقصيره فى كيفية النـزول الى الارض سالما ، لا ينقص من دقة عمله ، وخطوته الجريئة ، بالاقدام على الطيران بصورة فعلية. فان كل عمل فى بدايته ، تعقبه دراسات عديدة ، تكمـل نواقصـه ، وتهذب طرقه ، وتحسن عمله ، وهكذا يكون فى تقدم مطرد مع الزمن ، وحاجـة الانســـان ، وما زالت الدراسات المتتالية تجري على الطيران، حتى شاهدنا سفنا عظيمة تطير فى الفضاء ، حاملة عددا لا يستهان به من المسافرين ، مع امتعتهم واثقالهـم ، تقطـع المسافات البعيدة ، بساعات معـدودات ، كان هـذا بفضل التجارب التى قاموا بها ، وفى مقدمتهم حكيم الاندلس ـ والفضل للمتقدم ـ

ثم اعقبه بعد قرن من الزمان ، رجـل عالـم فاضل من المشرق ، هـو : اسماعيـل بـن حمـاد الجوهري المتوفى سنة 393 هـ (1003 م) . ولكـن عمله لم يكن عن دراسة ، وانما عن خاطر خطر بباله، فكان خاتمة حياته (1) .

هذا ما قام به المسلمون فى المغرب والمشرق من محاولة الطيران ، فنجح حكيم الاندلـس ، ولاقـى حتفه عالم المشرق ، ولكنهما فتحا بابا واسعا لمن اتى بعدهما فى الاقدام على هذا العمل النافع .

كان العباس بن فرناس اديبا شاعرا ، وله شعر كثير فى اغراض مختلفة ، اتصل بالبلاط الاموي ؛ فكان شاعرهم ـ كما كان طبيبهم ـ وعاش فى اكناف امرائهم ونظم لهم الشعر فى مختلف الاغراض :

مدح امراء البيت المالك ، ووصـف حروبهـم ومعاركهم مع الاعداء ـ وقد يشارك بنفسه فيهـا ـ وصف مجالس الانس والطرب ، وما فى قصورهم من جنـات وعيـون ، وزروع ومقـام كريـم ، وملاعب وكواعب، ومصائدهم ومطاردهم ـ وكان يرافقهم بها.

رافق الامير محمد بن عبد الرحمن ، لما سار الى اخماد ثورة اهل « طليطلة » مع حلفائهـم النصارى سنة 240 هـ (854 م) فاوقع فيهم الامير ، واخمـد الثورة بعنف وشدة وشتت الثائريـــن . فقال ابـــن فرناس يصف هذه الوقعة :

ومؤتلـف الاصـوات مختلف الزحـف
لهوم الفـلا ، عبـل القبائـل ملتـف

اذا اومضـت فيـه الصـوارم خلتهـا
بروقا تروى فى الغمـام وتستخفي

كـان ذرى الاعـلام فـى ميلانهـا
قراقير فى يم ، عجـزن عـن القـذف

بكـى جبـلا وادي سليـط فاعـولا
على النفر العبدان ، والعصبة الغلف

يقول ابن بوليس لموسى ـ وقد اتى ـ
ارى الموت قدامي وتحتي ومـن خلفـي

قتلت لهـم الفـا والفـا ومثلهـا
والفـا والفـا بعد الـف الى الـف

سوى من طواه النهر فـى مستحاسـه
فاغـرق فيه ، او تهدهـد فى جـرف

لقد نعمـت فيـه غـزاة نسورنـا
وسممت الدقات قصفا علـى قصـف

ووصف ما آلت اليـه طليطلـة من الدمـار والتخريب ، وهدم الامير قنطرتها الشهيرة فقال :

---

(1) كان اماما فى اللغة والادب ، وخطه يضرب به المثل فى الجودة ؛ لا يكاد يفرق بينه وبين خط « ابن مقلة » سافر فى طلب العلم ، واخـذ عن عـدة شيوخ وخالط الاعـراب فى بلاد ربيعة ومضـر ، وصنف كتابه المشهور « الصحاح » فى اللغـةواستقر فى نيسابور على التدريس والتأليف ، وتعليم الخط ، وكتابة المصاحف ، وله عدة كتب .

فكر فى الطيران ، واعتقد ان فى مقدور الانسان ان يطير اذا ما اتخذ له جناحين ، كجناحي الطير ، ولكنه لم يقم بدراسات تمهيدية يجرب بها ما افترضه ـ كما فعل حكيم الاندلس ـ فانـه صعد سطح الجامع القديم فى نيسابور وقال :ايها الناس اني عملت فى الدنيا ما لم اسبق اليه ، فساعمل للاخرة امرا لم اسبق اليه ، وضم الىجنبيه مصراعي باب ، وتابطهما بحبل ، وطـار فى الفضاء ، ـ ولم يكن موفقا بعمله ، فان مصراعي الباب لم يحملانه فى الفضاء ، بل سقطا بـه علـى الارض ومات . فكان عمله هذا دراسة سطحيةامل كبير .

اضحـت طليطلـة معطلـة
من اهلها ، فى قبضـة الصقـر

تركـت بلا اهـل تؤهلهـا
مهجـورة الاكنـاف ، كالقبـر

ما كـان يبقـى اللـه قنطـرة
نصبت لحمل كتـائب الكفـر

وله قصيدة يهنىء بها الامير محمد بعودته من طليطلة ، موافقا عيد الاضحى المبارك اولها :

ان الغنول الذى اودى بعيدين الـخ ..

ولما جدد الامير محمد قصور الرصافة ، التى كان قد شيدها جده « صقـر قريـش » عبـد الرحمـن الداخل ، وزينها بجميل الزخارف والكتابات وجعلها من اجمل القصور بهاء ورونقا ، فقال ابن فرناس فيها :

كأن قصور الارض بعد تمامـه
كتبر له اخفى شخوصا من الدر

فاعجب من اقنائها الغـرر التي
يقيم بهن البرد فى دعـوة الحـر

وتنتشر الابصار منها الى مـدى
التنزه بالاطيار والوحش والزهر

كأن الذى يخفي الحديث بنجوها
على اخفض الاصوات يشدو على وتر

وكما كان يتحف الامراء بالآلات الدقيقة الصنع ، كان يتحفهم بهدايا طريفة نفيسة ، نظم اربعة ابيات ، وكتبها بالذهب على تفاحة ، ورفعها الى الامير محمد ، اولهـا :

محـمـد اكـرم مستخلـف
مـن خلفـاء اللـه فـى الارض

فسر الامير ، وامر ان يغنى بها ، وكافـا ابـا القاسم عن كل بيت بألف دينـار ، وقال : لو زادنا لزدنـاه .

كان ابو القاسم مرهف الحس ، واسع الخيال ، يستهويه جمال الطبيعة ، وسحرها الخلاب ، دقيق الوصف ، وكيف لا يصف مباهج الاندلس ، ومناظرها الجميلة التى فتنت الكثير من شعرالها ، فابدعوا فى وصفها .

ومما قاله فى صفة روضة :

ترى وردهـا والاقحـوان كأنـه
بها شفـة لميـاء ضاحكهـا ثغـر

وقد ابدع فى وصف اشجار النخيل الباسقات ـ الاشجار المباركة التى رافقت العربي اينمـا حـل واستقر ـ نقلوها الى الاندلس وزينوا بها حدائقهم وبساتينهم :

حنايـا كأمثـال الاهلـة ركبـت
على عمد ، تعتد فى جوهر البدر

كأن من الياقوت قيست رؤوسها
على كل مسنون مقيض من السدر

ترى الباسقات الناشرات فروعها
موائس فيها ، من مداولة الوقر

كأن صناعا صاغ بيـن غصونهـا
من الذهب البادي، عراجين من نخل

نشت لؤلؤا ، ثم استحالت زمردا
يؤول الى العقيان قبل جنى البسر

ووصف الصحراء ووحشتها ، وترامى اطرافها فقـال :

موسومة بالبعد ، تحسب سهلها
القـى السمـاء بحولهـا اطنابـا

فكأنهـا دار تقـاذف صحنهـا
لم يجعـل البانـي لهـا ابوابـا

ومن جميل قوله فى وصف السراب :

يفلقـن لجـة آلـه ، فأمامهـا
حاد ، وآخر خلفهـا لم يلحـق

فكأن ذا موسى ، وذاك بأثـره
فرعون ، الا انـه لم يغـرق

ومن تشبيهاته الجميلة ما قاله فى وصف كوز :

ومعجم لم يبـق فـى جثمانـه
الا حشاشة مهجـة لم تـزهـق

حنيت على كشحيه من برحائـه
عضدان : فهو لموثق لم يطلـق

حلت عمامة راسـه فتضوعـت
منا مفارقـه ، بمثـل الزنبـق

وله شعر رقيق يستهوي القلوب ، كقوله :

فبتنا وانواع النسيـم ابتذالنـا
ولا غير عينيها ، وعيني كالـي

الى ان بدا وجه الصبـاح كانه
جبين فتاة ، لاح بيـن حجـال

وقوله متغزلا :

واحور ما يعفي العيون من الفسق
له كذب فى الجد، احلى من الصدق

وللحسن فى خديه شمـس مقيمـة
وبدر كمال لا يحـور الى محـق

وما العيش الا ميتة الهجر والهـوى
باحور ، ما يبقى هواه ، وما يبقي

– 4 –

كان ابن فرناس موسيقيا مبدعا ، ينظم الشعر ، ويضع اللحن ، ويغني به ، ويوقـع على العـود ، واشتهر بما وضعه من قطع جميلـة كانت من نظمـه وتوقيعـه ، وكان امراء قرطبة يزينون مجالسهم بانشاده وعزفه ، واكثر الامراء حبا له هو الامير محمد ابن عبد الرحمن ، غناه يوما صوتا من نظمه وتلحينه اوله :

الجهل ليـل ليـس فيـه نـور
والعلـم فجـر نـوره مشهـور

فاجزل له العطـاء .

ومما يدلنا على سرعة بديهته فى نظم الشعر ، ووضع الصوت المناسب وحسن توقيعه على العود ، ما رواه المرزباني (فى طبقات اللغويين والنحويين) فقـال :

كان محمود بن ابي جميل غلاما جوادا – وكان عاملا فى اخريات ايام الامير عبد الرحمن بن الحكم – فعمل قبة ادم – بلغت النفقـة فيها وفى وطائـها خمسمائة دينار – فاكملت ضربها على وادي لكة (1)، وصنع ضيفا ، جمع له اصناف الكورة ، ووافق ذلك اطلاع « عبد الملك بن جهـور بن يوسـف بن بخت » ضياعه «بشلونة» فاستجلبه محمود مع بياض الكورة، فشهد وشهدوا، فلما تقضى طعامهم ، وصاروا الى المؤانسة – وعندهم احد بني زرياب – طلع عليهـم عباس بن فرناس زائرا لمحمود ، فقام محمود اليـه والتزمه ، وسر جميعهم بـوروده ، ثم عرض عليـه الطعام ، فطعم ، ثم صار الى المؤانسة ، ودفع ابن زرياب يغني :

ولو لم يشقنـي الظاعنـون لشاقنـي
حمـام تداعـت فى الديـار وقـوع

تداعين فاستبكيـن من كان ذا هـوى
نوائـح مـا تجـري لهـن دمـوع

فاستعادوا الصوت اعجابا ، فاعاده .

فلما تقضى غناء ابن زرياب ، مد العباس يده الى العود ، فاخذه وغنى البيتين ، ووصلهما من عنده بديهة فقال :

شددت بمحمـود يـدا حيـن خانهـا
زمـان لاسبـاب الرجـاء قطـوع

بنى – لمساعي الجود والمجـد – قبـة
اليهـا جميـع الاجوديـن ركـوع

وكان محمود جوادا ، فقال له : يا ابا القاسم ، اعز ما يحضرني من مالي القبة وهي لك – بما فيها من كسوتي هذه – وتكون فى ضيافتك بقية يومنـا ، ودعا اليه بكسوة فلبسها ، ودفع اليه كسوته ، وكانوا يومهم كذلك ..

هذه القصة الطريفة عن الفنان ابن فرنـاس ، تطلعنا على ما كان عليه من النظم الـذى يناسب

(1) مدينة غربي الاندلس

المقام ، وانه كان يضع له الصوت ، ويغني بما يعجب المبرزين فى الغناء ، بل يفوقهم بذلك

— 5 —

هذا التفوق فى الموسيقى والايقاع ، سلعده على حل اصطلاحات كتاب العـــروض للخليـــل بن احمـــد الفراهيـــدي (100 — 170 هـ = 718 — 786 م) احد مفاخر العرب والاسلام .

ذكر المؤرخون : لما ادخل الى الاندلس كتـــاب العروض ، للخليل بن احمد الفراهيـــدي وصار الى الامير هبد الرحمن بن الحكم ، عرضه على هلماء قرطبة وادبائها ليوضحوه له ، فعجزوا هن ذلك ، وصـــار الكتاب مما يتلهى به فى قصر الامير ، حتى ان بعض جواري القصر كان يقول لبعض : صير الله هقلك ، كعقل الذى ملأ كتابه من : مما ومما . فبلغ الخبر ابا القاسم بن فرناس ، فتقدم الى الامير ، وطلب اليه اخراج الكتاب اليه ، ففعل ، ولما قراه ابن فرنـــاس وتدبره ، علم انه فى هلم العروض ، العلـــم الـــذى ابتكره الفراهيدي ، وضبط به بحور الشعر العربي ، ففك ابو القاسم غوامضه ، وشرحه لقومه ، فسهل عليهم دراسة هذا الفن الجميل والاستفادة منه .

فلولا براعته فى الموسيقى والنغم ، وشعـــوره المرهف ، وتبصره بالغريب ، واطلاعه الواسع علـــى دقائق هذا الفن — لما سهل عليه حل رموز الكتاب ، وتبسيطه .

— 6 —

فحكيم الاندلس ابن فرنـــاس ، كان **من عباقرة عصره فى العلـــوم ، والمعـــارف الدقيقـــة ، والآداب الرفيعة ، والفنون الجميلة .**

عانى صناعة الطب ، فكان من اطبـــاء زمانـــه ، درس المنطق والفلـــسفة وعلوم الحكمة وصار من اعلامها، عكف على التجارب فى الكيمياء والعلـــوم الطبيعيـــة واهتدى الى امور خفيت على غيره ، متضلعا بعلـــم الفلك والنجوم والرياضيات ، وجاء بمـــا ادهـــش قومه — وكان مع هذا كله — اديبا شاعرا نحويا لغويا ، يتقن وضع الالحان ، ويحسن الايقاع على آلات الطرب، ويطير فى الفضاء ، محلقا فى جو الاندلس ، ذلـــك لانه كان بعمله وفنه ، فوق ما عليه قومه ، فخلق فى العلم والعمل .

رحم الله ابا القاسم « حكيم الاندلس » فقد كان من اعلام نوابغ الاسلام ، يفاخرون بعلمه وادبه وفنه.

اهم المصادر التى عولنا عليها فى هذا البحث :

بغية الملتمس — للضبي
المغرب في حلى المغرب — نشره شوقي ضيف.
جذوة المقتبس — للحميدي .
التشبيهات من اشعار اهل الاندلس — الكتاني.
نفـح الطيـب — المقـــري .
الحلل السندسية — ارســـلان
معجـم الادبـاء — ياقـوت
يتيمة الدهـر — للثعالبـي .
طبقات اللغويين والنحويين — الزبيـــدي .
وفيات الاعيـان — ابن خلكـان
بغيـة الوعـــاة — السيوطي
شذرات الذهب — لابن العمـاد
مقال فى العدد 22 من مجلة العربي للاستاذ عنـــان .
وغيرها من المصادر ..

أعلام اللغة

أحمد فارس الشدياق

الأستاذ محمد جميل بيهم

منذ بداية القرن التاسع عشر برزت في كل من مدينة بيروت ، التي كانت مركزا لولاية تحمل اسمها، ولبنان في عهديه الاقطاعي والمتصرفية الممتازة، برزت نهضة عارمة شملت النواحي الادبية والاجتماعية والسياسية . وكان يرجع مصدرها الى اختلاط هذا الثغر والجبال المشرفة عليه باوروبا وذلك بانتقال بعض رجال الدين المسيحي الى عواصم الغرب ، وبتدفق الارساليات التبشيرية الى هذين البلدين ، وتنافسها في انشاء المدارس والكليات والمطابع ، بالاضافة الى ما تخلل ذلك من قيام الشركات الاجنبية بالمشاريع العمرانية والاقتصادية ، وفي اسفار كان يقوم بها تجار بيروت الى الممالك الاوروبية وغيرها في سبيل التبادل التجاري .

وفي اواخر القرن المذكور كان شعار النهضة اهتماما باللغة العربية وآدابها ، وقد حمل لواءهما ادباء من رجال الدين والدنيا نظموا الشعر وكتبوا المقامات وانشأوا الصحف والمدارس ليس في سوريا فحسب ، وانما في غيرها من البلاد المجاورة ، واوروبا . وعلى قول جاحظ لبنان المعاصر المرحوم مارون عبود احمد فارس الشدياق كان الرجل الاول في هذا البعث الاجتماعي ، وحامل لواء اللغة العربية .

— * —

ولد فارس الشدياق في قرية عشقوت بلبنان سنة 1804 ، ولاحوال سياسية انتقل والده منصور الى قرية الحدث على مقربة من بيروت سنة 1809 فترعرع فيها ، وتعلم في مدرسة عين ورقة . ولما مات والده انكب على المطالعة ، واحترف مهنة نسخ الكتب .

ولما مات اخوه بطرس الذى كان حبيس البطريرك الماروني في دير قنوبين خاف فارس على نفسه فعاف وطنه مغاضبا ، وسافر الى القاهرة ليكون استاذ اللغة العربية عند رجال البعثات الاميركيين . وهناك انكب على دراسة اللغة العربية وعلى الاتصال بالائمة المصريين والعلماء ، فبلغ ابعد اعماقها . ولذلك عهد اليه محمد علي الكبير والي مصر بتحرير جريدة الحكومة : « الوقائع المصرية » .

وفي سنة 1824 ذهب الى مالطة بناء على طلب المرسلين الاميركان ، ولبث في تلك الجزيرة اربع عشرة سنة يعلم في مدرسة هؤلاء ، ويصحح مطبوعات مطبعتهم .

وفي سنة 1848 طلبته وزارة الخارجية الانكليزية من حاكم مالطة ليعاون الدكتور «لي» على ترجمة التوراة ، فلبى طلبها ومكث في لندن عشر سنوات تعرف خلالها باكبر علماء اوروبا وادبائها . وهناك الف كتبه « الواسطة » و«كشف المخبا» و «الفارياق» الذى طبعه في باريس سنة 1855 .

وفي باريس الف واصدر كتبا اخرى ابرزها «سر الليالي» الذى كشف به الغطاء عن عظمة اللغة

العربية . وصادف ان جاء باريس وقتئذ احمد باشا باي تونس ، فمدحه الشدياق بقصيدة كان اولها « زارت سعاد »، ثم بعث بها اليه بعد عودة الباي الى بلاده فاعجب هذا بها ، وارسل يستقدمه الى تونس على سفينة بخارية ليبحر الشدياق عليها هو وعائلته.

وفي تونس غمر الباي الشدياق بنعمه ، وقلده اسمى المناصب، وفضلا عن مديرية المعارف عهد اليه برياسة تحرير جريدة الرائد التونسي . وفي غمرة هذه النعم اعلن فارس الشدياق اسلامه ، واضاف الى اسمه احمدا ، وتكنى بأبي العباس .

وحينئذ ، وقد ذاع صيته في الشرق والغرب ، استدعاه السلطان عبد المجيد العثماني بواسطة الباي. ولما جاء دار السعادة « اسطامبول » رحب به السلطان ، وعهد اليه بادارة المطبعة السلطانية طوال عدة سنوات . وفي سنة 1861 انشأ الشدياق جريدة الجوائب ، فكانت تنطق بلسان الشرق ، ومرجعا للصحف الاوروبية في القضايا الشرقية التي كان يطلق عليها « المسألة الشرقية » . وكانت هذه الجريدة تحمل لواء العرب والعربية الامر الذي افضى الى اسكاتها سنة 1884 .

وفي 1886 زار احمد الشدياق القاهرة ، وهو شيخ ، فاكرمه الخديوي توفيق باشا ، ونوه بخدماته للشرق افضل تنويه ، ولكنه مع ذلك ظل يحن الى العاصمة العثمانية فعاد اليها ، وقضى نحبه فيها سنة 1887 . وقد احتفل بمأتمه احسن احتفال ، واشترك فيه ممثل السلطان ، وصدرت ارادة سنية بدفنه في تربة السلطان محمود ، بينما رثته صحف العالم على اختلاف لغاتها ، ونقل البرق نعيه الى العواصم الاخرى . وقالت عنه جريدة الاجيبشيان غازيت ما يلي : « ضع الكتبة الانجليز سكيث وامرسون وداور دروث ووايكنف وبلويز في شخصية واحدة فحينئذ يمكنك ان تتصور جيدا عظمة احمد فارس الشدياق . ولو ولد الشدياق في اوروبا لدفن مع نخبة العظماء ، ولنصبت له التماثيل في اكثر مدن بلاده . »

ولكن الشدياق (على ما جاء في دائرة معارف البستاني) كان يريد ان لا يدفن في غير مسقط راسه ولذلك فان ولده سليما التمس الاذن بأن يدفن في قرية الحدث عملا بوصية والده . وكان يوم نقل جثمانه الى لبنان من اعظم ايامه، كما كان يوم استقبال جثمانه في بيروت يوما مشهودا اشترك فيه العلماء وعلى راسهم مفتي البلدة ، والاعيان والادباء ، وكانت الرايات والاعلام تمشي امام الجنازة ، ومشائخ الطرق يمشون وراءها يهللون ويكبرون .

وبعد الصلاة عليه في الجامع العمري الكبير ، وسماع المراثي من نظم ونثر (على ما ذكرت جريدة لسان الحال في اليوم التالي نقل جثمانه الى قرية الحدث ، ولكنه لم يدفن فيها ، وانما دفن على مقربة منها في محلة الحازمية على جانب الطريق بين بيروت ودمشق حيث شيدت الدولة له ضريحا مرموقا على نسق مقامات الباشوات والحكام .

— * —

في نهاية عام 1936 اجتمع في بيروت جمهرة من كبار الادباء والصحفيين والاعيان، وقرروا الاحتفال بيوبيل الشدياق لمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته ، واختاروا لجنة ادارية منهم تتولى اعداد مهرجان كبير لاحياء ذكراه، ولاعادة طبع آثاره . وقد شرفني المجتمعون بانتخابي رئيسا لهذه اللجنة ، ولكن الاسباب التي حالت دون دفن الشدياق في القرية التي ولد فيها ، حالت هذه المرة ايضا دون قيام هذه اللجنة بما عهد اليها .

ونحن نترك الكلام هنا الى اديب لبنان الكبير مارون عبود . فهو قد ختم كتابه « صقر لبنان » الصادر سنة 1950 بفصل اطلق عليه اسم « صرخة في واد » : اورد فيه ما اعترض الاحتفال الخمسيني للشدياق من ملابسات وعقبات . وقال : « عندما ارسلنا الصرخة تلو الصرخة لم نحسب انها جميعا ستذهب في واد . فما اصدرنا بضع مقالات ، في نهاية عام 1936 نذكر فيها العالم العربي باديب النهضة الحديثة ، وواضع حجر الزاوية في بنيانها العلامة الاكبر احمد فارس الشدياق حتى اهاب بنا صوت من بيروت : ان انزل العاصمة ، فهبطنا اليها شاكرين للاستاذ محمد جميل بيهم دعوته الى شربنا فيها الشاي والقهوة ، واكلنا من الحلوى اقراصا مختلفة .

كنا اربعين ، ولكن غير الاربعين الخالدين ، فانتخبنا منا اثني عشر رسولا ... حملناهم الدعوة للشدياق ، وارسلناهم كالخراف ... كانت همتنا عظيمة يوم بدانا ، وتلك عادتنا ، نار هشيم ، ثم تنطفيء . فما ذاعت الدعوة حتى انبعثت الهمم ، واتانا من القاهرة نبأ الدكتور فيليب الشدياق (ابن عم المرحوم) يتبرع بمائة جنيه مصري لعمل تمثال

للفقيد ، وتوالت جلسات اللجنة المختارة حتى خطر ببالها ان تقرع باب الحكومة ، فمثة فيليب شجعتها ... اما كرم الحكومة فكان حالميا ... واليك ما كتبته جريدة صوت الاحرار الخطيرة على اثر تلك المقابلة تحت هذا العنوان الضخم « الجمهورية اللبنانية تقدر نوابغها » .. « اوفدت لجنة تكريم امام اللغة العربية وحجتها في القرن التاسع عشر المأسوف عليه احمد فارس الشدياق اربعة من اعضائها : السادة محمد جميل بيهم رئيسها ، والشيخ يوسف زكريا ، وكرم ملحم كرم ، ويوسف يزبك فقابلوا فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الاستاذ اميل ادة وطلبوا اليه التلطف بقبول جعل المهرجان تحت رعاية فخامته . وقد استقبل اللبناني الاول وفد اللجنة بحفاوة وقال : « انه شخصيا يعطف على مشروعها ويقدره حق قدره ، ولكنه يطلب الى الوفد ان يجتمع بمعالي وزير التربية الوطنية ويتفق معه على تقرير الامر ، عملا بنصوص الدستور ... وذهب الوفد الى معالي الاستاذ حبيب ابي شهلا ، فلقي من وزير التربية الوطنية كل عطف وتشجيع، وقال : انه مستعد لتسهيل مهمة اللجنة بكل ما لديه من الوسائل المادية والمعنوية ، وقد تلطف وشكر اللجنة باسم الحكومة اللبنانية على اهتمامها بتكريم نابغة لبناني من نوابغ الامة العربية ، ووعد بقبول رعاية المهرجان.

وقد بسط لمعالي الوزير منهاج اللجنة لتكريم الشدياق ، ومنه اعادة طبع بعض مؤلفاته ، واختيار مختارات منها ، ثم اقامة تمثال له ، وترميم ضريحه في الحازمية ، وجعل مدة المهرجان اسبوعا كاملا يشترك فيه المستشرقون ، ووفود الاقطار العربية وشعراؤها وكتابها . ولم يفسح معالي الوزير المجال للوفد لكي يطلب معونة الحكومة ، بل اعلن لزائريه حالا انه سيخصص مبلغا من المال تسمح به حالة موازنة المعارف يكون فاتحة الاكتتاب الذي ستجريه اللجنة لتحقيق منهاجها ، ووعد بأن تشترك مدرسة الصنائع والفنون مع احد مهندسي الحكومة لترميم الضريح ، فخرج الوفد من زيارته شاكرا » .

ومضى عبود يقول :

« راحت وزارة ابي شهلا ، وجاءت بعدها وزارة ابي اللمع ، ثم سقطت هذه وجاءت وزارة ثابت ، ولكن الوزارات لم تكن تحل وتربط ، فمشت القضية على قدم وساق الى الاضمحلال ..

وهكذا ارتخت همة لجنة الشدياق ، اذ علم الاعضاء الكرام ، والرئيس الهمام انهم ينفخون في رماد . »

وهنا اعرب المرحوم مارون عبود عن اسفه على ما اعترض يوبيل الشدياق الخمسيني من عقبات ، ولكنه قال : « فلا باس ان تركنا التمثال للذرية فلعلها تكون خيرا منا فلجنة تمثال بودلير نامت زهاء ربع قرن » .

اما وقد مضى 35 عاما على موعد يوبيل الشدياق الخمسيني توفي خلالها الداعي الاول لهذا اليوبيل ، واشرفت على اللحاق به حين أن احدا من الذرية لم يفكر في الاحتفال بذكرى الشدياق فاني احببت أن اذكر العالم العربي بمجلة «اللسان العربي» المحترمة، بالرجل الفذ الذي خدم هذا اللسان خدمات لم يقم فيها احد سواه في عصره ، ولعل الذكرى تنفع المؤمنين .

تاريخ جامعة الدول العربية

الشيخ طه الولي "بيروت"

كان عام 1941 بالنسبة للحلفاء مشحونا بالمفاجآت والمتاعب . وفي اثنائه احرزت قوات الالمان انتصارات عسكرية ساحقة على اكثر الجبهات الحربية سواء في اوربا حيث سقطت فرنسا صريعة تحت اقدام الغزاة وتفشت قوات المحور بقيادة رومل على طول شمال افريقيا حتى الحدود المصرية، وبدا للناس في كل مكان ان هتلر سيصبح سيد العالم بلا منازع.

وقد ادى هذا الوضع العالمي الى **تحريك المشاعر القومية في بلاد الشرق العربي** فقامت الاوساط الوطنية المتحمسة باثارة الجماهير للانقضاض على السلطات الحليفة باساليب مختلفة ، بلغت احيانا حد الحركات المسلحة ، كما حدث مثلا في العراق حيث اعلن الجيش العراقي الحرب بصورة رسمية على القوات البريطانية التي كانت ترابط في البلاد ، واستولى على السلطة بعد ان اضطر الوصي على العرش وحكومته للهرب من العاصمة بغداد والاعتصام في البصرة تحت حماية القوات الانجليزية التي كانت عمارتها البحرية قريبة منها .

وعلى الرغم من ان الجيوش الحليفة كانت ولا تزال قادرة على اخماد كل حركة محلية تقوم ضدها،بل هي اخمدتها بالفعل ، بالرغم من ذلك فان الحكومة البريطانية وجدت ان من مصلحتها يومئذ معالجة العواطف الوطنية عند العرب بالتي هي احسن ، فلجأت الى نفس الاساليب التي سبق لها ان اتبعتها في الحرب العالمية الاولى (1914 ــ 1918) بيد انها في هذه المرة لم تعتمد على موظفيها العاديين في البلاد العربية امثال السير هنري مكماهون ، وانما كلفت وزير خارجيتها بالذات ، المستر انطوني ايدن ، باطلاق تصريح سياسي قال فيه :

« **لقد خطا العالم العربي خطوات واسعة في طريق الرقي، وهو يطمع الآن الى تحقيق نوع من الوحدة يجعل منه عالما متماسكا،** وبرجو ان تساعده بريطانيا العظمى في بلوغ هذا الهدف . ويسرني ان اعلن باسم حكومة صاحب الجلالة عن ترحيب بريطانيا بهذه الخطوة وعن استعدادها لمساعدة القائمين بها حالما تتوفر لديها الادلة على تأييد الرأي العام العربي لها » .

غير انه بالرغم من المكانة الرسمية التي يتمتع بها المستر ايدن في حكومته ، فان تصريحه المثير لم يحدث اثره المطلوب في نفوس القادة العرب . لان هؤلاء كانوا ما يزالون غير مقتنعين بقوة الحلفاء ولا بسلامة موقفهم العسكري ، من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان العرب على مختلف اوساطهم كانوا غير مؤمنين بصدق نوايا الانكليز الذي سبق لهم ، اثناء الحرب العالمية الاولى ، ان تنكروا لوعودهم وعهودهم التي اسرفوا في اغداقها على الشريف حسين ، امير مكة ، حين استدرجوه للثورة على دولة الخلافة العثمانية الاسلامية . فلما انتصروا على اعدائهم ، لم يتورعوا عن اعتقاله في جزيرة قبرص ، واحتلال الشرق العربي وتقسيم بلاده فيما بينهم وبين حلفائهم الفرنسيين على ما هو معروف ، ولا داعي لتكراره في هذه المناسبة .

وكان تصريح المستر انطوني ايدن الاول بتاريخ 29 ايار 1941 . وفي 24 شبـاط سنة 1943 جـاء ايدن بتصريح جديد ، كرر فيه ما كان قد عرضه في السابق من بذل خدمات بريطانيا لمساعـدة العـرب على تحقيق امانيهم في الاتحاد والتحرر ، وذلك في معرض رده على سؤال وجه اليه من قبل احد اعضاء مجلس العموم البريطاني .

ويبدو ان الظروف في سنـة 1943 كـانت ، بالنسبة للحلفاء افضل منها في سنة 1941 . نظرا لتحول الموقف العسكري بوجـه عـام الى صالحهم ، فاستقبل ساسة العرب التصريح الانجليزي الثاني بروح ايجابية ، رغبة منهم في الافادة من هذا العرض البريطاني ، الذي بدا لهم وكانه فرصة ذهبيـة ، لا يجوز تفويتها على امتهم ولاسيما وان الحلفاء في ذلك الحين ، ارادوا تبديـد الشكـوك فيمـا يقولونـه ، فانتهزوا فرصة انسحاب قوات المحور وفي جملتها قوات حكومة فيشي التابعة لهم ، من منطقة الشرق الاوسط ، فاعلن ديغول ، رئيس الحكومة الفرنسية المؤقتة اعترافه باستقلال سورية ولبنان ، كما اعلـن الانجليز عزمهم على الاعتراف باستقلال امـارة شرق الاردن فيما بعد .

وبالفعل كان اول رد فعل لتجاوب العرب مع البادرة البريطانية جاء من قبل الامير عبد الله بن الحسين حاكم شرق الاردن الذي كان اول من اعـرب عـن استجابته لتصريح ايدن ، معلنا بان العرب سيجتمعون حالا ، لدراسة التصريح المذكور ، والتصرف على ضوء ما تضمنه من عروض ووعود .

وكان الامير عبد الله يرى ان الظـرف اصبـح ملائما للعمل على تحقيق حلمه في بعث مملكة له تضم البلاد السورية في جميع اجزائـها التي اقتسمهـا الحلفاء فيما بينهم بعد الاحتلال الذي فرضوه عليها في اعقاب الحرب العالمية الاولى . فوجه مذكرة الى الحكومة الانجليزية يناشدها فيها الغاء الانتداب عن شرق الاردن اسوة بالاقطار السورية الاخرى ليتمكن من السعي مع تلك الاقطار للوحدة تمهيدا للملك الذي يطمع به . وايد الامير مذكرته هذه بان ارسل معها صورة من قرار اتخذه مجلس الوزراء الاردني بتاريخ اول تموز سنة 1941 جاء فيه :

... « ان التصريح البريطاني الاخيـر عـلى لسان المستر ايدن اولا ، ولسان السير مايلز لمبسون ثانيا ، وكذلك تصريح فرنسـا الحـرة علـى لسان الجنرال كاترو . قد قوبلا بالاغتباط والشكـر مـن حكومة سموكم واتاحا لها ، على ضوئهما ان تـدرس الموقف السياسي الحاضر في البلاد التي تتالف من سورية ولبنان وشرق الاردن وفلسطيـن ، وتمثـل المجموعة السورية العراقية التاريخية ، وانها لترحب اجمل ترحيب بهذين التصريحين وتسجلهما وتعتبرهما اعترافا بجدارة البلاد السورية بالاستقلال والوحدة ، ودليلا على تقدير بريطانيا العظمى وفرنسا الحـرة للمنافع المشتركة التي يمكن ان يضمنها استقـلال البلاد العربية السورية ووحدتها للدولتين الحليفتين وللعرب انفسهم سواء في ايام السلم او ايام الحرب. وبناء على هذا الراي ترى (اي الحكومـة الاردنيـة) ان تتفضلوا وتسمحوا لها بالاتصال بالحكومات المشار اليها والتعاون واياها على العمل لتحقيـق الغايـات الآنفة وجمع الكلمة وتوحيد الراي العـام ، وانهـا تستند في اقتراحها هذا الى الامور الآتية :

[illegible] :

تضمن تصريح المستـر ايـدن ان الحكومـة البريطانية مظهرة العطف على قضية الاستقلال السوري وانها مستعدة لتاييد السعي الذي يبذله فريق من زعماء العرب لايجاد نوع من الوحدة العربية .. وان ذلك ليعد اكبر تاييد من الحكومة البريطانية واعظم عطف منها على القضية العربية .

ثم تضمن قرار الحكومة الاردنية ، النقاط التي رءاها مبررة لما جاء فيه .

على ان الحكومة البريطانية استقبلـت مذكـرة الامير عبد الله وقرار حكومته بفتور ملحوظ وكلفت معتمدها في الاردن بالجواب عليه في مذكرة جـاء فيهـــا :

« .. ان فخامة المندوب السامي (بفلسطين) قد احال الامر الى حكومة جلالته .. واوعز الي بان ابلغ سموكم رد حكومته بالنص التالي :

« ان المثل الاعلى للوحدة العربية والاستقلال هو مستحوذ على عطف حكومة جلالته التـام ، علـى ان القضيـة يرجع امرها الى تبصر العرب انفسهم ، عندما يكون الميدان اكثر جلاء مما هو عليـه فـي الوقت الحاضر . اما فيما يتعلق بالقـرار الموجـود قيـد النظر ، فان حكومة جلالته تلزم رأيها التاكيد ان كل تقارب من الحكومة السورية او من اية حكومة اخرى من الحكومات ، كالتي تضعها حكومة شرق الاردن

نصب عينها ينبغي ارجاؤه ريثما تغدو الحالة اكثر استقرارا » .

ولم تكن استجابة الامير عبد الله هي الوحيدة التى قوبل بها تصريح ايدن من قبل العرب ، بل ان نوري السعيد قام بدوره بتقديم مذكرة عرفت يومها « بالكتاب الازرق » الى المستر كيزي وزير الدولة البريطانية فى الشرق الاوسط ، وقد اعربت هذه المذكرة عن ترحيب العراق بالبادرة الانجليزية التى وردت على لسان المستر ايدن . .

بيان مصطفى النحاس باشا

ان البيانات التي اصدرها المسؤولون فى الاردن والعراق لم تترك اي صدى فى الدوائر العربية الاخرى لان الوضع السياسي فى كلتا الدولتين المذكورتين لم يكن يحظى بتأييد هذه الدوائر ولا برضاها ، فاتجهت الانظار الى مصر كبرى الدول العربية . وفى غضون اسابيع قلائل تناقلت وكالات الانباء ان مصطفى النحاس باشا ، رئيس الحكومة المصرية كلف وزير العدل فى حكومته ، المرحوم صبري ابو علم باشا بان يلقي يوم 30 ءاذار سنة 1943 ، باسمه وبصفة رسمية ، البيان التالي :

« انني من قديم معنى باحوال الامم العربية والمعاونة على تحقيق ءامالها فى الحرية والاستقلال ، سواء فى ذلك ، اكنت فى الحكم ام خارج الحكم ، وقد خطوت فى ذلك خطوات واسعة، صادفها التوفيق بان اتجه نظام الحكم فى بعض الاقطار العربية الاتجاه الشعبي الصحيح. ومنذ اعلن المستر ايدن تصريحه فكرت فيه طويلا ، وقد رايت ان الطريقة المثلى التى يمكن ان توصل الى غاية مرضية ، هي ان تتناول هذا الموضوع الحكومات العربية الرسمية ، وانتهيت من دراستي الى انه يحسن بالحكومة المصرية ان تبادر باتخاذ خطوات رسمية فى هذا السبيل ، فتبدا باستطلاع ءاراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمي اليه من ءامال كل على حدتها ، ثم تبذل جهودها للتوفيق والتقريب بين ءارائها ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، ثم تدعوهم بعد ذلك الى مصر معا فى اجتماع ودي لهذا الغرض ، حتى يبدا المسعى للوحدة العربية كجبهة متحدة بالفعل ، فاذا ما تم التفاهم او كاد ، وجب ان يعقد فى مصر مؤتمر برياسة الحكومة المصرية لاكمال بحث الموضوع واتخاذ ما يراه المؤتمر من القرارات محققا ما تنشده الامم العربية . »

ويمكن تفسير هذا الموقف السريع والحاسم الذي بادر الى اتخاذه مصطفى النحاس باشا من تصريح المستر ايدن ، بان مصر ارادت ان تدخل الى الحركة العربية من بابها الواسع ، وان يكون لها فى هذه الحركة الدور الرئيسي الفعال ، فلا تترك لا للامير عبد الله ولا لنوري السعيد الاستقلال باخذ المبادرة فى توجيه النشاط العربي سواء من الناحية القومية او من الناحية الرسمية ، وهذا ما يعنيه بالفعل ، تركيز بيان النحاس باشا على ان تتولى مصر بالذات الدعوة لعقد المؤتمر العربي فى اراضيها وبرئاسة رئيس حكومتها دون سواه .

ونظرا لمكانة مصر فى العالم العربي وفعاليتها فى الميدان الدولى العالمي ، فان بيان النحاس باشا احدث تأثيره السريع لدى المحافل العربية ، فاستجابت له الحكومات العربية على الفور وكان اول المستجيبين الحكومة العراقية فاوفدت وزير داخليتها المرحوم تحسين العسكري ومعه جميل المدفعي احد رؤساء الحكومة العراقية السابقين لاجراء مشاورات رسمية مع الحكومة المصرية حول ما جاء فى بيان النحاس باشا لاتخاذ الخطوات العملية التي من شانها اخراج فكرته الى حيز التنفيذ . واتفق الطرفان ، مصر والعراق ، على توجيه الدعوة الى الحكومات العربية كي ترسل ممثلين عنها للمشاركة فى هذه المشاورات فى مؤتمر تحضيري ، يعقد لهذا الغرض فى مدينة الاسكندرية . وقد رؤى الاقتصار يومئذ على الدول العربية المستقلة وكان عددها خمسة وهي : سورية والاردن والعراق ولبنان ومصر.

وقد لبت هذه الدول الخمس دعوة الحكومة المصرية لحضور هذا المؤتمر التحضيري وفى جملتها الاردن نفسه ، الذى ارسل موافقته فى كتاب حمله الى النحاس باشا نورى السعيد باشا ، جاء فيه :

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ، رئيس الوزارة المصرية الافخم

كتابي هذا الى مقامكم الرفيع مع حضرة صاحب الفخامة نوري باشا السعيد ، وقد زارنا بعمان وسيزور مصر ليرى رفعتكم فى القضية العربية التى قد استرعى افكارنا عنها علاوة على ما يعلم فخامته من المبدا القديم الذى سار عليه بيتنا فى القضية العربية . واننا لنشكر لرفعتكم على ميلكم للاخذ باليد والعمل على التعاون الاخوي الواجب علينا جميعا فى اقطارنا المحبوبة ، واننا حين نكتب كتابنا هذا ، نتمنى لرفعتكم الصحة والعافية والتوفيق فى جميع الاعمال » .

مؤتمر الاسكندرية التحضيري

استمر انعقاد المؤتمر الذى دعا اليه النحاس باشا فى مدينة الاسكندرية طوال المدة الواقعة ما بين 25 ايلول و 7 تشرين الاول من سنة 1943 . وفى نهايتها اصدر المؤتمرون بيانا رسميا ، عرف فيما بعد باسم « **بروتوكول الاسكندرية** » ، وجاء فى مقدمة هذا البيان :

« **اثباتا للصلات الوثيقة والروابط العديدة التى تربط بين البلاد العربية جمعاء** ، وحرصا على توطيد هذه الروابط وتدعيمها وتوجيهها الى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة ، وصلاح احوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق امانيها وآمالها ، واستجابة للراي العربي العام ، فى جميع الاقطار العربية قد اجتمعوا (اي المؤتمرون) بالاسكندرية بين يوم الاثنين 8 شوال سنة 1963 الموافق 25 سبتمبر 1943 ويوم السبت 20 شوال سنة 1363 الموافق7 اكتوبر سنة1943فى هيئة لجنة تحضيرية للمؤتمر العربي العام وتم الاتفاق بينهم على ما يأتي :

اولا : تؤلف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة التي تقبل الانضمام اليها ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى «مجلس جامعة الدول العربية» تمثل فيه الدول المشتركة فى «الجامعة» على قدم المساواة وتكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من الاتفاقات وعقد الاجتماعات الدورية لتوثيق الصلات بينها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون فيها وصيانة لاستقلالها وسيادتها من كل اعتداء ، بالوسائل الممكنة وللنظر بصفة عامة فى شؤون البلاد العربية ومصالحها . وتكون قرارات هذا المجلس ملزمة لمن يقبلها ، فيما عدا الاحوال التى يقع فيها خلاف بين دولتين من اعضاء الجامعة ويلجا فيها الطرفان الى المجلس لفض هذا الخلاف ، ففى هذه الاحوال ، تكون قرارات « مجلس الجامعة » نافذة وملزمة ، ولا يجوز على كل حال الالتجاء الى القوة لفض المنازعات بين دولتين من دول الجامعة ، ولكل دولة ان تعقد مع دولة اخرى من دول الجامعة او غيرها اتفاقات خاصة لا تتعارض مع نصوص هذه الاحكام او روحها . ولا يجوز فى اية حال اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية او اية دولة منها . ويتوسط المجلس فى الخلاف الذى يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين اية دولة اخرى من دول الجامعة او غيرها للتوفيق بينهما . وتؤلف منذ الآن لجنة فرعية من اعضاء اللجنة التحضيرية لاعداد مشروع لنظام « مجلس الجامعة » ولبحث المسائل السياسية التى يمكن ابرام اتفاقات فيها بين الدول العربية . »

وقد تضمن هذا البيان « البروتوكول » بالاضافة الى فقراته الاساسية قرارين خاصين ، احدهما عن لبنان والآخر عن فلسطين . ويمكن تلخيص المبادىء العامة الواردة فى هذا البروتوكول بما يلي :

« **التعاون فى الشؤون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية** وغيرها وتدعيم هذه الروابط فى المستقبل » . وجرى التوقيع النهائي عليه فى ادارة جامعة فاروق الاول بالاسكندرية يوم السبت 20 شوال سنة 1363 الموافق 7 اكتوبر سنة 1944 والذين وقعوا عليه هم :

عن مصر :

مصطفى النحاس ، رئيس الحكومة
احمد نجيب الهلالي ، وزير المعارف العمومية
محمد صبري ابو علم ، وزير العدل
محمد صلاح الدين ، وكيل وزارة الخارجية

عن سورية :

سعد الله الجابري ، رئيس الحكومة.
جميل مردم ، وزير الخارجية .
نجيب الارمنازي ، امين السر العام لرئاسة الجمهورية

عن الاردن :

توفيق ابو الهدى ، رئيس الحكومة
سليمان السكر ، سكرتير مالي وزارة الخارجية

عن العراق :

حمدي الباجه جي ، رئيس الحكومة
نوري السعيد ، رئيس سابق للحكومة
ارشد العمري ، وزير الخارجية
تحسين العسكري ، وزير العراق المفوض بمصر .

عن لبنان :

رياض الصلح ، رئيس الحكومة
سليم تقلا ، وزير الخارجية
موسى مبارك ، مدير غرفة رئيس الجمهورية

اجتماع القاهرة واقرار ميثاق الجامعة

ولما كان اجتماع الاسكندرية عبارة عن مؤتمر تحضيري، والبيان الذي انبثق منه عبارة عن بروتوكول امدادي ، فان الحكومات العربية التي شاركت في هذا الاجتماع ووقعت البروتوكول ، كلفت من بينها لجنة فرعية لصياغة مشروع نهائي في تنظيم المبادىء التي تقوم عليها جامعة الدول العربية وهيكلها الاداري . وقد قامت هذه اللجنة بما عهد اليها وقدمت هذا المشروع بشقيه السياسي والاداري في غضون مدة قليلة لم تتجاوز الاسابيع الثلاثة ، **وفي 22 «اذار سنة 1945 ، انعقد مؤتمر عربي عام اشترك فيه مندوبون رسميون عن الدول التي سبق لها ان وقعت على بروتوكول الاسكندرية من قبل** ، وقد انضم الى المجتمعين في هذا المؤتمر مندوبون عن المملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية ، بعد جهود شخصية بذلها عبد الرحمن عزام باشا لدى المرحوم الملك عبد العزيز «ال سعود الذي لم يكن في ذلك الوقت على علاقة طيبة مع مصر والعراق لاسباب تاريخية معروفة .

وبعد ان ناقش المؤتمرون في القاهرة المواد التي عرضت عليهم، ادخلوا عليها بعض التعديلات التي رأوها ضرورية لنجاح المؤسسة القومية التي يريدون تأسيسها ثم ذيلوا ما اتفقوا عليه بتواقيعهم. وكان ذلك في قصر الزعفران بالقاهرة يوم الخميس 8 ربيع الثاني سنة 1364 الموافق 22 «اذار سنة 1945 . وكانت الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم ، بعد ان **الغوا كلمة «بروتوكول الاسكندرية» ووضعوا مكانها عنوانا «اخر وهو « ميثاق جامعة الدول العربية »** . والذين وقعوا هذا الميثاق نيابة عن دولهم هم السادة :

عن سورية :

فارس الخوري ، رئيس الحكومة
جميل مردم ، وزير الخارجية

عن الاردن :

سمير الرفاعي ، رئيس الحكومة
سعيد المفتي ، وزير الداخلية
سليمان النابلسي : نائب سر الحكومة

عن العراق :

ارشد العمري ، وزير الخارجية
علي جودت الايوبي ، وزير العراق المفوض بواشنطن
تحسين العسكري ، وزير العراق المفوض بمصر .

عن المملكة السعودية :

الشيخ يوسف ياسين ، نائب وزير الخارجية
خير الدين الزركلي ، مستشار المفوضية السعودية بمصر

عن لبنان :

عبد الحميد كرامي ، رئيس الحكومة
يوسف سالم ، وزير لبنان المفوض بمصر

عن مصر :

محمود فهمي النقراشي ، رئيس الحكومة
محمد حسين هيكل ، رئيس مجلس الشيوخ
عبد الحميد بدوي ، وزير الخارجية
مكرم عبيد ، وزير المالية
عبد الرزاق السنهوري ، وزير المعارف العمومية
عبد الرحمن عزام ، الوزير المفوض بوزارة الخارجية

اما اليمن فقد ارسلت الى صنعاء نسخة الميثاق حيث وقعها مندوب المملكة المتوكلية اليمنية وبذلك **تكون جميع الدول التي اشتركت في مؤتمر القاهرة قد وقعت ميثاق الجامعة بلا استثناء** .

يوم 22 «اذار سنة 1945 هو ميلاد جامعة الدول العربية رسميا

تنص المادة العشرون من الميثاق ، وهي «اخر مادة فيه :

« يصدق على هذا الميثاق وملاحقه ، وفقا للنظم الاساسية المرعية في كل من الدول المتعاقدة وتودع وثائق التصديق لدى الامانة العامة . ويصبح الميثاق نافذا قبل من صدق عليه بعد انقضاء خمسة عشر يوما ومن تاريخ استلام الامين العام وثائق التصديق من اربع دول ».

وقد نفذت الدول العربية المتعاقدة مضمون هذه المادة خلال ايام متقاربة ، واودعت حكومات هذه

الـدول وثائـق التصديـق على الميثـاق حسـب الترتيب التالي :

المملكة الاردنية الهاشمية بتاريخ 10 نيسان 1945
المملكـة المصريـة بتاريخ 12 نيسان 1945
المملكة العربية السعودية بتاريخ 16 نيسان 1945
المملكـة العراقيـة بتاريخ 25 نيسان 1945
الجمهوريـة اللبنانيـة بتاريخ 16 ايـار 1945
المملكة المتوكلية اليمنية بتاريخ 19 أيـار 1945
الجمهورية السوريـة بتاريخ 9 شباط 1946

وعلى هذا فانه ابتداء من يوم 11 ايار 1945 اصبح ميثاق جامعة الدول العربية نافذ المفعول بشكل رسمي ، غير ان الراى التقى بالاتفاق على ان يكون يوم 22 «اذار 1945 هو الميعـاد الرسـمي لتأسيس الجامعة ، ذلك أن مندوبي الدول العربية المجتمعين في القاهرة وقعوا بمجموعهم تقريبا الميثاق في هـذا اليوم .

ونظرا لاهمية هذا الحدث القومي في تاريخ الامة العربية ، فقد قررت جميع الدول المشتركـة في الجامعة اعتبار هذا اليوم عيدا قوميا تعطل فيه سائر الدوائر والمؤسسات العامة في بلادها من كل عام .

خـلاصـة الميـثـاق

وميثاق جامعة الدول العربية يقع في عشرين مادة اتفق عليها جميع الذين وقعوا عليه لتكون قاسما مشتركا ضمن الحدود التي تواضعوا على التزامهـا فيما بينهم ، سواء في علاقاتهم بعضهم ببعض او في علاقاتهم مع غيرهم من الدول الاجنبية .

وقد عبرت المادة الاولى من هذا الميثاق عن طبيعة الجامعة واغراضها ومبادئها اذ نصت انه :

«**تتألف جامعة الدول العربية من الدول المستقلة الموقعة على هذا الميثاق** ، ولكل دولة عربية مستقلة الحق في ان تنضم الى الجامـعة ، فاذا رغبت في الانضمام قدمت طلبا بذلك يودع لدى الامانة العامة الدائمة للجامعة ، ويعرض علـى المجلـس في اول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب » .

كما نصت المادة الثانية على ان :

« الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقـا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظـر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها . كذلك من اغراضها تعاون الدول المشتركة فيها تعاونا وثيقا بحسب نظم كل دولـة منهـا واحوالهـا في الشؤون الآتية :

1 ـ الشؤون الاقتصادية والمالية ويدخل فـي ذلك التبادل التجاري والجمـارك والعملـة وامـور الزراعة والصناعة .

2 ـ شؤون المواصـلات ، ويدخل في ذلـك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

3 ـ شؤون الثقافة

4 ـ شؤون الجنسية والجوازات والتاشيرات وتنفيذ الاحكام وتسليم المجرمين

5 ـ الشؤون الاجتماعية .

6 ـ الشؤون الصحية .

مـلاحـق الميثـاق

وبعد ان عددت مواد الميثاق انواع النشاطـات المختلفة التي تقوم بها الجامعة فان منـدوبي الدول العربية الذين اشتركوا في اعداد الميثـاق بصيغتـه النهائية ، كانوا حريصين على تضمينه **ملحقا خاصا بقضية فلسطين** قالوا فيه :

« منذ نهاية الحرب العظمى الماضيـة سقطت عن البلاد العربية المنسلخة من الدولـة العثمانيـة ومنها فلسطين ولاية تلك الدولة ، واصبحت مستقلة بنفسها ، غير تابعة لاية دولة أخرى ، وأعلنت معاهدة لوزان ان امرها لاصحاب الشأن فيها . واذا لم تكن قد مكنت من تولي امورها ، فان ميثاق العصبة (عصبة الامم) في سنة 1919 لم يقرر النظام الذي وضعه لها الا على اساس الاعتراف باستقلالهـا . فوجودهـا واستقلالها الدولي من الناحية الشرعية امر لا شك فيه ، كما انه لا شك في استقـلال البـلاد العربية الاخرى . واذا كانت المظاهـر الخارجيـة لذلـك الاستقلال ظلت محجوبة لاسباب قاهرة ، فلا يسوغ ان يكون ذلك حائلا دون اشتراكها في اعمال مجلس الجامعة ، ولذلك ترى الـدول الموقعـة على ميثـاق الجامعة العربية ، انه نظرا لظروف فلسطين الخاصة، والى ان يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلا ، **يتولى مجلس الجامعة امر اختيار مندوب عربـي من فلسطين للاشتراك في اعماله** » .

ولقد كان اختيار الشخصية العربية الفلسطينية موضوعا شائكا بالنسبة لاعضاء الجامعة ، وذلك بسبب الاوضاع الصعبة التى كانت تعانيها فلسطين تحت وطأة الانتداب الانجليزي وهموم الخطر اليهودي الذى يهددها بالزوال من خريطة العالم العربي ، وكذلك بسبب غياب زعيمها سماحة السيد محمد امين الحسيني وصحبه من قادة النضال الفلسطيني ، فى المعتقلات والمنافي السحيقة .

غير ان مجلس الجامعة راى الخروج من هذا المأزق الحرج بتبني اقتراح قدمه السيد محمد صلاح الدين باشا . وهذا الاقتراح يقضي بتعيين السيد موسى العلمي ممثلا عن فلسطين فى ذلك الحين ، وكان الذى وجه نظر صلاح الدين باشا الى هذا الشخص الاستاذ محمد علي الطاهر المجاهد العربي المعروف . والسيد موسى العلمي الذى كان حينئذ مقيما بمصر هو من رجال فلسطين المثقفين الذين يتمتعون بسمعة مرموقة واسم طيب ، وكان يشغل فى بلده فلسطين ايام الانتداب البريطاني وظيفة مساعد النائب العام .

موضوع الدول العربية غير المستقلة

وكذلك فان ميثاق جامعة الدول العربية لم يشأ ان يحصر اهتمامه بالدول العربية المستقلة ، بل انه تضمن الى جانب الملحق الخاص بفلسطين ، **ملحقا اخر خاصا بالتعاون مع البلاد العربية غير المشتركة فى مجلس الجامعة** بسبب وقوعها تحت السيطرة الاجنبية كي لا تحرم هذه الدول وما هو فى حكمها من المساهمة فى نشاطات الجامعة داخل لجانها المتعددة . وقد جاء فى الميثاق فى هذا الصدد انه: « نظرا لان الدول المشتركة فى الجامعة ستباشر فى مجلسها وفى لجانها شؤونا يعود خيرها واثرها على العالم العربي كله ، ولان اماني البلاد العربية غير المشتركة فى المجلس ينبغي ان يرعاها وان يعمل على تحقيقها فان الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية يعنيها بوجه خاص ان توصي مجلس الجامعة عند النظر فى اشراك تلك البلاد فى اللجان المشار اليها فى الميثاق ، بان يذهب فى التعاون معها الى ابعد مدى مستطاع ، وفيما عدا ذلك بان لا يدخر جهدا لتعرف حاجاتها وتفهم امانيها وآمالها ، وبان يعمل بعد ذلك على صلاح احوالها وتأمين مستقبلها بكل ما تهيئه الوسائل السياسية من اسباب » .

اختيار القاهرة مقرا للجامعة

اما بصدد المكان الذي يتخذ مقرا رئيسيا لاقامة امين عام للجامعة بصورة دائمة مع الدوائر الادارية التي تتبع له مباشرة ، فقد رؤى ان يكون فى مدينة القاهرة . وقد روعي فى هذا الاختيار مكانة مصر فى العالم العربي ، وهي المكانة التي تستمد قوتها ونفوذها من الامكانات الضخمة التي تتوفر لهذا القطر الكبير سواء بالنسبة لعدد سكانه او بالنسبة للظروف المعنوية التاريخية التي جعلت منه كيانا قوميا تكاملت له اسباب الزعامة الفكرية عن طريق ما فيه من المؤسسات العلمية الكثيرة، الى جانب الزعامة الدينية عن طريق وجود الجامع الازهر الشريف فى ارضه . وعلى هذا فقد نصت المادة العاشرة من ميثاق الجامعة :

« تكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية ولمجلس الجامعة على ان يجتمع فى اي مكان آخر يعينه » .

النص على مصرية الامين العام للجامعة

وتبعا لاختيار مدينة القاهرة مقرا دائما للجامعة، فان اعضاء مجلس الجامعة راوا ان يكون كذلك منصب الامين العام لهذه المؤسسة وقفا على واحد من المصريين ، لا ينازعهم فى ذلك غيرهم من الشعوب العربية . وقد اكد المجلس ذلك بالنص عليه فى الملحق الذي اضافوه فى آخر الميثاق وهو يقضي باسناد هذا المنصب الخطير الى عبد الرحمن عزام باشا نظرا لخبرته فى الشؤون العربية وسابقته فى خدمة العروبة فى مختلف اقطارها وامصارها .

الفوارق الملحوظة بين بروتوكول الاسكندرية وميثاق القاهرة

وما دمنا قد تحدثنا فيما سبق عن ميثاق الجامعة بمواده وملاحقه ، فاننا لا نرى بأسا من ان نتناول بكلمة عابرة الظروف والملابسات التي جعلت من هذا الميثاق يختلف فى بعض مواده الرئيسية وملاحقه الاضافية عن البروتوكول الذي اصدره المؤتمر التحضيري فى الاسكندرية عندما اجتمع فى هذه المدينة بدعوة من مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية .

ويمكن القول ان ابرز مواطن الاختلاف بين الميثاق وبين البروتوكول، تكاد تنحصر في موضوعي لبنان وفلسطين .

ملحق لبنان في البروتوكول

تضمنت الفقرة الرابعة من بروتوكول الاسكندرية قراراً خاصاً بلبنان هذا نصها :

« تؤيد الدول العربية الممثلة في اللجنة التحضيرية مجتمعة احترامها **لاستقلال لبنان وسيادته بحدوده الحاضرة**، وهو ما سبق لحكومات هذه الدول ان اعترفت به بعد ان انتهج سياسة استقلالية اعلنتها حكومته ببيانها الوزاري الذي نالت عليه موافقة المجلس النيابي اللبناني بالاجماع في 7 اكتوبر 1943 » ..

اما الميثاق فقد خلا خلواً تاماً من الاشارة الى لبنان، فلم يذكر هذا القطر فيه لا تصريحاً ولا تلميحاً، وليس من شك في ان تخصيص لبنان بمثل هذا القرار المستقل من قبل المؤتمرين بالاسكندرية كان بايحاء من المرحوم رياض بك الصلح الذي كان يتمتع باحترام جميع الزعماء العرب في داخل المؤتمر وخارجه، ولعل المرحوم رياض بك اراد من وراء ذلك تطمين بعض الفئات اللبنانية الانعزالية الى احترام الدول العربية المؤسسة للجامعة لكيان لبنان بصورة رسمية ونهائية، هذا الكيان الذي لم يكن حتى ذلك الحين يحظى لدى هذه الدول بالقبول والتأييد بسبب ما كان يحيط بنشوئه سنة 1920 من اعتبارات سياسية تتناقض مع الاماني الوطنية عند العرب في ذلك الحين. فلقد اراد المرحوم رياض بك الافادة من المكانة السامية التي كان يحتلها في الاوساط العربية لدعم موقفه الشعبي في نفس لبنان عن طريق بادرته هذه، وبذلك يصيب عصفورين بحجر واحد، كما يقول المثل السائر، اثبات وجوده عربياً من جهة وتأكيد ولائه الصادق للبنان في حدوده التي خططها الانتداب الفرنسي لدى بعض مواطنيه من جهة ثانية .

ومما ساعد رئيس الحكومة اللبنانية يومئذ على تمرير قراره في صلب النص الرسمي لبروتوكول الاسكندرية ان هذا القرار وجد هوى واستجابة في نفوس زملائه المؤتمرين الذين رأوا الفرصة سانحة امامهم لحل « **العقدة العربية** » التي كانت تنهش اعصاب فريق من اهل «متصرفية جبل لبنان» القديمة، وتثير في نفوسهم الشك والريبة بكل ما هو عربي او يتصل بالعروبة من قريب او بعيد ! ..

بيد ان المؤتمر التحضيري الذي تحول في القاهرة الى مجلس جامعة الدول العربية رأى اغفال هذا القرار في ميثاقه كي لا يكون في هذا الميثاق نتوءات نفسية او ثغرات قومية، توحي بالتفرقة بين دولة عربية واخرى . واكتفى اعضاء المؤتمر بتأكيد المبادىء العامة التي تشمل الدول العربية المستقلة جميعها، على سوية واحدة من الاعتبارات الوطنية.

فلسطين وبروتوكول الاسكندرية

اما بالنسبة الى فلسطين فان بروتوكول الاسكندرية كان قد خصصها في فقرته الخامسة بقرار مستقل جاء فيه :

1 – **ترى اللجنة ان فلسطين ركن مهم من اركان البلاد العربية وان حقوق العرب لا يمكن المساس بها من غير اضرار بالسلم والاستقرار في العالم العربي،** كما ترى اللجنة ان التعهدات التي ارتبطت بها الدولة البريطانية والتي تقضي بوقف الهجرة اليهودية والمحافظة على الاراضي العربية والوصول الى استقلال فلسطين هي من الحقوق الثابتة التي تكون المبادرة الى تنفيذها خطوة نحو الهدف المطلوب نحو استتباب السلم وتحقيق الاستقرار . وتعلن اللجنة تأييدها لقضية عرب فلسطين بالعمل على تحقيق امانيهم المشروعة وصون حقوقهم العادلة . وتصرح اللجنة بانها ليست اقل تألماً من احد لما اصاب اليهود في اوروبا من الويلات والالام على يد بعض الدول الاوروبية الدكتاتورية، ولكن يجب ان لا يخلط بين مسألة اليهود بأوربا بظلم آخر يقع على عرب فلسطين على اختلاف اديانهم ومذاهبهم .

2 – يحال الاقتراح الخاص بمساهمة الحكومات والشعوب العربية في « صندوق الامة العربية » لانقاذ اراضي العرب في فلسطين الى لجنة الشؤون الاقتصادية والمالية لبحثه من جميع وجوهه وعرض نتيجة البحث على اللجنة التحضيرية في اجتماعها المقبل .

وعندما اجتمعت هذه اللجنة التحضيرية في قصر الزعفران بالقاهرة واصدرت بيانها « ميثاق جامعة الدول العربية » يوم 22 آذار 1945، جاء نص الملحق الخاص بفلسطين مخالفاً جملة وتفصيلاً للقرار الذي

تضمنه البروتوكول بهذا الصدد ، اذ روعي في نص الميثاق عن فلسطين ، ان يدور في العموميات الغامضة التي لا تلزم اعضاء الجامعة باية مبادرة محددة من اجل انقاذ فلسطين من الاخطار الاستعمارية والصهيونية التي كانت تهدد كيانها بالزوال والتي ازالته بعد ذلك بالفعل .

وقد أثار هذا الغموض في قرار فلسطين بالميثاق يومئذ تساؤلات كثيرة رددتها الصحف على السنة بعض القادة والزعماء الوطنيين . على ان هذه التساؤلات بقيت دون اى جواب من قبل المسؤولين العرب ، والتعليق الوحيد الذي صدر في حينها حول هذا الموضوع هو ما نسب الى الامين العام السيد عبد الرحمن عزام باشا من « الخواجات عاوزين كده » . .

وطبيعي ان هذا الجواب المنسوب الى عزام باشا ابقى علامة الاستفهام عالقة حيث هي في اذهان المتسائلين لان عبارة « الخواجات عاوزين كده » لم تحمل اليهم الجواب الذي كانوا يتوقعونه . وكل ما حصل هو ان الظنون اتجهت الى ان المقصود « بالخواجات » هم الانكليز ، الامر الذى جعل الناس غير مطمئنين الى جدية الكلام الوارد في الميثاق بصدد قضية فلسطين والذي يؤسف له ان الايام قد كشفت فعلا فيما بعد ان سوء ظن الناس كان في محله ! .

الصفة القانونية والوضع الدولي لجامعة الدول العربية

بعد ان قدمنا جامعة الدول العربية في اطارها القومي العام واغراضها الوطنية المختلفة ، فانه يجدر بنا أن نقدم هذه المؤسسة الهامة من خلال مفهومها القانوني سواء في علاقاتها الرسمية باعضائها من الدول العربية او فيما كانت تقوم به عن طريق امينها العام من اتصالات مع حكومات الدول الاجنبية والمؤسسات العالمية كهيئة الامم المتحدة واللجان المتفرعة عنها .

والملاحظ ، ان الذين وضعوا ميثاق الجامعة بما فيه من مواد أو ملاحق او تنظيمات لم يحاولوا تحديد وضعها القانوني لا عربيا ولا دوليا ، وذلك على الرغم من أن البحث في هذا الوضع اثير اكثر من مرة واستقطب اهتمام الدول الاعضاء واستدرجهم الى كثير من الحوار والمناقشات الجدلية التي تميزت بالحدة والعنف . الا أن الاعضاء كانوا يدورون دائما حول الحمى دون ان يرتعوا في صميمه ، او ينتهوا منه الى راى حاسم يجمع عليه كافة الفرقاء المعنيين . واخيرا تركوا البحث في هذا الموضوع تاركين للزمن مهمة البت في الوصف القانوني لمؤسستهم لتفادي الحرج والانقسام والفشل فيما اخذوا انفسهم به لا سيما بعدما سمعوا زميلهم الاستاذ هنري فرعون، وزير خارجية لبنان يعلن قائلا: « عندما نعطي كيانا قانونيا للجامعة تصبح لها الشخصية الدولية ، ونفس البروتوكول لا ينص على ذلك ، فاذا أردتم موافقتنا فلنترك هذه المسالة » .

وهكذا يمكن القول بان شخصية جامعة الدول العربية من الناحية القانونية بقيت غير واضحة ولا محددة المعالم ، مما حمل اهل الدراية في الفقه السياسي والتشريع الدولي على أن يعتبروها مجرد مؤتمر دائم للدول العربية يرمي الى القيام بمهام خاصة ومحددة ، وعلى انه « ليس لهذه الجامعة شخصية كامنة في السيادة والاستقلال سواء في الداخل او في الخارج » . وهذا هو الراى الذي تشبث باعتماده مندوب لبنان الاستاذ هنري فرعون وعلق بقاء حكومته في الجامعة على اساسه .

الجامعة العربية وعلاقاتها الدولية والعالمية

هذا فيما يتصل بالشخصية القانونية للجامعة في المحيط العربي البحت . أما فيما يتصل بصفتها القانونية في المحيط الدولي والعالمي ، فان اوار الجدل حول هذا الموضوع لم يكن أقل احتداما عنه في صدد الموضوع السابق . ذلك ان بعض الحكومات العربية وفي طليعتها لبنان كانت تصر دائما على أن تنفي عن الجامعة الصفة القانونية التي تخولها حق التكلم باسمها في المحافل الدولية كهيئة الامم المتحدة ، او عن طريق المراسلات الرسمية مع الدول الأجنبية الاخرى . وكانت معارضة هذه الحكومات قائمة على ان القول باعتبار الجامعة العربية هيئة اقليمية يتعارض ومبدا السيادة القومية لكل دولة من دولها على حدة .

وهنا لا بد من القول بان الحكومة اللبنانية كان لها يومئذ النصيب الاوفر في معارضة الصفة القانونية الدولية للجامعة ، وعندما كان عبد الرحمن عزام باشا يقوم في امريكا بجولة دعائية لصالح القضية المصرية اثناء نظرها في مجلس الامن التابع لهيئة الامم المتحدة، نقلت جريدة المصري عن لسان الاستاذ هنري فرعون قوله :

« بما انه ليست للجامعة اية شخصية قضائية (لعله يريد قانونية لإنه لا يحسن العربية السليمة) فان امينها العام لا يخرج من كونه موظفا كبيرا اداريا . ومن الواضح انه ليست له اية صفة لبذل مثل هذا المسعى على حساب الجامعة . وتعتبر هذه الجامعة بمثابة مؤتمر دائم للدول العربية ، وأن الدول العربية تعرب عن آرائها بواسطة حكوماتها ووزرائها المفوضين » .

على انه مما يثير الدهشة والاستغراب ان موقف لبنان من هذه المسألة كان يناقض بعضه بعضا حتى في نفس الحكومة الواحدة ، اذ بينما كان رأي وزير خارجية لبنان كما بينا آنفا . فان رئيس الحكومة اللبنانية المرحوم عبد الحميد كرامي في ذلك الوقت ، نجده عند نظر قضية جلاء القوات الفرنسية عن سورية ولبنان يصر ، وفي مجلس الجامعة بالذات بأن : « لبنان يتمسك بتمثيل الجامعة في كل مؤتمر يعقد بين الدول الكبرى لعلاج هذا الامر ! » .

اما مندوب سورية المرحوم سعد الله بك الجابري فقد ذهب في الاعتماد على قانونية الوجود الدولي للجامعة الى ابعد مدى حين قال : « ان سورية تؤثر ان لا تمثل هي ويمثل مجلس الجامعة » .

وبالفعل فان المجلس قد اصدر يوم 5 يونيو 1945 بناء لطلب مندوبي سورية ولبنان قرارا متضمنا هذا التمسك بتمثيل الجامعة وتفضيله على تمثيل الدولتين صاحبتي الشان المباشر ، وكان هذا القرار باجماع آراء الدول الممثلة في المجلس، **وهو اعتراف اكيد وصريح بالصفة القانونية الدولية للجامعة .**

والواقع ان جامعة الدول العربية كانت تعتبر نفسها ذات شخصية دولية غير مشكوك في قانونيتها . وقد كان امينها العام عبد الرحمن عزام باشا يمارس نشاطه ويقيم اتصالاته وعلاقاته مع الحكومات الاجنبية والمنظمات الدولية من خلال هذا الاعتبار . وعندما بحث مجلس الجامعة في اجتماعه العادي الخامس قضيتي ليبيا وفلسطين مع كل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية، فان هاتين الدولتين تخاطبتا رسميا ومباشرة مع جامعة الدول العربية في موضوع هذين البلدين .

على انه في 13 حزيران 1946 حسم الجدل حول هذا الموضوع ، اذ اصدر مجلس الجامعة المنعقد في بلودان قرارا يوصي فيه الدول العربية بأن تطالب الحكومة البريطانية بالاعتراف بجامعة الدول العربية صراحة ، وأن تعتبر ما يوجهه اليها الامين العام ، ضمن حدود الميثاق صادرا من الجامعة بوصفها هيئة اقليمية قائمة بذاتها .

وبالفعل فان حكومات الدول العربية عملت على التو بهذه التوصية التي سرعان ما لقيت **استجابة رسمية من بعض الدول الاجنبية** ، فاعلنت الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها في ذلك الحين : « ان الحكومة البريطانية ستعترف رسميا بالمخابرات الخاصة بالموضوعات السياسية والتي توجه من قبل جامعة الدول العربية ، وسيوجه الرد عنها الى الامين العام للجامعة ، بنفس الطريق الذي اتبع في ارسال الخطاب المجاب عليه » . ولمثل البيان بأن هذا الكتاب الرسمي من طرف الوزارة البريطانية يعني اعتراف هذه الحكومة بكيان الجامعة وصفتها القانونية . حتى ان الحكومة الاسبانية لم تكتف بالاعتراف الشكلي بالصفة الدولية لجامعة الدول العربية، بل انها تجاوزت ذلك الى مدى ابعد ، وتقدمت الى مجلس الجامعة عبر مذكرة رسمية تلتمس فيها معاونتها في محيط السياسة الدولية وتأييدها في مواقفها السياسية عندما تدعو الحاجة الى ذلك .

اعتراف هيئة الامم المتحدة بالكيان الدولي للجامعة

هذا ، ولم يقف الاعتراف بالشخصية القانونية لجامعة الدول العربية عند حدود الحكومات الاجنبية وحسب ، بل ان هيئة الامم المتحدة نفسها ، قد اعترفت هي الاخرى بهذه الشخصية وذلك عندما اقرت جمعيتها العمومية اقتراحا قدم اليها بدعوة من المجلس الاقتصادي والاجتماعي الى النظر في انشاء لجنة اقتصادية لشرق الاوسط واعترفت فيه « بأن تعاون اللجنة مع الهيئات الاقليمية في الشرق الاوسط « كالجامعة العربية » من شأنه أن ييسر للجنة مهمتها»

وعلى الرغم من ان قرار هيئة الامم المتحدة الذي أصدرته جمعيتها العمومية ، فسر يومها بانه نوع من الاعتراف « الواقعي » بالجامعة ، الا انه على اي حال يعتبر اعترافا ضمنيا بالشخصية الدولية لهذه المؤسسة الاقليمية . وقد ذكر عبد الرحمن عزام باشا في حديث نشرته له جريدة « الحياة » البيروتية في عددها الصادر يوم 23 آذار 1969 ان الجمعية العمومية للامم المتحدة اتخذت سنة 1950 قرارا بقبول الجامعة كمنظمة اقليمية تخدم اهداف الامم المتحدة في الشرق الاوسط .

وايا ما كان ، فان **جامعة الدول العربية ما لبث ان اصبحت عربيا ودوليا ذات شخصية قانونية قائمة بذاتها** رغم أن المندوب اللبناني أصر على اعتبارها بمثابة مؤتمر يجمع الحكومات العربية للتشاور فيما بينها في درس القضايا الخاصة بالعرب مما يعرض عليه.

الجامعة تتصرف على انها هيئة قومية اقليمية

وان الجامعة ، قد تصرفت فعلا على انها هيئة سياسية اقليمية ، من ذلك انها تقدمت الى مجالس الوزراء بالدول العظمى عبر مذكرات متعددة تبين فيها وجهة نظرها في مصير ليبيا وتطلب الاشتراك بهذه الصفة في اي لجنة تحقيق يمكن ان ترسل اليها لتعرف رغبات سكانها في تقرير مصيرهم . وطالب الحكومة البريطانية باتخاذ الاجراءات اللازمة لوقف هجرة الايطاليين غير المشروعة الى البلاد الليبية .

وبعثت بمذكرتين الى الجمهورية الفرنسية ، احداهما بشأن تحرير المرحوم محمد المنصف باي تونس الذي كان اسيرا في فرنسا واعادته الى عرشه الذي اغتصب منه بغير حق ، والاخرى بشأن اطلاق سراح المرحوم الامير محمد عبد الكريم الخطابي زعيم ثورة الريف بمراكش الاسبانية . كما انها قامت بجهود خاصة في سبيل منع تنفيذ احكام الاعدام التي اصدرتها الحكومة الفرنسية بالجزائر بحق عدد من المجاهدين الجزائريين سنة 1945 . وكذلك ارسلت مذكرة اخرى الى فرنسا تطالبها فيها بتنفيذ التزاماتها كدولة تدير أقاليم لا تتمتع بالحكم الذاتي مما هو منصوص عليه في ميثاق هيئة الامم المتحدة . وايضا فان الجامعة قامت بالتوسط لدى الحكومة البريطانية لدعوة الهيئة العربية لفلسطين الى الاشتراك في مؤتمر لندن ، واتصلت بهيئة الامم المتحدة بشأن تحديد موعد اجتماع اللجنة المؤقتة للجنة الصحية للامم المتحدة عند انعقادها في جنيف بسويسرا .

بل ان الجامعة لم تكتف بالاتصالات العالمية التي قامت بها لصالح قضايا الشعوب العربية في مختلف اقطارها ، بل انها تجاوزت في نضالها الدبلوماسي هذا النطاق القومي فاصدرت قرارا بتوصية الدول الاعضاء بهيئة الامم المتحدة بالاعتراف بالجمهورية الاندونيسية عندما حصلت هذه البلاد على استقلالها وتخلصت من الاستعمار الهولندي . وهكذا . . .

الجامعة توصي بانشاء جيش موحد للدفاع عن البلاد العربية

عندما تعرض مجلس الجامعة لبحث الاعتداء الفرنسي على سورية ولبنان 1945 ، اقترح المرحوم توفيق السويدي تزويد هذين البلدين بجيش عربي مشترك لمساندتهما في الدفاع عن كيانهما الوطني ، وقد علق عبد الرحمن عزام باشا يومئذ على هذا الاقتراح بالتحبيذ وقال : « ان هدف الجامعة العربية هو ان تكون في المستقبل مسئولة عن الامن داخل نطاق دول الجامعة وتستمد هذه السلطة من نفسها ومن شعوبها . وقد يقرها مجلس الامن الدولي على ذلك ، وسيأتي اليوم الذي يكون فيه للدول العربية قوة دولية كافية لتأمين الأمن في نفس هذه الساحة . . مستندة الى مجلس الامن نفسه ! » .

محكمة عدل عربية تابعة للجامعة

وقبل ان نأتي على ختام هذا الحديث فانه لا بد لنا من الاشارة الى ان المرحوم رياض بك الصلح سعى سعيا حثيثا لاجل انشاء « محكمة عدل عربية » في صلب تنظيمات الجامعة العربية، تكون مهمتها النظر من الناحية القضائية في النزاعات التي يمكن ان تقوم بين الدول الاعضاء في هذه الجامعة ، وذلك من اجل تحديد الحالة القانونية للدول المتنازعة . على نحو ما هو متبع في محكمة العدل الدولية في لاهاي بهولندا ، غير ان هذه الفكرة الجليلة لم يكتب لها الخروج الى حيز التنفيذ وطوي البحث فيها بعد اغتيال المرحوم رياض بك في سنة 1951 .



"الدكتور أسعد حومد – دمشق"

ابطر الصهيونيين فشل العرب عام 1948 ، فى القضاء على احلامهم فى اقامة دولة لهم فى قلب العالم العربي ، فى البقعة المقدسة فلسطين ، وزاد فى جرائهم نجاح عدوانهم على مصر عام 1956 ، اذ اشتركت معهم فى المعركة دولتان كبيرتان هما انكلترا وفرنسا ، بينما ترك العرب مصر لمصيرها ، تواجه العدوان لوحدها .

وبلغت النشوة والخيلاء بالصهيونيين حد الجنون اثر ظفرهم ، غدرا وغيلة ، بالعرب فى معركة حزيران 1967 فاستخفوا بالعرب وقدراتهم على الحفاظ على ما تحت أيديهم من أرض وتراث ، فانطلقت من افواه المسؤولين الصهاينة اصوات وصيحات ، تفضح بوضوح ودون تورية او تمويه ، المخطط الصهيوني البعيد المدى ، من ضم والحاق وتوسيع على حساب الارض العربية . ولم يستبعدوا التفكير فى الاعتداء على الاماكن المقدسة الاسلامية فى الحجاز .

اما القدس فقد اعتبر الصهاينة امرها منتهيا ، فامروا باحراق المسجد الاقصى ، الذى يمثل احد المقدسات الكبرى للعالم الاسلامي ، غير مقيمين وزنا لرد فعل العرب ، ولا لغضب المسلمين المنتشرين فى اصقاع الارض . اذ كانوا يريدون أن ينتهوا ، وباسرع ما يمكن، من القضاء على كل ما يربط العرب والمسلمين بالقدس ، والارض المقدسة فلسطين ، ليسهل عليهم امر ترحيل من تبقى من العرب فى القدس والمدن الفلسطينية الاخرى ، الى البلاد العربية .

وكان القادة الصهاينة واثقين من انه لن يصدر من العرب والمسلمين رد فعل جدي، لاحراق المسجد الاقصى ، وان الرد لن يكون أكثر من احتجاجات وصيحات لن تلبث ان تهدأ ، ولن يكون لها على الصهاينة اثر ولا ضرر .

وكان موشي ديان هو القائد الصهيوني الذى داعبت الاحلام الخادعة اجفانه ، بل يقترن اسمه فى التاريخ بتحقيق دولة (اسرائيل الكبرى) ، والقضاء على كل اثر للعرب والاسلام فيها . وان نصر حزيران الرخيص الذي حققته قيادته على العرب ، قد فاق جميع تقديراته وآماله ، فظن أن ما حلمت اسرائيل بتحقيقه ، على مدى أجيال وقرون ، اصبح ، بعد نصر حزيران ، امرا سهل المنال قريب التحقيق ، فطمع بان يكون هو ذلك البطل المحقق لاحلام قومه .

واندفع ديان وعصابته فى مغامراتهم ، وجرائمهم، التي بلغت ذروتها فى احراق المسجد الاقصى ، ليعجموا عود العرب والمسلمين ، وليجربوا رد فعلهم ، حتى اذا وجدوه هزيلا ضعيفا ، عادوا الكرة لاحراقه بشكل تام ونهائي .

وفى الواقع كان رد فعل العرب والمسلمين ضعيفا، لا يتناسب وقدسية المكان الذي أشعل الصهاينة فيه النار ودنسوه. ولكن يجب ان نعترف للامانة والحقيقة، بان العرب انفسهم – أصحاب المصلحة المباشرة فى ارض فلسطين ، وفى الحفاظ على قدسية المسجد الاقصى – لم يحسنوا الافادة من هذه المناسبة ، ولم يحسنوا

عرض قضيتهم ، ولم يعرفوا ما يريدون بالضبط من وراء دعوة اقطاب المسلمين الى مؤتمر الرباط . وفي اعتقادنا انهم لو اتبعوا صيحة الجهاد التي أطلقوها، بتنظيم جدي لايفاد متطوعة ومحاربين من العالم الاسلامي ، لرأينا اليوم زحوفا تتلوها زحوف من الابطال المستميتين ، يتدفقون على ميدان المعركة ، من كل ارض انطلقت من مآذنها صيحة (الله اكبر) ، ملبين داعي الجهاد المقدس ، ليقضوا على العدو الذي دنس مقدساتهم ، أو لينالوا اجر الشهداء على الارض المقدسة في المعركة المقدسة .

ان الصهيونيين يستمدون على العرب كل من يستطيعون ، باسم الدين ، وباسم القومية ، وباسم المصالح الاقتصادية والسياسية .. الخ ، لا يفرطون في عون يأتيهم وان صغر . ونحن نستبعد عونا كبيرا ، بل معينا من العون لا ينضب ، كان يمكن أن يكون في كفتنا، وكان يمكن ان يؤثر تأثيرا فعليا وحقيقيا على اولئك الذين يدعمون اسرائيل ، ويمكنون لها ، لو اننا احسنا التصرف ، وعرفنا ما نريد ، الا وهو **عون العالم الاسلامي** ، ذي المصلحة الحقيقية في ان لا يكون في المنطقة خطر يهدد مقدسات الاسلام في فلسطين والحجاز . .

وعلى كل حال فقد كان لاحراق المسجد الاقصى، ولتصريحات زعماء اسرائيل وتهديداتهم فائدة اذ فتحت عيون العرب على حقيقة ما يراد بهم ، وعرفتهم بحقيقة وضعهم ، الذي يغري الاعداء بهم . فادركوا انه ما لم يقم **تضامن حقيقي بين الدول العربية**، بانتظار قيام وحدة بين اقطارهم ، تستطيع اقامة دولة عصرية وجيش مدرب قادر على استيعاب العلم الحديث والسلاح الحديث ـ فانهم لن يستطيعوا رد الطامعين بهم ، وستبقى حفنة من المغامرين ، تستخف بهم ، وتستهزيء بهم وتتحداهم في كل يوم وفي كل ساعة، وتضربهم في عقر دارهم كلما شاء لها هواها ان تلهو بذلك

وقد كانت اول بادرة للتضامن تصدر عن العرب، وتشعر برفض هذا الواقع المؤلم ، هي **الاجماع في مؤتمر الخرطوم** ، الذي عقد اثر النكسة ، على دعم الامكانيات المادية والعسكرية لدول المواجهة مع العدو ، وعلى **رفض التفاوض** مع العدو ، وعلى رفض الصلح معه . وتلت ذلك ثورتان في ليبيا والسودان ، كان من شأنهما وضع امكانيات القطرين الشقيقين في الميزان العربي الفعلي في المعركة المصيرية .

ولا شك في ان السعي الجدي لتحقيق التنسيق والتقارب بين مصر وليبيا والسودان ، ستتلوه خطوات اخرى نحو الوحدة بين الاقطار الثلاثة ، تجعل تلك المنطقة المتلاصقة ، التي تضم قرابة خمسة ملايين كيلومتر مربع من الارض وخمسين مليونا من البشر ، كتلة واحدة في المعركة ، ونواة تستقطب الاقطار العربية الواحدة بعد الاخرى ، لتجمع شملها من جديد .

واننا لا نشك في ان التصريحات الوقحة التي صدرت وتصدر كل يوم ، عن قادة العنصريين في اسرائيل ، والتي تكشف عن نواياهم واهدافهم ، واطماعهم التوسعية ، وان تدنيسهم للمقدسات الاسلامية والمسيحية في القدس والخليل وبيت لحم والناصرة ، واعتداءاتهم المتكررة على الوطن العربي ، ستكون بدء النهاية بالنسبة لهذا الجسم الغريب الذى اريد زرعه في جسم الامة العربية ، ويوم ينهار هذا الكيان القائم خلافا لمنطق التاريخ ، ولعقلية العصر ، سينال القادة المغامرون جزاء وفاقا على ما اقترفوه بحق الانسانية والمقدسات من جرائم .

وليس زعماء اسرائيل هم اول من طرا على هذا الارض وحاول تدنيس مقدساتها ، والاساءة الى شعوبها ، وليس موشي ديان وعصابته هم اول المغامرين الذين اغراهم التفرق ، والنزعات العارضة بين شعوب العالمين الاسلامي والعربي ، بالاستطالة على العرب والمسلمين وعلى مقدساتهم ، وبالسخرية من قدراتهم، وامكاناتهم في رد الاذى والحاق الهزيمة بالمعتدين . **فمنذ قرابة ثمانمئة عام حل في جنوبي البحر الميت ، مغامر صليبي** غادر ، غرته انتصارات عارضة ، حققها الصليبيون على المسلمين في المنطقة ، فظن أن بامكانه تدنيس المقدسات الاسلامية في مكة والمدينة ، كما دنس من سبقوه المقدسات الاسلامية في القدس والخليل ، واتخذوا من المسجد الاقصى ومسجد الصخرة مربطا للخيول ومهجعا للجنود .

وكان من نتيجة ذلك أن فتحت جرائم ذلك المغامر عيون العرب والمسلمين على حقيقة الخطر المحدق بهم وبمقدساتهم في المنطقة كلها ، وادركوا انه ما دام هناك مستقر لجسم غريب في ارضهم ، فلا امن ولا سلام ولا اطمئنان ، فتحركت ارتال تتلو ارتالا من المجاهدين ، من كل ارض من اراضي الاسلام ، ملبية دعوة الجهاد ، تقاتل وتحارب ، حتى كانت معركة حطين ، التي دفع ذلك المغامر قومه الى خوضها وهم

لها كارهون ، فوقع في يد صلاح الدين اسيرا ، فلم يعف عنه ، لا نه اعتبره مجرما ، وقاطع طريق ، ولم يعتبره محاربا يحترم قوانين الحرب.

ومنذ ذلك اليوم ادرك الصليبيون ان دولتهم قد اصبحت في حكم المقضي عليها بالزوال ، وتابع من خلفوا صلاح الدين المهمة التي بدأها ذلك البطل ، حتى قذفوا بآخر الصليبيين في البحر ، بعد مائة وعشر سنين من الحروب المتواصلة من يوم حطين .

وها نحن نسوق قصة ذلك المغامر الصليبي (ارناط) او (رينودوشا تيون) لعلها ان يكون فيها عظة للعرب ، وعبرة للمغامرين .

— ارنــــاط —

تدفقت سيول الصليبيين على المشرق عام 1097 م (490 هـ) تريد — استجابة لنداء الكنيسة — استرجاع القدس من ايدي المسلمين ؛ ووجد الامراء المغامرون في اوروبا الفرصة سانحة ، فتبنوا المشروع لعلهم يفوزون بامارات واقطاعات في الشرق ، مستغلين حماسة البسطاء والسذج ممن دفعتهم الحماسة الدينية لتحقيق رغبات الكنيسة . وكان من بين اولئك الامراء المغامرين ، امير نورمندي الاصل استقر اباؤه في جنوبي ايطاليا وجزيرة صقلية ، وكان من نصيبه في الميراث ارضا صغيرة في جنوبي ايطاليا لا ترضي اطماعه الواسعة ، فاسرع بوهمند أوبيمند كما تسميه الرواية على راس من تجمع تحت لوائه ، ينضم الى الجيوش الصليبية في الجانب الشرقي من مضيق البوسفــــور .

وبعد حروب واهوال وفظائع ومذابح ، تمكن ثلاثة ارباع المليون من الصليبيين من شق طريقهم الى سوريا، وكان اول مااحتلوه فيها، مدينة انطاكية، التي دافع عنها حماتها المسلمون اشرف دفاع واشجعه طوال عشرة اشهر . ولولا الخيانة التي اقرت احد القادة الداخليين حديثا في الاسلام ، لما تمكن الفرنج من احتلالها ، ولتبدل سير التاريخ كله في المنطقة .

وطمع بوهمند في ان يقيم لنفسه امارة في انطاكية وخاف رفاقه ، القادة الاخرون ، ان تفسد اطماع بوهمند خططهم الرامية الى التعاون مع الامبراطور البيزنطي ، اسحق كومنين ، وضرب المسلمين بقوة صليبية بيزنطية موحدة . وكان الامبراطور قد اخذ العهود والمواثيق على القادة الصليبيين بان يعيدوا اليه ما يحتلونه مما كان تابعا في الماضي للامبراطورية البيزنطية ، وخصوصا انطاكية .

ولكن بوهمند لم يكن يفكر في غير مصالحه الخاصة، فرفض الاستماع الى النصائح والاعتراضات ، وتمكن بحيله ومداوراته ، من الفوز بامارة انطاكية، رغم معارضة بعض زملائه .

وسار الامراء الصليبيون الاخرون جنوبا ، واقام كل منهم امارة لنفسه ، فكانت هناك مملكة في القدس، وامارة في طرابلس ، وامارة في الرها (اورفه) .

واصبح بوهمند بلاء على المسلمين من جيرانه، وكان اكثر ضغطه منصبا على حلب المجاورة لانطاكية ، ثم اسر بوهمند من قبل الغازي ابن الدانشمند ، امير التركمان في الاناضول ، ولكن لم يلبث ان فاوضه واطلق سراحه لقاء فديه كبيرة ، فعاد بوهمند يتابع اعتداءاته نحو من حوله من المسلمين والبيزنطيين .

ونقم البيزنطيون على بوهمند حنثه بيمينه ، وانكاره لحقهم في السيادة على انطاكية ، فاغتنموا فرصة هزيمة الفرنج — وفيهم بوهمند — في معركة حران عام 1104 م،واسرعوا يحتلون الخطا نحو كيليكيا واللاذقية التابعتين لامارة بوهمند . فخارت قوى بوهمند وشعر بالخطر الشديد المحدق به . فعهد بالامارة الى ابن اخته تانكريد ، وذهب الى اوروبا ، ليستثير حملة صليبية اخرى ، هدفها انقاذ انطاكية من خطر المسلمين والبيزنطيين . ولكن بوهمند ذهب ولم يعد ، وتزوج هناك من اميرة فرنسية رزق منها بولد يعرفه التاريخ باسم بوهمند الثاني .

وفي الفترة بين ذهاب بوهمند الاول الى اوروبا ، ووصول بوهمند الثاني الى الشرق ، تعاقب على انطاكية اميران نورمنديان ، احدهما يدعى تانكريد ، والاخر روجيه ، وقد قضى المسلمون على روجيه وعلى جيشه في معركة البلاط على الطريق بين حلب وانطاكيـــة .

وفي عام 1128 م ، وصل الى انطاكية بوهمند الثاني ، وهو شاب فارع الطول ، قوي البنية ، جميل الملامح ، قد بلغ الثامنة عشرة من عمره ، واتقن استعمال السلاح ، حتى بذ اقرانه به . وما هو الا ان تسلم امارة انطاكية حتى تزوج باليس الابنة الثانية لملك القدس بودوان الثاني ، وباشر الاغارة على جيرانه المسلمين ، ومباغتة الحصون القريبة من

اراضيه ، فحقق بعض النجاح ، وقد زاد ذلك النجاح المحدود في صلفه وغروره .

وفي يوم من ايام شهر شباط (فبراير) 1131 ، اتجه بوهمند من انطاكية الى كيليكيا ، على رأس قوة من فرسانه ، يريد ان يلحق به الامارة الارمنية ، بعد ان توفي صاحبها وابنه ، فانقض عليهم جيش من التركمان بقيادة الغازي بن الدانشمند (آسر بوهمند الاول عام 1101 م) ، واحاط بهم احاطة تامة ، وانهال عليهم رميا بالنبال ، فخروا على الارض صرعى ، وكأنهم اعجاز نخل منقعر ، وفيهم بوهمند نفسه .

ولم يترك بوهمند من الاولاد غير بنت صغيرة لا يتجاوز عمرهاالسنتين، اسمها (كونستانس) فتسلمت أمها الاميرة (أليس) ادارة الامارة ، تحت وصاية ملك القــدس .

ومرت الايام ثقالا على الاميرة الشابــة في ادارة امارة واسعة ، يطمع بها جيرانها البيزنطيون مــن الشمال ، والمسلمون من الشرق . وكان خطر المسلمين قد اصبح مقلقا فعلا ، اذ تسلم امارتي الموصل وحلب امير شهم ، بعيد الهمة ، قوي العزيمة، هو عماد الدين زنكي ، وقرر أن يخوض بالمسلمين حربا ضروسا مع الفرنج ، ليزيل ما تجمع في نفس المسلمين من هيبــة للفرنج في ميدان الحرب . فسار بجيشه الى حصــن قريب من حلب ، هو حصن الاثارب ، الذي طالمــا ارعب فرسانه اهل حلب ، وخربوا زروعهم ، ونهبوا اموالهم .

وتجمع الفرنج للدفاع عن الحصن ، وسأل زنكي رجاله ماذا يرتأون . فأشار عليه بعضهم بالانسحاب من الارض التي يحتلها العدو ، والعودة الى حلب ، واشار عليه آخرون بالتراجع الى اراضي حلب ، فاذا لحق بهم الفرنج ، أمكنهم أنشاب المعركة في ارض اسلامية.

وكان زنكي قد قرر في نفسه خوض المعركــة مهما كانت النتائج ، فقال لرجاله ، ان الفرنج قد استطالوا على المسلمين كثيرا ، وقد اصبح مألوفــا لديهم ان يروا تراجع المسلمين واحجامهم عن القتال كلما رأوا تجمع الفرنج ، ولذلك فانه يرى ان يذيق المسلمون بأسهم للفرنج ، ليذكروا ذلك في المستقبل ويقدروه . وانه يرى أن اي تراجــع امام الفرنـــج سيجرئهم ، ويضعف من عزيمة المقاتلين المسلميــن . وخلص من ذلك الى القول بانه يرى ان يقدم المسلمون للقاء العدو مصممين على النصر ، وما النصر الا من عنــد اللــه .

وتقدم المسلمون ، وقضوا على الجيش الصليبي واكثروا فيه القتل ، حتى ذكر ابن الاثير ، انه مر في ارض المعركة ليلا ، بعد اكثر من سبعين عاما ، فقيل له ان عظام القتلى الفرنج ما زالت منتشرة فــي تلك الارض . وعاد المسلمون الى حصــن الاثــارب فتسلموه من الفرنج ، فأخربوه حتى ســووا بنــاءه بالتراب ، لكيلا يتركوا اثرا يرمز الى الرهبة في قلوب أهل حلب ، ومن حولهم من المسلمين .

وخافت الاميرة الشابة على ملكها ، فأخــذت تراسل زنكي سرا ، وتضع نفسها تحت حمايته، فأساء ذلك الفرنج الذين تسربت اليهم أنبــاء اتصالاتهــا بالمسلمين . واخذ الجميع يفكرون في وسيلة يتمكنون بها من أبعاد الاميرة (أليس) عن حكم انطاكية ، وقد وجدوا ان خير الوسائل لذلك هي البحث عن زوج للاميرة الطفلة الوارثة (كونستانس) .

ووجدوا لها اخيرا شابا جميلا من نبلاء فرنسا ، هو الكونت (ريمون دوبواتيه) فقدم الى انطاكية على انه سيكون زوجا للاميرة (أليــــس) ، لكي يأمنــوا معارضتها في دخول ريمون الى انطاكية .

ولم يمض وقت طويل حتى فوجئت الاميرة بعقد قران ريمون على ابنتها كونستانس ، فانسحبت الى اللاذقيــــة .

تسلم ريمون دوبواتيه ادارة انطاكية ، نيابة عن زوجته ، وكان فارسا نجدا ، ولكن خصائصه ومميزاته ضاعت امام حنكة **عماد الدين زنكي وابنه نور الديــن محمود** ، الذي خلف اباه في حكم حلب ، في عام 1146م فانتزعا من الفرنج جميع ما كانوا يحتلونه شرقــي العاصي ، كما انتزعا منهم جميع امارة الرها .

وفي 29 حزيران (يونيو) 1149 م ، ظفر نور الدين محمود بجيش انطاكية ، عند قرية (انب) (القريبة من جسر الشغور) وأباده تقريبا ، وكان ريمون بين القتلى . فأصبحت كونستانس وصيـــة على ابنهــا بوهمنـــد .

وقد شعرت الاميرة ، لاول مرة ، بعــد موت زوجها بلذة الحكم . وسر البطريرك لشعورها هذا ، فاخذ يشجعها على عدم الزواج مرة اخرى ، لكيــلا

ياتي امير جديد يقضي عليه بالاقتصار على عمله الديني وحسب .

وحاول ملك القدس ــوهو ابن خالة كونستانس ــ أن يجد لها زوجا يحرره من مسؤولية الاشراف على انطاكية ، ويستطيع النهوض باعباء الدفاع عنها فى تلك الايام العصيبة من تاريخ امارات الفرنج فى الشرق ، فلم تقبل الاميرة بزوج ، وآثرت الاستمرار فى حياتها طليقة من قيود الزواج .

وسارت الامور سيرها العادي ، ونور الدين محمود يلح على ما بيد الفرنج من مدن وحصون ، فى كل يوم ، وقلوب الفرنج فى انطاكية وفى غيرها ، ترتجف هلعا ، كلما نظروا الى المستقبل المظلم .

لقاء الاميرة (بارناط)

وفى ذات يوم من أواخر عام 1152 ، لمحت الاميرة الشابة فارسا يدل زيه على انه حديث عهد بالوصول الى الشرق ، فاعجبت به واستدعته اليها ، وتعرفت عليه ، فزاد اعجابها به . ولم يكن ذلك الشاب غير المغامر رينو دوشاتيون (أو أرناط كما تسميه الرواية العربية) الذي سيجر الممالك الصليبية كلها الى الهاوية فى معركة حطين ، وهو الذي سيجره غدره ومحاولاته العبث بالمقدسات الى الموت بيد الرجل الرحيم صلاح الدين الايوبي .

وتكررت مقابلات الاميرة والفارس الفتى ، حتى اغرمت به واتفقت معه على الزواج ، ووجد المغامر الجرىء فى هذا الغرام فرصة تحقق له أكثر مما كان يطمع به ويحلم ، فلم يشأ أن يضيعها . وكان لا بد ــ بحسب التقاليد ايام النظام الاقطاعي ــ من الحصول على موافقة ملك القدس ، بودوان الثالث على الزواج ، بصفته الوصي الشرعي على الاميرة وعلى الامارة ، وكان بودوان اذ ذاك منهمكا فى حصار ميناء عسقلان فى جنوبي فلسطين ، ــ وعسقلان هي آخر ما تبقى بيد الفاطميين من ملك فى فلسطين ــ فطار اليه الفارس المغامر ، يرجوه الموافقة على الزواج .

وعجب الملك من غرابة اطوار ابنة خالته ، كيف تقبل الزواج من شاب مغمور ، لا ثروة له ولا جاه ، بينما سبق لها ان رفضت الزواج بخيرة الامراء والنبلاء الذين عرضوا عليها فى الماضي ؟ مع انه كان من الممكن ان يكون فى ثراء هؤلاء النبلاء ، ونفوذ بيوتاتهم ، واتساع املاكهم ، خير عون لامارة انطاكية ، وللممالك الصليبية فى الشرق ، فى حربهم الضروس المستمرة منذ خمسين سنة . ولكن الملك الذي يئس من موضوع زواج (كونستانس) ، أراد ان يتحرر من اعباء الدفاع عن انطاكية ، فوافق على الزواج ، بعد أن جثا (ارناط) على قدميه ضارعا متوسلا .

تم الزواج الاسطوري ، وتسلم ارناط حكم انطاكية فساسها بعقلية المغامر الفظ ، وكان أول ما استهل به عهده فى الحكم ، هو الانتقام من بطريرك انطاكية (ايمرى دو ليموج) .

لقد كان البطريرك شيخا هرما يوم تم الزواج ، وكان يشارك الاميرة مشاركة فعلية فى ادارة الامارة ، فاستمرأ الحكم والسلطة وسر بهما ايما سرور ، لذلك وجد من مصلحته ان تبقى الاميرة دون زوج ، تدير الامارة ، ليكون هو الحاكم الفعلي ، والموجه الاول ، تصدر الامور فى انطاكية عن رايه ونهيه .

ولما تم الزواج فوجىء البطريرك به ، فامتعض وساءه أن يصبح تابعا لجندي مغمور ، ليس له من الميزات غير غرام الاميرة الطائش به ، فاطلق لسانه فيه ، واظهر له الاحتقار والازدراء ، وهو لا يعلم ان عدوه الجديد لا تقف قسوته عند حد .

قسوة ارناط وغدره

وسرعان ما تطور الصراع بين الرجلين ، فامر ارناط بالقبض على البطريرك ، وجلده فى الساحة العامة حتى أدمى جلده ، ثم امر به فشد الى وتد ، وهو عاري الجسد ، تحت اشعة الشمس اللاهبة ، وطلي جلده بالعسل ، لتتجمع عليه الحشرات والهوام ، تلسعه وتشرب من دمه .

وقد استاء الناس فى انطاكية من هذه الوحشية ، التي يعامل بها اميرهم الجديد رجلا هرما له مكانته الدينية فى نفوس الناس ، وله فضله فى الدفاع عن انطاكية ، فى أيام الشدة ، بعد مصرع ريمون دو بواتيه ووصلت انباء هذه المعاملة الفظة الى ملك القدس ، فاوفد على جناح السرعة رسولا ، يستنكر عمل رينو ويستفظعه ، ويأمره باطلاق سراح البطريرك ، ففعل . ثم بدأ لارناط أن يتفاهم مع الامبراطورية البيزنطية لمحاربة أمراء الارمن فى كيليكيا ، لعله يفوز بشيء من اراضيهم ، ولكنه سرعان ما انقلب على البيزنطيين ،

وتفاهم مع الارمن على محاربتهم ، واعد ارناط وطوروس أمير الارمن حملة مشتركة على جزيرة قبرص ـ وكانت مقاطعة بيزنطية ـ فلم يشعر أهل الجزيرة الا والقوات الصليبية والارمنية تهبط فى اراضيهم وتنكل بهم .

وقد ارتكبت القوات الغازية من الفظائع والقبائح ما تقشعر لهوله الابدان ، فصلمت آذانا ، وجدعت انوفا ، وهتكت اعراضا ، ونهبت اموالا لا يحصيها عد. وعاد المغامران وايديهما مثقلة بالسبي والغنائم .

طمع ارناط وانانيته افشلا مخطط الصليبيين لاحتلال شيزر

كانت شيزر قلعة حصينة تقوم على الضفةاليسرى للعاصي ، وقد اعجز الصليبيين احتلالها ، بفضل دفاع امرائها ، آل منقذ وبفضل موقعها الجغرافي ، ومتانة أسوارها . وفى عام 1157 م ، ضربت هزة ارضية مدن سوريا فاخربت اكثرها ، وكان الخراب الذى اصاب شيزر كبيرا ، وكان آل منقذ قد تجمعوا فى قصرهم لحضور حفل فيه ، فانهار عليهم القصر ، ولم ينج منهم غير اسامة الذى كان منفيا خارج شيزر، وغير امراة وطفل منهم ، أخرجا من تحت الانقاض .

وفى ذلك العام ، واثر الهزة التي الحقت الدمار بالمدن السورية ، وقع امير سوريا وبطلها نور الدين محمود مريضا ، حتى اشفى على الموت ، فبدا للصليبيين أن يغتنموا الفرصة ، ليحتلوا شيزر ، ويثبتوا اقدامهم فى حوض العاصي من جديد .

وبدا للملك بودوان الثالث ان يحتل ما يمكن احتلاله من اواسط حوض العاصي ليسلمه الى الكونت (تيري دوفلاندر) يقيم له امارة فيه ، تفيد من الامكانات الضخمة التي يتمتع بها بيت الكونت وامارته فى فرنسا ، وبذلك يستطيع تخفيف العبء الثقيل الذي اصبحت تنوء به الامارات القائمة فى الشمال ، بعد القضاء على امارة الرها .

وفى اوائل تشرين الاول (اكتبر) من عام 1157 م تجمع حول شيزر جميع الامراء الصليبيين ، مع جيش ارمني يدعمهم ويعمل معهم ، وانضم اليهم الكونت تيري دو فلاندر ، ومن معه من الفرسان القادمين للحج والنجدة .

وشرع المحاصرون فى نصب آلاتهم ، وقذف الاسوار بالمجانيق ، وبعد مدة قصيرة من الحصار ، اقتحم الفرنج أسوار البلد واحتلوها ، فلجأ المدافعون عنها الى القلعة وتابعوا دفاعهم .

وعرف ارناط بما ينتويه بودوان من تسليم شيزر وما حولها للكونت دوفلاندر ، فاستاء من ذلك واعترض على هذه الفكرة ، مدعيا أن شيزر وما حولها تدخل فى نطاق المجال الحيوي لانطاكية وان على تيري ، اذا تسلم امارة شيزر واواسط العاصي ، ان يكون تابعا له حسب التسلسل الاقطاعي . واستاء تيري بدوره من هذه الفكرة ، فانه لم يكن يخطر له على بال ، وهو المتحدر من أعرق البيوتات واكرمها ، ان يدين بالولاء والطاعة لمغامر افاق حمله الحظ الى كرسي الامارة ، واعلن رفضه لما اقترحه ارناط . واشتد الخلاف فى المعسكر الصليبي حتى كاد يؤدي الى ما لا تحمد عقباه، فلم يجد بودوان بدا من رفع الحصار والانسحاب من شيزر لكيلا يكون احتلالها سببا فى نشوب حرب اهلية بين الصليبيين .

خضوع الجبناء

استاء الامبراطور مانويل كومنين ، اشد الاستياء من هجوم ارناط وزميله الارمني على قبرص ، ومن الفظائع التي ارتكبها ، ولكن ظروف الامبراطورية ، وما كانت تواجهه من مشاكل فى أوروبا ، لم تكن تسمح له اذ ذاك بالتفكير فى معاقبة المجرمين .

ولكن بعد أن تحرر الامبراطور من الكثير من مشاغله ، تحرك فى عام 1158 م ، على راس جيش كبير الى كيليكيا ، فسحق امارات الارمن فيها ، واستولى على امهات المدن ، واقام معسكره قرب المصيصة بانتظار تحركه لمعاقبة ارناط .

وعلم هذا بما ينتويه الامبراطور ، فجزع جزع الجبناء المجرمين ، وخارت قواه ، وشل تفكيره ، ولم يعد يعرف ما يصنع ، بعد أن أدرك أن جرائمه قد أسلمته لمصيره ، وانه لن يجد بسببها ، معينا له فى محنته . وبينما كانت هواجس ارناط تعذبه وتقض مضجعه ، لا حت لاحد المقربين منه فكرة ، وجد فيها الفرج والخلاص ، وهي : لماذا لا يخرج ارناط الى معسكر الامبراطور تائبا معتذرا ، ويضع نفسه تحت رحمته وتصرفه ، ويعلن له الاعتراف بطاعته والتبعية له . ؟ فقد سبق لوالد الامبراطور أن عفى عن ريمون

دوبواليه ، واكتفى بالاعتراف بالتبعية والولاء ، ورفع علم الامبراطورية على قلعة انطاكية .

وبدت الفكرة لارناط اخاذة . فانه اذا استطاع ان يدفع العقاب عن نفسه ، وان يؤجل احتلال انطاكية ولو الى حين ، يكون قد حقق كسبا لا يستهان به . فقرر السير بنفسه الى المعسكر الامبراطوري، وارسل قبله رسولا من رجال الدين ، يمهد السبيل ، ويلطف الجو . وتمكن الرسول،بحذقه ودهائه وجميل اعتذاره من تهدئة ثائرة الامبراطور ، ومن تخفيف نقمته على ارنـــاط .

ووصل ارناط الى المصيصة ، وكان عليـه أن يجتاز المدينة كلها ، ليصل الى المعسكر الامبراطوري، فترجل عن فرسه ، وخلع نعليه، ولبس قميصا يكشف عن ذراعيه حتى المرفقين ، وامسك بسيفه من مقدمة النصل ، ليقدم قبضته الى الامبراطور ، وسار وهو على هذه الحالة المزرية ، من الذل والاستخـذاء في شوارع المصيصة ، التي اصطف الناس فيهـا على جانبي الطريق ، ليتفرجوا على هذا الجبان الذليـل الغادر المتقلب .

ورضي الامبراطور ، ما تم من خضوع ارناط ، واكتفى بالاعتراف بتبعية الامارة له والسماح له باقامة حامية بيزنطية في قلعة انطاكية ، كرمز لاثبات حقه .

أســر المغامــر

وبعد ان رحل الامبراطور عن كيليكيا ، تنفس ارناط الصعداء ، ونسي ما لقيه من ذل ومهانة ، وعاد يتابع حياته المعتادة ، حياة المغامر الشريـر . وفي يوم من ايام شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 1160 م ، علم ارناط ان قطعانا كبيرة من الماشيـــة ترعـى في السهول الواقعة بين عينتاب ومرعش ، وان هــذه القطعان لا تحرسها قوات اسلامية ، وكانت القطعان في اكثريتها يملكها ارمن ويونانيون من سكان المناطق التي استرجعها المسلمون من الفرنج حديثا ، ولكـن ارناط لم يكن يهمه من يملك القطعان ، وانما الـذي يهمه ان يحقق مغنما ، دون أن يتعرض لخطر قتال .

وبينما كان الرعاة آمنين مطمئنين ، انقض عليهم ارناط وفرسانه ، فاسروهم ، واستاقوا قطعانهـم فرحين بما حققوه من كسب . ولكن فرحتهم لم تطل كثيرا ، اذ ان انباء الهجوم الغادر ، وصلت الى نائب نور الدين في حلب ، مجد الدين ابي بكر بن الدايـة ، فاستنفر قواته، وطار بها ليقطع الطريق على المغامرين.

وعلم ارناط وصحبه بخروج المسلمين اليهـم ، فخاف اصحابه ، ونصحـوه بان يتخـلى عن المغنـم الضخم ، وان ينسحب عائدا الى انطاكية . ولكن ارناط اراد ان يتظاهر بالجراة الكاذبة امام صحبه ، فرفض الفكرة ، وامر فرسانه بسوق القطعان ، بين صفين من الجند ، وان يحثوا الخطا الى انطاكية ، وسار هو مع قوة من رجاله في الساقة ليحميها ويدافع عنها .

وبينما كان ارناط وصحبه يسيرون مسرعين قرب قرية الجومه ، شمالي غربي عزاز ، انقض عليهم فرسان حلب، وفتكوا فيهم فتكا ذريعا، وقتلوا اكثرهم، وجبن الاخرون فاستسلموا ، وكان بين المستسلمين ارناط . ونجا قليلون هاربين ، يخبرون فرنج انطاكية بانباء المعركة ومصير ارناط .

والقى ابو بكر بارناط وصحبه على ظهور الجمال، وكانهم بعض المتاع ، ودخلوا بهم حلب، فاسرع الناس يتفرجون على هذا المشهد الذي لم يعد يثير فضولهم كثيرا ، لكثرة ما تكرر منذ ان تولى عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود امور حلب . ووصلت الجمال باحمالها امام قلعة حلب التاريخية ، فانزلت الاحمال، واستيق ارناط الى سجنها ليقضي فيه ستة عشـــر عاما من حياته الشقية .

وبعد أن توفي نور الدين محمود ، موحد سوريا ومصر ، كان ابنه الملك الصالح ، صغيرا ، فاختلف الامراء من حوله ، ايهم يكفله ، ليبسط سلطانـه على الدولة . وتحرك صلاح الدين نائب نور الدين في مصر، يريد اثبات حقه في تولي رعاية ابن سيده . وجـرت بينه وبين امراء سوريا المشرفين على الملك الصالح، حروب ووقائع ، انتصر فيها صلاح الدين ، ووصل في زحفه المظفر الى حلب ، لحاصرها .

ولم يجد من بحلب من الامراء وسيلـة لدفـع صلاح الدين عنهم ، غير الاتصال بالفرنج ، فتحـرك ريمون الثالث ، امير طرابلس ليهاجم حمص ، كمـا تحرك فرنج انطاكية . وليثبت امراء حلب للفرنج حسن نواياهم ، واخلاصهم في التعاون معهم ، اطلقوا في عام 1176 م سراح من كانوا في سجن حلب من الفرنـج ، ومنهم ارناط .

وكانت امارة انطاكية قد تولاها وارثها الشرعي، بوهمند الثالث ، فلم يجد المغامر مكانا له في انطاكية ،

وتابع سيره الى القدس . وهناك تعرف بأرملة اخرى هي (اتين دوميللي) ، ارملة (اونفروادو تورون) (ابن الهنفري كما تسميه الرواية العربية) . وكانت هذه الارملة قد ورثت امارة شرقي الاردن ، التي يقوم فيها حصنا الكرك والشوبك ، فأعجبت هي به ، واعجب هو بمالها واملاكها ، التي تحتل افضل مركز جغرافي، يسيطر على طريق القوافل ، المتنقلة بين سوريا ومصر والحجاز ، فعقدا زواجهما حوالي عام 1177 م .

لم تكن الظروف مواتية لآمال ارناط واطماعه في المغامرة ، حينما كان زوجا لاميرة انطاكية . اذ كانت انطاكية محصورة بين مملكة نور الدين في الشـــرق ، وبين الامبراطورية البيزنطية في الشمال . وكانـــت انطاكية اقرب المواقع الصليبية الى حلب ، وحصونها الغربية ، فلم يكن في مقدور ارناط أن يندفـــع وراء مغامراته كما يحلو له ، دون أن يكون معرضا لخطـــر الانقضاض عليه من المواقع الاسلامية المحدقـــة بارض انطاكية . وقد رأينا كيف أن فرسان حلب كانوا أسرع من ارناط ، فاعترضوا سبيل عودتـــه بالغنائـــم الى انطاكية واسروه .

كما أن الانضباط الذي كان يفرضه ملوك القدس على الامارات الصليبية الاخرى في المشرق ، كان سببا من اسباب كبح جماع المغامرين من الامراء ، والزامهم بالمعقول من التصرفات .

ولكن ما لم يكن ممكنا القيام به من المغامرات في انطاكية عام 1160 م ، اصبح ممكنا كل الامكان القيام به في جنوبي شرقي الاردن عام 1180 م ، فالملـــك بودوان الرابع ، اصبح ملك القدس ، وكان مصابـــا بالجذام ، وحالته ميئوس منها ، وقد ضعفت الملكية، واصبحت موضع مساومة ومنازعات بين الطامعين في السيطرة على الملك .

وفي المملكة الاسلامية كانت الظروف قد تغيرت هي ايضا ، فقد مات الرجل الحديدي الارادة ، نور الدين محمود ، واصبحت خلافته موضع نـــزاع بين الطامعين في أن يخلفوه ، **حتى تمكن صلاح الدين بعد كثير من الجهد من تثبيت اقدامه ،** وفرض سلطانـــه على المنشقين عليه .

اما من الناحية الجغرافية فان موقع قلعتي الكرك والشوبك ، في قلب الصحراء بعيدا عن مواصـــم المسلمين ومراكز تجمع قواتهم ، يجعل المغامرات اكثر ربحا ، واقل تعرضا للاخطار .

واذا فقد كان زواج ارناط من اميرة قلاع شرقي الاردن ، يحق جميع الشروط المناسبة والملائمـــة لانطلاق مغامراته من جديد .

واخذ ارناط يبث عيونه وأرصاده من الصليبيين ومن بدو الصحراء ، ليرصدوا تحرك القوافل ، ويعلموه بها فيقوم بالاغارة عليها ونهبها وسبي من فيها ، دون ان يخشى مفاجأة من جيش اسلامي قريب .

وتكررت أعمال ارناط ، وعادت عليه الامصـــال بالارباح الوفيرة ، فزاد ذلك في جرأته ، وفي اطماعه ، والمسلمون لا يستطيعون الوصول اليـــه ، كمـــا لا يستطيعون ان يتخلوا عن سلوك طريق الصحراء ليعلوا من سوريا وما وراءها الى مصر والحجاز .

ثم جرت اتصالات بين ملك القدس وبين صلاح الدين ، لتحقيق هدنة، تريح الجانبين من عناء الحروب المتواصلة ، وقد كانت الهدنة ضرورية لصلاح الدين، ليتفرغ الى تسوية مشكلات مملكتـــه ، واستكمـــال وحدتها وكانت الهدنة اكثر ضرورة للصليبييـــين ، الذين انهكتهم الحروب ، وتقلصت رقعة اراضيهم ، واخربت ما تبقى منها في أيديهم ، كما كانت ضرورة لهم لتســوية خلافاتهم الداخلية ، وخصوصا الخلافات بين أفراد البيوتات الحاكمة ومشاكلهـــا العائليـــة ، والخلاف بين منظمتي الداوية والاسبتارية .

وحينما تحققت الهدنة كان من المفـــروض ان تشمل مملكة القدس ، باماراتها المختلفة ومنها امارة شرقي الاردن التي يحكمها ارناط . وانصرف كل من الجانبين الى تسوية اموره مطمئنا الى قدسية العهود والمواثيق .

ولكن هذه الهدنة لم ترق لارناط ، الذي اعتاد على تحقيق المكاسب والمغانم عن طريق العدوان على القوافل العابرة في الصحراء ، فأضمر في نفسه الغدر، وعدم التقيد بها . واخذ يتحين الفرصة ، المناسبـــة للغدر، فقد تكون الهدنة اكثر كسبا له. وبالفعل كانت.

ففي صيف عام 1181 م ، علم ارناط ان قافلـــة اسلامية كبيرة جدا ، قدرت الروايات ثمن ما فيهـــا بمئتي الف دينار تسلك الصحراء مطمئنة الى الهدنة ، في حراسة عدد قليل من الرجال ، فاستعد للاستيلاء عليهـــا .

ولما اصبحت القافلة قريبة من قلعته ، نزل من فيها يستريحون من وعثاء السفر ، وباتوا ليلتهم هناك،

فلم يشعروا الا وارناط ورجاله ينقضون عليهم ، ويعملون فيهم قتلا واسرا ، فنجا منهم من سبق فرسه ، ووقعت القافلة في ايدي ارناط . ووصل الناجون من رجال القافلة الى دمشق يقصون على صلاح الدين اخبار الغدر الفرنجي ، فانزعج صلاح الدين وادرك ان وجود قلاع صليبية على الطريق بين شقي مملكته ، امر بالغ الخطورة ، وانه لا بد من القضاء عليها اذا اريد للمملكة ان تزدهر وتتماسك .

وانزعج الصليبيون في القدس كثيرا ، وخصوصا الملك بودوان الرابع ، الذي الح عليه المرض وانهكه ، فقد تعود اسلافه تشريف تعهداتهم ، والحفاظ على عهودهم ، كما تعودوا ان يثقوا بعهود المسلمين ومواثيقهم ، واسرع يكتب لارناط يلومه على هذا الغدر الذي يظهر الصليبيين بمظهر المغامرين الذين لا يتقيدون بعهد ولا ميثاق . وطلب اليه ان يعيد ما وقع بايديه من الغنائم الى المسلمين ، وان يطلق سراح الاسرى . فسخر ارناط من الملك ، واعلن رفضه الاستجابة للطلب . فعاد الملك وارسل اليه وفدا من رجال الدين ، ومن فرسان الاسبتارية، يلحون عليه في ضرورة اعادة الاسرى والغنائم ، الى المسلمين ، للابقاء على الهدنة القائمة ، فلم يكن رد ارناط على الوفد بافضل من رده الاول . وسخر من الملك ومن سلطانه عليه .

واراد صلاح الدين ان تستمر الهدنة قائمة ، فكتب الى بودوان يعرفه بالواقعة ، ويستنكر تصرف ارناط ، ويطلب اليه التدخل لاعادة الاسرى والاموال. فلم يجد بودوان ما يرد به على صلاح الدين غير الاعتذار بانه لا يستطيع عمل شيء مع تابع لا يحترم عهدا ولا هدنة .

وحينما تلقى صلاح الدين هذا الرد ، اعتبر الهدنة غير قائمة ، وباشر الحرب من جديد .

وهكذا وجد الصليبيون انفسهم مسوقين برغمهم وراء المغامر ، لان غارات المسلمين لم تقتصر على ارض ارناط .

وفي عام 1182 م ، ذهب صلاح الدين لمصر ، ليتفقد شؤونها ، ولما علم الفرنج بذلك ، عقدوا مجلسا حربيا بحضور بودوان ، لمناقشة الموقف . وقد ارتأى المغامرون من انصار ارناط ، ان صلاح الدين ، سيعود على راس قوات ، وانه سيهاجم معاقل ارناط في الكرك والشوبك ، لينتقم منه ، وان الحكمة تقضي بان يتحرك الصليبيون لنجدة ارناط ، ولاعتراض سبيل صلاح الدين اثناء عودته من مصر الى دمشق .

ولكن العقلاء ، وعلى راسهم ريموند الثالث امير طرابلس ، الذي كانت تربطه بالمسلمين هدنة ، لم يروا هذا الراي ، وقدروا ان احتشاد الجيش الصليبي في جنوبي الاردن ، امر بالغ الخطورة ، لانه يترك الاراضي الصليبية في فلسطين ، خالية من القوات ، فتتعرض بذلك لهجمات المسلمين المباغتة .

وفازت نظرية المغامرين ، اذ لم يكن بودوان في وضع يمكنه من اتخاذ موقف حازم . فعبأ الصليبيون قواتهم ، وساروا بها الى الكرك ، وعسكروا حولها ينتظرون عودة صلاح الدين ، ليوقعوا به . ولكن صلاح الدين علم بمخطط الفرنج ، فخرج على راس فرسانه يعبر الصحراء على خير تعبئة ، وجعل اخاه توري على راس قوة تحرس القافلة العائدة بالمتاع والمرضى والنساء ، على ان يسيروا موغلين في الصحراء ، ليكونوا بعيدين عن متناول يد الفرنج .

وفي نفس الوقت ، الذي قرر فيه صلاح الدين عبور الصحراء ، اوعز الى ابن اخيه فروخ شاه ، وهو نائبه في دمشق ، بان يغتنم فرصة خلو فلسطين من القوات ، ويضرب هناك بعنف . فخرج فروخ شاه من دمشق على راس قوة خفيفة الحركة ، واسرى الى منطقة الجليل ، فلم يشعر الفرنج ، الذين كانوا يعملون آمنين مطمئنين ، الا والجيش الاسلامي ينقض عليهم ، يقتل وياسر ويسبي ويغنم ، ويخرب ، دون ان تكون للفرنج فرصة للالتجاء الى معقل او حصن. ثم عاد المسلمون الى منطقة السواد الواقعة شرقي بحيرة طبرية ، يوقعون بالفرنج ويفتكون بهم .

وتقول الروايات ان فروخ شاه ، عاد الى دمشق يسوق امامه قرابة الف اسير وعشرين الف راس من الماشية . وعلم الصليبيون وهم في معسكرهم قرب الكرك ، بما احدثته غارة فروخ شاه من خراب ودمار، في منطقتي الجليل والسواد ، فقلقوا وادركوا خطاهم باتباع اراء ارناط واصحابه ، فانسحبوا مسرعين الى منطقة الجليل ، وعسكروا قرب عيون صفورية ، بانتظار ما سيقوم به المسلمون .

اما صلاح الدين فانه وصل الى دمشق في 22 حزيران (يونيو) 1182 م ، وبعد ان اطمان الى وصول اخيه توري والقافلة سالمين الى دمشق ، عاد بقواته الى حدود مملكته مع فلسطين المحتلة ، وعسكر في

منطقة القحوانة ، قرب سمخ ، فلم يجرؤ الصليبيون على دخول المعركة معه . لانهم كانوا يدركون حقيقة تفوقه عليهم بقواته وبموارده وبانضباط جيشه ، بينما كانت الفوضى والمنازعات الداخلية ، تنخر في جسم الكيان الدخيل .

وبث صلاح الدين سراياه في المنطقة تعيث فيها تحت سمع الجيش الصليبي وبصره ، دون أن يجرؤ على التعرض للمسلمين . وبلغت سرايا المسلمين بيسان وجنين تقتل وتخرب وتحرق ، لعلها تدفع الفرنج الى المعركة ، ولكن الصليبيين لبثوا ساكنين لا يتحركون . واخيرا أعلم الجنود صلاح الدين ان ازوادهم قد نفدت وان مقامهم قد طال ، فقرر صلاح الدين الانسحاب الى دمشق ، بعد ان تأكد من انالفرنج لن يجازفوا بدخول الحرب .

اغرت ارناط انتصاراته المحدودة على القوافل العابرة في الصحراء ، فجعلته يفكر بامور لم تخطر لغيره على بال ، لما فيها من خطر ايقاظ نقمة العالم الاسلامي كله ، ودفع المجاهدين الى التدفق على ميدان المعركة للقضاء على الخطر المهدد لمقدساتهم .

ويقول المؤرخون ان ارناط ، قد بلغ تيماء في عام 1181 م ، في احدى اندفاعاته في الصحراء ، وتيماء تقع في قلب الجزيرة العربية ، وانه كان ينوي التوجه من هناك الى المدينة المنورة لمباغتتها ، والاعتداء على قبر النبي عليه السلام ، ولكن هجوما قام به فروخ شاه على حصون ارناط في شرقي الاردن ، اضطره الى الارتداد مسرعا ، مخافة ان يباغته في الصحراء .

وقدر ارناط انه اذا تمكن من الاستيلاء على (ايلا) على خليج العقبة ، فانه يستطيع ان ينشىء اسطولا يسيطر على البحر الاحمر ، ويتحكم بموانىء المسلمين فيه ، وبالتالي فانه يستطيع الوصول الى الاماكن الاسلامية المقدسة في مكة والمدينة ، والايقاع بالمسلمين وهم في موسم الحج .

وبالفعل نفذ المغامر مخططه ، فانشأ قوارب في عسقلان والكرك ، ونقل اجزاءها مفككة على ظهور الجمال فجمعها في خليج العقبة ، وقذف بمراكبه في البحر ، وبينما اتجهت قوة صليبية تحاصر ايلا ، اتجهت المراكب الاخرى تعبر خليج العقبة الى البحر الاحمر ، ومن هناك سارت الى الموانىء الاسلامية الآمنة التي لم تكن تتوقع ان ترى مراكب صليبية ، فاخذت في نهبها ، والاعتداء عليها ، كما تعرضت للمراكب الاسلامية الماخرة في البحر الاحمر ، فاوقعت بها ، ونهبت العديد منها . وكان اول ميناء ظهر الفرنج امامه هو ميناء (عيذاب) ، تجاه ميناء جدة ، ثم انتقل الفرنج الى الموانىء الحجازية يغيرون عليها ، حتى بلغوا ميناء الحديدة قرب ينبع ، ومنه اتجهوا الى رابغ شمالي جدة ، ينهبون ويقتلون ويأسرون ، ثم ارسوا مراكبهم في الجوراء قرب رابغ ، ونزلوا الى البر يعيثون فيما حولها ، ويعدون عدتهم للايغال في داخل الارض المقدسة والوصول الى مكة ، للايقاع بالحجاج المجتمعين فيها .

وقلق العالم الاسلامي لهذه الجرأة التي لم يكن احد يتوقعها ، واضطربت نفوس الحكام ، وجاشت نفوس المسلمين بالغضب ، كيف تجرؤ شراذم طارئة على مشرقنا المتسامح ، فتفكر في تدنيس المقدسات وترويع الآمنين اللائذين ببيت الله وحرمه .

وكان اسرع الجميع استجابة لنداء الواجب هو الملك العادل ، شقيق صلاح الدين ونائبه في مصر ، فجهز اسطولا عهد بقيادته الى امير البحر حسام الدين لؤلؤ ، وكلفه بملاحقة الفرنج وردهم عن مقدسات الاسلام . فخرج لؤلؤ مسرعا، يتبع الفرنج، ويستقصي اخبارهم ، فادركهم وقد نزلوا بالحوراء، فاستولى على مراكبهم الراسية ، ثم نزل ورجاله الى اليابسة ، لقتال الفرنج الهابطين على الساحل . ولما راى الفرنج غرق سفنهم ووقوعها في ايدي المسلمين ، انقطع املهم في النجاة بها ، فلجأوا الى شعاب الجبال القريبة من الساحل ، فلحق بهم لؤلؤ وقاتلهم في شباط (فبراير) 1183 م ، قتالا شديدا حتى افناهم ، واخذ من تبقى منهم حيا اسيرا . فارسل بعضهم الى منى لينحروا فيها كالاضحي يوم عيد الاضحى ، امام الحجاج ، لتطمئن خواطر الناس ، وليعلموا ان قادة المسلمين لا يمكن ان يتهاونوا مع من يدنس مقدسات الاسلام ، فنحروا هناك يوم العيد ، والناس من حولهم يهللون ويكبرون .

اما الباقون من الاسرى ، فقد سيقوا الى مصر ، فامر صلاح الدين بضرب اعناقهم جميعا لكيلا يفكر احد منهم في العودة مع حملات اخرى على الطريق .

لم يكن صلاح الدين يجهل اهمية الخطر الذي يشكله على الاسلام عامة وعلى مملكته بصورة خاصة، وجود الصليبيين في سوريا ، وخصوصا وجودهم في شرقي الاردن وجنوبي فلسطين . ولكن هذا الوجود

كان قبل صلاح الدين ، وكان من الممكن ان يستمر ، دون ان يشعر صلاح الدين بأن اقتلاعهم ضرورة ملحة لا يمكن تأجيلها . ولكن مغامرات ارناط في نقض الهدنة وسلب الحجاج والقوافل ، وقطع الطريق بين سوريا ومصر والحجاز ، ومحاولاته لتدنيس مقدسات المسلمين ، وترويع اهل الارض المقدسة ، ومن يؤمها من الحجاج المسلمين ، كل ذلك اقنع صلاح الدين ، انه لا بد من القضاء نهائيا على هذا الخطر الهدد ، في اسرع وقت ، واجتثاثه من جذوره ، لكيلا تبقى له في ارضنا باقية . فشمر من ساعد الجد ، واقسم على انه سينتقم بنفسه من ارناط ، وانه سيقتله بيديه ان ظفر به ، وقد مكنه الله من ذلك .

وتتالت حملات صلاح الدين على قلاع ارناط ، خلال الاعوام التالية ، وحاصره اكثر من مرة في قلعة الكرك وضيق عليه ، فكانت الجيوش الصليبية تتجمع في كل مرة ، وتسير لنجدة الكرك ، ولكنها كانت ترفض الدخول في المعركة مع المسلمين ، لانها كانت تدرك انها ليست كفاء لصلاح الدين وجيشه .

— ◆ —

وحينما حل عام 1187 م ، (583 هـ) ، اعتزم صلاح الدين الدخول في معركة فاصلة مع الفرنج ، فصرف همه لتسوية خلافاته مع اتباعه وجيرانه المسلمين ، كما طلب الى نائبيه في حلب وحماه ، بمهادنة الفرنج في امارة انطاكية ، (أما طرابلس فكان اميرها قد دخل منذ زمن بعيد في حمى صلاح الدين وهادنه) . ولما تحقق الصلح بين المسلمين وبين فرنج انطاكية في ايار (مايو) 1187 م ، (اواخر ربيع الاول 583 هـ) . اخذ السلطان في جمع القوات ، واستدعى تابعيه من الامراء في الجزيرة وديار بكر والموصل ، واستدعى قوات من مصر وحلب وحمص وحماة ، وخرج هو من دمشق الى عشترا (في حوران) ، واقام هناك ينتظر اجتماع الجيوش عليه . ولما تكامل اجتماعها ، استعرضها في منتصف ربيع الاخر 583 هـ ، وعباها تعبئة القتال ، وسار بها يوم الجمعة في 17 ربيع الاخر ، حتى نزل جنوبي بحيرة طبرية عند قرية الصنبرة .

وكان الفرنج قد علموا باجتماع الجيوش على صلاح الدين ، فاسرعوا بجمع قواتهم ، وعسكروا قرب عيون صفورية ، في الجليل ، ينتظرون التعرف على مرامي خطة صلاح الدين .

وفي اليوم التالي سار صلاح الدين ونزل على جبل غربي طبرية ، ولبث هناك ينتظر تحرك الفرنج لقتالهم ، ولكن الفرنج كانوا مختلفين فيما بينهم حول ما يجب عمله تجاه صلاح الدين . فقد مات الملك بودوان الرابع غير مخلف عقبا ، وأوصى بالملك الى ابنة اخت له ، تزوجها رجل ضعيف الشخصية ، عرف باسم (جي دولوزينيان) فاصبح ملكا على القدس ، وقد احدث ارتقاء (جي) العرش انشقاقا في صفوف الصليبيين ، يضاف الى الفوضى القائمة بينهم .

ولما اجتمع الفرنج في صفورية ، ونزل صلاح الدين على طبرية ، اقترح المغامرون مهاجمة صلاح الدين لفك الحصار الذي ضربه على مدينة طبرية ، وكانت طبريه ملكا لزوجة ريموند الثالث أمير طرابلس، وكان ريمند اكثر الصليبيين خبرة بالحرب ، وأبعدهم نظرا ، واكثرهم ادراكا للواقع الصليبي ، وتقديرا لقوة صلاح الدين ، فكان رأيه أن لا يخاطر الفرنج المتغطرسون بالاشتباك بالمسلمين ، وهم أكثر ما يكونون قوة ، وتصميما على سحق العدوان ، والانتقام من محاولة تدنيس مقدساتهم . لذلك اعترض على راي القائلين بضرورة الاشتباك بصلاح الدين ، وقال لهم ان طبريه ملك لزوجته ، وان زوجته وأبناءها موجودون فيطبرية، وانه اذا احدث مكروه لطبريا فان المكروه سيصيبه قبل غيره ، ومع ذلك فانه يفضل أن يضحي بزوجته وابنائه وببعض أملاكه ، على أن يقامر بمستقبل الممالك الصليبيين في المشرق ، فسخر منه المغامرون ، واتهموه بالخيانة والتواطؤ مع المسلمين ، وتطاولوا عليه ، ولما اقنعوا الملك بضرورة السير الى طبريا لفك الحصار، وترحيل المسلمين عنها ، لانه ليس من الشهامة ولا الرجولة في شيء ترك الاميرة لمصيرها تدافع وحدها عن طبريه .

جرت تلك المناقشات في المعسكر الصليبي في في صفورية ، قبل أن يتحركوا من مواقعهم . ولما رأى صلاح الدين الفرنج لا يتحركون ، ترك قوة في المرتفعات ، لمواجهة الفرنج إن تحركوا ، ونزل مسرعا مع قوة خفيفة الحركة ، فهاجم طبريه واستولى عليها سريعا ، واسر وقتل وغنم ، ولجأت الاميرة ومن نجا من المعركة ، الى القلعة يتابعون المقاومة ، فضرب صلاح الدين حصارا حول القلعة ، ولبث ينتظر رد فعل الصليبيين في صفورية .

ولما علم الفرنج بما حل بطبرية ، ارتفعت أصوات المتطرفين ، واقنعوا الملك بضرورة السير لانقاذ

الاميرة ، فتحرك المعسكر الصليبي كله ، نحو المسلمين رغم معارضة ريموند واحتجاجاته .

ولما علم المسلمون بتحرك الفرنج ارسلوا يخبرون صلاح الدين ، وكان هذا بالضبط ما قصده هو من مهاجمة طبرية ، وهو ان يستثيرهم ، وان يدفعهم الى قبول الدخول في المعركة معه . فترك قوة من رجاله في طبرية تتابع حصار قلعتها ، واسرع هو بمن معه الى المرتفع ، حيث ترك معسكره ، فوصله مساء الخميس في 22 ربيع الاخر . وبعد قليل وصل الصليبيون ، واقاموا معسكرهم تجاه المسلمين ، ولم يجر قتال في ذلك اليوم .

وفي صبيحة يوم الجمعة 23 ربيع الاخير 583 هـ (تموز 1187 م) ، اشتبك الفريقان في قتال عنيف في ارض اللوبية ، دام طوال النهار ، وكان الحر شديدا ، ولم يكن حول المعسكر الصليبي ماء يصلون اليه ، وحاولت قواتهم اكثر من مرة ان تشق طريقها الى طبرية لتستقي ، ولكن المسلمين كانوا يردونها ، بعد ان ادركوا غايتها .

وبات الفرنج عطاشا ، والمسلمون من حولهم يطوفون بمعسكرهم ، يرمونهم بالنبال طوال الليل ، حتى لم يتركوا لهم فرصة للراحة .

وبكر الجانبان يوم السبت الى القتال ، والفرنج قد انهكهم التعب والعطش والحر ، وجرى عراك رهيب ، وصبر الفريقان صبرا عجيبا ، ورأى ريموند ان المعركة اصبحت خاسرة ، وانه لم يعد لهم امل في نصر ، فحمل بمن معه من الفرسان حملة مستقتل يريد النجاة ، فامر قائد الفرسان تقي الدين عمر ، رجاله بان يفسحوا لهم المجال ، فخرجوا من المعركة ، وتابعوا طريقهم الى صور . فاضعف خروج قوات طرابلس ، من عزائم المقاتلين ، وحاولت فئة اخرى منهم النجاة ، فلاحقهم المسلمون وأبادوهم .

اما الملك (جي) ومن تبقى معه ، فانهم لم يجدوا لهم مهربا ، فانحازوا الى تل حطين ، وتحصنوا فيه ، فاحاط بهم المسلمون ، وتجدد القتال على اشد ما يكون عنفا حول التل . واستمر حتى تمكن المسلمون من الوصول الى خيمة الملك فاخذوه اسيرا ، واسرع ارناط يلقي بسلاحه مستأثرا ، وفعل غيره مثل فعله . وانتهت المعركة مساء السبت بأسر الملك واسر ارناط الذي اثارت مغامراته الحرب ، وغيره من الزعماء والقـادة .

ولما انتهى القتال ، جلس السلطان المنتصر ، في خيمته فرحا مسرورا ، بما أفاء الله عليه من نصر ، وجلس من حوله كبار القادة والامراء ، واستدعى اليه الاسرى ، فاحضر الملك وارناط ، وقد هدهما العطش ، فامر صلاح الدين للملك بشربة من ماء مثلج فتناول الكوب وشرب منها ، ثم ناولها لارناط ، وكان بجانبه ، فشرب ارناط وصاح صلاح الدين في الترجمان ليقول للملك الاسير ، انت الذي سقى ارناط وليس انا . وكانت الاعراف تقضي بأن الاسير اذا نال من طعام آسره ، او من شرابه لم يعد يجوز له قتله . وقد سبق لصلاح الدين ان اقسم بانه اذا ظفر بارناط ليقتلنه بيديه ، وقد تسبب ارناط بمغامراته وجرائمه، وخياناته للعهود والمواثيق ، بهذه الحرب الطويلة المتواصلة ، ولم يصبر صلاح الدين على الاستمرار في الحرب الا ليظفر بارناط ، ليجعله عبرة لكل غادر مغامـــر .

ولم يشأ صلاح الدين أن يقتل ارناط بحضور (جي) ، فاخرجهما من مجلسه ، ثم استدعى ارناط ، وعنفه على محاولاته تدنيس المقدسات الاسلامية ، وذكره بما كان منه نحو رجال القافلة الذين غدر بهم في وقت الهدنة والسلم ، وسخر منهم ومن دينهم ونبيهم، حينما ناشدوه الله ، وذكروه بالصلح القائم بين المسلمين والفرنج . ثم قام اليه صلاح الدين ، وقال له ها انا أنتصر لدين محمد ، واستل سيفه وضربه به على كتفه فحله ، وقام من حضر بالاجهاز على ارناط، ثم حملوه الى باب الخيمة والقوه ، ولما رأى (جي) صاحبه قتيلا جزع ، وخاف مثل مصيره فاستحضره صلاح الدين ، وطيب قلبه وهدأ روعه وقال له : (لم تجر عادة الملوك ان يقتلوا الملوك ، واما هذا فانه تجاوز حده ، فجرى ما جرى) .

واثر معركة حطين بدات تتهاوى المدن والقلاع التي كانت للصليبيين ، في أيدي صلاح الدين ، وتابع من خلفوه خطته في العمل على اجتثاث جذور الدخلاء، حتى تمكنوا بعد قرابة مائة وعشر سنين ، من يوم حطين ، من القاء آخر الصليبيين في البحر . ولم تستطع النجدات الكثيرة التي تلقاها الصليبيون من اوروبا من ان تمنع زوال كيانهم ، الذي قام في غفلة من الدهر ، بالعدوان والقهر والغدر .

دراسة حول نهاية الأدب للنويري

من موسوعة الأدب واللغة

هل التعبير الجميل بلغة رصينة هو الأدب؟

عبد الحليم الندوي أستاذ بالجامعة الملية الإسلامية
(دلهي الجديدة)

توصلنا من حضرة الاستاذ عبد الحليم الندوي بهذه الدراسة الشيقة التي شارك بها في مسابقة المكتب الدائم ، الا ان لجنة التحكيم ارتات انها تحيد عن موضوع المسابقة ـ ونظرا لقيمتها اقتطفنا منها هذا القسم الذي ننشره شاكرين :

ولد النويري في أواخر القرن السابع الهجري ، القرن الذي شهد تطورات سياسية هامة ، غيرت مجرى التاريخ الاسلامي بسبب فتنة التتار الجامحة التي اعقبتها ويلات ودمار انجلت عن حركة علمية ، من نوع جديد ، لم يكن للعالم الاسلامي بها عهد من قبل. فما ان يكاد فجر القرن السابع الهجري يشرق الا ونرى العقول العربية ، التي لم تزل طوال السنوات الماضية ، تزود المجتمع العربي ، بانتاجها الخصب ، ونتائج قرائحها الفياضة ، قد توقفت او تكاد ، وذلك بسبب تغير الاوضاع والظروف التي قلما تسمح لاصحاب الفكر والعلم والمشتغلين بالادب والفن ، بمزاولة اعمالهم الفنية ، وممارسة اتجاههم العلمي والادبي دون ان يتوجسوا خيفة أو وجلا . وبخاصة بعد ما كان هؤلاء العلماء قد الفوا جوا وظروفا تتنافى والتي ابتلوا بها في هذه الحقبة من الزمن ، فلما نجد انتاجا علميا خصبا ، او مادة ادبية فنية غزيرة ، او شعرا عذبا بليغا ، من ذلك النوع الذي تطرب له القلوب وتترنح له المشاعر والاحاسيس. ولكن ما تكاد تنقشع غياهب هذه الفتنة حتى يبرز رهط من العلماء ، ليقوم بحركة مباركة يمكن ان نسميها بـ «حركة الموسوعات». وغاية هذه الحركة هو جمع ما يوجد من نتاج العلماء القدماء ، وما وضعوه في مختلف العلوم والفنون من كتب خوفا من ضياعها ، على ايدي الغزاة . ذلك ان التتار قتلوا « كثيرا من علماء المسلمين ببغداد وغيرها، وممن قتل ببغداد الشيخ محي الدين بن الجوزي واولاده. وكذلك اتلفوا كثيرا من دور الكتب واحرقوها. وقد أمر هولاكو وقت فتح بغداد بالقاء جميع الكتب التي في دور الخلفاء في نهر دجلة . وبذلك ضاعت على الدين ذخائره ، وعلى العلوم والاداب نفائسها ، ففقدت العربية الى الابد آلافا من المؤلفات » (1) فلما رأى العلماء هذه الكارثة الرهيبة وما جرت من ضياع اكبر العلماء واجلهم شأنا « وجدوا انفسهم ـ بعد هذه الكارثة الرهيبة ـ مسئولين أمام الله عن دينه ، وأمام التاريخ عن نهضة العلم واقالة عثاره ، وأمام ضمائرهم عن معارفها وأمام أوطانهم عن تدعيمها . فدفعهم شعورهم العميق بهذه المسئولية وضخامتها الى الجد في العمل لتلافي ما فات، وبذل الجهد لاعادة هذا الصرح المنهار » (2) ومن هنا نجد طائفة من العلماء في هذا

1) عن مختصر ابي الفداء ج 4 ص 194؛ نقلا عن كتاب « عصر سلاطين المماليك » لمحمود رزق سليم المجلد الثالث ص : 17 .

2) نفس المرجع السابق .

العصر قد عكفت على دراسة ما تبقى من هذا التراث الضخم ، واستخلاص موارده ، وجمعه في كتب مطولة ضخمة ضنا به وحفظا له .

والغريب في الامر ان هذا الرهط من العلماء وخاصة النويري ، اتخذ في مرامه هذا ، أسوة حسنة من حياة رهط من الصحابة ، قاموا ، خوفا من الضياع والذهاب ، بأول عمل للجمع والتدوين تم في اللغة العربية وتاريخ المسلمين ، واعني به جمع القرءان الكريم وتدوينه في مصحف مكتوب . فقد نقلوه من الجلود ، والعظام والعسب واللخاف التي كانت سور القرءان الكريم او آياته قد كتبت عليها زمن النبي صلى الله عليه وسلم او من صدور الصحابة من الحفاظ الذين كانوا يسمون القراء عصر ئذ . وكان الباعث الهام والاول هو توجس الخيفة من ضياعه او ذهابه مع من ذهب من القراء في الحروب والغزوات ، كما حدث في غزوة اليمامة .

فقد روى المؤرخون ، انه عندما ارتدت بعض القبائل من أهل الجزيرة ابان خلافة سيدنا ابي بكر الصديق ، وارسل القوات الاسلامية لقمع دابرهم ، دارت بينهما وبين المرتدين معارك دامية ، استشهد فيها حوالي 1200 مسلم من بينهم 700 قارىء . ففزع المسلمون كثيرا لهذه الظاهرة التي تعرضت لهم اول مرة في حياتهم . وخافوا اذا ما استمرت الحال على هذه الوتيرة ، ان يحرموا من القرءان الكريم بموت او شهادة حفاظه . وكان منهم اكثر خوفا سيدنا عمر بن الخطاب ، فسعى الى ابي بكر يحاوره في الامر . واشار عليه ان يقوم بجمع القرءان الكريم حفظا له وضنا به . الا ان ابا بكر تردد في الامر وتريث وقال : « كيف افعل امرا لم يفعله رسول الله ولم يعهد الينا فيه عهدا » . ولكن عمر الح عليه واصر ، فخضع له آخر الامر ورأى الحكمة في جمعه . فطلب الى زيد بن ثابت وكان من ابرز كتاب الوحي ، في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فجمعه مما وجده مدونا عند الصحابة ، وما كانوا قد حفظوه في صدورهم ، فجعل مصحفا كاملا وسلمه الى ابي بكر . فلما توفي ابو بكر تسلمه عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء وبعد وفاته في سنة 23 هـ ، انتقل المصحف الى كريمته حفصة ام المؤمنين .

وفي زمن سيدنا عثمان بن عفان ، **عندما توسعت رقعة الفتوحات** وانتشر المسلمون الى اقطار مختلفة وبلدان عديدة ، مع نسخ من القرءان الكريم يعولون عليه **ودخلت في حظيرة الاسلام شعوب وقبائل تتغاير لغاتها ولهجاتها لهجة قريش** ، التي نزل القرءان الكريم بها . وحدث اختلاف في قرائته ، وبدا في ادراك معناه ، اتصل حذيفة بن اليمان بعثمان ، وانباه بما رآه اثناء سفره الى آرمينيا وآذربائيجان في غزوة ، من اختلاف المسلمين في القراءة والتفاخر بها والتمسك بها ، حذره من العاقبة الوخيمة التي قد يؤدي اليها هذا الاختلاف وهذا الوضع الشاذ اذا ما تفشى بين المسلمين وقال قولته المعروفة : « ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى » . ففطن عثمان الى ما في قوله من حكمة واستصوب رايه . وطلب الى حفصة يقول لها : « ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك » ففعلت ، فاستدعى عثمان رهطا من الصحابة من كتبة الوحي والمتضلعين في القرءان الكريم ، مثل زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وغيرهم وامرهم ان ينسخوا القرءان ويستعينوا على القراءة بما حفظه القراء . وقال لهم : « اذا اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه **بلسان قريش فانما انزل بلسانهم** » ، ففعلوا وكتبوا اربعة مصاحف بعث بها عثمان الى الامصار . وابقى عنده نسختين ، احداهما لاهل المدينة والاخرى لنفسه . وسميت هذه الاخيرة « بالامام » . ثم جمع المصاحف والصحف الاخرى وامر باحراقها .

ومن نسخ عثمان المرسلة الى البلدان والامصار الاسلامية الكبرى مثل مكة والبصرة والكوفة والشام، استنسخ المسلمون مصاحف اخرى ، حتى كثرت النسخ ، فاصبحت الى مئات ، الى واقعة صفين بين علي ومعاوية حسب قول المسعودي .

تلك هي الاسوة الحسنة التي جعلها النويري نبراسا له يهتدي به خير مثال يقتفيه . فقد جمع القرءان اول مرة بسبب خوف الضياع وذهاب اهله . فبينه وعمل النويري شبه قريب . فانه ايضا **قام بجمع تراث الاسلاف** خوفا من الضياع على يد الحدثان وخاصة **بعد ما رأى ما آل اليه امر الكتب والكراسات والنفائس العلمية** ، اثر اكتساح التتار الاقطار الاسلامية والعراق منها بصفة خاصة .

ثم جمع القرءان الكريم **اتقاء لشر تفشي اللهجات المختلفة وتعدد المعاني والمفاهيم القرءانية من اجلها .** وتفاديا لوقوع الخلاف والشجار بين المسلمين فيه . فاننا ولو نستبعد قيام النويري بهذا العمل اتقاء لشر تفشي اللهجات وتفاديا لوقوع الخلاف ، الا انه يتبادر الى الذهن ان النويري يمكن ان يكون قد فكر في

الموضوع من هذه الناحية ايضا . فمن يدري لعله راى انه عند جمعه لهذه المؤلفات يصونها من الضياع من ناحية ، ويصونها ايضا من وقوع الشك والريبة في نصوصها وموادها من ناحية اخرى ، وخاصة عندما يطول عليها الامد . فعمد الى ضبط نصوصها في سجل ولم يمض على وضعها عهد بعيد ، ويتمه بيديه وهو العالم الخبير « الفقيه الفاضل والمؤرخ البارع ، له مشاركة جيدة في علوم كثيرة » حسب قول التغري بردي . والواقع ان الكتب التي اختصرها او نقلها في كتابه كانت خليقة بالتغيير والتبديل او للشك والشبهة في نصوصها خلال التيارات السياسية والاجتماعية التي مر منها المجتمع الاسلامي في تلك العصور . (1)

وبما ان القاهرة ، مدينة المماليك ، كانت في مامن من ويلات هذه الفتنة الطاغية ، فلقد انبعثت هذه **الحركة — حركة الموسوعات — من هذه الارض الخصبة المطمئنة** . لتسجل القائمون بها ، ما تركته لنا جهود العلماء من السلف ، من نتاج خصب ، من علم وادب ، وحكمة ومعرفة ، ودين وموعظة ، وتاريخ وسيرة ، وغيرها من الفنون . « **فالفضل الاكبر في بقاء آداب اللغة العربية في ذلك العصر يرجع الى مصر والشام** ، وهما في حوزة السلاطين المماليك ومن بقي من الملوك الايوبيين . فقد كانت الملجأ الوحيد لابناء هذا اللسان في فرارهم من وجه المغول عند اكتساحهم خراسان وفارس والعراق » (2) ومن بين القائمين بهذا العمل الجليل ، شهاب الدين احمد النويري الكندي البكري صاحب « نهاية الارب في فنون الادب » . حقا ان هذا العمل لا يتعدى « ان يكون ترديدا لما فات ، وجمعا لمتفرق او تفريقا لمجتمع » (3) الا انه ليس من شك بأن هذا « الترديد لما فات » له الفضل الاكبر في حفظ ما خلفه لنا آباؤنا واجدادنا من هذا التراث الضخم الغزير الذي لولا « هذا الترديد » لكان قد اصبح في حديث الماضي ، مثل الكتب القيمة الاخرى ، التي لا نجد لها ذكرا . الا بين طيات كتب التاريخ او كتب الطبقات . وان وجدت فانها لا تزال زينة الرفوف في المكتبات ، لم يقدر لها ان ترى النور بعد . او هي مخطوطة نادرة نعرف او لا نعرف لها مقرا .

نشا النويري في هذه الظروف ، وترعرع في هذه الفتنة « واشتغل بوظائف حكومية متعددة ، في بلاط السلطان الملك ناصر (محمد بن قلاوون) الا ان نفسه الطموح لم ترض من مزاولة هذه الوظائف التي كانت قد جعلت منه اداة للجهاز الحكومي ليس الا . دون ان تسمح له بالاشتغال بما جبل عليه من حب للعلم ، ووله بالعكوف على الادب والفن ، والالمام بنصيب اوفر مما جادت به قرائح العلماء والنابغين . ورجل هذا شانه لا يستقر به مقام ، مهما كان ذا عزة عليا ، ومنصب مرموق ذلك لانه دائما يحسب مركزه هذا دون اهليته وما تهوى اليه نفسه ، مهما يكن ضئيلا في نظر الآخرين . فما كان من النويري الا ان ترك وظيفته في بلاط السلطان حيث قال « ثم نبذتها وراء ظهري وعزمت على تركها في سري دون جهري وسالت الله تعالى الغنية عنها ، وتفرغت اليه فيما هو خير منها ، ورغبت في صناعة الادب وتعلقت باهدابها وانتظمت في سلك اربابها . فرايت غرضي لا يتم بتلقيها من افواه الفضلاء شفاها ومورِدي منها لا يصفو ما لم اجرد العزم سفاها (4) .

ومن ثم حول النويري جهده لمطالعة الكتب بنفسه ، لكي يحقق غرضه من هذا العلم الذي يشتاق اليه ، والذي قد ضحى في سبيله بوظيفته الحكومية

---

1) راجع لجمع القرءان وتدوينه :
أ — صحيح البخاري باب جمع القرآن .
ب — الترمذي ابواب التفسير .
ج — اتقان للسيوطي .
د — فتح الباري .
هـ — المصاحف لابن ابي داود . والكتب الاخرى باللغة الاردية كتبت حول الموضوع .
2) تاريخ آداب اللغة العربية — جرجي زيدان — ج 2 صفحة : 111 .
3) ظهر الاسلام لاحمد امين ج 4 صفحة : 191 .
4) مقدمة نهاية الارب ج 1 صفحة : 3 .

فقال « فامتطيت جواد المطالعة وركضت فى ميدان المراجعة ، حيث ذل لي مركبها وصفا لي مشربها (1) .

وبما انه من الشخصيات التي نبغت فى عصر كان يمر بانحلال ، ويعاني تدهورا فى الانتاج العلمي ، لم تحفزه مطالعته هذه ، وانشغاله بالادب والعلم وما اتيح له الانشغال ، الى ان ينتج شيئا من فيض قريحته هو ، ويملي عليه عكوفه على المطالعة ، وتلقي مختلف العلوم والفنون . بل حاول ان يجرد من مطالعته كتابا لا ليسهم به فى الانتاج العلمي اسهاما ــ كما يبدو لاول وهلة ــ وانما ليستانس به هو بنفسه، ويرجع اليه اذا اضطرت نفسه الى المراجعة فيقول ... « آثرت أن اجرد منها كتابا استانس به او ارجع اليه واعول فيما يعرض لي من المهمات عليه » (مقدمة نهاية الارب) .

وهنا يتبادر الى الذهن ان النويري انما بدأ عمله لجمع ما طالعه فى الكتب فى موسوعته ، ليس بارادة تاليف كتاب بالذات بالمعنى المفهوم ، وانما غرضه استيعاب ما طالعه وضبطه فى دفتر ، لكي لا ينساه وان انفلت من ذاكرته شيء سهل عليه الرجوع اليه . وكذا لم يات بهذا الكتاب بعد فكر ودراسة وروية فى الموضوع ، وانما جاء به عفوا كفكرة طارئة ، دون ان يحسب لها حسابا من قبل .

ولكنه يبدو لي ، ان النويري ، بعد ما كان قد اراد ان يضمن كتابه هذا وما يخاف انفلاته من ذاكرته، وبعد ان مضى فيه فعلا شوطا ، غير رايه لما وجد من اهمية فيما يطالعه ، وندرة ما وصلت اليه يداه من النفائس . فمن ثم وطد عزمه على جمع هذه النبذات ، وتسجيل ما يعجب به من المختارات ، لا ليستفيد بها هو وحده ، بل لتكون ذات فائدة للاخرين أيضا ومتعة لهم لكي يمكن لهم الرجوع اليها والالمام بها عند الحاجة . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، لكي يحفظ هذا التراث العظيم الذي كان قد اصبح عرضة للخطر على يد الحدثان . هذا التراث الذي اهمله المجتمع لانشغاله بأموره الخاصة ، التي فرضتها عليه الظروف ، من ضيق أسباب المعاش وتغير الاوضاع المالوفة وهذا العمل يتطلب الى جانب العقل الناضج والذوق السليم ، علما غزيرا ، ثم خطة مرسومة احكمت أصولها ، وترتيب وتهذيب روعي فيهما دقة الاختيار وحسن الانتخاب . فان القينا النظر على كتاب نهاية الارب من هذه الناحية ، وجدناه مستوفيا لهذه الشروط كلها وان خضنا فى البحث فى صفحات الكتاب، وجدناه موزعا على ابواب وفصول واقسام فى صورة منتظمة لا يعمد اليها من يريد جمع اشياء ونبذات خيفة الافلات منه او النسيان ، ليرجع اليها اذا شاء الرجوع . فهذا الترتيب الكامل، لا يمكن ان ياتي عفوا، دون اعمال الفكر وتنسيق الخطة ، وبعد طول الممارسة وتدبر استغرق وقتا غير قصير . ليس هذا فحسب، بل ان هذه الظاهرة تتجلى بوضوح فى المقدمات التي يستهل بها الابواب . فهي كلها اتت على غرار مقدمات، تكتب بعد فكر وروية بالغين ولا ينطلق بها قلم يجمع لصاحبه مختارات من هنا وهناك ، في صورة «مذكرات» . اذ ان شانه غير شان المؤلف او الجامع. فقلما يوجد بها ترتيب محكم ، او تهذيب ملحوظ ، او اختيار منسق، او خطة مرسومة ونهج معين مضبوط. ثم ان النويري نفسه قد افصح عما كان ينويه من جمع كتابه هذا حيث يقول « وما اوردت فيه الا ما غلب على ظني ان **النفوس** تميل اليه وان **الخواطر** تشتمل عليه»(2) فهذه العبارة تبرهن على ان النويري لم يبذل جهوده الجبارة هذه لاجل نفسه وحدها وانما للنفوس وللخواطر بالجمع لا المفرد اي نفوس القراء الى جانب نفسه طبعا . كما كان ينوي ان ياتي بكتاب يكون ذخرا للخلف ، وخزانة لما ورثناه من انتاج اسلافنا من العلماء والفقهاء والادباء النابغين .

---

1) مقدمة نهاية الارب ج : 1 صفحة : 3 .
راجع للنويري : 1 ــ مسالك الابصار فى ممالك الامصار لفضل الله العمري .
2 ــ النجوم الزاهرة فى اخبار ملوك مصر والقاهرة ليوسف بن تغرى بردي الاتابكي ج 7 و 9 .
3 ــ حسن المحاضرة فى اخبار ملوك مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي ج : 1 .
4 ــ كشف الظنون للجلبي ج : 2 مادة (ن) .
5 ــ الطالع السعيد لجعفر بن ثعلب الادفوي حرف .
6 ــ تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج : 3 .
7 ــ الحركة الفكرية فى العصرين الايوبي والمملوكي للدكتور عبد اللطيف حمزة .
2) مقدمة الكتاب صفحة : 26 .

ومع ان النويري « كان بطبيعته ميالا الى العلم والادب ، شغوفا به عكوفا عليــه ، فقيهــا فاضــلا ، مؤرخا بارعا ، له مشاركة جيدة في علوم كثيرة » (1) ولكنه عند نقله هذه الكتاب لم يعتمد على نفسه وعلمه ومعرفته فحسب ، بل اظهر نفسه تابعا للعلماء السلف معتمدا على علمهم ، واثقا في كفاءتهم ، ولذا اقتفى آثارهم في هذا المضمار اذ يقول « ولو علمت ان فيه خطا لقبضت بناني ، وغضضت طرفي ، ولو خبــرت طريق المعترض ، لعطفت عناني وثنيت عطفي ، ولكني تبعت فيه آثار الفضلاء قبلي ، وسلكت منهجهم فوصلت بحبالهم حبلي » (2) .

وبما ان النويري اقتفى آثارهــم ، فطبيعــي ان يتبرا من الاغلاط التي قد تبدو في الكتاب ، فيحمــل مسئوليتها هؤلاء العلماء بقوله « فان يكن اعتراض فعلي علاهم لا على العار » (3) ومن هنا يتضح ان النويــري لم يرض لنفسه مركزا الا مركز الناقل الامين ، دون ان يستخدم في المسائل رايه او يعمل علمه او يعرض ما ينقله على محك ليعرف به جودة البضاعة من غشها ، وخاصة في المسائل الدينية والامور المختلف فيها بين العلماء كما سنرى .

والسبب كما اسلفناه ، هو الانحــلال الفكــري والاضمحلال الذهني الذي طرأ على العلمــاء في هــذا العصر ، ثم الفوضى وعدم الاستقرار الذي كان سائدا في المجتمع الاسلامي . فلم يحفزهم علمهم الى الابداع والابتكار الذي يتطلب راحة البال واستقرار الاحوال . ومن ثم اقتصروا على جمعما وجدوا أمامهم من الكتب، في شتى الفنون والموضوعات . وذلك ما اشار اليه عميد الادب العربي الدكتور طه حسين في احاديثه اذ قال : « **بان عصر المماليك يمتاز بانه عصر دوائر المعارف والموسوعات الادبية ، الفت فيه الكتب التي جمعت ما كان العرب والمسلمون قــد اصدروه مــن الكتــب** الكثيرة مثل **لسان العرب** (لابن منظور قبل النويري) و « مسالك الابصار » لفضل الله العمري ، و « صبح الاعشى » (للقلقشندي) ، الى ان ينتهي هــذا الركب الى السيوطي « الذي » هو اكبر مظهر لهــذا العصــر (اي العصر المملوكي) فهو مؤلف كثير التاليف ، كثير الجمع ، قليل الابتكار « فلم يترك السيوطي بابا لفــن لم يطرقه » حتى لقد عــدت مــن تآليفــه بثلاثمائــة كتاب » (4) .

كانت تلك هي الظروف ، وهذه الاوضاع التــي وضع فيها النويري كتابه الشهير « نهايــة الارب في فنون الادب » في ثلاثين مجلدا ضخما . وعلى ترتيب حسن بديع يضاهي احسن ترتيب ممكن . اودعه كل مختار ومنتخب من علوم القدماء،ومن كل فن وموضوع، وبقدر ليس بضئيل .

قسم النويري موسوعته الى خمســة فنــون ، يحتوي كل فن على خمسة ابواب . ضمنهــا جميــع العلوم والفنون التي كانت معروفة الى عصره ، مــن الكلام حول السماء والآثار العلوية ، والارض والمعالم السفلية ، والانسان وما يتعلق به . من اشتقاقه من كلمة الانس ، الى ما يعرض له العوارض في الدنيا ، وما يميل اليه من شعر وأدب ، وما يرغب فيه من حب وهوى ونزهاته الى حياة مترفة قوامها الخمر والنساء، والسقاة والندمان ، ومجالس الغناء وغيرها . ومــا روى عنه من حكم وامثال ، وقصص واخبار . كما نقل عما وجده حول الحيوانات ، الصامت منها والناطق . وحول النباتات وما يتعلق بهــا من اصلهــا ومختلــف اسمائها واوصافها . وما أعجب به في التاريخ من تبدلات ووقائع واحداث ، من مبدأ خلق ابينا آدم عليه السلام تتخلله اخبار يوم القيامة ونفخاته ، وخروج يأجــوج ومأجوج واهواله ، ونزول عيسى عليه السلام وآثاره ، الى اخبار ملوك الاصقاع وملوك الامــم والطوائــف ، ووقائع العرب في الجاهلية ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اخبار الخلفاء الراشدين ، فالدول التي تلتهم ، من اموية وعباسية وغيرها الى ان انتهى هذا الباب باخبار ولي نعمته ابي المظفر محمد بن قــلاوون الصالحي ، سلطان مصر ، وهنا ينتهي الكتاب .

وقد يتساءل المرء لماذا سمى النويري كتابــه هذا بـ « نهاية الارب في فنون الادب » مع اننا نــراه يضم اليه علوما وفنونا لا تتعلق بالادب في شيء ، وانما هي علوم وفنون بذاتها لها اصولها وقواعدها . وانه لمن العجيب ان النويري ، مع غزارة علمه ، وعلو كعبه

1) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لتغري بردي ج 9 صفحة : 299 .
2) مقدمــــة الكتـــــاب .
3) مقدمــــة الكتـــــاب .
4) ظهر الاسلام لاحمد أمين ، ج : 4 ، صفحة : 21

فى التميز بين فن وفن ، قد اباح لنفسه ان يطلق اسم الادب على جميع هذه الفنون التي تتغاير تغايرا كليا ؟ فليس من شك ، بأن الكتاب يحوي فنونا وعلوما لا تمت الى الادب بصلة كما قد يتبادر الى الذهن لاول وهلة . كما أن النويري لم يجهل ما بين فن وفن من فرق وتغاير ، ولكنه مع ذلك شملها كلها بالادب .

الادب ومفهومه

ان الادب ، وان دلت مادته منذ اقدم العصور العربية الاسلامية على رياضة النفس بالتعليم والتمرين على ما يستحسن من السيرة والاخلاق ، والتأثر بهذه الرياضة والاقتناع بها واكتساب الاخلاق الكريمة واصطناع السيرة الحميدة ، **تطور مفهومه فى القرن الاول الهجري ، ليشمل التعليم** ايضا ، « فالمؤدب » كان يراد به الشخص الذي يتخذ التعليم صناعة ويكسب به رزقه ، « والادب » كل ما يلقيه المؤدب (المعلم) الى تلميذه من شعر وقصص واخبار وانساب ما عدا العلوم الدينية التي تتعلق بالقرءان والحديث النبوي الشريف .

فلما استهل القرن الثاني والثالث للهجرة ، حيث **نشات علوم اللغة العربية** ، من صرف ونحو ولغة وبلاغة وغيرها ، انتعش مفهوم الادب ومراده « **فاصبح الادب يدل على الكلام الجيد من المنظوم والمنثور ، وما كان يتصل به ويفسره من الشرح والنقد والاخبار والانساب وعلوم العربية**)) .

فهل لهذا الكلام الجيد من المنظوم والمنثور محك نختبر به جودته ؟ نعم ، فالكلام الجيد ، من النظم والنثر ، هو ذلك الذي « يحدث فى نفس قارئه وسامعه لذة فنية ، سواء أكان هذا الكلام شعرا ونثرا . وليس كل ما ينظم أو ينثر يحدث فى نفس القارىء او السامع لذة فنية . ولذلك نضطر الى تقسيم الادب الى معنيين مختلفين : أحدهما « الادب بمعناه الخاص » وهو الادب الفني الذي يجد القارىء او السامع فى نفسه لذة ومتعة لقرائته او سماعه ، فليتلذذ به ويطرب . والثاني « الادب بمعناه العام » وهو الانتاج العقلي الذي يصدر فى الكلام ويكتب فى الكتب . فالقصيدة الرائعة والمقالة البارعة والخطبة المؤثرة والقصة المثارة ، كل هذا أدب بالمعنى الخاص ، لاننا نقراه أو نسمعه فنجد فيه لذة فنية ، كاللذة التي نجدها حين نسمع غناء المغني وتوقيع الموسيقى ، وحين نرى الصورة الجميلة والتمثال البديع . فهو اذن يتصل بالذوق والحس والشعور ويمس ملكة تقدير الجمال فى النفس. والكتاب فى النحو او فى الطبيعة او فى الرياضة ادب بالمعنى العام لانه كلام يصور ما انتجه العقل الانساني من انواع المعرفة ، سواء احدث فى النفس اثناء قرائته او سماعه هذه اللذة الفنية أم لم يحدثها .

على **أن الادب ، او الاديب ، ليس من شانه ، ان يبحث فى هذه العلوم** من حيث هي ، فيتعمق فيها ، وانما ياخذ منها الشطر الذي يتعلق بالانسان ومحيطه وبيئته ويتناولها بالقدر الذي يحدث المتعة ويثير الحساسية فى نفس القارىء او السامع . فانه ان تعمق فيها ، قد يفقد الحساسية والاثار فى كلامه ، فيصبح انتاجه فى الادب بالمعنى العام ولذلك أصاب الجاحظ عندما نادى « بأن **الادب ((هو الاخذ من كل فن بطرف** » . وهذا الاخذ من كل فن بطرف ، يجب ان يكون بحيث يعبر عن معنى من معاني الحياة باسلوب جميل . **فلا بد لعد الشيء ادبا من ركنين : معان تثير العاطفة والفاظ جميلة** اديت بها المعنى ... كذلك لا بد من **صياغة وتعبير جميل** . وذلك هو مفهوم الادب فى عصرنا هذا .

فان القينا النظر على ما جمله النويري فى كتابه من نبذات واقتباسات فى ضوء هذا التعريف للادب ، نجده يفي به تماما بل يزيد ، اذ انه لم يتعمق فى العلوم والفنون عند النقل والاقتباس ، وانما اخذ منها تلك العينات واللقطات التي تتمتع بها النفس ويتاثر بها الحس وتتلذذ بها المشاعر ، وكل ذلك فى **صياغة وتعبير جميل مع الفاظ جميلة** . وبدا وفاء بشرط « الاخذ من كل فن بطرف » فجاء فيه ، من ناحية ، **الكلام الجيد من المنثور والمنظوم** ، كما اشرنا اليه فى الصفحات السابقة ، ومن ناحية اخرى زاد عليه فجاء بعلوم وفنون تعتبر من الادب بالمعنى العام ، مثل الكلام على النحو والصرف والبلاغة والتاريخ والجغرافية والسيرة والعلوم الطبيعية وغيرها . وكذا فانه شمل معنى الادب بمفهوميه ، المفهوم الخاص منه والعام فى وقت واحد .

فاننا اذا لم ناخذ هذا التعريف بعين الاعتبار ، فقد نضطر الى شطب بعض الكتب الهامة ، وانتاج بعض الفطاحل من القدماء من عداد الادب ، ولو اننا ما زلنا نعتبرها من أمهات الكتب الادبية والاعمال الرائعة التي خضعت امامها وما تزال تخضع ، هامات الكبار من العلماء والادباء فى كل عصر ومصر . وأعني

به (الكامل للمبرد) و (البيان والتبيين للجاحظ) و (كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة) و (طبقات الشعراء) (لمحمد بن سلام الجمحي) وغيرها من الانتاج الادبي الخصب الممتع ، فهذه الكتب جميعها ، تشمل الاخبار والانساب والقصص والسيرة والتاريخ والاساطير . ومع هذا فان احدا لا ينكر انها ليست من الكتب الادبية ، وهذا الانتاج ، ليس من الانتاج الادبي. فلماذا اذن نتردد في اعتبار كتاب « نهاية الارب » للنويري في عداد الادب وحيطته ، والحال ان كتاب النويري يحيط بمفهوم الادب بالمعنيين . ؟

وثمة ناحية جديدة بالانتباه اليها وهي ان النويري لم يدون كتابه هذا باعتباره كتابا في فن خاص او علم يبحث في ناحية من فن معلوم معين ، وانما حاول جمع ما ادته مطالعته من العلوم والفنون ، في كتاب له اجزاء متسلسلة متشابكة ، يجعلها مرجعا لكل هذه الفنون . ثم ان معظم الابواب والاقسام التي يشملها الكتاب يضمن الادب بالمعنى المفهوم منه في هذا العصر. اما الابواب الباقية منه ، فانها ايضا لا تخلو من نبذات الادب خلوا تاما . فخذ مثلا « باب السماء » تجد فيه من الاشعار التي قالتها الشعراء حول السماء والنجوم والفلك وكلها في منتهى الروعة والجمال ، تترنح لهـا المشاعر والاحاسيس وتطرب لها القلوب . مما يجعل من الباب جزءا من الادب له قيمته ووزنه من هـذه الناحية . وكذلك حين ينقل لنا صفحات الحيوانات على مختلف انواعها (1) فانه ياتي في هذا الصدد ، بنخبة مختارة من الاشعار قالتها الشعراء حول هذه **الحيوانات** ، مثل قول بعض الشعراء على لسان اعرابي يصف الاسد يقول :

عبوس شموس مصلخـد مكـابر
جري على الاقران للقـرن قاهـر

لتعقبه اقوال من الشعراء الاخرين ، مثل أبي الطيب المتنبي وعبد الجبار بن حمديس وبشر بن عوانة ، وكشاجم وغيره ، وكلها مما تعد من احسن ما يقال في الموضوع . وهكذا في سائر الحيوانات : **من كلب ونمر وفهد وحمار وبغال وابل وفيل . وما تدب منها مثل الافاعي والعقارب والضب والحرباء حتى الفيران والجرذان . ثم عمد الى الطيور البغاث منها والمقلات والنزور ، وما منها الليلية والنهارية وغيرها** من مختلف الاقسام والانواع ، التي قيلت فيها الشعر (2) هذا من ناحية وصف الحيوانات . فاذا فرغ من نقل الاشعار الوصفية ، بدا ينقل من الاشعار تلك التي فيها ذم للحيوانات ، وردت على سبيل الهجو « **كطرائف في ذم الخيل والحمير والبغال**» اي فيها باشعار تهجو الخيول لهزالها وضعفها وعدم سيرها او عدم تحملها المشاق وغيرها من المعائب التي تهجر من اجلها الخيول والبغال والحمير . (3) وجميع هذه الاشعار من شعر جزل رائع .

فان انتقلنا الى الفن الثالث والرابع والخامس(3) نجدها كلها توشك ان تكون ادبا خالصا . « فقد اشتمل الفن الخامس منها ـ بنوع خاص ـ على كثير من الامثال وعلى كثير من اشعارهم التي تجري مجرى الامثال وذلك من لدن امرىء القيس الى العصر الذي عاش فيه النويري » (4) وهكذا نجد النويري قد أتى في جميع الابواب والفنون بطائفة من الاشعار ، في غاية من الروعة والجمال ، مما تضيف اليها من الصبغة الادبية قدرا يطغى على الفن الذي تخضع هذه المادة اليه وتشتمل هذه النبذة عليه . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ان النويري لم يفكر في وضع كتابه هذا في الادب بالمعنى المخصوص الذي حدده النقاد والعلماء قبل القرن الثالث الهجري . بل وسع نطاقه وجعله الادب بالمعنى العام الذي يشمل كل شيء بحيث **ياخذ من كل فن بطرف وذلك على غرار التاليف الذي كان شائعا في مصر في ذلك العصر .**

ومهما يكن من شيء ، سواء نظرنا الى الكتاب بمفهوم الادب قديما او بمفهومه الحديث ، فاننا لن نجد الكتاب خارجا من نطاقه الادبي في أي شيء . وعلى كل حال فانه يتوجب ان يعزب عن البال ان «**النهاية موسوعة**» قبل كل شيء ، ليس من شانها ان تقتصر على فن دون فن فلها رسالة اكثر اهمية وخطورة منه ، وهو **ان يكون سجلا حافلا لكل شيء على وجه الارض .** وبما أن صاحبها جبل على حبه للادب ، اتى بهذه الاشياء كلها

---

1) نهاية الارب ، ج : 10 ، صفحة 65 .
2) نهـايـة ، ج : 11 .
3) نفـس المـرجـع .
4) الحركة الفكرية في المصرين الايوبي والملوكي صفحة 320 .

باطار من الادب بحيث لا نتعدى الحقيقة اذا ما قلنا ان كتابه موسوعة ادبية .

وانا في قولنا هذا، انما نتتبع آثار من سبقنا من العلماء الكبار ممن أعقبوه . فلقد وصفوا كتابه هـذا بانه عمل ادبي ، عول عليه الادباء . فيقول ابن فضل الله العمري صاحب « مسالك الابصـار في ممالـك الامصار » المتوفى سنة 748 هـ « كان الباعث عليها (اى نقل الكتب القديمة وجمع الفنون في سجل حافل) كما قلنا هو **جمع المعارف الانسانية كلها في اطار من الادب مرة كما في نهاية الارب للنويري ، ومن الجغرافيا كما في كتاب الابصار ، ومن الكتابة الديوانية مرة ثالثة كما في كتاب صبح الاعشى » (1)** .

ويقول جمال الدين يوسـف بن تغـري بـردي الاتابكي في كتابه « النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة » الجزء التاسع ما نصه : « ... وكان يكتب في كل يوم ثلاث كراريس . وتاريخه سماه « منتهى الارب في علم الادب » في ثلاثين مجلدا ، رايته وانتقيته ونقلت منه بعض شـيء في هـذا التاريـخ وغيـره » . وفي عصرنا هذا يقول محمود رزق سليم في كتابـه « عصر سلاطين المماليك » « ... ويعتبر (اى نهاية الارب) **احد الكتب الجامعة الهامة ، ذات المواد العامة** وهو عمدة بين الكتب كذلك ، اعتمد عليـه كثيـر من المؤرخين والادباء قديما وحديثا . (2)

تلك كلمات اوردناها من المؤلف ، ومن الاوضاع التي الف فيها كتابه ، كما قلنا شيئا عن الكتاب نفسه ، كل ذلك بشيء من الايجاز كثير . والان نحاول القـاء نظرة في شيء من التفصيل ، على ما اتخذه النويري من منهج لوضع كتابه هذا ، الـذي اصبـح في العصـر الحديث ، ولم يزل منذ الزمن القديم ، من **اهم المراجع لما كتبه الاوائل في شتى الفنون والعلوم . والذي له الفضل الاكبر في حفظ ما تركه لنا اسلافنا من تـراث علمي عظيم** .

يستهل النويري الابواب والفنون عادة ، بمقدمة يكتبها هو بنفسه احيانا ، او ينقلها من الكتـاب الذي يورد منه معلوماته حول هذا الباب او الفن فيذكر في المقدمة ما حواه هذا الباب او الفن من موضوع، وهذا الموضوع من اقسام وابواب ، وما لكل قسم في مادة خاصة ولكل فصل من علم معين .

ولناخذ على سبيل المثال مقدمته حول « الفن الاول » في السماء والآثار العلويـة والارض والمعالـم السـفلية » فقد كتب هذه المقدمة بنفسـه يشـرح فيها ما يحتوي هذا الفن من موضوعات وفصول واقسام فيقــول :

« قد اوردت في هذا الفن نبذة من **وصف السماء،** التي هي قبلة الدعاء وباب الرجاء، **والكواكب السيارات،** ذوات السنا والسناء، **والملائكة** الذين هم اولو اجنحة، مثنى وثلاث ورباع ، والسحائب التي تجود بوبلها ، فتعدل في قسمها بين السهل والبقاع ، **والرعد** الذي ان دنت يحثها ، **والريح** الذي ان اجتمعـت يبثهـا ، **والبـرق** الذي شبه ببنان الحاسب والكف الخضيب والثلج الذي خلع على الارض رداء المشيب ، **وقوس السحاب** الذي تنكبه الجو فأفرغ عليه مصبغات الحلل، ورمى الجدب ببنادق البرد فتباشرت بالخصب اهل الحلل ، **والنيران** وعبادها وعددها، **والسنة** وفصولها، **والاعيـاد** والمواسم ومتخذيهـا ، **والارض والجبـال** والبراري والرمال ، **والجزائـر** والبحـار **والميـاه** وامدادها ومددها ، **والليالي والايام والشهور والاعوام، والعيون والانهار ، وطبائع البلاد** واخلاق من سكنها من العباد ، **والمباني** والمعاقل **والقصور والمنازل** ... »

... وجعلته خمسة اقسام يستـدل بها عليـه ويتوصل من أبوابها اليه » (3) .

فنلاحظ ان هذه المقدمـة تحتـوي على جميـع الابواب والفصول والمواد التي سياتي بها في هذا الفن. وذلك لكي يسهل على القارىء معرفة محتوياته بالقاء نظرة خاطفة على المقدمة . فالكلمات المكتوبـة بالخط الكثيف تبدي بأن هذا الفن تناول في بحث هذه المواد، في باب منفرد وبتفصيل وافٍ .

فلناخذ « وصف السمـاء » مثـلا . نجـد ان النويري بداه بفصل يتعلق « في مبدأ خلق السمـاء » وبرهن عليه بآية قرءانية تقول « أ أنتم اشد خلقا ام السماء ، بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلهـا واخرج ضحاها » ، ثم ذكر بأن السماء تذكر وتؤنـث

1) مسالك الابصار في ممالك الامصار مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم 3003 .
2) الجزء التاسع ، صفحة : 299 .
3) نهـايـــة ، ج : 1 ، صفحة : 67 .

ايضا . فشاهد التذكير قوله عز وجل « السماء منفطر به » ، وقول الشاعر :

فلو رفع السماء اليه قوما
لحقنا بالسماء مع السحاب

وشاهد التانيث قوله تبارك وتعالى « اذا السماء انفطرت » . وقول الشاعر :

يا رب ، رب الناس في سمائه .

ثم اتى باسماء مختلفة للسماء اطلقتها العرب عليها (1) ثم تحدث عن سبب حدوثها . ليبحث في باب ثان من هيئتها ، واسهب فيه اسهابا حول الموضوع من الاستدلال بالقرءان الكريم الى الاحاديث النبوية . ثم اتى بما ضربت من الامثال حول السماء وما أنشد الشعراء من الاشعار في وصفها والتشبيه بها . ومعظمهم اسلاميون . وذلك لان الجاهليين يندر عندهم وصف السماء والتشبيه الرائع بها في كلامهم . ولقد ساق الامثلة على التشبيه بالسماء من اقوال مختلف الشعراء منهم عبد الله بن المعتز حيث يقول :

كان سماءنا لما تجلت
خلال نجومها عند الصباح

رياض بنفسج خضل نداه
تفتح بينه نور الاقاح

وفي النجوم قول ظافر الحداد :

كان نجوم الليل لما تبلجت
توقد جمر في خلال رماد

حكى فوق متنه المجرة شكلها
فواقع تطفو فوق لجة وادي

ومما قيل في الفلك ، قول ابي العلا المعري :

يا ليت شعري ، وهل ليت بنافعه
ما ذا وراك ، أو ما أنت يا فلك

واحسن ما اورد في هذا الصدد قول ابي عبادة البحتري :

اناة أيها الفلك المدار
انهب ما تصرف ام خيار

ستبلى مثل ما نبلى وتفنى
كما تفنى ويؤخذ منك ثار

وبعد الاستدلال بالاشعار ، يبدأ الباب الاخر ، وينهج فيه نفس هذا المنهج حتى يأتي عليه .

وقد يأتي احيانا بـ « ذكر الشيء على طريق الدم» مثلا نفسه الذي يقول فيه « ذكر شيء مما قيل في الشمس على طريق الدم » ، وأورد فيه بعض الاشعار للشعراء يجهلون الشمس او يذكرونها بطريق الدم كقول ابن سناء الملك :

لا كانت الشمس ، فكم اصدات
صفحة خد كالحسام الصقيل

او «ذكر القمر على طريق الدم» كقول ابن الرومي:

رب عرض منزه عن قبيح
منسته معرضات الهجاء (الابيات)

وهكذا يأتي بالاشعار لفحول الشعراء يهجون بها الشيء المعين أو يعيبونه بأقوالهم .

ومن المقدمات التي كتبها النويري بنفسه على هذا النحو ، مقدمته على الانساب ، حيث بداها قائلا « يقول الله سبحانه وتعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ...» ومعرفة أنساب الامم مما افتخرت به العرب على العجم لانها احترزت على معرفة نسبها وتمسكت بحثيثين حسبها وعرفت جماهير قومها وشعوبها ... الخ (2)

فهذه المقدمة اوضح فيها النويري بايجاز ، ما يحتوي عليه هذا الباب من الموضوعات والمواد والفصول . ثم سار نفس المنهج الذي سبق ذكره في نقل ما ضمن هذا الباب .

واحيانا يضيف النويري في مقدماته الى الآيات القرءانية ، بعض الاحاديث ايضا التي تطابق الموضوع. مثلا مقدمته على « القسم الثاني من الفن الثاني — في الامثال المشهورة » . فبعد أن بين الموضوعات التي اوردها في هذا القسم يقول في الباب الاول — (في الامثال) ضرب الله عز وجل الامثال في كتابه العزيز في آي كثيرة فقال تعالى : « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له » وتكرر ذكر الامثال . ثم يورد حديثا

1) ومنها : الجرباء والخلقاء وبرقع والرقيع وغيرها
2) نهاية الارب ، ج : 2 ، صفحة : 276 .

يناسب هذا الباب حيث يقول : « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب الله صراطا مستقيما ، وعلى جنبي الصراط أبواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة ، وعلى راس الصراط داع يقول ادخلوا الصراط ولا تعرجوا » (1) ثم **فسر الكلمات** التي وردت في هذا الحديث . وبعد ذلك اخذ في نقله عن الميداني من الاقوال حول الامثال وبيان ذلك . وكتابه المنقول منه الاقوال هو « مجمع الامثال » .

والعجيب أن النويري مع جلالة قدره وعلو كعبه في العلوم الدينية أيضا فقد وصفه معاصروه بانه فقيه بارع ، لا يتحاشى الاستدلال بالاحاديث الموضوعة أيضا، وانني بعد الدراسة والاستقصاء للاحاديث التي اوردها في كتابه يلفت الى هذه النتيجة وهي انه انما ياتي بمثل هذه الاحاديث الموضوعة او الضعيفة ويستدل بها ، في اماكن ومسائل لا تتصل بأي ركن من اركان الاسلام ، وذلك ان العلماء قد اجازوا الاستدلال بالاحاديث الموضوعة والضعيفة ، طالما لم تكن تنافي نصا قطعيا من القرءان الكريم او مسالة متفقا عليها باجماع الامة ، وبخاصة في المسائل التي لا صلة لها بالدين ، مثل الادب ومثله من العلوم الاخرى .

وقديما اخذ على الامام الغزالي وبعض العلماء الاخرين الاستدلال بالاحاديث الموضوعة والضعيفة في كتبهم . وقد اجيب عنهم ، انهم انما جاءوا بمثل هذه الاحاديث في كتبهم في مواضع ومسائل وامور لا تمس بالدين والمعتقدات الاسلامية المتفق عليها بسوء ، ابطالا او الغاء . بل جاءوا بمثل هذه الاحاديث في مواضع الذكر والعظمة والعبرة ، لكي يدعموا أقوالهم بقول النبي ولو كان ضعيفا . فلم ير العلماء بأسا في الاستدلال بمثل هذه الاحاديث في موضع النصيحة والعظة والتذكير ، فهي بمثابة « الحكمة ضالة المؤمن » فاينما وجدها فهو احق بالانتفاع منها والاستفادة بها .

— ◆ —

وبعد المقدمات التي يستهل بها النويري الفنون والفصول يبدأ بنقل ما يطيب له من الكتب الهامة . وطريقته فيه انه يطالع الكتاب بدقة وتدبر وتفكر ، ثم يختار العينات والنبذات التي يفضلها على غيرها حسب الخطة التي قد اعدها من قبل ، ثم ينقلها في كتابه .

وطريقته في النقل انه احيانا يذكر المرجع او الكتاب الذي نقل عنه العينة او العبارة او المسالة . واكثر الاحيان لا يذكره . كما نجده يذكر المرجع بصراحة تامة حينا، ويشير اليه باشارة خفيفة حينا آخر.

وهنا نقف وقفة قصيرة ، لنذكر نبذة من الفصول التي اخذها من مختلف الكتب ولكنه لم يذكرها على الاطلاق ، لا اشارة ولا صراحة .

قال النويري : « واما ما ورد في ذم الشيب » قال قيس بن عاصم رحمة الله عليه : الشيب خطام المنية . وقال غيره : « الشيب نذير الموت »

وقال : « قد ورد في بعض التفاسير في قوله تبارك وتعالى « وجاءكم نذير » قيل هو الشيب .

الى قول عبد الملك بن مروان : شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن .

أورد النويري هذه المقتطفات من العقد الفريد لابن عبد ربه (الجزء الثاني) ولم يذكر هذا المرجع على الاطلاق .

وهناك امثلة كثيرة نقل النويري الفصول والابواب من العقد الفريد بأجزائه دون ان يذكر المرجع او يشير اليه .

ومن امثلة عدم ذكر المرجع ما نقله النويري في « فصل في الوزارة و أصحاب الملك » في (نهاية الارب ج 6 ص 92) فاكثره منقول من كتاب «قوانين الوزارة» للماوردي . اما « وصايا اصحاب السلطان » في نفس الجزء السابق ، فانها مأخوذة من « الادب الكبير » لابن المقفع .

وكذلك فصل « في وصف اعضاء الانسان » وفصل « ظهور الشيب » فانهما منقول لفظا وحرفا من « فقه اللغة للثعالبي » . وكذلك الفصول « في أسماء شعر الانسان من فوق لتحت » و « مما قيل في الحواجب » « وما قيل في العيون ووصفها » و « فصل ترتيب الصمم » وغيرها من فصول كثيرة ، منقولة من كتاب فقه اللغة للثعالبي دون الاشارة اليه .

وقد قال « الوزير ابو المغيرة ابن حزم عندما عرضت عليه رسالة بديع الزمان في الغلام الذي خطب اليه وده بعد أن علم قال :

1) نهاية الارب ، ج : 3 ، صفحة : 2

« ورد كتابك ينشد ضالة ودنا ويرقع خلــق عهدنا ويطلب ما افاته جريرتك الينا وذهبت بمجنايتك علينا أيام غضك ناضر ، وبدرك زاهر لا نجد رسولا اليك ، غير لحظة تخرق حجاب الدموع ... الخ » (نهاية ج 2 ص 87) .

نقل النويري هذه الرسالة بتمامها ضمن فصل « مما وصف به العذار على طريق الذم » في الفن الثاني ـ الباب الاول . ولكنه لم يذكر او يشر الى انه نقلها من كتاب « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » لابن بسام ، الجزء الاول صفحة 117 (1) .

ثم ان النويري اورد الكتاب المشهور الذي كتبه سيدنا علي رضي الله عنه الى مالك بن الحارث الاشتر عندما ولاه مصر ، والذي يتضمن نصائح واصولا غالية الثمن ، (نهاية ج 6 ص 19) نقله من كتــاب « نهــج البلاغة » للسيد الشريف الرضي (الجزء الثاني ص 79) دون ان يشير الى هذا الكتاب

— ♦ —

وهناك فصول وابواب ، يذكر النويري مراجعها، وذكرها في مثل هذه الابواب ينحصر في طريقتين :

احداهما : ان يكتفي بذكر اسم المؤلف دون ان يذكر كتابه الذي نقل منه العين . ومثاله حين يقول : « وروى أبو الفرج عن احمد بن عبيد الله بن عمار قال: كنا عند ابي العباس المبرد يوما،وعنده فتى من ولد ابي البحتري وهب بن امرد حسن الوجه » ثم الحكاية التي اوردها في ص 229 من النهايــة ج 4 . اورد هــذه الحكاية نقلا عن الاغاني ، ولكنه لم يذكر اسم الكتــاب بل اكتفى بذكر المؤلف .

وقد نقلالنويري اشياء كثيرة من كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني وبخاصة حياة واخبار الكرام (نهاية ج 3 ص 211) واخبار المغنيين الذين نقلوا الغناء من الفارسية الى العربية ، واخبار وحياة أشهر المغنيين ، وحكايات القيان وأول من غنى من النســاء ، وحيــاة اولاد الخلفاء ومن كان منهم يجيد او يميل الى الغناء وقرض الشعر مثل ابراهيم المهدي وعلية بنت المهدي وأبو عيسى وابن المعتز وعائشة بنت طلحة وغيرهم .

على ان النويري لا ينقل من الاغاني كل ما ورد فيه ، بل يقتصر على الذي يطيب له ويصح عنده ، وما يطابق خطته من الموضوع . أما باقي العينات فانــه يحذفها عن وعي وادراك وبصيرة وقصد .

ومن أمثله اكتفاء النويري على ذكر اسم واضع الكتاب دون الكتاب نفسه ، ما نقلــه عن ابن المقفــع حيث قال « وقال ابن المقفع « عود نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة والتجرع لمرارة قولهم وعذلهم ... الخ »

ثم ان النويري لايهتم احيانا بذكر الاسم الكامل للمؤلف أو الجامع، فيكتفي بذكره اما ناقصا او باختصار كبير يصعب على الباحث معرفــة اسمــه الكامــل ، وخاصة اذا كان للاسم المذكور لقب وكنية يعرف بها .

ونلاحظ ، ونحن نبحث في الكتاب ، أن النويري، الى جانب اقتصاره على ذكر اسم المصنف ، أو كنيته او لقبه باختصار شديد او اهمال ذكر اسم المؤلف بتاتا أو الكتب التي ينقل منها ، أن هناك شواهد تدل على ان النويري يعترف بصدر رحب وبصراحة تامة ، بان نقل هذا الفصل او الباب من كتاب يسميه ، ولمصنف ينعته نعتا واضحا . وذلكعند نقلهمن الميداني مثلا ، حيث يقول « ومن امثال العرب ما نقلــه مــن كتــاب « الامثال » للميداني .

وكذلك صرح بنقله من كتابأبي البركات الجواني النسابة ، في الباب الرابع ، في الانساب . ويعترف بنقله منه قائلا « وقد وقفت على المقدمة التي وضعها الشريف ابو البركات الجوانــي ، فرفعــت له علمــا ونصبت له الى المعالي سلما » . ويبدو انه قرأ معظم الكتب الموجودة عصرئذ في هذا الفن ، ثم بعد ذلك اختار كتاب الجواني ، لانه « اتقــن أصولهــا وحــرر فصولها وأورد فيها من الانساب ما ينتفع به اللبيب ويستغني بوجوده الكاتب الاريب » وأكثر منه صراحة قوله « على الشريف الجواني العمدة فيمــا اوردتــه والعهدة فيما نقلته ، فمن تآليفه نقلت وعلى مقالتــه اعتمدت » (2) ثم بدأ ينقل منه بقولــه « قال السيــد

1) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام ـ مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم 2348 ـ أدب
2) نهايــة الارب ج 2 صفحة 276 .

الشريف نقيب النقباء ابو البركات بن اسعد علي بن معمر الحسيني الجواني النسابة رحمة الله : ان جميع ما بنت عليه العرب في نسبها اوكانها ، واسست عليه بنيانها عشر طبقات » . الا ان النويري غير ترتيب الجواني ، « وسرد النسب من اصله اي آدم عليه السلام » فالجواني بداه بمحمد صلى الله عليه وسلم .

وبصفته الناقل المحض ، يعمد النويري الى بعض النبذات من كتاب انتخبه لموضوعه ، فينقلها لفظا وحرفا دون التصرف فيها بكلية . ومثال ذلك ما أورده من كتاب « أدب الكتاب » لابي بكر محمد بن يحيى الصولي (النهاية الجزء السابع صفحة 14) في فصل « وما قيل في حسن الخط وجودة الكتابة ومدح الكتاب الكتاب » حيث يقول « سئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق ان يوصف بالجودة ؟ قال : « اذا اعتدلت أقسامه وطالت الفه ولامه واستقامت سطوره ... » فلقد وردت هذه الكلمات بعينها في كتاب « أدب الكتاب » للصولي (صفحة 50) لفظا وحرفا .

ومن امثلته « رسالة الثقيفة » التي بعث بها ابو بكر الصديق الى علي رضي الله عنه عند توليته الخلافة . نقل النويري هذه الرسالة من « رسائل ابي حيان التوحيدي » . ولقد اتى بها لفظا وحرفا دون ان يعلق عليها بحرف ، مع العلم ان هذه الرسالة مشكوك فيها ومطعون عليها . (1)

وانما يعمل النويري كل هذا حسب خطة مرسومة محكمة التنسيق يضعها بعد فكر وروية وتدبر . فلقد راعى في تأليفه هذا ، ان يضع الابواب والفصول على ترتيب حسن منتظم ، حيث يسهل تناوله والاستفادة منه . فلم يكن يجمع كل رطب ويابس قراه او وصلت اليه يداه ، دون ان يفكر فيه من ناحية جودته والاستفادة منه والافادة وتقسيمه فنه . حتى لا يدخل شيء في شيء لا يوائقه ، او فن في فن يغايره ، كما فعله الجاحظ في معظم كتبه . بل كان **منهج النويري فيه ، منهجا يضاهي منهج العصر الحديث في توظيب التاليف وتنسيقه** . فكان ينتخب فنا خاصا من الفنون ليطالعه ، فيجمع الكتب المتعلقة به اولا ، ثم يطالعها مطالعة دقيقة وافية ، وبعد ذلك يضع لهذا الباب او الفن خطة مرسومة واضحة دقيقة ، يثبت فيها ترتيب كتابته ، وكيفية نقله من هذا الكتاب ، حيث ياتي بكل نبذة في محلها ويثبتها حيث يقتضي المقام اثباتها . فيبدأ نقله مثلا من كتاب ، ويستمر فيه الى كلام او بحث خاص يحب نقله ، ثم يترك هذا الكتاب ليواصل نقله من كتاب آخر انتخب فصلا منه لنقله في كتابه وفي محل خاص منه . وهكذا بعد ما ينتهي من نقله من هذا الكتاب الى البحث او الفصل الذي يريده ، ينتقل الى كتاب ثالث ، ليستانف نقله منه الى أن ينتهي الباب من كتابه .

وخير مثال لطريقته هذه ، ما اورده في القسم الخامس « في الملك وما يشترط فيه وما يحتاج اليه وما يجب له على الرعية ، وما يجب للرعية عليه ، ويتصل به ذكر الوزراء وقادة الجيوش واوصاف السلاح وولاة المناصب الدينية ، وفيه اربعة عشر بابا .

وثمة ظاهرة اخرى ، جديرة بالذكر ، وهي ان النويري للغرض المنشود من وضع خطته يتصرف احيانا في النقل ايضا . وذلك ما نلاحظه عند نقله شروط الامامة من الاحكام السلطانية للماوردي . اذ ان الماوردي ذكر شروط الامامة بسبعة شروط ، اما النويري فقد جمعها ثمانية بجعل الذكورية والبلوغ ، صفتين منفردتين ، بحجة قول الله عز وجل وقول النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم انه لاجل هذه الخطة المرسومة ، يعمد فيغير احيانا ترتيب الكتاب المنقول منه ، عند ما ينقله في كتابه ، لكي ياتي حسب ما يشاء منه في خطته . ويطابق الاصول التي وضعها لنقله . وخير مثال لهذه الظاهرة ما نجده عند نقله من كتاب « اصول الاحساب وفصول الانساب » للجواني النسابة فنراه اورد كل شيء في قسم الانساب من هذا الكتاب ، الا انه غير ترتيبه حتى جعله ظهرا لبطن .

فقد سرد الجواني النسب من ابينا آدم عليه السلام وانتهى به الى نبينا صلى الله عليه وسلم ، فنسب بني هاشم الذي أورده الجواني في اول كتابه ، نقله النويري في آخر كتابه هذا الباب . (2)

1) جمع الدكتور ابراهيم الكيلاني هذه الرسائل ونشرها في دمشق عام 1951 .
2) أصول الاحساب صفحة 14 ونهاية ج 2 صفحة 360 .

وفي الكتاب امثلة كثيرة تدل على ان النويري يغير ترتيب المنصف ، وينقل نصه بترتيب وخطة وضعها هو . ومنها انه ما نقل من كتاب « ذم الهوى » لابن الجوزي (1) حوالي عشرين بابا في « باب الحب والهوى والعشق والغزل وغيره » الا انه قدم بابا واخر آخر ، حسب رغبته وخطته .

وكان النويري الى جانب اختصاره للابواب والفصول من الكتب يختصر المطولة . فيورد منها ما يظنه انفع واكثر فائدة . فمن الكتب التي اختصرها كتاب « مجمع الامثال » للميداني بجزئيه .

فقد اودع الميداني كتابه «مجمع الامثال» حوالي ستة آلاف مثل ونيف (2) وطريقته في نقل مثل ، هو انه ياتي بالمثل ، ثم يسرد سبب اطلاق هذا المثل وقصته ، والشخصيات المتعلقة بها ، ومختلف الروايات والاقاويل التي يتناقلها المؤرخون والادباء حوله ، ثم يورد اقوال النحاة والمتضلعين في اللغة حول الكلمة ان كان هناك اختلاف في نطقها ، او تصريفها او فصاحتها ، وكل ما يتعلق من الناحية النحوية والصرفية واللغوية ، ويسهب فيه اسهابا ملحوظا .

اما النويري فانه عادة ينتخب من الامثال ، السائرة او كثيرة الاستعمال في الادب او الكتب المتداولة ، او الامثال التي وردت بكثرة في الاشعار ، او التي خفيفة على اللسان غزيرة في المعنى ، دقيقة في التعبير ، ثم يسرد المعنى الذي يستعمل فيه هذا المثل ، ولا يهتم بتحقيق الميداني فيما اورده من الكلام حول تصريف الكلمة وصحتها من الناحية اللغوية والادبية ، ومختلف الاقوال في هذا الصدد . وان اخذ منها شيئا ، فتلك التي لا مندوحة له منها ، لفهم المثل وفهم مدلوله .

فلنر مثلا « ان العوان لا تعلم الخمرة » فلقد قال الميداني ، وهو يصف مختلف الاقوال حول كلمة « العوان » قال الكسائي : لم نسمع في العوان بمصدر ولا فعل . قال الفراء يقال : عونت تعوينا وهي عوان بينة التعوين والخمرة من الاختمار كالجلسة من الجلوس ، اسم للهيئة والحال ، اي انها لا تحتاج الى تعليم الاختمار ، يضرب « للرجل المجرب » (3) .

اما النويري فقد اورد المثل وحذف ما قيل حوله من الاختلاف في كلمة العوان وتشريح معنى الاختمار ، لانه ليس يكتب كتابا في علم النحو او اللغة او المعاني ، وانما ياتي بما يستفاد به من هذا المثل وهو مدلوله فاكتفى بنقل مضرب المثل وموقعه (4) .

وكذلك يحذف النويري بعض الاحيان ، ما يورده الميداني من تفسيرات لغوية لبعض الكلمات الواردة في المثل .

ثم ان النويري عند نقله لامثال من الميداني لا يهتم بالقصص التي اوردها حول الامثال . والسبب فيه هو ان النويري يقصد بنقل هذه الامثال ابرز معالم الادب وخفاياه والامثال احدى دعائمه . ولذلك نراه يقتصر على الحد ، سواء من القصة او شرح الكلمة . يرى فيه أن المثل اصبح واضحا بحيث لا يصعب فهمه . فان راى بان المثل غامض لا يمكن فهمه بدون اتيان القصة المشهورة حوله ، فانه ياتي بالقصة تاركا الحشو والزوائد ، مقتصرا على لبها وخلاصتها .

وكذلك اختصر النويري القصص والحكايات التي اوردها صاحب الاغاني عند الكلام عن المغنيين والشعراء واصحاب الظرف الفكاهة مثل ابن سريج ومعبد وابن محرز وغيرهم . فقد اتى في كتابه ، من هذه القصص والحكايات ، تلك التي تفيد غرضه وتستسيغ نهجه وتلائم خطته ، من غير الانغماس في تطويل ممل ، والاخذ من العينات والاقتباسات التي قد تكون موضع الشك والشبهة تاريخيا . فقد تكون لا تعتمد على برهان تاريخي او حجة لا تقبل الشك والريبة (5) .

وهناك امثلة يحذف النويري فيها القصة او الحديث كله ، ويكتفي بذكر موقع استعمال المثل

1) كتاب « ذم الهوى » لابن جوزي (ابو الفرج) مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم 286 — ادب تيمور (في مجلدين) .
2) مقدمة مجمع الامثال صفحة 5 .
3) مجمع الامثال للميداني ج 1 صفحة 16 .
4) نهاية ج 3 صفحة 9 .
5) راجع الاغاني للاصفهاني ، الجزء الاول صفحة 101 فما بعد . ونهاية الارب الجزء الثاني صفحة 225 فما بعد ، لاخبار المغنيين وغيرهم .

ومعناه فقطب . وذلك عند نقله المثل « عند جهينة الخبر اليقين » . فبعد أن أورد الميداني هذا المثل ، نقل قصة طريفة ، رواية عن هشام بن الكلبي ، يذكر فيها بأن حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب ، ورجلا من قبيلة جهينة يسمى الاخنس بن كعب خرجا يريدان قطع الطريق فسلبا رجلا لقياه في الطريق . فقال الرجل : ان تركتماني وشأني دللتكما على رجل تحت شجرة معه مغنم كثير فخليا سبيله . واتيا الرجل وهو من لخم . وكانت شجرة يستظل بها وامامه طعامه وشرابه ، فحياهما واشركهما طعامه . فأكلا وشربا . ثم ان الاخنس ذهب لقضاء بعض حاجاته . فلما عاد رأى حصين قد قتل اللخمي واستولى على ماله . فجلسا يشربان وكل منهما يخفي في نفسه ريبة لصاحبه . وبعد قليل قال الحصين للاخنس هل تعرف زجر الطير ؟ فقال الاخنس ماذا ترى ؟ قال ارى عقابا كاسرا ، واشار اليه ومد عنقه الى الجهة التي كان العقاب فيها . فاغتنم الاخنس هذه الفرصة وضرب عنقه بغتة . ثم انطلق عائدا الى بيته فاذا بامرأة حصين تفتقده ، فقال لها ، انه قتله ولكنها لم تصدقه وقالت : « كذبت ما مثلك يقتل مثله اما لو لم يكن الحي خلوا ما تكلمت بهذا » . فمضى الاخنس وأتى قبيلته وصالحها وكان غاضبا منهم ، ثم عاد الى امرأة حصين وقبيلتها، وانشد حيث تسمع القبيلة :

وكم من ضيغم ورد هموس
ابي شبلين مسكنه العرين

الى ان قال :

تسائل عن حصين كل ركب
وعند جهينة الخبر اليقين

قال الاصمعي وابن الاعرابي : هو جفينة بالفاء ، وكان عنده خبر رجل مقتول وفيه يقول الشاعر :

تسائل عن ابيها كل ركب
وعند جفينة الخبر اليقين

قال : فسألوا جفينة فاخبرهم خبر القتيل . وقال بعضهم هو حفينة بالحاء المهملة ، يضرب في معرفة الشيء حقيقة (1) .

هذه هي القصة ، ومختلف الاقوال ، اوردها الميداني في كتابه حول المثل ، سردناها باختصار . الا ان النويري لم يذكر من هذه التفاصيل شيئا . بل اكتفى ببيان معنى المثل وموقع ضربه . فقال : « يضرب في معرفة الشيء حقيقة » (2) .

والواقع ان النويري كان يتحاشى اتيان الرطب واليابس في كتابه ، والروايات التي لا يتأكد من صحتها ، أو التي هي منحولة موضوعة،أو تقبل الشك والشبهة حتى لا يلقي بنفسه في اطناب ممل وأن لا يكون موضع النقد بجمع كل ما وصلت اليه يداه دون أعمال الفكر والروية ، واختبار النبذات على محك علمي ، من شأنه ان يميز الصدق من الكذب والغش والوضع . ثم ليأتي بالقصص والنبذات ، التي لها علاقة بالادب بصورة مباشرة .

ومن الكتب التي اختصرها النويري على هذا النحو : « فقه اللغة للثعالبي » و الاحكام السلطانية للماوردي » و « قوانين الوزارة للماوردي » ، وكتاب حسن التوسل الى صناعة الترسل ، لمحمود بن سليمان الحلبي الحنفي و « ذم الهوى لابن جوزي » و « فصول الاحساب للجواني » و « كتاب المنهاج للحليمي الجرجاني » وغيرها (3) .

— ◆ —

وفضلا عما يفعم به كتابه « نهاية الارب » من الموضوعات الطريفة ، والمواد الممتعة الشيقة ، التي تفيض علما وادبا وفنا ، مما استقاها من مواردها الاصيلة ، فقد اودع كتابه هذا ، من اجمل الاشعار واعذبها ، مما فاضت بها قرائح الشعراء ، حسن السبك وطلاوته ، وغزارة المعاني وعمقها ، ودقة البيان وحلاوته ورصانة التركيب واحكامه ، مما تتلذذ بها الطبائع ، وتطرب لها القلوب وتهتز لها المشاعر . كما تدل على ما اوتي النويري من حظ وافر في حسن الاختيار ، وعلو كعبه في الذوق الشاعري اللطيف ، ومعرفته الواسعة بدواوين الشعراء والكتب، واستخلاص الدرر الغرر من هذا البحر الزاخر . ثم تركيبها في مواقعها بحيث انتظمت في سلك ، تتلالا حسنا وجمالا . فلا يمل القارىء ، وهو يمضي بأدق فن واصعبه في كتابه ، بل ينسى ما كابده من جهد وتعب اثناء قراءته لمثل هذه الفنون الدقيقة ، الميسرة الفهم والادراك عندما يبلغ به المطاف الى هذا الجزء

1) مجمع الامثال للميداني ج 1 صفحة 391 .
2) نهاية ج 3 صفحة 39 .
3) الكتب الاخيرة الثلاث مخطوطات بدار الكتب المصرية ، لم تطبع بعد .

من الكتاب الذي ضمنه النويري الاشعار ، المتعلقة بهذا الفن ، ومهما كان دقيقاً او صعبا . ويجد به متعة وبهجة قلما تضاهيها متعة وبهجة . كانه وصل ارضا ناعما سهلة نضرة ، بعد طوال الشقة ، قضاها فى ارض وعرة المسالك .

ومنهج النويري فى نقل الاشعار هو ، انه يأتي بباب او فصل من قسم خاص مثلا ، فينقل فى هذا الباب او الفصل ما طاب له ان ينقل فيه من الكلام حول الموضوع الذي يبحث فيه الباب ، لكبار الادباء الناثرين والعلماء ، فلما ينتهي من نقله يحاول أن يطبق على ما كتبه من اقوال الشعراء وكلامهم ، فيخوض فى دواوين الشعراء والكتب الادبية الاخرى لكي يلتقط منها جميع الاشعار التي تطابق ما اورده من النثر فى الفصل السابق فيثبتها فى محلها اللائق ، لكي لا يجد القارىء فى نفسه كلالا وتعبا من الاقتصار على موضوع صعب جاف . وحتى يجمع كل ما قاله الكبار من الادباء من نثر ونظم حول الموضوع . وبذا يضيف الى ما اورده فى كتابه صبغة ادبية ، تميزه من سائر الكتب الادبية . ولكي يسجل مقال الشعراء فى هذه الموضوعات بترتيب خاص ، يمكن الاستفادة منها والرجوع اليها فى مكان واحد دون الخوض فى الدواوين المختلفة ومجموعات كلام الشعراء ، دون ضياع الوقت وتحمل المشقة للبحث والتنقيب . وطريقته فيه انه يحاول جهده ان يبدأ بنقل الاشعار من الجاهلية فالاسلاميين الى المولدين والمحدثين ، ولو يختلف هذا الترتيب فى بعض الاجزاء من الكتاب ، لعدم تمكنه من الاستمرار على هذه الطريقة ، اما لضآلة الاشعار عند القدماء فى هذا الفن او الموضوع ، واما ، ان كانت لديهم ، فهي ليست من الجودة بحيث يثبتها النويري فى كتابه ، مثل التشبيهات الرائعة التي فشت فى عصر المولدين ، او الاشعار فى صفة الرياحين والبساتين والقصور او تصوير المناظر الخلابة ، مما لا نظير لها فى الشعر الجاهلي . ثم ان النويري لا يزيد من عدد الابيات مخافة الاطالة ، بل يقتصر عادة على بيتين او ثلاثة ابيات ، ومنها ايضا على البيت القصيد فى معظم الاوقات .

ولنقف برهة عند « الباب الثاني من القسم الاول من الفن الثاني » لنرى منهج النويري فى نقل الاشعار. وذلك لان هذا الباب خير مثال لطريقته فيه . وهذا الباب يبحث فى « اعضاء الانسان » وتشبيهها .

ابتدا النويري هذا الباب من شعر الانسان . فنقل من فقه اللغة للثعالبي اسماء الشعور بمختلف اقسامها . فلما فرغ من اسمائها وتفاصيلها وضع فصلا ، جمع فيه ما قالته الشعراء حول الشعر عامة وحول شعور النساء بوجه خاص . واحسن ما اورد فى وصف شعر الرجال قول ابن الرومي :

وفاحم وارد يقبل متمـ — ـشاه اذا اختال مرسلا غدره

اقبل كالليل من مفارقه — منحدرا لا يذم منحدره

حتى تناهى الى مواطئه — يلثم من كل مواطىء عفره

كانه عاشق دنا شغفا — حتى قضى من حبيبه وطره

وقول فتح الدين بن عبد الظاهر :

حل ثلاثا يوم حمامه — ذوائبا يعبق منها الغوال

فقلت ، والقصد ذوائبه — يا سهري فى ذي الليالي الطوال

وقول آخر :

رايت على قد الحبيب ذؤابة — لعيني على تلك الذؤابة تهمع

يقول لي الواشون : مالك باكيا — فقلت : بعيني شعرة فهي تدمع

ومن احسن ما انتخبه فى وصف شعر النساء :
قول بكر بن النطاح :

بيضاء تسحب من قيام فرعها — وتغيب فيه فهو جثل اسحم

فكانها فيه نهار ساطع — وكانه ليل عليها مظلم

وقول آخر :

نشرت على ذوائبا من شعرها — حذر الكواشح والعدو المحنق

فكانني وكانها وكانه — صبحان باتا تحت ليل مطبق

ومن قول المتنبي :

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها — فى ليلة ، فارت ليالي اربعا

واستقبلت قمر السماء بوجههـا
فأرتني القمرين في وقت معـا

وقد الم في ذلك بقول ابن المعتز :

سقتني في ليل شبيه بشعرهـا
شبيهة خديها بغير رقيـب
فأمسيت في ليلين بالشعر والدجى
وشمسين من خمر وخد حبيـب

وقول ابن الدريد الازدي :

غراء لو جلت الخدود شعاعهـا
للشمس عند طلوعها ، لم تشرق
غصن على دعص تأئق فوقـه
قمر تألق تحت ليل مطبـق
لو قيل للحسن : احتكم لم يعدها
أو قيل : خاطب غيرها ، لم ينطق
فكأننا من فرعها في مغـرب
وكأننا من وجهها في مشرق (1)

وفي الكتاب أبيات اخرى قيلت في شعر النساء، الا انني اخترت احسن ما وجدته تعبيرا ووصفا .

فلما فرغ من نقل الاشعار حول الشعر ، اتى بفصل آخر ، بين فيه بمناسبة الشعور ، « ما قيل في الشيب والخضاب من مدح وذم » أورد في هذا الفصل من النثر ما كتب حول الموضوع . اردفـه باشعار تذم الشيب والخضاب واخرى تمدحه وترحب بمقدمه . ثم ذكر نظرة المرأة الى الشيب وعوارضه ثم بدأ بأعضاء الانسان من نثر ونظم . فاجمل ما قيل في وجه المذكر قول الوجيهي :

ومستقبل بالذي يهوى ، وان كثرت
منه الاساءة ، معذور بما صنعـا
في وجهه شافع يمحو اساءتـه
من القلوب ، وجيها حيثما شفعـا

ومنه اجمل ما قيل وجه المؤنث قول ابن سكرة:

في وجه انسانة كلفت بهـا
اربعة ما اجتمعن في احـد
فالخد ورد والصدغ غاليـة
والريق خمر والثغر من بـرد

لكل جزء من حسنها بـدع
تودع قلبي ودائع الكمـد

ومن اجمل ما قيل في الحواجب قول الزاهي :

واغيد مجدول القوام جبينـه
سنا القمر البدري في الغصن الرطب
تنكب قوس الحاجبين فسهمـه
لواحظه المرضى ، وبر جاسه قلبي

وما قيل في العين بلفظ التذكير قول عبد الله ابن المعتز :

عليم بما تحت الصدور من الهوى
سريع بكر اللحظ والقلب جازع
ويجرح احشائي بعين مريضـة
كما لان متن السيف والسيف قاطع

ولقد اجاد جرير في وصف عين مريضة اذ قال:

ان العيون التي في طرفها حـور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانـا
. يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهن اضعف خلق الله اركانا (2)

وكذلك اتى بنخبة ممتازة من الاشعار حـول الخصر والمشي والبنان وغير ذلك من الاعضاء . فابدع فيه وأجاد الاختيار .
ولقد ابدع ابن الرومي عند ما جمع اكثر المزايا والاوصاف التي تستحسن من المحبوب حيث قال :

مخففـة مثقلـة تراهـا
كأن لم يعد نصفيها غـداء
اذا الاغباب جدد حسن شـيء
من اشياء جددها اللقـاء
لها ريق تشف له الثنايـا
ويروى منه ـ لا منه ـ الظماء
وانفاس كانفاس الخزامـى
قبيل الصبح ، بلتها السمـاء
تنفس نشرها سحرا فجـاءت
به سحرية المسـرى رخـاء

وقد اعتمد النويري في انتخاب اشعـاره على دواوين الشعراء اولا ، ثم « كتاب المنتحل » للثعالبي ، فالعقد الفريد لابن عبد ربه ، فعيون اخبار لابن قتيبة،

1) نهاية الارب ج 2 صفحة 20 .
2) راجع لهذا الموضوع نهاية الارب ج 2 من صفحة 21 فما بعد .

« وزهر الآداب » للحصري القيرواني و « ديوان المعاني » لابي هلال العسكري وكتاب « نفح الطيب » وغيرهم من المصنفين والادباء .

ولاحظنا ، عند تصفح الاشعار التي أوردها النويري ، انه عند نقله الاشعار من الجامعين وكتبهم ، يقتصر على ما أورده الجامع ، وأحيانا يضيف عليه بيتا أو بيتين . وطورا نراه يترك ما أورده المصنف بتاتا ، ويأتي بشعر من انتخابه هو يلائم الموضوع . وذلك ان النويري اديب يحظى بقسط اوفر من حسن الذوق الشعري والادبي وله ملكة حسنة في الاختيار ، فهو عندما يرى أن الجامع لم يحسن الانتخاب من كلام الشعراء حسب الموضوع او المنسبة ، يقوم هو بنفسه في البحث في الدواوين ومجموعات كلام الشعراء ، عن كلام يناسب الموضوع والمناسبة ، ثم ينتخب احسنه ويثبته في محله . وخير مثال لهذا ما نقله من الاشعار في تمثيل الامثال ، التي اقتبسها من كتاب المنتحل للثعالبي من الباب العاشر « في الامثال والحكم والآداب » . فنراه انه لم يقتصر على ما أورده الثعالبي في هذا الصدد ، وانما اختار بنفسه واضاف عليه . فالثعالبي مثلا لم يتمسك بترتيب عصور الشعراء وزمانهم ، فخلط فيما بينهم ، حيث أورد شعر الجاهلي ، أعقبه بمولد ، ثم مخضرمي باسلامي ، وهكذا في سائر كتابه . اما النويري فانه اهتم اهتماما بالغا في ذكر الاشعار حسب ترتيب عصر الشعراء . فابتدأ بالجاهليين ثم العباسيين فالمحدثين والمولدين ، الى أن بلغ الى عصره .

فاذا القينا نظرة على ما أورده النويري ، من الاشعار المنتخبة في كتابه يتضح لنا بانها تشمل نخبة قيمة ممتازة من روائع الشعر في شتى اصناف المعاني والموضوعات ، يتعذر وجوده في كتاب واحد. وهذه الصبغة تضفي على نهاية الارب صبغة تجعله ـ حقا ـ **موسوعة شعرية** ، تشمل كلام الاوائل والجدد في مختلف المعاني والموضوعات والمواد ، بترتيب حسن وبنظام منسق مقبول . فالباحث يستطيع أن **يستخرج من هذا الكتاب اشهر بيت قالته العرب** وفي أي معنى شاء ، دون جهد أو مشقة بالغة ، ولشعراء جميع العصور التاريخية المختلفة . **وتلك ميزة ينفرد بها هذا الكتاب** . وفضلا من هذا فان هذه الاشعار تشير الى ان النويري كانت له يد طولى في انتخاب اشعار وذلك بفضل هذا الذوق الرفيع والحس الشاعري اللطيف الذي يتمتع به . فاننا نراه لم يأت بشعر مهلهل متفكك ، وانما جاء بنخبة كلها من الطراز المختار . ومن جميع النواحي ، من ناحية جودة الالفاظ وحسن سبكها وروعة نظمها ومن ناحية المعنى واداء الغرض والمطلب الذي أورده لاجله . وهذا خير دليل على سعة علم النويري بفنون القريض والشعر واسراره ، ودقة نظره في خبايا هذا الفن واستخراجه. ومدى اطلاعه على المصادر الشعرية والمراجع . وعلى هذا الوله الادبي ، الذي حفزه على ان يتعب نفسه ويبذل كل جهوده ، في جمع هذه الاشتات المبعثرة في الكتب والدواوين المختلفة الكثيرة ، حتى قدمها الينا في صورة باقة جميلة تزينها انواع واشكال من الزهور والورود .

وهكذا يتضح لنا من دراسة كتاب « نهاية الارب في فنون الادب » ، وما سلكه النويري من منهج لتاليف موسوعته هذه ، التي لها اكبر فضل في حفظ تدر ملحوظ من تراثنا القديم ، مما تركه لنا اسلافنا خلال القرون الست التي مضت على التاريخ الاسلامي الحافل . فمنهج النويري قيم ، لا غبار عليه ، يقوم على فكرة وروية واضحين . وقد تم التاليف بطريقة يمكن الاستفادة منه استفادة تامة. ماعدا عدم ذكره المراجع، مما يكابد الباحث والدارس لمراجعه ، مشقة العثور عليها في مختلف الكتب ، فتقسيم الكتاب على فنون ، وهذه الفنون على ابواب وفصول ، وكل فصل ضمن علم خاص أو نبذة معينة ، ليسهل على الطالب مهمة البحث المضني ، اذا لم يكن مدونا بهذه الصورة . ككتب الجاحظ التي هي الاخرى موسوعة بمجموعها . ولكن المرء يحتار أمام هذه المجموعة غير المرتبة ترتيبا لائقا ، فلا يبلغ مناه الا بعد طول المشقة وكبير عناه . ثم يمتاز كتاب النهاية بعدم اخلاط موضوع في موضوع آخر ، كالذي تجده في كتاب « الكامل للمبرد » أو لسان العرب لابن منظور . فانهم يتكلمون من موضوع ويسهبون فيه اسهابا حتى يخيل الى القارىء ، انهم نسوا الموضوع الحقيقي ، ولكنهم يرجعون الى الموضوع الحقيقي بقولهم « رجع القول الى .... » . اما النويري فانه لا يعمد الى موضوع ثان ما لم ينته من الموضوع الاول الذي كان يتكلم حوله . ولقد بالغ النويري في نزاهة كتابه من هذا النوع من « الخلط بالمبحث » الى حد ، انه اثناء نقله من الكتب ، اذا وجد شيئا عارضا ، على الموضوع الاصلي الذي يتناوله ، يحذفه بتمامه ، ويواصل نقله من الجزء الذي يتصل الكلام فيه بالكلام الحقيقي . ولاجل هذا نراه يحذف صفحات كثيرة متتابعة من الكتب المنقول عنها ، او نجده ينتقل من جزء الى جزء

آخر من الكتب ، ليواصل موضوعه الاصلي بدون عارض ، او « الخالط بالمبحث » . ونلاحظ هذه الظاهرة واضحة ، عند نقله « اخبار المغنيين والمغنيات » من الاغاني التي يسهب صاحبها احيانا فى سرد أخبار لا تتعلق بالشخصية التي يتكلم عنها وانما هي عوارض اما النويري ، فانه يحذف هذه الزوائد والحشو . ويقتصر على الموضوع الذي يتناوله بالكلام .

وقد حاول النويري أثناء نقله ، تسديد الخطا الذي وقع فيه بعض المصنفين . فروى الثعالبي مثلا . بان الشعر القائل :

وما ينهض البازي بغير جناحه
ولا يحمل الماشين الا الحوامل
اذا انت لم تعرض على الجهل والخنا
اصبت حليما او اصابك جاهل

قال « انه لعبيد الابرص » (1) الا ان النويري ضبطه لاوس بن حجر . ولقد تصفحت ديوان عبيد الابرص بنفسي ، فلم اجد فيه هذا الشعر ، وما قاله النويري فيه هو الصحيح .

ثم ان النويري لا ينغمس فى المسائل المختلف فيها . مثل مسالة سماع الغناء ، او مزاولة الاذكار والادعية ، وخاصيتها التي يعتقد بها الطائفة الصوفية. فانه فى مثل هذه المسائل يقتصر على نقل آراء الجانبين دون ان يبدي رايه، فيرجح هذا ويسفهذاك. او يميل الى هذه النظرية ، ويتغاضى عن تلك . بل يترك القارىء حرا يتصرف فيه ــ بعد معرفة راى الجانبين ــ كيف شاء وباية طريقة يفضلها على غيرها.

والى جانب هذه المزايا التي تمتاز بها موسوعة نهاية الارب ، هناك اغلاط لم يسلم النويري من اقترافها . ولكنها اغلاط بسيطة ، لايؤبه بها . مقارنة بعلمه العظيم هذا فقد ذكر النويري مثل اسم « سموئيل بن العاديا » بين الشعراء المخدليين ، والحقيقة انه من شعراء الجاهلية دون أختلاف . والغريب فى الامر أن مصححي الكتاب أيضا لم يتنبهوا الى هذا الخطا الفاحش ، فطبع الكتاب حاملا هذا الخطا . ثم ان النويري ذكر اسم خصي معاوية بـ « رفيق » فى قصة تزويج معاوية يزيد (2) . ولقد اخذ هذه القصة من « الامامة والسياسة » لابن قتيبة الا ان ابن قتيبة ذكر اسمه بـ « رقيق » . وذلك هو الصحيح ، كما ورد فى جميع النسخ الموجودة ، المطبوعة فى مختلف المطابع . وكذلك اورد اسم مخبوبة يزيد بانها « زينب بنت اسحق » الا ان اسمها الصحيح هو « زينب بنت اسحاق » (3) .

وهناك غلطة عجيبة وقع فيها النويري لم ادر كيف . ومن اين وهو استعمال كلمة « السبا » بدل كلمة « الجسا » بمعنى « أن يعسر على الانسان فتح عينيه » . اذ ان كلمة « السجا » لا توجد بالقواميس وليس لها اى مدلول او معنى (4) ويبدو لي بان هذه الاغلاط وقعت من الناسخ اذ أن النويري مع غزارة علمه ووفرة اطلاعه ، يستبعد ان يقع فى مثل هذه الاغلاط .

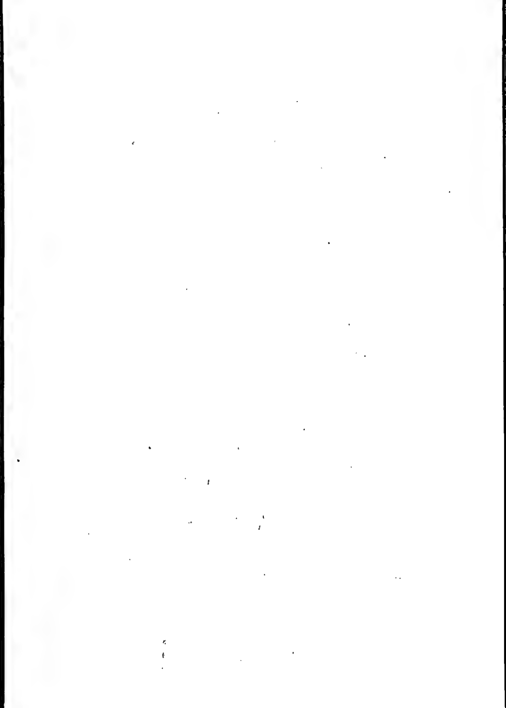
والعيب الاساسي الذي يؤاخذه الباحث عليه ، هو انه لا يذكر المرجع عادة ، وخاصة فى العلوم الادبية ، وعدم ذكره له يجعل الباحث فى حيرة من امره . حيث يضيع الوقت فى البحث . فكثيرا ما تستغرق نبذة وجيزة للبحث عن مصدرها ساعات واياما فى بعض الاوقات ، مثل ما حدث لي عند البحث عن العين الذي اتخذه من الذخيرة لابن بسام . لقد استغرق عن هذا الاقتباس مني حوالي ثمانية ايام . ثم انه عندما يضيف شيئا الى ما ينقله من كتاب آخر لا يشير اليه ، مما يوهم الباحث انه ايضا من اصل الكتاب ، والحال انه من عنده . كما حصل عند جعل شروط الامامة ثمانية شروط ، بدل سبعة شروط كما اوردها الماوردي .

ومهما يكن ، فليس من شك ، بأن منهج النويري فى كتابه هذا ، **منهج يضاهي احسن مناهج عصرنا الحديث** ، الذي تقدمت فيه صناعة التاليف اى تقدم. ولمنهجه الواضح المفيد ، ولما يحوي من الموضوعات الغزيرة والعلوم النافعة المتنوعة.» يعتبر احد الكتب الجامعة الهامة ، ذات المواد العامة وهو عمدة بين الكتب كذلك . اعتمد عليه كثير من المؤرخين والادباء قديما وحديثا » (5) .

---

1) المنتحل للثعالبي صفحة 171 .
2) نهاية ج 6 صفحة 183 .
3) راجع الامامة والسياسة ، لابن قتيبة .
4) راجع لهذه الكلمة : اقرب الموارد لسعيد الخوري الشرتوني اللبناني وتاج العروس : لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي (فصل الجيم من باب الهمزة) واللغات الاخرى .
5) عصر سلاطين المماليك : محمود رزق سليم ج 3 صفحة : 125 .

تحقيقات



الكشف عن معجم لغوي مفقود في بغداد

الأستاذ عبد الهادي التازي
سفير المملكة المغربية في العراق

حركة التاليف المعجمي عند العرب مرت عبر القرون بمراحل متعددة ، أولها : مرحلة كتب الصفات او الغريب المصنف ، ومنها جمعت مفردات الباب الواحد وضمت الى بعضها ، ومن نماذجها كتاب المطر والسحاب لابن دريد البصري والغريب المصنف لابي عبيد ، والمخصص لابن سيده الاندلسي .

وثانيها : مرحلة معاجم الالفاظ ، ومنها رتبت المفردات بالنسبة لحروفها لا الى معانيها ، واولها معجم العين للخليل بن احمد البصري ، وتلاه التهذيب والمحيط والمحكم والقليين والمجمل والجمهرة والصحاح والعباب واللبان والقاموس المحيط وتاج العروس .

وثالثها : مرحلة معاجم المعاني ، وقد رتبت فيها الالفاظ الخاصة بمعنى من المعاني في باب واحد ، وابرز نماذجها كتاب الالفاظ لابن السكيت ، وجواهر الالفاظ لقدامة بن جعفر ، والالفاظ الكتابية للهمذاني ، وفقه اللغة للثعالبي .

وكنت بعض المراجع القديمة تذكر كتابا مهما من هذه الكتب ، وهو معجم (متخير الالفاظ) تصنيف العالم اللغوي الجليل احمد فارس الرازي المتوفى سنة 395 هجرية ، ولكنه كان يعد في المعاجم التي عدا عليها الزمن وفقدت مع ما فقد من آثار السلف .

ومؤخرا عثر الباحث العراقي الثبت الاستاذ صدر ناجي على المعجم المذكور ضمن مخطوطات اسرته ، فحققه على مخطوطتين : الاولى تعود للقرن السادس الهجري ، والثانية كتبها جده العلامة السيد عبد الوهاب بن عبد الرزاق الحسني البغدادي امير الخطاطين في عصره في بواكير القرن الرابع عشر الهجري ، والكتاب المذكور ، ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والانباري في نزهة الالباء ص 321 ، كما ذكره ابن فارس في عداد مؤلفاته في آخر الجزء الثاني المخطوط من معجم (الجمل) .

رتب ابن فارس معجم (متخير الالفاظ) على ابواب المعاني في مائة واربعة عشر بابا ، وميزته الاساسية انه قد حفل بالالفاظ المفردة المنتقاة والالفاظ المركبة التي ابتكرها الشعراء في تشبيهاتهم ومجازاتهم واستعاراتهم ، كما حفل بالامثال المنتقاة ، والاقوال الجارية مجراها، مؤكدا ان اول ما يجب على الكاتب والشاعر اجتباء السهل من الخطاب، واجتناب الوعر منه ، والانس بانيسه والتوحش من وحشيه ، وهو كثير الاستشهاد بالشعر ، وشواهده من عيون الشعر العربي لفظا ومعنى .

وقد بذل الاستاذ صدر ناجي في تحقيق هذا المعجم جهدا ضخما حتى ناهزت مصادره ومراجعه الاربعمائة كتاب ، من بينها عدد غير قليل من المخطوطات .

ويعتبر عمله هذا اول محاولة يقوم بها باحث عراقي في نشر معجم عربي قديم .

والكتاب معد للطبع حاليا، وقد قدم له الصديق المحقق بمقدمة موسعة ، تحدث في ختامها بلغة شعرية مؤثرة عن نوازعه في تحقيق هذا المعجم فقال ما نصه :

« حققت قبل هذا عددا من الكتب ونشرتها وشرعت في تحقيق اخرى ، لكني لم اشعر ابدا ان كتابا غير المتخير اصبح جزءا من كياني ولوذا في جناني وبعضا من بياني ، ذلك ان روابط ممتدة الجذور موغلة عبر الزمن كانت تشدني اليه شدا بوشائج روحية غير منظورة، من هذه الروابط، ان مخطوطته الام الفريدة حفظها للعربية عم ابي السيد احمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وان مخطوطته الثانية كانت بخط جد ابي المرحوم عبد الوهاب ابن عبد الرزاق بن محمد بن ابراهيم الحسني البغدادي امير الخطاطين في عصره ، فبيني وبين المخطوطتين نسب ووشيجة ، وبيني وبينهما رحم وآصرة وقربى . ثم ان من هذه الروابط ما عرف من عناية اسرتنا بمعاجم اللغة جيلا بعد جيل » ثم عرض لنفائس مخطوطات اسرتهم اللغوية حتى قال : « ان هذه العناية كانت تدفعني دفعا وتحفزني حفزا ، لاني اصل حبل النسخ والحفظ في اسرتنا بحبل التحقيق والنشر ، فاقوم باخراج متخير الالفاظ الى عالم المطبوعات بعد ضياع استمر الف عام ، وفاء للعربية واحياء لبعض تراث الاسرة، وهكذا صاحبت ـ المتخير ـ قرابة عام، كان فيه سميري كل ليلة ونجي كل دجنة ، وكان منه صاحبا ومحدثا واليفا، أصوب منه ما حرف محرف وصحف مصحف فلا يسام ولا يضجر، واقطع الليل اخرج بيتا لشاعر أو قالة لناثر فلا يحول ولا يتغير ، وكم غبت عن دنياى وانا أعرض نصا على مصدر ، حتى اذا ضجعت للغور تالية النجم ، واخذ الليل في طي الربط ، وتبين الخيط من الخيط ، ردني الى دنياى مؤذن ينادي : ان حى على الفلاح .. قد قامت الصلاة، فانسلخ من مقعدي اذ ينسلخ النهار من الليل ، واذ ينشق النور عن الظلمة ، وعلى مثل هذا كان لقاؤنا وافتراقنا قرابة عام » .

بمثل هذا الاسلوب الشاعري المتدفق قدم المحقق الصديق لهذا المعجم الفريد .

ومجمل القول ان نشر هذا المعجم سيكون اضافة قيمة للمكتبة اللغوية .

وفي تقديري ان هذا المعجم بالذات لا غنى عنه لكل كاتب وشاعر ، وعسى ان نراه في عالم المطبوعات قريبـــــا .



تصنيف

أحمد بن فارس

المتوفى سنة ٣٩٥ هـ

حققه وقدم له

هلال ناجي

(بغداد)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

عصر المصنف :

ولد ابن فارس ومات في القرن الرابع الهجري وهو قرن تمزق الوطن الاسلامي فيه الى امارات ودويلات يغير بعضها على بعض ويسعى بعضها للاطاحة ببعض . ففي نهاية الربع الاول من هذا القرن اصبح المغرب وافريقية بيد الفاطميين ومصر والشام بيد ابن طغج الاخشيد وديار بكر وديار ربيعة ومضر والموصل بيد الحمدانيين والبصرة وواسط والاهواز بيد البريديين واليمامة والبحرين في يد القرامطة وفارس والري واصبهان وهمذان في يد بني بويه وكرمان في يد محمد بن الياس وطبرستان وجرجان في يد الديلم وخراسان في يد نصر الساماني ولم يبق للخليفة العباسي سوى بغداد واعمالها فاصبح رمزا دينيا لا سلطانا دنيويا ولا سيما بعد أن دخل البويهيون بغداد سنة 334 هـ .

وشاع الخلع والسمل والقتل الذي تعرض له خلفاء العباسيين في هذا القرن . خلع القاهر وسمل ، وخلع المتقي لله وسمل وخلع المستكفي لله وسمل وجرت في تلك الايام حروب وفتن ونهبت دار الخلافة وفي عام 334 هـ سيطر ابو بويه سيطرة تامة وصار الخليفة المطيع لله لا امر له ولا نهي ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر . هذا غير الخلفاء الذين قتلوا كابن المعتز وسواه .

ويصف البيروني بعبارة صادقة ومؤثرة فقدان العباسيين لسلطانهم الدنيوي وسيطرة بني بويه على الدولة والملك بقوله :

« وان الدولة والملك قد انتقل في آخر ايام المتقي واول ايام المستكفي من آل العباس الى آل بويه والذي بقي في ايدي الدولة العباسية انما هو امر ديني اعتقادي لا ملك دنياوي فالقائم من ولد العباس الان انما هو رئيس الاسلام لا ملك » .

وهكذا خرج الامر من يد العباسيين وصار في يد الدخلاء من بني بويه حتى سنة (451) هـ .

ويصف المقدسي بغداد في هذا القرن فيقول : « أما المدينة فخراب والجامع فيها يعمر في الجمع ثم يتخللها بعد ذلك الخراب .. وهي في كل يوم الى وراء أخشى انها تعود كسامرا مع كثرة الفساد والجهل والفسق وجور السلطان » .

الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

تردت الاحوال الاقتصادية في هذا العصر ترديا بالغا وشاعت المصادرات ، وكانت المصادرة اكبر خطر تعرضت له الملكية الخاصة في القرن الرابع الهجري وكانت تصيب المثرين ولا سيما الموظفين منهم وكان التجار والأغنياء من الأهلين عرضة للمصادرة احيانا وقد حفظ مسكويه لنا قائمة بالمصادرات بين سنة 296 هـ ــ 381 هـ وفي فترة التغلب البويهي هبط مستوى المعيشة لسكان العراق .

وقاسى الفلاحون بصورة خاصة من كثرة الضرائب ومن جشع الموظفين وعدم ضبطهم ومن خراب نظام الري الشيء الكثير .

وتضاءلت الخدمات الاجتماعية التي تقوم بها الدولة في هذه الفترة وتسنم الغرباء احسن الوظائف واصبح مستوى الاهلين في عداد الطبقات المتوسطة والفقيرة. وانخفض دخل الخليفة والوزير والموظفين المدنيين عامة في الفترة البويهية في حين ارتفع دخل رجال الجيش . وتعرض العراق لفترات غلاء ومجاعات ، ويمكن القول على وجه الاجمال بأن التغلب البويهي كان حدا فاصلا بين فترتين اذ انه اثر على الاقتصاد الزراعي وعرقل نمو المؤسسات التجارية والمصرفية .

وفي هذا القرن اشتد الصراع المذهبي وادى الى مصادمات دموية هلك فيها كثيرون ويذكر ياقوت في معجم البلدان ان بلدانا كثيرة خربت ودثرت بسبب هذا الصراع البغيض .

الحالة العلمية والأدبية :

ان السوء الذي انتهت اليه الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المملكة الاسلامية خلال هذا القرن لم يصاحبه سوء مماثل في الحالة العلمية والادبية وكان العكس هو الصحيح . ففي هذا القرن بلغت الحركة العلمية والأدبية اوجها وآتت ثمارها . ولعل مرد ذلك ان التمزق السياسي اتاح ظهور مراكز علمية وثقافية متعددة صارت تتنافس وتتبارى في اجتذاب العلماء والأدباء ، وتبع ذلك تنافس غير جنت منه الحركة الأدبية والعلمية خيرا كثيرا وشاعت العناية بالكتب وجمعها لدى الامراء والوزراء والعلماء والأدباء شيوعا كبيرا ونشأت الخزائن الكبرى التي يحدثنا عنها المؤرخون وفي هذا القرن ظهرت الكتب الجامعة في شتى العلوم والآداب والفنون . كان بعض سلاطين بني بويه أدباء شعراء امثال عز الدولة وعضد الدولة وتاج الدولة

وكانوا يؤثرون استيزار واستكتاب العلماء والأدباء فكان من وزرائهم وكتابهم : ابـــن العميد والصاحب بن عباد والمهلبي وسابور بن اردشير .

وقد عاصرت الدولة البويهية التي امتد سلطانها فشمل العراق وفـــــارس وخراسان . الدولة السامانية في تركستان وبرزت بخارى ونيسابور كمركزين ثقافيين استقطبا العلماء والأدباء والشعراء واشتهر من امرائها منصور بن نوح الذي استوزر البلعمي الذي ترجم تاريخ الطبري الى الفارسية .

وابنه نوح بن منصور هو الذي شد نظر شاعره الدقيقي لنظم الشاهنامة فنظم الدقيقي الف بيت من الشاهنامة كانت هي الأساس الأكيد لشاهنامة الفردوســـي في عصر الغزنويين وكانت لنوح المذكور مكتبة ضخمة انتفع منها ابن سينا، ومنهم منصور الساماني الذي الف له ابو بكر الرازي كتاب ــ المنصوري ــ في الطب .

وفي طبرستان ظهرت الدولة الزيارية وكان من أمرائها شمس المعالي قابوس بن وشمكير ، الاديب الشاعر والفيلسوف الرياضي وصاحب رسالة الاسطرلاب . وكان في خوارزم امير محب للعلم والأدب هو ابو العباس المامون بن مامون خوارزمشاه ، كان من رجال مجلسه ابن سينا الفيلسوف والبيروني المؤرخ الرياضي وابو نصر الرياضي والفيلسوف ابو سهل المسيحي ، والطبيب ابو الحسن الخمار وسواهم .

وقد استطاع السلطان محمود الغزنوي سلطان الدولة الغزنوية ضم بعضهم الى بلاطه وابرزهم البيروني . وحين استطاع السلطان المذكور اسقاط الدويــــلات والامارات التي تضايقه جدت في مملكته نهضة ادبية نشيطة شجعها السلطان الغزنوي بعطاياه ففي الشعر الغنائي برز منوجهري والعنصري والفرخي ورابعة القصدارية . وفي الشعر الملحمي برز الفردوسي في شاهنامته التي بلغت الستين الف بيت .

وترجم أبو المعالي نصر الله كتاب « كليلة ودمنة » الى الفارسية فوضع التقاليد الفنية للنثر الفني عند الفرس .

وكانت دولة الحمدانيين في هذا القرن قلعة من قلاع الثقافة والأدب وكان بلاطهم حاشدا بعمالقة الشعراء امثال ابي الطيب المتنبي وابي فراس الحمداني وسواهما ، بل انهم اجتذبوا حتى كبار الفنانين مثل ابي عبد الله الحسن بن علي بن مقلة الخطاط الشهير وشقيق الوزير محمد بن علي بن مقلة ، فوفروا له جوا فنيا ملائما وانقطـــع اليهم وأبدع ما شــــاء .

روى ياقوت في معجم الأدباء (32/9) ما نصه : « كان أبو عبد الله منقطعا الى بني حمدان سنين كثيرة يقومون بامره أحسن القيام وكان ينزل في دار قوراء حسنة ، وفيها فرش تشاكلها ومجلس دست وله شيء للنسخ وحوض فيه محابر وأقــلام ، فيقوم ويتمشى في الدار اذا ضاق صدره ، ثم يعود فيجلس في بعض تلك المجالــس

وينسخ ما يخف عليه ، ثم ينهض ويطوف جوانب البستان ، ثم يجلس في مجلس آخر ويتسخ اوراقا اخر على هذا ، فاجتمع في خزائنهم من خطه ما لا يحصى » .

وفي مصر كانت الدولة الفاطمية دولة علم وادب ، وقد اشتهر من خلفائها العزيز بالله والحاكم بأمر الله بخزائن كتبهما الشهيرة .

وبالاختصار ففي هذا القرن لمعت في سماء الآداب والعلوم والفنون ابـــرز الاسماء التي حفظها لنا التاريخ عبر مسيرته الطويلة .

* * *

مصـــــادر الفصـــــل :

1) تجارب الامـــــم — مسكويـــة .
2) تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري — الدوري .
3) الوزراء — الصابي — نشره آمدروز — بيروت 1904
4) الاوراق — اخبار الراضي والمتقي لله — الصولي
5) صلة الطبري — عريب القرطبـــي .
6) الآثار الباقية — البيرونـــي
7) مروج الذهب — المسعودي
8) الفخري — ابن طباطبا
9) ظهر الاسلام — احمد امين
10) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري — آدم متز
11) احسن التقاسيم الى معرفة الاقاليم — المقدسي — نشرة دي خويه 1877 م.
12) الادب الفارسي في العصر الغزنوي — الدكتور علي الشابي — تونس
13) معجم الادبـــاء — ياقـــوت .

من هـــو ابـــن فـــارس ؟

هو ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي . هكـــذا نسبته اغلب المصادر ، وشذ عن ذلك ابن الاثير في الكامل وابن الجوزي في المنتظم ، وكان ابوه فقيها شافعيا لغويا روى عنه ابو الحسين في مقاييس اللغة وفي الصاحبي وفي متخير الالفاظ وفي اللامات . والرازي نسبة الى الري ، مدينة في بلاد الديلم والزاي زائدة فيها كما زادوها في المروزي عند النسبة الى مرو الشاهجان ، ومسقط راسه قرية اسمها كرسف جياناباذ ، وضبطها ياقوت في معجم الادباء — كرسفة — وهـــي قرية من رستاق الزهراء .

ذكروا ان رجلا أتاه فسأله عن وطنه ، فقال : كرسف ، فتمثل ابن فارس :

بلاد بها شدت علـــي تمائمـــــي وأول أرض مس جلدي ترابها (1)

لم تذكر لنا المصادر سنة ولادته ولكن يمكن القول على وجه التقريب انها تدور حول عام 312 هـ وسندنا في هذا الاستنتاج ما ورد في معجم الادباء 221/12 نقلا عن كتاب أمالي ابن فارس ، وفي آخره : « قال ابن فارس : حدثني ابن الحسن علي بـــن ابراهيم بن سلمة القطان رحمه الله بقزوين في مسجدهم يوم الاحد منتصف رجـــب سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة » .

فاذا كان ابن فارس قد روى عن القطان سنة 332 هـ وافترضنا ان ذلك كان في اول شبابه اي في العشرين من عمره ، صح ما ذهبنا اليه من ان ابن فارس من مواليد سنة 312 هـ او نحوها . وتذكر المصادر ان ابن فارس رحل الى قزوين للاخذ عـــن القطان وابراهيم بن علي ورحل الى زنجان واخذ من احمد بن الحسن بن الخطيـــب ورحل الى ميانج في بلاد الشام واخذ عن احمد بن طاهر بن النجم كما رحل الى بغداد في طلب الحديث ، واستوطن الموصل فترة وزار مكة في حجه واستوطن همذان وفيها شعر بالوحدة والضياع ونسيان ما كان يعلم .

ثم حمل منها الى الري ليتلمذ عليه مجد الدولة أبو طالب بن فخر الدولة فسكنها واكتسب مــــالا وتوفــــي بالمحمدية وهي محلة في الري ودفن مقابـــل مشهـــــد القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني . وفي تاريخ وفاته خلاف كثير واصح الاقوال انه توفي سنة 390 هـ رحمه الله .

وقد زعم بعضهم انه من أصل اعجمي (2) ، وهو وهم لا دليل عليه ، غير مــــا قيل من انه كان يتكلم بلسان القزاونة . والواقع ان ايران في القرون الاسلامية الاولى كانت تزخر بالقبائل العربية التي رحلت ايام الفتوح واستوطنتها ، وليس في سلسلة نسب ابن فارس ، اسم غير عربي ، فاذا اضفنا لذلك ان تكلمه بلسان القزاونة أمر طبيعي تمليه ظروف المجاورة للسكان الاصليين ، اتضح ان لا دليل يدعم زعم الزاعمين انه غير عربي بل العكس هو الصحيح ، ذلك ان ابي فارس كان شديد العصبية للعرب

---

1) انظر البيت في بلاغات النساء : لاحمد بن ابي طاهر البغـــدادي ص 199 ، وروايته فيه . ـــ بلاد بها حل الشباب تمائمي ـــ وهو منسوب فيه لجاريـــة طائية وقبله :

أحب بلاد الله ما بين منعج الى وسلمى ان يصوب سحابهـــــا

والبيتان في أمالي القالي 83/1 ونسبتهما فيها لرقاع بن قيس الاسدي ورويا في اللسان مادة (تمم) 336/14 منسوبين لرقاع الاسدي ، وهما في اللسان في مادة (نوط) ، ورواية البيت فيه : بلاد بها نيطت .. وفي المصون من غير عزو ص 206 وهو كذلك من دون عزو في الكامل 406 ، 676 وفي معجم البلدان مادة (منعج) وزهر الآداب 682 .. وقد نسبا لامراة من طيء في سمط اللآلي 272 ومحاضرات الراغب 676/2 .

2) منهم بروكلمان انظر 265/2 ومحمد بن شنب 247/1 دائرة المعارف الاسلامية .

والعربية في عصر استفحلت فيه دعاوي الشعوبيين، يكشف عن ذلك كتابه ــ الصاحبي في فقه اللغة وهو تعصب يمليه الانتساب اليهم على الأغلب .

وبالاجمال فان انتسابه للعرب اقرب للصواب في رأينا من أخباره انه قال (3) : دخلت بغداد طالبا للحديث ، فحضرت مجلس بعض اصحاب الحديث وليس معـي قارورة ، فرايت شابا عليه سمة جمال فاستأذنته في كتب الحديث من قارورته : فقال: من انبسط الى الاخوان بالاستئذان ، فقد استحق الحرمان .

وهي رواية تدل على مراقة الخلق البغدادي في الترحيب بالغريب ورفع الكلفة عنـــه .

ومن اخباره : انه كان يناظر في الفقه فاذا وجد فقيها او متكلما او نحويا كان يأمر اصحابه بسؤالهم اياه ، ويناظره في مسائل من جنس العلم الذي يتعاطاه فان وجده بارعا جدلا جره في المجادلة الى اللغة ، فيغلبه بها ، وكان يحث الفقهاء دائما علـى معرفة اللغة ويلقي عليهم مسائل ، ذكرها في كتابه ــ فتيا فقيه العرب ــ ويخجلهم بذلك ، ليكون خجلهم داعيا الى حفظ اللغة ويقول : من قصر علمه من اللغة وغولـط غلـــط (4) .

وكان شافعي المذهب ، ثم صار مالكيا في سنواته الأخيرة وقال (5) : دخلتني الحمية لهذا البلد ، يعني الري ، كيف لا يكون فيه رجل على مذهب هذا الرجل المقبول القول على جميع الألسنة .

وفي نزهة الالباء انه قال حين غير مذهبه (6) : دخلتني الحمية لهذا الامام المقبول القول على جميع الالسنة ، أن يخلو مثل هذا البلد ــ يعني الري ــ عن مذهبـه ، فعمرت مشهد الانتساب اليه ، حتى يكمل لهذا البلد فخره ، فان الري اجمع البـلاد للمقالات والاختلافات في المذاهب على تضادها وكثرتها .

ورواية الخبر في بغية الوعاة (7) انه قال : ــ اخذتني الحمية لهذا الامــام ان يخلو مثل هذا البلد عن مذهبه .

ونراه في الصاحبي يسخر من بعض فقهاء الشافعية فيقول : (8) : « ولقد كلمت بعض من يذهب بنفسه ويراها من فقه الشافعي بالرتبة العليا في القياس فقلت له : ما حقيقة القياس ومعناه ؟ ومن اي شيء هو ؟ فقال : ليس علي هذا ، وانما علـى

(3) معجم الادباء 89/4 .
(4) انباه الرواة على أنباه النحاة 94/1 .
(5) معجم الادباء 83/4 ــ 84
(6) نزهة الالباء 321
(7) البغيـــة 352/1
(8) الصاحبـــي 66

اقامة الدليل على صحته . نقل الآن في رجل يروم اقامة الدليل على صحة شيء لا يعرف معناه ؛ ولا يدري ما هو ! ونعوذ بالله من سوء الاختيار ! » .

وفي الموضع ذاته ينقل نصا لابن داود في نقده الامام الشافعي وتنزيهه للامام مالك بن انس .

وهو في موضع آخر من — الصاحبي — يرد على منكري قول الامام مالك في الجائحة فيقول (9) : « قال احمد بن فارس : واعترض قوم بهذا الذي ذكرناه على ابي عبد الله مالك بن انس في قوله في الجائحة . لان مالكا يذهب الى ان الجائحة اذا كانت دون الثلث لم يوضع لانها قليل بمنزلة ما تناله العرافي من الطير وغيرها وما تلقيه الريح ، فاذا بلغت الجائحة الثلث — وما زاد — فهي كثيرة ، ولزم وضعها للحديث المروي فيها . قال المعترض على ابي عبد الله مالك — رضه — : فقد دفع هذا الفصل المعنى الذي ذهب اليه مالك لان قوله — جل ثناؤه — (قم الليل الا قليلا) قد جعل النصف قليلا فاذا كان نصف الشيء قليلا منه وجب ان يكون كثيره ما فوق النصف فالجواب عن هذا ان مالكا انما ذهب في جعله الثلث كثيرا الى حديث حدثناه علي بن ابراهيم عن محمد بن يزيد عن هشام بن عمار عن ابي عيينة عن الزهري عن عامر بن سعد عن ابيه قال : « اي رسول الله ! ان لي مالا وليس يرثني الا ابنتي ، افاتصدق بثلثي مالي ؟ قال : لا . قلت : فالشطر ؟ قال : لا . قلت : فالثلث ؟ قال الثلث — والثلث كثير — انك ان تترك ورثتك اغنياء خير من ان تتركهم يتكففون الناس . فيقول رسول الله — صلعم — اخذ مالك ، ورسول الله — صلعم — اعلم بتاويل كتاب الله — جل ثناؤه » .

وبمثل هذا الكلام المعلل المدلل رد ابن فارس على منكري قول مالك في الجائحة ، فاذا عرفنا انه الف (الصاحبي) في الشطر الاخير من حياته ادركنا صحة ما نقل من انه كان شافعيا ثم صار مالكيا وفي هذا يقول القفطي : « وكان من رؤساء اهل السنة المجودين على مذهب الحديث » (10) .

غير ان بعض مؤرخي الشيعة الافاضل ذهبوا الى انه تستر بالشافعية والمالكية وانه كان شيعيا (11) .

ودارس آثار ابن فارس يلاحظ بوضوح الحب العميق الذي كان يكنه ابوالحسين لامير المؤمنين — علي بن ابي طالب — ، فمآثر الامام تدور على لسانه في الصاحبي وفي المتخير وربما في غيرهما مما ضاع من آثاره .

---

9) الصاحبي 137 — 138
10) انباه الرواة 95/1 .
11) انظر تنقيح المقال 76 واعيان الشيعة ص 216 — 217 .

جاء في المخير : « وذكر ابن عباس عليا ــ عليهما السلام ــ فقال : سطة في العشيرة وصهر بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلم بالتنزيل ، وفقه في التأويل ، وصبر اذا دعيت نزال » .

وقال في الصاحبي (12) : « فصاروا بعدما ذكرناه الى ان يسأل امام من الائمة وهو يخطب على منبره عن فريضة فيفتي ويحسب بثلاث كلمات ، وذلك قول أمير المؤمنين علي ــ صلوات الله عليه ــ حين سئل عن ابنتين وأبوين وامرأة : « صار ثمنها تسعا » فسميت المنبرية ، والى أن يقول هو ــ صلوات الله عليه ــ على منبره» والمهاجرون والانصار متوافرون : « سلوني فو الله ما من آية الا وانا اعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل » ، وحتى قال ــ صلوات الله عليه ــ وأشار الى ابنيه : « يا قوم استنبطوا مني ومن هذين علم ما مضى وما يكون » .

وجاء في الصاحبي (13) : « وروى السدي عن عبد خير علي ــ رضه ــ انه رأى من الناس طيرة عند وفاة رسول الله ــ صلعم ــ فاقسم الا يضع على ظهره رداء حتى يجمع القرآن ، قال : فجلس في بيته حتى جمع القرآن ، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن ، جمعه من قلبه ، وكان عند آل جعفر . فانظر الى قول القائل : « جمعه من قلبه » . وحدثنا علي بن ابراهيم عن علي بن عبد العزيز قال : قال أبو عبيد : حدثني نصر بن باب عن الحجاج عن الحكم عن أبي عبد الرحمن السلمي انه قال : ما رأيت احدا اقرأ من علي ــ صلوات الله عليه ــ ، صلينا خلفه فأسوا برزخا ، ثم رجع فقرأ ثم عاد الى مكانه » . قال أبو عبيد : البرزخ ما بين كل شيئين ، ومنه قيل للميت : « هو في برزخ » ، لانه بين الدنيا والآخرة . فاراد أبو عبد الرحمن بالبرزخ ما بين الموضع الذي أسقط علي ــ صلعم ــ منه ذلك الحرف الى الموضع الذي كان انتهى اليــــه .

من هذه الاقوال المعبرة عن حب ابن فارس لآل البيت الكرام ، ومن تعيينــه مؤدبا وأستاذا للامير البويهي ، والبويهيون شيعة آل البيت استنتج الطوســــي والمامقاني والعاملي أمر تشيع ابن فارس في الفترة الاخيرة من حياته .

وانا لا استبعد هذا ، ذلك أن ابن فارس صار مالكيا بعد ان كان شافعيا حمية لرجل ــ على حد قوله ــ فلم نستبعد تشيعه اقتناعا بفكرة مع ملاحظة سرعة تنقله من مذهب الى مذهب ومع اكباره لشخصية الامام علي ومآثره .

* * *

---

12) الصاحبي ص 78 ــ 79 .
13) الصاحبي ص 200 ــ 201 .

مصـــــادر الفصـــــل :

1) معجم الادباء — ياقوت 80/4 .
2) المزهر — السيوطي 414/1 .
3) بغية الوعاة — السيوطي 1/ 352 .
4) مرآة الجنان — اليافعي 442/2 .
5) وفيات الاعيان — ابن خلكان 100/1 .
6) شذرات الذهب — ابن العماد 132/2 .
7) نزهة الالبـــاء — الانباري 320 .
8) انباه الرواة — القفطي 92/1 .
9) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد 42 ج 2 — نيسان 1967 ص 236 — 244 .
10) الديباج المذهب — ابن فرحون ص 35 .
11) مفتاح السعادة 109/1 .
12) معجم المطبوعات العربية — سركيس 199 .
13) يتيمة الدهر — الثعالبـــي 400/3 .
14) مقدمة تمام فصيح الكلام — الدكتور مصطفى جواد .
15) المنتظم — ابن الجوزي 103/7 .
16) الكامل — ابن الاثيــــر 711/8 .
17) البداية والنهاية — ابن كثير 535/11 .
18) النجوم الزاهرة — ابن تغري بردي 212/4 .
19) معجم البلدان — ياقوت 212/4 .
20) الآثار الباقية — البيروني 338 .
21) دمية القصر — الباخرزي 297 .
22) مقدمة معجم المقاييــــس — عبد السلام هارون .
23) فهرست ابن النديم ص 80 .
24) الفلاكة والمفلوكون — الدلجي — 141 .
25) العبر في خبر من غبر — الذهبي — 58/3 .
26) الاعلام الزركلي 184/1 .
27) معجم المؤلفين — كحاله 40/2 .
28) تاريخ آداب اللغة العربية — جرجي زيدان 357/2 .
29) دائرة المعارف الاسلامية — محمد بن شنب 247/1 .
30) روضـات الجنات — الخوانسـاري 64 .
31) طبقات المفسرين — السيوطي ص 4 .

32) عيون التواريخ — ابن شاكر الكتبي مخطوط 12 : 1/258 — 1/261 .
33) الوافي بالوفيات — الصفدي — مخطوط — 111/6 .
34) المختصر في أخبار البشر — أبو الفداء 142/2 .
35) سير النبلاء — الذهبي — مخطوط — 22/11 و 23 .
36) مقدمة الصاحبي في فقه اللغة طبعة مصر 1910 وطبعة بيروت 1963 .
37) منهج المقال — ميرزا محمد الاسترابادي ص 40 — طهران 1302 هـ .
38) الفهرست — الطوسي ص 36 .
39) منتهى المقال — ابو علي الحائري ص 39 .
40) تنقيح المقال — عبد الله المامقاني 76/1 .
41) أعيان الشيعة — العاملي 215/9 — 228 .
42) مخطوطات الموصل — داود جلبي ص 67 .
43) طبقات النحاة واللغويين — ابن قاضي شهبة — مخطوط — 189 و 190 .
44) تلخيص ابن مكتوم — مخطوط — 15 — 16 .
45) ايضاح المكنون — البغدادي 421/1 .
46) دائرة المعارف — البستاني 419/3 .
47) تاريخ الادب العربي — بروكلمان — ترجمة عبد الحليم النجار 265/2 .
48) كشف الظنون — حاجي خليفة : 33 ، 89 ، 90 ، 173 ، 690 ، 722 ، 827 ، 828 ، 1068 ، 1069 ، 1279 ، 1454 ، 1574 ، 1605 ، 1615 ، 1804 ، 1848 .
49) سلم الوصول ص 113
50) مقدمة الاتباع والمزاوجة — طبعة كمال مصطفى .

شيـــوخــــه :

1 — والده (فارس بن زكريا) (ت 369 هـ) : روى عنه ابن فارس كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت كما ذكر في المقاييس . وروى عنه كذلك في الصاحبي وروى عنه في متخير الالفاظ في مواضع عدة وفي اللامات . وقد ذكر ضمن شيوخه في بغية الوعاة 352/1 وفي نزهة الالباء 321 وكان المذكور فقيها لغويا شافعيا .

2 — علي بن ابراهيم بن سلمة القطان (254 — 345 هـ) : روى عنه ابن فارس في متخير الالفاظ كثيرا كما روى عنه في المقاييس وفي الصاحبي في مواضيع عديدة . وذكر ضمن شيوخه في بغية الوعاة 352/1 وطبقات المفسرين ص 4 ومعجم الادباء 82/4 .

وانظر ترجمة القطان في العبر للذهبي 367/2 وغاية النهاية لابن الجـــــزري 516/1 ومعجم الادباء 218/12 .

3 — علي بن عبد العزيز المكي (ت 286 أو 287 هـ) : روى عنه ابن فارس في المقاييس كثيرا كما روى عنه كتابي أبي عبيد القاسم بن سلام — غريب الحديث ومصنف الغريب . وذكر ضمن شيوخه في طبقات المفسرين ص 4 ومعجم الادباء 83/4 . وللمكي ترجمة في العبر للذهبي 77/1 وغاية النهاية 549/1 ونزهة الالباء 216 .

4 — احمد بن طاهر بن النجم الميانجي : روى عنه ابن فارس في المقاييس وقد ذكر ضمن شيوخه في نزهة الالباء 320 ومعجم الادباء 82/4 وانباه الرواة 95/1 . وللميانجي ترجمة في العبر للذهبي 320/2 .

5 — احمد بن الحسن بن الخطيب : ذكر ضمن شيوخه في نزهة الالباء 320 ومعجم الادباء 82/4 وانباه الرواة 95/1 وطبقات المفسرين 4 .

6 — ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن سلمة بن فخر : ذكر ضمن شيوخ ابن فارس في انباه الرواة 95/1 .

7 — سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني (ت 360 هـ) : ذكر ضمن شيوخ ابن فارس في معجم الادباء 83/4 وطبقات المفسرين 4 . وللطبراني ترجمة في العبر 315/2 وغاية النهاية 311/1 والنجوم الزاهرة 59/4 .

8 — احمد بن محمد بن اسحاق الدينوري : روى عنه ابن فارس في المقاييس وانظر ترجمته في العبر للذهبي 332/2 .

9 — ومن شيوخه علي بن احمد الساوي .

10 — ومن شيوخه ابو بكر محمد بن احمد الاصفهاني .

11 — ومن سمع منهم ابن فارس : ابو احمد ابن ابي الثيار (معجم الادباء 90/4) وعبد الرحمن بن حمدان (الصاحبي 29) . واحمد بن محمد بن بندار (الصاحبي 43) . وعلي بن محمد بن مهروية (الصاحبي 47) . وابو الحسن احمد بن محمد مولى بني هاشم ، وقد حدثه بقزوين (الصاحبي 52) . وابو عبد الله احمد بن محمد بن داود الفقيه (الصاحبي 83) . وابو بكر احمد بن علي بن اسماعيل الناقد (الصاحبي 129) وابو الحسن المعروف بابن التركية (الصاحبي 155) .

تلاميذه :

ابرز تلاميذه الذين تذكرهم المصادر :

1 — الصاحب بن عباد (المتوفى سنة 385) انظر ترجمته في الاعلام 312/1 وفي معجم المؤلفين 274/2 .

وهو القائل ـــ شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف وأمن فيه ـــن التصحيـــف .

2 ـــ بديع الزمان الهمذاني (المتوفى سنة 398) انظر ترجمته في الاعلام 112/1 وفي معجم المؤلفين 209/1 .

3 ـــ أبو طالب مجد الدولة بن فخر الدولة علي بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي .

4 ـــ علي بن القاسم المقرىء ـــ وقد قرأ عليه كتابه (أوجز السير لخير البشر) ويفهم من هذا الكتاب ان ابن فارس سكن في الموصل زمنا وقرأ عليه المقرىء فيها كتابه هذا .

5 و 6 ـــ وقد روى عنه فيما ذكر ابن فرحون في الديباج المذهب ـــ أبو ذر والقاضي أبو زرعه وهو فقيه مالكي واسمه عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة القارىء .

7 ـــ أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بالغضبان .

8 ـــ أبو محمد نوح بن أحمد الاديب اللوباساني .

9 ـــ أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي (ت 447 هـ) ـــ طبقات الشافعية الكبرى 388/4 .

10 ـــ أبو زرعه روح بن محمد بن أحمد بن محمد بن اسحاق الرازي (ت 423) هـ ـــ طبقات الشافعية 379/4 .

صلتـــــه بتلاميـــــذه :

وليس بين أيدينا ما يساعد على تتبع هذه الصلة تفصيلا باستثناء صلتـــــه بالصاحب وبالهمذاني .

اما الصاحب بن عباد فقد كان منحرفا عن ابي الحسين بن فارس ، لانتسابه الى خدمة ابن العميد ، وتعصبه له ، فانفذ اليه من همذان كتاب الحجر من تاليفه ، فقال الصاحب : رد الحجر من حيث جاءك ، ثم لم تطب نفســه بتركه ، فنظر فيه ، وأمر له بصلة (14) . ثم لما انتقل ابن فارس الى الري ليقرأ عليه مجد الدولة ذكرت المصادر ان الصاحب تتلمذ على ابن فارس وأنه كان يكرمه ويقول : شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف ، وأمن فيه من التصحيف (15) .

* * *

14) يتيمة الدهر 204/3 ، وانظر الخبر في معجم الادباء 87/4 وانباه الرواة 93/1.
15) انظر : معجم الادباء 83/4 وبغية الوعاة 352/1 ونزهة الالباء 321 .

واما بديع الزمان الهمذاني فيبدو انه كان يكن ودا صادقا لاستاذه وعرفانـــا لجميله . فقد ذكر الهمذاني في مجلس أبي الحسين بن فارس فقال ما معناه (16) : ان البديع قد نسي حق تعليمنا اياه وعقنا وشمخ بانفه عنا ، فالحمد لله على فســاد الزمان وتغير نوع الانســان ، فبلغ ذلــك البديع ، فكتــب الى أبــي الحســين ، « نعم اطال بقــاء الشيخ الامــام ، انه الحمأ المسنــون ، وان ظنــت الظنــون والناس لآدم ، وان كان العهد قد تقادم وارتكبت الاضداد واختلط الميلاد ، والشيــخ يقول : فسد الزمان ، افلا يقول : متى كان صالحا ؟ أفي الدولة العباسية وقد راينا آخرها وسمعنا أولها ، ام المدة المروانية وفي اخبارها :

لا تكسع الشول باغبارها .

ام السنين الحربية :

والسيف يغمــد في الطلـــي	والرمح يركــز في الكلـــى
ومبيت حجـــر في الفـــلا	والحــر تـــان وكــربـــلا

ام البيعة الهاشمية وعلي يقول : ليت العشرة منكم براس من بني فراس . ام الايام الاموية والنفير الى الحجاز والعيون الى الاعجاز ، ام الامارة العدوية وصاحبها يقول : وهل بعد البزول الا النزول ، أم الخلافة التيمية وصاحبها يقول : طوبى لمــن مات في نأنأة الاسلام ؟ أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل : اسكتي يا فلانة فقد ذهبت الامانة ؟ أم في الجاهلية ، ولبيد يقول : وبقيت في خلق كجلد الاجرب أم قبل ذلك واخو عاد يقـــول :

بلاد بهــا كنــا وكنــا نحبهـــا	اذ الناس ناس والزمان زمــان

ام قبل ذلك ويروى لآدم عليه السلام :

تغيـــرت البـــلاد ومـــن عليهـــا	فوجـــه الارض مغبـــر قبيـــح

أم قبل ذلك والملائكة تقول لبارئها : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء).. وما فسد الناس وانما اطرد القياس ، ولا اظلمت الايام ، انما امتد الاظلام ، وهل يفسد الشيء الا عن صلاح ، ويمسي المرء الا عن صباح ، ولعمري ان كان كرم العهد كتابا يرد ، وجوابا يصدر ، انه لقريب المنال ، واني على توبيخه لي لفقير الى لقائه ، شفيق على بقائه ، منتسب الى ولائه ، شاكر لآلائه » .

وان له على كل نعمة خولنيها الله نارا ، وعلى كل كلمة علمنيها منارا . ولــو عرفت لكتابي موقعا من قلبه لاغتنمت خدمته به ، ولرددت اليه سؤر كأسه ، وفضل نفاسه . ولكني خشيت ان يقول : هذه بضاعتنا ردت الينا ، وله أيده الله العتبى ،

(16) انظر يتيمة الدهر 270/4 والبيان عن رسائل بديع الزمان ص 415 ونهايــة الارب 262/7 .

والمودة في القربى ، والرباع ، وماضمه الجلد وناله الباع ، وما ضمنته المشط :

ووالله ما هي عندي رضي   ولكنهـا جل ما املـــك

وأثنان قلما يجتمعان الخراسانية والانسانية ، وأنا وان لم أكن خراساني الطينة، فاني خراساني المدينة ، والمرء من حيث يوجد ، لا من حيث يولد ، والانسان من حيث يثبت ، لا من حيث ينبت ، فان انضاف الى خراسان ولادة همذان ارتفع القلم وسقط التكليف ، فالجرح جبار ، والجاني حمار ، ولا جنة ولا نار ، فليحتملني الشيخ على هناتـي ، اليس صاحبنا يقول :

لا تلمني على ركاكة عقلـي   ان تيقنـت اننـي همذانـي

* * *

وكتب بديع الزمان يستعطفه : « اني خدمت مولاي ، والخدمة رق بغيـــر اشهاد ، وناصحته ، والمناصحة للود أوثق عماد ، ونادمته ، والمنادمة رضاع ثان ، وطاعمته ، والمطاعمة نسب دان ، وسافرت معه ، والسفر والاخوة رضيعا لبـان ، وقمت بين يديه ، والقيام والصلاة شريكا عنان ، واثنيت عليه ، والثناء عند الله بمكان، واخلصت له ، والاخلاص مشكور بكل لسان » .

والذي نخلص اليه من كل ما تقدم ان بديع الزمان الهمذاني كان برا باستـــاذه متمسكا بحبل ولائه ، ذاكرا وشاكرا فضله .

اخـــلاقـــه وطبـاعـــه :

وكان كريما جوادا ، فربما وهب السائل ثيابه وفرش بيته ، وكان له صاحب يقال له : أبو العباس أحمد بن محمد الرازي المعروف بالغضبان ، وسبب تسميتـه بذلك انه كان يخدم ابن فارس ويتصرف في بعض أموره .

قال : فكنت ربما دخلت فأجد فرش البيت او بعضه قد وهبه ، فاعاتبه علـى ذلك ، وأضجر منه ، فيضحك من ذلك ، ولا يزول عن عادته ، فكنت متى دخلت عليه ووجدت شيئا من البيت قد ذهب ، علمت انه قد وهبه ، فاعبس ، وتظهر الكآبة في وجهي ، فيبسطني ويقول : ما شان الغضبان ؟ حتى لصق بي هذا اللقب منه ، وانما كان يمازحني (17) .

وكان عفيفا . جاء في الديباج المذهب (18) انه أفتى بمنع من يفتح حانوتا قبالة دار رجل.

وكان ابن فارس متواضعا شديد التواضع يكشف عن طبيعته هذه قوله في آخر (تمام فصيح الكلام) « هذا آخر ما اردت اثباته في هذا الباب ولم آمن أن أبا العباس

(17) نزهة الالباء ص 321 — 322 .
(18) الديباج المذهب ص 37 .

تصر عنه لكن المشيخة آثروا الاختصار وحقا اقول ان جميع ما ذكرته من علم ابي العباس جزاه الله عنا خيرا » (19) .

وتتضح هذه الخصلة الطيبة فيه حين يقول في الصاحبي (20) : « والـذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفترق في أصناف مؤلفات العلماء المتقدمين ـ رضي الله عنهم وجزاهم عنا افضل الجزاء ـ وانما لنا فيه اختصار مبسوط او بسط مختصر او شرح مشكل او جمع متفرق » .

ومن خلائقه روح السخرية والتندر التي تبدو في شعره أوضح ما تبدو ، كما يشف عنها ما رواه بديع الزمان الهمذاني حين قال (21) : سمعت ابا الحسين احمد بن فارس يقول : النفخ عند الاطباء كناية عن الضرط والفسو ! والقطع عند المنجمين كناية عن الموت ! والنصيحة عند العمال كناية من السعاية ! والوطء عند الفقهاء كناية عن الجماع ! وطيب النفس عند الظرفاء كناية عن السكر ! والعلق عند اللاطة كناية عن المؤاجرة ! والزوار عند الكرام كناية عن السؤال ! وما اماه الله عند الصوفية كناية عن الصدقة !

تلك اللمحة موجزة بخلائق هذا الرجل وبابرز صفاته .

* * *

شـاعـريتـه :

الى جانب قدرات ابن فارس النثرية المتنوعة المجالات ، فقد كان شاعرا اصيلا وانه لمن المؤسف ان التاريخ لم يحفظ لنا سوى نماذج قليلة من شعره شأنه شأن الكثيرين ممن غلب جانب من جوانب شهرتهم على شاعريتهم الاصيلة . وتغلب النماذج القليلة التي وصلت الينا من شعره روح السخرية من متناقضات زمنه فهو في همذان يدعو لها بالسقيا واحشاؤه تلتهب ، ولم لا يدعو لهذه البلدة وقد نسي بها ما كان يعلم وغرق في ديونه ! ! ان السخرية المرة تكاد تطفح منها حيث يقول :

سقى همذان الغيث لست بقائل ... سوى ذا وفي الاحشاء نار تضرم
ومالي لا اصفي الدعاء لبلدة ... افدت بها نسيان ما كنت أعلم
نسيت الذي احسنته غير انني ... مدين وما في جوف بيتي درهم

* * *

19) تمام فصيح الكلام ص 25 .
20) الصاحبي 31 .
21) المنتخب : الجرجاني ص 120 .

على ان سخريته هذه تتجلى في هزئه من قيم مجتمعه الَّذيْ يوقر الغني لغنـاه ومالك الدرهم لدرهمه فيقول :

يا ليت لي ألف دينار موجهة ... وان حظي منها فلس افلاس
قالوا : فما لك منها قلت يخدمني ... لها ومن أجلها الحمقى من الناس

وانطلاقا من قاعدة توقير الدينار والدرهم نراه يقول :

اذا كنت في حاجة مرسلا ... وانت بها كلف مغرم
فارسل حكيما ولا توصه ... وذاك الحكيم هو الدرهم

ونراه في موضع آخر يلح على هذه الفكرة شرحا وايضاحا ويعرضها عرضا جديدا اذ يقول :

قد قال فيما مضى حكيم ... ما المرء الا بأصغريه
فقلت قول امرىء لبيب ... ما المرء الا بدرهميه
من لم يكن معه درهماه ... لم تلتفت عرسه اليه
وكان من ذله حقيرا ... تبول سنوره عليه

وتأسيسا على ما تقدم فقد واجه ابن فارس مأساته وجها لوجه .. فالعلم والادب لا يجلبان غير الفقر فليطلب الانسان اي مورد من موارد الرزق الا العلم والادب فليس فيهما مورد رزق :

وصاحب لي اتاني يستشير وقد ... اراد في جنبات الارض مضطربا
قلت اطلب اي شيء شئت واسع ورد ... منه الموارد الا العلم والادبا

لقد كان شعوره بالغربة والضياع .. ضياع الادباء والعلماء في عصره عميقا وجديا وموشحا بالكآبة ولذلك قرأنا له قوله :

وقالوا كيف حالك قلت خير ... تقضى حاجة وتفوت حاج
اذا ازدحمت هموم الصدر قلنا ... عسى يوما يكون لها انفراج
نديمي هرتي وانيس نفسي ... دفاتر لي ومعشوقي السراج

ويسلمه هذا الشعور الاسيان بالضياع الى رضا بما يكتبه القدر :

تلبس لباس الرضا بالقضا ... وخل الامور لمن يملك
تقدر أنت وجاري القضا ... ء مما تقدره يضحك

ويقـــول أيضـــا :

مشيناها خطـى كتبـت علينـا ومن كتبت عليـه خطى مشاهـا
وما غلظت رقاب الأســد حتـى بأنفسها تولـت مـا عنـاهـا

وبمثل هذه الروح القانعة بالقضاء المستسلمة الى حكمه يتوجه الى ربه بصلاة خاشعة وتوبة من الأعماق قبيل وفاته اذ يقول :

يا رب ان ذنوبي قد أحطت بهـا علما وبي وباعلانـي واسـراري
أنا الموحد لكنـي المقـر بهـا فهب ذنوبـي لتوحيدي واقـراري

* * *

ان ابن فارس الذي قضى حياته قارئا كاتبا قد عجب للذين يردهم حر الصيف وبرد الشتاء عن طلب العلم فنراه يعبر عن ذلك بقوله :

اذا كنت تأذى بحـر المصيـف ويبـس الخريف وبـرد الشتـا
ويلهيـك حسن زمـان الربيـع فاخذك للعلم قـل لـي متـى ؟ !

* * *

وهو بحكم تجربته المرة قليل الثقة بالثقات فنراه يحذرك قائلا :

اسمـع مقالـة ناصـح جمـع النصيحـة والمقـه
ايـاك واحـذر ان تبيـت من الثقـات علـى ثقـة

* * *

ويقول متأثرا بشاعر سبقه :

عتبت عليه حين سـاء صنيعـه وآليت لا امسيت طـوع يديـه
فلما خبـرت الناس خبـر مجـرب ولـم ار خيرا منه عـدت اليـه

* * *

وتبقى بعد هذا أبيات من الغزل المتكلف هي من غزل العلماء الذين لم يعانـوا تجربة الحب من أعماقهم فبقي غزلهم سطحيا استمع الى قوله :

قالوا لـي اختـر فقلـت ذا هيـف بي من وصـال وصـده بـرح
بـدر مليـح القـوام معتـدل قفـاه وجـه ووجهـه ربـح

وقولـــــــه :

مـــــرت بنـــا هيفـــاء مقـــــــدودة تركيـــــة تنمــــــى لتـــركـــــي
ترنـــو بطـــرف فاتـــن فـــاتـــــر كـــأنــــه حجـــــة نحـــــوي

وقولـــــــه :

كـــــل يـــــوم لـــــي مـــن سلـــــ ـــمي عتـــــاب وسبــــــاب
وبـــادلنـــي مـــــا الاتـــــــــى منهمـــــا يـــــودى الشبــــــاب

وتظل بعد هذا قصيدة عينية قالها فى معاني كلمة (العين) فى اللغة رأينا مـــن الجدير اثباتها ها هنا استكمالا للبحث فهي النموذج لاستعمال الشعر فى تقييد مسائل اللغة ، قال ابن فارس :

يا دار سعدى بذات الضال من اضـــم سقاك صوب حيا من واكف العـــين
العين سحاب ينشأ من قبل القبلة .

انـــي لأذكـــر ايامـــا بهـــا ولنـــــا فى كـــل اصبـــاح يوم قـــرة العـــــين
العين هاهنا : عين الانسان وغيره .

تدنـــي معشقـــــة منـــا معتقـــــة تشجها عذبة مـــن نابـــــع العــــين
العين هاهنا : ما ينبع منه الماء .

اذا تمززها شيـــخ بـــــه طـــــرق سرت بقوتها فى الســـــاق والعـــين
العين ها هنا : عين الركبة ، والطرق : ضعف الركبتين .

والزق ملآن مـــن مـــاء الســـرور فلا تخشـــى تولـــه ما فيـــه من العـــين
العين ها هنا : ثقب يكون فى المزادة ، وتوله الماء : ان يتسرب .

وغاب عذالنا عـــنا فـــلا كـــــــدر فى عيشنا من رقيب السوء والعــــين .
العين ها هنا : الرقيـــب .

يقسم الود فيما بيننــــا قسمــــــا ميزان صــــدق بلا بخس ولا عــــين
العين ها هنا : العين فى الميزان .

وناقص المال يغنينـــا بحاضـــــره فنكتفي من ثقيل الديـــن بالعـــــين
العين ها هنا : المال الناض .

والمجمل المجتبى تغنى فوائده   حفائظه من كتاب الجيم والعين

* * *

وحدث هلال بن المظفر الريحاني قال : قدم عبد الصمد بن بابك الشاعر الى الري ، فى ايام الصاحب فتوقع ابو الحسين احمد بن فارس أن يزوره ابن بابك ، ويقضي حق علمه وفضله ، وتوقع ابن بابك ، ان يزوره ابن فارس ، ويقضي حق مقدمه ، فلم يفعل احدهما ما ظن صاحبه ؛ فكتب ابن فارس الى القاسم بن حسولة :

تعديت فى وصلي فعدي عتابك   وادنى بديلا من نواك ايابك
تيقنت ان لم احظ والشمل جامع   بايسر مطلوب فهلا كتابك
ذهبت بقلب عيل بعدك صبره   غداة ارتنا المرقلات ذهابك
وما استمطرت عيني سحابة ريبة   لديك ولا مست يميني سخابك
ولا نقيت والصب يصبو لمثلها   من الوجنات الغانيات نقابك
ولا قلت يوما من قلى وسآمة   لنفسك : سلي عن ثيابي ثيابك
وانت التي شيبت قبل اوانه   شبابي سقى الغر الغوادي شبابك
تجنبت ما اولى وعاتبت ما كفى   الم يأن سعدى أن تكفي عتابك !
وقد نبحتني من كلابك عصبة   فهلا وقد حالوا زجرت كلابك
تجافيت عن مستحسن البر جملة   وجرت على بختي جفاء ابن بابك

فلما وقف ابو القاسم الحسولي على الابيات ، ارسلها الى ابن بابك ، وكان مريضا ، فكتب جوابها بديها : وصلت الرقعة — اطال الله بقاء الاستاذ — وفهمتها ، وانا اشكو اليه الشيخ ابا الحسين فانه صيرني فصلا لا وصلا ، وزجا لا نصلا ، ووضعني موضع الحلاوى من الموائد ، وقمت من أواخر القصائد ، وسحب اسمي منها مسحب الذيل ، وأوقعه موقع الذنب المحذوف من الخيل ، وجعل مكاني مكان القفل من الباب ، وفذلك من الحساب ، وقد اجبت عن ابياته بأبيات ، أعلم ان فيها ضعفا لعلتين علتي ، وعلتها ، وهي :

ايا اثلاث الشعب من مرج يابس   سلام على آثاركن الدوارس
لقد شاقني والليل فى شملة الحيا   اليكن ترجيع النسيم المخالس
ولمحة برق مستضيء كأنه   تردد لحظ بين أجفان ناعس
فبت كأني مصعدة يمنية   ترمزع فى نقع من الليل دامس
الا حبذا صبح اذا ابيض افقه   تصدع عن قرن بن الشمس وارس
ركبت من الخلصاء ارقب سيلها   ورود المطي الظامئات الكوانس
فيا طارق الزوراء قل لغيومها   اهلي على مغنى من الكرخ آنس

وقـل لريـاض القفص تهدي نسيمها	سلمت على بعد المزار بآيـــس
الا ليت شعري هل ابيتن ليلـــة	لقى بين اقراط المها والمحابـــس
وهل ارين الـسري دهليـــز بابـــك	وبابك دهليز الـى أرض فـــارس
ويصبح ردم السد ثقـــلا عليهمـــا	كما صرت ثقلا في ثوابي ابن فـارس

فعرض ابو القاسم الحسولي المقطوعتين على الصاحب ، وعرفه الحال فقال : البادىء أظلم ، والقادم بزار ، وحسن العهد من الايمـــان .

مصـــادر الفصـــل :

1) معجم الادباء — ياقوت 81/4 — 98 .
2) يتيمة الدهر — الثعالبي 400 — 407 .
3) وفيات الاعيان — ابن خلكان 100 — 101
4) بغية الوعـــاة — السيوطـــي 352 — 353 .
5) المنتظم — ابن الجوزي 103/7 .
6) انباه الرواة — القفطي 93 — 95 .
7) الفلاكة والفلاكـــون — الدلجي 141 — 142 .
8) النجوم الزاهرة — ابن تغري بردي 213/4 .
9) الكامل — ابن الاثيـــر 711/8 .
10) الآثار الباقية — البيروني ص 338 .
11) التذكرة السعدية — العبيدي — مخطوط —
12) شذرات الذهب — ابن العماد 133/3 — مصورة الاستاذ عبد الله الجبوري من نسخة كوبرلي بالاستانة .
13) اعيان الشيعة — العاملي 226/9 .
14) نزهة الالباء — الانباري 322 .
15) دائرة معارف — البستانـــي 419/3 .

آثـــــاره :

ضرب ابن فارس بسهم وافر في حركة التأليف في عصره ، وفي الوان متعددة من فنون المعرفة . وقد حفظت لنا أسماء تآليفه الكثار . وهذه التآليف ثلاثة أصنـــاف : المطبوع ، والمخطوط ، والمفقود . وفيما يلي ثبتا بهذه التآليف طبقا لأصنافها :

اولا : آثـاره المطبـوعـــة :

1 — ابيات الاستشهاد : نشره عبد السلام محمد هارون ضمن المجموعة الثانية من نوادر

المخطوطات — مطبعة السعادة — القاهرة 1951 وقد حققه على نسخة فريـــدة محفوظة فى الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم 445 ادب .

2 — الاتباع والمزاوجة : ذكره السيوطي ضمن تآليف ابن فارس فى بغية الوعاة 352/1 رقم الترجمة 680 كما ذكره مرة ثانية فى كتابه المزهر 414/1 وقال انه اختصره وزاد عليه ما فات المصنف فى تأليف سماه « الالماع فى الاتباع » . وكتاب الاتباع والمزاوجة يبحث فيما ورد من كلام العرب مزدوجا . وقد نشر أولا بتحقيق المستشرق رودولف برونو فى جيسن بالمانيا سنة سنة 1906 على نسخة خطية مؤرخة فى 626 هـ . ثم اعاد نشره كمال مصطفى فى القاهرة سنة 1947 بمطبعة السعادة محققا على نسختين نسخـــة برنو المذكورة ونسخة خطية محفوظة فى دار الكتب المصرية ومؤرخة فى 711 هـ وهي من كتب العلامة الشنقيطي .

3 — تمام فصيح الكلام : ورد فى معجم الادباء 82/4 باسم (الفصيح) وفى هدية العارفين 68/1 باسم (تمام الفصيح فى اللغة) وفى تاريخ الأدب العربي لبروكلمان 268/2 ورد باسم (تمام فصيح الكلام) . وذكر بروكلمان انه فى مكتبة كرنكو نسخة منه عـــن مخطوط فى النجف كتبه ياقوت الحموي فى مروروذ يوم 7 من ربيع الثاني 616 هـ عن نسخة بخط المؤلف سنة 393 هـ .

وقد نشر هذا الكتاب المستشرق الانكليزي ا . ج . آربري فى لندن سنة 1951 بطريقة التصوير عن مخطوطة جستر بتي فى دبلن مع مقدمة بالانكليزية . ومن ملاحظة النسخة المصورة وجدت انها هي بالذات النسخة النجفية التي تحدث عنها بروكلمان ويبدو انها تسربت الى دبلن مع غيرها من نفائس تراثنا . ويلاحظ أن النسخة المذكورة ضمن مجموع يضم فصيح ثعلب ثم تمام الفصيح لابن فارس ثم مقتطفات من كتاب لحن العامة للسجستاني وكلها بخط ياقوت الرومي الحموي . و (تمام فصيح الكلام) اعاد نشره الدكتور مصطفى جواد فى بغداد سنة 1969 ضمن كتاب رسائل فى النحو واللغة — سلسلة كتب التراث 11 الصادرة عن وزارة الثقافة والأعلام العراقيـــة — مطبعة الجمهورية ، الا انه لم يشر الى الطبعة الاولى للكتاب خلافا للامانة العلمية.

4 — خلق الانسان : ذكره ياقوت فى معجم الأدباء 84/4 كما ذكره السيوطي فى بغية الوعاة 352/1 وطبقات المفسرين 4 وورد ذكره أيضا فى كشف الظنون عمود 722 وهدية العارفين 68/1 ومصباح السعادة 110/1 وذكره بروكلمان 267/2 باسم مقالة فى أسماء اعضاء الانسان نشره للمرة الاولى الدكتور داود الجلبي فى مجلة (لغة العرب) — 9 — بغداد 1931 (ص 110 — 116) ثم اعاد نشرها الدكتور فيصل دبدوب فى الجزء الثاني من المجلد الثاني والاربعين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشـــق — نيسان 1967 ص 235 — 245 ولم يشر الدكتور فيصل الى النشرة الاولى خلافـــا للامانة العلمية .

5 — ثم الخطا في الشعر : ذكره السيوطي في بغية الوعاة 352/1 كما ذكره في كشف الظنون 827 وهدية العارفين 68/1 ومفتاح السعادة 109/1 وبروكلمان 266/2 وقد نشر هذا الكتاب وهو رسالة في أربع صفحات في ذيل كتاب الكشف عن مساوىء شعر المتنبي للصاحب بن عباد — مطبعة المعاهد — القاهرة 1349 هـ .

6 — سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : ورد ذكره في معجم الادباء 84/4 وطبقات المفسرين 4 ونسخة المخطوطة تحمل عناوين مختلفة فنسخة الاسكوريال والقاهرة تحمل اسم (مختصر سيرة رسول الله) ونسخة برلين عنوانها (مختصر في نسب النبي ومولده ومنشئه ومبعثه) وعنوان نسخة الفاتيكان (راعي الدرر ورائق الزهر في اخبار خير البشر) وفي هامبورغ (اخصر سيرة سيد البشر) وفي بايزيد بالاستانة (مختصر سيرة رسول الله) .

وقد طبع هذا الكتاب في الجزائر اول مرة سنة 1301 هـ تحت عنوان (اوجز السير لخير البشر) . ثم طبع ثانية في بومباي سنة 1311 هـ ومنه نسختان بمكتبة الاوقاف العامة في بغداد .

7 — الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها : ذكر باسم (فقه اللغة) في نزهة الالباء 321 وبغية الوعاة 352/1 وهدية العارفين 68/1 وكشف الظنون 1288 وذكر باسم (الصاحبي) في معجم الأدباء 84/4 وكشف الظنون 1068 وهديةالعارفين 68/1 وسمي بذلك لأنه صنفه برسم خزانة الصاحب بن عباد ، وذكر باسم (فقه اللغات) في طبقات المفسرين 4 ومفتاح السعادة 109/1 ، والكتاب واحد وان اختلفت التسميات ، وقد صرح ابن فارس بذلك في مقدمة كتابه اذ قال : هذا الكتاب — الصاحبي في فقه اللغة العربية .. وانما عنونته بهذا الاسم لاني لما الفته اودعته خزانة الصاحب الجليل كافي الكفاة الخ .... وقد صدر للمرة الاولى بعناية محب الدين الخطيب عن المكتبة السلفية بالقاهرة سنة 1910 عن نسخة الشنقيطي . ثم نشره ثانية محققا تحقيقا علميا على مخطوطتي بايزيد واياصوفيا الدكتور مصطفى الشويمي في بيروت — 1963 ضمن سلسلة المكتبة اللغوية العربية مطابع أ . بدران — بيروت . .

وقد حصل خلط طباعي في مقدمة بحث الدكتور ديدوب اوهم بأن الشيات والحلي هو كتاب فقه اللغة فوجب التنبيه ومنه نقله مصطفى جواد في مقدمته لتمام فصيح الكلام ، دون أن يتنبه لشناعة الغلط .

8 — فتيا فقيه العرب : ذكره بهذا الاسم الانباري في نزهة الالباء 321 والقفطي في أنباه الرواة 94/1 والسيوطي في المزهر 622/1 وسماه ابن خلكان في الوفيات (مسائل في اللغة وتعاياتها الفقهاء) 100/1 وسماه اليافعي في مرآة الجنان 442/2 (مسائل في اللغة يتعانى الفقهاء) وتوهم السيوطي في بغية الوعاة 352/1 فظنه كتابين الأول فتاوي فقيه العرب والثاني مسائل في اللغة يغالي بها الفقهاء . وسماه الدلجي في

(الفلاكة والمفلوكون) (مسائل في اللغة يعايا بها الفقهاء) ص 141 ومثله في الديباج المذهب ص 36 . وسمي (فتاوي فقيه العرب) في هدية العارفين 68/1 ومفتاح السعادة 110/1 .

وقد نشره على نسخة فريدة محفوظة بدار الكتب الرضوية بمشهد في خراسان الصديق الدكتور حسين علي محفوظ وذلك في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1958 كما نشر مستلا من المجلة محققا تحقيقا ممتازا جديرا بالتقدير .

9 — اللامات : ذكره بروكلمان 267/2 وان منه نسخة مخطوطة بالظاهرية في دمشق وقد نشره المستشرق برجستراسي في مجلة (اسلاميكا) 77/1 — 99 الصادرة سنة 1924 — 1925 ويشرف على هذه المجلة المستشرق فيشر .

10 — متخير الالفاظ — وقد ذكره ابن فارس في آخر الجزء الثاني من (المجمل) المخطوط المحفوظ في المكتبة العثمانية الحلبية تحت رقم 839 ونص كلامه :

« وهذا آخر مجمل اللغة فاحفظه وتدبر ترتيب ابوابه واعلم اني توخيت الاختصار كما أرغب وآثرت الايجاز كما سألت واقتصرت على ما صح عندي سماعا ومن كتاب صحيح النسب مشهور ولولا توخي ما لم اشك فيه من كلام العرب لوجدت مقالا . ولكني عمدت للاصول التي اسميتها في كتابي فجمعتها فيه بأوجز قول وأقربه ورجوت ان يكون هذا المختصر كافيا في بابه مستعينا في معرفة صحيح كلام العرب وما يتداوله الناس من غريب القرآن والحديث وكثير من غريب الشعر عن غيره وكل ما شذ عن كتابنا هذا من محاسن كلام العرب والالفاظ التي يستعان بها في الاشعار والمكاتبات فقد ذكرناه في الكتاب الذي سميناه (متخير الالفاظ) والله اسأل أن يوفقنا واياك لكل صالحة ويعيذنا واياك من السوء كله » .

وقد ورد ذكر المتخير في معجم الادباء 84/4 وفي نزهة الالباء 321 كما ذكره الجرجاني في كتابه كنايات الأدباء باسم مختار الالفاظ ص 145 وسنفرد لهذا الكتاب فصلا مستقلا .

11 — مجمل اللغة : ورد ذكره في معجم الادباء 84/4 ونزهة الالباء 321 والبداية والنهاية 296/11 و 335/11 وطبقات المفسرين 4 وبغية الوعاة 352/1 ووفيات الاعيان 100/1 والفلاكة والمفلوكون 141 وشذرات الذهب 132/3 والنجوم الزاهرة 212/4 والكامل لابن الاثير 258/8 والديباج المذهب 36 وكشف الظنون 1604 وهدية العارفين 69/1 ومفتاح السعادة 104/1 وقد ذكر بروكلمان 265/2 مخطوطاته المتناثرة في مكتبات العالم ويمكن ان نضيف اليها مخطوطة المتحف العراقي وهي من انفس مخطوطاته ، ومخطوطة سامراء ، ومخطوطة حلب التي اشرنا اليها . وقد نشر الجزء الاول من هذا المعجم القيم لأول مرة في القاهرة واوله كتاب الهمزة وآخره باب الدال واللام ، وقد طبع على نفقة محمد ساسي المغربي سنة 1332 هـ — 1914 م

بمطبعة السعادة وعدد صفحاته 319 صفحة . ثم اعيد طبع الجزء الاول بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد سنة 1947 بمطبعة السعادة ايضا بمصر وعدتـــه 319 صفحة ايضا . وآخره باب الدال واللام ولم تنشرأجزاؤه الباقية حتى اليوم وقد علمنا ان بعض العراقيين قد نهد الى تحقيقه فعسى ان يكلل هذا الجهد بالنجاح فينفض عن هذا السفر النفيس غبار القرون وتوهم الدكتور فيصل دبدوب حين ظن ان المجمـــل بكامله مطبـــوع .

12 — مقالة كلا وما جاء منها في كتاب الله . ذكرها ابن فارس في كتابه الصاحبي ص 162 اذ قال ما نصه . « وكلا كلمة موضوعة لما ذكرناه على صورتها في التثنيل وقد ذكرنـــا وجده كلا في كتاب افردناه » . وذكرها بروكلمان 267/2 . وقد نشرها عبد العزيـــز الميمني الراجكوتي ضمن كتاب ثلاث رسائل واولها مقالة كلا لابن فارس والثانية ما تلحن فيه العوام للكسائي والثالثة رسالة الشيخ ابن عربي الى الامام الفخر الرازي ، وقد طبعت في القاهرة سنة 1344 هـ ثم اعيد طبعها في القاهرة سنة 1387 هـ .

13 — مقاييس اللغة : ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والسيوطي في طبقات المفسرين 4 وذكر في هدية العارفين 69/1 وقد نشر هذا المعجم الجليل في ستة اجزاء الاستاذ عبد السلام محمد هارون في القاهرة 1366 — 1371 هـ — دار احياء الكتب العربية — عيسى البابي الحلبي وشركاه معتمدا مخطوطة مرو ومخطوطة القاهرة . ومن الكتابين مخطوطتين في لندن .

14 — النيروز — نشره عبد السلام محمد هارون ضمن المجموعة الخامسة سلسلة نوادر المخطوطات — القاهرة — مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر 1373 هـ — 1954م وقد اعتمد في نشرها نسخة فريدة في الخزانة التيمورية بالقاهرة .

15 — رسالته الى أبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب : وهي رسالة قيمة تعتبر نموذجا طيبا لنثره الفني وقد تضمنت دفاعا عن الحماسات المحدثة ومن محاسن شعراء عصره.اثبت منها الثعالبي فصلا مهما في اليتيمة (401/3) راينا اثباته في هذا الموضوع لانه من جيد آثاره المطبوعة . قال ابن فارس :

الهمك الله الرشاد واصحبك السداد ، وجنبك الخلاف ، وحبب اليك الانصاف . وسبب دعائي بهذا لك انكارك علي ابي الحسن محمد بن علي العجلي تاليفه كتابا في الحماسة ، واعظامك ذلك ، ولعله لو فعل حتى يصيب الغرض الذي يريده ، ويرد المنهل الذي يؤمه ، لاستدرك من جيد الشعر ونقيه ومختاره ورضيه كثيرا مما فات المؤلف الاول ، فماذا الانكار ؟ ولمه هذا الاعتراض ؟ ومن ذا حظر على المتاخر مضادة المتقدم ؟ ولمه تاخذ بقول من قال : ما ترك الأول للاخر شيئا ، وتدع قول الآخر . كم ترك الاول للاخر ، وهل الدنيا الا ازمان ، ولكل زمان منها رجال ؟ وهل العلوم بعد الاصول المحفوظة الا خطرات الاوهام ونتائج العقول ؟ ومن قصر الاداب علـــى زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ؟ ولمه لا ينظر الآخر مثل ما نظر الاول حتى

يؤلف مثل تاليفه ويجمع مثل جمعه ، ويرى في كل ذلك مثل رأيه ؟ وما تقول لفقهاء زماننا اذا نزلت بهم من نوادر الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ؟ أو ما علمت ان لكل قلب خاطرا ولكل خاطر نتيجة ؟ ولمه جاز أن يقال بعد أبي تمام مثل شعره ولم يجزأن يؤلف مثل تاليفه ؟ ولمه حجرت واسعا ، وحظرت مباحا ، وحرمت حلالا ، وسددت طريقا مسلوكا ؟ وهل حبيب الا واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ؟ ولم جاز ان يعارض الفقهاء في مؤلفاتهم ، وأهل النحو في مصنفاتهم ، والنظار في موضوعاتهم ، وأرباب الصناعات في جميع صناعاتهم ، ولم يجز معارضة ابي تمام في كتاب شذ عنه في الأبواب التي شرعها فيه امر لا يدرك ولا يدري قدره ؟ ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ، ولذهب ادب غزير ، ولضلت افهام ثاقبة ، ولكلت السن لسنة ، ولما توخى احد الخطابة ، ولا سلك شعبا من شعاب البلاغة ، ولمجت الأسماع كل مردود مكرر ، وللفظت القلوب كل مرجع ممضغ وختام لا يسام .

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي

والى متى : صفحنا عن بني ذهل

ولمه انكرت على العجلي معروفا واعترفت لحمزة بن الحسين ما انكره على ابي تمام في زعمه ان في كتابه تكريرا وتصحيفا وايطاء واقواء ونقلا لأبيات عن أبوابها الى أبواب لا تليق بها ولا تصلح لها ، الى ما سوى ذلك ، من روايات مدخولة وامور عليلة ، ولمه رضيت لنا بغير الرضى ؟ وهلا حثثت على اثارة ما غيبته الدهور ، وتجديد ما اخلقته الأيام ، وتدوين ما نتجته خواطر هذا الدهر ، وأفكار هذا العصر على ان ذلك لو رامه رائم لأتعبه . ولو فعله لفرات ما لم ينحط عن درجة من قبله ، من جد يروعك ، وهزل يروقك واستنباط يعجبك ، ومزاح يلهيك .

وكان بقزوين رجل معروف بأبي محمد الضرير القزويني حضر طعاما والى جنبه رجل اكول ، فاحس ابو حامد بجودة أكله فقال (من الرجز) :

وصاحب لي بطنه كالهاويــة كان في امعائــه معاويــة

فانظر الى وجازة هذا اللفظ ، وجودة وقوع الامعاء الى جنب معاويه وهل ضر ذلك ان لم يقله حماد عجرد وأبو الشمقمق ؟ وهل في اثبات ذلك عار على مثبته ؟ أو في تدوينه وصمة على مدونيه ؟

وبقزوين رجل يعرف بابن الرياشي القزويني نظر الى حاكم من حكامها من اهل طبرستان مقبلا ، عليه عمامة سوداء وطيلسان أزرق وقميص شديد البياض وخفه احمر وهو مع ذلك كله قصير على برذون أبلق هزيل الخلق طويل الحلق ، فقال حين نظر اليه (من السريع) :

وحاكم جاء على أبلــق كعقعق جاء على لقلــق

فلو شاهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدت للشاعر بصحة التشبيه وجودة التمثيل ولعلمت انه لم يقصر عن قول بشار (من الطويل) :

كان مثار النقع فوق رؤسنا   واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فما تقول لهذا ؟ وهل يحسن ظلمه في انكار احسانه وجحود تجويده ؟

وانشدني الاستاذ ابو علي محمد بن احمد بن الفضل لرجل بشيراز يعرف بالهمذاني ، وهو اليوم حي يرزق ، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاما مرض منه (من المتقارب) :

وقيت الردى وصروف العلل   ولا عرفت قدماك الزلل
شكا المرض المجد لما مرضت   فلما نهضت سليما ابل
لك الذنب لا عتب الا عليك   لماذا اكلت طعام السفل
طعام بسوى بيتسع النبيذ   ويصلح من حذر ذاك الممل

وانشدني له في شاعر هو اليوم هناك يعرف بابن عمرو الاسدي وقد رايته فرايت صفة وافقت الموصوف (من المنسرح) :

واصفر اللون ازرق الحدقة   في كل ما يدعيه غير ثقة
كانه مالك الحزين اذا   هم بزرق وقد لوى عنقه
ان تمت في هجوة بقافية   فكل شعر اقوله صدقه

وانشدني عبد الله بن شاذان القاري ليوسف بن حمويه من اهل قزوين ويعرف بابن المنادى (من الوافر) :

اذا ما جئت احمد مستميحا   فلا يغررك منظره الانيق
له لطف وليس لديه عرف   كبارقة تروق ولا تريق
فما يخشى العدو له وعيدا   كما بالوعد لا يثق الصديق

وليوسف محاسن كثيرة وهو القائل ، ولعلك سمعت به (من الخفيف) :

حج مثلي زيارة الخمار   واقتنائي العقار شرب العقار
ووقاري اذا توقر ذو الشيبـ   ـة وسط الندى ترك الوقار
ما ابالي اذا المدامة دامت   عذل ناه ولا شناعة جاري
رب ليل كانه فرع ليلى   ما به كوكب يلوح لساري
قد طويناه فوق خشف كحيل   احور الطرف فاتر سحار
وعكفنا على المدامة فيه   فراينا النهار في الظهر جاري

وهي مليحة كما ترى ، وفي ذكرها كلها تطويل ، والايجاز امثل وما احسبك ترى بتدوين هذا وما اشبهه بأسا .

ومدح رجل بعض امراء البصرة ثم قال بعد ذلك وقد راى توانيا في امره قصيدة يقول فيها كأنه يجيب سائلا (من مجزوء الكامل) :

جودت شعرك في الأمير فكيف امرك ؟ قلت : فاتر

فكيف تقول لهذا ؟ ومن اي وجه تأتي فتظلمه ؟ وبأي شيء تعانده فتدفعه عن الايجاز والدلالة على المراد بأقصر لفظ واوجز كلام ؟ وانت الذي أنشدتني (من مجزوء الكامل) :

سد الطريق على الزمان وقام في وجه الخطوب

كما نشدتني لبعض شعراء الموصل (من المتقارب) :

فديتك ما شبت من كبرة وهذي سني وهذا الحساب
ولكن هجرت فحل المشيب ولو قد وصلت لعاد الشباب

فلم لم تخاصم هذين الرجلين في مزاحمتهما فحولة الشعراء وشياطين الانس ومردة العالم في الشعر ؟

وانشدني عبد الله المغلسي المراغي لنفسه (من الطويل) :

غداة تولت عيسهم فترحلوا بكيت على ترحالهم فعميت
فلا مقلتي ادت حقوق ودادهم ولا انا عن عيني بذاك رضيت

وانشدني احمد بن بندار لهذا الذي قدمت ذكره ، وهو اليوم حي يرزق (من الخفيف) :

زارني في الدجى فنم عليه طيب اردانه لدى الرقباء
والثريا كأنها كف خود ابرزت من غلالة زرقاء

وسمعت ابا الحسين السروجي يقول : كان عندنا طبيب يسمى النعمان ويكنى ابا المنذر ، فقال فيه صديق لي (من الطويل) :

اقول لنعمان وقد ساق طبه نفوسا نفيسات الى باطن الارض
(ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض)

* * *

آثـــاره المخطـوطـــة :

1 — اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم : ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والسيوطي في طبقات المفسرين 4 والبغدادي في هدية العارفين 68/1 ومنه نسخة مخطوطـة في تازان (انظر 94 د DER ISLAM XVII ذكرها بروكلمان 267/2 .

2 — الثلاثة : ذكره البغدادي في هدية العارفين 69/1 والزركلي في الاعـــلام 184/1 وبروكلمان في تاريخ الادب العربي 266/2 وهارون في مقدمة المقاييس 28 ومن هذا الكتاب مخطوط بالاسكوريال برقم 363 وقرأنا ان الدكتور رمضان عبد التواب قـد انتهى من تحقيقه تمهيدا لنشره وابن فارس يعالج في الكتاب ثلاثة تقاليب للمـــادة الواحدة فهو كتاب في الالفاظ . ومن الغريب ان الدكتور مصطفى الشويمي في مقدمتـه لكتاب الصاحبي قال : انه لم يستطيع ان يضع الكتاب في احدى المجموعات السابقة لان عنوانه لا ينم عن موضوعه .

3 — الليل والنهار : ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والسيوطي في طبقات المفسرين 4 وبغية الوعاة 352/1 وحاجي خليفة في كشف الظنون 1454 والبغدادي في هديـــة العارفين 69/1 وطاش كبرى زادة في مفتاح السعادة 110/1 ومنه نسخة مخطوطة ضمن مجموع في مكتبة لا ييزغ رقم 780 ذكرها بروكلمان 267/2 وقال ان عنوانها : قصص النهار وسمر الليل .

4 — مختصر في المذكر والمؤنث : منه نسخة فريدة في الخزانة التيمورية بدار الكتـــب المصرية رقمها 265 لغة وقد قرانا في مجلة المكتبة الغراء لصاحبها المفضال الاستاذ قاسم محمد الرجب ان الدكتور رمضان عبد التواب قد انتهى من تحقيقه .

5 — اليشكريات : ذكر بروكلمان في تاريخ الادب العربي 267/2 ان منه مخطوطـــة في المكتبة الظاهرية بدمشق 29 ، 9 ، 3 .

آثـــاره المفقـــودة :

ان ما نسميه بالآثار المفقودة لا يعني ان الأمل في العثور عليها قد انقطـع ، ولكنه يعني انه لم يعثر عليها حتى اليوم وقد تجود بها الايام ضمن نفائس المخطوطات غير المفهرسة في كثير من ارجاء الوطن العربي ، وما ذلك ببعيد ومتخير الالفاظ الذي ننشره اليوم والذي كشفناه مؤخرا مثال جيد لآثاره التي كانت في وادي الفقدان الى أمد قصير جدا . وعلى أية حال فان المفقود من آثار ابن فارس يمكن حصره في الآتي :

1 — اصول الفقه : ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 .

2 — الاضداد : ذكره ابن فارس في الصاحبي صفحة 66 من الطبعة الاولى والصفحة 98 من الطبعة الجديدة ونص عبارته : « ومن سنن العرب في الاسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو : الجون للاسود ، والجون للابيض . وأنكر ناس هذا المذهب وان العرب تاتي باسم واحد لشيء وضده . هذا ليس بشيء ، وذلك ان الذين رووا ان العرب تسمي السيف مهندا والفرس طرفا هم الذين رووا ان العرب تسمي المتضادين باسم واحد . وقد جردنا في هذا كتابا ذكرنا فيه ما احتجوا به . وذكرنا رد ذلك ونقضه. فلذلك لم نكرره)) .

والاضداد هذا لم يذكره أحد ممن ترجم لابن فارس .

3 — الافـــــراد : ذكره بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي في البرهان في علوم القرآن واقتبس منه اقتباسا مطولا من 105 — 110 رأينا من المفيد اثباته لفقدان الاصـــل وهذا نصـــــه :

« وقال ابن فارس في كتاب « الافراد » :

كل ما في كتاب الله من ذكر (الاسف) فمعناه الحزن ، كقوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام . (يا أسفا على يوسف) الا قوله تعالى : (فلما آسفونا) فان معناه (اغضبونا) ، واما قوله في قصة موسى عليه السلام : (غضبان اسفا) فقال ابن عباس (مغتاظا) .

وكل ما في القرآن من ذكر (البروج) فانها الكواكب ، كقوله تعالى (والسماء ذات البروج) الا التي في سورة النساء : (ولو كنتم في بروج مشيدة) فانها القصـــور الطوال ، المرتفعة في السماء ، الحصينة . وما في القرآن من ذكر (البر) و (البحر) فانه يراد بالبحر الماء ، وبالبر التراب اليابس ، غير واحد في سورة الروم : (ظهر الفساد في البر والبحر) فانه يعني البرية والعمران . وقال بعض علمائنا : قتل ابن آدم اخاه ، (البحر) أخذ الملك كل سفينة غصبا .

والبخس في القرآن النقص ، مثل قوله تعالى : (فلا يخاف بخسا ولا رهقا) الا حرفا واحدا في سورة يوسف : (وشروه بثمن بخس) فان أهل التفسير قالوا : بخس: حـــــــــرام .

وما في القرآن من ذكر البعل فهو الزوج ، كقوله تعالى (وبعولتهن أحق بردهن) الا حرفا واحدا في الصافات (أتدعون بعلا) فانه اراد صنما .

وما في القرآن من ذكر البكم فهو الخرس عن الكلام بالايمان . كقوله : (صـــم بكـــم) انما اراد (بكم) عن النطق والتوحيد مع صحة السنتهم ، الا حرفـــــين : احدهما في سورة بني اسرائيل (عميا وبكما وصما) والثاني في سورة النحل : قوله عز وجل (احدهما ابكم) فانها في هذين الموضعين : اللذان لا يقدران على الكلام .

وكل شيء في القرآن (جثيا) فمعنا (جميعا) الا التي في سورة الشريعة (وترى كل امة جاثية) فانه اراد تجثو على ركبتيها .

وكل حرف في القرآن (حسبان) فهو من العدد ، غير حرف في سورة الكهف (حسبانا من السماء) فانه بمعنى العذاب .

وكل ما في القرآن (حسرة) فهو الندامة ، كقوله عز وجل : (يا حسرة على العباد) الا التي في سورة آل عمران : (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) فانه يعني به (حزنا) .

وكل شيء في القرآن : (الدحض) و الداحض) فمعناه الباطل ، كقوله : (حجتهم داحضة) الا التي في سورة الصافات : (فكان من المدحضين) .

وكل حرف في القرآن من (رجز) فهو العذاب، كقوله تعالى في قصة بنيإسرائيل (لئن كشفت عنا الرجز) الا في سورة المدثر : (والرجز فاهجر) فانه يعني الصنم ، فاجتنبوا عبادته .

وكل شيء في القرآن من (ريب) فهو شك ، غير حرف واحد ، وهو قوله تعالى: (نتربص به ريب المنون) فانه يعني حوادث الدهر .

وكل شيء في القرآن (يرجمنكم) و (يرجموكم) فهو القتل ، غير التي في سورة مريم عليها السلام : (لارجمنك) يعني لأشتمنك .

قلت : وقوله : (رجما بالغيب) أي ظنا . والرجم ايضا : الطرد واللعن ، ومنه قيل للشيطان : رجيم .

وكل شيء في القرآن من (زور) فهو الكذب ، ويراد به الشرك ، غير التي في المجادلة : (منكرا من القول وزورا) ، فانه كذب غير شرك .

وكل شيء في القرآن من (زكاة) فهو المال ، غير التي في سورة مريم : (وحنانا من لدنا وزكاة) ،فانه يعني (تعطفا) .

وكل شيء في القرآن من (زاغوا) ولا تزغ) فانه من (مالوا) ولا (تمل) غير واحد في سورة الأحزاب : (واذا زاغت الأبصار) بمعنى (شخصت) .

وكل شيء في القرآن من (يسخرون) و (سخرنا) فانه يراد به الاستهزاء ، غير التي في سورة الزخرف : (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ، فانه أراد أعوانا وخدما

وكل سكينة في القرآن طمانينة في القلب ، غير واحد في سورة البقرة : (فيه سكينة من ربكم) ، فانه يعني شيئا كراس الهرة لها جناحان كانت في التابوت .

وكل شيء في القرآن من ذكر (السعير) فهو النار والوقود الا قوله عز وجل : (ان المجرمين في ضلال وسعر) ، فانه العناء .

وكل شيء في القرآن من ذكر (شيطان) فانه ابليس وجنوده وذريته الا قوله تعالى في سورة البقرة : (واذا خلوا الى شياطينهم) ، فانه يريد كهنتهم ، مثل كعب ابن الاشرف وحيي بن اخطب وابي ياسر أخيه .

وكل (شهيد) في القرآن غير القتلى في الغزو فهم الذين يشهدون على أمـور الناس ، الا التي في سورة البقرة قوله عز وجل : (وادعوا شهدائكم) ، فانه يريد شـركـائكـم :

وكل ما في القرآن من (أصحاب النار) فهم أهل النار الا قوله : (وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة) فانه يريد خزنتها .

وكل (صلاة) في القرآن فهي عبادة ورحمة الا قوله تعالى : (وصلـوات ومساجد) فانه يريد بيوت عباداتهم .

وكل (صمم) في القرآن فهو عن الاستماع للايمان ، غير واحد في بني اسرائيل ، قوله عز وجل : (عميا وبكما وصما) معناه لا يسمعون شيئا .

وكل (عذاب) في القرآن فهو التعذيب الا قوله عز وجل : (وليشهد عذابهما) فانه يريد الضـرب .

والقانتون : المطيعون ، لكن قوله عز وجل في البقرة : (كل له قانتون) معناه (مقرون) ، وكذلك في سورة الروم : (وله من في السموات والأرض كل له قانتون) يعني مقرون بالعبودية .

وكل (كنز) في القرآن الكريم فهو المال الا الذي في سورة الكهف : (وكان تحته كنز لهما) فانه اراد صحفا وعلما .

وكل مصباح في القرآن فهو الكوكب الا الذي في سورة النور : (المصبـاح في زجاجة) فانه السراج نفسـه .

النكاح في القرآن التزوج ، الا قوله جل ثناؤه : (حتى اذا بلغوا النكاح) فانه يعني الحلـم .

النبأ والانباء في القرآن الأخبار ، الا قوله تعالى : (فعميت عليهم الانباء) فانه بمعنى الحجـج .

الورود في القرآن الدخول ، الا في القصص : (ولما ورد ماء مدين) يعني هجم عليه ولم يدخله .

وكل شيء في القرآن من (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) يعني عن العمل الا في سورة النساء (الا ما آتاها) يعني النفقـة .

وكل شيء في القرآن من يأس فهو القنوط ، الا التي في الرعد (أفلم ييئس الذين آمنوا) أي ألم يعلموا . قال ابن فارس : أنشدني أبي ، فارس بن زكريا :

أقول لهم بالشّعب اذ ييسرونني   الم تيئسوا اني ابن فارس زهدم

وكل شيء في القرآن من ذكر (الصبر) محمود ، الا قوله عز وجل : (لولا أن صبرنا عليها) و (واصبروا على آلهتكم) . انتهى ما ذكره ابن فارس » .

وقد اقتبس السيوطي في كتابه « الاتقان » 132/2 الاقتباس عينه ونرجح انه نقل من البرهـــــان .

4 ـــ الأمالي : اقتبس منه ياقوت في معجم الأدباء 220/12 في اثناء ترجمة علي بن ابراهيم ابن سلمه القطان ونصه : « وقرأت في أمالي ابن فارس ، قال : سمعت أبا الحسن القطان بعد ما علت سنه وضعف يقول : كنت حين خرجت الى الرحلة احفظ مائة الف حديث ، وانا اليوم لا اقوم على حفظ مائة حديث . قال وسمعته يقول : أصبت ببصري واظن بكثرة بكاء ابي ايام فراقي لها في طلب الحديث والعلم . قال ابن فارس : حدثني أبو الحسن علي بن ابراهيم بن سلمة القطان رحمه الله بقزوين في مسجدهم يوم الاحد منتصف رجب سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة . وذكر تمام الاسناد » .

ومن الأمالي اقتبس ياقوت في معجم البلدان 405/1 في رسم أوطاس ونصه : « وقال أبو الحسين احمد بن فارس اللغوي في اماليه : انشدني ابي رحمه الله :

يا دار اقوت بأوطـــــاس وغيرهــــا	من بعد ما حولها الأمطـــار والمـــــور
كم ذا لأهلك من دهر ومن حجــــــج	وأين حل الدمى والكنس الحــــــور
ردي الجواب على حـــــران مكتئـــب	سماده مطلق والنـــــوم مأســـــور
فلم تبين لنا الاطـــــلال من خبـــــر	وقد تجلى العمايات الأخابيــــــر »

5 ـــ أمثلة الاسجاع : قال ابن فارس في خاتمة كتابه (الاتباع والمزاوجة) ص 70 ما نصه: « قد ذكرت ما انتهى الي من هذا الباب، وتحريت ما كان منه كالمقفى ، وتركت مـــا اختلف رويه ، وستري ما جاء من كلامهم في الأمثال ، وما أشبه الأمثال من حكمهم على السجع ، في كتاب أمثلة الاسجاع ، ان شاء الله تعالى » .

* * *

6 ـــ الانتصار لثعلب : ذكره السيوطي في بغية الوعاة 352/1 وحاجي خليفة في كشف الظنون 173 والبغدادي في هدية العارفين 68/1 وطاش كبرى زاده في مفتـــــاح السعادة 110/1 .

7 — تفسير أسماء النبي عليه الصلاة والسلام : ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والانباري في نزهة الالباء 321 والسيوطي في بغية الوعاة 352/1 وطاش كبرى زاده في مفتاح السعادة 110/1 . وسماه (النبي في تفسير أسماء النبي) في كشف الظنون 848 وفي هدية العارفين 69/1 .

وقد اقتبس منه ابن معصوم المدني في كتابه أنوار الربيع في أنواع البديع 291/5 وفيما يلي نص ما اقتبسه : « روى ابن فارس في كتابه أسماء النبي صلى الله عليه وسلم : أن في يوم حنين جاءته امرأة فانشدته شعرا تذكره أيام رضاعته في هوازن ، فرد عليهم ما أخذ ، وأعطاهم عطاء كثيرا ، حتى قوم ما أعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة ألف أوقية ، وهذا نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله . وروى عن زهير بن صرد الجشمي انه قال : لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ويوم هوازن ، وذهب يفرق السبي ، قمت بين يديه وقلت : يا رسول الله ، انما في الحظائر خالاتك ، وحواضنك اللاتي كفلنك ، ولو أنا صافحنا ابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ، ثم اصابنا منهما مثل أصابنا منك رجونا عفوهما وعطفهما ، ثم انشدته أبياتا منها :

امنن علينا رسول الله من كرم فانك المرء نرجوه وننتظره
امنن على نسوة قد كنت ترضعها اذ فوك تملؤه من محضها الدرر
والبس العفو من قد كنت ترضعه من أمهاتك ان العفو مشتهر

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وقالت قريش كذلك ، وقالت الانصار كذلك واطلقهم جميعهم » .

8 — الثياب والحلي : ذكره في معجم الادباء 84/4 وحرف الى الشيات والحلي في طبقات المفسرين ص 4 وهدية العارفين 69/1 والصواب ما ذهبنا اليه ذلك أن الثياب والحلي بابان متتابعان في معاجم الالفاظ (انظر الالفاظ لابن السكيت) وسوى ذلك .

9 — جامع التأويل في تفسير القرآن : ذكر ياقوت في معجم الأدباء انه في أربع مجلدات 84/4 وكذلك السيوطي في طبقات المفسرين 4 وسماه البغدادي في هدية العارفين : جامع التأويل في تفسير التنزيل .

10 — الجوابات : ذكره ابن فارس في الصاحبي ص 242 في خاتمة باب (ما يكون بيانه منفصلا منه ويجيء في السورة معها أو في غيرها / اذ قال ما نصه : وهذا في القرآن كثير ، افردنا له كتابا وهو الذي يسمى الجوابات .

وهذا الكتاب لم يذكره احد ممن ترجموا لابن فارس في القدماء والمعاصرين .

11 — الحبير المذهب : ذكره ابن فارس في مقدمة كتابه (متخير الألفاظ) اذ قال مانصه : (وقد تحريت في هذا الكتاب الايماء الى طرق الخطابة وآثرت فيه الاختصار وتنكبت

الاطالة . فمن سمت به همته الى كتاب اجمع منه ، قرا كتابي الذي اسميته (الحبير المذهب) فانه يوفي على سائر ما تركت ذكره ها هنا من محاسن كلام العـــــرب ان شاء الله .

والحبير المذهب هذا لم يذكره احد ممن ترجموا لابن فارس .

12 — الحجـــــر : ذكره ابن فارس في كتابه الصاحبي ص 44 كما ذكره ياقوت في معجم الادباء 87/4 والقفطي في انباه الرواة 93/1 والبغدادي في هدية العارفين 68/1 .

13 — حلية الفقهاء : ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 وابن خلكان في وفيات الاعيـــــان 100/1 وابن العماد في شذرات الذهب 132/3 والسيوطي في بغية الوعاة 352/1 وكشف الظنون 690 وايضاح المكنون 421/1 وهدية العارفين 68/1 .

14 — الحماسة المحدثة : ورد ذكره في معجم الادباء 84/4 وطبقات المفسرين 4 وسماه ابن النديم في الفهرست الحماسة . ولابن فارس دفاع عن الحماسات اوردناه فيما تقدم وحدثني الصديق الكريم عبد الله الجبوري ان العبيدي صاحب (التذكرة السعدية) قد اعتمد حماسة ابن فارس ونوه بها في تذكرته .

15 — خضارة : ذكره ابن فارس في الصاحبي ص 277 ونص عبارته « ومما سوى هذا مما ذكرت الرواة ان الشعراء غلطوا فيه فقد ذكرناه في كتاب خضارة ، وهو كتاب نـعت الشعـــــر » .

16 — دارات العرب : بهذا الاسم ورد في نزهة الالباء 321 وطبقات المفسرين 4 وباسم مقدمة كتاب دار العرب ورد في معجم الادباء 84/4 وقال عنه ياقوت في معجم البلدان 14/4 : ولم ار احدا من الائمة القدماء زاد على العشرين دارة ، الا ما كان من ابي الحسين بن فارس فانه افرد له كتابا فذكر نحو الاربعين ، فزدت انا عليه بحول الله وقوته نحوها »

17 — ذخائر الكلمات : ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والبغدادي في هدية العارفين 68/1

18 — ذم الغيبة : ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون 828 والبغدادي في هدية العارفين 68/1 .

19 — شرح رسالة الزهري الى عبد الملك بن مروان : ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والزهري هذا هو (ابو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري) احد اعلام التابعين وقد استقضاه عبد الملك بن مروان .

20 — العم والخال : ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والبغدادي في هدية العارفين 69/1 وصحف الاسم الى (الغم والخال) في طبقات المفسرين .

21 — غريب اعراب القرآن : ذكر في معجم الأدباء 84/4 ونزهة الالباء 321 وطبقات المفسرين 4 .

22 — الفـرق : ذكره ابن فارس في كتابه تمام فصيح الكلام (مصورة آربرى ص 38 آ) ونص عبارته : « فاما الفرق فقد كنت الفت فيه على اختصاري له كتابا جامعا وقد شهر وبالله التوفيق » . وهي نشرة مصطفى جواد لكتاب تمام فصيح الكلام ص 35 . وقد حرف الاسم في معجم الأدباء 84/4 وهدية العارفين 69/1 الى (العرق) .

23 — فضل الصلاة على النّبي عليه الصلاة والسلام : ذكر في كشف الظنون 1279 وهدية العارفين 68/1 .

24 — كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين « كفاية المتعلمين في اخلاق النحويين » اختلاف النحاة . ذكر في معجم الأدباء 85/4 وطبقات المفسرين 4 وبغية الوعاة 352/1 وكشف الظنون 33 وهدية العارفين 69/1 ومفتاح السعادة 110/1 .

25 — ما جاء في اخلاق المؤمنين : ذكر في فهرست الطوسي 36 وتنقيح المقال 76 واعيان الشيعة 220/9 .

26 — المعاش والكسب : ذكر في فهرست الطوسي 36 وتنقيح المقال 76 واعيان الشيعة 220/9 .

27 — الميرة : ولعلها السيرة : ذكر في فهرست الطوسي 36 واعيان الشيعة 220/9 .

28 — مأخذ العلم : ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون 1574 والبغدادي في هدية العارفين 69/1 .

29 — المحصل في النحو المحصل : ذكر في كشف الظنون 1615 وفي هدية العارفين 69/1.

30 — محنة الأريب : ذكر في هدية العارفين 69/1 .

31 — مقدمة في الفرائض : ذكر في معجم الأدباء 84/4 .

32 — مقدمة في النحو : ذكر في نزهة الالباء 321 وبغية الوعاة 352/1 وكشف الظنون1804 وهدية العارفين 69/1 ومفتاح السعادة 109/1 .

33 — الوجوه والنظائر : ذكر في هدية العارفين 69/1 .

34 — شرح مختصر المزني : ذكر في الديباج المذهب لابن فرحون ص 35 .

ابـن فـارس نحـويـا :

اجمع الذين ترجموا لابن فارس على انه كان في النحو واللغة على مذهب الكوفيين .

على اننا لا نستطيع رسم صورة واضحة لابن فارس النحوي لأن مؤلفاته النحوية الخمسة وهي مقدمة في النحو ، اختلاف النحو ، المحصل في النحو ، غريب اعراب القرآن ، الانتصار لثعلب ، فقد فقدت جميعها . على ان بعض آرائه النحوية قد حفظها لنا كتابه — الصاحبي في فقه اللغة — .

ومن خلاله رأيناه يرجع الى ثعلب امام نحاة الكوفة وسواه من ائمة الكوفة امثال الفراء والمفضل الضبي والكسائي والشيباني وأبي عبيد القاسم بن سلام ، كما كان يستعمل مصطلحات الكوفيين النحوية كالخفض والنسق والنعت ، مكان الجر والعطف والوصف عند البصريين .

وعدا ما تقدم فان البحث في تضاعيف — الصاحبي — يوقفنا على جملة من القضايا التي أيد فيها الكوفيين من ذلك :

1 — مسألة ((لكن)) : (22)

ذهب الكوفيون الى انه يجوز دخول اللام في خبر (لكن) كما يجوز في خبر ان ، نحو (ما قام زيد لكن عمرا لقائم) ، وذهب البصريون الى انه لا يجوز دخول اللام في خبر لكن .

فالكوفيون يرون ان (لكن / مركبة من (ان / زيدت عليها (لا / و (الكاف)) ، خلافا للبصريين الذين يرون انها مفردة .

وذهب ابن فارس مذهب الكوفيين في ذلك (23) .

2 — حد الفعل :

ذهب الكسائي الى ان الفعل (ما دل على زمان) وخالفهم البصريون في ذلك، فزعموا: ان الاسم ما أخذ من مصدر وبني لما مضى وما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع.

وقد فند ابن فارس رأي البصريين في (الصاحبي) (24) . واعلن صحة رأي الكوفيين .

3 — مسألة كم :

ذهب الكوفيون الى ان (كم) مركبة . وذهب البصريون الى انها مفردة موضوعة للعدد (25) .

---

22) الانصاف 208 — 218
23) الصاحبي 170 — 171
24) الصاحبي 85 .
25) الانصاف 298 — 303 .

وقد ذهب ابن فارس مذهب الكوفيين فيها (26) .

4 — مسألة « الآن » :

ذهب الكوفيون الى ان (الآن) مبني ، لان الالف واللام دخلتا على فعل ماض من قولهم : « آن يئين » اي حان . وبقي الفعل على فتحه . وذهب البصريون الى انه بني لانه شابه اسم الاشـــــارة (27) .

وقد اخذ ابن فارس برأي الكوفيين (28)

5 — مسألة الضمير المتصل بعد لولا :

ذهب الكوفيون الى رفعه وذهب البصريون الى جره . وابن فارس على مذهب الكوفيين فيها .

تلك هي ابرز المسائل التي وقف فيها ابن فارس الى جانب نحاة الكوفة . وتوجد مسائل اخرى وقف فيها الى جانب البصريين منها انه استعمل بعض مصطلحاتهم ومن ذلك ، مصطلح (حروف المعاني) (29) .

ومنها انه ايدهم في (حد الحرف) (30)

كما ايد نحاة البصرة في عدم جواز مد المقصور (31)

وفي مسألة اشتقاق كلمة (الاسم) (32) .

وفي بعض المسائل نراه يخلط بين المذهبين ، كما في مسألة (او) . فقد ذهب الكوفيون الى ان (او) تكون بمعنى الواو وبمعنى (بل) . وقال البصريون انها لا تكون كذلك وانما تكون لاحد الشيئين على الابهام (33)

وابن فارس يجمع بين المذهبين فيها فيرى ان (او) حرف عطف يأتي بمعـــــد الاستفهام للشك وانها ايضا تكون للتخيير وللاباحة (34) .

وفي مسائل اخرى نراه يرفض مذهب الكوفيين والبصريين معا ، والذي نخلص اليه مما تقدم ان ابن فارس لم يوقع نفسه في اطار مدرسة نحوية معينة ، صحيح انه

(26) الصاحبي 158 — 159 .
(27) الانصاف 520 — 524 .
(28) الصاحبي 144 .
(29) الصاحبي : 97
(30) الصاحبي : 86
(31) الصاحبي : 275
(32) الصاحبي : 88
(33) الانصـــــاف : 478
(34) الصاحبي : 127

كان أميل الى الكوفيين ، بل هو منهم ، لكن ذلك لم يمنعه من الاخذ ببعض آراء البصريين وترجيحها ـ ومثل ذلك مألوف حتى في اطار المدرسة الواحدة .

وكما رأينا ابن فارس عصريا في نظرته الى الحماسات المحدثة وغير متعصب لزمن على زمن ، كذلك نراه هنا يميل الى الكوفيين في غير تعصب وينحو منحاهم في غير تحجر وتلك آية من آيات تدرجه على التطور والتجديد والابداع .

على انه يمكن تكوين فكرة عامة عن هذه الزاوية من خلال فهمنا للميزات الاساسية لمدرسة الكوفة ومنهجها العام والتي يمكن تلخيصها في انها تقوم على اعتماد المسموع من كلام العرب والبعد عن تحكيم المقاييس العقلية في القضايا النحوية فالنحو الكوفي اقرب الى روح الدراسة اللغوية وابعد عن الأخذ باسباب المنطق أو التعلق بأساليب الفلسفة وهم يفهمون العربية فهما يقوم على تذوق اللغة والحس بطبيعتها بعيدا عن الافتراضات او الاستهداء بقوانين العقل والمنطق . والكوفيون يتقبلون مسائل اللغة اذا سمعوها من اعراب فصحاء ويعيدون النظر في أصولهم لتوافق هذه المسائل بخلاف البصريين الذين اذا تعارض المثال بأصل من أصولهم عمدوا لتأويله ولو تأويلا بعيدا فان لم يخضع لأصولهم وصفوه بالشذوذ أو الخطأ .

والكوفيون يعممون الظاهرة الفردية ويقيسون عليها والبصريون يجمعون مختلف الصيغ والأبنية المتشابهة في اطار واحد يجعلونه مقياسا عاما لمختلف الصيغ والأبنية. وبالاجمال فقد قدم الكوفيون الرواية والنقل على القياس الذي قدمه البصريون (35) .

من خلال هذه الميزات الاساسية لمنهج الكوفيين العام يمكن تصور المنهج النحوي لابن فارس ، وان ظل هذا الكلام بلا سند لفقدان مؤلفاته النحوية .

ابـن فـارس لغويـــا :

كان ابن فارس كوفي المنهج في اللغة ، وقد خلف تراثا لغويا رفعه الى مصاف القمم . فمما وصلنا من اثاره اللغوية : مقاييس اللغة ، المجمل ، متخير الألفاظ ، تمام فصيح الكلام ، الاتباع والمزاوجة ، الثلاثة ، خلق الانسان ، فتيا فقيه العرب .

وضاع من اثاره اللغوية : الثياب والحلي ، ذخائر الكلمات ، الحبير المذهب ، العم والخال ، والحجر وسواها .

وقد تميز منهجه اللغوي بالتزامه ايراد الواضح الصحيح من كلام العرب وترك الوحشي المستغرب والدون المسترذل .

وقال بما قاله الكوفيون من كثرة الألفاظ المنحوتة في كلام العرب بل تميز كتابه (مقاييس اللغة) بفكرتي الاصول والنحت وهما نظريتان جديرتان بالتقدير ، وربما صح القول انهما جديدتان في ميدان التأليف المعجمي في زمنه .

---

35) راجع : مدرسة الكوفة : المخزومي .

على ان ابن فارس رغم كونه كوفي المذهب ، لكن ذلك لم يدفعه الى التعصب الاعمى بل كان سمحا يستشهد بكلام البصريين ورواياتهم فهو كثير الرواية عـــن الخليل والاصمعي وابي زيد الانصاري وابي عبيدة وكلهم بصريون .

على انني ارى — بعد انعام نظر — ان ثلاثة علماء قد تركوا بصمات واضحة على بعض آثار ابن فارس .

اولهم بغدادي وهو : ابن السكيت وتأثير كتابه (الالفاظ) ظاهر في كتاب (متخير الالفاظ) لابن فارس.

وثانيهم كوفي وهو : ثعلب ويبدو تأثيره في (الصاحبي) حيث يورد كلامـــا في الشيء الواحد يسمى باسماء مختلفة ، ثم يقول ، وبهذا نقول وهو مذهب شيخنا ابي العباس احمد بن يحى ثعلب . وفي مواضع متعددة منه . ويبدو ايضا في انتصاره لـــه في كتابه (الانتصار لثعلب) الذي لم يصل الينا ويبدو كذلك في كتابه (تمام فصيـــح الكلام) الذي استدرك به على فصيح ثعلب . ثم قال في آخره . (هذا آخر مـــا اردت اثباته في هذا الباب ولم آمن ان ابا العباس قصر عنه لكن الشيخة آثروا الاختصار وحقا اقول ان جميع ما ذكرته من علم ابي العباس جزاه الله عنا خيرا) .

وثالثهم بصري وهو : ابن دريد ، ويبدو تأثير كتابه (الملاحن) في كتاب فتيـــا فقيه العرب لابن فارس .

كما يبدو بوضوح تأثير كتاب الاشتقاق لابن دريد في معجم المقاييس ذلك انفارس استطاع توسيع قاعدة الاشتقاق التي ابتدعها ابن دريد وحاول رد كل مادة لغوية الى اصولها المعنوية المشتركة فوفق توفيقا كبيرا . ويمكن ان يقال ان ابن فارس اقتبس النظام الالف بائي في المجمل والمقاييس من (جمهرة) ابن دريد .

تلك اشارة بالغة الايجاز ، الى منهج ابن فارس اللغوي وهو منهج لا تتســـع لتفصيله مثل هذه المقدمة .

تـــاليــف المعاجـــم :

مرت حركة التاليف المعجمي بعدة مراحل يمكن تسمية المرحلة الاولى منهـــا بمرحلة « كتب الصفات او الغريب المصنف » وفيها تم جمع مفردات الباب الواحـــد وضمها الى بعضها ومن ابرز امثلتها . كتاب المطر وكتاب اللبا واللبن لأبي زيـــد الانصاري وكتاب الصفات للنضر بن شميل والغريب المصنف لأبي عمرو الشيبانـــي ومثله لقطرب ومثله لابي عبيد .

وكتاب الخيل وكتاب الشاء وكتاب الدارات وكتاب النبات والشجر وكتاب النخل والكرم للاصمعي وكتاب الرحل والمنزل لأبي عبيد وكتاب البئر وكتاب النخل والزرع

وكتاب الانواء لابن الاعرابي وكتاب المطر والسحاب لابن دريد واقدم من الف في هذا النوع ابو خيرة الاعرابي والقاسم بن معن الكوفي وبلغت قمتها في المخصص لابن سيده . ثم برزت مرحلة اخرى في التاليف المعجمي هي مرحلة « معاجم الالفاظ » او الكتب المجنسة وفيها ترتب المفردات بالنسبة لحروفها لا الى معانيها وأول هذه المعاجم العين للخليل بن احمد الفراهيدي والجيم لشمر بن حمدوية الهروي ومعاجم الالفاظ تنضوي تحت اربع مدارس (36) :

المدرسة الاولى : وهي مدرسة العين وتضم كتاب العين للفراهيدي والبارع للقالي والتهذيب للازهري والمحيط للصاحب بن عباد والمحكم لابن سيده . والرابطة التي تجمعها ترتيبها حروف الهجاء بحسب مخارجها وجعل هذا الترتيب اساس تقسيمها الى كتب .

والمدرسة الثانية : تمسكت بالترتيب الالف بائي وتضم . الجمهرة لابن دريد والمقاييس والمجمل لابن فارس .

والمدرسة الثالثة : وتعتمد على تقسيم المعجم الى ابواب وفقا للحرف الأخير من الكلمات وتقسيم كل باب الى فصول وفقا للحرف الاول وترتيب المواد في هذه الفصول وفقا لحروفها الوسطى باعتبار الحروف الاصول وحدها في جميع هذه المراحل . وتضم: صحاح الجوهري وعباب الصغاني ولسان العرب لابن منظور والقاموس المحيط للفيروز ابادي وتاج العروس للزبيدي والمعيار للشيرازي .

والمدرسة الرابعة : وهي التي ابتدات باساس البلاغة للزمخشري وتفرعت عنها المعاجم الحديثة .

وفي وقت تال لنشوء معاجم الالفاظ ظهر لون جديد من التاليف المعجمي تلبية لحاجة الدواوين ، هذا اللون جمع الالفاظ الخاصة بمعنى من المعاني في باب واحد ، مما يصح معه تسميتها بمعاجم المعاني او الكتب المبوبة وابرز انموذجاتها الالفاظ لابن السكيت وجواهر الالفاظ لقدامه بن جعفر والالفاظ الكتابية للهمذاني وفقه اللغة للثعالبي .

وكتابنا هذا — متخير الالفاظ — من معاجم المعاني ومكانته بينها مكانة رفيعة وفريدة معا .

لقد ذكره ابن فارس في عداد مؤلفاته في آخر الجزء الثاني المخطوط من المجمل كما فصلنا القول . كما ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والانباري في نزهة الالباء 321 وحرف في كنايات الادباء للجرجاني الى مختار الالفاظ وكل الذين ترجموا لابن فارس كانوا يظنونه في عداد كتبه المفقودة .

36) راجع المعجم العربي — نشئته وتطوره — الدكتور حسين نصار .

مخطوطات الكتاب : وقد اعتمدنا في تحقيقه ونشره للمرة الاولى على مخطوطتين الاولى ورمزنا لها بالحرف (ا) كانت ضمن مخطوطات مكتبة المرحوم عم والدنا السيد احمد بن السيد عبد الوهاب رئيس ديوان التدوين القانوني في العراق سابقا وعضو محكمة التمييز والمتوفى باجله الموعود سنة 1964 وهي نسخة نفيسة تعود للقرن السادس الهجري ويغلب عليها الشكل التام وعدتها 75 ورقة (150 صفحة) بما في ذلك ورقة العنوان . وعلى ورقة العنوان كتب ما يلي :

كتاب متخير الالفاظ تاليف الشيخ الفاضل أبي الحسين احمد بن فارس رحمه الله .

وعلى ورقة العنوان عدة تمليكات اقدمها : لاحمد بن مباركشاه الحنفي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين سنة 538 ومنها : انتقل الي مستعارا وانا العبد عبد الله فناء المولوي (ت 1005 هـ) ومنها . انتقل الى ملك كاتبه محمد ابراهيم .. المالكي بالابتياع الشرعي من نور الدين علي الصبوة .. ومنها : ملكه من فضل الحليم الرحيم احمد بن محمد بن عبد الرحيم .

وهذه النسخة قد انتقلت الى مكتبة المتحف العراقي مصادرة بسبب عدم تسجيلها طبقا للتعليمات وقياسها 13 سم x 18 سم ومعدل سطورها 13 سطرا في الصفحة الواحدة وقد اصابت النسخة رطوبة فاتلفت السطور السفلى من عديد من صفحاتها وهي مكتوبة بخط النسخ وفي آخرها ما نصه :

تم الكتاب والحمد لله وصلواته على النبي محمد وآله الطاهرين الاخيار وحسبنا الله ونعم الوكيل والمعين . قوبل باصله الذي نقل منه وعليه خط مؤلفه رحمه الله فصح. والنسخة مكتوبة بالحبر الاسود وعناوينها بالحبر الأحمر وهي ضمن مجموع سجل برقم 3846 يضم كتابين : الاول : متخير الالفاظ الذي تقدم وصفه . والثاني : كتاب التكملة وهو نوادر ما تلحن فيه العامة لابي منصور موهوب بن احمد بن محمد الجواليقي وعدته 43 ورقة وكتب في آخرها : (نقلت هذه النسخة من نسخة منقولة من خط المؤلف مقابلة وقوبلت بها فصحت بمنه وكرمه) .

وكتاب التكملة هذا توجد في هوامش العديد من اوراقه كالورقات : 4 آ و 6 و 19 ب و 21 ب و 33 و 35 و 40 وسواها تعليقات لابن الخشاب وأرجح انه عبد الوهاب بن احمد بن الخشاب النحوى البغدادي المتوفى سنة 567 هـ وهي تعليقات لغوية قيمة .

والتفسير الوحيد لوجودها ان هذه النسخة نقلت عن نسخة قرأها وعلق عليها ابن الخشاب .

واما المخطوطة الثانية ورمزنا لها بالحرف (ع) فهي مكتوبة بالخط الفارسي وعدد صفحاتها 82 صفحة ومعدل سطورها 17 سطرا في الصفحة الواحدة وقياسها

14 سم × 19 سم وهي بخط جدنا المرحوم السيد عبد الوهاب بن عبد الرزاق بـــن محمد بن ابراهيم الحسني البغدادي شيخ الخطاطين في عصره ودفين مقبرة الغزالي ببغداد والنسخة مشكولة جزئيا وعناوين الابواب بالحبر الاحمر وهي في شكـــــل كراريس لم تضم في سفر واحد — غير مجلدة — وليس فيها ورقة عنوان ولم يصرح الناسخ باسمه وعرفناه من بين تراثنا الماثلي مخطوطة من كتاب الالفاظ الكتابيـــــة للهمذاني نسخت سنة 1114 هـ ومخطوطة من فقه اللغة للثعالبي نسخت سنة 1070هـ ومخطوطة من التكملة وهي نوادر ما تلحن فيه العامة للجواليقي نسخت في القـــرن السادس الهجـــــري .

ومخطوطة من مختار الصحاح للرازي نسخت سنة 1079 هـ . وجزء من صحاح الجوهري نسخ في القرن الثاني عشر الهجري ومخطوطة من نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن للسجستاني نسخت سنة 1099 هـ .

ونسخة من تلخيص الشواهد لابن هشام الانصاري نسخت في القرن التاســـع الهجري وغير ذلك من نفائس كتب اللغة . وحدثني الاستاذ محمد بهجت الاثري ان السيد احمد قد حدثه عن نسخة من مقاييس اللغة كانت ضمن تراث الاسرة . وحدثني من اثق به ان مخطوطة جواهر الالفاظ لقدامة بن جعفر التي نشرها محمد أمـــين الخانجي وذكر انها من آثار العراق قد انسربت إليه من المرحوم السيد أحمد . هذا غير مخطوطتي — متخير الالفاظ — الفريدتين في الدنيا . ان هذه العناية كانت تدفعني دفعا وتحفزني حفزا لان اصل حبل النسخ والحفظ — في أسرتنا — بحبل التحقيـــق والنشر ، فاقوم باخراج متخير الالفاظ الى عالم المطبوعات بعد ضياع استمر الف عام؛ وفاء للعربية واحياء لبعض تراث الاسرة .

منهجنا في التحقيـــــق :

هدف التحقيق في نظرنا هو تقديم المخطوط صحيحا كما صنفه مؤلفه . لا شرحه والنقل من كتب مطبوعة . وانطلاقا من هذه المسلمة كان منهجنا في التحقيق كالاتي :

اولا — اعتمدنا النسخة الاقدم اما وشكلنا النص شكلا تاما واعتمدنا النسخـــة الثانية في المواضيع المطموسة من النسخة الاولى واثبتنا الفروق القليلة بين النسختين في الهوامش رغم ان الثانية نقلت من الاولى وصوبنا ما وجدناه من خطأ الناسخ من اثبات المصحف والمحرف والخطأ في الهامش .

ثانيا — حافظنا ما امكننا على الرسم المتبع في المخطوطة الام باستثناء بعـــض الالفاظ التي ابدلناها الى ما يقابلها في القائمة التالية نظرا لتبدل رسمها عبر العصور آخذين بالرسم المعروف عندنا اليوم وابرز هذه الالفاظ :

واله : وآله ، ثلثة : ثلاثة ، تاريه : تارئه ، ساير : سائر ، شآ : شاء ، الجايع : الجائع . العايل : العائل . عايبه : عائبه ثابت : ثائت . الشمايل : الشمائل . الغايب : الغائب . الكالبة : الكآبة . خلايقه : خلائقه . الدايم : الدائم . السايلين : السائلين . نايلة : نائلة . ثايرة : ثائرة . هايجة : هائجة . ميره ونايره : مئرة ونائرة . طايلة : طائلة ، ثلثين : ثلاثين . طايرا : طائرا . الدعايم : الدعائم . سفين : سفيان . نايمة : نائمة . ابرهيم : ابراهيم . شدايدها : شدائدها . مايلا : مائلا . عايره : عائرة. رايحة : رائحة . المآ : الماء . عايذ : عائذ . استرخا : استرخاء . ابا : ابى . ومينا : ومثنا . دايم : دائم . النايل : النائل . العايضين : العائضين . السحايب : السحائب . غايبا : غائبا . العايف : العائف . الهايج : الهائج . النوايب : النوائب . العقايق : العقائق . الرغايب : الرغائب . آبايهم : آبائهم . جلسايه : جلسائه . الطبايع : الطبائع . السلايق : السلائق . النحايت : النحائت . الضرايب : الضرائب . ربما : ربما . الصبى : الصبا . وكلى : وكلا . رحا : رحى . الكلاء : الكلأ .

ثالثا : وضعنا النقاط والفواصل واشارات الاستفهام والتعجب والشوارح والاقواس المزهرة والاقواس المربعة والاقواس الاعتيادية والفواصل المزدوجة حيث يجب أن توضع .

رابعا : قمنا بتخريج الآيات والأحاديث كما خرجنا الاشعار والامثال والاقوال مشيرين الى مصدرها واختلافات رواياتها وقائليها ان لم يكن الشعر أو المثل منسوبا.

خامسا : ذكرنا في الحواشي مظان تراجم الاعلام مع الاشارة الى سني وفياتهم واسمائهم كاملة .

سادسا : عرضت النصوص على المصادر ما امكنني ذلك واشرت الى اختلاف الروايات .

سابعا : في مواضع قليلة اثبتنا بعض الشروح الضرورية للفظ قلق ، كما اثبتنا بعض التعليقات المهمة .

ثامنا : اشرنا في مواضع كثيرة الى ما يقابل أبواب متخير الألفاظ في كتب الالفاظ لابن السكيت وجواهر الالفاظ لقدامه بن جعفر والالفاظ الكتابية للهمذاني لتسهل على القارىء الموازنة بين الابواب المتماثلة في معاجم المعاني التي سبقت ابن فارس زمنيا .

تاسعا : كتبت المقدمة واعددت فهرس المصادر والمراجع .

عرض الكتاب وخطة المؤلف فيه :

رتب ابن فارس كتابه على أبواب المعاني ويقع الكتاب في (مائة وأربعة عشر) بابا بما في ذلك الخاتمة المطولة التي حشد فيها كثيرا من الألفاظ المفردة المستحسنة .

ولكن محتويات الخاتمة التي استغرقت خمس الكتاب لا يجمعها باب من أبواب المعاني بل هي الفاظ منتقاة من أبواب لا حصر لها وبعضها يمكن تصنيفه بسهولة في أبواب سبقت .

تحدث المصنف في مقدمته عن منهجه في كتابه هذا فقال :

« ان الكلام ثلاثة أضرب . ضرب يشترك فيه العلية والدون وذلك أدنى منازل القول . وضرب هو الوحشي ، كان طباع قوم فذهب استعماله بذهابهم . وبين هذين ضرب لم ينزل نزول الأول ولا ارتفع ارتفاع الثاني وهو أحسن الثلاثة في السماع والذها على الافواه وازينها في الخطابة وأعذبها في القريض وادلها على معرفة من يختارها . وانما الفت كتابي على الطريقة المثلى والرتبة الوسطى . وجعلت مفاتيح أبوابه الالفاظ المفردة السهلة ، وختمته بالالفاظ المركبة الجارية مجرى الأمثال والتشبيهات والمجازات والاستعارات وعولت في أكثره على الفاظ الشعراء بعد التنقير من اشعارهم والتأويل لدواوينهم » .

فكتاب ابن فارس اذا قد تجنب الدون المسترذل والوحشي المستغرب وحفل بالالفاظ المفردة المنتقاة السهلة والالفاظ المركبة التي ابتكرها الشعراء في تشبيهاتهم ومجازاتهم واستعاراتهم فهو جولة رائعة خلال دواوين الشعراء ما بقي منها وما شاع . وقد حفل ايضا بالامثال المنتقاة والاقوال الجارية مجراها .

لقد كان ابن فارس مؤمنا ، ان أول ما يجب على الكاتب والشاعر اجتباء السهل من الخطاب واجتناب الوعر منه والانس بأنيسه والتوحش من وحشيه .

وان احدا لن يتسنم ذروة البلاغة مع التكلف للفظ المستغرب وتميز منهج المصنف في كتابه هذا بأنه أومأ الى طرق الخطابة وآثر الاختصار وتنكب الاطالة .

ذاك منهج المصنف ، اما أبواب الكتاب فهي :

1) باب في الكلام والبلاغة
2) باب في وصف الكلام الحسن
3) باب في ذكر الكلام الرديء والعي
4) باب الهذر والاكثار
5) باب في اللحن والفحوى
6) باب آخر .
7) باب في السر والاخبار ببعض الحديث
8) باب في النميمة
9) باب المدح
10) باب في الوقيعة وسوء القول والشتم
11) باب دعاء الرجل لصاحبه بالخير
12) باب الدعاء بالشر .
13) باب تولهم ما كلمته بكلمة
14) باب الايمان
15) باب في الدعابة
16) باب الكذب
17) باب الخصومة واللدد
18) باب الرجل المحمود الخلق

83) باب الشريكون بين اثنين
84) باب المنع من الشيء والردع
85) باب تكليف الانسان ما لا يطيق
86) باب القوة والشدة
87) باب الضخم والسمن
88) باب الطول وحسن الخلق
89) باب اللقاء وحالاته
90) باب الدأب
91) باب الامر يفعل ما كان يفعله
92) باب في الجراحات والصرع والاوجاع
93) باب المرض
94) باب الرمي
95) باب الكسر
96) باب الطبيعة
97) باب الذكاء وحدة الفؤاد
98) باب الشجاعة
99) باب الشرب
100) باب في ذكر الشمس
101) باب شدة الحر
102) باب تغير لون الانسان لما يصيبه من الحر وغيره
103) باب في الظل والفيء
104) باب في الفجر والنهار
105) باب زوال الشمس وبعد ذلك
106) باب في القمر
107) باب الظلمة
108) باب في الشتاء والبرد
109) باب في الحر
110) باب الليل والنهار
111) باب السماء والسحاب وغير ذلك
112) باب المطر
113) باب الريح
114) باب الفاظ مفردة مستحسنة.

خصائص الكتاب وميزاته والفروق بينه وبين معاجم المعاني التي سبقته :

لكي نلم بالفروق بين هذا الكتاب ومعاجم المعاني التي سبقته لابد أن نستعرض بابا مشتركا بينها لنتعرف السبل التي سلكها كل مصنف من هؤلاء الاعلام ثم لنستطيع عبر الانموذج استنباط خصائص الكتاب وميزاته .

ولناخذ باب السخاء نعرضه كما أورده ابن السكيت في الالفاظ والهمذاني في الالفاظ الكتابية وقدامة بن جعفر في جواهر الالفاظ ثم نعقبه بما قاله ابن فارس في المتخير ليتضح المنهج وتتلمس الفروق .

قال ابن السكيت في باب السخاء (37) :

يقال رجل سخي وقوم أسخياء وقد سخو الرجل يسخو وسخا يسخو وسخي يسخى . الاصمعي . ويقال للرجل انه لسخي النفس ، وسميط النفس ، ومخل النفس ، ويقال للرجل اذا كان هشا سريعا في المعروف . انه لخرق من الرجال .

---

37) مختصر تهذيب الالفاظ ص 123 — 126 .

وفلان يتخرق في ماله اذا كان يتصرف فيه بالمعروف ، وانه لطرف ، وسميدع من الفتيان . والسميدع السيد الموطا الاكناف ، (قال) يراد بقولهم . فلان هش المكسر مدح وذم . فاذا ارادوا ان يقولوا . هو خوار العود فهو ذم . واذا ارادوا أن يقولوا ليس هو بصلاد القدح فهو مدح ، ويقال للرجل يبذل ما عنده . انه لواري الزند ، ووري الزند . وانما هو من الكرم ليس من قدح النار . قال الاعشى .

وزندك خير الملوك صادف منهن مرخ عفارا
فان يقدحوا يجدوا عنده زنادهم كابيات قصارا

وانه لذو فجر اي عطاء ، والهضوم المنفق ماله يقال . هضم له من ما له اي كسر له ، وانه لذو هشاش الى الخير اي نشاط له ، ابو زيد والاريحي السخي الكريم ، والاروع . والنجيب ، وهو طلق اليدين بالمعروف . وقد طلقت يداه بالمعروف طلاقة ، الاصمعي . والغطريف السخي السري . يقال بنو فلان غطاريف اي سراة ، والخضرم والخضم الكثير العطية ومثله كل شيء كثير . وخرج العجاج يريد اليمامة فاستقبله جرير فقال : اين تريد . فقال : اليمامة . قال : تجد بها نبيذا خضرما اي كثيرا . وبئر خضرم غزيرة الماء والخضم الموسع عليه من الدنيا ، وانه لذو خير والخير الكرم ، والد هثم السهل اللين ، وانه لدهثم . ورهشوش . ابو زيد . والرهشوش الندى الكف الكريم النفس ، والكهلول . والبهلول . والبحر . والفياض صفة الرجل الكريم ، وانه لذو قحم عظام اي يتقحم في الامور العظام يدخل فيها من خير وشر ، ويقال للرجل الواسع الخلق الواسع الصدر . انه لواسع الذرع ورجل لهموم وهو الغزير في الخير . وناقة لهموم غزيرة اللبن . وفرس لهموم غزير في الجري . ورجل رحب السرب واسع الصدر . ورجل ذلول بالمعروف بين الذل اذا كان سلسا بالمعروف ، والحشد المحتشد في الامر في عطاء وغيره لا يدع عنده شيئا من الجهد ، الفراء يقال . وانه لذو طائلة على قومه للمفضل المتطول ، ابو زيد . والمذل الباذل لما عنده وهم مذلون بينو المذلة والمذالة . وهو البذل ، ابو عمرو . والملث الكريم ، ورجل مريء من المروءة . وقوم مريؤون ومراء . ومنه قولهم يتمرأ بنا اي يطلب المروءة بنقصنا ، ابو عبيدة . وهو أسمح من لافظة وهي التي تفر فرخها لا تبقى في حوصلتها شيئا . الاصمعي . اللافظة البحر . وقيل العنز تدعى للحلب فتلفظ جرتها ، ابو عمرو . ورجل نال اذا كان جوادا ونالني اذا اعطاني ينولني نولا . قال كعب بن سعد .

ومن لا ينل حتى يسد خلاله يجد شهوات النفس غير قليل

(قال) وان فلانا ليتول بالخير ، وما أنول فلانا اي ما أكثر نائله

قال جرير : لو كان من ملك النوال ينول

وانه لهش ودمث اذا كان لينا ساكنا ، والبسيط الذي اذا رايته انبسط اليــك ورايته يتهلل وجهه ومرنت السرور في وجهه . وكذلك الدهثم . قال ابن لجأ :

ثم تنحت من مقام الحــوم لعطن رابي المقام دهثــــم

وقال عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني في باب السخاء (38) :

يقال : فلان سخي (والجمع اسخياء) وسمح (والجمع سمحاء) . وجــواد (والجمع جوداء واجواد واجاود) . وهو معطاء وخرق . وفياض . ومرزأ . وهو طلق اليدين ، ورحب الصدر ، ورحب السرب وهو رحب اليدين ، وسبط الانامل ، وندي الكفين ، ورحب الذراع ، وواسع البلد والفناء ، وموطأ الاكتاف ، واريحي ، وهو مخلف متلف ، ومفيد مبيد ، وجواد لا يليق درهما ، وواسع الفضاء ، ورحب العطن ، لم أر مثله اوسع كفا لطالب ، ولا اطول يدا بمعروف ، وهو كريم المهزة . (وتقول من ذلك) ما امجداخلاقه ، واندى معروفه ، واضفى نوافله ، واندى انامله ، واوسع بلده ، وارحب صدره ، وابسط كفه ، واكثر صنائعه ، واهنأ فواضله ، واكرم طبائعــه ، واسمح سربه ، واوطأ كنفه ، واطول باعه ، وانه لخرق يتخرق في ماله ، ومثل (وفي الامثال) اسمح من لافظة . وهي التي تزق فرخها حتى لا تبقى في حوصلتها شيئا » .

وقال قدامة بن جعفر في هذا المعنى (39) :

« سخي ، جواد ، سمح ، فياض ، مرزأ ، معطاء ، مفضال ، فائض الانامل . زاخر الجداول . ندي الكف . حمي الأنف . رحب الذراع طويل الباع . واسع البلد . سابغ الصلد . رحب الفناء . كثير العطاء . موطأ الكنف مرزأ الرشف . مخلف . متلف . مفيد . مبيد . جواد لا يليق شيئا ، وسمح لا يفيق بذلا ونيلا . فسيح الكنف والفناء . سجيح المنح والحباء . كريم المهزة . مطهر المبزة . لم أر مثله أوسع كفا لطالــب . ولا اطول يدا بالمعروف لمعتر وراغب .

ويقال : له سماحة وصباحة . وسخاء سوناء . وارتياح وانبساح . ومجد وجود. وكرم وخير .

ويقال : هو اجودهم كفا ، واغزرهم خلقا ، وانداهم يدا ، واتمهم جودا . واكثرهم ايادي ، واعظمهم ارتياحا ومنحا ، واشرحهم بالمواهب صدرا ، وارجحهم في المكارم قدرا ، وانضرهم عودا ، واغزرهم جودا ، واكرمهم شيمة ، واجودهــم ديمــــة ،

---

38) الالفاظ الكتابية : ص 94 — 95 .
39) جواهر الالفاظ ص 213 — 214 .

واسناهم عطية ، وامجدهم سجية ، بنانه مندلق ، ولسانه بانجاز الوعد منطلق ، لا يسام الانعام ، ولا يمل البر والاكرام ، اذا وعد وفى ، واذا انجز اوفى ، واذا وفى اجزل واسنى ، واذا من لم يتمن ، واذا تطول لم يعتد ، يسدى ولا يكدى » .

وقال ابن فارس فى باب السخاء :

ويقولون : هو صبير ينضح السمي ويعلو سوالف المجد .

ويقولون : لا يطوى على البخل نفسه ، وفلان يتخرق فى الجود ، وقد لبس المجد احسن ملبس . وينشدون :

وابو اليتامى ينبتون ببابه   نبت الفراخ بكالىء معشاب

وانه لندي البنان ، سبط الكف ، طويل اليد . ومن كلامهم .

يداه غمامة ، ومن نباته يجري الماء فى العود ، وانه لغيث ونوء من الأنواء . قال زهير :

وابيض فياض يداه غمامة   على معتفيه ما تغب نوافله

ويقولون : كفه خلف من المطر . قال جرير :

انا لنرجو اذا ما الغيث اخلفنا   من الخليفة ما نرجو من المطر

وانه لسمح ند موطا الاكناف فياح نفاح فضفاض الرداء رحب المجم طويل الساعدين واسع جيب الكم ، قال : وهو يريد ما اشتمل عليه الجيب ، يعني نفسه . وذلك كقولهم طاهر الثوب طاهر الرداء . وفى الذم : هو دنس الثوب ويقال : رجل ذو فجر ، اذا كان يتفجر بالمعروف . قال الشاعر :

فجع اضيافي جميل بن معمر   بذي فجر تاوي اليه الارامل

وان فى كفه لمطلبا للغنى قال :

ففي كفه للغنى مطلب   وللسر فى صدره موضع
يريد الملوك مدى جعفر   ولا يصنعون الذي يصنع
وكيف ينالون غاياته   وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسعهم فى الغنى   ولكن معروفه أوسع

وهذا كقوله :

ولم يك أكثر الفتيان مـــالا ... ولكن كان أرحبهـــم ذراعـــا

ويقولون : هو متصل دفقات الخير أريحي ، وهو يباري الريح . وفلان خصيب موطا الاكناف . ومما يشبه الجواد به أن يقال :

بحر وربيع مربع ، وخال وهو الغيم البارق ، وخضرم وهو البئر الكثيرة الماء . ويقال : انه لكريم المعتصر ، هش المكسر . وذكر لحاجب بن زرارة ان عوف بـــن القعقاع على أن ينافر خالد بن مالك فقال : « والله ما عوف بهش فيكسر ولا برطب فيعتصر » . وفي هذه المنافرة قال خالد : اطعمت حولا من أكل واعطيت يوما من سال. قـــال الشاعـــر :

الم يك رطبا يعصر القوم ماءه ... وما عوده للكاسريـــن بيابـــس

وقال الأعشـــــى :

وجروا على ما عـــودوا ... ولكل عيـــدان عصــــاره

وقـــال الآخـــر :

لو مج عود على قوم عصارته ... لمج عودك فينا المسك والبانـــا

وقال هشام بن حســان : لا يعد الله يزيد بن المهلب ان كانت السفن لتجري في جوده . وفلان عد من الأعداد ، والعد الماء الدائم الذي لا ينقطع . ومن الفـــاظ الشعراء : ينعش المولى ويحتمل الجلى ، وفلان يستعذب نغمات السائلين . ومـــن الفاظهم : يبست كفه ، اذا شنجت كف البخيل . قال ابن السكيت ، ويقال :

انه لذو تعم عظام أي يتقحم في الأمور العظام ، وهو واسع الذرع ، رحـــب السرب ، فلول بالمعروف . الفراء : انه لذو طائلة على قومه ، للمفضل المتطول . قال الغنوي : ما أنول فلانا أي ما أكثر نائله .

من خلال عرض الباب المشترك في هذه الكتب الأربعة نستنبط الحقائق التالية :

1 — يبدو ابن السكيت شديد الاهتمام بالغريب ، وهو كثير الاستشهاد بالشعر وأخبـــار البلغاء . وشواهده الشعرية بدورها حافلة بالغريب وابن السكيت يحرص على نسبة الرواية الى راويها كأبي زيد والأصمعي والفراء وأبي عمرو وأبي عبيدة وأضرابهم .

2 — اما الهمذاني فيبدو مهملا للغريب شديد العناية بالمستعمل الشائع من الالفاظ لانه الف كتابه لصبيان الكاتب لا يهتم بنسبة الرواية لرواتها ويندر استشهاده بالشعر وقد يستشهد بالامثال والاقوال .

3 — واما قدامة بن جعفر فهو لا يهتم بالشواهد من آية او شعر او حديث او امثال ولا يهتم بنسبة رواية لروايهاولكنه لا يضع الكلمة الى جوار الكلمة الا أن تكون على زنتها ورويها فهو كلف مولع بالبديع شديد الاهتمام به شديد الحرص عليه يغلب على عباراته الترصيع والتسجيع واعتدال الوزن واشتقاق لفظ من لفظ وعكس اللفظ والاستعارة وتوفير تمام الاقسام وتصحيح المقابلة وتلخيص الأوصاف والمبالغة والتكافؤ والارداف والتمثيل .

4 — ويبدو ابن فارس اكثر الاربعة عناية بمجازات الشعراء وتشبيهاتهم واستعاراتهم فالفاظه منتقاة متخيرة منتخبة لا يهتم بالوحشي الغريب ولا المسترذل الدون كثير الاستشهاد بالشعر وشواهده من عيون الشعر لفظا ومعنى وهو يهتم بنسبة الروايات لاصحابها كابن السكيت والفراء والغنوي كما يعني بالالفاظ المركبة الجارية مجرى الأمثال .

وهو الى جانب ذلك واسع الاطلاع على اقوال البلغاء واخبارهم كثير الاستشهاد بهم كما رأينا فيما نقله عن حاجب بن زرارة وهشام بن حسان .

ويبدو من المثال المتقدم ايضا ان ابن فارس غير متأثر بالهمذاني وقدامة بن جعفرعلى الاطلاق . ولكنه تأثر بابن السكيت في بعض فصول الكتاب تأثرا كبيرا حتى كاد ينقل الفاظه باختصار كما في باب (اللقاء وحالاته) الذي يكشف عن تأثره الشديد بباب (اللقاء في قربه وابطائه) في الفاظ ابن السكيت وكما في باب الغنى وباب الفقر ونحوهما وهي أبواب معدودة ومحدودة .

على ان فيصل التفرقة الاساسي بين الاثنين من خلالاستعراض كتابيهما يتلخص في الآتي :

1 — لا يهتم ابن فارس بالوحشي المستغرب بل يهتم كثيرا باللفظة الحلوة المنتقاة على عكس ابن السكيت الذي يحشد الغريب في كتابه حشدا .

2 — ان شواهد ابن السكيت الشعرية كلها شواهد لغوية تطفح بالغريب ومن النادر ان تحس فيها بجمال تشبيه او حسن استعارة او حلاوة مجاز او لطف تعبير خلافا لشواهد ابن فارس الشعرية التي تمثل مختارات منتقاة من الشعر العربي وتدل على ذوق شعري رهيف .

3 — يكشف ابن فارس في شواهده من الحديث النبوي الشريف على قدرة فقيه راويـــة للحديث في حين نجد ابن السكيت لا يستطيع التمييز بين الحديث النبوي وبين الاقوال المشهورة ويذكر عددا من الاحاديث النبوية على انها اقوال مشهورة .

4 — يتميز كتاب ابن السكيت بالاطالة وكتاب ابن فارس بالايجاز .

5 — انفرد ابن فارس بباب (الفاظ مفردة مستحسنة) وهو باب ضخم مبعثر المادة غير منظمها وكان الاجدى لو تم تصنيف مواده تبعا لابوابها وهو شيء لم يقع فيه ابـــن السكيت . على انهما يشتركان في الخصائص التالية :

1 — يشتركان في نسبتهما كل رواية لراوية ورد كل قول لقائله .

2 — ويشتركان في كثرة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف وشعر الشعراء وبالامثال

3 — ويشتركان في عدم اهتمامهما بالترتيب الداخلي لمواد الباب الواحد فهما لا يرتبان المعاني ترتيبا معجميا ولا يتدرجان بها من الصغر الى الكبر او من القلة الى الكثرة او مـــن الضعف الى الشدة أو تبعا لموسيقاها بل تركاها غير متسقة ولا منظمة .

5 — كلاهما في كثير من الاحيان لا يورد الالفاظ مجردة بل يوردها في شعر او مثل او قول ويفسرها .

6 — كلاهما في ترتيب الابواب سعى الى الجمع بين الابواب المتقاربة او المتضادة وتجافى الفصل بينها .

فعند ابن فارس مثلا . باب الشباب تبعه باب الشيب ، وباب الشنآن والبغضة تبعه باب الكراهية ، وباب الفرح تبعه باب الحزن ، وباب السخاء تبعه باب البخل ، وباب الشجاعة تبعه باب الجبن ، وباب الغضب تبعه باب الرضا ، وباب الجمال تبعه باب القبح وباب الغنى تبعه باب الفقر وباب الارتداع فباب التمادي واللجاج ، ونجد عند ابن فارس الأبواب المتشابهة ترد متتابعة مثل باب العته والجنون يليه باب الحمق فباب سوء الخلق وبعده باب التعسف والتهور وهكذا .

وهو يورد الابواب المتعلقة بالطبيعة بصورة متتابعة . فباب الشمس يليه باب شدة الحر فباب تغير لون الانسان لما يصيبه من الحر فباب الظل والفيء فباب الفجر والنهار فباب زوال الشمس فباب القمر فباب الظلمة فباب الشتاء والبرد فباب الحر فباب الليل والنهار فباب السماء والسحاب فباب المطر وباب الريح .

وعند ابن السكيت نجد باب الغنى والخصب يتلوه باب الفقر والجدب وبـــاب الشجاعة يتلوه باب الجبن وباب الطول يتلوه باب القصر وباب الدعاء على الانسان

بالبلاء يتلوه باب الدعاء للانسان وتجد الابواب المتشابهة أو المتقاربة عند ابن السكيت متتالية مثل :

باب الجراحات والقروح يليه باب المرض فباب الحمى .

ومثل باب صفات النساء اذ يتلوه باب الدمامة والقصر وباب العجائز وباب نعوت النساء في الولادة وباب نعوت النساء بالنسبة الى أزواجهن وباب الجـــراة والبذاء في النساء وباب الحمقاء والفاجرة وباب ما يكره من خلق النساء وباب المطلقة. وكلها كما يلاحظ أبواب متقاربة تدور حول صفات النساء .

7 ـــ كلاهما لم يرتب الابواب وفقا لخطة ثابتة كما ان ابن فارس قد خانه التوفيق حين كرر باب الغضب مرتين ، وباب الجبن مرتين مع امكانه توحيدهما .

كلمـــة اخيـــرة :

حققت قبل هذا عددا من الكتب ونشرتها وشرعت في تحقيق أخرى . لكنني لم اشعر أبدا ان كتابا ـــ غير المتخير ـــ اصبح جزءا من كياني ولوذا في جناني وبعضـــا من بيانـــــي .

ذلك ان روابط ممتدة الجذور موغلة عبر الزمن كانت تشدني اليه شدا بوشائج روحية غير منظورة . من هذه الروابط ان مخطوطته الام الفريدة حفظها للعربية عم أبي السيد احمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وان مخطوطته الثانية كانت بخط جد أبي المرحوم عبد الوهاب بن عبد الرزاق بن محمد بن ابراهيم الحسني البغدادي أميـــر الخطاطين في عصره . فبيني وبين المخطوطتين نسب ووشيجة ، وبيني وبينهما رحم وآصرة وقربى . ثم ان من هذه الروابط ما عرف من عناية أسرتنا بمعاجم اللغة جيلا بعد جيل . فلقد كشفت الأيام بين تراثنا العائلي غير مخطوطة واحدة من كتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني ونظام الغريب للربعي . وحدثني الاستاذ محمد بهجت الاثـــري ان السيد أحمد قد حدثه عن نسخة من مقاييس اللغة كانت ضمن تراث الأســـرة . وحدثني من اثق به ان مخطوطة جواهر الالفاظ لقدامة بن جعفر التي نشرها محمـــد أمين الخانجي وذكر انها من آثار العراق قد انسربت اليه من المرحوم السيد أحمد .

هذا غير نسخ من (المحيط) وكتاب التكملة للجواليقي .

ان هذه العناية كانت: تدفعني دفعا وتحفزني حفزا لان أصل حبل النسخ والحفظ ـــ في أسرتنا ـــ بحبل التحقيق والنشر ، فاقوم باخراج متخير الالفاظ الى عالـــــم المطبوعات بعد ضياع استمر الف عام ، وفاء للعربية وأحياء لبعض تراث الأسرة .

وهكذا صاحبت ـــ المتخير ـــ نصف عام ، كان فيها سميري كل ليلة ونجيي كل دجنة وكان فيها صاحبا ومحدثا واليفا . أصوب فيه ما حرف محرف وصحف مصحف

فلا يضجر . وانقطع الليل أخرج بيتا لشاعر أو قالة لناثر فلا يسأم ولا يتغير وكانه بالصبر قد تجلبب وتدثر :

حتى اذا أخذ الليل في طي الريط وتبين الخيط من الخيط ردنى الى دنياي مؤذن ينادى . ان حي على الفلاح .. قد قامت الصلاة . فانسلخ من مقعدي اذ ينسلخ النهار من الليل واذ ينشق النور عن الظلمة .

وعلى مثل هذا كان لقاؤنا وافتراقنا نصف عام أو يزيد .

واليوم اذ أضع اللمسات الاخيرة من هذه المقدمة اشعر انني اقدم سميري وصاحبي وخليلي الى آلاف القراء ليشاركونا السمر والصحبة والخلة في طريق المعرفة الحاشد .

ثم انني اتوجه بالشكر الى اله العلي القدير على ما منح من صبر وسداد وما الهم من توفيق ورشاد . والحمد لله اولا وآخرا وباطنا وظاهرا .

بغداد ــ كانون الثاني (يناير) 1970 .

هلال بن ناجي بن زين الدين بن عبد الوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وبه نستعين ، وصلى الله على محمد وآله أجمعين . قال الشيخ الجليل أبو الحسين أبو الحسين أحمد بن فارس رحمه الله : هذا كتاب : « متخير الالفاظ » مفردها ومركبها ، وانما نحلته هذا الاسم ، لما أودعته من محاسن كلام العرب ، ومستعذب ألفاظها ، وكريم خطابها ، منظوم ذلك ومنثوره . ولم آل جهدا في الانتقاء والانتخاب والتخير . وهو كتاب كاتب عرف جوهر الكلام وآثر الاختصاص بجيده ، أو شاعر سلك المسلك الاوسط مرتقيا عن الدون المسترذل ونازلا عن الوحشي المستغرب . وذلك ان الكلام ثلاثة أضرب : ضرب يشترك فيه العلية والدون ، وذلك أدنى منازل القول . وضرب هو الوحشي ، كان طباع قوم فذهب استعماله بذهابهم . وبين هذين ضرب لم ينزل نزول الاول ولا ارتفع ارتفاع الثاني، وهو أحسن الثلاثة في السماع والذها على الافواه وأزينها في الخطابة وأعذبها في القريض وأدلها على معرفة من يختارها ؟ وانما ألفت كتابي هذا على الطريقة المثلى والرتبة الوسطى . وجعلت مفاتح أبوابه الالفاظ المفردة السهلة ، وختمته بالالفاظ المركبة الجارية مجرى الأمثال والتشبيهات والتشبيهات والمجازات والاستعارات. وعولت في أكثره على الفاظ الشعراء، بعد التنقير (1) عن أشعارهم والتأمل لدواوينهم . فليعلم قارئه أنه كتاب يصلح لمن يرغب في جزل الكلام وحسنه ، ولمن يجود تمييزه واختياره، فاما من سواه فسواء هذا عنده وغيره ، ونعوذ بالله من كلال الحد وبلادة الطبع وسوء النظر . وليعلم أن أول ما يجب على الكاتب والشاعر اجتباء (2) السهل من الخطاب ، واجتناب الوعر منه ، والانس بأنيسه ، والتوحش من وحشيه . فهذا زمان ذلك . ولن يتسنم أحد ذروة البلاغة مع التكلف للفظ الغلق ، (3) والتطلب للخطاب المستغرب ؟ وقد تحريت في هذا الكتاب الايماء الى طرق الخطابة (4) ، وآثرت فيه الاختصار ، وتنكبت الاطالة . فان سمت به همته الى كتاب اجمع منه ، قرأ كتابي الذي أسميته « الحبير المذهب » ، فانه يوفي على سائر ما تركت ذكره ها هنا من محاسن كلام العرب ان شاء الله .

1) التنقير : البحث .
2) الاجتباء : الاصطفاء والانتقاء .
3) الغلق : المشكل .
4) في الاصل : الخطابة (بكسر الخاء) .

بـــاب متخير ألفاظ العرب في الكلام والبلاغة (5)

يقولون : هذا رجل مقول ، فتيق اللسان ، ذرب اللسان (6) . ولسان طلق ذلق . وقد لسن الرجل لسنا . قال قطرب (7) : يقال انه (لابـــــن أقوال) (8) ، وابن قول ، واذا كان ذا كلام ولسان (9) ، وانه لذو عارضة اذا كان مفوها ، وهو حذاقي ، فصيح ، بين اللهجة . ورجل نقل : حاضر الجواب ، ويقال للرجل اذا خلط لين الكلام بالشدة : قد شمط ، وكان أبو عمرو بن العلاء (10) يقول : اشمطوا ، أي خوضوا مرة في الشعر ومرة في الحديث ؟ وبنو فلان شميط ، أي شبان وشيب . ويقال : طرق الكـــلام وماشه (11) . ويقال : هو جيد السياق للحديث . وهو يسرد الحديث سرداً .

---

5) راجع باب فصيح اللسان في تهذيب الالفاظ 677 وباب الفصاحة في الالفـــــاظ الكتابية للهمذاني 183 وباب البلاغة ومدح البليغ ووصف كلامه في الالفـــــاظ الكتابية ص 184 — 186 وباب بلاغة المنطق في جواهر الالفاظ لقدامة بن جعفر ص 312 وباب اللسن وقوة الحجة في جواهر الالفاظ 230 — 233 .

6) ذرب اللسان : حديده .

7) قطرب : هو محمد بن المستنير بن احمد الشهير بقطرب) ت 206 هـ (. انظر ترجمته في : فهرست ابن النديم 52 وتاريخ بغداد 298/3 وطبقات النحويين106 وبغية الوعاة 242/1 ونزهة الالباء 91 ووفيات الاعيان 439/3 وشـــذرات الذهب 15/2 ومعجم المطبوعات عمود 1517 والاعلام 315/7 واخبار النحويين البصريين 38 وانباه الرواة 219/3 والبداية والنهاية 259/10 وتاريخ ابـــن الاثير 380/6 وتاريخ ابي الفدا 28/2 وروضات الجنات 595 والعبر 350/1 ولسان الميزان 378/5 ومرآة الجنان 31/2 ومراتب النحويين 67 والمزهر 405/2 ، 463 ومسالك الابصار ج ع م 281/2 ومعجم الادباء 52/19 — 54 ومفتاح السعادة 160/1 — 161 وكشف الظنون عمود 115 ، 723 ، 839 ، 1160 ، 1204 ، 1389 ، 1392 ، 1432 ، 1447 1451 ، 1472 ، 1587، 1730 ، 1980 . وايضاح المكنون 100/1 ، 439 و 146/2 ، 315 ، 318 ، 346 ، 428 . وهدية العارفين 9/2 ومعجم المؤلفين 15/12 و 16 ونور القبس المختصر من المقتبس (للمزرباني واختصار اليغموري / ص 174 — 178 .

8) ابن أقوال : المقتدر على الكلام . انظر جمهرة الامثال 36/1 .

9) ذو لسان : ذو مقالـــــة .

10) هو أبو عمرو زبان بن العلاء (ت 104 هـ) . انظر ترجمته في : اخبار النحويين البصريين 22 وطبقات القراء 288/1 وبغية الوعاة 267 ومعجم الادبـــــاء 156/11 وفوات الوفيات 331/1 وطبقات النحويين واللغويين 28 والفهرست 42 ونزهة الالباء 24 والمزهر 287/2 وشرح المقامات الحريريـــــة 189/2 وشذرات الذهب 23/1 ووفيات الاعيان 136/3 والاعلام 72/3 . وانباه الرواة برقم 919 والبداية والنهاية 112/10 وتاريخ ابن الاثير 38/5 وتاريخ ابـــي الفدا6/2وتقريب التهذيب454/2وتهذيب الاسماء واللغات262/1وتهذيب التهذيب 178/12 وخلاصة تذهيب الكمال 374 والذريعة 318/1 وروضات الجنات298 والعبر للذهبي 223/1 واللباب 217/3 ومراتب النحويين 13 — 20 والمعارف 531 ونور القبس 25 والنجوم الزاهرة 22/2 . وانظر قول ابي عمرو هذا في لسان العرب مادة (شمط) 209/9 .

11) العرب تقول : أطرقي وميشي ، لمن يتفنن في كلامه .

وهو خطيب مصقع ، ومسهب ، وخاطب سلاق ، ورجل سفاح ، اذا كان قادرا على الكلام . قال الشاعر :

وقد ينطق الشعر الغبى ويلتوى   على البين السفاح وهو خطيب (12)

ويقال : هو نصيح صنع ، وهو أعضب لسانا ، وأعذب بيانا ، وأبـل ريقا ، وأرق حاشية ، وأنصح لهجة ، وأشد عارضة ، وأصح قريحـة ، وأحصف عقدة ، وأحسن سياقة ، وألبق اشارة ، وأبده حجة ، وانه لكما قال الشاعر :

تضع الحديث على مواضعـه   وكلامها من بعده نـزو (13)

وان كلامه لصريح ، وان لسانه لفصيح ، وكأن بيانه لؤلؤ منثـور ، وروض ممطـور .

باب متخير الفاظهم فى وصف الكلام الحسن

تقول الشعراء : توشى بكلام يشفى من الجوى . ويقولون : تنـزرت سقاط حديثها . ويقولون : هو قول يحل العصم سهل الاباطح (14) . وكان

12) ورد البيت فى اللسان 216/16 من غير عزو وروايته فيه : وأنشد شمر :

تد ينطق الشعر الغبي ويلتىء   على البين السفاك وهو خطيب

قوله : يلتىء : اي يبطىء ، من اللأي وهو الابطاء .

13) البيت لابن احمر ، انظر البيان والتبيين 276/1 و 172/2. وابن احمر هو عمرو ابن احمر بن العمرد الباهلي شاعر مخضرم ، أسلم واشترك فى المغازي وتوطن الشام وتوفى فى خلافة عثمان . انظر ترجمته فى : الخزانة 38/3 والمؤتلف 44 والاصابة 6460 وامالي ابن الشجري 137/1 والاغاني (الثقافـة) 232/8 والشعر والشعراء 273/1 وطبقات ابن سلام 485 والسمط 307 ومعجم المرزباني 24 وتبصير المنتبه 1070 وشرح ادب الكاتب للجواليقي .

14) العبارة تسيم بيت متدافع نسبته بعض المصادر لكثير عزة ، ونسبته مصادر اخرى لمجنون بني عامر قيس بن الملوح . فهو فى ديوان كثير 108/1 وروايته :

وادنيتني حتى اذا ما ملكتني   بقول يحل العصم سهل الاباطح

وهو لكثير فى المراجع التالية : امالي القالي 228/2 ومعجم شعراء المرزباني 243 وحماسة ابي تمام بشرح التبريزي 259/3 وثمار القلوب 111 . والمختار من شعر بشار 34 ، وخاص الخاص 107 ، والعمدة 116/2 والراغب 2)33 ، والاشباه والنظائر 202/1 .

والبيت للمجنون فى ديوانه ص 67 وهو له فى المراجع التالية : الاغاني (طبعة دار الثقافة) 75/2 وزهر الاداب 567/1 والشعر والشعراء 475 وعيـون الاخبار 78/3 و 139/4 ، والعقد الفريد 378/5 ، والزهرة ص 47 .

والبيت من غير عزو فى اضداد الانباري 205 .

وقد توهم البكري اذ قال فى التنبية ص 118 : ((هذا الشعر لمجنون بني عامر لا لكثير ولا اعلم احدا رواه له ولا وقع له فى ديوانه » . والصواب ان هذا الشعر مختلف فى نسبته بالتفصيل الذي اوردناه ، وانظر اللالي 850 .

زياد يقول : لحديث اسمعه من عاقل أحب الى من سلافة تتلت بماء ثغب فى يوم ذى وديقة ترمض فيه الاجال (15) . ويقولون : كلام لو (6 ب) دعى به عاقل الاروى(16) تنزل، وتكلم بكلام كأنه القطر يمنون استواءه وحسنه. ويقولون : كلام يشبع الجائع وينقع الظمآن ؟ فيقول شاعرهم :

توشت بقول كاد يشفى من الجوى تلم به أكبادنـــا ان تصدعـــا
كما استكرع الصادى وقائع مزنة ركاك (17) تولى صوبها حين وقعا

وقال بعض الهذليين (18) : كــلام مثــل الحبير المسلسل . وممـــا يصلح ذكره فى هذا قول النابغة (19) :

قضبا من الريحان غلسه الندى مالت جناجنه واسفله نـــد

ويقولون للنساء اذا تحدثن : بيض يرامقن الحديث ، وذلك اذا ساقطن منه القليل فالقليل . والرماق : الشيء القليل . ومن ألفاظ الشعراء قولــه : ارتمينا بقول بيننا دول ، أى جعلنا نتداوله . ويقال : ما زال يرمى بهم منذ اليوم شعب الحوار . ويقولون : مختزن من الحديث . وله الفاظ مونقة ،

---

15) الثغب : بقية الماء العذب فى الارض ، او الغدير فى ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه .
الوديقة : شدة الحر .
ترمض : تحترق قدماه من شدة الحر
الآجال : قطيع الظباء أو بقر الوحش .
وانظر بعض هذا الحديث فى اللسان مادة (ثغب) 232/1 مع اختلاف فى الرواية

16) الاروى : جمع اروية وهي انثى الوعل .

17) ركاك : جمع رك وهو المطر الضعيف .

18) هو امية بن ابي عائذ الهذلي من شعراء الدولة الأموية . انظر ترجمتـــه فى الاصابة177/1 والخزانة 417/1 والشعر والشعراء558/2 والاغاني (طبعة بولاق) 115/20 .
وعبارته هذه تسيم بيت له روايته فى ديوان الهذليين 193/2 :

تمدحت ليلى فامتدح ام نائع بعاقبة مثل الحبير المنلســل

19) هو زياد بن معاوية الذبياني (ت نحو 18 ق هـ) . انظر ترجمته فى : طبقات الجمحي 46 والشعر والشعراء 92/1 والاغاني (بولاق) 162/9 ومعاهـــد التنصيص 333/1 ونهاية الارب 62/3 وخزانة البغدادي 287/1 و 427 ثم 96/4 وتهذيب ابن عساكر 424/5 وشرح شواهد المغني 29 وبروكلمان 88/1 والأعلام 92/3 . ولا وجود لهذا البيت فى ديوان النابغة — صنعة الدكتور شكري فيصل . والجناجن : عظام الصدر وقيل رؤوس الاضلاع ، وانظر اللســـان 254/16 .

ومعان غضة ، كأنها مواقع ماء المزن في البلد القفر » (20) . وقال :

اذا هن ساقطن الاحاديث للفتى   سقوط حصى المرجان من سلك ناظم(21)

بـــاب في ذكـــر الكلام الـــردىء والعـــى (22)

يقال منطق عيال ، وهو الذى ليس على جهته . ويقال ليس لكلامـــه ضحى ، أى ليس له بيان (23) . وقال الباهلـــى : سمعت أبا تمـــام

---

20) هذا تسيم بيت انشده ابن الاعرابي ، والبيت بتمامه :

له في ذوي الخلات نعمى كأنهـــا   مواقع ماء المزن في البلد القفـــر

وقبلــــــه :

اذا ما اتاه السائلون توقـــدت   عليه مصابيح الطلاقة والبشـــر

راجع التشبيهات : ابن ابي عون ص 401

والشطر ايضا تسيم بيت لأبي الاسد نباته بن عبد الله الحماني ، وكان منقطعا الى الفيض بن صالح وزير المهدي وفيه يقول :

مواقع جود الفيض في كل بلدة   مواقع مـــاء المزن في البلـــد القفـــر

انظر البصائر والذخائر المجلد الثالث قسم 1 ص 287 والاغاني 134/14 وأبو الاسد شاعر عباسي توفي سنة (220 هـ) وانظر ترجمته في: الاغاني 131/14 والوزراء والكتاب 164 .

21) البيت لأبي حية النميري ، انظر : امالي القالي 281/2 وروايته : سقاط وهو في امالي المرتضى 443/1 وروايته : الحديث حسبته ، وقال المرتضى في اماليه معقبا : « ويروى ساقطن الاحاديث للفتى . ويروى ايضا : ساقطن الحديث كانه » . والبيت في الكامل 72/1 :

اذا هن ساقطن الحديث كانه   سقاط حصى المرجان من سلك ناظم

والبيت في الزهرة ص 11 من غير عزو وروايته كرواية المتخير .
والبيت لأبي حية في الأشباه والنظائر للخالديين 203/1 — 204 وروايته مماثلة لرواية الكامل . وهو له في الحماسة البصرية 86/2 وفي الصناعتين 156 وفي زهر الآداب 15/1 . ونسب للبحتري خطأ في ديوان المعاني للعسكري 238/1 .

22) راجع باب العي في الالفاظ الكتابية 186 وباب في الفهاهة واللكن والعجز عن الحجة : جواهر الالفاظ 223 وباب العي والفهاهة 313 : جواهر الالفاظ .

23) انظر العبارة في المنتخب من كنايات الادباء للجرجاني 145 .

الشاعر (24) يقول لرجل تكلم فأساء : لمثل كلامك رزق الصمت المحبة ، ثم التفت الى فقال : أنا أبدعت هذه . ويقال : هو عى اللسان ، فدم ، ألوث ، وفى كلامه حكلة ، أى عجمة . وقد رتج فى منطقه رتجا ، وأرتج عليه ، اذا استغلق عليه الكلام ، وأصله من ارتجت الباب أى أغلقته . ويقال : هو عى ألف (25) . ويقولون : ليس ينطق حتى ينطق الحجر .

بـــــاب الهـــذر والاكثـــــــار (26)

يقال : أهذر فى منطقه اهذارا ، ورجل ثرثار كثير الجلبة . ويقال : قــد افترش لسانه ، اذا تكلم بما شاء . ويقولون : من أكثر اهجر . و (المكثار حاطب ليل) (27) ، والهراء : المنطق الفاسد ، والخطل مثله . قــال ذو الرمة (28) .

---

24) ورد فى كتاب « اخبار ابي تمام » لابي بكر محمد بن يحيى الصولي ص 253 ما نصه : « حدثنا ابو تمام قال ، حدثنا كرامة قال : تكلم رجل فى مجلس الهيثم بن صالح فهذر ولم يصب ، فقال : يا هذا ، بكلام امثالك رزق الصمت المحبة » . وانظر ترجمة أبي تمام حبيب بن اوس الطائي (ت 231 هـ) فى : وفيات الاعيان 334/1 ومعاهد التنصيص 38/1 وخزانة الادب للبغــدادي 172/1 و 464 وشذرات الذهب 72/2 وتاريخ بغداد 248/8 والذريعة 314/1 ودائرة المعارف الاسلامية 320/1 والاعلام 170/2 والاغاني (طبعة الساســــي) 96/15 والبداية والنهاية 299/1 وتاريخ ابي الفدا 38/2 وتنقيح المقـــال 251/1 والرجال للنجاشي 102 وسرح العيون 324 وطبقات ابن المعتز 382 والعبر 411/1 وكشف الظنون 691 ، 770 ، 1241 . ومرآة الجنان 102/2 ومعجم المؤلفين 183/3 ومفتاح السعادة 191/1 والنجوم الزاهرة 216/2 وأعيان الشيعة ج 19 والعمدة 130/1 — 133 والفهرست 165/1 ومروج الذهب 151/7 والموازنة بين ابي تمام والبحتري للامدي والموشح 464 — 505 ومنتهى المقال 86 .

25) وهو العيي الذي اذا تكلم ملأ لسانه فمه .

26) راجع فى الالفاظ الكتابية باب الافراط فى الكلام 186 وفى جواهر الالفاظ باب الافراط والمبالغة 428 .

27) انظر المثل فى جمهرة الامثال 228/2 والفاخر 264 وفصل المقال 24 والميدانـي 172/2 والمستقصى 140 واللسان مادة (حطب) .

28) هو غيلان بن عقبة (ت 117 هـ) . انظر ترجمته فى : طبقات الجمحي 465 والشعر والشعراء 437/2 والاغاني 106/16 والموشح 170 وابن خلكـــان 404/1 والسمط 81 وشرح شواهد المغني 52 والخزانة 50/1 والعيني 412/1 وبروكلمان 220/1 ومعاهد التنصيص 260/3 والشريشي 53/2 وجمهـــرة اشعار العرب 931 وتزيين الاسواق 88/1 ودائرة المعارف الاسلامية 392/9 والاعلام 320/5 . ورواية البيت فى ديوان ذي الرمة ص 212 :

لها بشر مثل الحرير ومنطق   دقيق الحواشي لاهراء ولانزر

وفى المخصص 126/2 وفى امالي القالي 154/1 : رخيم الحواشي وهو كذلك فى اضداد ابي الطيب اللغوي 74/1 . وفى البيان والتبيين 276/1 : رقيـــق الحواشي . والبيت ايضا فى اصلاح المنطق 156 والاساس مادة (هرأ) واللسان مادة (هرأ) ومادة (نزر) ، واللآلي 407 — 408 واضداد ابن الانباري 242 وامالي المرتضى 63/1 وامالي الشجري 78/2 والمقاييس 49/6 وشروح سقط الزند 394/1 .

لها بشر مثل الحرير ومنطق   رخيم الحواشى لا هــراء ولا نزر

بــاب فى اللحـــن والفحـــوى

تقول العرب : عرفت ذلك فى فحوى كلامه ، وفى لحن كلامه ، وعروض كلامه . قال قطرب ، يقال : عرفته فى معراض قوله ، ومعنى كلامـــــه . حويل قوله ، أى ما حاول . ويقال : أحال عليه بالكلام اذا أقبل . وأحال عليه بالسوط أقبل . ويقال : ليس لكلامه طلع غير هذا ، أى وجه . وكذلك مطلع . ويقال مدحه مدحة مستنيرة .

بــــاب آخــــر

الخلف : الردىء من القول . يقال (سكت ألفا ونطق خلفا) (29) . والقول الخامل : الخنيض . وفى الحديث : (اذكروا الله ذكرا خاملا) (30) أى خنيضا . ويقال : خاوضه الحديث :جاراه وتخاوضا المسألة . وتكلـم بكلمة طخياء ، أى أعجميه . وهو يرمى ببيده عزبة وحردة ، اذا لم يبال ما قال . وهو يتلغم بذكر فلان ، أى يذكره . قال ابن الاعرابى (31) ، قلــت لاعرابى : متى الرحيل ؟ قال تلغموا بالسبت . ويقال فى المدح خطيب معن ، اذا اشتد نظره ، وابتل ريقه ، ولم يعيه شىء . وفلان مجهر . ورمى بالكلام

(29) يضرب مثلا لمن يطيل الصمت ثم يتكلم بالخطا . انظر المثل فى جمهرة الامثـــال 509/1 وفصل المقال 48 والميداني 223/1 والمستقصى 226 واللسان مـــادة (خلف) واصلاح المنطق ص 66 و 12 وفصيح ثعلب 69 ونظام الغريـــب 33. والفاخر 269 وروايته للمثل : « صمت الفا ونطق خلفا » .

(30) جزء من حديث تمامة قيل : وما الذكر الخامل ؟ قال : الذكر الخفي . رواه ابن المبارك فى كتاب الزهد والرقائق (رقم الحديث 155 ص 50) من حمزة بن حبيب مرسلا . واورده السيوطي فى الجامع الصغير 37/1 ورمز له بالضعف . وهو فى النهاية فى غريب الحديث والاثر 81/2 .

(31) هو ابو عبد الله محمد بن زياد (ت 231 هـ) . انظر ترجمته فى : وفيـــات الاعيان 492/1 وتاريخ بغداد 282/5 والوافي بالوفيات 79/3 ونزهة الالبا 150 وطبقات النحويين واللغويين 213 والفهرست لابن النديم 69 والاعلام 365/6 وانباه الرواة 128/3 والبداية والنهاية 307/10 وبغية الوعاة 105/1 وتاريخ ابن الاثير 275/5 وتاريخ الفدا 36/2 وتلخيص ابن مكتوم 209 و 210. وتهذيب الاسماء واللغات 265/2 وروضات الجنات 596 وشذرات الذهـــب 70/2 وطبقات ابن قاضي شهبة الورقتان 24 و 25 والعبر 405/1 وعيـــون التواريخ (وفيات 231 هـ) ومراتب النحويين149 ومرآة الجنان 106/2 والمزهر 411/2 و 464 ومسالك الابصار ج ع م 230/2 و 231 والمعارف 546 ومعجم الادباء 189/18 ومعجم المؤلفين 11/10 ونور القبس 302 ومقدمة الازهري 58 و 59 والنجوم الزاهرة 264/2 وهدية العارفين 12/2 وكشف الظنـــون وايضاح المكنون فى مواضع متعددة . وانظر نص العبارة فى اللسان مادة (لغم) 18/16 .

على عواهنه ، أي على ما خيلت . ويقولون : لو كان عند فلان عتب تكلم، أي لو كان عنده جواب . أبو زيد (32) ، يقال : كلمني فلان فما أرجعت له قولا ، أي ما أجبته بكلمة . قال أبو عمرو بن العلاء : المفتاح في القول : أن تكون للسان حصاة فيتكلم بعلم ونظر .

بـــاب في السر والاخبار ببعض الحديث (33)

يقال بينهم مهامسة ، وسمعت رسا (34) من الخبر ورسوا . والذرو : المشافهة ببعض الخبر . وفي كلامه شكلة ، أي اشتباه . وكميـــت (35) الشهادة . وخمر على الخبر ، أي خفي . ويقال للرجل يريد استنزالك عـــن السر : تستطني فاخلفت ظنه . ورجل جهره لا يكتم سرا . واذا مدحـــوه قالوا : شحيح بنث السر سمح بغيره(36) . وقالوا : كريم يميت السر(37)

---

32) هو سعيد بن أوس الانصاري البصري (ت 215 هـ) . انظر ترجمته في : وفيات الاعيان 207/1 واخبار النحويين البصريين 41 وتاريخ بغداد 77/9 ونزهـــة الالباء 125 وانباه الرواة 30/2 والاعلام 144/3 والبداية والنهاية 269/10 وبغية الوعاة 582/1 وتاريخ ابن الاثير 220/5 وتاريخ أبي الفدا 30/2 وتقريب التهذيـــــب 291/1 وتهذيــــب الاسماء واللغـــــات 235/2 وتهذيـــــب التهذيب 3/4 وجمهرة الانساب لابن حزم 373 وخلاصة تذهيب الكمال 115 وروضة الجنات 312 وشذرات الذهب 34/2 وطبقات الزبيدي 182 وطبقات ابن قاضي شهبه الورقتان 149 و 150 وطبقات القراء 305/1 والعبر 367/1 وعيون التواريخ (وفيات 215) والفهرست 54 و 55 ومرآة الجنان 58/2 ومراتب النحويين 42 والمزهر 402/2 و 419 و 461 ومسالك الابصار ج ع م ، 224/2 و 225 والمعارف 545 ومعجم الادباء 212/11 ومعجم المطبوعات 312 ومعجم المؤلفين 220/4 ونور القبس 104 وميزان الاعتدال 126/2 والنجوم الزاهرة 210/2 وكشف الظنون وايضاح المكنون في مواضع متعددة .

33) راجع باب كتمان السر وباب اذاعة السر وباب اكتشاف السر في الالفـــاظ الكتابية ص 211 — 213 .

34) رس الحديث : ابتداؤه

35) كميت : كتمت

36) النث : نشر ما كان كتمانه اوجب .

وهو صدر بيت لكثير بن عبد الرحمن الخزاعي في ديوانه 31/1 ورواية البيت فيــــه :

ضنين ببذل السر سمح بغيـــره أخو ثقة عف الوصال سميدع

37) قسيم بيت لكثير الخزاعي ونصه :

كريم يميت السر حتى كأنـــــه اذا استبحثوه عن حديثك جاهله

انظر ديوانه 259/1 وامالي القالي 5/2 وزهر الآداب 953/2 وهو ايضا قسيم بيت للاحوص الانصاري في ديوانه صنعة الدكتور ابراهيم السامرائي ص 80 وروايته فيه :

كريم يميت السر حتى كأنه عم بنواحي امرها وهو خابر

والبيت في محاضرات الراغب 126/1 وفي الزهرة 237 وفي مجموعة المعاني128 وانظر ترجمة الاحوص وهو عبد الله بن محمد الانصاري (ت 105 هـ) في : الاغاني (طبعة دار الكتب) 224/4 وشرح الشواهد 260 والشعر والشعراء 204 وخزانة الادب للبغدادي 232/1 والموشح 231 والذريعة 319/1 وطبقات ابن سلام 137 وكنى الشعراء 290 وتاريخ الاسلام 91/4 وعيون التواريخ 237/3 ومصارع العشاق 419 وفهرست ابن خير الاشبيلي 397 والاعلام 257/4 وفي مقدمة ديوانه .

ويقال لمن يؤمر بالكتمان : اجعل هذا في وعاء غير سرب (38) . قال : « واكتم السر فيه ضربة العنق » (39) . قال الضبي (40) : جمهر فلان الخبر كناه ولم يمحضك حقه ، وهذا خبر مجمهر أي لا يدل منه على جهة (41) .

---

38) في الاصلين : سرب (بكسر السين وسكون الراء) .

39) عجز بيت لابي محجن الثقفي في ديوانه — طبعة المنجد ص 19 وروايته فيه :

واكشف المازق المكروب غمته   واكتم السر فيه ضربة العنق

قال ابو هلال العسكري شارح الديوان : « ويروى : المخشي غمته » .
واختلف في رواية صدر البيت . ففي الشعر والشعراء ص 337 : « قد اركب الهول مسدولا مساكره » ورواية عيون الاخبار 38/1 وخزانة الادب 555 مماثلتان لرواية الشعر والشعراء .
ورواية الاتباع والمزاوجة ص 56 : وقد اجود و (ما) مالي بذي فنع ورواية الوحشيات 169 واللسان مادة (فنع) مما ثلتان لرواية الاتباع والمزاوجة . ورواية تهذيب الالفاظ ص 10 : وقد اجود وما مالي بذي فنع ورواية الاغاني 142/21 :

واطعن الطعنة النجلاء عن عرض .   واحفظ السر فيه ضربة العنق

ورواية الاستيعاب مماثلة لرواية الاغاني . وانظر بهجة المجالس 462/1 ورواية الحيوان 182/5 والمخصص 280/12 مماثلتان لرواية الاتباع والمزاوجة وانظر البيت في الفصول والغايات ص 465 . ورواية العقد الفريد 67/1 « قد اطعن الطعنة النجلاء عن عرض » . ورواية الصدر في البصائر والذخائر المجلد الثاني — القسم الثاني ص 312 : « واكشف المائط المكروه غمته » . والمائط : موضع القتال أو المضيق في الحرب . ورواية الصدر في جمع الجواهر في الملح والنوادر ص 84 : « واطعن الطعنة النجلاء عن عرض » والعجز ايضا في الهوامل والشوامل للتوحيدي ص 19 .
وقد طبع ديوان ابي محجن في ليدن والقاهرة والهند وبيروت . وانظر ترجمة ابي محجن الثقفي (ت 30 هـ) في : الاغاني 137/21 والخزانة 550/3 والعيني 381/4 وطبقات ابن سلام 225 والمؤتلف 95 والاصابة 170/7 والشعر والشعراء 337 وتجريد الاغاني — ابن واصل — القسم الثاني من الجزء الثاني ص 1982 — 1987 ، والحيوان 303/6 . وفتوح البلدان للبلاذري — طبعة المنجد 308/1 و 316 — 319 والطبري 548/3 (طبعة دار المعارف) ومروج الذهب للمسعودي 323/2 (طبعة محمد محي الدين عبد الحميد) .

40) المفضل بن محمد بن يعلي الكوفي (ت 178 هـ) . انظر ترجمته في : ارشاد الاريب 171/7 وفهرست ابن النديم 68 وغاية النهاية 307/2 وميزان الاعتدال 195/3 ولسان الميزان 81/6 ونزهة الالباء 56 واللباب 71/2 ومراتب النحويين 71 وتاريخ بغداد 121/13 والنجوم الزاهرة 69/2 وانباه الرواة 304/3 والاعلام 204/8 وبغية الوعاة 297/2 وتاريخ الاسلام للذهبي (وفيات 168) وطبقات الزبيدي 210 وطبقات ابن قاضي شهبه الورقة 257 والمزهر 405/2 والمعارف 545 ومعجم المطبوعات 1771 ومعجم المؤلفين 316/12 ونور القبس 272 وهدية العارفين 468/2 وايضاح المكنون 271/2 و 506 و 530 .

41) قال الكسائي : اذا اخبرت صاحبك بطرف من الخبر وكتمت الذي تريد قلت : جمهرت عليه . انظر المجمل لابن فارس ص 181 .

بـــاب فى النميمـــة (42)

يقال : نم ونمل ومذل بالامر : باح به . وفلان مشاء ، أى يمشى بين الناس بالنميمة ، ويوقد بين الناس بالحظر الرطب) (43) ، كناية عـــن النميمـــة .

بـــــاب المــدح (44)

يقال : مدحه ، وأثنى عليه ، وترضه ، وأطراه ، ومجده . وان فلانا وفلانا ليتقارضان الثناء ، اذا اثنى كل واحد منهما على صاحبه . وقال ابن السكيت (45) : فلان يخم ثياب فلان ، اذا كان يثنى عليه (46) .

باب فى الوقيعة وسوء القول والشتـــم (47)

يقال : شتمه ، وذأمه ، وجدبه ، وثلبه ، ولحاه يلحاه . ويقال : شترت بالرجل ، وسمعت به ، وشردت به . قال :

---

42) راجع باب النميمة ص 121 : جواهر الالفاظ .

43) الحظر : الشجر المحتظر به ، إي المحتمي به . واصل المثل : « اوقد فى الحظر الرطب » اي نم . ويقال : « جاء بالحظر الرطب » اي بالكذب المستشنـــع او بالكثير من المال . ويقال : « وقع فلان فى الحظر الرطب » اذا وقع فيما لا طاقة له بـــــه .
وانظر المقاييس 81/2 وتهذيب الالفاظ 11 و 94 واللسان مادة (حظر) والتاج (حظر) . وفى المخصص 87/3 : جاء بالخضر الرطب وهو تصحيف . وانظـــر المثل فى جمهرة الامثال 314/1 والميداني 179/1 رقم المثل 962 والكنايات ص 8

44) راجع باب المدح والثناء فى تهذيب الالفاظ 439 وباب المدح فى الالفاظ الكتابية 22 وباب المدح فى جواهر الالفاظ 45 .

45) هو يعقوب بن اسحاق (ت 244 هـ) . انظر ترجمته فى : فهرست ابن النديم72 ووفيات الاعيان 309/2 ونزهة الالباء 178 والفلاكة والمفلوكون 136 وهدية العارفين 536/2 والاعلام 255 والبداية والنهاية 346/10 وبغية الوعـــاة 349/2 وتاريخ ابن الاثير 200/5 وتاريخ بغداد 273/14 وتاريخ ابي الفدا 40/2 وتنقيح المقال 329/3 ودائرة المعارف الاسلامية 200/1 والرجـــال للنجاشي 312 وروضات الجنات 745 وشذرات الذهب 106/2 وطبقـــات الزبيدي 221 والعبر 443/1 ومرآة الجنان 147/2 ومراتب النحويـــين 95 والمزهر 412/2 ومعجم الادباء 50/20 — 52 ومعجم المطبوعات 9/1 ومعجم المؤلفين 243/13 ونور القبس 319 ومنتهى المقال 332 والنجوم الزاهـــرة 317/2 وتلخيص ابن مكتوم 277 .

46) انظر تهذيب الالفاظ 441 .

47) راجع باب الثلب والطعن فى الالفاظ الكتابية 20 وباب رفعك الصموت بالوقيعة فى الرجل والشتم له : تهذيب الالفاظ 263 وباب الطعن على الرجل 265 منه . وباب الثلب والملاحاة 42 : جواهر الالفاظ .

أطوف فى الاباطح كل يوم   مخافة ان يشرد بى حكيم (48)

وفى الامثال : (شتمك من بلغك) (49) . وفى هذا المعنى قول القائل :

وماحل (50) حط قدرا   من نفسه لم يصنه
أراد نتبص أخ لى   بما يبلغ عنه
نكان ما سمعته   مسامعى منه منه

ويقال : نددتُ به ، اذا اسمعته القبيح . قال ابن السكيت ، يقال : هو ينعى عليه ذنوبه ، أى يذكره بها (51) . وقد قناه بأمر عظيم ، اذا قذمه ، يقفوه . وقد اتذع له ، اذا اسمعه كلاما قبيحا . وبقع فلان بقبيح ، ومقع أيضا ، وبقع بسوءة . وقد أفحش فلان افحاشا ، وأهجر اهجارا ، أى قال قبيحا ، قال :

كما جده الاعراق قال ابن ضرة   عليها كلاما جار فيه واهجرا (52)

وقال فلان هجرا وبجرا ، اذا قال قبيحا . ويقال : ما فى حسب فلان

---

48) البيت فى اللسان مادة (شرد) 223/4 من غير عزو وفيه : فى الاباطح : بالاباطح . وشرد به : اي سمع بعيوبه . وحكيم رجل من بني سليم كانت قريش ولته الاخذ على ايدي السفهاء . والراء فى الاصلين مفتوحة : يشرد .

49) فى جمهرة الامثال 277/2 ما نصه : من سبك ؟ قال : من بلغك وفى هذا المعنى جاء فى مجمع الامثال للميداني 314/2 رقم المثل 4087 ما نصه « من سبك ؟ قال : من بلغني . اي الذي بلغك ما تكره هو الذي قاله لك ، لانه لو سكت لم تعلم » .

50) الماحل : الذي يكيد بسماية .

51) انظر تهذيب الالفاظ ص 264 .

52) البيت للشماخ بن ضرار الذبياني ، انظر ديوان الشماخ — تحقيق صلاح الدين الهادي — ذخائر العرب 42 — دار المعارف بمصر ص 135 ، ورواية البيت فيه :

ممجدة الاعراق قال ابن ضرة   عليها كلاما جار فيه واهجرا

ورواية امالي المرتضى 556/1 تماثلها .
والرواية (كماجدة الاعراق) فى : فصل المقال 24 والصحاح 851/2 ومقاييس اللغة 35/6 وشرح نهج البلاغة ومفردات الراغب 537 واللسان مادة (هجر) 114/7 وتمام فصيح الكلام — طبعة بغداد ص 19 .
وانظر ترجمة الشماخ (ت 22 هـ) فى : الاغاني (ساسي) 97/8 والموشح 67 وطبقات ابن سلام 110 والمؤتلف 138 والشعر والشعراء 232/1 والسمط 58 والخزانة 526/1 والاصابة رقم الترجمة 3913 و المحبر 381 والكامل للمبرد 28/2 ومعجم المطبوعات 1141 ورغبة الامل 94/2 والتبريزي 65/3 و 133/4 والاعلام 252/3 .

قرامة ولا وصم ، وهو العيب . وفي كلامهم : ذمته أذنية ذيما . وفي الامثال : (لا تعدم الحسناء ذاما) (53) ويقال : ذمه ذما ، وتصبه تصبا ، وجدبه جدبا . وجاء في الحديث (54) : جدب لنا السمر بعد عتمة) أي عابه . قـــال ذو الرمة : (55)

فيالك من خد أسيل ومنطق رخيم ومن خلق تعلل جادبـــه

أي عائبه . وقد سبعه ، ورماه بها جرات . وقد تعنى فلان بفلان ، اذا هجاه ورماه بمنديات (56) . ويقال رماه بكلام كنكز (57) الاسـود .

بـــاب دعاء الرجل لصاحبه بالخير (58)

يقال : « نعم عوفك » (59) ، أي حالك . ويقال للمتزوج : « بالرفاء والبنين » (60) ، من رفأت الثوب ، كأنه قال : بالاجتماع والالتئام . ويقال لمن رمى فأجاد : لا تشلل عشرك . ويقال : لا شللا ولا عمى (61) . ولمن تكلم فأجاد : لا يفضض الله فاك ، أي لا جعله الله فضاء لا سن فيه . ويقولون: « آملك الله في الجنة » (62) . ويقولون : أبل جديدا وتمل حبيبا ، أي ليطل

---

(53) معناه : لا يخلو احد من شيء يعاب به . انظر المثل في : جمهرة الامثال 398/2 والفاخر 155 والميداني 109/2 وفصل المقال 39 واللسان (ذيم) والصحاح 1926/5 .

(54) « جدب الينا رسول الله صلـــى الله عليه وسلم من السمر بعد صلاة العتمة » رواه ابو داود الطيالسي في مسنده عن عبد الله بن مسعود (منحة المعبـــود 73/1) ورواه ابن ماجة بنفس السند بلفظ : جدب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم السمر بعد العشاء، يعني زجرنا . (انظر سنن ابن ماجة 230/1 رقم الحديث 703) . قال البوصيري : هذا اسناد رجاله ثقات ولا أعلم له علة الا ان عطاء بن السائب اختلط بآخره (مصباح الزجاجة ـــ مخطوط ورقـــة 44 ـــ ب) . والحديث في النهاية 243/1 .
وجاء الحديث في تهذيب الالفاظ 266 بلفظ : « جدب لنا عمر السمر بعد عتمة » اي عابه .

(55) ورد البيت في ديوان ذي الرمة ص 43 بدون اختلاف في الرواية . وهو في مجالس ثعلب 33 وفي المجمل 145 وامالي القالي 163/3 والمقاييس 435/1 واللســان مادة (جدب) .

(56) المنديـــــات : المخزيـــــات .

(57) النكز : النهش ، والطعن بالانف .

(58) راجع باب الدعاء للانسان ـــ تهذيب الالفاظ . 580 وباب الدعاء بالخيـــــر الالفاظ الكتابية 171 وباب الدعاء بدوام النعمة 170 وفي جواهر الالفاظ راجع باب الدعاء بدوام النعمة وطول امدها 316 .

(59) راجع تهذيب الالفاظ 580 والميداني 332/2 رقم المثل 4194 .

(60) انظر المثل في : جمهرة الامثال 206/1 وفصل المقال 77 والميدانـــي 66/1 وتهذيب الالفاظ 580 والالفاظ الكتابية 171 والمقاييس 420/2 واصلاح المنطق 153 والفاخر 13 والمستقصى 182 واللسان مادة (رفأ) والاشتقاق 488 .

(61) راجع : اصلاح المنطق 200 وتهذيب الالفاظ 582 .

(62) ورد في تهذيب الالفاظ 582 : يقال : آملك الله في الجنة ايمالا ، اي زوجك الله فيها وادخلكها . وفي المقاييس 151/1 : معناه : زوجك فيها .

عمرك معه (63) . ويقولون : ان فلانا لكريم ولا تقل من بعده ، أي لا اماته الله فيثنى عليه بذلك بعد موته (64) . ويقولون : مرحبا وأهــلا ، ولا آب شانئة ، أي لا رجع . وتقول للرجل يرشدك : لا يعم عليك الرشد (65) .

بـــاب الدعـــاء بالشـــر (66)

يقال : ماله آم وعام ! أى هلكت ماشيته وامرأته فيئيم ويشتهـــى اللبن . ماله قطع (67) الله مطاه (68) . ويقال : ما له جرب وحرب ! جرب من الجرب ، وحرب ذهب ماله . ويقال : ماله ال وغل ! أل طعن بالالة (69)، وغل بالغل . ويقال : غل من الغليل وهو العطش (70) . ويقال : ماله ذبل ذبله ! من ذبول الشيء ، أى ذبل لحمه وجسمه . وماله قل حيسه (71) ! أى خيره . وما له يدى من يده ! أى شلت يده . وما له شل عشره! . وما له هبلته الرعبل ! أى أمه الحمقاء (72) . قال ، وسمعت الكلابى (73) يقول : ما له أرقأ الله به الدم ! أى ساق اليه قوما يطلبون قومه بقتيــل ، فيقتلونــه حتى يرقأ (74) به دم غيره . ويقال : قطع الله به السبب ، أى سبب الحياة. وسمعت أعرابيا يقول لآخر : جعل الله رزقك فوت فمك ، أى تنظر اليــه فربما (75) يفوت فمك ولا تقدر عليه . ويقال : الحق الله بك الحوبة ، وهى

---

63) انظر تهذيب الالفاظ 582 .

64) انظر تهذيب الالفاظ 583 .

65) هكذا فى الاصل ، مع اضافة لفظة (معا) ، اشارة الى جواز القراءتين .

66) راجع باب الدعاء بالشر فى الالفاظ الكتابية 171 وباب الدعاء بالشر فى جوهر الالفاظ 391 وباب الدعاء على الانسان بالبلاء والامر العظيم فى تهذيب الالفاظ 570 — 579 .

67) فى الاصل : (مطو). والتصويب من تهذيب الالفاظ 571 .

68) مطاة : اي ظهره . والمطا ايضا : الوتين والصاحب .

69) الأله : الحربـــــة .

70) ورد فى اللســان مادة (غلل 17/14 ما نصه : « وتولها ما له ال دفع فى قفاه، وغل جن فوضع فى عنقه الغل » . وانظر المقاييس 19/1 والاصلاح ص 20 .

71) الحيس : عجينة من خلط التمر والسمن والاقط ، وفى تهذيب الالفــاظ 572 : خيســه (بالخاء المعجمة) : اي خيره .

72) انظر تهذيب الالفاظ 572

73) ابو زياد الكلابي ، واسمه يزيد بن الحر ، ترجم له القفطي فى انباه الرواة برقم 911 ، وقال : « اعرابي بدوي . قال دعبل : قدم ابو زياد من البادية أيـــام المهدي حين أصابت الناس مجاعة ، ونزل بغداد فى قطيعة العباس بن محمد ، واقام بها أربعين سنة ، وبها مات » ومن مؤلفاته كتاب النوادر والفرق والابل وخلـــق الانســـان .
وانظر ترجمته ايضا فى فهرست ابن النديم ص 44 وتاريخ بغداد 398/14 .

74) فى تهذيب الالفاظ 572 : حتى يرقىء الله به .

75) فى الاصل قرب ما ، وفى تهذيب الالفاظ : قرب ما ، وفى نسخة خطية من تهذيب الالفاظ : قدر مـــا .

المسكنة والحاجة (76) . ويقال : امدى الله شواره ، وهى مذاكيره (77) . ويقولون : ان كنت كاذبا فشربت غبوقا باردا ، أى لا كان لك لبن حتـى تجوع الى شرب الماء القراح (78) . ويقال : عليه العفاء ، أى محا الله أثره. ويقال : « عليه العفاء والكلب العواء » (79) . ويقولون لمن يفارق وفراقه محبوب ، أبعده الله ، وأسحقه ، وأوقد نارا أثره يتفاءلون ان لا يرجـع اليهم (80) . ويقال : ما له تربت يداه ، اذا دعى عليه بالفقر . والمتربة : الفقر (81) . ويقال : ما له هوت أمه (82) ! وما له سباه الله ! أى غربـه ، ويقال جاء السيل بعود سبى اذا احتمله من بلد الى بلد (83) ويقال : بفيه البرى (84) أى التراب . وبفية الاثلب (85) . ويقال لمن وقع فى بليـة ومكروه وشمت به : لليدين وللفم (86) ، و « به لا بظى بالصريمـة أعفر » (87) وما له سحته الله أى استأصله . ويقال : رماه الله بليلة لا أخت

---

76) انظر تهذيب الالفاظ 574 .

77) جاء فى اصلاح المنطق ص 165 : « والشوار : فرج الرجل . ويقال : ابدى الله شوارك ومنه قيل شور به . اي كأنه أبدى عورته » .
وجاء فى تهذيب الالفاظ ص 574 : ابدى الله شواره ، اي عورته .

78) انظر تهذيب الالفاظ 574 .

79) انظر المثل فى تهذيب الالفاظ 574 . ورواية المثل فى الميداني 39/2 رقم المثـل 2572 : « عليه العفاء ، والذئب العواء » . العفاء : التراب والهلاك . والعواء : الكثير العـــواء .

80) انظر تهذيب الالفاظ 574 — 575 .

81) انظر تهذيب الالفاظ 575 .

82) فى تهذيب الالفاظ 575 : ما له صوت امه : اي ثكلته امه .

83) انظر تهذيب الالفاظ ص 576 .

84/ فى الاصل : البرا . وانظر تهذيب الالفاظ 576 . وانظر المثل فى مجمع الامثال 96/1 رقم المثل 462 .

85) الاثلب : التراب ، وقد ضبطت فى الاصلين بفتحتين وكسرتين ورسمت (معا) فى الموضعين دليل جواز القراءتين . وانظر تهذيب الالفاظ ص 577 .

86) من بليغ الشواهد عليه قول عبد الله بن عبد العزيز وكان قد نهى ابن السكيت من اتصاله بالمتوكل فلم يستمع له فقتل شر قتلة :

نهيتك يا يعقوب عن قرب شادن — إذا ما سطا اربى على كل ضيغم
فذق واحس ما استحسيته لااقول اذ — عثرت لعا ، بل لليدين وللفـــم

87) الصريمة : القطعة من الرمل ، والاعفر : الذي لونه لون العفر ، وهو التراب والمثل قاله الفرزدق ، ويضرب للشماتة بالرجل . انظر : جمهرة الامثال 207/1 وفصل المقال 91 والميداني 59/1 والمستقصي 187 واللسان مادة (صرم) . وتمام البيت :

اقول له لما اتانـــي نعيـــــه — به لا بظبـــي بالصرائم اعفــرا

لها ، أي أماته الله . ويقال : ما له صفر فناؤه وترع مراحه (88) ! أي هلكت ماشيته (89) . ويقال : تعس وانتكس ، فالتعس أن يخر على وجهه ، والنكس أن يخر على رأسه (90) . ويقال : رماه الله من كل أكمة بحجر . ويقولون : جدعا وعقرا . ويقال للقوم يدعى عليهم : فاقد الله بينهم .

باب قولهم ما كلمته بكلمة

يقال : ما سمع مني نأمة وما ناطقته الفصيح . قال قطرب : ما كلمته ببنت شفة ، أي كلمة .

باب الايمان

قال الاصمعي (91) : تقول العرب : « لا والنهار الازهر والليل الاخضر » ، ويقولون : «لا والذي شق الرجال للخيل والجبال للسيل»(92) « لا والذي لا أتيه الا بمقتلة » (93) ، « ولا وقائت نفسي القصير ما كان كذا » (94) ، « ولا والذي شقها خمسا من واحدة » (95) يعنون الاصابع. ويقولون : « لا والذي أخرج النخلة من الجريمة والنار من الوثيمة » (96)

---

88) ترع مراحه : اي خلا ماوى ماله .

89) انظر العبارة التي قبلها في تهذيب الالفاظ ص 577 .

90) انظر تهذيب الالفاظ ص 578 .

91) هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (ت 216 هـ) انظر ترجمته في : المنتقى من اخبار الاصمعي للربعي واخبار النحويين البصريين 45 وانباه الرواة 19/2 والجرح والتعديل لابن ابي حاتم الرازي 363/2 والتاريخ الصغير للبخاري 234 وجمهرة الانساب لابن حزم 234 ووفيات الاعيان 288/1 والمعارف 236 والكامل لابن الاثير 220/5 وتاريخ اصبهان لابي نعيم 130/2 وتاريخ بغداد 410/10 وتاريخ ابن عساكر 414/24 وتهذيب التهذيب 415/6 . وروضات الجنات 456 ، وطبقات القراء 470/1 ومراتب النحويين 74 ونزهة الالباء 150 والنجوم الزاهرة 190/2 . وشذرات الذهب 36/2 والوافي بالوفيات 354/6 والفهرست 55 والبغية 112/2 وطبقات الزبيدي 183 .

92) انظر : ايمان العرب في الجاهلية للنجيرمي ص 16 وانظر ذيل الامالي والنوادر للقالي ص 50 — 51 والمخصص لابن سيده 118/13 والمزهر 168/2 (الطبعة الثانية) نقلا من كتاب المثنى لابن السكيت .

93) انظر : ايمان العرب ص 17 وذيل الامالي ص 50 والمخصص 118/13 والمزهر 168/2 .

94) انظر : ايمان العرب ص 24 وذيل الامالي 50 والمخصص 118/13 والمزهر 168/2 .

95) انظر : ايمان العرب 16 وذيل الامالي51 والمخصص 118/13 والمزهر 168/2 وفيها جميعا : شققتها : شققهن .

96) ورد في (ايمان العرب) ص 17 — 18 . والنخلة : العذق ، والجريمة النواة ، والوثيمة : قطعة من حجر تثمه اي تكسره . انظر : النهاية لابن الاثير : (عذق وثم) وتاج العروس في المادتين المذكورتين ، واللسان مادة (وثم) ، وفي امالي القالي 102/1 : ان الوثيمة ، هي الموثومة المربوطة ، يريد به : قدح حوافر الخيل النار من الحجارة .

بـــــاب فى الدعابـــــة

يقال : جاء بالملوحة ، والفكوهة . وتلاعبو بالعوبة . وفلان فكه ضحوك. ويقولون : داعبه مداعبة ، ومازحة ممازحة . وقال أكثم : المزاحة تذهـب المهابة » (97) . ويقولون : « المزاح سباب النوكر » (98) .

بـــاب الكـــذب (99)

يقال : كذب كذبا ، ومان مينا . وهذا كذب صراح (100) . ويقولون للكذاب : هو زلوق اللبد (101) . وقد اختلق كلامه وارتجله . وفلان لا يقلب حديثه . وليس لهذا الحديث نجم ، أى ليس له أصل (102) . قال ابـــن السكيت :

يقال : اعتبط فلان على الكذب . وفلان لا يوثق بسيل تلعته ، اذا كان كاذبا . وان فلانا لقموص الحنجرة . وفلان لا يصدق أثره (103) . قال ابن الاعرابى : تأويله أنه اذا قيل له من أين أقبلت كذب (104) . وفـــلان لا تجارى خيلاه ، ولا تساير خيلاه ، ولا تواقف خيلاه (105) . قال ابـــن الاعرابى : هو « أكذب من يلمع » (106) وهو السراب . وهو « اكذب من دب ودرج » (107) أى أكذب الأحياء والاموات .

---

97) انظر جمهرة الامثال 231/2 والمثل ايضا فى الميداني 287/2 رقم المثل 3914 منسوبا لاكثم بن صيفي .
وانظر ترجمة أكثم (ت 9 هـ) فى : الاصابة 113/1 والمعارف 299 وجمهـرة الانساب 200 وبلوغ الارب للالوسي والاعلام 344/1 .

98) انظر المثل فى الميداني 287/2 رقم المثل 3910 . وفيه : المزاح (بكسر الميم) .

99) راجع باب الكذب فى تهذيب الالفاظ 258 وباب الكذب فى الالفاظ الكتابية 52 وباب الكذب فى جواهر الالفاظ 121 .

100) الصراح : المحض الخالص من كل شيء .

101) زلوق : أملس . واللبد : الشعر المتداخل اللزق .

102) جاء فى المقاييس 397/5 : « ليس لهذا الحديث نجم ، اي اصل ومطلع » .
وانظر المخصص 87/3 .

103) انظر عبارات ابن السكيت فى تهذيب الالفاظ 259 . وانظر المثل : لايصـدق اثره ، فى الميداني 242/2 رقم المثل 2678 وانظر ايضا المخصـص 89/3 والمنتخب 112 .

104) انظر تهذيب الالفاظ 259 .

105) فى تهذيب الالفاظ 260 : لا تجارى (بضم التاء) ولا تساير (بضم التـاء) و (لا توافق) .

106) انظر المثل فى : جمهرة الامثال 171/2 والميداني 167/2 والمستقصى 117 والمخصص 89/3 .

107) انظر المثل فى : جمهرة الامثال 173/2 والميداني 167/2 والمستقصى 117 واللسان (درج) وتهذيب الالفاظ 262 والمخصص 89/3 والاصلاح 315 .

بــاب الخصومــة واللـــدد

يقال : خاصمه مخاصمة ، ونازعه منازعة . وان فلانا لألد . ومن متخير ألفاظهم قولهم : تركتهم يرتمون بالكلم العور (108) بينهم . ويقولون : أين كان مطرك عن ناره ، يعني في الخصومة . ويقال ان نواقره (109) مـن الحصـــى .

بـاب الرجل المحمود الخلق

يقال : انه أحلى من الأرى (110) ، ومن عذق بن طاب . قال الشيخ : نخلة بالمدينة يقال لها : عذق بن طاب (111) . وان على لسانه لتمـــرة . ويقولون : كل طالب حاجة يتزوق لك بما ليس فيه حتى ينال بغيته . وقال ابن أخت تأبط شرا :

ولـه طعمان أرى وشــرى   وكلا الطعمين قد ذاق كل (112)

ورجلدهين ، ساكن : حلو الشمائل لا تقلى خلائقه . أبو زيد قـال ، تقول العرب للرجل الحسن الخلق : انه لدميث ، موطأ الاكناف . والدهثم : السهل اللين . والفكه : الطيب النفس ، الضحوك .

باب الرجل المشتهر النبيه

تقول العرب : فلان لا يحجز في العكم (113) . ولا يرمى بـــه الرجوان (114) . وهو نجم من الانجم . وهو أشهر من كوكب . ولا يجهله

---

108) الكلم العور : الكلم القباح ، جمع قبيحة .
109) النواقر : جمع ناقرة ، وهي الداهية والسهم المصيب .
110) الاري : العســـل .
111) جاء في جمهرة الامثال 40/1 ، وابن طاب : جنس من الرطب .
112) ابن اخت تابط شرا هو : خفاف بن نضلة ، انظر السمط 919/2 . والبيت من قصيدة قالها يرثي خاله تابط شرا انظر العقد الفريد 298/3 . وفي شـرح الحماسة للمرزوقي ، ان القصيدة لتابط شرا نفسه ثم رجع نسبتها لخلـف الاحمر 827/2 . وفي شرح الحماسة للتبريزي 160/2 ذهب الى ما ذهب اليه المرزوقي وفي الحيوان للجاحظ 68/3 ما نصه : وقال تابط شرا — ان كان قالها ثم اورد القصيدة التي منها البيت المذكور . وفي شروح سقط الزند 510/2 نسب البيت لتابط شرا . فالبيت اذن متدافع بين تابط شرا وابن اخته وخلف الاحمر والله اعلـــم . والشري : الحنظل .
113) العكم : العدل او الكاره وما شد وجمع به من ثوب او سواه وانظر اللسان 198/7 والتهذيب 123/4 .
114) الرجوان : حافتا البئر .

الا من لا يعرف القمر . وهو نار في رأس علم ، وهو نار بقبل (115) . ونار بعلياء (116) . قال النابغـــة :

بانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب (117)

وقال ذو الرمة :

وقد بهرت فلا تخفى على أحد الا على أحد لا يعرف القمرا (118)

وقـــال :

انا ابن المضرحي أبي شليل وهل يخفى على الناس النهار (119)

وقالت الخنساء (120) :

---

115) قبل : ما ارتفع من الارض واستقبلك ، والمحجة الواضحة .

116) علياء : رأس الجبـــل .

117) ورد البيت في ديوان النابغة صنعة ابن السكيت ص 78 وروايته : فانك ... ورواية ديوان النابغة (ضمن مجموع خمسة دواوين) ص 13 : لانك . ورواية الكامل للمبرد 33/3 : فانك . ورواية المصون للعسكري : بانك .

118) ورد البيت في ديوان ذي الرمة ص 191 وروايته فيه :
حتى بهرت فما .. وفي الأصل : طلعت . وفي هامش الاصل : بهرت

119) البيت للقتال الكلابي في ديوانه ص 51 ــ تحقيق الدكتور احسان عبـــاس ــ بيروت 1961 . ونسب للقتال الكلابي في تاج العروس مادة (سبر) . وهو في اللسان مادة (سبر) من غير عزو ونسب للقتال في فصل المقال 114 وهو في اساس البلاغة 46/2 من غير عزو ايضا .
وفي الوحشيات ص 65 نسب لجلمود ! وروايته فيه :
انا ابن المضرحي أبي هـــلال ....
والقتال الكلابي هو عبد الله بن المضرحي من كلاب بن عامر بن صعصعة (شاعر اسلامي من شعراء الدولة المروانية) : انظر ترجمته في : الاغانـــي 319/23 طبعة دار الثقافة والمؤتلف 167 والخزانة 667/3 والسمط 12 واسماءالمغتالين 203 والقاب الشعراء 312 والمحبر لابن حبيب 213 و 226 ونسب قريش 219 والشعر والشعراء 594 وشرح الحماسة للتبريزي (طبعة بولاق) 104/1 ومعجم البلدان مادة (عماية) ومعجم ما استعجم للبكري مادة (ضريه) وكنى الشعراء 295 .
والمضرحي : النسر والصقر الطويل الجناحين والرجل السيد السري الكريم العتيق النجار ، انظر مادة (ضرح) في اللسان 358/3 .

120) تماضر بنت عمرو السلمية (ت 24 هـ) وانظر ترجمتها في : معاهد التنصيص 348/1 والدر المنثور 109 والشريشي 233/2 وحسن الصحابة 94 وجمهرة الانساب 249 واعلام النساء 305/1 وبروكلمان 164/1 والاغاني (ساسي) 19/13 والخزانة 403/3 وشرح شواهد المغني 89 والشعر والشعراء 260/1 والبيت بنصه في الصفحة 70 من ديوانها ــ تحقيق كرم البستاني ــ بيـروت 1951 . وروايته في ــ المصون في الادب ــ للعسكري ص 17 :
اغر ابلج تاتم الهداة به كانه علم في رأســه نـــار
والبيت في نظام الغريب 225 والكامل 46/3 والاغاني 132/13 وانظر عجـز البيت في : (رسالة في اعجاز أبيات تغني في التمثيل عن صدورها) للمبـرد ص 170 . وانظر العجز في الاشتقاق 209 .

وان صخرا لتأتـم الهـداة بـه   كأنه علم فى رأسه نـــار

ومن الفاظ الشعراء : هو امرؤ جمع شعوب المعالى. قال ابن الاعرابى: رجل صيت : أى شريف . وهو ذو حسب ضخم ، وهو ذو حسب عود .

بـاب البشـاشـة

يقال : تحفى به اذا ألطفه . وقد بش اليه ، وهش ، وتهلل ، وأصل التهلل اشراق الوجه وطلاقته . قال الحطيئة (121) :

مفيد ومتلاف اذا ما سألتـه   تهلل واهتز اهتزاز المهنـد

باب الفاظهم فى الرجل الجامع للخصال المحمودة

قال وهب بن ربيعة (122) فى رجل :

حلـو الحـلاوة دهشـم   جلد القـوى مـر المريـرة

وقالوا لاخت عمرو ذى الكلب (123) : خرجنا نريد أخاك . قالت : والله

---

121) هو جرول بن اوس العبسي (ت نحو 45 هـ) انظر ترجمته فى : الاغاني 157/2 والخزانة 408/1 والعيني 473/1 والاصابة 63/2 وطبقات الجمحي 93 والشعر والشعراء 238/1 وفوات الوفيات 99/1 . ورواية البيت فى ديوان الحطيئة ــ تحقيق نعمان امين طه ــ القاهرة ــ 1958ص161: « كسوب ومتلاف » . والبيت فى زهر الاداب 907/2 وديوان المعاني 43 .

122) انظر ترجمة وهب بن ربيعة فى : جمهرة الانساب ص 400 واللباب 281/3 والتاج 509/1 والاعلام 148/9 . وهو لم يكن شاعرا .
وفى شعر (ابي دهبل واخباره) ص 1055 ــ المجلة الاسيوية الملكية ــ اكتوبر 1910 ، ان البيت لابي دهبل واسمه (وهب بن زمعة) من قصيدة يمدح فيها المغيرة بن عبد الله ، مما يقطع بان كلمة ربيعة محرفة وصوابها زمعـه .

123) اسمها جنوب ، شاعرة بليغة ، انظر ترجمتها فى أعلام النسـاء 218/1 . وعمرو ذو الكلب بن العجلان شاعر فارسي من بني كاهل ، كان جارا لهذيل وقيل كان معه كلب لا يفارقه فسمي بذلك . وقال ابن حبيب : انما سمي ذا الكلب لانه خرج فى سرية من قومه وفيهم رجل يدعى عمرا ، وكان مع عمرو هذا كلب ، فسمي ذا الكلب ، وله شعر فى القسم الثالث من ديوان الهذليين. وقد ورد الخبر المذكور فى ديوان الهذليين 120/3 باختلاف يسير وهذا نصه: « قال ابو عبيدة : « كان ذو الكلب يغزو « فهما » فوضعوا له الرصد على الماء فاخذوه وقتلوه ، ثم مروا باخته جنوب ، فقالت لهم : ما شانكم فقالوا : انا طلبنا أخاك عمرا . فقالت : لئن طلبتموه لتجدنه منيعا ، ولئن اضفتموه لتجدن جنابه مريعا ، ولئن دعوتموه لتجدنه سريعا . قالوا : فقد أخذناه وقتلناه ، وهذا سلبه ، قالت : لئن سلبتموه لا تجدن ثنته وافية ، ولا حجزته جافية ، ولاضالته كافية ، ولرب ثدي منكم قد افترشه ، ونهب قد احترشه، وضب قد احترشه » . ــ

لئن اردتموه لتجدنه منيعا ، ولئن ادرتموه لتجدنه سريعا ، ولئن ضفتموه لتجدنه مريعا . قالوا : فهذا سلبه قد سلبناه . قالت : والله لئن سلبتموه ، ما وجدتم ثنته وافية ، ولا ضالته كافية ، ولا حجزته جافية . قالوا : قد قتلناه ، قالت : والله لئن قتلتموه ، لرب ثدى منكم قد افترشه ، وضب منكم قد احترشه ، ونهب منكم قد افترشه . وسأل عمر (124) متمما (125) : ما كان أخوك (126) ؟ قال : « كان والله يعرى العين جمالا والاذن بيانا (127) قال : وغير هذا ؟ قال : كان لا يضّل حتى يضل النجم ، ولا يعطش حتى يعطش الجمل ، ولا يجبن حتى يجبن السيل » . ومن هذا الباب . قول الهذلى (128) .

- وفى القسم المذكور من ديوان الهذليين عدة قصائد لجنوب ترثي اخاها عمرا ، وفى جمهرة الامثال 62/2 ورد بعض هذا الكلام منسوبا لأم جليحة القبسية عشيقة عمرو المذكور .

124) الخليفة الثاني عمر الخطاب (رض) (ت 23 هـ) انظر ترجمته فى : مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ، وابن الاثير 19/3 والطبري 187/1 — 217 و 2/2 — 82 واليعقوبي 117/2 والاصابة : الترجمة رقم 5738 وصفة الصفوة 101/1 وحلية الاولياء 38/1 والخميس 259/1 ثم 239/2 واخبار القضاة لوكيع 105/1 والبدء والتاريخ 88/5 و 167 وشذور العقود للمقريزي 5 والكنى والاسماء 7/1 والاستيعاب 458/2 والبداية والنهاية 18/7 وتاريخ الخلفاء 108 وتاريخ ابن الوردي 144/1 وخصائص العشرة الكرام البررة للزمخشري 51 — 65 وتاريخ الاسـلام 207/1 — 252 ومروج الذهب 312/2 — 340 والمعارف 77 — 82 وشذرات الذهب 27/1 وتاريخ ابن خلدون 178/1 ، 306 — 365 وصبح الاعشى 255/3 والسيرة الحلبية 359/1 وسيرة ابن هشام 364/1 وطبقات الفقهاء ص 6 وطبقات ابن سعد والرياض النضرة فى مناقب العشـرة 187/1 و 2/2 — 82 والفخري 71 والتبر المسبوك 53 واحياء العلوم 462/4 وفتوح البلدان 350.

125) هو متمم بن نويره اليربوعي التميمي (ت نحو 30 هـ) انظر ترجمتـه فى : الشعر والشعراء 254/1 والطبري 24/3 والمؤتلف 297 وجمهرة انساب العرب 224 وشرح المفضليات للانباري 63 و 526 والاصابة رقم الترجمة 7719 والجواليقي 375 ومنتخبات من شمس العلوم لنشوان الحميري 102 وشواهد المغني 196 والاغاني 63/14 وجمهرة اشعار العـرب 141 والمرزباني 466 وسمط اللالي 87 والتبريزي 148/2 والجمحي 169 و174 وخزانة البغدادي 236/1 ورغبة الآمل 97/3 و 223/8 و 231 — 234 . والاعلام 154/6 — 155 وكتاب — مالك ومتمم ابنا نويره اليربوعـي — لابتسام مرهون الصفار .

126) هو مالك بن نويرة (ت 12 هـ) . انظر ترجمته فى : الاعلام 145/6 وفوات الوفيات 143/2 والاصابة رقم الترجمة 7698 والنقائض 22 و 247 و 258 و 298 والمرزباني 360 والشعر والشعراء 119 والمحبر 126 وشـرح العيون 44 والجمحي 170 ورغبة الآمل 58/1 والخزانة 236/1 .

127) ورد بعض الخبر فى كتاب البديع لابن المعتز ص 6 وروايته : « قال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله اباك فانه كان يقري العين جمالا والاذن بيانا » .

128) الهذلي : هو ابو المثلم الهذلي ثم الخناعي ، من بني خناعة بن سعد بن هذيل انظر ترجمته فى المؤتلف ص 277 — 278 . والابيات من قطعة قالها فى رثاء صخر الغي الهذلي بعد مقتله . انظر ديوان الهذليين — قسم 2 ص 238 — 239 ، وانظر شرح اشعار الهذليين صنعة السكري 284/1 — 286 .

آبى الهضيمة ناب بالعظيمة متلاف الكريمة لا نكس (129) ولا وان
حامى الحقيقة نسال الوديقة معتاق الوسيقة جلد غير ثنيان (130)

ربـــاء مرتبة منـــاع مغلبـــة   وهاب سلهبة(131)قطاع أقران
هباط أودية حمـــال ألويـــــــة   شهاد أندية سرحان فتيان (132)

ومن الفاظ الهذليين : كفيت النسا (133) نسال حد الوديقة. وقولهم: لهفى كل ما رفع الفتى من صالحسبب (134) وفى خلاف ذلك، هو هلباجه، جبس،

---

129) فى ديوان الهذليين وشرح السكري والمؤتلف : لا سقط .
130) فى ديوان الهذليين : ثنيان (بكسر الثاء) . وفى المؤتلف : خرق غير ثنيان . وفى اضداد ابي الطيب 132 : جلد غير ثنيان . والبيت فى المعاني الكبير 538/1 .
131) فى ديوان الهذليين : ركاب سلهبة . ورواية السكري : وهاب سلهبة ورواية البيت الثاني من هذه القطعة فى المجمل لابن فارس ص 189 :

حامي الحقيقة نسال الوديقة معـــ   ـــتاق الوسيقة لا نكس ولا وان

وهو انشـــاد مداخـــل .
132) نسبت القطعة للخنساء فى رثاء اخيها صخرا من قصيدة مطلعها :

يا عين تبكي على صخر لاشجان   وهاجس فى ضمير القلب خزان

انظر ديوانها طبعة دار صادر ودار بيروت ص 136 — 137 .
والاختلاف بين رواية المتخير ورواية الديوان كبير . ونص رواية ديـــوان الخنساء :

آبي الهضيمة آت بالعظيمة متـــ   ـــلاف الكريمة ، لا نكس ولا وان
حامي الحقيقة بسال الوديقة معـــ   ـــتاق الوسيمة جلد غير ثنيـــان
طلاع مرقبة مناع مغلقـــــة   وراد مشربـــة قطـــاع أقـــران
شهاد أندية حمـــال الـــويـــــة   قطاع أوديـــة سرحـــان فيمان

والابيات فى « البديع فى نقد الشعر » لاسامة بن منقذ ص 117 — 118 منسوبة للخنساء وروايتها قريبة من رواية المتخير .
والابيات فى العمدة 26/2 — 27 منسوبة لابي المثلم الهذلي . ونسبت لابي المثلم فى المشاعتين ص 300 .
133) الكفيت : الصاحب الذي يكافئك اي يسابقك . والكفيت : القوت من العيش . والكفيت : القوة على النكاح . ورجل كفيت : سريع خفيف دقيق . انظر مادة (كفت) فى اللسان 384/2 .
134) البيت من قصيدة لأبي العيال الهذلي فى رثاء قريب له اولها :

فتى ما غادر الاجنـــا   د لا نكس ولا جنـــب

وابو العيال شاعر مخضرم عمر الى خلافة معاوية . انظر ديوان الهذليـــين 241/2 وشرح ديوان الهذليين 423/1 والاغاني 167/20 والشعـــر والشعراء 560/2 والاصابة 143/7 . ومعنى البيت : يقول : كل ما قدم الرجال من خير فله فيه نصيب .

عياياء . وكان نصير (135) يقول : الطباجة المستجمع لخصال الشر ، كما ان الشيظم المستجمع لخصال الخير . قال الاصمعى ، سألت عنه أعرابيــا فقال : هو الثقيل البليد الوخم الشديد الضرس الضعيف العمل لا يحاضر به القوم . قال : والعياياء الذى لا يتجه لشىء من أمره ، وكذلك الطباقاء . وفى الحديث : « عياياء طباقاء كل داء له داء » (136) .

بـــــاب الشبــاب

يقال : هو شاب ، معتدل القناة ، سوى العصا . قال أبو حية (137):

حنتك الليالى بعد ما كنت مرة سوى العصا لو كن يبقين باقيــا

ومن ألفاظهم : « الشباب مظنة (138) الجهل » (139) . وهو ريان من ماء الشباب . ورجل مخلد ، اذا لم يشب . وهو فى عنفوان شبابه وترحه عيشه . ويقولون : كان ذلك وفى عيشنا غرر . ومن ظريف كلامهم : سايرت ركبان الصبا ، وكنت ابن لهو أسابى الصبا . وفى الحديث (140) : « عليكم

---

135) نصير : هو نصير بن ابي نصير الرازي ، من الطبقة الثالثة من علماء اللغة الذين اعتمد عليهم الازهري فى معجم التهذيب ، وكان علامة نحويا ، جالس الكسائي واخذ عنه النحو وقرأ عليه القرآن ، كما سمع الاصمعي وابا زيد ، ولم تذكر المراجع سنة وفاته . انظر ترجمته فى : تهذيب الازهري 22 ، انباه الرواة 347/3 رقم الترجمة 796 ، بغية الوعاة 316/2 رقم الترجمة 2068 تلخيص ابن مكتوم 264 .

136) انظر الحديث فى : صحيح مسلم 1898/4 والنهاية 114/3 .

137) هو الهيثم بن الربيع النميري (ت 210 هـ) وانظر ترجمته فى : الشعــر والشعراء 658/2 وطبقات ابن المعتز 143 والاغاني 307/16 والمؤتلــف والمختلف 145 والخزانة 283/4 . ولم يطبع له ديوان . والبيت بنصه المتقدم فى : زهر الآداب 222/1 وامالي القالي 185/2 واللآلي 802 . وهــو فى الحماسة البصرية 424/2 وروايتــــه :

حنتني الليالي بعد ما كنت مرة قويم العصا لو كن يبقين باقيا

138) فى الاصل : مظنية ، بالجمع بين النون والياء مع رسم (خ) صغيرة فوق الظاء . مما يجعل الكلمة تقرا بوجهين : مطية ، مظنة .

139) انظر المثل فى الميداني 367/1 رقم المثل 1976 ونصه : « الشباب مطية الجهل » ، ويروى : « مظنة الجهل » اى منزله ومحله الذي يظن بـــــه .

140) رواه ابن ماجه عن عويم بن ساعدة الانصاري بلفظ : عليكم بالابكارفانهن أعذب أفواها وانتق ارحاما وارضى باليسير (598/1 رقم الحديث 1861) وفى اسناده محمد بن طلحة ، قال فيه ابو حاتم فى الجرح والتعديل : لا يحتج به (قسم 2 ج 3 ص 292)، وعبد الرحمن بن سالم بن عتبة، قال البخاري: لم يصح حديثه (تهذيب التهذيب 238/9 ومصباح الزجاجة 108 ـ آ) ورواه الطبراني فى الاوسط عن جابر بن عبد الله ، وفى اسناده ابو بلال ـ

بالشواب فانهن أغر أخلاقا ، وأنتق ارحاما ، وأرضى باليسير » . ويقول ابن هرمـــة (141) :

تعلقتها واناء الشباب يفهق(142) من جانبيه طفاحا

ويقول ابن الطثريـــة (143) ·

جـــرى فوقها زهو الشباب وباشرت نعيم الليالى والرخاء من الخصب

وقال الهذلـــــى (144) :

يجيب بعد الكرى لبيك داعيــــه مجذامة لهواه قلقل عجـــل (145)
ليس بعل كبير لا شباب به (146) لكن أثيلة صافـــى الوجه مقتبـــل

- الاشعري ، ضعفه الدار قطني (مجمع الزوائد 259/4 وزوائد المعجمـــين مخطوط ورقة 199 . ورواه ابن الاثير فى النهاية 13/5 . ورواه البيهقي فى السنن الكبرى 81/8 واورده السيوطي فى الجامع الصغير 63/2 وفى كتب الادب ورد الحديث فى جمهرة الامثال 289/1 وروايته : « عليكم بالابكـــار فانهن أطيب افواها وانتق ارحاما » . وفى أمالي القالي 307/2 وروايتـــه : « عليكم بالابكار فانهن أطيب افواها وانتق ارحاما وأرضى باليسير » .

141) هو ابراهيم بن هرمة (ت 176 هـ) والبيت فى ديوانه تحقيق المعيد ص 80 . وهو ايضا المراجع التالية : البخلاء 185 والمعاني الكبير 213 والصناعتين 123 والتمثيل والمحاضرة 73 وثمار القلوب 445 وشروح سقط الزند 20 و 345 ومجمع الامثال 225/1 و 323/2 وشرح المقامات 179/3 ونهايـــة الارب 49/3 وحياة الحيوان 149/2 .

142) فى الديوان : يطفح .

143) ابن الطثرية : هو يزيد بن سلمة القشيري (ت 126 هـ) . انظر ترجمته فى : أرشاد الاريب 299/7 ووفيات الاعيان 299/2 وسمط اللالي 13 وأسمـــاء المغتالين من الاشراف 247/2 والشعر والشعراء 340/1 والاغاني (طبعة الدار) 155/8 وطبقات الشعراء 150 والتبريـــــزي 161/3 و 122/4 وحماسة ابن الشجري 145 ، 159 ، 199 . ورغبة الآمل 141/5 والأعلام 236/9 . ونشر الاستاذ حمد الجاسر فى مجلة العرب الجـــزآن 9 و 10 (حزيران 1967) ص 816 — 853 بحثا قيما عنه بعنوان — الشاعر يزيد ابن الطثريه اخباره وشعره — . ثم ذيل عليه فى العددين الحادي عشـــــر (آب 1967) والثاني عشر (ايلول 1967) من المجلة المذكورة . وفى الاصلين : من الخطب ، وهو تحريف .

144) هو المتنخل الهذلي ، واسمه مالك بن عويمر ، والبيتان من قصيدة قالهـــا فى رثاء (اثيلة) ابنه ، انظرها كاملة فى ديوان الهذليين — القسم الثاني ص 33 — 37 . والبيت الثاني فى اللسان مادة (علل) وخلق الانسان للاصمعي 162 وخلق الانسان لثابت 27 . وانظر ترجمة المتنخل فى : الاغاني (طبعة الدار) 30/10 و (طبعة الثقافة) 259/23 . والاصابة رقم الترجمة 7675 والمحبر 246 و 473 والمرزباني 361 والروض الأنف 287/2 والنقائـــــض 495 والخزانة 135/2 والشعر والشعراء 552/2 والعينـــــي 517/3 والسمط 724 وجمهرة اشعار العرب 594 .

145) فى الديوان ص 25 : وقل ، وهو الجيد التصعيد فى الجبل .

146) فى الشعر والشعراء وخلق الانسان لثابت : له .. والعل : المسن الصغيـــر الجسم ، وأخذ من القراد واسمه العل .

ويقول مسلم : لو رد فى الرأس منى سكرة الغزل (147) ويقـال : عليكم بالشواب فانهن أغل خبا وأشد حبا .

بـاب الشيـب (148)

يقولون : قـد ودع الشبـاب ، ونقدت (149) أسنانه . ويقولون : حط عن ظهر الصبا رحله ، وحنى قوسه موترها ، وحنى الشيب قناه مطاه، وعصر العيدان بارحها ، وفلان تشمم (150) دالف ، وقد أقصرت راحلـة الصبا ، وملت الترحال . وهريق اناء الشباب . وكأنه حفض (151) بال . وورع (152) الشيب شراستى وعرامى . وشردت عنى أفراس الصبا ، وذوى عود صباى . ويقال لمن شاب : قد توضح عذاره ، ومفرقه . ويقول الفرزدق (153) :

والشيب ينهض فى الشباب كأنه ليل يصيح بجانبيه نهار

ويقول ابن مقبل : « ذهبت تليات الصبا » (154) « ولا خيـر فى

---

147) رواية البيت فى ديوان مسلم بن الوليد الانصاري ص 4 :
ماذا على الدهر لو لانت عريكته ورد فى الرأس مني سكرة الغزل

وانظر ترجمة مسلم (ت 208 هـ) فى : النجوم الزاهرة 186/2 وسـمط اللآلي 427 والمرزباني 372 والتبريزي 5/3 وتاريخ بغداد 96/13 وتاريخ جرجان 419 والنويري 82/3 والشعر والشعراء 712/2 وطبقات ابـن المعتز235 ومعاهد التنصيص 55/3 والموشح 289 وبروكلمان32/2 والاعلام 120/8 .

148) راجع باب الشيب فى الالفاظ الكتابية ص 252 .

149) نقدت : تأكلـت .

150) تشمم : المسن من الرجال .

151) حفض : ردىء المتاع ورذالـه .

152) ورع : رد

153) ورد البيت فى شرح ديوان الفرزدق ـ تحقيق عبد الله الصـاوي 467/2 وروايته :
والشيب ينهض فى السواد كأنـه ليل يصيح بجانبه نهـار

وانظر البيت فى التبيان فى علم البيان للزملكاني ص 47 والمرزباني 467 واللسان مادة نهر 97/7 وشروح سقط الزند 792 . والفرزدق : هو همام بن غالب الدارمي (ت 110 هـ) . انظر ترجمته فى : أغاني الساسي 180/8 والموشح 99 ومعجم المرزباني 486 وارشاد الاريب 297/19 وابن خلكان رقم 755 والخزانة 105/1 وشذرات الذهب 141/1 وبروكلمان 209/1 والشعـر والشعراء 381/1 والشريشي 142/1 ومعاهد التنصيص 45/1 وابن سلام 75 ومفتاح السعادة 195/1 وامالي المرتضى 58/1 وجمهرة اشعار العرب 163 وسرح العيون ـ طبع بولاق 213 ـ والحيوان 226/6 .

154) العبارة تسيم بيت لابن مقبل ص 73 من ديوانه هذا نصه :
يا حر امست تليات الصبا ذهبت فلست منها على عين ولا أثر

العيش بعد الشيب والكبر » (155). ويقولون : قد قنعه الشيب . ومن ألفاظ الشعراء : أقصر جهلى ، وثاب حلمى ، ونهنه الشيب من عرامى . ويقولون : لوح بالقتير (156) ، وقنعه الشيب أخلاقه . ونظر رجل الى شيخ فقال : كيف أصبحت ؟ فقال : فى الداء الذى يتمناه (157) الناس .

بـــاب الجمـــال *

يقال : ان فلانا لمشبوب ، نير الوجه . ويقولون للمرأة البيضاء : ان الخمار الاسود يشب وجهها ويحفله (158) . قال بشر (159) :

رأى درة بيضاء يحفل لونها   سخام كغربان البرير مقصب

وقال : ان الناس يرون بك هلالا . قال الفرزدق :

ترى الغر الجحاجح من قريـــــش   اذا ما الامر ذو الحدث عـــالا
قياما ينظرون الــــى سعيــــد   كأنهم يرون به هـــــلالا (160)

وقالت أعرابية لرجل : انك لتزوننا اذا أتيتنا كأنك هلال بدا فى غيــر قتان (161) ، أى فى غير غبرة . ويقولون : ما أنضر وجهه ، وأشرقه ! وما أحسن التياحه (162) ! وان فلانا لمبشار ، أى هو أبدا ضاحك. وانه لاحسن

155) العبارة تسيم بيت لابن مقبل فى ديوانه روايته :

قالت سليمى ببطن القاع من سرح   لاخير فى العيش بعد الشيب والكبر

156) القتير : المشيب .
157) هكذا فى الاصلين . ولعلها : يتماماه . او : لا يتمناه .
*) راجع باب حسن المنظر فى الالفاظ الكتابية 147 وباب ترادف الحســـن 281 وباب الحسن فى تهذيب الالفاظ 205 .
158) اي يزيد فى جمالها وشدة بياضها .
159) البيت لبشر بن ابي خازم الاسدي ، انظر ديوانه ص 7 والبكــري 82/2 والمحجل 223 والمقاييس 180/1 واللسان مادة (قصب ، حفل) والصحاح مادة (غرب) والاســاس مادة (حفل) وتاج العروس 431/1 و 281/7 . وانظر ترجمة بشر (ت نحو 92 ق . هـ) فى : الشعر والشعــراء 190/1 وامالي المرتضى 114/2 وخزانة البغدادي 262/2 والاعـــلام 27/2 ومختارات ابن الشجري 31/2 والموشح 80 .
160) البيتان فى شرح ديوان الفرزدق 618/2 ورواية الاول :

ترى الشم الجحاجح من قريش   اذا ما الامر فى الحدثان غالا

161) فى الاصل : قمان ، والصواب ما اثبتناه ، جاء فى اللسان مادة (قتــم) 359/15 : القتم والقتام : الغبار وحكى يعقوب فيه : القتان ، وهو لغة فيه.
162) التياحة : بياضه المتلالىء .

من شنف (163) الانضر . وأحسن من الوذيلة (164) ؟ الانضر جمع نضر، وهو الذهب . وما أحسن أسرار وجهه ، وأسرة وجهه (165) ! وانــــه ليستسقى به الغمام . وانه لبسام ساعات الوجوم . وانه لنير الوجه ، بليج الوجه . وما أحسن قسمته ! وهو الوجه (166) . قال :

كأن دنانيرا على قسماتهم   وان كان قد شف الوجوه لقاء

ومن الفاظ الشعراء : انه لموسوم بالحسن ، غير قطوب ويقولون : هو أحسن من دينار الاعزة ؟ وقال بعض الرجاز (167) :

يا رب رب سالم بارك فيـــــه
أذكرني لما نظـــرت في فيـــــه
أجـــرع نـــور برقت أقاحيـــه
والوجه لما أشرقت نواحيه
دينـــار صـــرف في يـــد تنزيـــه
والرأس اذ أخذته أدريـــه
جناح نسر حســـن خوافيـــه

ويقال : رجل طرير : ظاهر الجمال . وهو صير شير ، اذا حسنــت

---

163) الشنف : القـــرط .
164) الوذيلة : المرآة
165) الخطوط التي في الجبين .
166) البيت في حماسة أبي تمام بشرح التبريزي 193/2 وشرح المرزوقي 1457 واللســان مادة قسم 383/15 ومعجم الشعراء 332 لمحرز بن المكعبر الضبي وفي الكامل 80/1 نسب البيت للمكعبر .
وفي خلق الانسان لثابت ص 101 نسب لحريث بن محفض المازني . والبيت من غير عزو في المراجع التالية : معاييس اللغة 86/5 والاشتقاق 62 وشروح سقط الزند 1047 وأضداد ابن الانباري 107 والمخصص 89/1 وخلـــق الانسان للاصمعي 179 . وجاء في نظام الغريب ص 10 : القسمة : ما بين الانف والوجنة من الوجه . قال الشاعر :

كان دنانيرا على قسماتهم   اذا الموت للابطال كان تحاسيـــا

انظر البيت الاخير في : الحماسة شرح المرزوقي 1764 والمرزباني 304 وزهر الآداب 412/1 .
167) وردت الارجوزة في عيون الاخبار المجلد الرابع ص 30 ناقصة ومحرفة وهـــذا نصها : وقال اعرابي يرقص ابنا له :

يا رب مالك بارك فيـــــه   بارك لمن يحبـــه ويدنيـــه
ذكرني لما نظرت في فيـــــه   اجرع نور غريت أواخيـــه
والوجه لما أشرقت نواحيـــه   دينـــار عين بيـــد تبريـــه

صورته وشارته وهي ثيابه . وهو وسيم قسيم . ومن جيد كلامهم قول ابن هرمـــة :

انى غرضت الى تناصف وجهها   غرض المحب الى الحبيب الغائب(168)

وأحسن منه قول الآخر :

جلبنـــا كل طـــــرف (169) أعوجـــي (170)
كمصب البرد أقـــرح (171) أو بهيـــم (172)
وسلهبة يـــزال الطـــرف عنهـــا   تفوت بنـــان ملجمهـــا الجسيـــــم

قوله : يزل الطرف عنها ، أى لكثرة محاسنها لا يقف الطرف منها على شىء انما يجول . ويقولون : سرج الله وجهه ، أى حسنه . ويقولون : هو : هلال بدا من غمرة وغيوب . ووجهه كمرآة المضر (173) ، « وكمـــرآة الغريبـــة » (174 . ويقولـــون للرجل يتزيـــن بـــه : هـــو لنا بـــرد

---

168) راجع البيت فى ديوان ابراهيم بن هرمه : صنعة محمد جبار المعيبد ص 65 . وهو ايضا فى المراجع التالية : تهذيب اصلاح المنطق 128/1 واللسان مـــادة (غرض ونصف) والكامل 33/1 والفاضل 28 وشرح القصائد السبع الطوال 309 واضداد ابن الانباري 107 ومقاييس اللغة 417/4 وشروح سقـــط الزند 656 ورغبة الآمل 140/1 واصلاح المنطق 71 والصحاح مادة (نصف) وثمار القلوب 90 والمسلسل 49 .
وانظر ترجمة ابراهيم بن هرمة (ت 176 هـ) فى : الشعر والشعراء 639/2 والاغاني 101/4 والخزانة 203/1 والسمط 398 وتهذيب ابن عساكـــر 234/2 وطبقات ابن المعتز 20 والموشح 223 وتاريخ بغداد 127/6 والبداية والنهاية 170/10 والنجوم الزاهرة 84/2 . وطبع ديوانه فى دمشق والنجف. وتمتاز الطبعة العراقية بزيادات كثيرة .

169) الطرف : الكريم الابوين من الخيل ونحوها .

170) اعوجي : نسبة الى اعوج ، وكان لملك كندي ، غزا بني سليم يوم علاف ، فهزموه واخذوا اعوج فكان لسليم ثم لبني هلال ، ولهم نتجوه . وأمه سبل بنت فياض ، كانت لبني جعدة ، انظر : انساب الخيل لابن الكلبي ص 21 والنقائض 303/1 والخيل لابي عبيدة ص 66 .

171) من القرحة ، وهي كل بياض كان فى جبهته ثم انقطع قبل ان يبلغ المرسن . انظر الخيل ص 109 . وجاء فى الكنايات للجرجاني ص 127 : « ومن شيات الوجه : اذا كان فى جبهته بياض كالدرهم او اقل فهو اقرح فان زاد عليه فهو اغر فان دقت القرحة قيل : اقرح خفي » .

172) البهيم : هو الذي لا شية فيه ، والشية كل لون يخالف معظم لون الفرس . انظر الخيل ص 108 .

173) المضر : ذات الضرائر .

174) من امثال العرب (انقى من مرآة الغريبة) ، وهي التي تتزوج فى غير قومها ، فهي تجلو مرآتها ابدا ، لئلا يخفى عليها من وجهها شيء . انظر : جمهرة الامثال 316/2 والميداني 207/2 والمقتصي 160 . ومن امثالهم ايضـــا : « اوضح من مرآة الغريبة » . انظر : جمهرة الامثال 351/2 والميدانـــي 226/2 والمستقصى 172 .

جميل (175) . وقــال :

وكنت لنا جبلا معقــلا   وعند المقامة بردا جميــلا

ويقولون : هو حسن الحبر والسبر (176) ، أى ناعم . وهو ذو طلاوة. قال أبو زياد : وقفت على ناس من بنى عامر بالبادية ، فقال بعضهم وقد سمع كلامى : اما اللسان فبدوى ، واما السنح فحضرى . والسنـــح : الهيئة (177) . قال ابن الاعرابى ، قالت لى أم هاشم السلولية: انه ليعجبنى سنحك وضحك ، قلت : وما سنحى ؟ قالت : هيئتك . قلت : وما وضحى قالت : ما بدا من وجهك .

بــاب فى العبوس (178) والقبــح

يقال : انه لعابس ، قطوب . وقد قطب ، اذا جمع بين عينيه (179) . ومنه قولهم : قطب الشراب ، اذا جمع بينه وبين الماء مزجا . وأن فى وجهه لابلاسا (180) ، وانه لاسحم (181 الوجه ، وأصبح فلان مسخد (182) الوجه ، مورما ، مهبجا (183) . وهو جهم الوجه ، فأن كان ذلك عارضا من غضب قلت: تربد وجهه، وترمد، وكأنما سفى(184) فى وجهه الرماد،(185) وكأنما طلى وجهه بتنوم (186) ، وحمم (187) ، كل ذلك اذا اسود وتغير ؟

---

175) البيت لحميد بن ثور الهلالي وهو فى ديوانه ص 120 والبيت له ايضــــا فى الاشباه والنظائر للخالديين 343/2 . وانظر ترجمة حميد (ت نحو 30 هـ) فى : الاصابة 39/2 والاستيعاب 141 واسد الغابة 53/2 وطبقات الشعراء 193 والاغاني 97/4 ومعجم الادباء 153/4 والعيني 177/1 واللآلىء 376 والشعر والشعراء 349 وتهذيب ابن عساكر 456/4 وشرح شواهد المغني للسيوطي 73 وحسن الاصابة 92 ومقدمة ديوانه صنعة عبد العزيز الميمني والاعلام 318/2 .

176) الحبر : الجمال . السبر : الهيئة .

177) راجع النص فى الصحاح مادة (سبر) 675/2 وفى اللسان مادة (سبر) .

*) راجع باب التطوف فى تهذيب الالفاظ ص 441 وباب أجناس العـــابس فى الالفاظ الكتابية ص 231 .

178) الذي فى المعاجم : العبوس (بضم العين) . وربما قصد العبوس : اي العباس .

179) انظر المقاييس 104/5 .

180 الابلاس : الانكسار والحزن والياس والتحير .

181) اسحم : اسود

182) مسخد : مورم مصفر ثقيل من مرض او غيره .

183) هبج وجه الرجل : انتفخ وتنبض ، وتهبج : تورم .

184) سفي التراب : ذرى وتبدد .

185/ الرماد : فى الاصل الرماد (بفتح الدال) .

186) التنوم : نبات فيه سواد ، وفى الاصل بفتح التاء والنون .

187) الحمم : الرماد والفحم .

واقد تمعر وجهه (188) ، وكأنما فقئ في وجهه حب الحماض ، وصار وجهه كالصرف (189) ، وذلك اذا غضب فاحمر وجهه . ورجل كره الوجه، وبسر الوجه (190) . وقد كلح كلوحا ، وبسر بسورا ، وتبسر في عيني ، أي كرهت مرآته (191) . وانزوى ما بين عينيه ، أي تقبض .

بـــاب الفـــرح والســـرور

يقال : سر ، وجذل ، وبلج ، وحبر . قال قطرب : يقال حبره (192) الله ، أي نعمه . وقالت امرأة من العرب :

على ابنى مجل صوت ناع أصمنى   فلا آب محبورا بريـــد نعاهمـــا

وقد ابتهج به ، وبجح به : أي فرح ، وبجح أيضا وفي حديث أم زرع: « وبجحنى فبجحت » (193) ؟ وقال الراعى (194) :

وما الفقر من أرض العشيرة ساقنا   اليك ، ولكنـــا بقربـــاك نبجـــح

---

188) تمعر وجهه : تغير وعلته صفرة او زالت نضارته .
189) في الاصل : بفتح الصاد ، وهو خطا . والصرف : صبغ احمر يدبغ به الاديم .
190) وجه بسر : اي باسر وهو المقطب .
191/ مرآته : منظره .
192) في الاصل : حبره بالتشديد . والصواب ما اثبتناه .
193) حديث متفق عليه عن عائشة — رض — وفيه : « وبجحني فبجحت الـــى نفسي » . رواه البخاري (كتاب النكاح — باب حسن المعاشرة مـــع الاهل 35/7) . ورواه مسلم في (فضائل الصحابة 1899/4 رقم الحديث رقم الحديث 2448) . وانظر الحديث النبوي الشريف في المجمل لابن فارس 55 وروايته فيه موافقة لرواية المتخير . وهو في المقاييس مادة بحج 198/1 وفي اللسان مادة (بجـــح) .
194) عبيد بن حصين بن معاوية النميري (ت 90 هـ) . والبيت المتقدم لا وجود له في (شعر الراعي النميري واخباره) — جمع وتقديم وتعليق الدكتور ناصر الحاني ومراجعة عز الدين التنوخي . وارجح أنه من قصيدة الراعي التي مدح بها بشر بن مروان واولها :
أمي أثر الاظعان عينك تلمـــح   نعم لات هنا ان قلبك متيـــح
وقد اثبت الحاني منها سبعة ابيات في قطعتين منفصلتين دون ان يلتفت الى انهما من قصيدة واحدة . والبيت في المجمل ص 55 منسوبا للراعي ، وروايته فيه مطابقة لرواية المتخير . وهو أيضا في المقاييس 198/1 وزهـــر الآداب 267/1 واللسان مادة بجح . وروايته في المقاييس وزهر الآداب : فما . وفي زهر الآداب : ننجح . وفي المقاييس : نبجح (بفتح الباء) . وفي اللسان : من: من وانظر ترجمة الراعي في : الاغاني 168/20 والمؤتلف 122 والخزانـــة 502/1 وطبقات ابن سلام 117 والسمط 49 والشعر والشعراء 327/1 ونسب قريش والتبريزي 146/1 ورغبة الآمل 146/1 ثم 144/3 ثم 139/6 وحماسته ابن الشجري 129 — 188 — 191 والنقائـــض في مواضـــع متفرقة و الاعلام 340/4 .

بـــاب الكآبة والحزن والوجوم *

يقال : رأيته واجما ، وقد وجم يجم، ورأيته يخطط في الارض، ورأيته يعد الحصى . قـــال

ظللت ردائي فوق رأسي قاعدا   أعد الحصى ما تنقضي عبراتي (195)

وقـــال النابغة :

يخططن بالعيدان في كل مقعد   ويخبأن رمان الثدي النواهد (196)

وفي شعر معقل الهذلي (197) :   منكسة تخطط في التراب
ويقال : لاعه الحزن . قال متمم (198) :

فقلت لها طول الاسى اذ سألتنـــي   ولوعة حزن يترك الوجه أسفعــا

ويقال : شفه (199) ، ولعجه (200) ، ووقـــذه (201) ، وحمـــز صدره (202) ، وملأ ذرعه .

بـــاب السخـــــاء * *

---

195) البيت بنصه لامرىء القيس في ديوانه ص 73 طبعة حسن السندوبـــــي — القاهرة وهو بنصه ايضا في الصفحة 78 من الديوان — طبعة دار المعارف بمصر — تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . ورواية السكري : « ما تنجلي عبراتي » ، انظر ص 396 من طبعة دار المعارف . وفي الاصل : رداءي .

* راجع باب الحزن في تهذيب الالفاظ ص 619 وباب الحزن والاغتماض في الالفاظ الكتابية ص 149 .

196) البيت بنصه للنابغة الذبياني في ديوانه ص 169 — تحقيق الدكتور شكري فيصل .

197) هو معقل بن خويلد بن واثلة . وانظر شعره وترجمته في ديوان الهذليـــين 66/3 — 72 .

198) هو متمم بن نويره اليربوعي ، والبيت في المفضلية 67 ، انظر المفضليـــات — تحقيق وشرح احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون — الطبعة الرابعة ص 268 . وفيها . يترك : تترك . والبيت ايضا في جمهرة اشعار العرب ص 749 تحقيق علي محمد البجاوي . وهو ايضا في كتاب — مالك ومتمم ابنا نويره اليربوعي — لابتسام مرهون الصفار ص 114 . وقد سبقت ترجمته .

199) شفه المرض او الهم : أوهنه .

200) لعج الحزن فؤاده : استحر في قلبه . واللعج : كل محرق . الم . الضـــرب . الحرقـــــة .

201) وقذه : صرعه ، او ضربه شديداً حتى اشرف على الموت .

** راجع باب السخاء في تهذيب الالفاظ ص 201 وباب السخاء في الالفـــاظ الكتابية ص 94 وباب النوال والصلة ص 44 .

202) حمز صدره : اي قبضه وغمه .

ويقولـــون :

هو صبير (203) ينضح السمى (204) ، ويعلو (205) سوالف المجد

ويقولون : لا يطوى على البخل نفسه . وفلان يتخرق فى الجود . وقد لبس المجد أحسن ملبس . وينشدون :

وأبو اليتامى ينبتون ببابـــــه نبت الفراخ بكالىء معشــــاب (206)

وانه لندى البنان ، سبط الكف ، طويل اليد ؟ ومن كلامهم : يـــداه غمامة ، ومن بنانه يجرى الماء فى العود . وانه لغيث ، ونوء من الانواء . قال زهيـــــر (207) :

وأبيض فياض (208) يداه غمامة على معتفيه ما تغب نوافلــه (209)

ويقولون : كفه خلف من المطر . قال جرير :

انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنــا من الخليفة ما نرجو من المطر (210)

---

203) الصبير : السحاب الابيض

204) السمي : جمع سماء وهو المطـــــر .

205) فى الاصل : (ويعلوا) بزيادة الف .

206) البيت فى (نظام الغريب) ص 197 من غير عزو وروايته فيه :

وابو اليتامى ينبتون ببابـــــه نبت الفراخ بمكلىء معشاب

ومكان مكلىء معشاب : اذا تكاثر فيه النبت .
وقبله فى نظام الغريب بيت هو :

فكه الى جنب الخوان اذا غدت نكباء تقلع ثابت الاطناب

207) البيت من قصيدة لزهير بن ابي سلمى المزني يمدح حصن بن حذيفة الفزاري. راجع شرح ديوان زهير ــ صنعة ثعلب ص 139 . والبيت فى عيون الاخبار 341/1 وفى المسائل والاجوبة لابن السيد البطليوسي ص 144 وفى البديع لأسامة منقذ ص 122 .

208) فى الديوان : وابيض فيـــاض .
وانظر ترجمة زهير (ت 13 ق هـ) فى : طبقات الجمحي 52 والشعـــــر والشعراء 76/1 والاغاني 146/9 والخزانة 375/1 والاعلام 87/3 وشرح شواهد المغني 48 ومعاهد التنصيص 327/1 وجمهرة الانساب 25 و 47 وصحيح الاخبار 7/1 .

209) نوافله : ورواية الاصمعي : فواضله .

210) البيت بنصه فى شرح ديوان جرير ص 274 وهو من قصيدة فيها عمر بن عبد العزيز (رض) .
وكلمة (لنرجو) و (نرجو) :كتبتا فى الاصل بالف زائدة .

وانه لسمح ، ند ، موطأ الأكناف . فياح نفاح . فضفاض الرداء ، رحب المجم (211) ، طويل الساعدين ، واسع جيب الكم . قال : وهو يريد ما اشتمل عليه الجيب ، يعني نفسه ؟ وذلك كقولهم : طاهر الثوب ، طاهر الرداء . وفي الذم : هو دسم الثوب (212) . ويقال : رجل ذو فجر ، اذا كان يتفجر بالمعروف . قال الشاعر :

فجع أضيافي جميل بن معمـــر بذي فجر تأوي اليه الارامل (213)

وان في كفه لمطلبا للغنى . قال (214) :

فتى كفه للغنـــى مطلـــب وللسرب في صدره موضـــع
يريد الملوك(215)مدى جعفر ولا يصنعون الذي يصنـــع
وكيف ينالـــون غاياتـــه وهم يجمعون ولا يجمـــع
وليـــس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفــــه أوســـع

وهذا كقوله :

ولم يك أكثـــر الفتيـــان مـــالا ولكن كـــان أرحبهم ذراعـــا(216)

---

211) المجم : المصـــدر .
212) انظر اللســان : مادة (دسم) .
213) البيت لأبي خراش الهذلي ، انظر : الاشتقاق 130 وروايته فيه : « فجـــع أصحابي » . وجميل بن معمر من بني جمح وكان من أتم قريش لا يكتم شيئا . والبيت من قصيدة يرثي فيها أبو خراش ، زهير بن العجوة . وكان قتله جميل ابن معمر يوم حنين . والبيت أيضا في ديوان الهذليين 148/2 وروايته فيـــه كرواية — المتخير — . والفجر : المعروف والجود وانظر ترجمة أبي خراش الهذلي واسمه خويلد بن مرة وهو صحابي نهشته حية فمات في زمن عمر ابن الخطاب (ت نحو 15 هـ) في : الاغاني 38/21 — 48 والاصابة 464/1 وشرح الشواهد 144 وخزانة البغدادي 213/1 والشعر والشعراء 554 والسمط 216 وديوان الهذليين 116/2 والاعلام 373/2 .
214) الابيات الاربعة لاشجع بن عمرو السلمي (ت نحو 195 هـ) . انظرها في : الاغاني (الثقافة) 155/18 والاوراق قسم أخبار الشعراء ص 83 والبصائر والذخائر 2 قسم 2 ص 762 ومخطوطة الاوائل للعسكري ص 14 والخزانة 143/1 والشعر والشعراء 760 وتهذيب ابن عساكر 61/3 ومعاهـــد التنصيص 62/4 . والاول في بهجة المجالس ص 465 . مع اختلاف في الروايات وانظر ترجمة اشجع السلمي في : الاغاني 30/17 وتهذيب ابن عساكـــر 59/3 ومعاهد التنصيص 62/4 والتبريزي 169/2 وتاريخ بغداد 45/7 والشعر والشعراء 759 وخزانة البغدادي 143/1 والموشح 295 والاعلام 332/1 .
215) في الاصل : مـــدا .
216) البيت متدافع ، نسب لأبي زياد الاعرابي الكلابي في شرح الحماسة للمرزوقي ص 1592 . وروايته فيه مماثلة لرواية المتخير . والبيت في خزانة الادب —

ويقولون : هو متصل ديَفابر الخير ، أريحي ، وهو يبارى الريح .
وفلان خصيب ، موطأ الاكناف . ومما يشبه الجواد به أن يقال : بحر ،
وربيع مربع ،وخال : وهو الغيم البارق ، وخضرم : وهو البئر الكثيرة الماء.
ويقال انه لكريم المتصر ، هش المكسر . وذكر لحاجب بن زراره (217) أن
عوف بن القعقاع (218) على (219) ان ينافر خالد بن
مالك (220) فقال : « والله ما عوف بهش فيكسر ولا برطب فيعتصر »(221)
وفي هذه المنافرة قال خالد :

« أطعمت حولاً من أكل ، وأعطيت يوماً من سأل » (222) .

= 119/3 منسوب لأبي زياد الكلابي وروايته مماثلة لرواية المتخير . وقبله :

له نار تشب على يفاع — اذا النيران البست القناعا

كما نسبه السعد في المطول وصاحب المعاهد في شواهد التلخيص الى ابي زياد الاعرابي الكلابي .
وجاء في أوراق الصولي — قسم أخبار الشعراء ص 83 ما خلاصته : ان البيت لموسى شهوات مولى بني سهم قاله لعبد الله بن جعفر بن ابي طالب وروايته فيه : ولم يك « أوسع » الفتيان مالا . وقد نقل عنه البغدادي هذا الكلام واثبته في خزانته 144/1 .
والبيتان في مخطوطة الاوائل للعسكري ص 14 من غير عزو وروايتهما :

له نار تشب بكل ريح — اذا النيران جللت القناعا
وما ان كان اكثرهم سواما — ولكن كان ارحبهم ذراعا

والبيت في شروح سقط الزند ص 107 من غير عزو وروايته : ارحبهم : اطولهم . ورواية البيت في البيان والتبيين 145/3 من غير عزو

وما ان كان اكثرهم سواما — ولكن كان اطولهم ذراعا

وفي الحيوان 135/5 من غير عزو ، واورد الروايتين .

(217) حاجب بن زرارة : من زعماء تميم يوم جبلة ، أدرك الاسلام فاسلم . وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به ، وبه ضرب المثل . انظر ترجمته في الاصابة 1355 .

(218) هو عوف بن القعقاع بن معبد بن زرارة التميمي . وقد فخر القعقاع بابنه عوف اذ قال : « والله لما أرى من شمائل الجن في عوف أكثرمما ارى فيه من شمائل الانس » . انظر الحيوان 236/6 .

(219) هكذا في الاصلين ، وارجح ان كلمة قد سقطت من الناسخ وهي بمعنى : عزم او نحوها ، فاختلت العبارة .

(220) هو خالد بن مالك الدارمي التميمي . انظر ترجمته في الاصابة 272/1 .

(221) جاء في البيان والتبيين 88/3 ما نصه : وقال حاجب بن زرارة : « والله ما القعقاع برطب فيعصر ولا يابس فيكسر » .

(222) هكذا في الاصلين ، والذي في الاصابة 411/1 رقم 2194 ، ان القعقاع بن معبد بن زرارة هو الذي نافر خالد بن مالك . وسبب هذه المنافرة : « ان حاجب بن زرارة كان جالسا مرة وابله تورد عليه فاقبل خالد بن مالك النهشلي على فرس وفي يده رمح فقال : يا حاجب، والله لترقصن او لاطعننك فقال : تنح عني ايها السفيه . فأبى فبلغ ذلك شيبان بن علقمة بن زرارة ، فقال : أيتهكم خالد بعمي ، والله لانافرنه . فكلمت بنو تميم حاجبا فقهاه . فتنافر القعقاع بن معبد وخالد بن مالك الى ربيعة بن حذار الاسدي » .
والذي في الاصابة من وقوع المنافرة بين القعقاع بن معبد وخالد بن مالك ، يوافق ما جاء في البيان والتبيين 88/3 .

وقال الشاعر :

ألم يك رطبا يعصر القــوم مــاءه   وما عوده للكاسرين بيابس (223)

وقال الاعشى (224) :

وجروا على ما عودوا   ولكل عيدان عصــاره (225)

وقال الاخـــــر :

لو مج عود على قوم عصارتـــــه   لمج عودك فينا المسك والبانا (226)

وقال هشام بن حسان (227 : لا يبعد الله يزيد بن المهلب (228) ، ان كانت السفن لتجرى في جوده. وفلان عد من الاعداد. والعد : الماء الدائم الذي لا ينقطع . ومن ألفاظ الشعراء : ينعش المولى ويحتمل الجلى . وفــــلان

---

223) البيت لرجل من محارب يرثي ابنه ، انظر البيان والتبيين 88/3 .

224) هو ميمون بن قيس (ت 7 هـ /) ، انظر ترجمته في : الشعر والشعراء 178/1 والاغاني (الساسي) 74/8 ومعجم المرزباني 325 والمؤتلف 12 والخزانة 83/1 وشرح شواهد المغني 85 ومعاهد التنصيص 196/1 وآداب اللغة 109/1 ورغبة الامل 70/4 وصحيح الاخبار 12/1 و 244 وجمهرة اشعار العرب 29 و 56 وشعراء النصرانية 357/1 والاعلام 300/8 وطبقات الجمحي في مواضع متفرقة وعده في الطبقة الاولى .

225) هذا انشاد مداخل ، ورواية ديوان الاعشى الكبير — شرح وتعليق الدكتور م محمد حسين — القاهرة ص 161 :

فجروا على ما عــــــودوا   ولكــل عــــادات امــــاره
والعود يعصــــر مــــاؤه   ولكل عيــــدان عصــــاره

والبيت في اللسان 315/4 وروايته مماثلة لرواية المتخير . وهو في حماسة البحتري (ص 219 — ط 2 — تحقيق لويس شيخو — بيــــروت 1967) مماثلا لرواية المتخير . وروايته في المقاييس 342/4 والمخصــص 215/10 والاشتقاق 269 مماثلة لرواية الديوان .

226) البيت لحماد عجرد الكوفي ، قاله في محمد بن ابي العباس السفاح ، راجع الشعر والشعراء 665 والبيان والتبيين 89/3 والاغاني (دار الثقافــــة 358/14 . وانظر ترجمة حماد عجرد في : الشعر والشعراء 663 والاغاني (الثقافة) 304/14 ووفيات الاعيان 165/1 والمؤتلف 157 وطبقات ابن المعتز 97 وتاريخ بغداد 184/8 ومعجم الادباء 249/10 ولسان الميــزان 349/2 والاعلام 302/2 .

227) هو هشام بن حسان الازدي ، ابو عبد الله ، الفردوسي (ت 147 هـ . انظر ترجمته في الاعلام 81/9 وتهذيب التهذيب 34/11 والتاج 214/4 وتذكرة الحفاظ 154/1 .

228) هو يزيد بن المهلب بن ابي صفرة الازدي (ت 102 هـ) . انظر ترجمتـــه في الاعلام 246/9 ووفيات الاعيان 264/2 وخزانة البغدادي 105/1 والتنبيه والاشراف 277 ورغبة الامل 189/4 ومعجم ما استعجم 950 واليعقوبي 52/3 وابن خلدون 64/3 و 69 و 76 وابن الاثير 29/5 والطبري 151/8 وهبة الايام للبديعي 253 — 267 .

يستعذب نغمات السائلين . ومن ألفاظهم : يبسط (229) كفه اذا شنجت كف البخيل . قال ابن السكيت (230) ، ويقال : انه لذو تحم عظام ، أى يتقحم فى الامور العظام ، وهو واسع الذرع ، رحب السرب (231) ، ذلول بالمعروف . الفراء (232) : انه لذو طائلة على قومـه ، للمفضـــل المتطول . قال الغنوى (233) : ما أنول فلانا أى ما أكثر نائله .

بـــاب البخـــل (234)

يقال : فلان جعد اليدين ، جعد البنان ، يابس الكف . وانه « لا يندى الرضفة » (235) ، وليس يبض (236) صفاه ، و « لا يبـــض (237)

---

(229) الطاء مطموسة فى الاصل .
(230) العبارة فى تهذيب الالفاظ ص 203 .
(231) جاء فى المقاييس 156/3 : واسع السرب ، اي الصدر ، قالوا : ويراد بـــه أنه بطيء الغضب وانظر تهذيب الالفاظ 203 .
(232) هو ابو زكريا يحيى بن زياد الكوفي (ت 207 هـ / . انظر ترجمته فى : ارشاد الاريب 276/7 ووفيات الاعيان 228/2 وفهرست ابن النديم ص 66 وغاية النهاية 371/2 ونزهة الالباء 126 ومراتب النحويين ص 86 ومفتاح السعادة 144/1 والذريعة 39/1 وتهذيب التهذيب 212/11 وتاريخ بغداد 149/14 والاعلام 178/9 . والف منه الدكتور احمد مكي الانصاري كتابه : « أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة .
(233) الغنوي هذا لم يذكر اسمه . وبالرجوع الى الالفاظ لابن السكيت وجدنا فى باب السخاء ص 125 مانصه : « قال كعب بن سعد (الغنوي) :

ومن لا ينل حتى يسد خلاله   يجد شهوات النفس غير قليل

(قال) وان فلانا ليتنول بالخير ، وما انول فلانا اي ما اكثر نائله » .
ثم بالرجوع الى ـــ كنز الحفاظ فى كتاب تهذيب الالفاظ ـــ وجدنا فى هامش الصفحة 204 ما يشير الى ان المخطوطة الجزائرية المحفوظة فى مكتبـــة باريس قد ذكرت فى متن ابن السكيت ما نصه : « قال الغنوي : وما أنـــول فلانا اي ما اكثر نائله » . وبهذا يكون نص متخير الالفاظ موافقا لنص ابـــن السكيت ، كما تتكشف هوية الغنوي المذكور والله اعلم .
وكعب بن سعد الغنوي شاعر جاهلي (ت نحو 10 ق هـ) . انظر ترجمته فى الاعلام 82/6 والتيجان 26 والحيوان ـــ طبعة الحلبي ـــ 56/3 ومجالس ثعلب 140 والجمحي 169 و 176 وسمط اللالي 771 وخزانة البغدادي 621/3 ومختارات ابن الشجري 25 والمرزباني 341 وشعراء النصرانية وجمهرة اشعار العرب 133 وشرح شواهد المغني 236 ومعجم ما استعجم للبكري 877 ورغبة الآمل 101/6 وكشف الظنون 808 .
(234) راجع فى تهذيب الالفاظ باب الشح 69 وفى الالفاظ الكتابية باب البخل 96 .
(235) رواية المثل فى جمهرة الامثال : « مايندي الرضفة » 276/2 . وفى الميدانـــي 275/2 « ما عنده ما يندي الرضفة » وهو فى الاساس مادة (رضف) .
(236) يبض : ينشغ منه الماء .
(237) رواية المثل فى جمهرة الامثال 276/2 : « ما يبض حجره » ، وانظر المثل فى: المستقصي ص 305 واللسان مادة (بضض) والميداني 229/2 والالفـــاظ الكتابية 96 ومعنى المثل : ما يخرج منه خيـــر .

حجره » ، ولا تندى صفاه ، وهو كدية (238)لا تحفر ، وهو مجـــدوف البنان (239) . قال بعض العلماء : ما يندى الرضفة ، هو أن يعمد الـــى كرش فيملا من الوذر ثم تحمى الحجارة فتلقى فيها حتى تنضج ما في الكرش وهي المرضوفة (240) . قال الكميت (241) :

ومرضوفة لم تون في الطبخ طاهيا عجلت الى محورها حين غرغرا

فمعنى الكلام : انه ليس عنده من الخير ما يندى هذه الحجــــارة . ويقال : هو جماد برم ، البرم : الذى لا يأخذ النصيب من الجزور مـــع القوم . وزعموا ان امرأة نظرت الى زوجها وهو يأكل بضعتين قد قـــرن بينهما فقالت: «أبرما قرونا» (242). ويقال للبخيل : هو زرم بكي. والبكيء: من بكؤت الشاة اذا انقطع لبنها . وهو مكد ، صلود ، أى يابس . قال:(243) ومطير اليدين للحمد والمجد اذا ضن كل جبس صلود ، وأصلد الرجل : بخل . وقال تطرب ، ويقولون في مثل لهم : « في الحجر أمت لا فيه » (244) الامت : اللين . أى : في الحجر مغمز ومدخل لا في هذا الرجل . وبفـــلان

---

238) الكدية : الارض الصلبة الغليظـــة .
239) اي قصير البنان .
240) ورد في تهذيب الالفاظ ص 75 : « الاصمعي : ما يندي الرضفة ، اي مـــا يخرج منه من البلل بقدر ما يبل الرضفة وهو حجر يحمى » .
وقد اثبته ابن سيده في المخصص 13/3 نصا . والوذر : قطع اللحم مفردها : وذره وكذلك البضعة .
241) هو الكميت بن زيد الاسدي (ت 126 هـ) والبيت في الجزء الاول من ديوانه ص 199 ــ تحقيق داود سلوم . وهو ايضا في المعاني الكبيـــر 367/1 ومقاييس اللغة 401/2 والصحاح 640/2 واللسان 220/4 والقامـــوس المحيط 325/2 والتاج164/3. وانظر ترجمة الكميت في: البيان والتبيين22/1 والحيوان 55/5 والشعر والشعراء 485/2 والاغاني (بولاق) 113/15 (والساسي / 108/15 وجمهرة اشعار العرب 187 والموشح 302 وشرح شواهد المغني 13 وخزانة الادب 69/1 و 86 وديوان الاخطل 26 وبروكلمان 242/1 والمؤتلف والمختلف 257 وطبقات الشعـــراء 163 ، 168 ــ 169 والمكاثرة للطيالسي 33 واللالي 12/11 والمعاهد 93/3 ــ 107 والعيني 534/1 و 429/2 واماني الزجاجي 137 .
242) يضرب مثلا في البخيل الشره الى ما هو فوق حقه ، انظر المثل في : جمهـــرة الامثال 220/2 والميداني 135/2 والمستقصي 119 واللسان مادة (برم) وعيون الاخبار 203/3 .
243) ما بعدها بيت مدور ، متصل الصدر بالعجز .
244) لم أجده فيما رجعت اليه من كتب الامثال ، وقريب منه قولهم : « ما في الحجر مبغى ولا عند فلان » . يضرب مثلا عند توكيد اللؤم وقلة الخير ، ومبغـــى بمعنى مطلب . انظر جمهرة الامثال 251/2 والميداني 287/2 رقم المثـــل 3920 . وورد في اللسان 309/2 مادة (أمت) ما نصه : قال سيبويـــه ، وقالوا : أمت في الحجر لا فيك ، ومعناه ابقاك الله بعد فناء الحجارة » . وهو بعيد عن معنى المثل المذكور في المتخيـــر .

مساك ، أي بخل . وهو حصور شحيح (245) . ومن ألفاظ الشعراء : خلجات البخل . قال أبو دهبل (246) :

ولو كان ما تعطى رياء تشبثت ... به خلجات البخل يجذبنه جذبا
ولكنما تبغى به الله وحده ... لعمرى لقد أربحت فى البيعة الكسبا
فنعم ابن عم القوم فى ذات ماله ... اذا كان بعض القوم فى ماله كلبا (247)

ففى الابيات : خلجات البخل ، وذات ماله . ويقولون : « لئيم راضع » (248) والانوح : الذى يزحر اذا سئل . والازوح : المتقبض . وفلان لئيم أعقد (249) ، زمر المروءة (250) . وعطية جذماء . قال :

---

(245) انظر الالفاظ الكتابية ص 96 .

(246) هو وهب بن زمعه الجمحي (ت 63 هـ) ، انظر ترجمته في: الشعر والشعراء 512/2 والمؤتلف 168 والاغاني 114/7 — 145 والموشح 298 وامالي المرتضى 1/ 79 والعيني 141/1 وسمط اللالي 88/3 ومواضع متفرقة من الحيوان ج 6 و 7 ودائرة معارف البستاني 299/4 . وقد نشر المستشرق فريتز كرنكو ديوانه فى مجلة الجمعية الاسيوية الملكية — لندن — عدد اكتوبر سنة 1910 من ص 1017 — 1077 ، تحت عنوان « شعر ابي دهبل الجمحي واخباره » عن نسخة خطية قديمة مؤرخة فى 484 هـ مضيفا اليها ما عثر عليه من شعره فى بعض المراجع .

(247) الابيات لأبي دهبل فى مدح ابن الازرق ، وروايتها فى (شعر ابي دهبل الجمحي وأخباره) ص 1058 :

ما كنت الا رحمة الله ارسلت ... لهلكي قريش لا بخيلا ولا خبا
فلو كان ما تعطي رئاء تنازعت ... به خلجات البخل تجذبه جذبا
ولكنها تبغي به الله وحده ... لعمري لقد اربحت فى السمة الكسبا

والبيتان الاول والثاني لابي دهبل فى اشباه ونظائر الخالدين 225/2 ورواية الاول فيه :

فلو كنت ما تعطي رئاء تنازعت ... به خلجات البخل يجذبنه جذبا

والبيان الاول والثاني لحاتم الطائي فى ديوانه — طبعة دار الكتاب العربي ص 28 وروايتها فيه :

فلو كان ما يعطي رياء لامسكت ... به جنبات اللوم يجذبنه جذبا
ولكنها يبغي به الله وحده ... فاعط ، فقد اربحت فى البيعة الكسبا

(248) الراضع الذي رضع اللؤم من ثدي أمه ، يريد انه ولد فى اللؤم . والذي عليه اكثر أهل اللغة ان الراضع هو الذي يرضع من الناقة والشاة من خلفها ولا يحلب فى اناء للئلا يسمع الصوت فتطلبه الضيفان .
انظر المثل فى الفاخر ص 42 وتهذيب الالفاظ 75 واللسان مادة (رضع) .

(249) اي ليس بسهل الخلق .

(250) اي صغير المروءة . واصل الزمر : قلة الصوف وقلة الريش .

ومـــن المطيــة مــا تـــــرى جذماء ليس لها بــــذاره (251)
حجـــــر تقلبــــه وهـــــل تعطى علــى المـدح الحجــارة

ومن ألفاظ الشعراء : لا يروم الضيف ناره (252) .

بــاب الشــجاعــة (253)

يقال : هو شجاع بهمة . قال أبو زيد : لانه بهيم لا موضع فيه للجبن ؟ وبطل ، لانه يبطل الاقران ، وصمة ، لانه يصمم ولا ينثنى . وأشوس ، يعرف الغضب فى عينيه وحاجبيه من تشاوسه . وأصعر ، قد أمال عنقــه غضبا . وكمى ، والبئيس ، وهو الذى اذا ثبت لم يبرح . وأيهم ، وهو مشبه بالسيل ، وحمس ، وليث ، وعضب ، ومقدام بئيس ، مغوار ، باســـل ، مشيح ، أحوس ، أحمس ، محرب ، مشيع ، لزاز حــــرب . وقــــال الحجاج (254) ، وذكر المختار (255) فقال : « لله دره ، أى رجل دنـــيا ، ومسعر حرب ، ومقارع أعداء كان » . ومن ألفاظ الشعراء : هو بـــرود المضجع ، ثقيل على عدوه . « عنيف على قرنه محطم ، يشذب بالسيـــف

---

251) البيتان لأبي دهبل الجمحي من قصيدته التي مدح فيها عمارة بن عمرو بن حزم عامل عبد الله بن الزبير على حضر موت ومعرضا بابن الازرق ، انظرهما فى « شعر أبي دهبل وأخباره » ص1071 من مجلة الجمعية الاسيوية الملكية سنة 1910 — عدد أكتوبر — وهما له فى الاغاني — طبعة الثقافة — 125/7 وفيها : بذاره : نزاره والبيت الاول فى تهذيب اللغة 428/14 من غير عزو . والاول فقط فى مجالس ثعلب 499/2 من غير عزو .
والاول منهما فى اللسان 115/5 من غير عزو .
والثاني منهما فى رسائل الجاحظ 342/2 منسوبا لأبي دهبل .
وقد سقطت عبارة « حجر تقلبه » من الناسخ فاثبتها فى الهامش .

252) اقحم الناسخ عبارة : « ومن ألفاظ الشعراء : لا يروم الضيف ناره » بين بيتي أبي دهبل ، وحقها التأخير .

253) راجع باب الشجاعة من تهذيب الالفاظ ص 168 وباب الشجاعة فى الالفاظ الكتابية 62 .

254) هو الحجاج بن يوسف الثقفي (40 — 95 هـ / انظر ترجمته فى : وفيـــات الاعيان 123/1 ومعجم البلدان 382/8 والمسعودي 103/2 وتهذيب ابن عساكر 48/4 وتهذيب التهذيب 210/2 وابن الاثير 222/4 والبدء والتاريخ 28/6 والاعلام 175/2 .

255) المختار بن ابي عبيد بن مسعود الثقفي (67/1 هـ) انظر ترجمته فى : الاصابة رقم 8547 والفرق بين 31 — 37 وابن الاثير 82/4 والطبري 146/7 وانظر فهرس طبعة دار المعارف 409/10 والحور العين 182 وثمار القلوب 70 وفرق الشيعة 23 والمرزباني 408 والاخبار الطوال 242 والذريعة 348/1 ومقتل الحسين ص 98 لابي مخنف الازدي والاعلام 70/8 وسير أعلام النبلاء 353/3 وتاريخ الاسلام للذهبي 369/2 ، 372 ، 380 و 70/3 .

أقرانه » (256) .

بـــاب الجبــن (257)

هو جبان ، مجوف (258) ، منزوف ، قد نزف عقله جبنا ، ومنخوب نخب فؤاده ، أى طير ، ورعديد : يرتعد من الفرق . ويراعه ، شبه بالقصبة، وبعل ، هو الذى يبعل عند الحرب يدهش ، وكهام يرتد عن المواقعـــة ، ومعرد أى مول . قال :

ولا بكهام بزه عن عـــــدوه   اذا هو لاقى حاسرا أو مقنعا (259)

وقد أحجم ، وخام ، وكلل ، وجبأ . قال :

وهل أنا الا مثل سيقة العدى   ان استقدمت نحر وان جبأت عقر (260)

وقد عتم فى الحرب ، وحمل فلان فأكذب ، وكذب . ورجل عقر ، اذا نجئه الروع فلم يقدر ان يتقدم أو يتأخر .

بــاب العجلـــة والاعجــال

تقول العرب : سرعان ذا ، ووشكان ذا . وجاء فلان على غشاش ،

---

256) قسيما بيتين للبريق عياض بن خويلد الهذلي ، من قصيدة له فى ديـــوان الهذليين 55/3 — 57 ونصها فى الديوان :

معي صاحب مثل نصل السنـــان   عنيف على قرنــه مغشـــم
يشذب بالسيــف اقــرانـــــه   اذا عر ذو اللمة الغيلــــم

ورواية البيت الاول فى بقية اشعار الهذليين : « محطم » مكان « معنشم » .

257) راجع باب الجبن وضعف القلب ص 176 : تهذيب الالفاظ ، وباب الجبان فى الالفاظ الكتابية ص 68 .

258) فى الاصل (محوف) بالحاء المهملة وفتح الميم ، وهو تصحيف .

259) البيت لمتمم بن نويرة فى رثاء اخيه ، انظر كتاب (مالك ومتمم ابنا نويـــرة اليربوعي) ص 108 . ورواية الشطر الاول فى جمهرة اشعار العـــرب ص 746 — تحقيق علي محمد البجاوي : « ولابكهام ناكل عن عدوه » . والكهام : الكليل . والبز : السلاح ، والبيت فى اللسان مادة (بزز) من غير عزو . والبيت لمتمم فى المفضليات ص 266 وروايته : « ولا بكهام بزه » . والبيت لمتمم فى العقد الفريد 264/3 وروايته : « ولابكهام سيفه » . وقد سبقـــت ترجمة متمـــم .

260) البيت فى التاج مادة (ساق) لنصيب بن رباح . وهو فى ديوان نصيب بن رباح ص 92 . وفى حاشية الصحاح مادة (جبأ) 40/1 انه لنصيب بن أبي محجن. وهو فى المخصص 78/3 من غير عزو وهو فى اللسان مادة (جبأ) ومـــادة (سوق) من غير عزو أيضـــــا .

أى على عجلة . ولقد أجهضته عن ذلك الامر ، أى أعجلته . وحفزته . ووجدته مستوفزا (261) ، ومتحفزا ، وعلى عدواء .

باب متخير الفاظهم فى المسارع الى الشـــر

يقال : انه لتيحان (262) فى الامور ، أى معترض فيها . والشتيـــم الفاحش . ويقال للمتسرع اليك : « ان جفرك الى لتهدم » (263) ، « وان حبلك الى لانشوطة » (264) ، وانك لترع الى (265) . ورجل معن متيح : يدخل فى كل شىء لا يعنيه (266) . الاصمعى (267) : ان فلانا لنعار فى الفتن ، اذا كان سعاء فيها . يقال ما وقعت فتنة الا نعر فيها . ونعر الدم ، اذا دفع ، ينعر . وهو عرق نعار . ويقال : انه لدعرة ، اذا كان فيه قـــادح وعيوب . ومن ألفاظ الشعراء : انه يجرى الينا غير ذى رسن . والتشذر : التسرع الى الامر ، وهو من : تشذرت الناقة ، اذا أبصرت رعيا فنشطت، وحركت رأسها مرحا . ومن أمثالهم فى الرجل يعجل الى الرجل بالسوء : « استقدمت رحالتك » (268) .

بـــاب النشـــاط (269)

يقال : هو أشر ، نره . وقد أشر ، وعرص ، وهو من عرص البرق ، اذا كثر لمانه . ويقال عرص اليهم ، اذا نزا من النشاط . وقد بطر ، ومرح. قال ابن السكيت(270)، قال أبو تمام الاسدى: «الخجلسوء احتمال الغنى،

---

261) المستوفز : القاعد قعودا منتصبا دون اطمئنان .

262) التيحان والتيحان والتياح بمعنى .

263) فى تهذيب الالفاظ 236 : « ان جفرك الى لهدم » . والجفر : البئر الواسعة لم تطو . وذكر فى الاساس مادة جفر 127/1 : ان جفرك الى لهار ، أي شرك الي متسرع . وفى الميداني 65/1 رقم المثل 325 : ان جرمك الى الهدم : قال: يضرب للرجل يسرع الى ما يكرهه .

264) انظر المثل فى الميداني 65/1 رقم المثل 326 وانظر (عقده بانشوطـــه) فى الفاخـــر 123 .

265) انظر تهذيب الالفاظ 236 وفيه : انه لترع اليه ، وقد ترعت اليه أي تسرعت

266) انظر تهذيب الالفاظ 237 والمخصص 71/3 .

267) انظر تهذيب الالفاظ 237 .

268) فى جمهرة الامثال 185/1 ورد : « استقدمت رحالته » . يقال للرجل يعجل الى صاحبه بالشتم وسوء القول ، والرحالة بمنزلة السرج ، واذا استقدمت رحالة الفارس فسد ركوبه ، فجعل ذلك مثلا لمن فسد قوله . وانظر المثل فى الميداني 123/2 والمستقصى 65 .

269) راجع باب البطر والنشاط فى تهذيب الالفاظ 504 وباب التكبر فى الالفـــاظ الكتابية 133 .

270) انظر القول فى تهذيب الالفاظ 505 واصلاح المنطق 318 والفاخر 121 واضداد ابن الانباري 152 .

والدقع سوء احتمال الفقر » . ويقال : قميص خجل ، أي فضفاض واسع (271) . قال زيد بن كثوة (272) : « دخلت على الحسن بن سهل (273) ، فكساني قميصين خجلين » . وأن فلانا لذو ميمة .

باب الرجل الراضي باليسير من الطعم

العرب تمدح بقلة الطعم ، وتذم الرغيب . قال أعشى باهلة (274) :

تكفيه حزة فلذ ان ألم بها　　　من الشواء ويروى شربه الغمر

ويقال ' هو قليل الطعم ، زهيد . وهو يقرم قرمان البهمة (275). وقد خلا على طعام كذا ، اذا لم يأكل غيره . ويقال أتانا بطعام فحططنا فيه ، أي أكثرنا . وخططنا ، أي عذرنا (276) .

---

(271) انظر تهذيب الالفاظ 505 ونوادر ابي مسحل 55/1 .

(272) هو زيد بن كثوة العنبري ، شاعر ورد ذكره في معاجم اللغة مادة « كثو » وفي الحيوان 116/6 . وانظر مقالته هذه في تهذيب الالفاظ 505 .

(273) وزير المامون العباسي ووالد (بوران) زوجة المامون (ت 236 هـ) وهو اخو الفضل بن سهل . وانظر ترجمته في : وفيات الاعيان 141/1 وتاريخ بغداد 319/7 وابن الوردي 217/1 والاعلام 207/2 .

(274) هو عامر بن الحارث ، وقد ورد البيت في كتاب « الصبح المنير في شعر ابي بصير الاعشى والاعشين الآخرين » ص 268 مع اختلاف يسير فيه . (ويكفي) مكان (ويروي) وانظر ترجمة أعشى باهلة في : خزانة الادب 90/1 وسمط اللالي 75 والجمحي 169 والاعلام 16/4 . والآمدي والاقتضاب 304 وشواهد المغني 86 والمكاثرة 16 .والبيت في الاضداد للانباري ص 421 وروايته فيه مطابقة لرواية المتخير . والبيت في الاشتقاق لابن دريد ص 486 وروايته فيه :

تكفيه حزة فلذ ان الم بها　　　من الشواء ويروي شربه الغمر

وروايته في نظام الغريب ص 56 : تكفيه فلذة كبد ، والبيت في اصلاح المنطق ص 4 و 85 و 285.والمعاني الكبير 1109 واضداد السجستاني 147 ومقاييس اللغة 394/4 و 450 وامالي المرتضى 96/1 واللالي 75 وشرح الحماسة للمرزوقي 402 والالفاظ لابن السكيت 607 والعمدة 144/2 وامالي القالي 16/1 وجمهرة الامثال 122/1 و 487 . وفي اضداد ابي الطيب اللغوي 554/2 : تكفيه فلذة لحم . وهو في الصحاح 772/2 مادة (غمر) ، وفي اللسان 336/6 مادة (غمر) وفي شرح نهج البلاغة 850/2 و 509/4 ، وفي الكامل للمبرد 356/1 وفي نوادر ابي مسحل 146/1 وفي الاصمعيات 91 وفي جمهرة اشعار العرب 717 وفي الامتاع والمؤانسة 200/2 .

(275) انظر تهذيب الالفاظ 648 .

(276) جاء في تهذيب الالفاظ 647 : « واتانا بطعام فحططنا فيه اي اكلنا ، قال ابو عبيدة : اي اكثرنا منه الاكل . وخططنا فيه اي عذرنا » . وقد عد الانباري في اضداده ص 407 هذه الكلمة من الاضداد اذ قال : « اتانا فلان بطعام فحططنا فيه اذا عذرنا وأكلنا اكلا يسيرا . واتانا طعام فحططنا فيه، اذا أكلنا أكلاكثيرا».

باب الرغب وكثـــرة الاكـــل

يقال : هو سَرِط ، اذا كان يلقم لقما جيدا . ويقال : قد سلخ اللقمة ، وبلعها ، وزردها ، وفي الامثال : « الأكل سلجان ، والقضاء ليان » (277). يقول : يأكل ما يأخذ من الدين ، فاذا صار الى القضاء لواه ، أي مطلـه . والخضم : أكل الشيء الرطب . والقضم : أكل الشـىء اليابـس (278) . ورجـل بلع . ويقولون :

يلقم لقما ويفـــــدي زاده
يرمي بأمثال القطا فؤاده (279)

وهو أكول جروز (280) ، ويقال : شد ما ملات بطنك ، ودحسته . ويقال : أوجب فلان أكله ، أي جعله وجبة ، كل يوم مرة . ويقال : خـلا فلان على اللبن ، وعلى اللحم ، اذا لم يأكل معه شيئا . وأخلى أيضا . قال أبو عبيدة : أجتحف (281) الثريد بأصابعه ، وقدم اليه طعام فتحسفه ، اذا لم يبق منه شيئا . ويقال : هلم نتضح ، أي نتغدى . وحسوت الشيء . وفي الامثال : « أحس وذق » (282) ، « ونوم كحسو الطير » (283) ويقولون

---

277) اللبان : المطل ، والسلجان : سرعة الابتلاع . ويقال ايضا : « الاخذ سلجان والقضاء ليان » راجع جمهرة الامثال 171/1 والمستقصى 298/1 وشرح ديوان زهير بن ابي سلمى ص 181 ومجمع الامثال 41/1 رقم المثل 156 وفي هذا المعنى قولهم : « ان اكله لسلجان ، وان قضاءه لليان ، وان عـــدوه لرضمان » ورضمان معناه بطيء . راجع مجمع الامثال 67/1 رقم المثل339 وانظر اللسان (سلج) وتهذيب الالفاظ 649 .

278) ورد في مجمع الامثال للميداني 307/2 ما نصه : الخضم : الاكل بجميع الفم، والقضم : الأكل باطراف الاسنان .

279) ورد الرجز في مجالس ثعلب 461/2 من غير عزو . وفي اللسان 9/20 أنشده ابن الاعرابي ومعناه : يبقي زاده ويأكل من مال غيره . وفي الميداني 417/2 اختلط شطر الرجز بمثل يليه فوجب التنبيه . قال الميداني معناه : يأكل من مال غيره ويحتفظ بماله .

280) الجروز : الأكول الذي لا يترك على المائدة شيئا .

281) قال المصنف في المقاييس 427/1 : الجيم والحاء والفاء أصل واحد قياسه الذهاب بالشيء مستوعبا . يقال : سيل جحاف اذا جرف كل شيء وذهب به. ويقال اجحف بالشيء اذا ذهب به . وفي المنجد ص 77 : اجتحفه : استلبه . استأصله واهلكه . اجتحف ماء البئر : نزحه ونزفه .

282) يضرب مثلا للشماتة بالجاني ، ومعناه انك قد جنيت الشر على نفسك فالق ما فيه البلية . انظر المثل في جمهرة الامثال 124/1 ومجمع الامثال 207/1.

283) جاء في المقاييس 58/2 . يقولون : « نوم كحسو الطائر » اي قليـل . وفي أساس البلاغة 174/1 : « ويوم ، ونوم كحسو الطائر » . وجاء في اللسان 192/18 : « ويوم كحسو الطير اي قصير . والعرب تقول نمت نومة كحسو الطير اذا نام نوما قليلا » .

فى المثل أيضا : « لمثلها كنت أحسيك الحسا » (284) ويقولون : « آكل من حوت » (285) « وأروى من حوت » (286) . ورجل سريع الاكل ، سريع الاحارة (287) . ويقولون : « أراك بشر ما أحار مشفر » (288) . يضرب للسمين . أى من غذى بغذاء استبان ذلك عليه . ورجل فيه : أكول . ويقولون : ما زلنا فى خضد ، وخضم ، وقضم . الخضد : أكل القثا وشبهه. والخضم : للفاكهة . والقضم : لليابس .

بــــاب الجـــوع (289)

يقال : رجل جائع ، وغرثان . وفى المثل : « غرثان فاربكوا له » (290) وهو طعام يخلط له . وأصل هذا ان رجلا بشر بغلام فقال : ما أصنع به ؟ آكله أم أشربه ؟ فعلمت امرأته انه جائع ، فقالت : غرثان فاربكوا له ، فلما شبع ، قال : « كيف الطلا وأمه ؟ ؟ » (291) يعنى الصبى وأمه . ورجـــل ساغب ، وسغبان ، والمسغبة : المجاعة ورجل ضرم . وقد ضرم ضرمـــا . والمسحوت : الجائع . والمسمور (292) : الذى به سمار . ورجل وحش ،

---

284) يراد به : لمثل هذا الامر كنت أوثرك بما أوثرك به . وورد المثل فى فصل المقال 219 والمستقصى 292 وشروح سقط الزند 640/2 والمقاييـــس 58/2 وروايته : « لمثل ذا كنت احسيك الحسا » . وهو كذلك فى جمهرة الامثـــال 185/2 . وروايته فى اساس البلاغة 175/1 : « لمثلها كنت احسيك الحسا».

285) لبلعه الاشياء من غير مضغ . انظر المثل فى جمهرة الامثال 200/1 والمستقصى 6/1 والميداني 86/1 رقم المثل 411 .

286) انظر المثل فى جمهرة الامثال 201/1 و 499 و 31/2 والميداني 315/1

287) اي سريع اللقم .

288) يضرب مثلا للامر يدل ظاهره على باطنه ، انظر جمهرة الامثال 77/1 وفصل المقال 245 والميداني 290/1 والمستقصى 58 واللسان مادة (شفر) .

289) راجع باب الجوع فى تهذيب الالفاظ 632 وفى الالفاظ الكتابية راجع باب الجوع 78 وباب ترادف الجوعان ص 292 .

290) يضرب مثلا للرجل تكلمه وله شأن يشغله عنك . انظر جمهرة الامثال 82/2 والميداني 56/2 والمستقصي 248 . واللسان والاساس مادة (ربك) . ويروي المثل : غرثان فابكلوا له » . انظر الاشتقاق لابن دريد ص 429 و 534 . وبكلت الشيء ابكله بكلا ، اذا خلطته ، نحو الأقط بالسمن وغيره . وورد المثل بصيغة أخرى فى كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي ص 474 ونصه : « وحدثني المازني قال ، قال الكسائي : ولدت اعرابيـــة وزوجها غائب ، فلما قدم قالوا له : ليهنك الفارس ! فقال : والله ما أدري : آكله أم اشربه ؟ فقيل ذلك لامرأته فقالت : جائع فاربكوا له » . وزوج الاعرابية الغائب هو ابن لسان الحمرة . وهذه المثل شبيه بالمثـــل القائل : « غضبان لم تؤدم له البكيله » . والربكية والبكيله واللبيكة شيء واحد . انظر الميداني 60/2 رقم 2678 .

291) المثل فى الميداني 164/2 رقم المثل 3179 : قال الاصمعـــــي : يضـــرب لمن قد ذهب هيبه وخلا لشأنه .

292) السمار : شدة الجـــوع .

وقد أوحش ، وهو من قوم أوحاش ، أى جياع . ويقال : بتنا الوحش . وبتنا القواء ، اذا لم يكن عندهم طعام . وقد أقوى القوم ، وارملوا ، اذا نفذ زادهم . والمخمصة : المجاعة . والطوى : ضمر البطن من الجوع . ورجل طيان ، وبه سعر ، أى شهوة وجوع .

باب حسن المواتاة والذل (293)

يقال : هو ذلول بين الذل . وهو بعير قيد ، اذا كان ذلولا ينساق . يقال: اجعل فى أول قطارك بعيرا قيدا تتبعه الابل . وبعير مديث ، اذا ذلل بعض التذليل ولم يستحكم . وديث فلان من صولة فلان ، اذا لين منها . وهو بعير مصحب ، منقاد . وجاءوا على صعب وذلول . قال أبو عمرو : وركبوا ذل الطريق ، وهو ما قد وطىء منه . ويقال : «أمور جارية على اذلالها» (294) أو على مجاريها .

باب الغضب (295)

يقال : غضب غضبا ، وعبد عبدا(296)، واستأرب عليه غضبه(297)، وحمز صدره ، ووغر (298) . وقد « ثار ثائره » (299) ، وهاج هائجه (300) . وبين القوم مئرة ، ونائرة (301) . وقد تفاحش ما بينهم ، وتدابر . وقد انصدع ما بينهم . وفى صدره عليه ضب (302)، وغلة ، وغليل. وفلان يقد على فلان سحره (303) . وهو يحرق عليك الأرم (304) . ويقال للغضبان اذا غضب واحتد : هو ذو طيرة ، وذو سورة ، وذو بادرة . وقد

---

293) راجع باب الذل وهو ضد الصعوبة فى تهذيب الالفاظ 621 وراجع فى الالفاظ الكتابية باب الانقياد ص 30 .

294) من أمثال الميداني 174/1 : اجر الامور على اذلالها . اي على وجوهها التي تصلح وتسهل وتتيسر ، ويقال : جاء به على اذلاله ، اي على وجهه ، ويقال: دعه على اذلاله : اى على حاله .

295) راجع فى تهذيب الالفاظ باب الغضب والحدة والعداوة ص 78 ، وفى الالفاظ الكتابية باب الغيظ ص 19 وباب اظهار العداوة ص 48 .

296) راجع تهذيب الالفاظ 85 .

297) راجع نوادر ابي مسحل 103/1 .

298) وغر صدره على فلان : توقد عليه من الغيظ

299) اي هاج ما كان من عادته ان يهيج منه . انظر المثل فى الميداني 154/1 رقم المثل 785 .

300) راجع تهذيب الالفاظ 82 .

301) راجع تهذيب الالفاظ 87 .

302) الضب : الحقد الخفي .

303) السحر : الرئـــة .

304) راجع تهذيب الالفاظ 81 . والارم : الاسنان .

أرى على صدرك . ويقال ضمد ، وحرد ، وحرب . وحربته فحرب (305). واضطرم ، وتضرم ، واحتدم ، ونغر ينغر (306) . والتئق : الملآن غضبا . يقولون : « انا تئق وصاحبي مئق ، فكيف نتفق » (307) ؟ ! . التئق : ان حركته تنجر والمئق : المغتاظ السريع البكاء . فلا يكون بين هذين أبـــدا هدفة (308) ولا سكون . وفلان حامى الحميا ، اذا غضب حمى . والحميا : شدة الغضب . وحميا الكاس : سورتها . ويقال : هو ينغط (309) غضبا ؟

وقد شرى ، اذا تمادى وتتابع فى غضبه ، وهو من : شرى البرق ، يشرى ، اذا كثر لمعانه (310) . وانشد :

وقد جعل الرك الضعيف يسيلنـــى اليك ويشريك القليل فتقلق (311)

وقد تلظى ، وتلهب ، واستحصد عليه ، اذا تفتل عليـــه غضبـــا . واستحصد حبله (312) ، اذا غضب ، واستشاط عليه ، اذا تلهب وطار به الغضب . « وهو يتميز من الغيظ ، أى يتقطع . واربد الرجل ، اذا انتفخ وجهه من الغضب . واستغرب فى الحدة ، اذا مضى فيها . ويقال : أخذه قل من الغضبكأنه يستقل من موضعه . وقد احتمل اذا غضـــب » (313) .
قال ابن السكيت (314) : شالت نعامة فلان ثم سكن ، وذلـــك اذا غضب . واذا خف القوم من منزلهم قيل : شالت نعامتهم . يقال : اســـفه

---

305) راجع تهذيب الالفاظ 78 .
306) ورد فى تهذيب الالفاظ 79 : هو ينغر عليه اذا غلا عليه من الغضب .
307) يضرب مثلا لسوء الموافقة فى الاخلاق . انظر المثل فى : جمهرة الامثال 106/1 والميداني والمستقصي 156 واللسان مادة (تأق ، مأق) والاساس (تأق) والكامل للمبرد 137/1 وخلق الانسان لثابت ص 4 و تهذيب الالفـــاظ 79 باختلاف فى الرواية .
308) هكذا فى الاصلين ، والهدفة : الجماعة من الناس والبيوت يقيمون ويظعنون جمعها هدف . والمعنى : لا يكون بينهما اجتماع ولا هدوء . قلت : ولعـــل الصواب : هدنة (بالنون) .
309) فى تهذيب الالفاظ 79 : انه لينغط غضبا .
310) راجع تهذيب الالفاظ 79 .
311) البيت فى اللسان 317/12 من غيرعزو وانشده ابن الاعرابي ، وروايتـــه : (فتفلق) مكان (فتقلق) . والرك : المطر الضعيف . ومعنى البيت : انه اذا اتاك عنى شيء قليل غضبت وأنا كذلك فمتى نتفق ؟
312) فى الاصلين : استحصد عليه ، وهو تكرار لا وجه له ، والتصويب عـــن التهذيب 79 .
313) ما بين الاقواس « » منقول عن تهذيب الالفاظ 80 . والقل : الرعدة .
314) راجع تهذيب الالفاظ 81 .

عليه (315). قال أبو عبيدة (316) : فلان يكسر عليك الأرعاظ . للذى يغتاظ على الرجل ويتوعده . والأرعاظ واحدها رعظ ، وهو الذى يدخل سنخ نصل السهم فيه (317) . وقد احفظته احفاظا ، اذا اغضبته . قال ابن السكيت (318) : والسدم غضب مع غم ، ولذلك قولهم : « نادم سادم» (319). ورجل فيه غرب، اذا كانت فيه حدة. قال أبو عبيدة (302): هذا غضب مطر ، أى جاء من أطرار الارض لا أعرفه . قال الأصمعي : غضب مطر أى جاء من أطرار الارض أعرفه ، قال الاصمعي : غضب مطر : فيه ادلال (321) . قال الحطيئة :

غضبتم علينا ان قتلنا بخالد بنى مالك ها ان ذا غضب مطر (322)

ويقولون : لوى فلان عنا عذاره اذا غضب وأعرض . ويقولون : حرك خشاشه فغضب (323) .

---

315) اي غضب .

316) ابو عبيدة : معمر بن المثنى (ت 209 هـ) انظر ترجمته فى : وفيات الاعيان 105/2 وارشاد الاريب 164/7 وتذكرة الحفاظ 338/1 وبغية الوعاة 294/2 واخبار النحويين البصريين ص 67 وتاريخ بغداد 252/13 وطبقات النحويين واللغويين 192 وتهذيب التهذيب 246/1 ونزهة الالباء 104 ومفتاح السعادة 93/1 والفلاكة والمفلوكون 75 وانباه الرواة 276/3 وشرحا الفية العراقي 231/2 والاعلام 191/8 وميزان الاعتدال 189/3 والمعقه والبررة (ضمن نوادر المخطوطات / 329/2 ومجاز القرآن : مقدمة الجزء الاول ، ومراتب النحويين 46/44 وتاريخ ابن الاثير 208/5 وتاريخ الاسلام للذهبي (وفيات 210) وتاريخ ابى الفدا 28/2 وتقريب التهذيب 266/2 وتهذيب الاسماء واللغات 260/2 وشذرات الذهب 24/2 والعبر 359/1 والفهرست 53 والمزهر 2 ، 403/2 — 462 والمعارف 543 ومرآة الجنان 44/2 ومعجم المطبوعات 322 ومعجم المؤلفين 309/12 والنجوم الزاهرة 184/2 وهدية العارفين 466/2 واشارة التعيين الورقة 54وتلخيص ابن مكتوم 346 وعيون التواريخ (وفيات 210) وكشف الظنون وايضاح المكنون فى مواضع متعددة وروضات الجنات 725 ونور القبس المختصر من المقتبس 109 — 124 وطبقات المفسرين الورقة 319 و 320 وطبقات ابن قاضي شهبه الورقة 255 و 256 .

317) انظر النص فى تهذيب الالفاظ 81 .

318) انظر النص فى تهذيب الالفاظ 84 .

319) انظر المثل فى الفاخر 37 . والسادم : المتغير العقل من الغم . وقيل المتحير الذي لا يطيق ذهابا ولا مجيئا كأنه ممنوع من ذلك .

320) انظر تهذيب الالفاظ 85 .

321) غضب مطر : اي غضب لا يدري من اين جاء ، او الغضب فى غير موضعه .

322) البيت بنصه فى ديوان الحطيئة — تحقيق نعمان أمين طه 302 وهو فى اللسان مادة (طرر) 172/6 وفى المقاييس 409/3 ونوادر ابي زيد 96 وروايته فى اصلاح المنطق 288 :

غضبتم علينا أن قتلنا بمالك بني عامر ها ان ذا غضب مطر

وعجز البيت فى مجالس ثعلب .

323) الخشاش : خشبة تدخل فى عظم انف البعير .

بـــاب الرضى وفتور الغضب (324)

يقال : باخ (325) غضبه ، وفثأ (326) وانفش غضبه ، وتحلـــل أسره (327) ، « وتحللت عقده » (328) وتخرم زنده ، وسكت غضبه . ومن كلامهم للرجل الغضبان اذا احبوا سكون غضبه : فشاش فشيه (329) من قولك فششت السقاء ، اذا عصرته حتى يخرج ريحه . قال ابـــــن السكيت (330) ، يقال للرجل اذا فتر غضبه : قد تسبخ تسبخا . واللهـم سبخ عنى الحمى ، أى خففها . وقد طفىء غضبه ، وتسرى ، وسرى عنه .

بـــاب العـــــوادة (331)

قال ابن السكيت (332) عدو أزرق وعدو أسود الكبد (333) ، أى قـــد احترق جوفه من الشر . وان فى صدره لدحنة ، ودمنة ، وضبا ، ووغرة . وأصله من وغره الحر . وان فى صدره لضغنا ، وغمرا ، وغلا . وبينهما نائرة أى عداوة (334) . وقد شاحنه مشاحنة ، من الشحناء . ولفلان عند فـــلان ذخل ، ووتر ، وطائلة ، وقبل ، وقد شنف له شنفا ، اذا أبغضه . وفى فلان سورة ، أى حدة . ويقال للرجل الحديد : « ملحه على ركبته » (335) .

بـــاب الحرص والجشع وكثرة الأكـــل (336)

يقال : هو حريص ، جشع ، شره ، طبع . الطبع : اللئيم الأخـــلاق .

---

324) راجع خاتمة باب الغضب والحدة والعداوة فى تهذيب الالفاظ 89 .

325) باخ : سكـــــن .

226) فثأ : انكشف عنـــــه .

327) اسره : شده وعصبـــه .

328) يضرب مثلا للغضبان يسكن غضبه . انظر المثل فى الميداني 146/1 رقم المثل 741 .

329) انظر المثل فى الميداني 78/2 رقم المثل 2764 وتتمته : من استه الى فيـــه .

330) انظر النص فى تهذيب الالفاظ 89 وقد اورده ابن فارس بتصرف .

331) راجع فى تهذيب الالفاظ : باب الغضب والحدة والعداوة 78 وفى الالفـــــاظ الكتابية : باب الغيظ 19 وباب اظهار العداوة 48 .

332) عدو ازرق : شديد العداوة . وانظر النص فى تهذيب الالفاظ 87 .

333) من امثال الميداني : « هو ازرق العين ، وهو اسود الكبد » . يضرب مثلا فى الاستشهاد على البغض . انظر مجمع الامثال 385/2 رقم المثل 3475 .

334) ما بين قوسين «   » منقول باختصار عن تهذيب الالفاظ 88 .

335) يضرب مثلا للرجل الذي يغضبه أدنى شيء . انظر المثل فى جمهرة الامثـــال 232/2 والفاخر 12 والميداني 269/2 وتهذيب الالفاظ 88 ولسان العـــرب مادة (ملح) والاساس 398/2 وامالي القالي 138/1 .

336) راجع فى تهذيب الالفاظ : باب الشره والحرص والسؤال 253 وفى الالفـــاظ الكتابية : باب الطمع 42 .

والبطن : الذى همه بطنه . والأرشم : الذى يتشمم الطعام ويحـــــرص عليه (337) . والواغل : الذى يأكل مع القوم ويشرب ولم يدع . يقـــال : وغل : وغل يغل . قال ابن السكيت (338) : ولبنى أسد مثل فى الأكول ، يقال : « هو آكل من ردامة » (339) وزعموا انه حلب ثلاثين لقحة فشرب لبنهـــــا .

بـــاب الكبـــر والزهــــو (340)

يقال : زهى (341) فهو مزهو . وشمخ بانفه (342) وبلخ، وقد تأبهت نفسه . وهو أشوش ، وأصور (343) ، وأصيد . وجاء يريس (344) ، ويتذيل ، ويفيد . وهو جبار ذو خيلاء .

بــــــاب التخلـــــف

يقال : قد سبق فلان الى الخير . وما هم الا نابتة ، وما هـــــم الا كالشكير (345) . ويقال : هم بنو اليوم . ويقال للمسبوق : أنت لا تبصر الا مدق الحافر .

باب متخير الفاظهم فى الاسرة والعشيرة وذكر الكـــرام والسادة

يقال : انه ليأوى الى ركن شديد ، والى أســــــرة ، وعشيــــــرة ، وصيابة (346) ، وناهضة (347) . وانه لفى ناصية (348) قومه ، وذؤابة

---

(337) انظر المقاييس 396/2 .
(338) انظر تهذيب الالفاظ 257 ومختصره 158 .
(339) فى الاصلين : درامه ، وهو تحريف . وجاء فى المستقصى 7/1 : « أكل مـــن ردامه : هو رجل اكول من بني أسد حكي انه حلب ثلاثين نعجة فشرب لبنها» وانظر المثل فى تهذيب الالفاظ 257 .
(340) راجع فى تهذيب الالفاظ : باب الكبر 151 وفى الالفاظ الكتابية: باب التكبر 133
(341) فى الاصل : زهي (بفتح الزاي) والتصويب عن تهذيب الالفاظ 15
(342) راجع الالفاظ الكتابية 133 .
(343) راجع الالفاظ الكتابية 134 .
(344) يريس : يتبختر كبرا .
(345) فى الاصل : كالسكير ، وهو تصحيف . والشكير من النبت والريش والشعر ما نبت من صغاره بين كبـــــاره .
346 صوابة القوم وصيابهم وصيابتهم : لبابهم وخيارهم .
(347) ناهضة الرجل : بنو ابيه الذين يغضبون له وينهضون معه وخدمه القائمون بامــــره .
(348) فى ا : ناصية ، والتصويب عن ع . وناصية القوم : خيارهم .

قومه (349) ، ولباب قومه . وانه لفي معقل عز ، وعيص أشب . والعيص: ما التف من الشجر . والأشب الذي لا مدخل له . قال جرير :

فما شجرات عيصك في قريش   بعشات الفروع ولا ضواح (350)

وانه لفي ذروة قومه . وهؤلاء كاهل بني فلان ، وسنام بني فلان . وهم ذراهم وانفهم . وقالت غادية الدبيرية (351) في ابنها روس :

أشبه روس نفرا كرامـــا
كانوا الذرى والأنف (352) والسناما (353)
كانوا لمن خالطهـم ادامـــا
كالسمن لما سغبل (354) الطعامـــا
لو كنت ريشا لم تكن لؤامـــا
أو طائرا كنت اذا غنامـــا
صقرا ، اذا لاقى الحمام اعتامـــا

ويقال : انه لواسطة قومه . وهو مقابل مدابر ، اذا كان أخوالـــه وأعمامه من قوم واحد . وانهم من سرهم ، أي من خيارهم . وهو ثاقب الحسب ، أي نير . وهو رفيع البيت ، على الدعائم ، كريم المركب (355)، كريم المحتد (356) ، وهو جذم صدق ، وارومة صدق (357) ، ومـــن محض (358) قومه ، ونخبتهم . قال قطرب (359) : يقال انه لذو براية في

---

349) هو ذؤابة قومه : اي المتقدم فيهم .

350) البيت بنصه لجرير في شرح ديوانه ص 99 . وهو ايضا في المقاييس 195/4 مادة (عيص) واللسان مادة (عيص) والصحاح مادة (ضحا) 2407/6 . وانظر ترجمة جرير بن عطية (ت 110 هـ) في : الاغاني 3/8 — 89 ووفيات الاعيان 102/1 وطبقات الجمحي 96 والشريشي 249/2 وشرح شواهد المغني 16 والشعر والشعراء 374/1 وخزانة الادب 36/1 والموشح 118 والعيني 91/1 والاعلام 111/2 .

351) هي غادية بنت قزعة الدبيرية ، ولها ارجوزة صادية تذكر ابنها (مرهبا) انظر مجالس ثعلب 299 — 300 وبعضها في نوادر ابي مسحـــل 155/1 والابيات الثلاثة الاول من ارجوزتها الميمية هذه في اللســان 407/7 مـــادة (روس) وذكر انها لعادية بنت قزعة الزبيرية . والابيات الثلاثـــة الاول في التاج 164/4 مادة (راس) وفيه : عادية بنت قزعة .

352) في أ : الانـــف .

353) في ع : السنـــــام .

354) سغبل : رواه دسما ، والسغبلة ان يثرد اللحم مع الشحم فيكثر دسمه .

355) المركب : الاصـــل

356) المحتد : الاصـــل .

357) الارومه : الاصـــل

358) المحض : الخالص النسب ، الصريح .

359) انظر المقاييس 233/1 — 234 .

حسبه . وهو كريم النجار ، والشرخ . وهو في بهرة تومه ، واربية (360) تومه ، ورباء تومه . ويتولون : جاءت مخة الناس (361)، ونصيتهم (362) ومن ألفاظ الشعراء (363) :

من جمع في العز منها والحسب والأسرة الحصداء والعيص الأشب

وذكر ابن عباس (364) عليا (365) — عليهما السلام — فقال : « سطة (366) في العشيرة ، وصهر بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلم بالتنزيل ، وفقه في التأويل ، وصبر اذا دعيت نزال » (367) . ومن ألفاظ

---

360) الاربية : اصل الفخذ ، وهي هنا : اهل بيته وبنو عمه .
361) مخة القوم : خيارهم .
362) نصيتهم : خيارهم .
363) الرجز لابي دهبل الجمحي ، انظر (شعر ابي دهبل واخباره) صفحة 1043 وروايته فيه :

انا ابو دهبل وهب لوهب
من جمع في العز منها والحسب
والأسرة الخضراء والعيص الأشب
ومن هذيل والدي عالي النسب
اورثني المجد اب من بعد اب ... الخ

وانظر الرجز ايضا في الاغاني — طبعة دار الثقافة — 113/7 ورواية الاغاني : (والاسرة الخضراء) مكان (والاسرة الحصداء) .

364) حبر الأمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي (ت 68 هـ) انظر ترجمته في : الاصابة رقم الترجمة 4772 وصفة الصفوة 314/1 وذيل المذيل 21 وتاريخ الخميس 167/1 ونكت الهميان 180 ونسب قريش 26 والمحبر 289 والاعلام 228/4 .

365) امير المؤمنين علي بن ابي طالب (رضي) (ت 40 هـ) . انظر ترجمته في : مروج الذهب — طبعة دار الاندلس 349/2 وخصائص العشرة الكرام البررة 91 — 106 والاستيعاب الى معرفة الاصحاب 26/3 والكامل لابن الاثير 98/3 واليعقوبي 154/2 والطبري 450/3 وسيرة ابن هشام 264/1 و 154/2 و 13/4 ومسند بن حنبل 17/2 والاصابة 269/4 رقم الترجمة 5682 وشذرات الذهب 42/1 وفضائح الباطنية 110 و 132 — 137 والمعارف 91 والمختصر في تاريخ البشر 170/1 وابن الوردي 155/1 واحياء العلوم 464/4 وصحيح مسلم 1870/4 وصحيح البخاري 22/5 والرياض النضرة 137/2 وتاريخ الخلفاء للسيوطي 166 — 187 وطبقات ابن سعد 19/3 وصفة الصفوة 118/1 ومقاتل الطالبيين 14 وحلية الاولياء 61/1 وشرح نهج البلاغة 579/2 والمرزباني 279 ومنهاج السنة 2/3 وتاريخ الخميس 276/2 وخصائص امير المؤمنين للنسائي وخصائص امير المؤمنين للشريف الرضي وتاريخ الاسلام 191/2 وتهذيب التهذيب 334/7 وتذكرة الحفاظ 9/1 وانباه الرواة 10/1 ومعجم الادباء 41/14 — 50 والاصابة رقم 1208 وتقريب التهذيب 39/2 والفخري 73 والاعلام 107/5 والمحاسن والمساوىء 41 والبدء والتاريخ 73/5 .

366) السطة : الشرف الحسب
367) نزال : المنازلة في الحرب

شعرائهم :

فتعلم ان عيص بنـي عـــدى تفرع بيته الحسب النضـــارا
ومن زيد علوت عليـــك ظهـــرا جسيـم المجد والعدد الكثـــارا
وتزخر من وراى حماى عمـــرو بذى صدين (368) يكتفىء البحارا

وبنو فلان زؤوس العز (369) .

بـــاب الرذال والذنابى والدعـــوة

يقال : انه من حفالتهم (370) ، وحثالتهم . وهو من زمعهم (371) ، ومن مآخيرهم : ليس من صدورهم ولا من سرواتهم . وذلك ان الزمع هى الروادف التى خلف الأظلاف . وانهم من رذالهم، واوغالهم ، وأوغادهم. ومما يجرى مجرى المثل : فلان كعروة الانآء وكاكارع الاديم (372) قال حسان:

أبلغ أبـــا سفيـــان أن محمـــدا هوالفرعذو الاغصان لاالواحدالوغد .
وأن سنام المجد مـــن آل هاشم بنو بنت مخزوم وو الدك العبـــد
وأنت دعى نيط فى آل هاشـــم كمانيط خلفالراكبالقدحالفرد(373)

---

368) صدا الجبل : ناحيتاه فى مشعبه .
369) فى الاصل : (رؤس) بواو واحدة .
370) الحفاله : الرذل من كل شيء .
371) الزمع : رذال الناس ورعاعهم . وفى الاصل : زمعهم (بكسر الزاي) .
372) جاء فى كنايات الجرجاني ص 15 : « ويكنون عن الدعي باكارع الاديم قـــال الفرزدق :

وانت زنيم فى كليب زيادة كما زيد فى عرض الاديم الاكارع »

373) الابيات فىشرح ديوان حسان بن ثابت ـــ تحقيق البرقوقي ـــ القاهرة: 1929 ص 159 ـــ 160 وروايتها فيه :

لقد علم الاقوام ان ابن هاشـــم هو الغصنذو الافنان لا الواحد الوغد
وانت زنيم نيـــط فى آل هاشـــم كما نيط خلف الراكب القدح الفـــرد

والبيت الثالث فى الكنايات ص 15 والثاني والثالث فى زهر الاداب 26/1 وفيه : وانت زنيم ... ، وانظر ترجمة حسان بن ثابت (ت 54 هـ) فى : الشعر والشعراء 223/2 وتهذيب التهذيب 247/2 والاصابة 326/1 وابن عساكر 125/4 ومعاهد التنصيص 209/1 وخزانة البغدادي 111/1 وذيل المذيل 28 والاغاني ـــ طبعة الدار ـــ 134/4 وشرح الشواهد 114 وطبقات ابن سلام 52 وحسن الصحابة 17 ونكت الهميان 134 والاعلام 188/2 .

وقال آخر :

زنيم تداعاه الرجال زيـــادة   كما نيط فى عرض الاديم الاكارع (374)

وفلان ضئيل الحسب ، ملصق ، مأشوب ، موصوم ، سنيد (375) ، مجلوب (376) مؤتشب (377) . وما بنو فلان باصل ولا طـــرف (378) . وأبت عيدانهم الا انكسارا . ويقال فى البقية القليلة : ما بقى منهم الا مثل شريد النعامة ، يعنى شرود الحمير .

بـــاب النـــوم والسهـــــر (379)

يقال : نام ينام نوما . وانه لخبيث النيمة ، أى الحال التى ينام عليها. ورجل نومة ، أى كثير النوم . وهجع وهجد . فاما التهجد فالتيقظ . قال الله تعالى : « ومن الليل فتهجد به (380) » . الأصمعى (381) : سب اعرابى امرأته فقال : عليها لعنة المتهجدين . ويقال : هوم تهويما ، اذا نام نومـــا قليلا . وما ذقت غماضا (382) . ورجل ميسان : كثير الوسن . وهو رائب،

---

(374) البيت متدافع ، نسب للحطيم التميمي وهو شاعر جاهلي ، انظر اللســـان مادة (زنم). ونسب لحسان بن ثابت ، انظر الكامل 223/3 وليـــــس فى ديوانه . ونسب لعدي بن زيد العبادي فى الاتقان فى علوم القرآن 126/1 ، وهو فى ديوانه ص 201 صنعة محمد جبار المعيبد . ورواه ابن فـــارس فى المقاييس 29/3 مادة (زنم) بدون نسبة . والبيت فى الاشتقاق لابن دريـــد 175 وهو فى سيرة ابن هشام — طبعة جوتنجن — 1859 ميلادية ص 238 وفى ابيات الاستشهاد 159 وورد فى كتاب المباني ص 198 ما نصه : « روى طلحة عن عمرو بن عطاء ، قال : سمعت ابن عباس اذا سئل عن عربية القرآن انشد الشعر ، فقيل له ما زنيم ؟ فقال :

زنيم تداعاه الرجال زيـــادة   كما زيد فى عرض الاديم الاكـــارع »

انظر : مقدمتان فى علوم القرآن — القاهرة 1954 .

(375) السنيد : الدعـــي

(376) المجلوب : العبد الجليب من غير بلاد المسلمين .

(377) مؤتشب : غير الصريح والمخلوط نسبه .

(378) الطرف : منتهى كل شيء ، والرجل الكريم ، والبعد فى النسب .

(379) راجع باب النوم فى تهذيب الالفاظ 627 وباب الرقاد والنوم فى الالفـــاظ الكتابية 91 .

(380) تمام الآية الكريمة : (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) : 79 م الاسراء 17 . انظر المعجم المفهرس .

(381) انظر قول الأصمعي فى تهذيب الالفاظ 628 ومختصر تهذيب الالفاظ 381 .

(382) قال المصنف فى المقاييس 396/4 : « ويقال : ما ذقت غمضا من النوم ولا غماضا ، اي كقدر ما تغمض فيه العين » .

أى خاثر النفس من النعاس . ورجل سهد : قليل (383) النوم وللكرى (384) النعاس . قال ابن السكيت (385) : « انه لشديد جفن العين . اذا كان صبورا على النعاس لا يغلبه النوم . ورجل بعث ، اذا كان كثير الانبعاث، لا يغلبه النوم (386) وتوسنت المرأة ، اذا المت بها وهى نائمة (387) .

بـــاب القرابة والرحـــم

يقال : رجل احص ، أى قاطع للرحم . ورحم حصاء ، أى مقطوعة قال ابن الاعرابى (388) ، تقول العرب : بينى وبينه خطرة رحم . وبيننـــا شجنة رحم . قال أبو زيد (389) : اطت (390) له منى حاسة ، أى رحم .

بـــاب الجماعـــات (391)

يقال للجماعة : الثبة . وهذا حى حادر ، أى مجتمع كثير (392) . فاذا بلغ الحى ان ينفرد فى الغارة وحده ولا يحلب (393) فهو رأس » (394). قـــــال :

برأس من بنى جشم (395) بن بكر ندق به السهولة والحزونا (396)

---

383) فى الاصل : وقليل النوم ، والواو فى راينا من وهم الناسخ .
384) اي ويقال للكرى : النعاس .
385) انظر النص فى تهذيب الالفاظ 630 .
386) انظر النص فى تهذيب الالفاظ 631 .
387) ورد فى تهذيب الالفاظ 631 : « ويقال توسنته اذا اتيته وهو نائم) .
388) انظر قول ابن الاعرابي فى اللسان مادة (خطر) .
389) انظر قول ابي زيد فى اللسان مادة (حسنس) .
390) أطت : حنت .
391) راجع باب الجماعة فى تهذيب الالفاظ 30 وباب الجماعة فى الالفاظ الكتابيـة 274 وباب الاجتماع فى تهذيب الالفاظ 51 وفى الالفاظ الكتابية : بـــاب فى احتشاد القوم ص 68 .
392) انظر تهذيب الالفاظ 32 وفيه : مجتمع (بفتح الميم)
393) يحلب : اي يعـــان .
394) ما بين الاقواس « » منقول عن تهذيب الالفاظ ص 32 .
395) فى الاصلين : حبشم (بكسر الميم) .
396) البيت لعمرو بن كلثوم ، انظر جمهرة اشعار العرب للقرشي ص 352 — تحقيق البجاوي . وهو له فى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليـــات للانباري — ص 401 تحقيق عبد السلام محمد هارون .
وانظر ترجمة عمرو بن كلثوم (ت نحو 40 ق هـ) فى : الاغاني — طبعـة الدار — 52/11 وسمط اللآلى 635 والمحبر 202 وجمهرة اشعار العرب 31 و 74 والمرزباني 202 والشعر والشعراء 157/1 وخزانة البغدادي 519/1 وصحيح الاخبار 9/1 و 192 والاعلام 256/5 وبروكلمان 103/1.

والعمارة : الحي العظيم . وبنو فلان كرش القوم ، أي معظمهم. ورحى القوم : جماعتهم . ومرت بنا اضمامة من الناس ، أي جماعة . والحصى : العدد الكثير . قال الاعشى :

ولست بالاكثر منه حصى وانما العزة للكاثر (397)

والقبص : العدد الكثير . ويقال : أتانا دهم (398) من الناس . ويقال: ما ادرى أي الورى هو (399) ! وأى من لقط الحصى هو ! وأى من وجن الجلد ، أى مرنه (400) وفي الحديث (401) : « لا تمثلوا بنامية الله » أى بخلقه . قال الفراء (402) : ما أدرى أي الخوالف هو ! وأى ولد الرجل هو ! يريد آدم — عليه السلام — (403) . « وما أدرى أي الجراد عاره » (404) أي أي الناس أخذه . الاصمعي (405) : جاء فلان في غير عين ، أى في غير جماعة . وقال : العثراء (406) : جماعة الناس . ودخل في خمار النـــاس ، وغمارهم (407) . والفنون من الناس : الاخلاط . وبها أوزاع من الناس ،

---

397) رواية البيت في ديوان الاعشى الكبير ص 143 : « ولست بالاكثر منهم حصى» وهو كذلك في نوادر ابي زيد ص 25 وجاء فيها : « قال الاصمعـــــي : اراد ولست من بني فلان بالاكثر . يريد انت منهم ولست بالاكثر حصى من هؤلاء القوم . ابو زيد اراد بأكثر منهم حصى . والحصى العدد الكثير » . وانظـــر البيت في : المقاييس 161/5 . وتهذيب الالفاظ 34 والاشتقاق 65 وشروح سقط الزند 452 ورسائل الجاحظ 218/1 وعيون الاخبار 123/4 والكامل 44/1 والاساس واللسان مادة (كثر / والتصريف الملوكي لابن جني ص 14 ـطبعة دمشق 1970 وتاج العروس — مستدرك كثر — والصحاح مادة (حصا) .

398) الدهم : العدد الكثير .

399) انظر المقاييـــس 104/6 .

400) وجن الجلد : اي لينه .

401) رواه الامام احمد عن يعلي بن مرة بلفظ : لا تمثلوا بعبادي . وفي رواية عنـــد الطبراني : لا تمثلوا بعباد الله . وفي اسنادهما عطاء بن السائب وقد اختلط انظر مجمع الزوائد 248/6 . وفي رواية للطبراني : لا تمثلوا بشيء من خلق الله فيه الروح . وفيه سليمان بن سلمة الخبايري وهو متروك — مجمـــع الزوائد 249/6 . وانظر الحديث في النهاية 295/4 وتهذيب الالفـــاظ 35 والاساس مادة (مثل) .

402) انظر قول الفراء في تهذيب الالفاظ 36 .

403) انظر جوامع اصلاح المنطق ص 214 وتهذيب الالفاظ 36 .

404) انظر المثل في اساس البلاغة 117/1 ومعناه : اي اي شيء ذهب به وانظر اللسان 90/4 وفي الصحاح : « ما ادري اي جراد عاره » والمثل في تهذيب الالفاظ 36 وجمهرة الامثال 53/2 .

405) انظر قولة الاصمعي في تهذيب الالفاظ ص 36 .

406) هكذا في الاصلين وكذلك وردت في تهذيب الالفاظ ص 36 ولم أجدها في معاجم اللغة ، وصوابها : الغثراء : وهم سفلة الناس .

407) ورد في تهذيب الالفاظ ص 36 : « يقال دخل في خمار الناس ، وغمار الناس خطأ ليس من كلام العرب » .

أى فرق (408) . والجماع : الجماعة من ضروب شتى (409) . قال أبو قيس بن الاسلت (410) :

حتى تجلت ولنا غاية ... من بين جمع غير جماع (411)

والأشابة : الاخلاط (412) . ويقال : أتانا بجد (413) من الناس ، ودهم من الناس . وجاء فلان فى ناهضته ، وهم الذين ينهض بهم فيما يحزبه . وجاء فى ظهرته وصاغيته (414) . والسامة : الخاصة . والحامة : العامة (415) . ويقال : ثلة من الناس ، وجبهة (416) من الناس . وجاءوا جما غفيرا ، أى بجماعتهم . قال الفراء (417) كيف جهراؤكم ؟ أى جماعتكم ودهماؤكم مثله . قال الكسائى (418) : قلت لاعرابى: ابنوا جعفر أشرف ام

---

408) فى تهذيب الالفاظ 37 نسب هذا القول للاصمعي .

409) العبارة والبيت الذي يليها فى تهذيب الالفاظ 37 .

410) ابن الاسلت : هو صيفي بن عامر الأسلت الأوسي (ت 1 هـ) جاهلي كان راس الاوس وشاعرها وخطيبها وقائدها فى حروبها ، مات قبل أن يسلم . انظر ترجمته فى : الاصابة باب الكنى 935 وتهذيب ابن عساكر 452/6 ومعاهد التنصيص 25/2 والبيان والتبيين 23/3 و 262 والاغاني 154/15 وابن الاثير 284/1 والاعلام 303/3 .

411) البيت لابن الاسلت ، وهو فى المسلسل ص 136 وروايته : « حتى تولت » . وروايته فى اللسان 407/9 : « حتى انتهينا .. » . والبيت فى الاقتضاب فى شرح ادب الكتاب 358 وروايته فيه مطابقة لرواية متخير الالفاظ ، والبيت فى جمهرة اشعار العرب 655 وفى تهذيب الالفاظ وفى المفضليات 285 . وعجزه فى المجمل لابن فارس ص 167 ، وعجزه ايضا فى أدب الكاتب لابن قتيبة ص 226 منسوبا لابن الاسلت .

412) انظر تهذيب الالفاظ 38 .

413) فى الاصلين : نجد ، بالنون وهو تصحيف . وبجد من الناس ودهم : وهم الناس الكثيرون . انظر تهذيب الالفاظ 39 .

414) جاء فى صاغيته : اي مع الذين يميلون اليه .

415) انظر تهذيب الالفاظ 39 .

416) جبهة من الناس : اي جماعة ، انظر تهذيب الالفاظ 40 .

417) انظر عبارة الفراء فى تهذيب الالفاظ 40 .

418) انظر عبارة الكسائي فى تهذيب الالفاظ 40 ـ 41 . والكسائي : هو ابو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت 183 هـ) انظر ترجمته فى : مراتب النحويين 74 وطبقات الزبيدي138 وطبقات القراء535/1 وأعيان الشيعة235/41 وانباه الرواة 256/2 ونزهة الالباء 67 والانساب 482 والبداية والنهاية 201/10 وبغية الوعاة 162/2 وتاريخ بغداد 403/11 وتاريخ ابي الفدا 17/2 وتنقيح المقال 286 وتهذيب التهذيب 313/7 وابن خلكان 330/1 وروضات الجنات 471 وشذرات الذهب 321/1 والعبر 302/1 والفهرست 65 واللباب 40/3 ومرآة الجنان 421/1 والمزهر 407/2 و 419 و 423 و 463 والمعارف 445 ومعجم الادباء 167/13 ومعجم البلدان 28/2 و 293/4 ومعجم المطبوعات 1558 ومفتاح السعادة 130/2 و 331 والنجوم الزاهرة 130/2 وهدية العارفين 668/1 وايضاح المكنون 48/1 و 279/2 و 313 و 322 و 332 و 336 و 345 و 350 450 وكشف الظنون 108 و 1328 و 1330 ومعجم المؤلفين 83/7 ونور القبس 283 والاعلام 93/5 .

بنو أبي بكر بن كلاب ؟ قال : « اما خواص رجال فبنو أبي بكر ، وامـــا جهرآء الحي فبنو جعفر » . قال الأصمعي (419) رأيتهم عاصبين بفلان ، اذا اجتمعوا عليه ؟ وقد عصبوا به ، وستكنوا به ، وحوله ، اذا استداروا .
وقال ابن مقبل (420) :

خروج من الغمى اذا صك صكـــة   بدا والعيون المستكفة تلمـــح (421)

وقد تجمعوا تجمع بيت الادم . لأن بيت الادم تجتمع فيه اطرافـــه وزعانفه (422) . ويقال : تحبش الناس ، أى تجمعوا . وتألثوا ، واصفقوا، وأطبقوا ، واحلبوا ، واجلبوا ، وترافدوا ، اذا اعان بعضهم بعضا (423) .
وهم عليه يد واحدة (424) .

بـــاب الشر يقـــع بين القوم (425)

يقال : هم يتهوشـون ، اذا كان بينهم اختلاط . وقد لحج بينهم الشر، أى نشب (426) . قال ابن السكيت (427) : « يقال للرجل اذا لم يستو له الامر : قد اشتغر عليه الشأن وذهب يعد بنى فلان فاشتغروا عليه ، أى كثروا فاختلط عليه كيف يعدهم » . ويقـــال : من دون ذاك مكـــاس ،

---

419) انظر قول الاصمعي فى تهذيب الالفاظ 51 .
420) هو تميم بن ابي بن مقبل (ت نحو 25 هـ) . انظر ترجمته فى : العمـــدة 291/2 والشعر والشعراء 366/1 والاصابة 195/1 والخزانة 113/1 وكني الشعراء 289 وطبقات ابن سلام 55 والسمط 68 والاعلام 71/2 والمحبر 325 ومقدمة ديوانه الذي نشره الدكتور عزة حسن فى دمشـــق 1962 ومعجم ما استعجم 131/1 والاشتقاق 12 ووقعة صفـــين 601 ومجالس ثعلب 431 وزهر الاداب 19/1 وحماسة ابن الشجـــري 131 والموشح 80 والمزهر 482/2 .
421) البيت لابن مقبل وهو فى ديوانه ص 29 ، وهو ايضا فى المراجع التالية : جمهرة الامثال 120/2 والميسر والقداح 65 والمقصور والمدود لابن ولاد — طبعة ليدن 1900 ص 91 واللسان والصحاح والتاج مادة (كفف) وامالـــي القالي 15/1 وثمار القلوب 173 وتهذيب الالفاظ 52 ومعاني العسكـــري 2) 243 والسمط 67 .
والغمى : الشدة والضيق . والعيون المستكفة : عيون الذين حوله ينظرون اليه والى غيره من القداح .
422) انظر تهذيب الالفاظ ص 52 .
423) انظر تهذيب الالفاظ ص 53 — 54 .
424) جاء فى تهذيب الالفاظ ص 54 : الاصمعي : هم عليه يد واحدة اذا اجتمعوا عليـــه .
425) راجع باب الاختلاط والشر يقع بين القوم فى تهذيب الالفاظ ص 90 وبـــاب الشدائد والنوائب ص 152 فى الالفاظ الكتابية وباب التباس الامر وتفاقمه ص 26 وص 230 فى الالفاظ الكتابية .
426) فى الاصل : نشب . وانظر العبارة فى تهذيب الالفاظ 91 .
427) انظر عبارة ابن السكيت فى تهذيب الالفاظ 91 — 92 .

وعكاس (428). ويقال : « التبس الحابل بالنابل » (429). الحابل : السدى. والنابل : اللحمة « واختلط المرعى بالهمل » (430)، اذا اختلط الخير بالشر، والصحيح بالسقيم. « واختلط الخاثر بالزباد » (431)، أى الخير بالشر، والجيد بالردىء، والصالح بالطالح، والشريف بالوضيع. لان الخاثر من اللبن أجوده. والزباد : زبده وما لا خير فيه (432). ويقال: « اختلط الليل بالتراب » (433)، اذا اختلط على القوم أمرهم. انشدنى على بن ابراهيم (434) عن ثعلب (435) عن ابن الاعرابى (436) :

---

(428) وهو ان تاخذ بناصيته وياخذ بناصيتك. انظر تهذيب الالفاظ 92.

(429) يضرب مثلا فى اختلاط الأمر على القوم، حتى لا يعرفوا وجهه. ورواية المثل فى تهذيب الالفاظ ص 92 مماثلة لرواية المتخير.
وروايته فى جمهرة الامثال 110/1 : اختلط الحابل بالنابل. وانظر المثل فى فصل المقال 333 والمستقصى 41 واللسان (حبل).

(430) انظر المثل فى جمهرة الامثال 110/1 والمستقصى 42 واللسان (همل) والميداني 238/1 رقم 1262 وتهذيب الالفاظ 92.
والهمل : المهملة التي لا راعي لها.

(431) انظر المثل فى تهذيب الالفاظ 92 و فى جمهرة الامثال 110/1 وفى فصل المقال 333 والميداني 240/1 والمستقصي 41 واللسان (خثر وزبد).

(432) انظر العبارة فى تهذيب الالفاظ ص 92.

(433) انظر المثل فى تهذيب الالفاظ ص 93 والميداني 240/1 والكنايات 145.

(434) هو علي بن ابراهيم بن سلمة القطان : ذكره ياقوت فى معجم الادباء 82/4 والسيوطي فى بغية الوعاة 153 فى شيوخ أحمد بن فارس. وقد اكثر ابن فارس من الرواية عنه فى كتابه ــ الصاحبي ــ، كما ذكر فى مقدمة معجمه المقاييس انه قرأ عليه كتاب العين للخليل بن احمد. وقد روى عنه فى متخير الالفاظ فى غير موضع واحد. وقد ولد أبو الحسن سنة 254 هـ وتوفى سنة 345 هـ وانظر ترجمته فى: معجم الادباء 218/12 ــ 221 وطبقات المفسرين 4 والعبر للذهبي 367/2 وبغية الوعاة 352/1 ونزهة الالباء 320 وغاية النهاية 516/1.

(435) ثعلب أبو العباس احمد بن يحيى الشيباني (200 ــ 291 هـ) انظر ترجمته فى : نزهة الالبا 293 وتذكرة الحفاظ 214/2 وطبقات ابن ابي يعلي 83/1 والمسعودي 387/2 وابن خلكان 30/1 وتاريخ بغداد 204/5 وانباه الرواة 138/1 وبغية الوعاة 172 والاعلام 252/1 وفهرست ابن النديم 110 وياقوت 102/5 والمنتظم لابن الجوزي 44/6 ومرآة الجنان 218/2 وغاية النهاية وشذرات الذهب 207/2 وروضات الجنات 56/1 وطبقات المفسرين 41.

(436) الارجوزة من غير عزو فى مجالس ثعلب ص 425 ــ 426 وروايتها فيها :

لو ظمىء القوم فقالوا من فتى
يخلف لا يردعه خوف الردى
فبعثوا سعدا الى الماء سدى
فى ليلة بيانها مثل العمى
بغير دلو ورشاء لاستقى
أمرد يهدي رأيه رأي اللحى ».

لو أشرف القوم على أرض العدى
واختلط الليل بألوان الحصى
وبعثوا سعدا الى الماء سدى
بغير دلو ورشاء لاستقى
ووجدوا ذا مرة جلد القوى
سمحا على أية اجريا جرى
امرد يهدى رأيه ذوى اللحى
مشمر المئزر عن نصف النسا

قال الاصمعى : وقع فى دهمة (437) لا يتجه لها ، أى خطة شديدة « ووقع فى الحظر الرطب » (438) . وذلك ان الانسان يقع فى الشوك المحتظر فتصيبه منه شدة . ويقال : تباين ما بينهم ، أى انقطع (439) ، « وما يدرى فلان ايخثر ام يذيب ؟ » (440) وذلك اذا بعل بأمره . واصله أن تصب الزبدة فى القدر ، وفى نواحيها اللبن ، فاذا أوقد تحتها خثرت . ويقال : تشاخس هذا الأمر . اختلف . ويوم عماس ، أى مبهم (441) . « وتشاتما فكأنما جزرا بينهما ظربانا » (442) شبه قبح تشاتمهما بنتن الظربان (442) . ويقال : « أمركم هذا أمر ليل » (443) ، اذا كان ملتبسا مظلما . وبات فلان بليلة من ليالى الشوامت (444) . ويقال : لقيت منه جهدا

- ويلاحظ ان رواية المتخير اصح واكمل . وروية النص فى البصائر والذخائر مجلد 2 قسم 2 ص 863 موافقة لرواية مجالس ثعلب . وقد ذكر الجرجاني فى منتخب الكنايات ص 145 الابيات الاربعة الاولى وروايتها :

لو اشرف القوم على امر العدا
واختلط الليل بالوان الحصى
وبعثوا سعدا الى الماء سدى
بغير دلو ورشاء يستقى (كذا)

(437) فى تهذيب الالفاظ ص 93 : وقع فى بهمة لا يتجه لها ، اى خطة شديدة .
(438) انظر المقاييس 81/2 وجمهرة الامثال 314/1 والكنايات 8 وتهذيب الالفاظ 94 واللسان والتاج مادة (حظر) ونوادر ابى مسحل 511 .
(439) انظر تهذيب الالفاظ 94 .
(440) يضرب فى اختلاط الأمر . وانظر المثل فى الميداني 281/2 رقم المثل 3868 وانظر اللسان مادة (خثر) وانظر المثل وشرحه فى تهذيب الالفاظ 94 .
(441) انظر تهذيب الالفاظ 95 .
(442) فى تهذيب الالفاظ : جررا . والظربان : دابة تشبه الكلب وهي انتن الدواب ريحا . وانظر المثل فى تهذيب الالفاظ 95 واللسان (ظرب) . وفى الاصلين : (ضربانا) مكان (ظربانا) و (ضربان) مكان (ظربان) .
(443) انظر المثل فى تهذيب الالفاظ 95 والكنايات 145 وفيه : ويقال : هذا امر ليل اذا كان ملبسا مظلما .
(444) انظر اللسان مادة (شمت)

جاهدا ومثلا (445) ماثلا . وهذا يوم ترشح منه الاصداع . وقد غلت بهم القدور . وقد نال الوقود اقاصي الحطب ، اذا تناهى الشر . ويقال للامر الشديد : حصاة في خف . وقد اصابتني بعدك شدى (446) . وأصابتهم اوشاز الامور ، أي شدائدها . وهذا يوم ذكر .

بـاب الشيء الـذي لا يستقـر

قال ابن قتيبة (447) ، تقول العرب للشيء الذي لا يستقر : هو على رجل طائر ، وبين مخاليب طائر ، وعلى قرن ظبي . قال الشاعر :

كأن فؤادي بين أظفار طائـــر   من الخوف في جو السماء محلق
حذار امرىء قد كنت اعلم انــه   متى‌ما يعدمن نفسه الشر يصدق (448)

وقال المرار يذكر فلاه تنزو من مخافتها قلوب الأدلاء :

كأن قلوب ادلائهــــا   معلقة بقرون الظباء (449)

---

445) في الاصل (مثلا) والتصويب من اللسان .

446) روى القول من ابي زيد في اللسان مادة (شدد) .

447) ابن قتيبة : هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ) . انظر ترجمته في : طبقات النحويين 200 وانباه الرواة 143/2 وبغية الوعـاة 63/2 ونزهة الالباء 209 ومرآة الجنان 191/2 وتهذيب الاسماء واللغات 281/2 واللباب لابن الاثير 242/2 ووفيات الاعيان 251/1 ولسان الميزان 357/3 والنجوم الزاهرة 75/3 وتذكرة الحفاظ 185/2 وتاريخ ابي الفدا 57/2 وتاريخ بغداد 170/10 وشذرات الذهب 169/2 وفهرست ابن النديم 77 — 78 والمنتظم 102/5 والبداية والنهاية 48/11 وكشف الظنون في مواضع عديدة وآداب اللغة العربية 170/2 ودائرة المعارف الاسلامية 260/1 والاعلام 280/4 وايضاح المكنون 356/1 و 134/2 ، 146 ، 506 . وتاريخ ابن الاثير 66/6 وتلخيص ابن مكتوم 100 وروضات الجنات 447 وطبقات ابن قاضي شهبه 177 و178 والعبر 56/2 والمزهر 409/2 و 420 و 465 ومعجم المطبوعات 211 ومعجم المؤلفين 150/6 ومقدمة التهذيب للازهري 75 وميزان الاعتدال 503/2 وهدية العارفين 441/1 و 4/2 .

448) البيتان لرجل قالهما في الحجاج بن يوسف الثقفي ، راجع تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 347 وعيون الاخبار 145/3 .

449) قاله المرار بن سعيد الفقعسي ، انظر البيت في شروح سقط الزند 132/1 والمنتخب 140 والاساس (عفر) والحماسة البصرية 362/2 وفيها حرفت قلوب الى قرون . والبيت ايضا في تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 488 منسوبا الى المرار وفي تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص 130 من غير عزو ، وفي امالي المرتضى 328/1 من غير عزو . وانظر ترجمة المرار في : الشعر والشعراء 588/2 والأغاني 151/9 والخزانة 193/2 والسمـط 231 والمؤتلف 268 ومعجم المرزباني 337 والاعلام 82/8 والتبريزي 76/3 و 121/4 .

وقال امرؤ القيس : كأني وأصحابي على قرن أعفرا (450) .

بـــــاب الغنـــــى (451)

يقولون للغنى : مكثر ، مترب ، مثر . وله مال جم ، ودثر . ولقد « جاء بالضح والريح » (452) ، « والطم والرم » (453) ، وهو ضافي المــــال وفلان مال نال ، وله عائرة عينين . « وله غنى طويل الذيل مياس » (454) ، « وله عائرة عين » (455) ، أي لا يسترثيه البصر ، أي لا يدركه بل تحار فيه العين . وفلان كثير الورق : صنوف المال من الذهب والفضة والعرض . وأنشد :

---

450) عجز بيت لامرىء القيس في ديوانه ــ صنعة حسن السندوبـــــي ص 75 والبيت بتمامه :

ولا مثل يوم في قداران ظللتــــه   كأني وأصحابي على قرن أعفــــرا

يريد انهم كانوا في ذلك الموضع على غير استقرار ولا طمأنينة . وروايـــــة السكري للعجز في ديوان امرىء القيس ــ طبعة دار المعارف ص 393 : « كأني وأصحابي بقلة عندرا » . والبيت في طبعة المعارف ص 70 . والبيت أيضا في أمالي المرتضى 329/1 وروايته : « ولا مثل يوم في قداران ظللته » . قال ويروى : « في قدار ظللته » . ورواية البيت في المنتخب ص 140 :

ولا مثل يوم في قذار ظللتــــه   كأنـــي وأصحابي على قرن أعفرا

والبيت في شروح سقط الزند 131/1 وروايته : « ويوم طويل في قـــــذاران ظللته » والعجز في الاساس مادة (عفر) 128/2 .
وانظر ترجمة امرىء القيس بن حجر الكندي (ت نحو 80 ق هـ) في : الشعر والشعراء 50/1 وطبقات ابن سلام 44 والخزانة 302/1 والاغاني 77/9 والاعلام 351/1 وتهذيب ابن عساكر 104/3 وشرح شواهد المغنـــــي 6 وجمهرة اشعار العرب 124 والزوزني ص 2 والذريعة 349/2 وصحيـــح الاخبار لابن بليهد 6/1 و 16 ــ 110 .

451) راجع باب الغنى والخصب في تهذيب الالفاظ ص 1 وفي الالفاظ الكتابية باب الاستغناء ص 41 وباب خفض العيش والرفاهة ص 78 .

452) أي جاء بكل شيء . انظر المثل في جمهرة الامثال 321/1 والميداني 108/1 والمستقصى 195 واللسان مادة (ضحح) وادب الكاتب 37 والاســـاس 42/2 وفصيح ثعلب 69 والاصلاح 295 وتهذيب الالفاظ 10 .

453) معناه جاء بالكثرة . انظر المثل في جمهرة الامثال 315/1 وفصل المقال 98 والميداني 108/1 والمستقصى 195 وتهذيب الالفاظ 9 واللسان مادة (طمم) .

454) أصله مثل : « ان الغني لطويل الذيل مياس » أي لا يستطيع صاحب المال أن يكتمه . انظر جمهرة الامثال 198/1 والميداني 34/1 وروايته فيه : « ان الغني طويل الذيل مياس » والمثل في المستقصى 164 والمنتخب 69 والالفاظ الكتابية 42 .

455) أصله مثل : (جاء بعائرة عين) ، اذا جاء بالمال الكثير يملأ العين حتى يكاد يعورها . انظر المثل في جمهرة الامثال 314/1 والمستقصى 196 واللســـــان مادة (عور) . وانظر أيضا : له عائرة عينين في الصحاح مادة (عـــــور) وتهذيب الالفاظ 6 .

اليك أشكو فتقبل ملقـــى
واغفر خطاياى وثمر ورقى (456)

وقال آخر :

وما ورق الدنيا بباق لأهله   ولا شدة الدنيا بضربة لازب (457)

ويقولون : عليه سواد من مال (458) . ورجل مرغب ،واجد ، ميل . وله مال لا يسمى ولا ينهى ، مثل لا يحصى . قال قطرب : مال ذو قنع ، ورجل كاثر . وقال فى قولهم : « جاء بالطم والرم » : الطم : ما اطمت به الريح فطار فى الهواء . والرم : ما نبت فارتم (459) . قال ، ويقولون : « جـــاء بالسمر والقمر » (460) ، أى بكل شىء ، ويقولون : مشى ماله مشاء ، اذا كثر (461) ، وقد تأثل مالا ، واثل الله له مالا . وقد تقنى (462) بعـــد

(456) قاله العجاج ، انظر ديوانه ص 40 ، والبيت فى الصحاح 1565/4 واللسان 254/12 والاساس 400/2 وروايته فى المصادر الثلاثة الأخيرة : (اياك ادعو) . وهو فى المقاييس 102/6 وروايته (اليك ادعو) والبيت فى أضداد الانباري 273 والشطر الثاني منه فى اصلاح المنطق 101 وفى مجالس ثعلب ص 7 . وانظر ترجمة العجاج وهو عبد الله بن رؤبة السعدي التميمي (ت نحو 90 هـ) فى : الشعر والشعراء 493 وشرح شواهد المغني 18 وتهذيب ابن عساكر 394/7 والموشح 215 .

(457) البيت لكثير بن عبد الرحمان الخزامي وروايته فى ديوانه 280/1 :

فما ورق الدنيا بباق لاهلـــــه   ولا شدة البلوى بضربة لازم

والبيت فى المسلسل 192 واصلاح المنطق 289 والاغاني 16/9 والقلـــب والابدال 14 واللسان 34/2 مع اختلاف فى الرواية ، وانظر ترجمة كثيـــر (ت 105 هـ) فى : الشعر والشعراء 410 والاغانـــي 147/8 و 43/11 والموشح 143 ومعجم المزرباني 250 وشرح شواهد المغني 24 والخزانة 381/2 وابن خلكان 433/1 والمؤتلف 169 والعقد 88/2 وطبقات ابن سلام 457 ومعاهد التنصيص 136/2 والسمط 61 وبروكلمان 194/1 وشذرات الذهب 131/1 وعيون الاخبار 144/2 وتزيين الاسواق 43/1 والتبريزي 140/3 ورغبة الامل 134/2 و 206/3 و 112/5 والاعلام 72/6 .

(458) اي كثير من المال .

(459) ارتم : اكـــل .

(460) اى جاء بما طلع عليه القمر وما لم يطلع .

(461) جاء فى كتاب ــ الاتباع ــ لابي الطيب اللغوي ص 109 : « يقال : مشت الماشية وامشت : اذا كثرت ، ومشى القوم ومشوا. اذا كثرت مواشيهم . قال الشاعر :

وقال ماشيهم : سيان سيركم   وان تقيموا به واغبرت السوح »

وفى الاصل : مشا مشاً .

(462) فى الاصل : تقنى ، بالقاء فالتاء ، وهو تصحيف .

اقلال . وخير مجنب ، أى كثير . ويقال : طمى ماله ، ونمى ماله ، وزكا ، وربا (463) ، ووشى ، وآمر . قال غيره : مشى بعد ما امشى ، أى افتقر بعد الثروة . قال النابغة :

وكل فتى وان امشى واثرى ستخلجه عن الدنيا المنون (464)

وقال ابن السكيت (465): يقولون: مشى على فلان مال، أى تتاتج. والأمر: البركة والنماء . وكذلك الامرة . ومثل من الامثال : « فى وجه مالك تعرف امرته (466) أى نماءه وكثرته ، يضرب مثلا للرجل يدل شاهده على مكنونه ودخلته . قال ابن السكيت : الثروة (467) من الرجال ، والثروة من المال . وقد امر ماله . وفى الحديث : « خير المال سكة مأبورة أو مهرة مأمورة » (468) . السكة : السطر من النخل . والمابورة : التى قد ابرت ، أى لقحت ، والمامورة : الكثيرة الولد . وتفسيره : خير المال نتاج أو زرع . وقد ضفا مال فلان ، أى كثر . ويقال : انه لذو أكل فى الدنيا ، أى ذو حظ وفلان من ذوى الآكال ، أى من ذوى القسم الواسع . وهو فى غضارة من العيش الاصمعى (469) : ان فلانا لمخضم ، أى موسع عليه من الدنيا . قال الاصمعى (470) : واخبرنا ابن أبى طرفة قال : قال أعرابى لابن عم له قدم عليه مكة : ان هذه ارض مقضم (471) [و] ليست بارض مخضم . قال : وكل صلب يقضم ، وكل لين يخضم .

---

(463) فى الاصل : وربى .

(464) البيت فى ديوان النابغة الذبياني ص 257 وفيه المنون : منون . وهو ايضا فى الامالي 174/1 والمقصور والممدود 113 والصحاح (مشى) واللسان مادة (منن) و (مشى) . واللالى 434 ومجموعة المعاني ص 8 والمعاني الكبير 198/1 والالفاظ الكتابية 41 .

(465) انظر تهذيب الالفاظ ص 5 .

(466) المثل فى الالفاظ لابن السكيت ص 2 وانظر جمهرة الامثال 93/2 وفيه : (فى وجه المال تعرف أمرته) ، والمال هنا: الماشية. وهو كقولهم: كم ظاهر دل على باطن . وانظر فصل المقال 238 والمستقصى 252 واللسان (أمر) والميداني 69/2 رقم المثل 2729 .

(467) فى ا و ع : الثورة ، وهو تحريف . انظر مختصر تهذيب الإلفاظ ص 1 .

(468) انظر نص الحديث فى مختصر تهذيب الالفاظ ص 2 ، وهو حديث مرسل رواه الامام احمد بلفظ : « خير مال المرء مهرة مامورة أو سكة مابورة » عن سويد ابن هبيرة (المسند 468/3) واورده السيوطي فى الجامع الصغير 11/2 ، وروايته فى النهاية 13/1 « خير المال مهرة مامورة وسكة مابورة » وفى الجمان فى تشبيهات القرآن ورد بلفظ مماثل للمتخير ، وانظر الحديث فى اللسان مادة (أمر) والمقاييس (أمر) واصلاح المنطق 249 .

(469) انظر النص فى تهذيب الالفاظ ص 8 .

(470) انظر النص فى تهذيب الالفاظ ص 8 وانظر قول ابن ابى طرفة فى الميداني 93/2 تحت المثل المعنون : « قد يبلغ الخضم بالقضم » .

(471) الزيادة من تهذيب الالفاظ ص 8 والميداني 93/2 واصلاح المنطق 208 .

الفراء : قد تجبر فلان مالا ، وذلك اذا عاد اليه من ماله ما كـــان ذهب (472) . ويقال : « وقع في الأهيمين » (473) وهو الطعام والشراب. ويقال للذى أصاب مالا وافرا واسعا لم يصبه أحد : « أصاب فلان قرن الكلأ » (474) . وقرن الكلا : انفه الذى لم يؤكل منه شيء . وفلان عريض البطان . يقال له ذلك اذا اثرى وكثر ماله (475) . ويقال : (476) : هو رخى اللبب ، اذا كان فى سعة يصنع ما شاء . وروى ابن السكيت فى هـــذا الباب (477) : « جاء بالضح والريح » ، و « جاء بالحظر الرطب » (478)، و « بالبوش البائش » (479) . ويقال : هو فى ضرة مال يعتمد . وذلـك أن يعتمد على مال غيره من أقاربه. ويقال: عيش رفيغ (480)، أى واسع. وعيش غرير لا يفزع (481) أهله . قال الفراء : عام ازب مخصب . والغيداق (482) الكثير الواسع من كل شيء . وما أحسن غضارة آل فلان ، وآثاثهم (483)! وما أحسن رئيهم (484) ! وما احسن امارتهم ! اذا كانوا يكثرون ويكثر أولادهم (485) . وما أحسن نابتة بنى فلان ، أى ما نبتت عليه (486) اموالهم . وفلان حسن الشارة والجهر (487) .

بــاب منه آخــر

يقال : هو متدع ، أى صاحب دعة . ونال فلان هذا الأمر وادعا أى

---

472) انظر النص فى تهذيب الالفاظ ص 9 .

473) يضرب مثلا لمن حسنت حاله . انظر المثل فى الميداني 361/2 وروايتـــه : (وقعوا فى الاهيمين) . والاهيمان : الاكل والشرب . وقال الازهري : الاكل والنكاح .
وانظر المثل فى تهذيب الالفاظ ص 10 وفى اللسان مادة (هيغ) . وهـــو فى المستقصى 377/2 رقم المثل 1387 وروايته مماثلة لرواية المتخير .

474) انظر المثل فى الميداني 397/1 رقم المثل 2102 وهو المستقصى 200/1 رقم المثل 816 .

475) و 476) انظرهما فى تهذيب الالفاظ ص 10 . واللبب : البال .

477) انظر تهذيب الالفاظ ص 10 — 11 .

478) انظر المثل فى الميداني 179/1 رقم المثل 962 وتهذيب الالفاظ 11 .

479) انظر تهذيب الالفاظ ص 11 .

480) فى الاصل : (رفيع) بالعين المهملة وهو تصحيف . والتصويب عن التهذيب ص 13 .

481) فى الاصلين : لا يفرع ، وهو تصحيف والتصويب عن التهذيب ص 13 .

482) انظر القول فى تهذيب الالفاظ ص 13 .

483) الاثاث : الكثير من كل شيء .

484) فى تهذيب الالفاظ : ما احسن ريئهم : اي لباسهم وهو ما رايت وظهر .

485) انظر تهذيب الالفاظ ص 14 .

486) فى الاصل : نبت . وفى التهذيب : تنبت

487) حسن الشارة : حسن البزة .
حسن الجهر : يريد به الحسن والنبل . انظر تهذيب الالفاظ ص 14 .

من غير تكلف ومشقة . والوديع : الرجل الساكن . ويقال : افعل (488) كذا في سراح ، ورواح . وورق الدنيا : نعيمها . وفلان في عيش داج . وقد دجا، وضفا عليهم . وهذا عيش لبد : صالح . وفلان في دنيا دانية ، أي نعيم .

بـــاب الفقـــــر (489)

يقال : هو فقير ، وقير (490) ، معدم مقتر ، وهو ذو فاقة، وخصاصة وهو صعلوك ، مملق ، محدود (491) ، مدقع ، مختل ، وبه خلة . وهـــــو معصب (492) . قال قطرب ، يقال للفقير : هو دامي الشفة ، مجدع ، قد جدعه الفقر . وهو مسيف . وساف المال : ذهب . وهو ممعر مجرور ، جرره الدهر . وهو مخف (493) ، مخل ، معوز ، ومسكين كانع ، ومدقع ، أي لصق بالدقعاء ، وهو التراب . وهو مخف مخفق . وقد عال عليه (494) . ويقال : اكدى مكد ، اذا لم ينبت له مال ولم ينم . وامعر الرجل : ذهب مالـــه . وفي الحديث (495) : « ما أمعر من ادمن الحج والعمرة » . قال أبو عبيدة : ورد رؤبة (496)ماء لعكل وعليل فتية تسقى صرمة لأبيها ، فأعجب بها فخطبها، فقالت : ارى سنا فهل من مال ؟ قال : نعم ، قطعة من ابل . قالت : فهل من

---

(488) في الاصل : افعل ، بفتح الهمزة واللام .

(489) راجع باب الفقر والجدب في تهذيب الالفاظ ص 15 وباب الفقر في الالفـــاظ الكتابية ص 39 وباب ضنك العيش والجدب في الالفاظ الكتابية ص 87 .

(490) وقير : وقره الدين ، اي ثقله . والوقير : المثقل دينا .

(491) المحدود : هو المحروم .

(492) المعصب : المحتاج ، والذي عصب بطنه من الجوع ، والذي عصبته السنون اي اكلت ماله . أنظر المقاييس مادة (عصب) 336/4 .

(493) المخف : القليل المال ، الخفيف الحال .

(494) عال عيلة : افتقر فهو عائل .

(495) انظر نص الحديث في مختصر تهذيب الالفاظ لابن السكيت ص 12 وجـــاء في لسان العرب 30/7 (معر) ما نصه : « وفي الحديث : ما أمعر حجاج قط . اي ما افتقر مداوم للحج » . ورواه البيهقي في شعب الايمان عن جابر بن عبد الله بلفظ : ما أمعر حاج قط ، فقيل لجابر : ما أمعر ؟ قال : ما افتقـــر . قال البيهقي : في سنده محمد بن حميد (ضعيف) (شعب الايمـــــان ــ مخطوط ــ المجلد الثاني الورقة 79 ــ آ) . ورواه الطبراني في الاوســـــط والبزار ، قال الهيثمي : بسند رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد 208/4) وانظر الحديث في النهاية 100/4 وروايته : ما أمعر حاج قط .

(496) هو رؤبة بن العجاج التميمي البصري (ت 145) . انظر ترجمته في : الشعر والشعراء 495/2 ووفيات الاعيان 187/1 والبداية والنهاية 96/10 وخزانة الادب 43/1 والامدي 175 ولسان الميزان 464/2 والعيني 26/1 والاعلام 26/3 .

ورق ؟ قال : لا . قالت يآل عكل اكبرا وامعارا (497) ؟ وقد زمر فلان ، وقفر (498) اذا قل ماله . قال الاصمعى (499) : فلان فى الحفاف ، أى فى قدر ما يكفيه ؟ وفلان يبعث الكلاب من مرابضها ، أى يثيرها من شدة الحاجة (500) . وفى عيش بنى فلان شظف ، أى يبس . وقد ترب الرجل، اذا لصق (501) بالتراب . وقد نفق ماله ، وقل ، وذهب ؟ ونفقت نفاق (502) القوم ، وهى جمع نفقة . كذا قال يعقوب . وقد ارملوا ، واقووا . واقفر الرجل ، اذا بات القفر فلم يأو الى منزل ، ولم يكن معه زاد . وبات القواء والوحش . ويقال : انفض القوم ، اذا ذهب طعامهم . وفى المثل : « النفاض يقطر الجلب » (503) . أى اذا أنفض القوم قطروا ابلهم يجلبونها للبيع وقد كانوا يضنون بها . ورجل ارمل (504) : محتاج . والعلقة من العيش : ما يتبلغ به . وفى المثل : « ليس المتملق كالمتأنق » (505) أى ليس من عيشه

---

(497) وردت الحكاية فى جمهرة الامثال 314/1 — 315 مع اختلاف كبير فى الرواية ونصها : « عن ابي عبيدة قال : خرج رؤبة يبغي ضالة ، فورد ماء لعكل ، فوجد شابة هناك ، فقال لها : هل لك ان اتزوجك ؟ قالت : ومن انت ؟ قال : رؤبة بن العجاج ، قالت : فما مالك ؟ قال : كان عاثرة عينين فحطم، قالت : كم اتى لك ؟ قال : ستون سنة ، فنادت : يا لعكل ! اقلة ذات يد وهرما ! فقال رؤبة :

لما ازدرت نقدي وقلت ابلي	تالقت واتصلت بعكل
خطبي وهزت رأسها تستبلي	تسألني عن السنين كم لي !
فقلت لو عمرت عمر حسل	او عمر نوح زمن الفطحل
والصخر مبتل كطين الوحل	كنت رهين هرم او قتل »

انتهى .

والابيات المذكورة من قصيدة قالها بمدح ابن العمرين ، انظر ديوانه ص 128 وانظر الابيات فى الحيوان 8/4 و 116/6 والبيان 48/1 والكامل 348 واللسان مادة (فطحل) والميداني 454/1 و 85/2 وهو بدون نسبة فى امالي القالي 234/1 والازمنة 229/1 وثمار القلوب 232 ومحاضرات الراغب 305/2 والمخصص 171/10 .
وانظر الحكاية فى اللسان (معر) 30/7 وهي اقرب فى روايتها الى رواية المتخير وانظرها فى تهذيب الالفاظ ص 19 وفى المخصص 287/12 .

(498) فى الاصل : (فقر) بفاء ثم قاف وهو تصحيف .

(499) انظر قول الاصمعي فى تهذيب الالفاظ ص 20 .

(500) انظر تهذيب الالفاظ ص 20 .

(501) فى ع : لصق .

(502) فى الاصل : (نفاق) بفتح النون . والتصويب عن تهذيب الالفاظ ص 21 ومعاجم اللغة .

(503) انظر المثل فى مختصر تهذيب الالفاظ 14 والميداني 338/2 رقم المثل 4218 واللسان مادة (نفض) . يضرب لمن يؤمر باصلاح حاله قبل ان يتطرق اليه الفساد .

(504) فى ا : ارمل ، بفتح اللام .

(505) انظر المثل فى مختصر تهذيب الالفاظ ص 14 والميداني 195/2 رقم المثل 3358 والاساس (علق) واللسان (علق) .

قليل يتعلق به كمن عيشه لين يختار منه ماشاء . وتقول العرب (506) : « موت لا يجر الى عار خير من عيش في رماق » . الرماق : قدر ما يمسك الرمق . ويقال : نخلة ترامق بعرق ، أى لا تموت ولا تحيا . قال أبو زيد : « ماله اقذ (507) ولا مريش » (508) ، الأقذ السهم الذى ليس عليه ريش والمريش ذو الريش . « وما لفلان سعنة ولا معنة » (509) ، « وما له سارحة ولا رائحة » (510) و « ما له هارب ولا قارب » (511) ، و « ماله دقيقة ولا جليلة » (512) أى لا شاة ولا ناقة . و « ما له هبع ولا ربع » (513) ، الهبع : ما نتج فى الصيف . والربع : ما نتج فى الربيع . و « ما له زرع ولا ضرع » (514) ، و « ما له سبد ولا لبد » (515) ، و « ما له دار ولا عقار » (516) ، و « ما له ثاغية ولا راغية » (517) الثاغية

---

(506) انظر المثل في الميداني 313/2 رقم المثل 4082 ومعناه : مت كريما ولا ترض بعيش يمسك الرمق . والمثل ايضا في مختصر تهذيب الالفاظ ص 14 والاساس (رمق) واللسان (رمق) .

(507) في النسختين : اقد ، بالدال المهملة ، وهو تصحيف .

(508) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 والمستقصى 330/2 وامالي القالي 91/1 ومختصر تهذيب الالفاظ ص 14 — 15 والاساس مادة (قذذ) واللسان مادة (قذذ) .

(509) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 ومختصر تهذيب الالفاظ 15 وامالي القالي 90/1 واللسان (سعن) والميداني 271/2 رقم المثل 3806 .

(510) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 ومختصر تهذيب الالفاظ ص 15 وامالي القالي 90/1 واللسان (سرح) والميداني 301/2 رقم المثل 4025 والاتباع والمزاوجة 36 .

(511) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 والمستقصى 333/2 ومختصر تهذيب الالفاظ ص 15 وامالي القالي 90/1 والاساس مادة (قرب) .

(512) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 ومختصر تهذيب الالفاظ ص 15 وجمهرة الامثال 267/2 وامالي القالي 90/1 والميداني رقم المثل 3890 والفاخر 21 والاساس (دقق) .

(513) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 ومختصر تهذيب الالفاظ ص 15 وجمهرة الامثال 267/2 واللسان (هبع) والاساس (ربع) .

(514) انظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ 15 وامالي القالي 91/1 واصلاح المنطق 384 والاساس واللسان مادة (ضرع) .

(515) اي ما له شيء ، قال المفضل ، قال أبو صالح : كل ما كان من الصوف والوبر فهو لبد ، والسبد : الشعر .
وانظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ 15 وجمهرة الامثال 267/2 والميداني 149/2 ونوادر ابي مسحل 20/1 وادب الكاتب 39 وتهذيب اللغة 130/4 والمستقصى 331/2 والحيوان 429/5 واللسان مادة (سبد ، لبد) والفاخر 21 وامالي القالي 90/1 واصلاح المنطق 384 والصحاح والاساس والتاج مادة (لبـــد)

(516) انظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ ص 15 وجمهرة الامثال 267/2 والميداني 285/2 رقم المثل 3891 والفاخر 22 وامالي القالي 91/1 واصلاح المنطق 383 واللسان مادة (عقر) والاتباع والمزواجة 43 . والعقار : النخــل أو المتـــاع .

(517) انظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ 15 وجمهرة الامثال 267/2 والفاخر —

من الغنم والراغية من الابل . وقد هلك نصاب ابل بنى فلان (518) وقال الاصمعى : عسرنا الزمان : اشتد علينا (519) . وهم فى ضفف ، وحفف ، وقشف ، وشظف ، ووبد . كل هذا من شدة العيش . والماء المضفوف : الذى كثرت عليه الشاربة . ويقولون فى الشتم : القى الله ماله فى النقيصة (520). وفى شعر الهذلى (521) : فلان صفر المباءة (522) ، وهو الذى مرجعه الى وطن خال لا شيء فيه . وفلان يصادى من عيشه شدة ، أى يقاسى . ويقال: « ما له حلوبة ولا ركوبة » (523) ولا تتوبة (524) ، ولا جزوزة (525) ، ولا نسولة ، أى ليست له ناقة تحلب ، ولا تركب ، ولا تقتب ، ولا التى يجز صوفها ، ولا ذات نسل . وهم فى عيش مترح ، أى شديد مبرح .

بـــاب الكبـــــــر (526)

يقال : فى فلان كبر ، وعظمة ، وتكبر ، واستكبار ، وتخيل . وهـــو مزهو . وقد زهى علينا . وهو « أزهى من غراب » (527) . وان لفـــــلان لصعرا . والتصعير : امالة الخدين (528) عن النظر الى الناس وفى الحديث:

= 21 واصلاح المنطق 383 والميداني 284/2 رقم المثل 3889 ونوادر ابـــي مسحل 20/1 واللسان (ثغا) والاساس (ثغى) .

518) اي هلكت ابلهم فلم يبق الا ابل استطرفوها . انظر مختصر تهذيب الالفـــاظ ص 15 .

519) انظر النص فى مختصر تهذيب الالفاظ ص 15 .

520) انظر النص فى مختصر تهذيب الالفاظ ص 16 .

521) هو ساعدة بن جؤية الهذلي : شاعر من مخضرمي الجاهلية والاسلام انظر ترجمته فى : خزانة البغدادي 476/1 والامدي 83 وسمط اللآلـــي 115 والعيني 544/2 وديوان الهذليـــين 167/1 — 242 و 208/2 — 222 والاعلام 113/3 .

522) فى الاصل : المباة . و (صفر المباءة) قسيم بيت لساعدة بن جؤية ، روايته فى ديوان الهذليين 208/2 :

صفر المباءة ذي هرسين منعجـف   اذا نظرت اليه قلت قد فرجـا

وصفر المباءة : اي خالي مبارك الابل .
ذي هرسين : ذي خلقين
منعجف : مهزول . قد فرجا : قد فتح فاه

523) انظر المثل فى الاتباع والمزاوجة ص 30 .

524) التتوبه : الناقة التي يشد عليها القتب

525) فى الاصل : جزوره (براء مهملة / وهو تصحيف .

526) راجع باب الكبر فى تهذيب الالفاظ 151 وباب التكبر فى الالفاظ الكتابيـــة ص 133 .
قد فرجا : قد فتح فاه للموت .

527) وهو انه اذا مشى يختال ، انظر المثل فى جمهرة الامثال 507/1 والحيـــوان 220/1 وفصل المقال 387 والميداني 221/1 والمستقصى 63 والالفــــاظ الكتابية 133 .

528) هكذا فى الاصلين . والصواب : الخد (بالافراد) انظر المقاييــــس 288/3 واللسان (صعر) وتمام فصيح الكلام 33 .

« يأتى على الناس زمان ليس فيه الا أصعر واثبر » (529) . فالأصعر : الذاهب بنفسه . والاثبر : من الثبور وهو الهلاك . ويقولون : لأثيمن صعرك ، أى لأزيلن كبرك . ورجل مصبوع : اذا كانت فيه خيلاء . ومن شعرهم ما يشبه هذا قول طرفة (530) :

ان امرأ سرف الفؤاد يرى عسلا بماء سحابة شتمى

وانا امرؤ أكوى من القصر البادى واغشى الدهم بالدهم وأخبرنى أبو الحسن على بن ابراهيم القطان قال : سمعت ثعلبا يقول : سئل ابن الاعرابى عن بيتى جرير (531) :

اذا مشت لم تنبهر وتأودت كما اتأد من خيل وج غير منعل
كما قال فضل الجل عن متن عائذ اطافت بمهر فى رباط مطول

فقال : ما سئلت عنهما ، وقد احسن جدا ، اراد انها لا ترفع من الخيلاء ثوبها اذا ما سقط عنها ، ولكن تجره . ونحوه :

جارية بسفوان دارها تمشى الهوينا مائلا خمارها (532)

وقال آخر :

---

529) الحديث فى النهاية لابن الاثير 263/3 وروايته : « يأتي على الناس زمان ليس فيهم الا أصعر او اثبر » .

530) البيتان لطرفة بن العبد البكري يمدح قتادة بن سلمة الحنفي ، واصاب قومه سنة فاتوه فبذل لهم واحسن اليهم . انظر ديوان طرفه ص 90 والاول فى الاصلاح 64 والتهذيب مادة (سرف) والمعاني الكبير 811/2 وانظر ترجمة طرفة فى : طبقات الجمحي 115 والشعر والشعراء 117/1 والاغاني 185/21 والموشح 57 ومعجم الشعراء 201 والخزانة 414/1 وبروكلمان 92/1 .

531) البيتان فى شرح ديوان جرير — صنعة محمد اسماعيل عبد الله الصادي ص 457 ، مع اختلاف يسير فى رواية الاول . (تنتهز) مكان (تنبهر) والوجا: الحفا . والعائذ : الانثى التي وضعت حديثا . الجل : للدابة كالثوب للانسان والجمع (جلال) .

532) الرجز لمنظور بن حبة انظر تاج العروس 405/3 وبعده فيه :

قد اعصرت أو قد دنا اعصارها

وفى العين للخليل ص 345 من غير عزو وتتمته :

ينحل من غلمتها ازارها قد اعصرت أو قد دنا اعصارها

وهو فى اضداد ابي الطيب ص 509 من غير عزو ايضا فى اربعة اشطار والارجوزة فى سبعة اشطار فى العين 444/4 وفيه بعد الشطر الاول شطر ثان هو : لم تدر ما الدهنا ولا تعشارها
وبعد الاشطار الاربعة آخران هما : =

فلا يغرنك جرى الثوب معتجرا (533)   انى امرؤ فى عند الجد تشمير

ونفخ الشيطان : الكبر . ويقولون : « كل ذات ذيل تختال » (534) . ويقولون للمتكبر : كأن انفه فى أسلوب (535) . ورأيته زاما بانفه ، أى رافعا رأسه كبرا . والزبونة : الكبر . ويقولون : «هو أتيه من أحمق ثقيف» (536) يريدون يوسف بن عمر كان ذا تيه (537) .

باب صغر الهمة والنفـــس

يقال : ما هو بذى طعم ، أى ليست له نفس . ويقال اسف ، اذا تتبع

= قلت لبواب لديه دارها
تيذن ، فاني حمها وجارها
والشاهد فى المقاييس 342/4 والمخصص 47/1 والصحاح مادة (سفن) وهاشميات الكميت 74 . والخمسة الاولى فى معجم ما استعجم 315/3 وفى صفة جزيرة العرب ص 168 . والاشطار الاربعة الاولـى فى اللآلـي 684 وبعضها فى اللسان مادة (عصر) وفى الجمهرة لابن دريد 354/2 وشرح الحماسة للتبريزي 13/4 بترتيب مختلف . والشطران الخامس والثالـث فى معاني الشعر 138 والشطر الخامس وحده فى اضداد ابن الانباري 217 . وفى نظام الغريب ص 67 ، وهي رواية انفرد بها الربعي :
جارية « بشطنين » دارها   تمشي الهوينا ساقطا خمارهـا
قد اعصــرت او قد دنا اعصارها

ورواية الاشناندانى فى معاني الشعر وهي رواية انفرد بها :

معصرة لو قد دنا اعصـــارهـــا

وتوهم الدكتور صلاح الدين المنجد فى تعليقه على هذا الرجز فقال : هـــو لمنصور بن مرثد الاسدي وقيل لمنظور بن خبه » . فظنهما رجلين ولم يفطـــن للتصحيف والتحريف فى اسمه . وصاحب الارجوزة : هو منظور بن مرثد بن فروة الفقعسي ، شاعر اسلامي ، وحبه اسم امه . وصحف اسمه فى التاج الى منصور بن حيه .
وسفوان : ماء بين ديار بني شيبان وديار بني مازن على اربعة اميال مـــن البصرة ويسمى حاليا (صفوان) .

(533) الاعتجار : لف العمامة على الراس .
(534) انظر المثل فى جمهرة الامثال 253/2 والميداني 134/2 رقم المثـــــل 3004. والمستقصى 226/2 رقم المثل 763 .
(535) اسلوب : اي فى طريق ، والمراد اذا لم يلتفت يمينا ولا شمالا .
(536) انظر المثل فى جمهرة الامثال 285/1 والميداني 99/1 والمستقصي ص 20 . ويوسف بن عمر الثقفي أمير العراق من قبل هشام بن عبد الملك وقيل : كان احمق من أمر ونهى فى الاسلام (ت 127 هـ) . وانظر ترجمته فى : وفيـــات الاعيان 360/2 وتاريخ الاسلام للذهبي 191/5 والتنبيه والاشراف 281 والاخبار الطوال — طبعة بريل — 339 ومرآة الجنان 267/1 والاعـــلام 320/9 .
(537) فى الاصل : تيـــه .

مداق الأمور ، كأنما يطلب اللقط فى التراب . وقال :

وسام جسيمات الأمور ولا تكن   مسفا الى ما دق منهن دانيا (538)

بـاب الجهل بالشـــىء

يقال : انه لشرق بالأمر ، أى جاهل . وفى امثالهم : « ما يدرى أسعد الله أكثر أم جذام » (539) ، يضرب لمن لا يعرف القليل من الكثيـــر . ويقولون : « ما يعرف هرا من بر » (540) ، « ولا يعرف حا من سا » (541) «ولا يدرى أى طرفية أطول» (542) «ولا يعرف الوحى من السفر» (543) الوحى : الايماء والسفر : الكتابة . « وما يعرف الحى من اللى » (544) ، الحى : واضح الكلام . واللى : غيره . ويقولون : فى فلان غبوة . وهـــو « أجهل من فراشة » (545) .

باب العته والجنـــون (546)

يقال : عته ، وهو معتوه ، اذا نقص عقله . وجن ، من الجنون . ويقولون للشاب اذا تعجبوا من شبابه : ما له جن جنونه ! ولا يقال ذلك للشيـــخ . وهذه الكلمة من باب وصف الشباب . وقال الشاعر :

اذا أمنوا ترى احلام عـــاد   وان فزعوا حسبت لهم جنونـــا

---

(538) البيت فى الاساس 444/1 واللسان مادة (سفف) من غير عزو .

(539) انظر المثل فى جمهرة الامثال 280/2 والميداني 109/2 والمستقصى 336/2 رقم المثل 1232 . وفى النسختين : جذام .

(540) قال الاصمعي : معناه لا يعرف شيئا من شيء . انظر المثل فى جمهرة الامثال 401/2 والفاخر 43 والميداني 148/2 والمستقصى 337/2 واللسان (هرر) والاساس (برر) والجمهرة وروايته : « لا يعرف هرا من بر » . وهـــو فى نوادر ابي مسحل 49/1 وادب الكاتب 45 .

(541) حا : زجر للغنم عند السقي ، وزجر للكلب عند السفاد . وسا : زجر للحمار.

(542) ورد فى المستقصى 336/2 : « ما يدري اي طرفيه اطول ، اي انسب ابيـــه افضل ام نسب امه ! » . وانظر المثل فى الميداني 214/2 رقم المثـــل 3502 والصحاح (طرف) وادب الكاتب 44 .

(543) انظر المثل فى جمهرة الامثال 419/2 .

(544) انظر المثل فى جمهرة الامثال 419/2 رقم المثل 1935 والميدانـــي 160/2 والمستقصى 336/2 . وقيل أيضا : « ما يعرف الحو من اللو » .

(545) لانها تلقي بنفسها فى النار . انظر المثل فى جمهرة الامثال 334/1 والاصبهاني 34 والميداني 126/1 والمستقصى 27 .

(546) راجع فى الالفاظ الكتابية باب المس والتصورات والجنون ص 97 .

ويقال : بفلان سفعة من الشيطان ، أى أخذة (547) . وفى الحديث : « رأى جارية بها سفعة » (548) . ورجل اشجع ، كأن به جنونا . والالس: الحمق والجهل . وفى الحديث : « نعوذ بك من الألس والألق » (549) . قال أبو عمرو : المحتضر : المجنون . ويقال : فى عقله صابة ، أى كأنه مجنون . وقيل لأعرابى : يا مصاب . فقال : أنت أصوب منى .

بـــــاب الحمــــق (550)

يقال : امرأة محمقة : تلد الحمقى . وفى امثالهم : (عرف حميــــــق جمله) . (551) يضرب للرجل يأنس بك حتى يجترىء عليك . ويقـــــال : « هو احمق من ترب العقد » (552) يعنون عقد الرمل ، وذلك انه لا يثبت بل ينهار . ويقال : ما ابين رعالته . وفى امثالهم : « زاده الله رعالة كلمــا ازداد مثالة » (553) . ومنه فكة ، أى استرخاء من حمق . ويقال : هو هبيت، أى بارد الفؤاد ، ميت النفس . وهو متهوك : يقع فى الأشياء بحمق . وانــه لأحمق خطل ، أى سريع خفيف . ويقال فى الضعيف الرأى: هو واهن الرأى، ضاجع ، أى عاجز . وهذا رأى اعور ، من قولهم طريق اعور ، اذا لـــــم يكن فيه علم ولا أثر (554) . ويقولون : هو جفر ليس له زبر ، واصله البئر اذا لم تطو . والامرة : الذى لا رأى له فهو يسمع من كل احد . وفلان سىء

---

(547) اى مســـس .

(548) الحديث فى النهاية فى غريب الحديث والاثر 166/3 وفى صحيح مسلم 18/7 وفى اللســان مادة (سفع) .

(549) ورد الحديث فى النهاية فى غريب الحديث والاثر 60/1 وروايته : « اللهم نعوذ بك من الالس ، اللهم انا نعوذ بك من الالق » .
ووورد الحديث فى فقه اللغة للثعالبي ص 213 وروايته كرواية المتخير . وهو فى الاساس مادة (الس) 18/1 وروايته : « واللهم انا نعوذ بك من الألس والألق اي من الخيانة والكذب » .

(550) راجع باب الحمق والهوج فى تهذيب الالفاظ 187 وباب المس والجنــون فى الالفاظ الكتابية 97 وباب الجهل فى الالفاظ الكتابية 143 .

(551) انظر المثل فى جمهرة الامثال 50/2 والميداني 309/1 والمستقصى 160/2 . وحميق : اسم رجل .

(552) انظر المثل فى جمهرة الامثال 395/1 والميداني 152/1 والمستقصى 76/1 . والاحمق يوصف بقلة التماسك والثبات .

(553) الرعاله : الحماقة . والمثالة : حسن الحال والهيئة . يضرب فى دعاء الشر . انظر المثل فى المستقصى 109/2 والميداني 322/1 والاســــــاس (مثل) واللسان (رعل) والبصائر والذخائر المجلد الثالث ـــ القسم الاول ص 236.

(554) فى كنايات الادباء للجرجاني ص 144 نسب هذا القول لابن الاعرابــي . وفى المحكم 246/2 : « وطريق أعور : لا علم فيه ، كأن ذلك العلم عينه ، وهو مثل » .

الرأى ، منقطع العقال . وهو « جرف منهال » وسحاب منجال » (555) ، أى لا حزم له ، ولا عقل ، ولا يطمع فى خيره . ورجل تلع : متلون لا يثبت على شىء ، ورأى متخالج : ردىء .

بـــاب ســـوء الخلـــق

يقال : هو سىء الخلق ، وفيه عرارة (556) وفى خلقه عسر . وهـــو عقام (557) ، متزبع (558) ، وهو يتقعى ، اذا ساء خلقه كأنه افعى . وهو شرس ، ضرس ، مخرور ، غلق . وهؤلاء شركاء متشاكسون . ورجل زعر معر ، أى سىء الخلق .

بـــاب الاباء وقلـــة الأنقيـــاد

يقال : أبى اباء (559) ، وهم أبيون وأباة . والصعب : نقيض الذلول. وهم « أصعب من رد الجموح » (560) . « واصعب من رد الشخـــب فى الضرع » (561) . ورجل عق نظ ، أى صعب لا ينقاد . وفلان شديـــــد الاخدع (562) ، اذا لم ينقد . وقد تحمس ، وتعاصى ، وامتنع . ويقولون للرجل يأبى الأمر : هذا أمر لا تثنى له قدرى (563) ، ولا تبرك عليه ابلى .

بـــاب التعســف والتهـــور

التعسف والتهور : الهجوم على الأمر بلا تثبت . وهو من الجـــــرف الذى ينهار . والتجليح : التصميم فى الأمر .
وذئب مجلح ، اذا ركب رأسه . والترع : الذى يتقحم الأمور . خلاف الـــــورع .

---

(555) انظر المثل فى الميداني 177/1 يضرب مثلا لمن لا حزم عنده ولا عقل ولا يطمع فى خيره وفى الكنايات للجرجاني ص 147 : « قيل لاعرابي ما تقول فى فلان ؟ قال : جرف منهار وسحاب منجار ، لا يطمع فى خيره » .
(556) فى الاصل : غرارة بالغين المعجمة ، وهو تصحيف .
(557) العقام : من لا يولد له . والسىء الخلق .
(558) المتزبع : السىء الخلق القليل الاستقامة .
(559) فى الأصل : ابا ابآ .
(560) انظر المثل فى جمهرة الامثال 568/1 والمستقصى 208/1 والميداني 417/1 . والجموح : الفرس يعتز فارسه على رأسه ويجري جريا غاليا .
(561) الشخب : ما يخرج من الضرع من لبن . وانظر المثل فى جمهرة الامثال586/1 والميداني 413/1 والمستقصى 208/1 .
(562) الاخدع : عرق خفي فى موضع الحجامة من العنق .
(563) اثف القدر : جعلها على الاثافي ، وهي الاحجار التي توضع عليها القدر .

بـــاب الجبـــن (564)

يقال : هو جبان والجمع جبناء . ويقولون : الجبان حتفه من فوقــه . ورجل رعديد . وقد انتفخ سحره . وفى الحديث : « نعوذ بك من شح هالع ، وجبن خالع » (565) . والورع ، واليراعة : الجبان . وهو هيبان (566) ، منخوب . وهو « أجبن من صافر » (567) ، « وهو الصفـــــرد » (568) . « وهو انخب من نعامة » (569) والكنل : الذى يكون فى مؤخـــر الحرب ، انما همته الفرار .

باب الاحجام عن الحرب

يقال : احجم ونكص وانقدع وخام وهلل (570) ، وهو « أشرد من حبارى » (571) ، « وأشرد من نعامة » (572) ويقولون : « كـــــل أزب نفور » (573) . ويقولون : « روغى جعار وانظرى أين المفـــر » (574) ،

---

564) راجع باب الجبن وضعف القلب فى تهذيب الالفاظ ص 176 وباب الجبان فى الالفاظ الكتابية ص 68 .

565) رواه ابو داود عن ابي هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع (سنن ابي داود 18/3 رقم الحديث 2511) ورواه ابن حبان (ص 207 موارد الظمآن / واورده المنذري فى الترغيب والترهيب 60/5 وابن الاثير فى النهاية 65/2 وروايته فى الجمان فى تشبيهات القرآن ص 269 : « اعوذ بك من الجشع والهلع » . وانظر الحديث فى المخصص 11/3 واللسان مادة (هلع) .

566) فى تهذيب الالفاظ ص 178 : هيبان بدون تشديد .

567) انظر المثل فى جمهرة الامثال 325/1 وفصل المقال 393 والميداني 184/1 والمستقصى 21 واللسان مادة (صفر) وتهذيب الالفاظ ص 182 والصحاح مادة (صفر) .

568) المثل : « اجبن من صفرد » وهو طائر من خشاش الطير ، ضرب به المثل فى الجبن . انظر الميداني 185/1 وجمهرة الامثال 325/1 والمستقصى 45/1.

569) فى جمهرة الامثال 394/1 : احمق من نعامة ، وكذلك فى فصل المقال 330 ، والميداني 151/1 والحيوان 198/1 . وفى الامثال : أشرد من نعام قـــال الشاعـــــر :

وهم تركوك اسلح من حبارى   رات صقرا وأشرد من نعام

انظر : اعجاز القرآن للباقلاني ص 122 ــ تحقيق محمد عبد المنعم خفاجه

570) هلل : فر ونكص .

571) فى مجمع الامثال : اسلح من حبارى 388/1

572) انظر الميداني 388/1 رقم المثل 2051 .

573) انظر جمهرة الامثال 154/6 والميداني 53/2 والمستقصى 223/2 يضرب مثلا للرجل ينفر من كل شيء والأزب من الابل : الكثير شعر الوجه حتى يشرف على عينيه ، فكلما رآه نفر ، فهو دائم النفار .

574) انظر جمهرة الامثال 488/1 والميداني 195/1 والمستقصى 105/2 واللسان (جفر) . وفى النسختين : جمار ، وفى أ : المفر .

يقال ذلك لمن يطلب المخلص ولا مهرب له ، وجمار : الضبع ومن أبياتهم :

لحا الله قيسا قيس عيلان انها (575) أضاعت ثغور المسلمين فولـــــت
فشاول بقيس فى الرخاء ولا تكـن لخاها اذا ما المشرفية سلت (576)

ويقال : انهزم القوم نعاميه . قال الأفوه :

واجفل القوم نعاميـــــة عنا وفئنا بالنهاب النفيس (577)

بـــاب الفـــــزع

يقال فزع وذعر ، وتقول العرب : اريته لمحا باصرا ، أى امـــــرا مفزعا (578) . وقد أخذه الزويل ، أى الفزع . والوهل : الفزع . ورجل هيوب، أى هيبان وفى مثل « اعوذ بك من الخيبة فأما الهيبة فلا هيبة » (579) .

بـــاب الشنـــان والبغضـــة (580)

البغض والبغضاء بمعنى . وتقول العرب : بغض جده كما يقولون عثر جده . ويقولون : قليته اقليه قلى ، وشنئته اشنؤه . وتقول اشنا حق اخيك أى سلم حقه اليه .

---

575) فى الاصلين : غيلان (بالغين المعجمة) وهو تصحيف .

576) البيتان من شعر عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص فى يوم مرج راهط ، وهما من أبيات يرد بها على زفر بن الحارث ، انظر مجالس ثعلب ص 347 — 348 وروايتهما فيها : أضاعت فروج ... الخ . والفرج : الثغر المخوف . فشارك بقيس فى الطعان .. الخ
وانظرهما فى الطبري 42/7 وروايتهما فيه ، الاول مطابقة لرواية (المتخير) والثاني : فباه بقيس فى الرخاء ..
وانظر (اللسان) مادة (شول) 400/13 وفيه الثاني فقط والبيتان فى الحماسة شرح المرزوقي 1499 — 1500 وروايتهما كرواية المتخير . وفى التبريزي : بقيس فى الطعان .

577) الافوه : صلاءة بن عمرو بن مالك الاودي من مذحج ، والبيت فى — الطرائف الادبية ص 17 — تحقيق ونشر عبد العزيز الميمني — القاهرة 1937 وقد ضمت ديوان الافوه الاودي ، وانظر ترجمته فى : الشعر والشعراء 149/1 والاغاني 41/11 والعيني 421/1 ومعاهـــد التنصيـــص 159/2 والشعراء 111 وسمط اللآلي 365 و 844 والمزهر 238/2 و 296 والمنتخب من شمس العلوم 4 وجمهرة الانساب 386 وشعراء النصرانية 70 .

578) ورد فى مجمع الامثال 177/2 : لارينك لمحا باصرا — رقم المثل 3240 — . وفى شرحه قال الخليل : لارينه امرا مفزعا ، وقال ابو زيد : لمحا باصرا اي صادقا ، يقولها المتهدد .

579) قاله سليك بن سلكة ، والمعنى أعوذ بك أن تخيبني ، فاما الهيبة فلا هيبة ، اي لست بمهيوب . انظر المثل فى الميداني 23/2 رقم المثل 2461 وانظر شرح هذا المثل فى الميداني أيضا تحت رقم 2409 .

580) البغضة : البغضاء ، والقوم الباغضون .

بـــاب الكـراهيـــة

العرب تقول : « اساء كاره ما عمل » (581) . وذلك ان المكره علـى الشيء يسيء عمله . واعتنفت الشيء كرهته . وقد عاف الشيء عيافـا اذا كرهه . والعيوف من الابل : الذى يشم الماء (582) وهو عطشان فيدعه . قال ابن الأعرابى : ما قلبى اليك بمتطلق ، اذا لم تشتهه . وما تطلق نفسى لهذا الامر ، أى ما تنشرح . ويقال : حمضت نفسى من الشيء ، أى كرهته ومنه قولهم : ان للقلوب حمضة وللاذان مجة (583) .

باب رجوع الرجل فى اللؤم الى أصله والفاظهم فى اللؤم

تقول العرب : رجع عبد السوء الى محتده . ويقال : لؤم الرجل . وهو « الأم من كلب على عرق » (584) « والأم من سقب ريان » (585) قـال الخليل : الاقتعاد : ان يقعد لؤم الأصـل بالرجل عـن الخيـر . يقال مـا اقتعده عن الكرم الا لؤم أصله (586) . وقد تداركته اعـراق سـوء وقد وضع رضاعة . وفلان لئيم اعقد ، اذا لم يكن سهل الخلق . قـال ابـن الأعرابى ، قال رجل : بنو فلان يعتصرون العطاء ، ويبيعون المـاء ، ويعبرون النساء (587) . يعتصرون : يرتجعون ثوابه . اخذت عصرته ، أى ثوابه . ويعبرون ، أى يختنونهن (588) .

---

(581) انظر المثل فى : جمهرة الامثال 197/1 والمستقصى 64 والميداني 338/1 رقم المثل 1805 .

(582) فى الاصل : المـآ

(583) ورد فى التهذيب 224/4 مادة حمض : الاذن مجاجة وللنفس حمضة وفسره الازهري : ان الآذان لا تعي كل ما تسمعه ، وهي مع ذلك ذات شهوة لما تستطرفه من غرائب الحديث ونوادر الكلام .

(584) انظر المثل فى جمهرة الامثال 180/2 والميداني 956/2 رقم المثـل 3741 والمقاييس 287/4 . ورواية الميداني : عرق (بكسر العين) .

(585) انظر المثل فى جمهرة الامثال 220/2 والميداني 252/2 والمستقصى 120 . والسقب : ولد الناقة ساعة يولد .

(586) ونص رواية (العين) 160/1 : « والاقتعاد مصدر اقتعد ، من قولك : مـا اقتعد فلانا عن السخاء الا لؤم اصله » .

(587) هكذا ورد فى أساس البلاغة 96/2 مع تقديم وتأخير وانظر اللسان مـادة (عصـر) .

(588) جاء فى الاساس 96/2 : غلام معبر ، وجارية معبرة : لم يختنا . وتقـول العرب فى شتائمهم : يا ابن المعبرة .

بـــاب البخـــل *

يقال : هو بخيل مبخل . وهو « عنز عزوز لها در جم » (589)، يضرب للبخيل الموسر . والعزوز : الضيقة الاحليل . وفلان عتص اليدين (590) ، منقطع المعروف . وهو طبع طمع ، لحز ، لا تندى صفاته . وهو جعـــد البيت (591) ، جعد النائل ، جعد اليدين متشزن (592) ، حصور . وهـــو قفل ، قبوض ، شنج اليدين ، ومجذوف اليدين ، جماد الكف . ويقولون : جماد له جماد ، أى لا زال جامد الحال . و فى ضده : حماد له حماد. وقد اضب فلان على ما فى يديه . ونظرنا منه فى وجه أمرس املس ، أى كالحجر . أى انه بخيل لا خير فيه ، ورجل ييس : لا ينيل خيرا .

باب الارتـــداع وضـــده

ردعته فارتدع . وقد ردعته روادع الشيب . وفلان شديد العنان ، أى لا ينقاد . وقد ذل عنانه : انقاد . ورجل مخلوع الرسن ، اذا لم يكن له زاجر. وهو منقطع العقال فى الشر (593) . ولا يقرع أى لا يرتدع . وقد قرع ، اذا ارتدع . وقد عند فهو عنيد . ومن أمثالهم « لكل عنود نوى » (594) ، أى كل انسان منطلق لوجهته .

بـــاب التمـــادى واللجـــاج

المحك : التمادى واللجاج . وقد اهتج فى الامر ، والتج ، وانهمـــك . والمهاوأة : الملاجة . وقد شرى فى الأمر : لج .

---

* راجع فى تهذيب الالفاظ : باب الشح ص 69 وفى الالفاظ الكتابية باب البخل ص 96 .

589) انظر المثل فى المقاييس 39/4 والميداني 25/1 رقم المثل 83 ونوادر ابـــي مسحل 447/2 واللسان (عزز) ونوادر ابي زيد 95 .

590) اي ملتوى اليدين .

591) اي قليل الخير

592) الغليظ الخشن

593) انظر أساس البلاغة 263/2 مادة قطع .

594) فى مجمع الامثال ورد (لكل ذي عمود نوى) 194/2 ، اي لكل اهل بيست نجعه ، والمعنى لكل اجتماع افتراق ، ولكل امرىء حاجة يطلبها . ولم أظفر بهذا المثل فى كتب الامثال والمعاجم التي رجعت اليها .

بـــاب الحقـــد والضغينـــة *

الحقد ، والضغن ، والمئرة ، والضمد ، والسخيمة ، والغمر .

قال الاحنف (595) في كلام له : استشرت شأفتكم ، وأبى حســـك صدوركم (596) . قال ابن الأعرابي : احتمل عليه قوله ، أي حقـــده . والدخن : الحقد . وفي الحديث : « هدنة على دخن » (597) . وفلان دخن الخلق . ورجل مغل ، مضب على غل ، وقد غمر صدره عليّ .

بـــاب الغـــدر والخيانـــة **

يقال : غدر يغدر . واغدر : أتى بالغدر . وفي المثل : « هو قفا غـــادر شر » (598) . والألس : الخيانة والكذب . والختر : الغدر . وفي بني فلان مخانة ، أي خيانة . والغلول : الخيانة في الفيء ، وفي الحديث : « لا اغلال ولا اسلال » * اي لا خيانة ولا سرقة . وقد ادغل القوم بفلان ، اذا خانوه ، وسرقوه ، واغتالوه .

بـــاب الخديعـــة والمكـــر والنكـــر

يقال : خدعته خدعا ، وخديعة . ورجل مخدع ، اذا خدع مـــرارا في

---

* راجع باب البغضاء والحقد ص 38 ـــ جواهر الالفاظ وباب الغضب والحدة والمداوة ـــ تهذيب الالفاظ ص 78 والالفاظ الكتابية ص 17 باب الحقـــد والضغينة .

(595) هو الاحنف بن قيس التميمي (ت 76 هـ) ، انظر ترجمته في : تهذيب التهذيب 191/1 ، ابن سعد 66/7 وابن خلكان 23/1 وجمهرة الانساب 206 وذكر اخبار اصبهان 224/1 وتهذيب ابن عساكر 10/7 والسير 81 وتاريـــخ الخميس 309/2 وتاريخ الاسلام للذهبي 129/3 وألف باء البلوي 343/2 والاعلام 262/1 .

(596) الشأفة : الأذى والعداوة . والحسك : الحقد .

(597) انظر الحديث في : المستقصى 389/2 والميداني 382/2 و 161/1 ، ويضرب مثلا لمن يضمر اذى ويظهر صفاء . وقد أورده ابن الاثير في النهاية 243/4 . وهو في المقاييس واساس البلاغة واللسان مادة (دخن) .

** راجع باب نكث العهد ص 180 ـــ الالفاظ الكتابية وباب الغش والدغـــل ص 384 ـــ جواهر الالفاظ .

(598) يضرب مثلا للرجل الدميم الزري الذي له خصال محمودة . انظر المثـــل في : جمهرة الامثال 355/2 وفصل المقال 123 والميداني 384/2 والمستقصـــى 329 .

* رواه الطبراني عن عمرو بن عوف بلفظ : لا اسلال ولا غلول ، ـــ الجامـــع الصغير للسيوطي ورمز له بالصحة : 198/2 والحديث في النهاية وهـــو في الاساس واللسان مادة (غلل) .

الحرب . ومن أمثالهم : « ترك الخداع من اجرى من مائـــة » (599) ، قاله قيس بن زهير (600) لحذيفة بن بدر (601) . ويقولون : « تــرك الخداع من كشف القناع » (602) . وفي فلان خنعات (603) ، أي نكر وخبث وانتقال من طبع الى آخر . قال أبو عبيدة : التماحل: التماكر . يقال : ما حله عن حقه ، أي خادعه . والمحال: المكيدة . والادهان : اللين والمصانعـــة . والمداهن : المخادع المحابي . ويقال : « فلان يقرد فلانـا » (604) ، أي يخدعه ليستمكن منه . وفي امثالهم : « ضرب أخماسا لاسداس » (605) ، يضرب لمن يظهر شيئا وهو يريد غيره والختل : الخدع في غفلة . ومـــن امثالهم : « مجاهرة اذا لم أجد مختلا » (606) ، أي آخذ حتى قهرا اذا لم أصل اليه عفوا . ويقولون : « هو اخبث من ذئب الخمر ، واخبث من ذئب الغضا » (607) والخلاف : المخادعة . ويقولـــون : « اذا لم تغلــــب فاخلب » (608) .

بــــاب الحســـد

تقول : حسده يحسده . وقال الأعرابي : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد : حزن لازم ، ونفس دائم ، وعقل هائم . وغبطته ، وهو مثل

---

(599) انظر المثل في : جمهرة الامثال 628/1 و 200 والضبي 28 والفاخر 220 ، وفصل المقال 136 والميداني 122/1 والمستقصى 190 .

(600) هو قيس بن زهير العبسي (ت 10 هـ) انظر ترجمته في : الميداني 184/1 وابن أبي الحديد 150/4 وخزانة البغدادي 536/3 والكامل لابن الاثير 204/1 والمرزباني 322 وسرح العيون 69 ورغبة الامل 88/4 وسمط اللآلىء 582 و 823 والتبريزي 106/1 و 221 و 11/2 والاعلام 56/6 .

(601) حذيفة بن بدر ، ضرب به المثل في سرعة السير (جاهلي) ، انظر ترجمته في ثمار القلوب 111 والاعلام 180/2 .

(602) انظر المثل في : جمهرة الامثال 287/1 و 570 والفاخر 184 .

(603) هكذا في الاصل . والذي في تهذيب اللغة 167/1 واللسان مادة خنع: (خنعات) بضم الخاء والنون .

(604) انظر المثل في الميداني 27/1 رقم المثل 96 ونصه : (انه ليقرد فلانا) .

(605) انظر جمهرة الامثال 4/2 وفصل المقال 95 والميداني 283/1 والمستقصي 236 واللسان مادة (خميس) واساس البلاغة مادة (خمس) .

(606) انظر المثل في الميداني 309/2 رقم المثل 4056 .

(607) الخمر : ما يستتر به من شجر ، والغضا : شجر معروف ، انظر المثل في جمهرة الامثال 438/1 والميداني 174/1 والمستقصي 41 والحيوان 220/1

(608) معناه : اذا لم تدرك الحاجة بالغلبة والاستعلاء فاطلبها بالرفق والمداراة . انظر المثل في : جمهرة الامثال 66/1 وفصل المقال 102 والميداني 3/1 ، والمستقصي 150 واللسان مادة (خلب) والصحاح 122/1 .

الحسد (609) . وفي الحديث : « هل يضر الغبط ؟ فقال : كما يضر العضاة الخبط » * . ومثل : « الذئب مغبوط بذي بطنه » (610) لمن يغبط بما لا جدوى له فيه . ويقول : اللهم غبطا لاهبطا (611) ، أي اجعلنا نغبط ولا نهبط . وقد نفس فلان على فلان : حسده .

بـــاب الخـــب

يقال : لفلان دِخامس . والدخمسة : الخب . وله دغاول (612) وهـو « أخب من ضب » (613) .

بـــاب الغضـــب **

يقال : غضب ، واحتلط . وفلان « يكسر عليك ارعـاظ النبـل غضبا » (614) . وجاء فلان نافشا عفريته (615) ، وجاء رافعا بأنفه ، أي مغضبا . وقد وغر صدره ، ووغم (616) ، ووحر . وقد استقله الغضب ، واحتمله . وجاء فلان يتلدع (617) . ويقال لمن سكن غضبه : تحللت عقده . ولمن غضب وتهيأ للشر قيل : قد عقد ناصيته . وفلان يكاد يتمزع من الغيـظ ، أي كاد يتاطير شققا . وجاء وبه سكر علينا ، أي غيظ . ويقال للرجل اذا خف

---

(609) ورد في اللسان مادة حسد 125/4 ما نصه : الحسد أن يرى الرجل لاخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه والغبط ان يتمنى ان يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه .

* أورده ابن الاثير في النهاية 148/3 ، وانظر اللسان 126/4 . والخبط : ضرب ورق الشجر حتى يتحات عنه ثم يستخلف من غير أن يضر ذلك بأصل الشجرة وأغصانها .

(610) انظر جمهرة الامثال 461/1 وفيه : الذئب يغبط بذي بطنه ، يضرب مثلا للرجل يظن به الغنى وهو فقير ، والشبع وهو جائع . وانظر المثل في : فصل المقال 343 والميداني 187/1 والمستقصى 168 والمعاني الكبير 192/1 وأبي مسحل 381/1 .

(611) انظر الدعاء في المقاييس مادة غبط 411/4 واللسان مادة غبط واساس البلاغة 156/2 .

** راجع في تهذيب الالفاظ ص 78 — باب الغضب وانظر باب الغيظ في الالفاظ الكتابية ص 19 وباب السخط والغيظ ص 40 — جواهر الالفاظ .

(612) اي غوامل .

(613) انظر المثل في جمهرة الأمثال 439/1 والميداني 174/1 والمستقصي 40 والحيوان 43/6 .

(614) انظر المثل في الميداني 36/1 رقم المثل 143 ، والرعظ : مدخل النصل في السهـم .

(615) عفريته : شعر ناصية الرجل .

(616) الوغم : الحقد الثابت في الصدر .

(617) في الأصل : يتلدع (بالدال) وهو تصحيف .

حلمه : قد خفت نعامته . واحتد فلان فنشب فى حدته ، وغلق . وحكى ابن الأعرابى : فلان لا يركض المحجن (618) ، أى لا يمتعض من شىء . ويقال: قد اصبحت مجموحا بك ، أى قد اشتد غضبك . ويقال : قد أذأرته فذئر ، أى حرشته فغضب . وفى صدر فلان عليك حماطة ، أى غيظ وموجدة . وهــــو يتحدم علينا ، أى اشتد غضبه . والحفظة ، والحفيظة : الغضب . وفى المثل: « الحفائظ تنقض الاحقاد » (619) ، أى اذا كانت بينك وبين ابن عمـــك عداوة ثم رأيته يظلم حميت له ونصرته . وفلان حامض الفؤاد ، اذا تغير وفسد . والتحرب : الغضب . وقد حربت فلانا ، وحرشته ، وأحمشته . وقد انتفخ انتفاخ الضب الحرب . وحربه : ان يرتقع على براثنه . وحميا الغضب شدته . والمتغمط : الشديد الغضب . والنغر : الغضبان . من نغر القدر وهو غليانها . وقد جاء فلان تغلى مراجله . وقد استشاط ، وشرى غضبا . وقد يقال : غضب مطر ، أى شديد فى غير موضعه . وقد انتفخ وريـــداه : اذا غضــــب .

بــاب الحــرص والجشــع (620)

قال الأصمعى ، قلت لأعرابى : ما الجشع ؟ فقال : اسوأ الحرص . ويقال : ان نفسه لطلعة الى كذا ، أى منازعة اليه . وزعم فلان فى غير مزعم، أى طمع فى غير مطمع . وهوطمع حريص . والطمع والطماعية بمعنى : وهو « اطمع من فلحس » (621) ورجل هاع (622) لاع (623) : حريـــص . والرثع : الطمع والحرص ؟ ويقولون : هو دامى الشفة ، أى حريص ملح .

---

(618) فى الاصل : المحجر ، وهو تحريف والتصويب من اللسان 262/16 وفيه : المحجن : عصا معقفة الراس كالصولجان وفلان لا يركض المحجن : لا غنـــاء عنـــده .

(619) انظر المثل فى جمهرة الامثال 349/1 ونصه : الحفائظ تحلل الاحقاد . وانظر فصل المقال 179 و 195 وفيه الروايتان : تنقض وتحلل . وانظر الميداني 139/1 والمستقصي 125 واللسان مادة (حفظ) .

(620) راجع باب الطمع فى تهذيب الالفاظ ص 437 وفى الالفاظ الكتابية ص 42 وباب الشره والحرص والسؤال فى تهذيب الالفاظ ص 253 . وباب الحـــرص والشره فى جواهر الالفاظ ص 78 .

(621) انظر جمهرة الامثال 14/2 والميداني 441/1 رقم المثل 2335 والميدانـــي 347/1 رقم المثل 1868 ، وفلحس رجل من بني شيبان ، كان سيدا عزيزا يسأل سهما فى الجيش وهو فى بيته فيعطى لعزه ، فاذا أعطيه سأل لامرأته، فاذا أعطيه سأل لبعيره . انظر المستقصي225/1 و 152/2 ورواية (اللسان) اسأل فلحس .

(622) انظر المثل فى : جمهرة الامثال 333/1 والميداني 187/1 والمستقصي 23 .

(623) رجل هاع : جزوع .

وقد دمي فوه ، وضب (624) فوه . أبو زيد : الطرف من الرجال : الرغيب العين الذي لا يرى شيئًا الا أحب أن يكون له (625) ، فعيناه لا تشبعان ، من قوم طرفين . ومن أمثالهم : « أجشع من أسرى الدخان (626) . وهم قوم من تميم أرادا المكعبر أن يقتلهم ، فأمر باتخاذ طعام، فلما ارتفع الدخان دعاهم فاغتروا بالدخان ودخلوا الحصن ، فاصفق الباب وقتلوا . فقيل : أجشع من أسرى الدخان . وقيل فيهم ليسوا بأول من قتله الدخان . وقد كلب فلان أشد الكلب . ومنيت فلانا حتى انتشرت نفسه وجاء فلان ناشرا أذنيه (627) . والاشراف : الحرص .

بـــاب الظلـم والغشـم *

قال أبو عمرو: القوم عليه ضلع، أي مجتمعون (عليه بالعداوة) (628)، وقد ضلع عليه ، وقد جنف عليه . وأنت على ضلع جائرة . وضلع فلان مع فلان أي ميله . ويقال : هو « أظلم من حية » (629) لانها تجيء الى غير جحرها فتدخله . والرهق : الظلم . من قولـه تعالـى : « بخســا ولا رهقا » (630) . والعدوان: الظلم الصراح . والعدوة : عدوة اللص ، وعدوة المغير ، وعدوة السبع . ويقولون : كف عنا عاديتك ، واياك والظلم فان الظلم يغشى بالرجال المغاشى . ويقولون يقول الشاعر :

فلا تك حفارا بظلفـــك انمـــا تصيب سهام الغي من كان غاويــا
اذا أنت أكثرت المجاهل كـــدرت عليك من الاخلاق ما كان صافيا *

ويقولون : اهتضمت فلانا . وفلان يتهدم على فلان ، أي يتوثب عليه بالظلم . (ويقال) ** لمن تسرع اليك : « ان حفرك الى لمتهدم » (631)،

---

624) رجل لاع : السيء الخلق الحريص .
625) الضب : النسيلان .
626) انظر العبارة في اللسان مادة (طرف) .
627) انظر المثل في الميداني 163/1 رقم المثل 852 واساس البلاغة 443/2 .
* قريب منه باب الاجتماع بالعداوة على الانسان — تهذيب الالفاظ ص 568 .
628) زيادة يستقيم بها المعنى .
629) المثل في : جمهرة الامثال 29/2 وفصل المقال 388 والميدانـــي 445/1 والمستقصي 93 والحيوان 220/1 وامالي القالي 12/2 .
630) تتمة الاية الكريمة : « فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا » 13 ك سورة الجن 72 .
* البيتان للشاعر منظور بن مرثد بن فروة الفقعسي . انظر : معجم الشعـــراء للمرزباني ص 281 وروايتهما فيه :
... تصيب سهام الغي من كان راميا .
** لعلها : وتقول .
631) انظر : الميداني 65/1 رقم المثل 325 ونصه : ان جرمك الى الهدم .

و « ان حبلك الى لأنشوطة » (632) . ويقال : تباخس القوم ، أى تغابنوا. ويقال : تحسبها حمقاء وهى باخس (633) . ويقولون : الظلم انكد غبه مشؤوم ، والغشم : الظلم . و « الحرب غشوم » (634) تنال غير الجانى. واغمض فلان على الظلم ، اذا مضى عليه . «وركب القوم ام جُندب» (635) اذا ركبوا الظلم .

بـــاب الحيف والجور (636)

العول : الميل فى الحكم الى الجور. وقد عال فى حكمه ، اذا جار . وحدل(637) عليه ، اذا جار . ويقولون : حدل وما عدل . واشّط فلان ، اذا جـــــار فى قضيته . وماط فى حكمه يميط ، اذا جار . والصبنة : الميل ، تقول : لا تصبن على مع عدوى ، أى لا تمل. وكل شىء عدلته عن جهته فقد صبنته . كالساقى اذا صرف الكأس عمن هو أحق بهــــا .

بـــاب استضعـــــاف الرجـــــل *

يقال : استضعفت فلانا . واحتقرته ، واستوضمته ، أى جعلته تحتى كالوضم ** . ويقولون : « من عز بـــز » (638) و « اذا عز أخـــــوك

---

(632) انظر الميداني 65/1 رقم المثل 326 ونصه : ان حبلك الى انشوطة

(633) يضرب لمن يتباله وفيه دهاء ، انظر المثل فى الميداني 123/1 رقم المثـــل 625 وانظر اللسان والاساس مادة (بخس) .

(634) انظر جمهرة الامثال 358/1 والميداني 206/1 والمستقصى 125 واللسان مادة (غشم) .

(635) انظر جمهرة الامثال 47/1 وفيه : ام جندب : الغشم والظلم واسم من اسماء الداهية ، يقال : وقعوا فى ام جندب ، وركبوا ام جندب .

(636) انظر باب ـــ الاجتماع بالعداوة على الانسان ـــ تهذيب الالفـــاظ ص 568 وانظر باب اسماء الجور ص299 ـــ جواهر الالفاظ .

(637) حدل (بكسر الدال) : ظلم .

* مما هو قريب المعنى منه راجع باب استقلال الشيء واستصغاره ـــ تهذيب الالفاظ ص 599 وباب المذمة والاحتقار فى الالفاظ الكتابية ص 110

** الوضم : خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم ، وكل ما وقيت به اللحم من الارض من خشب او حصير . قال الشاعر :

احسبتنا لحما على وضم   ام خلتنا فى الباس لا نجـــــدى

(638) انظر المثل فى : الصحاح 862/2 وامالي الشجري 187/2 : وجمهرة الامثال 288/2 و 257/1 و 360 والضبي 53 والفاخر 89 والميدانـــــي 174/2 والمستقصي 314 واللسان والاساس مادة (بزز) والمقاييس 39/4 .

نهن » (639) ، أى اذا عاسرك فياسره . ويقال : تفرعت فلانا (640) . قال ابن الأعرابى : خلعت عذاره ، واستلبت عصاه ، وحللت قلادته ، اذا غلبه على أمر كان يعلو (641) به عليه . قال أبو زيد : يقال ما لى حاجة الا حاجة أنا عال بها . أى ظاهر عليها .

ويقال : عالنى فلان، أى غلبنى . ويقال: فرس ساطٍ لانه يسطو(642) على سائر الخيل . والفحل يسطو (642) على طروقته (643) ، والتأبيس : القهر . قال اللحيانى * : يقال : لن تأخذه أبدا بزة منى ، أى قسرا (644) ويقال : فلان مشدخ (645) لقرنه ، أى قوى عليه . ومسدح (646) أيضا.

بـــاب الذهاب بحق الانسان

يقال : ذهب بحقى ، وامعن بحقى ، والمع بحقى .

بـــاب الشر يكـــون بين اثنـــين

يقال : بينى وبينه شوك القتاد . وفلان بات بليلة الشوامت ، ويقال : آذانا فلان ، وبرح بنا . والشذا (647) والأذى بمعنى . ويقال : « أدب فلان علينا عقاربه » (648) .

باب المنع من الشيء والردع **

يقال : اعذبته عن كذا . واعذب عنك من لاخير فيه . والوزع : الكف ونجهت الرجل بما كفه عنى . ويقال · النجه : أقبح الرد . والقدع : الكف

---

639) راجع : جمهرة الامثال 65/1 والضبي 60 والفاخر 64 وفصل المقال 195 والميداني 44/1 والمستقصي 53 واللسان مادة (هين) و البيان والتبيين 162/1 والكامل للمبرد 72/4 . ومعناه : اذا صعب اخوك فلن .

640) نقته او شتمته

641) ف الاصل : يعلوا (بزيادة الف) .

642) يسطو : ف الموضعين بزيادة الف .

643) انظر اللسان مادة (سطا) .

* هكذا ف الاصل وف الانباه 255/2 : « اللحياني (بكسر اللام) (علي بـــن حازم) ، لغوي اخذ عن الكسائي وعاصر الفراء واخذ عنه القاسم بن سلام » انظر ترجمته ف بغية الوعاة 185/2 وتلخيص ابن مكتوم 136 وتهذيب اللغة للازهري ص10 وطبقات الزبيدي 213 ومراتب النحويين144 والمزهر 410/2 ومعجم الادباء 106/14 ونزهة الالباء 235 وطبقات ابن قاضي شهبـــــه 144/2 .

644) ف اللسان مادة بزز نسب القول للكسائي .

645) شدخ : كسر .

646) سدحه : صرعه او ذبحه وبسطه على الارض .

647) ف الاصل : الشذى .

648) انظر المثل ف جمهرة الامثال 455/1 وروايته : (ادب من عقرب)

** راجع باب ردك الرجل عن الشيء يريده ـــ تهذيب الالفاظ ص 551 وباب الكف من الامر ـــ الالفاظ الكتابية ص 127 .

يقال : ما عكنك عنا ؟ أى ما حبسك ؟ وعجنت نفسى عـــن الطعـــام ، اعجنها (649) . قال ابن الاعرابى : خير فلان عصر مصرٍ (650) ، أى قليل منقطع . وتقول : ورعته عن كذا وكذا ، أى كففته .

باب تكليف الانسان ما لا يطيـــق

تقول : حملته على عتب كريه . قال ابن السكيت : ابطرته ذرعه ، أى كلفته فوق طوقـــه .

بـــاب القوة والشـــدة *

يقال : هو شديد ، اديد (651) ، مصع (652) ، صليب ، ذو أيد ، ولوث ، أى قوة ؟ ويقال : ماله مجلود ، أى جلادة . والملاوثة : الممارسة . والأضبط: الشديد ، وشددت على يده ، وقويته . وقد قوى على الشيء . وهذا مقواة لى على كذا وكذا .

ورجل شديد الخلق : ممره . وامرأة مركنة : جيدة الخلق . قال بعضهم: أصنام الرجال أقوياؤهم ؟ قال : ولا يستعمل الا فى العبيد . ويقال بالتاء : اصتام . وفلان ملاحك الخلق (653) وهو جلد ، صنيع ، وكيع (654) ، وهو صلب العود . فان كان خوارا قيل : لين العود . ورجل مزير ، أى قوى

بـــاب الضخـــم والسمـــن

هو سمين ، نحيض (655) ، ناشز القصيرى (656) . وهو ذو جرز ، أى ذو خلق عظيم . وهو مبدان شكور ، أى سريع السمن ، وهـــو رنـــان

---

(649) اي اجبسها .
(650) المصر : الحلب باطراف الاصابع .
(651) الاديد : الشديد القوي .
(652) المصع : الضرب بالسيف .
(653) اذا دخل بعضه فى بعض ، انظر المقاييس 238/5 .
(654) الوكيع : الصلب المتين .
* راجع باب شدة الخلق والضخم فى تهذيب الالفاظ ص 129 وباب وصف بنية الرجل فى الالفاظ الكتابية ص 284 .
(655) تقول : نحض : نحض نحاضة : كثر لحمه فهو نحيض ، ونحض نحوضا : ذهب لحمه فهو نحيض . فالكلمة من الاضداد .
(656) اسفل الاضلاع .

المعذين (657) ، وذلك اذا امتلأ شحما ، فاذا ضربت معديه سمعت له رنينا وضده ، الخفاق الحشا . وهو فعم · ملآن . وامرأة متعاونة ، اذا كانت كثيرة اللحم معتدلة الخلق . والعبهر : الضخم . وفلان جيد الوسط ، جيد الحجزة (658) . وقد احتجز (659) بعض لحمه الى بعض . وامرأة رداح : ضخمة العجيزة والمآكم (660) . ويقال : تحلم الصبي ، اذا أقبل شحمه كأنه خرس ، أي دن . والجبل : الجافي الغليظ .

باب الطول وحسن الخلق *

الشعموم : الطويل الحسن . والمسلوجة من النساء : ذات الخلق الحسن ، وكذلك الخليفة . والمختلق : الحسن الخلق . والشطيب : الطويل الدقيق . فان كان طويلا منحنيا : فهو حاقف .

باب اللقاء وحالاته **

يقال : ما القاه الا الفينة بعد الفينة ، أي المرة بعد المرة . وما القاه الا عن عفر (661) ، أي بعد حين . وما القاه الا عدة الثريا القمر (662) ، أي الا مرة واحدة في السنة ، لان القمر ينزل بالثريا مرة في السنة . ولقيته ذات العويم (663) ، أي منذ ثلاثة أعوام . ولقيته بعيدات بين (664) أي لقيته بعد حين ثم امسكت عنه ثم اتيته . ولقيته ذات صبحة (665) ، أي حين أصبحت . ولقيته ادنى عائنة (666) ، أي ادنى شيء تدركه العين . ولقيته

---

(657) المعدان : الجنبان .

* راجع باب الطول في تهذيب الالفاظ ص 239 وباب الحسن ص 205 .

** راجع : باب اللقاء في قربه وابطائه : مختصر تهذيب الالفاظ ص 360 . وانظر باب الوقت والحين في الالفاظ الكتابية ص 252 .

(658) الحجزة : معقد الازار .

(659) احتجز : اجتمع .

(660) المأكمة : لحمة على رأس الورك ، قال الشاعر :
وماكمة يضيق الباب عنها وكشحا قد جننت به جنونا

(661) المثل في الميداني 272/2 رقم المثل 3814 وروايته : (ما نلتقي الا عن عفر) . اي بعد شهر او شهرين ، والحين بعد الحين .

(662) المثل في الميداني 370/2 رقم المثل 4398 وروايته فيه : (وعده عدة الثريا بالقمر ، وانظر الاساس مادة (عدد) .

(663) انظر المثل في الميداني 182/2 رقم المثل 3270 ، وفي اساس البلاغة واللسان مادة (عوم) .

(664) انظر المثل في الميداني 196/2 رقم المثل 3363 وفي أساس البلاغة واللسان مادة (بعد) .

(665) انظر المثل في اللسان مادة (صبح) .

(666) انظر المثل في الميداني 177/2 رقم المثل 3239 واساس البلاغة واللسان مادة (عين) ورواية المثل في الميداني : لقيته أول عائنة .

أول ذات يدين (667)أى ساعةً غدوت . ولقيته حين وأرى رئى رئيا (668)، أى اختلط الظلام. ولقيته حين قلت : «اخوك ام الذئب» (669) ؟ . «ولقيته صكة عمى » (670) أى فى أشد الهاجرة حرا . ولقيته غشاشا (671)، أى على عجلة(672)، ولقيته أول عائنة، وادنى ظلم(673)، كل هذا أول شىء. ولقيته صخرة بحرة (674) ، اذا لم يكن بينك وبينه شىء . ولقيته قبل كل صيح ونفر (675) ، والصيح : الصياح والنفر : التفرق . ولقيته بين سمع الأرض وبصرها (676) ، أى بارض خلاء ما بها أحد ؟ ولقيته التقاطا (677) اذا لم ترده فهجمت عليه . ولقيته نقابا (678) ، أى فجاءة . قال ابن الاعرابى : مررت فى طريق فناقبنى فلان ، أى لقينى على غير اعتماد ولا ميعاد (679) .

بـاب الـدأب

ما زال فلان ذاك دأبه ، وديدنه ، وهجيراه ، ودينه .

---

(667) انظر المثل فى الميداني 178/2 رقم المثل 2247 وانظره فى اساس البلاغة واللسان مادة (يدي) .

(668) فى الاصل (رئا) .

(669) المثل لتابط شرا ، انظر جمهرة الامثال 168/1 والميداني 50/1 ، ومعناه : اتاني حين اشتبهت الاشباح فى اول ظلمة الليل فلم يعرف شخص الرجل من شخص الذئب . انظر أيضا مختصر تهذيب الالفاظ ص 361 .

(670) ورد فى الامثال : جاء صكة عمي ، ومعناه جاء حين قام قائم الظهيرة ، وعمي: رجل غزا قوما فى قائم الظهيرة ، فصكهم صكة شديدة فصار مثلا لكل من جاء فى ذلك الوقت ، لانه كان خالف العادة فى الغارة لان وقتها الغداة . انظر : جمهرة الامثال 318/1 واللسان مادة (صكك) والاساس مادة (عمي) والميداني 182/2 رقم المثل 3268 وروايته فى الميداني مماثلة لرواية — المتخير — .

(671) انظر اساس البلاغة واللسان مادة غشش .

(672) انظر المثل فى الميداني 177/2 رقم المثل 3239 .

(673) انظر المثل فى الميداني 206/2 رقم المثل 3458 ويريدون ادنى شبح . والمثل فى اساس البلاغة واللسان مادة (ظلم) .

(674) انظر المثل فى الميداني 195/2 رقم المثل 3362 : اي خاليا ليس بيني وبينه حاجز . وانظره فى اساس البلاغة واللسان مادة (صخر) ونوادر أبي مسحل 73/1 .

(675) ومعناه : لقيته قبل طلوع الفجر . انظر المثل فى الميداني 182/2 رقم المثل 3267 . وانظره فى الاساس واللسان مادة (صيح ، نفر) .

(676) قال أبو عبيد : انه لقيه فى مكان خال . انظر الميداني 183/2 رقم المثل 3276.

(677) انظر نوادر ابي مسحل 73/1 والاساس مادة لقط 351/2 .

(678) انظر المثل فى الميداني 198/2 رقم المثل 3381 واللسان مادة (نقب) مادة (لقط) وفيه : وردناه التقاطا ونقابا : فجاة من غير ان نطلبه .

(679) ورد هذا القول فى اللسان مادة (نقب) مع تقديم وتأخير .

باب الامر بفعل ما كان يفعله

يقال : خذ في حديثك ، أي في أول أمرك . وارق على ظلعك (680) . كما تقول : ارفق بنفسك .

باب في الجراحات والضرع والاوجاع *

يقال : جرحه جرحا ، وخذعه (681) بالسيف ، وخبل يده : أشلها . ويقال : اشعره سنانا ، اذا الزقه به . والاشعار (682) : ان تطعن البدنة (683) في سنامها حتى يسيل دما . وطعنه فاختله بالرمح . وطعنه فجوره (684) وكوره (685) ، أي صرعه . وطعنه فسلقة ، أي القاه على ظهره . وقطره : القاه (686) على أحد شقيه . ونكته على رأسه : القاه . وهو قريح ، جريح ، كليم . وقد أنبت آتية الجرح ، أي مدته . وغفر الجرح ، اذا انتقض ونكس . وضيرى (687) العرق بالدم : اهتز . ونعر الجرح بالدم ، اذا ارتفع دمه . وبه آثار من الضرب ، وحبارات ، وندوب . واحدها ندب .

باب المرض (688)

يقال : هو مريض ، وجع ، شاك ، وصب (689) . والموصم : الذي يجد وجعا وتكسرا في عظامه . والدوى : الهالك مرضا . وما بقي من المريض الا شفا (690) . ويقال : ان كان كاذبا فسحقه الله . قال الفراء : السحاف : السل . ومرض فلان ثم أبل . وأفرق (691) . وبه عداد مرض ، وذلك ان

---

(680) في الاصل : ظلمك (بالضاد)

* راجع باب — الجراحات والقروح — ص 64 — مختصر تهذيب الالفاظ .

(681) خذع اللحم : حززه وقطعه من غير بينونـة .

(682) الاشمار : الصاقك الشيء بالشيء . انظر مختصر تهذيب الالفاظ ص 64 . والاشعار : الادماء بطعن أو رمي أو وجء بحديدة

(683) الاضحية من الابل والبقر تهدى الى مكة المكرمة .

(684) جوره : صرعه .

(685) كوره : القاه مكورا مجتمعا .

(686) زيادة يستقيم بها المعنى .

(687) في الاصل : ضيري : بكسر الراء ، والصواب ما اثبتناه . وضرى (بالفتح) سال . وضرا العرق : بدا منه الدم لا يكاد ينقطع .

(688) راجع (باب المرض) في مختصر تهذيب الالفاظ ص 67 وباب الحمى ص 74. وفي تهذيب الالفاظ 109 و 119 وفي الالفاظ الكتابية باب الامراض والعلل ص 172 وباب الحميات واجناسها ص 173 . وباب المرض والعلة ص 300 من جواهر الالفاظ .

(689) وجع ، شاك ، وصب : كلها بمعنى مريض .

(690) اي غير قليل .

(691) يكون الافراق من مرض لا يصيب الانسان غير مرة واحدة .

يدعه زمانا ثم يعاوده . والرس : مس الحمى . والرحضاء : العرق . والورد: يوم الحمى . قال ابن الأعرابى ، يقال : برئت اليك من كل داء تداؤه (692) الابـــل .

بـــاب الرمـــى *

يقال : رأست الصيد : اصبت رأسه . وكليته : اصبت كليته . وكذلك فى سائر الاعضاء . وهو ميدى ، ومرجول ، اذا اصبت يده ، ورجله . ويقال : أقعصه ، اذا اجهز عليه . واصردت السهم من الرمية ، اذا انفذته منهـــا . وصرد السهم وهو يصرد . ورميته فاشويته ، وذلك اذا تعدى المقاتـــل . ويقال : رمى فانمى ، اذا تحامل الصيد فغاب ، واصمى : قتله مكانه ، ورمى فاخطف : أى اخطأ .

بـــاب الكســـر (693)

يقال : حطمت الشىء ، وثمته (694) . ويقال : ضربته فوقرت (695) العظم ، وذلك اذا صدعت العظم .

بـــاب الطبيعـــة (696)

هى السجيحة والسجية . ويقال : هو على آسان من أبيه ، أى علـــى طرائق . وهذا أمر طبعه الله عليه ، وطواه عليه . وقال :

فما حب أم العمر الا سجيـــــة ... عليها طوانى الله يوم طوانـــى
طوانى على حب لهـــا ونصيحـــة ... اجل وأنوف الكاشحين عوان(697)

---

692) فى الاصلين : تداووه .
* راجع (باب الرمي) فى مختصر تهذيب الالفاظ ص 76 — 78 وفى الالفـــاظ الكتابية باب الطعن والتصريع ص 182 .
693) راجع باب الكسر فى تهذيب الالفاظ ص 126 وفى الالفاظ الكتابية ص 291 .
694) فى الاصلين : وتمته (بالتاء) وهو تصحيف . ووثم الشىء : كسره ودقه .
695) فى الاصلين : فوقدت (بالدال) وهو تحريف . ووقر العظم : صدعه
696) رجع : باب الطبيعة والسجية — مختصر تهذيب الالفاظ ص 98 وفى الالفاظ الكتابية باب كرم الطباع ص 162 وباب سلك فلان فى طريقة فلان ص 5 .
697) البيتان لابن الدمينة فى ديوانه — تحقيق أحمد راتب النفاخ ص 30 وروايتهما فيه :

وما حب أم الغمر الا سجيـــة ... عليها براني الله ثم طوانـــــي
طواني على حب لها وسجيـــة ... اجل وأنوف الكاشحين عوانـــي —

ويقال : تخيل اباه ، وتصيره . ويقال : ما ترك من أبيه مغـداة ولا مراحة ، يعني من الشبه .

بـــاب الذكاء وحدة الفـــؤاد (698)

يقال : هذا حديد الفؤاد ، شهم الفؤاد . والاصمعان : القلب الذكـــي والرأى الحازم . وانه لحول قلب ، أى ذو حيلة وتصرف ويقال : هو نقاب المعى (699) . ورجل حى النفس ، رواع (700) .

بـــاب الشجاعـــة (701)

يقال : هو شجاع ، نهيك ، رابط الجأش ، احوس ، بطيء البـــراح ، مغوار ، باسل ، مشيع . وانه لمسع بالسيف (702) ، هصوز ، شديد الغمر ، زميع (703) ، ماض ، ثبت الغدر (704) حرب ضرب (705) ، أى شديد

= ورد الاول فى مخطوطة مسالك الابصار منسوبا لابن الدمينة وروايته فيه :

وما حب ام الغمر الا سجيـــة   عليها طواني الله يوم طوانـــي

وفى (النوادر والتعليقات) للهجري ورد البيتان وقد نسبهما للمخبل القيســي (كعب) وروايتهما فيه :

وما حب ام الغمر الا سجية   براني عليها الله حين برانـــي

طواني على بذل لها ومودة   اجل وانوف الكاشحين عواني

وابن الدمينة هو عبد الله بن عبيد الله الخثعمي (ت نحو 130 هـ)
وانظر ترجمته فى صدر ديوانه وفى المراجع التالية :
معاهد التنصيص 160/1 وسمط اللالي 136 و 264 والمرزباني 402 وشرح الشواهد 145 والاغاني 144/15 والشعر والشعراء 617/2 ودائـــرة المعارف الاسلامية 161/1 وشرح ديوان الحماسة للمرزوقـــي 1223 ومعجم المطبوعات 104 والتبريزي 131/3 و 145 وبروكلمان: س : 1 : 80 والاعلام 237/4 .

(698) انظر باب حدة الفؤاد والذكاء ـ مختصر تهذيب الالفـــاظ ص 99 ـ 102 . وراجع فى الالفاظ الكتابية باب سداد الراي ص 227 وثبات الجنان ص 23 وباب الحصافة والفطنة وصلابة الراي ص 335 ـ جواهر الالفاظ .

(699) فى الاصلين : نقاب (بفتح النون) ، والصواب ما اثبتناه ومعناه : الرجـــل العلامة .

(700) رواع : شهم ذكـــي .

(701) راجع باب الشجاعة فى مختصر تهذيب الالفاظ ص 102 ـ 107 والالفاظ الكتابية ص 62 .

(702) اي مجالد به .

(703) هو من اذا ازمع امرا لم يرده شيء .

(704) ثبت الغدر : اي الثابت فى الارض الرخوة ومواضع الزلل ومواضع القتال .

(705) فى تهذيب الالفاظ لابن السكيت : حرب ضرب (بتسكين الرائين) .

المحاربة والضرب ، عبقرى يمنع حوزته ، ووصفت امرأة زوجها وقالت : جمل ظعينة ، وليث عرينة ، وظل صخر ، وجواب بحر . وانشد ابـــن الاعرابى :

لقد ابقت الايام منى مكلما   صفا بصرة (706) ترمى ولا تتزلزل

بـــاب الشـــرب (707)

العب : الشرب من غير مص . والتغمر : الشرب قليلا قليلا . وشرب فما بقيت فى جوفه هزمة (708) ا لامتلات . وشرب غشاش :قليل . وتشاففت الاناء : شربت شفافته ، وهى البقية تبقى منه . ويقولون : « ليس الرى عن التشاف » (709) وتصاببت الاناء ، اذا شربت صبابته ، وهى مثـــل الشفافة : ويقال : اشرب وانتشح ، أى أرو . ويقال : نشح : امتلأ . ونصح روى . ونضح : شرب دون الرى . ورجل صبحان غبقان ، من الصبـــوح والغبـــوق

بـــاب فى ذكر الشمس (710)

هى الشمس ، والغزالة ، وذكاء . وتقول العرب : اضاءت (711) ذكاء وانتشر (712) الرعاء . وهى المهاة . والمهاة : البلورة . وهى الجونـــة ، والبيضاء ، والضح ومن قولهم : قامت الشمس كعين الاقبل (713) . ويقال بزغت الشمس ، وذرت ، وشرقت . فاذا علت قيل : اشرقت . وتقـــول : استوى حاجب الشمس ، وترفع .

---

706) فى الاصل : بصرة (بكسر الباء) والصواب ما اثبتناه . والبصـــرة : الارض الغليظة ، والصفا : جمع صفاة ، الحجر الصلد الضخم .

707) راجع باب الماء وشربه فى كتاب تهذيب الالفاظ ص 674

708) هزوم الجوف : مواضع الطعام والشراب .

709) انظر المثل فى جمهرة الامثال 190/2 والميدانى 292/2 والمستقصـــى 295 واللسان والاساس مادة (شفف) ، ويضرب مثلا للقناعة ببعض الحاجة .

710) راجع باب صفة الشمس واسمائها ص 231 وباب طلوع الشمس ومغيبها ص 233 من كتاب مختصر تهذيب الالفاظ لابن السكيت وبـــاب طلـــوع الشمس ص 285 الالفاظ الكتابية .

711) فى الاصل : آضأت .

712) فى ع : واستنشر .

713) الاقبل : من كان فى عينيه قبل ، والقبل فى العينين : اقبال نظر كل من العينين على الاخرى ، ورجل اقبل : كأنه ينظر الى طرف انفه .

بـــاب شـــدة الحـــر (714)

وغرة القيظ : اشد الحر . وقد أوغرنا : دخلنا فى الحر الشديد . ونحــن فى وقدة القيظ . واصابتنا وقدات . وهذا يوم ذو أوار ووديقة (715) . قال ابن السكيت (716) :سمعت الكلابى يقول : أتيته فى حمراء الظهيرة . وضحيت للشمس ، اذا برزت لها (717) .

باب تغير الانسان لما يصيبه من الحر وغيره (718)

صهرته الشمس ، وصترته (719) ، واصابه سفع من سموم . ويقال: كافحته السموم مكافحة ، وكفاحا ، اذا قابلت وجهه .

باب فى الظل والفىء

الظل : ما تنسخه الشمس ، وهو بالغداة . والفىء : ما نسخ الشمس، وهو بالعشى (720) . والتبع: الظل. وظل دوم أى واسع. وظل وارف(721)، وقلص الظل : رجع الى مستتره نصف النهار . ويقال : عقل الظــل ، اذا استوى على رأسك نصف النهار .

بـــاب فى الفجر والنهار *

وهو الابلق ، والاشتر ، والورد ، والصديع : الفجر . أول ما يبدأ منه .

---

714) راجع باب صفة الحر فى مختصر تهذيب الالفاظ ص 228 — 230 وشد الحر جواهر الالفاظ ص 370 .

715) الوديقة : الحر الشديد .

716) انظر مختصر تهذيب الالفاظ ص 230 .

717) انظر مختصر تهذيب الالفاظ 231 .

718) انظر ص 229 و 230 من مختصر تهذيب الالفاظ .

719) الصترة : شدة وقع الشمس .

720) الظل ما كان أول النهار الى الزوال . والفىء : ما كان بعد الزوال الى الليل . فالظل غربي تنسخه الشمس ، والفيء شرقي ينسخ الشمس . قال حميد بن ثور الهالي :

فلا الظل منها بالضحى تستطيعه ولا الفيء منها بالعشي تذوق

انظر ديوانه ص 40 — تحقيق عبد العزيز الميمني .

721) فى النسختين : وارق ، وهو تصحيف .

* راجع باب صفة النهار واسمائه ص 422 — تهذيب الالفاظ وباب طلـــوع النهار ص 284 — الالفاظ الكتابية وباب ساعات النهار ص 287 الالفاظ الكتابيـــة .

722) انظر المثل فى الميداني 385/1 رقم المثل 2045 وفى أساس البلاغة 198/2 مادة (عرق)

هو الفرق . وهو « ابين من فرق الصبح ، وفلقه » (722) . ويقال : نشـــق الصبح عن ريحانه ، وانشق عن تباشيره ، وانبلج . وهذا وضح الفجر ، وقد أنار واسفر . وسراه النهار وضوحه . ويقال : قد تام قرن الضحى ، أى أوله . وتلك غزالة الضحى ، ورونقها ، وميعتها . وجـــاء فى ريـــق الضحـــى (723) ، ورفيقة الضحى ، وأديم الضحى . ويقال : آتيك شـــد الضحى ، وشد النهار . وآتيك فى شباب النهار ، وحده ، وذلك صـــدره . ويقال : لا افعله ما وضح النهار . انشدنى أبى (724) :

تالله لولا صبية صغـــار
كانما أوجههم أقمـــار
تجمعهم من العتيك (725) دار
مخافة يمسهـــم اقتـــار
أو رحم يقطعهم وجـــار
أو لاطم ليس له سوار
وبالجناح ينهض الأطيار
وقد يمين الشرف اليسار
لما رآنى مالك جبـــار
ببابـــه ما وضـــح النهـــار

ويقال ، اذا ارتفع النهار : قد ترجل ، ومتع ، وتلع . فاذا اشتد الحـــر قيل : اظهر النهار . وذلك حم الظهيرة . وقد صام النهار ، وهى الغائـــرة حينئذ . ومن الفاظ الشعراء : نهار أزهر .

باب زوال الشمس وبعد ذلك *

يقال : زالت الشمس ، وزاغت ، ودحضت . فاذا صليت العصر فـــذاك

---

723) ريق الضحى : أوله .

724) وردت الارجوزة فى كتاب مبادىء اللغة للاسكافي ص 26 وروايتها فيه : ورد فى باب من اسماء الحجارة : والفهر ما يملأ الكف ويسحق به العطر . قـــال بعض العرب فى الفهر :

والله لولا صبية صغـــار	وجوههم كانهـــا اقمـــار
يجمعهم مـــن العتيـــك دار	درادق ليـــس لهم دثـــار
بالليل الا أن تشـــب نـــار	رءوسهم كانهـــا افهـــار
لما رآني مالـــك جبـــار	ببابـــه مـــا طلـــع النهـــار

725) العتيك : الاحمر من القدم .

* راجع باب غروب الشمس ص 286 ـــ الالفاظ الكتابية

الاصيل ، وقصر العشى ، وآتيك معصرا . فاذا كان بعد ذلك قلت : جنح الاصيل . فاذا اصفرت الشمس قلت : لقيته فى الصفراء . ويقال : غابت الشمس الا شفا أى قليل (726) .

باب فى القمر **

ما لم يستدر فهو هلال ، فاذا استدار فهو قمر . ويقال حينئذ : استدار وحجر . واذا استوى ليلة ثلاث عشرة فهى ليلة السواء . وبعدها ليلة البدر. وافتق القمر ، اذا أصاب فرجة من السحاب فخرج ويقال: أصبحنا مطلقين، وبتنا مطلقين ، أى فى ليل ونهار ليس فيه حر ولا قر . واتساق القمر استواؤه . وهو القمر ، والزبرقان . وقد ادنف القمر للغيوب .

باب الظلمة (727)

هى الظلمة ، والغيهب . وليلة ليلاء ، ويوم أيوم . والسمر : الظلمة . ويقال : جن الليل ، ودجا . وأتانا فى جلب الليل ، أى سواده . ويقال : ظلماء داجية ، وليلة خدارية . ومن الفاظ الشعراء : دجا الليل (728) ، وانساب الظلام ، واغدف (729) .

باب فى الشتاء والبرد (730)

يقال : أشتى القوم : دخلوا فى الشتاء . وقد جمد الماء ، وجمس ، وهرئت العبيد تحت المدر (731) . ويقال : هرأة البرد قتله . ويوم احص أغيبر ، وهو ان تبدو الشمس ولا تنفع من البرد . ويقال : افرش القر : أقلع

---

726) كتب فى هامش الاصل ما نصه : بلغ عرضا باصله .

** راجع باب اسماء القمر وصفته ص 394 — تهذيب الالفاظ .

727) راجع باب صفة الليل ص 242 من مختصر تهذيب الالفاظ وباب الظلمة ص 288 الالفاظ الكتابية .

728) ورد فى الصحاح مادة (دجا) 2334/6 ما نصه : قال الاصمعي : دجا الليل انما هو البس كل شيء ، وليس هو من الظلمة ، قال : ومنه قولهم : دجا الاسلام ، اي قوى والبس كل شيء .

729) فى النسختين : واغدن ، (بالنون) وهو تحريف ، واغدف الليل : ارخى سدوله .

730) راجع باب البرد والزمهرير ص 260 — الالفاظ الكتابية .

731) الطين المتماسك اليابس

باب متغير القائظهم فى الحـر *

يقال : حر يومنا ، وقاظ . وهذا يوم ومد (732) . وهذه هاجرة هجوم ، تهجم العرق : تخرجه . وهجم فلان ما فى ضرع ناقته (733) . ويـوم هجان (734) وقدان . ويقال : أيام معتدلات : طيبات ، ومعتذلات بالـذال معجمة شديدات الحـر .

باب الليل والنهار **

الملوان : الليل والنهار ، والجديدان والاجدان والفتيان ، ولا أفعل ذلك ما اختلف ابنا سمير . ويقال : تمليته حينا ، أى عايشته . ولا أفعل ذلك عوض العائضين (735) . ولا أفعله آخر المسند (736) ويد الدهر ، أى آخره . ولا أفعله ابدا الا بيد ، وابد الآباد . ويقال : أتى عليه الدهر ، وطالت به الطيل. والأزلم الجذع : الدهر . واختلف عليه الردفان : الليل والنهار .

باب السماء والسحاب وغير ذلك

هى السماء والخضراء والخلقاء . وأم النجوم : المجرة . والنشىء (737) أول ما ينشأ السحاب . ويقال : خرج له خروج حسن . والصبير (738) : السحاب الابيض . والقزع : القطع منه المتفرقة . والعنان : السحـاب المعترض . وقد هاج السحاب : اذا خرج من العين ، واذا اغبط ايام(739) يقال : الث . ونحن منذ أيام تحت عين . والطوارق : السحائب يطرقن ليلا والجهام : الذى هراق ماءه . ويقال : لمن جاء بالخيبة : جاء بجهام قد هراق ماءه . ويقال : أرشمت السماء ، اذا بدا منها برق . وتبسم البـرق ، وانكل (740) . وضحك السحاب : اذا برق . وبكى : اذا رعد . وتوالـى السحـاب : اعجازه .

---

* راجع باب القيظ والحر ـ الالفاظ الكتابية ص 259 وباب صفة الحـر فى تهذيب الالفاظ ص 383 .

(732) الومد : شدة الحر مع سكون الريح .

(733) اي حلب كل ما بـه .

(734) لعلها : وهجـان .

** راجع باب الازمنة والدهور من مختصر تهذيب الالفاظ ص 300 وتهذيب الالفاظ ص 500 وباب بمعنى لا افعل ذلك ابدا ـ الالفاظ الكتابية ص 189 .

(735) عرض العائضين : اي دهر الداهرين .

(736) المسند : الدهـر .

(737) فى الاصل : النشـو

(738) فى الاصل : العبير . وهو تحريف .

(739) اي ثبت مكانه لا يقلع .

(740) لمع لمعانا خفيفا .

بـاب المـطـــر *

أول المطر : الوسمى لأنه يسم الارض بالنبات . والولى : هو الذى يليه. والجدا : العام . واستهلت السماء ، اذا ارتفع صوت وقعها . و « التقى الثريان » (741) : يريد ندى المطر القديم وندى الحديث . ويقال : أصابنا جار الضبع ، وهو الذى ليس فوقه شيء (742) . وغيثت الارض فهى مغيثة ، وقد غثنا . قال ذو الرمة : « ما رأيت أفصح من أمة بنى فلان ، قلت لها : كيف كان المطر قبلكم (743) ؟ قالت : غثنا ما شئنا » (744) . وسيل أرتى : جاءنا من سوى أرضنا . وأتانا مطر مُجلل : لم يدع شيئًا الا جلل عليه . ودهنت (745) السماء الارض ، اذا بلتها . وقد نصرت أرض بنى فلان ، أى مطرت .

بـاب الـريـــح **

يقال : سرب الريح ، اذا هبت بليل . قال :

الا حبذا الارواح من قبل الحمـى ويا حبذا بعد المنام انتيابهـــا

جنوب سرت من ساكن الهضـب بعدمـــا

مضى الليل واعتـــز النجـوم انصبابهـــا

اتتنا بريا من خزامـــى وحنـــوة (746)

بميثاء (747) لم تحلل خصيـــب جنابهـــا

---

* راجع باب مطر ص 443 — جواهر الالفاظ .

741) يضرب مثلا فى سرعة تواد الرجلين ، او سرعة الاتفاق بين الرجلين والأمرين. انظر المثل فى الميداني 184/2 رقم المثل 3278 والاساس 92/1 .

742) رواية المثل فى الميداني 394/1 رقم المثل 2091 : « اصابنا وجار الضبع » . وهو مثل تقوله العرب عند اشتداد المطر ، يعنون مطرا يستخرج الضبع من وجارها .

743) فى متن الاصل : عندكم . وكتب فوقها لفظة : قبلكم ، واظنها تصويبا لها ، او رواية أخرى .

744) انظر هذا القول فى : المقاييس 403/4 ، والبيان والتبيين 71/2 ومفخـــر السودان على البيضان (رسائل الجاحظ) 178/1 و المخصص 120/9 والمزهر 153/1 والاصلاح 255 ومجالس ثعلب 288/1 واللسان 480/2 وصفة السحاب والغيث لابن دريد — طبعة ليدن ص 39 .

745) دهنت بالتشديد هكذا فى الاصل والذى فى المعاجم بدون تشديد .

** راجع باب الرياح وهبوبها — الالفاظ الكتابية ص 274 .

746) الحنوة : الريحانة .

747) ميثاء : الارض اللينة السهلة من غير رمل .

ومن الفاظ الشعراء فى الريح : هوجاء ليس للبها زبر (748) . ويقولون: ريح تلتهم الجبال ، وريح زفوف التوالى (749) ، رحبة المتنسم . وريح هيف نياف (750) .

باب الفاظ مفردة مستحسنة

فى الحديث : « اللهم أشدد وطأتك على مضر » * أى ضيق عليهم . قال الخليل : مدهته فى وجهه ، ومدحته اذا كان غائبا . ويقال : وركت الشمس زالت . ويقال : لا يحل لامرىء ان يؤمر مفاء على مفىء ، قال معناه لا يحل مولى على عربى ، لان المولى فىء للعرب (751) . ويقال : أصابه فى ارباع جبينه ، أى نواحيه . ولا يقال نجم الا للثريا ، ولا كوكبة الا للزهرة (752). ويقال : خذ حقك مسمطا ، أى مرسلا جائزا . ويقال : سمط غريمـــه أى أرسله . ويقال : بهم حار الخطاء (753) ، أى نزل بهم ان يتحيروا . (وهو نسيج وحده) (754) أى ولد وحده ، ولم يكن توءما فيكون فيه ضعف . وفلان يحدث الاباجير ، أى الاباطيل . وهذا شىء أطول به ، أى اتطول واتفضل . ويقال : غالق على فرسه ، أى راهن عليه . ويقال : اذرع ذراعيه،

---

748) اي ليس لها عقل ينهاها . وهو عجز بيت لابن احمر نصه :

ولهت عليها كل معصـــرة
هوجاء ليس للبهـــا زبـــر

انظر البيت فى اضداد الأنبارى ص 296 والكتاب 272/2 والاساس 392/1 وروايته فيه : ولهت عليه كل معصفة واللســان 403/5 وروايته كروايـــة الاســاس .

749) جاء فى اللســان 36/11 عن التهذيب : الريح تزف زفوفا وهو هبوب ليـــس بالشديد ولكنه فى ذلك ماض .

750) الهياف : ريح حارة تهب من اليمن وقيل باردة ، والنياف : المرتفعة .

* جزء من حديث متفق عليه ، رواه البخاري عن أبي هريرة (كتاب الوتر ــ دعاء النبي صلى الله عليه وسلم » ، وتتمته : واجعلها عليهم سنين كسنـــي يوسف 33/2 . ورواه مسلم فى باب استحباب القنوت فى جميع الصلاة 467/1 وفى النهاية فى غريب الحديث والاثر 200/5 ونصه : اللهم أشدد وطأتك على مضر وفى الجمان فى تشبيهات القرآن ص 347 : اللهم أشدد وطأتك عليهم . واجعلها سنين كسني يوسف وانظر اللسان مادة (وطأ) 192/1 .

751) جاء فى الحديث الشريف (لا يلين مفاء على مفىء) ورد فى (النهاية) 483/3 ، المفاء الذي افتتحت بلدته وكورته فصارت فيئا للمسلمين .

752) جاء فى اللسان 216/2 مادة كوكب : « سمعت غير واحد يقول للزهرة مـــن بين النجوم الكوكبة يؤنثونها وسائر الكواكب تذكر » .

753) الخطاء : هو الخطأ .

754) اي ليس له ثان . كأنه ثوب نسج على حدته ليس معه غير . ويضرب مثلا لمن بولغ فى مدحه . انظر : الفاخر ص 40 رقم المثل 84 ، واللسان 200/3 مادة (نسج) والاساس مادة نسج .

أى اخرجهما من اسفل ثيابه . ويقال : تدبرت الرجل اذا نظرت اليه من خلفه وهو يمشى أو هو قاعد . ويقال : لو لقيتنى وانا على دين غير هذا ، أى حال غيرها (755) . ويقال : رجل بشع لا تأخذه العين . ويقال : احمق ، بلخ . يبلخ على الناس : يتكبر . ويقال : أمر معهود اذا كان أمس . وامر موعود، أى يكون غدا (756) ويقال : بينهم ذمة ، أى ألفة . ورجل ميل : ذو مال . وفى الحديث : (الدموع خفر العيون * ، الخفر : جمع خفرة وهى الامان . يقول: هى أمان لها من النار . ويقال : كذب ، ودجل . ومشر أهله ، أى كساهـم وأعطاهم . ويقال : تكلم الكرع ، أى السفلة . ويقال : شر المال القلعة(757)، أى الذى يتحول عنه . وفى الحديث : « ما رؤى ضاحكا متشطيا » (758) ، أى ضاحكا شديدا . ويقال : استشاط الحمام ، أى طار . وهو نشيط . وفى الحديث « اعنوا الصيام » (759) ، أى لا تمسوا النساء ، وكونوا عنهـن اعفاء . ويقال : هلالنا تمر ، أى هو كبير مضىء . ويقال : لا يقبل الله عـز وجل من الدعاء الا النخيلة ، أى ما يتنخل ويختار (760) . ويقال : ما أكلت اليوم الا علقة من طعام ، أى شيئًا قليلا . ويقال : نتنة ناقرة ، أى تنقر البطون : تشقها . ويقال : هو كالجمل الرداح لا غدو ولا رواح . الرداح : الثقيل . ويقال : نام نومة رداحا . ويقال : لك ذلك على غبيراء ظهره ، أى هو لازم له ، وذلك اذا طلب الرجل الى رجل حاجة (761) . ويقال : تخلع فى الشراب اذا شرب الليل والنهار . ويقال : مجنون ، محنون (762) ، الحن : ضعفاء الجن . ويقال : نظر فلان نشفعت عينه ، اذا رأى الشخص شخصين. ويقال : ما عليه وراء ، أى ليس عليه شىء يواريه . وفلان خير من فـلان بالمثلين أى هو خير منه مرتين . ويقال : أضل الدليل الطريق ثم انتعش ، أى أخذ بعد ذلك الطريق . ويقال : هو يتقفر العلم ، أى يطلبه (763) . وهو

---

755) جاء فى اللسان 28/71 مادة (دين) : قال النضر بن شميل سالت اعرابيا من شىء فقال : لو لقيتني على دين غير هذه لاخبرتك .

756) ورد فى التهذيب 137/1 مادة (عهد) : « وقال النضر بن شميل : قـال الخليل بن احمد : فعل له معهود ومشهود وليس له موعود . قال : مشهود هو الساعة ، والمعهود ما كان من أمس ، والموعود ما يكون غداً » .

* اورده ابن الاثير فى النهاية 306/1 .

757) فى الاصل بفتح القاف ، والقلعة : العارية ، ولا تدوم فى يد مستعيرها بل تنقلع الى مالكها . وفى الحديث الشريف (بئس المال القلعة) : انظر النهاية 102/4

758) نص الحديث فى النهاية 519/2 : ما رؤي ضاحكا مستشيطا .

759) لم اقف له على تخريج بهذا اللفظ .

760) فى الحديث الشريف : لا يقبل الله من الدعاء الا الناخلة . النهاية 33/5 .

761) راجع اللسان والاساس مادة (غبر) .

762) المحنون : الذي يصرع ويفيق زمانا .

763) فى الحديث الشريف : النهاية 210/3 : قبلنا ناس يتقفرون العلم .

جميل دوائر الوجه ، أى نواحيه . ويقال : حاجة حائجة أى مهمة . ويقال : ولدت بالمدينة ، وبها اتلدت ، وأتلدت ، أى وبها ولد لى الولد والعبيد والاماء . ويقال : قضاه حقه بعد الحى واللى ، أى بعد ما حواه أى ضمه ولواه أى مطله . ويقال : بياك الله أى رفعك (764) وبييت البناء : رفعته . ويقال : رجل ذو فوق أى هو صحيح العمل . والسهم ما دام ذا فوق فهو صحيح ، فاذا ذهب فوقه ذهب ، ويقال : (765) تركت الامر شأوا مغربا أى بعيدا . ويقال : أصابت الارض خطرات من مطر أى فى مواضع متفرقة. ويقال : تغنى فلان بفلان أى هجاه . ويقال : هو مهذب العود تذور للتذى. ويقال : أرض حبرة أى مخضرة . ويقال : احاط القوم بالقوم ثلاثة أطواق ، أىثلاثة صفوف . ومتى انت منا ، أى متى تاتينا . وتقول : استضحيت استضحاء ، أى جلست فى الضح ، وهى الشمس . ويقال : قد عسكر الليل (766) أى سد المناظر . ويقال : هو اخلق من المال ، أى ليس له مال. ويقال : كان ذاك حين غارت عينه ، أى نامت . ويقال : رزق فلان الكفيت، أى يكفت اليه من الرزق ما يريد . يكفت : يضم . ويقال : شعبت بين الناس اى فرقت جمعهم . ويقال : لا يوقى من لا يتوقى . ويقال : مثل الماء أعز مفقود وأهون موجود . وفلان من أذرع الناس خطوا ، أى اسرعهم ، وفلان كريم السن أى الاصل ، ويقال : تمرس الرجل فى امانته أى أخفرها (767) . ومن الالفاظ السهلة قولهم : فلان حسن التنصل ، لطيف التوصل ، ويقال : فلان كميم عن الحجة (768) ، اذا كان لا يقوم لحجةنفسه ومن الفاظ الشعراء : هذا يوم منسدل السحابة ماطر . وهذا امر لا يحصى ولا يقصى أى لا يبلغ أقصاه . ويقال : ذهب القوم تحت كل كوكب . وذهبوا عباديد (769) وايدى سبا . وذهبوا أخول اخول (770) وفى وفلان عن اموال الناس مسكة أى امساك . وشمروحف (771) ، غداف اللون ، غربيب (772) . تقول لليوم الذى يقصره السرور : كوم كابهام القطاة ،

---

(764) من معاني بياك : قصدك بالتحية ، وقربك واضحك وبواك منزلا . راجع (الفاخر) ص 2 .

(765) الفوق فى السهم : موضع الوتر منه .

(766) اي أظلم ، وعسكر الليل : ظلمته .

(767) غدر ونقض العهد .

(768) كمم الوعاء : شد رأسه ، وكمم البعير : شد فمه ، وكمم الخوف فلانا : دفعه فلا يرجع .

(769) العباديد : الخيل المتفرقة فى ذهابها وايابها .

(770) اي واحدا بعد واحد .

(771) اي كثيف .

(772) الاسود الحالك .

ويوم كابهام الحِبارى (773) ويوم كسالفة الذباب . ويقولون فى قصر الليل: لم يكن غير شفق وفجر . واختلج الهم فى الصدر واعتلج . ويقولـــون : زفرات يألمن قلب الجليد . (774) . ويقولون : مات حتدى بحياة عذرك . ويقولون : لا تجرعنى مرارة امتنان الشافعين . ويقولون فى الخمـــر : تخالس العقل وتسرع فى الوفر . ويقولون : تضمت الخمر ما له . ويقولون : لا أفعله ما حسن الصبا بالشاب . ويقولون : ليس لحديث الموموق (775) ثمن . ويقولون : نظر غرب عاثر ليس بقاصد . قال : وانشد الفرزدق قول سالم بن دارة :

امن نظر غرب بكيت صبابـــة وقد تمرح العينان للنظر الغرب (776)

قال : قاتله الله ، ما امرح العينين احد قبله . ويقولون : عصى الدمع(777) امر الصبر . ويقول الشاكى : فلان عذاب رعف على به الدهر (778) وهذا امر اضحى من الشمس . ويقولون : فلان اذا سأل الحف ، وا (ذا) (779) سئل سوف (780) ، واذا حدث حلف ، واذا وعد أخلف . ويقولون : هــو ينظر نظر حسود ، ويعرض اعراض حقود . وما يبالى فلان علـــى أى

---

(773) ورد فى مجمع الامثال للميداني 128/2 رقم المثل 2970 : اقصر من ابهام الضب ومن ابهام الحباري ومن ابهام القطاة وانظر المعاني الكبيـــر 651/2 والمستقصى 283/1 رقم المثل 1197 و 1199 .

(774) عجز بيت لبشار بن برد وصدره : عندها الصبر عن لقائي وعندي انظـــر ديوانه 272/2 . ورواية العجز فى الاغاني 187/3 : زفرات ياكلن قلـــب الحديد . وانظر ترجمة بشار بن برد (ت 167 هـ) فى وفيات الاعيان 88/1 ومعاهد التنصيص 289/1 وتاريخ بغداد 112/7 والشعر والشعراء 643 وامالي المرتضى 96/1 وخزانة البغدادي 541/1 والاغاني (طبعـــة دار الكتب) 135/3 و 242/6 والكامل للمبرد 134/2 ونكت الهميـــان 125 والبيان والتبيين 49/1 والاعلام24/2 والفهرست159/1 وطبقات ابن المعتز 2 — 5 والنجوم الزاهرة 53/2 والموشح 246 وابو الفداء 11/2 ولســـان الميزان 15/2 ومعجم المؤلفين 44/3 .

(775) الموموق : المحبوب .

(776) البيت لسالم بن دارة الغطفاني ، شاعر مخضرم (ت نحو 30 هـ) ، انظر ترجمته فى : الشعر والشعراء 315/1 والخزانة 289/1 و 557 والاغاني 254/21 والاصابة 161/3 والمؤتلف 166 و فصل المقال 22 والميدانـــي 154/2 والعسكري 217/2 والسمط ص 688 و 862 وشرح التبريـــزي 205/1 والاعلام 116/3 .

(777) فى النسختين : الدمع (بفتح العين) .

(778) يضرب مثلا لمن استقبله الدهر بشر شديد ، وروايته فى الميداني : 34/2 رقم المثل 2542 : عذاب رعف به الدهر عليه .

(779) ما بين سا ( ) ساقط من النسختين .

(780) انظر المثل فى مجمع الامثال 29/1 رقم المثل 112 ، قاله عون بن عبد الله بن عتبة فى رجل ذكره .

تطريه (781) وتع . وفلان مقشب اذا كان ممزوج الحسب ، ومثلــه ذو الوصم ، وذو القادح ، ومثله المدخول (782) ، وذلك كله الذى فى أصـــله مغمز . ويقال ، للرجل الداهى : هو داهية الغبر (783) . ويقال : هو الذى لا يستقيم منه امر الا انتقض من جانب آخر ، شبه بالدبرة التى بين اعلاها وأسفلها دو . ويقولون : رجل مسبه أى ذاهب العقل . ورجل مسفار : قوى على السفر . ويقولون رجل مشؤوم ، احص ، انكد ، نحس ، دا حس (784) ورجل هدار ، وهذار ، كثير الكلام . وهجار : كثير الجلبة ، وربــــذ ، ومهرق (785) . فاذا كان قليل الكلام قيل : نزور مسيك ، قدع . ويسمى من الادلاء الذى يشم التراب : السواف ، والذى يعرف الماء تحــــت الارض الأرض السمام ، والذى يزجر الطير العائف ، والذى يضرب بالحصـــى الطارق (786) ، والذى ينظر فى الخيلان الحازى ، الذى ينظر فى الاعضاء القائف . وفى صفه الصحارى : جداء (787) مثل الترس . وفى صفة السيوف: يقيل الموت تحت ظباتها . ويقول الرجل لاخر : لترغب فى كذا ؟ فيقول نعم بعينى . ويقال : هذا أمر مرغب ، أى يرغب فيه . ويقال : تطاوحت بهــن النوى ، ويقال : زنت ، ورمت بهن المرامى . ويقولون: طوارق هم احتضرن وسادى . ويقال : فلان كدر العيش ، مرنق العيش ؟ ويقال : طواه الدهر ودارت عليه صروف الليالى ، اذا مات ، ويقال : القى مراسيه بالمكــان : أقام به ، ويقال : ذكت نار الشوق فى فؤادى ، ويقال : كان ذلك فى نهضة الضحى . ويقول قائلهم :

كأنى اخو ظمأ سدت عليه المشارع

ويقال : شرب حتى نقع وبضع ، وهذا ماء نقوع وبضـــــوع ، أى مرو (788) . وغبر الهوى والشيء : بقاياه . ويقال : استوى حاجب الشمس وترفع . ويقال : ليس للمقيد الا أن يحن ــ وتقول : مزجت الشـــــــراب وشججته ؟ ويقال : صرفه اذا شربه صرفا . ويقال : « سحك بامـــــرىء

---

(781) اي ملى اي شقيه .
(782) الذي ينتسب الى قوم ليس اصله منهم .
(783) جاء فى اللسان مادة غبر 306/6 : داهية الغبر : داهية مظيمة لا يهتدى لمثلها قال ابو عبيد من امثالهم فى الدهاء والأرب : انه لداهية الغبر .
(784) اي مفســـد .
(785) هكذا فى الاصلين ولعلها مهرف (بالفاء) من الهرف : وهو الهذيان .
(786) فى النسختين : الطارق (بضم القاف)
(787) اي يابسة لا ماء فيها .
(788) من أمثال العرب : حتام تكرع ولا تنقع : انظر الصحاح 1293/3 و (حتى متى تكرع ولا تبضع) : انظر الصحاح 1187/3 .

جعله » (789) اذا ابتلى بمن يمازحه . ومن الفاظ الشعراء : ما سرق سرك منى سارق . ويقال : الطير تحوم حول الماء، وتلوب، وتسوم ، وترنق(790) ويقال : فعلت ذلك والزمان وريق . ويقال : غضب عليه وكسر فيه حرنـا به (ا آ) . وفلان يسمو (791) بعرنين اشم . وفى الذم : لا يعاف ظلامة، ولا يعلم اين الوفاء من الغدر . وستناهم على صغر (792) . ويقال : هو أقصر يدا ، والأم من أن يبلغ عالى الامر . ومن الأبيات التى يتمثل بها :

أبا مالك لا يدرك الوتر بالخنا   ولكن باطراف الردينية السمر

ويقال : لقيناهم فما خمشوا فينا بناب ولا ظفر . ويقال : بات فـلان بحيث بنى اللؤم (793) بيته ، ويقال : سنح فلان لى وبرح لأكلمه فما كلمته كأنه يريد آتانى من كل جانب (794) . ويقال : كان ذلك فى أيام الصبا(795) وفى لياليها الموارم . هذه أرض بيداء ممحال ، وهذه أرض نازحـة الصوى (796) أى الاعلام . ويقال : بك تثبت (797) رحى هذا الامـر . ويقال للقوم يوصفون بالفضل والشرف والحسب: أولئك قوم عين الماء فيهم. ويقول : الى الله منك المشتكى والمعول (798) . ويقال : أستدارت عليهم

---

789) انظر جمهرة الامثال 217/2 وفيه : سدك به جعل وهو دويبة تتبع الـذي يريد الغائط . ويضرب لمن يفسد شيئا والمثل فى الميداني 342/1 رقم المثل 1822 وهو فى المستقصى 118/2 رقم المثل 408 وفيه . يضرب لمن لج به من يدفعه عن حاجته وهو فى المعاني الكبير 269/2 .

790) ترنق : اي تخفق بجناحها

(ا آ) : لعلها : حد نابه .

791) فى الاصل (يسموا) بزيادة الف .

792) هو الصغار والذلة .

793) الواو غير مهموزة فى الاصل .

794) السانح : ما ياتي عن اليمين والعرب تتفاءل به . والبارح : ما ياتي عـن اليسار والعرب تتشائم منه .

795) فى الاصلين : الصبي .

796) الصوى : جمع صوة وهي الحجر يكون علامة للطريق .

797) رحـى : فى الاصلين رحا .

798) عجز بيت للاخطل وتمامه :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة   الى الله منها المشتكى والمعول

انظر : ديوان الاخطل ص 10 وانظر ترجمة الاخطل وهو غياث بن غـوث التغلبي (ت 90 هـ) فى ديوانه وفى المراجع التالية :
الاغاني (طبعة دار الكتب) 280/8 والشعر والشعراء 393 وشرح شواهد المغني 46 وخزانة البغدادي 219/1 ودائرة المعارف الاسلاميـة 515/1 والموشح 132 ومعجم الشعراء 21 وكشف الظنون 774 ونقائض جريـر والاخطل 52/3 والاعلام 318/5 ومعجم المؤلفين 42/8 .

عقاب المنايا . ويقول : خيل انطوت من السرى . ويقال : نحن في محلــــه محلال (799) . ويقال : شردهم واذالهم . ويقال : حل فلان صرار الشر ، ويقال في القوم يخلون بعد العز : صارت أيمنهم اشملا، ويقال للأمر يشتهر: قد تصفقت به الاحاديث ، ويقال للرجل يسكن الأمر الهائج : قد جذ أخية الشغب (800) . ويقال : له ملك لا طريف ولا غصب . وفلان مستخفــف للنوائب ، وهذه حرب عضوض . ويقال للبخيل : هو عاري الخوان . ويقال للرجل يسر بصنيع نفسه : انما أجزيت وحدك . كما يقال : « كل مجــــر بالخلاء يسر » (801) . ويقال : عيش كحاشية البرد ، وعيش كحاشيــة الفرند . ويقال : فرس حطم (802) عثور (803) ، ومضى لفرسه لاطبعــا ولا مبهورا (804) . ويقال : في بني فلان رباط اللؤم (805) . ويقال للرجل يشتد عليه الامر : لقد لاقيت مطلعا (806) وعرا . ويقال : سيقت نساؤهم سوق الجلائب (807) . ويقال : جاء بجيش كسواد الليل . ويقال : وسمــه وسما ذا حبار أي ذا اثر . وسيوف رقاق (808) النواحي كانها عقائــق . ويقال : تركوا اسرى وقتلى وأشلاء مغادرة . ويقال للاحمق : هــــو يتهوك (809) . ويقال : له حسب اشم ونبعة لا تقطع . ويقال للذي يستذل: له نبل قصار وقوس ليس فيها منزع (810) . ويقال : ضاق به الطريق وعز

---

799) هي التي تحل كثيرا .

800) في ا : الخية ، والتصويب من (ع) . وفي النسختين : السغب وهو تصحيف والصواب : الشغب وهو تهييج الشر . قال الاخطل :

لقد علمت تلك القبائل اننـــا مصاليت جذامون آخية الشغب

واخية وأخية وآخية بمعنى وهي الخشبية التي تدفن في الارض تربط بها الدابة . ومعنى العبارة : انه استأصل دعائم الشر .

801) انظر المثل في : جمهرة الامثال 142/2 ، يضرب مثلا للرجل يعجب بالفضيلة تكون منه من غير ان يقيسها بفضائل غيره . وفيه : في الخلاء . وانظر فصل المقال 172 والميداني 54/2 والمستقصي 269 والبيان 203/1 والحيـــوان 88/1 .

802) الهزيل المسن .

803) الكثير العثار .

804) الطبع : اللؤم والدنس ، والمبهور : المنقطع النفس اعياء قال جرير في وصف السيف :

واذا هززت قطعت كل ضريبة وخرجت لا طبعا ولا مبهـــورا

805) الواو في الاصلين ساقط الهمزة .

806) مطلع الجبل : مصعده ومأتاه .

807) الجلائب : ما يجلب من خيل وابل من بلد الى آخر للبيع .

808) في النسختين : رقان وهو تحريف .

809) التهوك : التحير والوقوع في الامر على غير بصيرة .

810) في الاصل : منزع (بفتح الميم)

عليه الورد والصدر . ويقال . للممدوح (811) : يقصر دون غلوته المغالى (812) ويقال : تركت القوم يحيرون الامور اذا دبروها . ويقال : فلان نبعة قومه يعصبون به . ويقال : تعايا به الايراد والصدر ، اذا عى بأمره . ويقال فى الذم : قوم تناهت اليهم كل فاحشة . ويقال : كان ذاك وفى عيشنا غرر . ويقال للقوم يوصفون بالجشع : هم خضع الى الطمع القليل . وفى المدح : هم نجب من السر العتيق . ويقولون : مكان متماحل جدب المعرس ، ومكان نابى المناهل طامس الاعلام . ويقال: له ملك أفيح (813) . ويقال : ما عجوزه بمنجبة ، ولا أبوه بفحيل . ويقال : هو عز بناه الله يوم بنى الجبال ، ويقال للشجاع : يستهزم الجيش باسمه . ويقال : كان ذاك حين لا نبيع زماننا بزمان . ويقال : أنت على وضح السبيل . ويقال فى ذكر الشرف : باذخ ، صعب الذرى ، ممتنع الاركان . ويقال : دعوت فلانا فانجد الدعوة ، اذا أجاب . ويقال : فلان حسن الجهر ، أى الهيئة والمنظر . ويقال : ما هو بذى طعم ، أى ليست له نفس ولا حيلة ولا نجدة ، ويقال : أنت أبطنت فلانا دونى ، أى جعلته أخص منى (814) . ويقال : بينه وبينه شأو بطين ، اذا كان ما بينهما بعيدا . ومن باب التخصيص: باطن فلانا فلان وظاهره (815) اذا كان يعلم أمره كله ، ويقال : تنزع فلان القوم اذا ركبهم وشتمهم . ويقال : بئس ما أفرغت بهذا الأمر ، أى بئس ما ابتدأت به . ويقال: للرجل اذا تزوج فى أشراف القوم : تنزع فى بنى فلان . ويقال : هو الزم لك من شعرات قصك (816) ، ويقال : فرس يغم انفاس الجياد ، وذلك اذا اتعبها حتى تنبهر وترتد أنفاسها فى اجوافها . وفى كلامهم : ذهب كلب (817) الشتاء، ووجد الدفء (818)، وساخ الثرى، ومأد (819) العرق، وأورق العود ، واختلفت رؤوس (820) الابل ، ولفظت الارض النبات . ويقال : استجزرت الغنم اذا سمنت . ويقال : ليل غداف (821) الاهداب ، ويقال : رجل الوث بطىء منتشر غير احوذى ولا مشمر . ويقال : اقبل

---

(811) فى الاصل الواو ساقطة .
(812) المغالي : الرافع يده بالسهم يريد به اقصى الغاية .
(813) الافيح : الواسع .
(814) فى اللسان 200/16 : ابطنت الرجل اذا جعلته من خواصك . وانظر العبارة فى اللسان فى الموضع المذكور مادة (بطن) .
(815) فى الاصلين : ظاهره .
(816) القص : الصدر ، وانظر المثل فى مجمع الامثال 250/2 رقم المثل 3714 وروايته فيه : « الزم من شعرات القص » . والمعنى انه لا يفارقك .
(817) اي حدته .
(818) فى الاصلين : الرف (بالراء) وهو تحريف .
(819) فى الاصلين : ماد بدون همز ، وماد العرق : امتلأ ريا .
(820) فى الاصلين : رؤس بواو واحدة .
(821) فى ا : غذاف ، تصحيف .

صارا ما بين عينيه (822) من الغضب . ويقال : انا استوثق منه واستعهد . ويقال : أيام غر محجلة ، وأيام طوال وكبار . ويقال : هو شيطان يخاف ذبابه . ويقال : فعلت به ما ساء وجهه ، ويقال هو عنيف عاف (823) عن كل قبيح . ويقال : هو شؤم (824) الد غشوم . ويقال : جاء بجيش كركن الطود لا تساير حجرتاه ، (825) ويقال : ما ردك عنى بقيا على ولكن لم تجد متقدما . ويقال : مفازة (826) مثل ظهر الاديم مسحاء مابها اثر . ويقال : أتانا بعد طبق من الليل (827) . ويقال : أتانا أمر طبق ، أى عظيم (828) . ويقال : ما تقعدنى عنك شغار (829) ، أى ما عاقنى . ويقال: أرض بعيدة لا يقصيها البصر ، أى لا يبلغ أقصاها . ويقال فى الدعاء : امض أصبت غنامة وسلامة .

ويقال : هو فى عيش ماصر ، أى بلغة لا خير فيه ، وهو من قولك عنز مصور ، أى قالصة اللبن . ويقال : لهم غلة يمتصرونها ، أى يأخذونها (830) قليلا قليلا ، ويقال : فسد الجرح ، وعرب ، وذرب ، وفى لسانه ذرب أى فحش ، وليس هو من الذرابة ولكنه من الذرب . قال :

أرحنى واسترح منى فانى ثقيل محملى ذرب لسانى (831)

ويقال : ناهيك به وجازيك به (832) . ويقال : له عيال متضافون ، اذا كثروا وقل مالهم . والاصل الضفف فى العيش والقلة ، ويقال : أتت عليهم السنة وازمتهم (833) ويقال : جاء حين انفتق ضوء الصبح . ويقال : مضى ذلك الدهر ونسل . ويقال : هو جواد يعطى الرغائب . ويقال :

وكان ضياء يتبع الناس أمره كما يهتدى السارون بالقمر البدر

(822) اي مقبض ما بينهما .
(823) فى النسختين : حاف .
(824) فى الاصلين : توم ، وهو تحريف .
(825) حجرتا الجيش : ميمنته وميسرته .
(826) المفازة لغة المنجاة ، سميت بذلك تفاؤلا .
(827) طبق الليل : معظمه او بعضه .
(828) وجاء فى نوادر ابي مسحل 22/1 : نزلت بهم احدى بنات طبق وهي الدواهي. وانظر اللسان مادة طبق 83/12 .
(829) فى ا بضم الشين والصواب ما اثبتناه ومعناه : المداوة والطرد والنفي .
(830) فى ا : ياخذنها .
(831) البيت فى مقاييس اللغة 353/2 مادة (ذرب) من غير عزو . وهو فى اللسان مادة (ذرب) 372/1 من غير عزو . وهو فى أساس البلاغة مادة (ذرب) 295/1 من غير عزو أيضا .
(832) بمعنى حسبك به .
(833) أي استأصلتهم .

ويقال : تهدم عرشه ، وشالت نعامته : وأشرف على الردى . ويقال : هو معيب ، موصوم الاديم . ويقال : هو يحطب على نفسه النكراء . ويقال: للرجل يصاب بشدة بعد شدة : هو يمل بجدع بعد عقر . ويقال : فـرس سامى المعذر (834) صافى أديم الخد . ويمدح الرجل فيقال : هو معقـل الجانبين (835) . ومؤتلف الغارمين . وجاء فلان فى لفيف واشابات ملزقة . ويقال : البغى مصرعه ، والبغى متصمة ، ويقال للامر يكون ثم يمضى : درجت ما درجت ثم انقضت ، يشبه بالليلة تمضى . ويقال (836) : نظرت اليه فرويت منه عينى . ويقال : تهور كبر الليل (837) ويقال: رجل حاد اخو مشايحة (838) ذفيف (839) ، ويقال : التقينا وكلانا حنق أنوف ، ويقال فى صفة السيف : أبيض يخطف الابدان . ويقال : افعله ما دعا الله عابـد . ويقولون فى صفة الحرب : الموت راكد والمنايا مطلة . ويقال : قد أغلق صدره على الحسد. ويقال: هو أبلخ(840) ضخم الكبر . ويقال فى الذم: توبته مبطنة بكفر . ويقال للرجل الرث الهيئة : خلق الادراس (841) أشعث ، شاحـب. وقال بعض العرب : أرمت على عنصوة من المال ابقتها السنة حتى جاء الله جل وعز بالحيا . ارمت . امسكت عليها واعتصمت بها ، والعنصوة : البقية، والحيا : الغيث . ويقال : تهاون بالامر وفسخ عنه . ومضت من الليل ساعة ثم تهجدنا فلان ، اذا جاء فى ذلك الوقت . ويقال : أكل معى فاخضمته ، أى القمته . ويقال : هو حنيك ، أى شديد الاكل . ويقال : محجة الطريق ، وملكه وعدله ، أى وسطه . ويقال : قذفه بقذيفة قبيحة اذا شتمه . ويقال : صلينا أعقاب الفريضة تطوعا ، وصلينا اكساءها (842) . ويقال : ماللت له الشىء، اذا أخبرته بقلته وان كان كثيرا لئلا يطمع فيه . وكاثرت له ، اذا اخبرتـه بكثرته تطبيبا لقلبه . ويقال : هم على مصابة آبائهم ، أى على طريقتهـم وقصدهم ومذهبهم . وتقادعوا على ، اذا جاءوا يتلو (843) بعضهم بعضا. ويقال : بقيت عندنا شخب من مال ، ونصايا من مال ، يراد ما أبقته السنة.

---

834) موضع العذار من الفرس .
835) فى الاصل : الحانبين وهو تصحيف . والجانب : الغريب . والغارم : الذي لزمه الدين .
836) فى الاصلين : فيقال .
837) فى الاصلين : كير ، وهو تصحيف . وتهور : مضى . وكبر : معظم .
838) اخو مشايحة : أخو حذر وجد .
839) الذفيف : الخفيف السريع .
840) الابلخ : المتكبر الاحمق .
841) خلق الادراس : بالي الثياب .
842) اكساءها : اي مآخيرها .
843) فى الاصلين : يتلوا بزيادة الف .

ويقال في الذم : سالت عليهم شعب المخازى . ولهم صبر على عض الهوان. ويقال : هو يمتبق الحزن ويصطبحه . ويقال في المدح : يستوحش الدهر لفراقهم . ويقال : حرب شمطت أصداغها . وفلان بعيد مسافة الرأى ، اذا مدحوه بجودة الرأى . ويقال : كف ضمنت يسار المعدمين . ويقولون : فعلنا ذاك والخير يومئذ ذو عينين والشر أعمى . ويقال : هو أكثر ذنوبا من الزمان . ويقال في المدح : بيده ناصية الوفاء . ويقال : لا تلمني (844) في أمر يعذرني فيه الاجتهاد . ويقال : دبغت عيني . ويقال : أقبل الليل يسحب النجوم . ويقال : هذا الشيء همي ووسني . ويقال للبليد : في فؤاده هدنة (845) ، أي نومة وقلة انتباه ، وفي فؤاده هبتة مثل ذلك . والرشد : الضعفة من الناس . يقال : تركنا على الماء رشدا لا يطيقون تحملا . ويقال : المبد (846) أوشل القوم حظا ، فانه يكون آخرهم وأقلهم حظا . ويقال : استوضحت الشيء وذاك اذا نظرت اليه ، ووضعت يدك على حاجبك من الشمس . والشيفة : الذى يشتاف للقوم ، ينظر ويرتقب . السيقة الطريدة .

قال :

وهل انا الا مثل سيقة العدى ان استقدمت نحر وان جبأت عقر (847)

ويقال : ما رأيت في الخالفة شرا منه ، أي انه ردىء الارديا . ويقال : أبيعك العبد وابرأ اليك من خلفته (848) ، وهو هونه (849) وسوء أخلاقه. ويقال : فتى زين للمواكب والشرب . وفي استعارتهم : أصبح عرنين

---

(844) في الاصل : لا يلمني (بالياء) .

(845) جاء في المخصص 49/3 : الهدان : الاحمق الوخم الثقيل .. والاسم الهدن والهدنة

(846) المبد : الذي يتولى اعطاء كل شخص بدته ، اي نصيبه .

(847) البيت في اللسان مادة (جبا) : 35/1 من دون عزو وهو في اللسان مادة (سوق) من دون عزو أيضا .
وهو في الصحاح مادة (سوق) 1500/4 من غير عزو .
وهو في الصحاح مادة (جبأ) 40/1 وقد شرح المحقق في الهامش انه لنصيب بن أبي محجن .
وهو في تاج العروس (ساق) 387/6 لنصيب بن رباح وهو في ديوان (شعر نصيب بن رباح) — جمع وتقديم الدكتور داود سلوم — بغداد 1968 — ص 92 .
وجبأ : تأخر وخنس ، وفي معنى البيت لمن وقع بين شرين لا ينجو من أحدهما قالوا : « كالأشقر ، ان تقدم نحر ، وان تأخر عقر » . انظر جمهرة الامثال 152/2 .

(848) اي مساده ، وانظر النص في اللسان مادة خلف 441/10 .

(849) في الاصلين : هوقه (بالقاف) وهو تحريف . والصواب : بالفاء وهو الحمق .

المكارم أجدع (850) ، وفى المدح : هو امرؤ تعلق به حدق العفـــاة (851) وأنفس الهلاك . ويقولون : مان طيب الثرى . ويقال فى الرجل يستطيل على جلسائه : هو رب على من يقاعد . وفى المدح : عف الشمائل طيب الاخبار . وفلان تمنى اليه المفاخر . ويقولون : قد توس من الكبر . ويقولون : نزلت انضى حجرة الحى . ويقال : له لسان غير ملتبس وقلب غير مزؤد (852) ويقولون : فى اليأس ناه . ويقولون : دهر شره دون خيره . ويقـــال فى المدح : هو أبيض وضاح . ويقال لمن تغافل عن اساءة صديقه : « ارتوى مآءه » (853) على رنق . وفلان يتشمس من فلان ، اذا كان يأباه وينفر من فعله . ويقال : هو بعيد القلب ، حلو اللسان . ويقال : قد علقت من فـــلان بأسباب متان . ويقال للرجل العبوس : لا يتبسم وما يبدى عن ظهر واضحة وتقول : انا محنى الضلوع على مودتك . ويقال فى الذم : هو يضيع ثغور الحقوق . ويقال : حار ماء عينى فى جفنى . ويقال فيمن لا محصول له : لا خل هو ولا خمر ؟ ويقال للدهر : هو أعصل (854) ذو شغب وفـــلان فى مخفوض من العيش بارد . ومكر فلان بفلان ، واوبقه (855) وحفر لـــه عاثورا (856) . ويقال : ترك هذا الأمر نفسى شعاعا ، أى متقسمة . ويقال: كان ذاك ووجه الدهر بالخير مقبل . ويقولون للمحتاج قد غضته الحاجة . ويقال : كان ذاك وغصن الشباب وريق ناعم الشعب . ولا أفعل ذلك وما استن جارى الماء . ويقال فى الذم : هو جبان الليل ، نوام الضحى . ويقولون فى حسن الطاعة : هو فيما تدعوه قدح (857) مقوم . ويقال : سألتـــه فنكد (858) . ويقال : سألته فأحقدت اذا لم أصب منه شيئا ، واذا اعطى قليلا قالوا أوشى ، فان أعطى كثيرا فقد اركز وكل هذا مستعار مـــــن فعل المعدن . وقال أعرابى لرجل كلمه بكلام قبيح : ادبر بشر ما أقبلت به . وتقول : ما بها انسان ولا صافر (859) وما أحسن محيـــاه وجهـــره

---

850) فى الاصلين : اجذع ؛ وهو تصحيف .
851) جمع عافي ، وهو كل طالب فضل او رزق . وفى الاصل العفاة وهو تحريف .
852) غير فزع ولا خائف .
853) ما بين قوسين مطموس فى ا وهو بياض فى ع تتلوه : اءه
854) المعوج فى صلابة .
855) فى ع : ابقه ، وهو تحريف . واوبقه : اهلكه .
856) العاثور : حفرة تحفر للاسد . يقال لمن تورط : قد وقع فى عاثور شر ، اي فى شدة .
857) القدح : السهم قبل ان ينصل ويراش .
858) فى ع : فنكل ؛ وهو تحريف . ونكد الرجل : كثر سؤاله وقل خيره .
859) انظر المثل فى جوامع كتاب اصلاح المنطق ــ زيد بن رفاعة حيدر آباد الدكن ــ 1354 هـ ص 213 .

وسنته (860) . وهو عظيم القمة والشرف . وفلان حديد الناظر والبرقاء (861) والصادقة والطارقة (862) . وهو حسن المعطس والمرسن والراعب أى الآنف . وهو جيد المنصل والمقول والمذود تريد اللسان . وهو حسن الهادى والتليل والابريق يريد الجيد (863) . وهو حسن اللبة والنحر (864) . وهو حسن السالفتين (865) والصفحتين والصليفين (866) واللديدين والليتين (867) . وهو حسن الحيزوم (868) واللبان والقص والبرك (869) . وهما عضداه وضبعاه (870) . وهى الاضلاع والحوانى والجوانح . وهى الخاصرة والقرب (871) والصفاق (872) . وهو الجنب والحنو والدف والحصير والصقل . وهو البطن والجفرة . وهو المتن والمطا والقرا (873) للصلب . وهو الجسد والجثمان والأجلاد . وهى القوابض والبنان . وهى المفاصل والأبداء والآراب والفصوص والأوصال والكسور. وهوالدم والنجيعوالبصيرة والتامور والعلق واللون والليط والنقبة والديباج. وهو الشخص والزائلة والسواد والآل . وهو العقل والعقدة والمسكة والحصاة والنهية والارب . وهو الحمق والموق والأمن والوره . وقد تسمع وارعى واصاخ واصغى وتوجس . وهو الصوت والركز (875) والفديد والنبأة . وهو السرار والهمس والوحى والمواهسة والسواد . وهو الجهر والاشادة والاصاتة والاسماع ، وهو الشم والسوف والتنسم . وهو طيب الريح والريا والنشر والارج العرف والنشوة . ونظرت وكلأت ورمقت ورنوت . وهى الطبائع والسلائق والنحائت والضرائب . ويقال : تزوج (876) فى بنى فلان وصاهر واتصل ، وقد بنى على أهله وتبعل . وهو

---

860) سنة الانسان : وجهه .
861) يقال للعين برقاء لسواد حدقتها وبياض شحمتها .
862) لعلها الطارفه .
863) الجيد : العنق أو طوله .
864) النحر : موضع القلادة ووسطها يقال له : اللبة .
865) السالفة : صفحة مقدم العنق .
866) الصليف : ناحية العنق .
867) الليت : صفحة العنق وما خلف مذبذب القرط .
868) الحيزوم : الصدر .
869) البرك : وسط الصدر .
870) الضبع : وسط العضد . العضد كلها . الابط . وقيل ما بين الابط الى نصف العضد من أعلى .
871) ضبطت بفتح القاف والذى فى اللسان مادة (قرب) بضم القاف .
872) الصفاق : الجلد الاسفل دون الجلد الذي يسلخ وهو الذي يمسك البطن واذا انشق كان منه الفتق .
873) القرا : متصل الظهر بالعنق .
874) فى الاصلين : الابذاء وهو تصحيف .
875) هكذا فى الاصلين بفتح الراء والذي فى المعاجم بكسرها .
876) فى الاصل (تزوح) بالحاء المهملة .

الطلاق والبين والرد والتخلية والسراح . وعقمت المرأة وعقرت وحالت واعتاطت . وفى خلافة حملت وعلقت وضمت . فاذا قرب ولادها قيل احجنت (877) وأدنت . فان اسقطت قيل : أجهضت وازلقت . واخدجت اذا أتت به ناقصا . ويقال : ولدت المرأة ومصمت وتذفت . ويقال : هو وسخ درن تشف . ويقال للأثر : البلد والندب والحبار. ويقال : مشى وخطا وراس وماس ودرج . فاذا عدا قلت : احضر وخشف (878) وبفلان خفة وطيرة وبادرة . ويقال : جاء بغتة واغتنالا والتقاطا وبدها وفلاطا وغشاشا . وتقول : لا اثم عليك ولا جنف . وفلان يدارى فلانا ويفانيه ويداملـه ويصاديه . وهو يمكر به ويمحل ويختل ويأدو (879) له . ويقال: بخسه حقه ونقصه والته . ويقال : جاع وغرث وسغب وطوى . فان كان واجدا ولم يأكل قيل : طوى . وفى ضده شبع وبه كظة وثقلة . وهو العطش والغيم والغلة والأوام . وفى الرى : النقوع والبضوع . فاذا قل الشرب قيل : تمزز وتشفف . وقد غص وجرض وشرق . ويقال : به رعدة وقل وافكل . ويقال للعرق : الرشح (880) والمسيح والحميم والنجد . ويقال : بكى ونشج. ويقال : نشط وعرص(881) والميعة النشاط. ويقال: اعيا وبلحوطلح وانبهر وحسر وكل كلالا . وهم الناس والانام والورى والعالم والنفر والصحب والحضيرة والأسرة والزمرة واللمة . وهو فرد ووحد (882) . ويقال : صديقه وخله وخلمه وسجيره وعشيره . وهى زوجته وحنته ووعيدته وربضه . وهو تربه ورئده وحتنه . وهى الحاضنة والكافلة والرابة. وهم الخدم والمناصف والعسفاء والحفان . وهذا زعيمك وكفيلك وغريرك وضمينك وقبيلك . وهم من انفس العرب وسرهم وعيننتهم وعقليتهم . وفى ضده من ارذالهم واوشاظهم واشراطهم . وهى القرابة والسهمة والال . ويقال : جئت فى أبانه وعدانه . ويقال : هى غايته وقصاه . ويقال: هما سواء وبواء وشرع . وقد والى بين شيئين ولاء ، وعادى عداء ، وواصل وصالا. ويقال : هو حدل غير عدل . وقد ماط على فى الحكم .وقد اصلحت بين القوم، واسوت ، ورأبت بينهم . وقد غفرت الامر بغفرته (883) ، وانا اعطف على فلان واعينه واشبل عليه . وقد اختلط على القوم أمرهم واربث . وقد عميت

---

877) احجنت : اي اعوجت من ثقل حملها وفى الاصل احجت وهو تحريف .
878) فى الاصل : حشف بالحاء وهو تصحيف .
879) فى الاصل : ويادوا ، بالف زائدة وبدون همز ، انظر اللسان مادة (ادا)
880) فى الاصل : الوشح وهو تحريف والصواب ما اثبتناه ، وهو العرق من تعب او حمى .
881) فى النسختين : عرض ، وهو تصحيف .
882) فى ع : وحد .

عليه الخبر ودمست عليه الخبر . ويقال بلغنى فرو من الحديث ، ورس من الحديث ، اذا بلغك بعضه . ويقال : رجعت الى الحق وافرغت وعنوت . ويقال : تفرق القوم ، وطالوا ، وتمايطوا . ويقال : حبسه وشجره . ويقال: لقيته مصارحة وكفاحا . ويقال : لقيته بين الظهرانين ، ولقيته عن عفر أى بعد شهر ونحوه . ويقال : ملكت فلانا أمره ، وسومته أمره ، ودينته فى أمره ، أى ملكته اياه . قال الحطيئة :

لقد دينت امر بنيك (884) حتى   تركتهم ادق من الطحين (885)

ويقال : ذهب بحته ومصح بحته . وحدثت هذا الخبر عن فلان ، ودبرته عن فلان ، بمعنى ، ونظرت فأشب لى فلان اذا رأيته من غير ان ترجوه . أو تحتسبه . ويقال : عظمت فلانا ورجبته ، وفلان يرفل أى يعظم . قال ذو الرمة :

اذا نحن رفلنا أمرأ ساد قومه   وان لم يكن من قبل ذلك يذكر (886)

قال الشيخ أبو الحسين احمد بن فارس أطال الله بقاه : الكلام كثير ، ومن طمع منا فى الاحاطة بجميعه فقد زعم غير مزعم ، وارجو ان يكون ما كتبناه نافعا فى بابه ، لمن حفظه وأحسن تصريفه فى خطابه وكتابه ان شاء الله .

قوبل بأصله الذى نقل منه وعليه خط مؤلفه رحمه الله فصح

تم الكتاب والحمد لله وصلواته على النبى محمد وآله الطاهرين الاخيار وحسبنا الله ونعم الوكيل والمعين .

---

(883) اي اصلحته بما ينبغي ان يصلح به انظر المنجد ص 583 .

(884) فى النسختين : نيتك وهو تحريف .

(885) البيت للحطيئة من قصيدة يهجو فيها امه : ديوان الحطيئة ــ تحقيق نعمان امين طه ص 278 وروايته :

لقد سوست امر بنيك حتى   تركتهم ادق من الطحين

(وادق من الطحين) ذهبت مثلا : انظر جمهرة الامثال 455/1 والمستقصي ص 50 والميداني 183/1 . وانظر البيت فى الصحاح والتاج مادة (دين) . وفى الاساس واللسان مادة (دين) ومادة (سوس) .

(886) البيت فى ديوان ذي الرمة ص 238 وروايته :

اذا نحن سودنا امرا ساد قومه   وان لم يكن من قبل ذلك يذكر

ابن خالويه اللغوي ونسبة كتاب الحجة إليه

الأستاذ عبد العال سالم مكرم
أستاذ بجامعة الكويت

شارك الاستاذ عبد العال سالم مكرم بدراسة حول « كتاب الحجة في قراءات الائمة السبعة في مسابقة المكتب الدائم حول اللغة وقد نسب هذا الكتاب الى ابن خالويه وقدم لتحقيق المخطوط ببحث لاثبات هذه النسبة ، ونحن ننشر هذه المقدمة مع نقد لها للاستاذ محمد العابد الفاسي :

ابن خالويه شخصية لم تظفر بالدراسة الواسعة بعد ، لانه في مجال القراءات ، والنحو واللغة لا تقل من هؤلاء الاعلام الذين ظفروا بمثل هذه الدراسة كأبي علي الفارسي ، وابن جني وغيرهما .

ولعي بهذه الترجمة الموجزة انير الطريق امام الباحثين ليتجهوا الى تراث هذا الرجل المطبوع والمخطوط ، ليقوموا في ضوئه دراسات وبحوثا ، تظهر مكانة الرجل في عصره ، ومكانة تراثه بين تراثنا الخالد .

نسبه :

سجلت كتب الطبقات ان اسمه : الحسين بن احمد ان خالويه بن حمدان : وكنيته : عبد الله (1).

نشأته :

ذكر ياقوت انه نشأ في همدان ، ثم وفد الى بغداد بعد ذلك ، ويشاركه في هذا الراي السيوطي في البغية (2) وقد سجل الرواة في سنة اربع عشرة وثلاثمائة دخل بغداد ليتلقى عن شيوخها ، ويأخذ عن اعلامها .

هذا ولم تتعرض كتب الرواة لسنة مولده ، وان تعرضت لسنة وفاته ، فقد اجتمعت على انه توفي بحلب سنة سبعين وثلاثمائة (3) .

شيوخه :

من شيوخه الذين كان لهم اثر كبير في تكوينه العلمي والثقافي :

1 ـ ابن مجاهد :

تلقى ابن خالويه على ابن مجاهد على القرآن الكريم والقراءات .

وهو : احمد بن موسى بن العباس التميمي ، كان يلقب في عصره بشيخ الصنعة ، ويكفيه فخرا انه اول من سبع السبعة ، وكان اليه المرجع في فن القراءات (4) .

1) البغية 1 / 529 ، معجم الادباء 9 / 200 .
2) البغية 1 / 529 ، معجم الادباء 9 / 200 .
3) البغية 1 / 529 ، معجم الادباء 9 / 220 ، غاية النهاية 1 / 237 .
4) غاية النهاية 1 / 142 .

2 ـ ابن دريد :

وهو ابو ابكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي ، تلقى عليه ابن خالويه النحو والادب . وكان ابن دريد شاعرا كثير الشعر ، ومن شعره المقصورة المشهورة، والقصيدة المشهورة التي جمع فيها بين المقصور والممدود (1) ولما مات هو وابو هاشم الجبائي في يوم واحد ، ودفنا في مقبرة الخيزران ، قال الناس : مات علم اللغة والكلام بموت ابن دريد والجبائي .

وقد رثاه جحظة فقال :

فقدت بابن دريد كل منفعة
لما غدا ثالث الاحجار والترب (2)

وكنت ابكي لفقد الجود آونة
فصرت أبكي لفقد الجود والادب

3 ـ ابن الانباري :

هو ابو بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري النحوي ، كان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين ، وأكثرهم حفظا للغة .

وكان ابن الانباري ـ كما يذكر الرواة ـ مهتما بالدراسة القرآنية فقد ذكروا انه كان يحفظ ثلاثمائة الف بيت شاهد في القرآن الكريم (3) .

وقال عنه : محمد بن جعفر التميمي : « اما ابو بكر بن الانباري فما راينا أحفظ منه ، ولا أغزر منه من علمه . (4)

ويحكى ابن الانباري عن نفسه فيقول : انه كان يأخذ الرطب ويشمه ويقول : « اما انك طيب ولكن أطيب منك ما وهب الله عز وجل لي من العلم » (5) .

4 ـ ابو عمر الزاهد :

هو ابو عمر: محمد بن عبد الواحد بن ابي هاشم اللغوي الزاهد كان من أكابر اهل اللغة ، واحفظهم لها ، اخذ عن ابي العباس ثعلب ، وكان يعرف بغلام ثعلب .

وقال عنه ابو القاسم عبد الواحد بن برهان الاسدي : « لم يتكلم في علم اللغة من الاولين والاخرين احسن من كلام « ابي عمر الزاهد » .

وقال فيه ابو العباس الشكري يمدحه :

ابو عمر اوفى من العلم مرتقى
يزل مساميه ويردى مطاوله

فلو انني اقسمت ما كنت كاذبا
بان لم ير الراؤون خيرا يعادله

الى ان يقول :

اذا قلت شارفنا أواخر علمه
تفجر حتى قلت هذى أوائله (6)

5 ـ ابو سعيد السيرافي :

هو ابو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي النحوي كان من ألمع نجوم عصره فسعى اليه ابن خالويه ، وجلس في حلقته ، وتأثر به تأثرا كبيرا ظهر في منهجه اللغوي والنحوي الذي سنتعرض له فيما بعد ،ذلك لان ابا سعيد كان كما يقول المرحوم الاستاذ احمد امين : « زعيم المحافظين في عصره (7) » حيث يرى ان اللغة مرجعها الرواية والنقل ، لا القياس والعقل .

وبهذا المنهج استطاع السيرافي ان يهزم (متى) المنطقي في مناظرة مشهورة جعلت الوزير ابن الفرات ـ وكان مشاهدا لها ـ يقول في السيرافي « عين الله عليك أيها الشيخ ، فقد نديت أكبادا واقررت عيونا ، وبيضت وجوها ، وحكت طرازا لا يبليه الزمان ، ولا يتطرق اليه الحدثان (8) » .

---

1) نزهة الالبا ـ 174 .
2) نزهة الالبا ـ 175 .
3) نزهة الالبا ـ 179 .
4) نزهة الالبا ـ 181 .
5) نزهة الالبا ـ 181 .
6) نزهة الالبا ـ 189 .
7) ظهر الاسلام ـ 2 ـ 91 .
8) الامتاع والمؤانسة : 1 ـ 128 ، 129 .

وبعـــــد

فاذا كان التلميذ صنعة استاذه ، فقد كان حظ ابن خالويه في تكوين شخصيته ، وتربية عقله وسمو تفكيره ـ كبيرا لانه جلس في حلقات هؤلاء الاعلام الذين ملأوا الدنيا بآثارهم الفكرية وانتاجهم الادبي الذي خلد ذكرهم ، وعطر في التاريخ سيرتهم .

رحــــلاتــــــه :

ذكر « انباه الرواة » انه دخل اليمن ، ونــزل ديارها ، وهي رواية النجحي اليمنـــي في كتابـــه « الاترجة » حين تعرضه لابن الحائك اليمني وشعره ، قال ما نصته :

« ومن المشاهد على ذلك ان الحسين بن خالويه الامام لما دخل اليمن ، ونزل ديارها ، واقام بها شرح ديوان ابن الحائك ومنى به ، وذكر غريبه واعرابه »

قال صاحب الانباه :

ولم اعلم ان ابن خالويه دخل اليمن الا من كتاب « الاترجة (1) » هذا ، وهو كتاب غريب قليل الوجود اشتمل على ذكر شعر اليمن في الجاهلية والاسلام الى قريب من زماننا هذا ، وما رايت منه نسخة ، ولا من ذكره الا نسخة واحدة جاءت في كتاب الوالد احضرت بعد وفاته من ارض اليمن (2) .

على اية حال كانت ، ان صحت هذه الرواية فمن المؤكد ان رحلته هذه الى اليمن كانت قبل رحلته الى حلب حيث سكنها ، وعاش في كنف سيف الدولة بها ، وهناك انتشر علمه (3) .

ويزيد « الانباه » انه تصدر ايضا بميا فارقين ، وحمص للافادة والتصنيف (4) .

واخيرا استقر به المقام في « حلب » حيث وافاه الاجل المحتوم في سنة سبعين وثلاثمائة .

حياتـــه الاجتماعيــــــة :

فيما يبدو ان ابن خالويه كانت معيشته ضنكا من الرزق فهو ، وان صحب سيف الدولة في حلب ، ثـم صحب ولده « شريفا » وغيره من آل حمدان بعد وفاة سيف الدولة فهذا لم يعطه الاستقرار الاقتصادي في الحياة رغم ذلك ، فقد كان يجري وراء المال ليستر العوز ، ويبعد الفاقة يــدل على ذلــك قولــه لسيــف الدولة حينما سال جماعة في مجلسه :

هل تعرفون اسما ممدودا وجمعه مقصــــورا ؟
فقالوا : لا .

فقال ابن خالويه : انا اعرف اسمين لا اقولهما الا بالف درهم لئلا يؤخذا بلا شكر (5) .

ويدل على ذلك قوله ايضا قوله :

وكم قائل قالي رايتك راجــــــلا
فقلت له من اجل انــك فـــارس

وقولـــه :

الجود طبعي ، ولكن ليس لي حــال
فكيف يبذل من بالقــرض يحتـــال

فهاك حظي فخذه اليوم تذكـــرة
الى اتساعي فلي في الغيب آمال (6)

معاصــــــروه :

ابو علي الفارسي :

في عصر ابن خالويه ظهر رجل له شهرتــه ، ومكانته في النحو واللغة والقراءات ، ذلك هو الحسن ابن عبد الغفار ابن سليمان الفارسي .

كان الفارسي من اكابر ائمة النحو ، وشغل الناس بآرائه في القياس والعلة ، والمنطــق والجــدل حتى فضله كثير من النحويين على ابي العباس المبرد .

1) الاترج : بضم الهمزة ، وتشديد الجيم فاكهة معروفة ، الواحدة : اترجة .
2) الانبـــــاه 1 ــ 326 .
3) البغيـــــة 1 ــ 529 .
4) الانبـــــاه 1 ــ 325 .
5) البغيـــــة 1 ــ 503 .
6) البغيـــــة 1 ــ 530 .

وقال فيه ابو طالب العبدي : ما كان بين سيبويه وابي علي افضل منه (1) .

وهذه المنزلة التي وصل اليها ابو علي في النحو جعلت عضد الدولة يقول : انا غلام ابي علي في النحو(2)

وكانت المنافسة بين ابن خالويه وابي علي الفارسي على اشدها . فقد كتب ابو علي كتابه « الاغفال » وذكر فيه ما اغفله شيخه ابو اسحق الزجاج في كتابه « معاني القرآن » ، ولكن هذا النقد الذي وجهه ابو علي الى استاذه الزجاج في «الاغفال» لم يرض ابن خالويه فتعقبه فيما كتب . وعقب على تعقيبه ابو علي في كتاب سماه «نقض الهاذور» وبسط الكلام فيه كل البسط وقد أورد البغدادي في خزانته طائفة من المسائل التي كانت موضع نقاش بين ابي علي وابن خالويه ، اذكر منها على سبيل المثال قول ابن خالويه : ان الواو اذا كانت في اوائل القصائد نحو : وقاتم الاعماق ... الخ . فانها تدل على رب فقط ، ولا تكون للعطف ، لانه لم يتقدم ما يعطف عليه بالواو .

وقال الفارسي في نقض الهاذور : هذا شيء لم نعلم احدا ممن حكينا قوله ذهب اليه ولا قال به (3) » .

وقال ابن الانباري في نزهة الالبا : « انه اجتمع هو وابو علي الفارسي فجرى بينهما كلام ، فقال لابي علي : نتكلم في كتاب سيبويه فقال له ابو علي : بل نتكلم في الفصيح .

ويحكى انه قال لابي علي كم للسيف اسما ؟ قال : اسم واحد ، فقال له ابن خالويه : بل اسماء كثيرة ، واخذ يعددها نحو الحسام ــ والمخذم ، والقضيب .. فقال ابو علي : هذه كلها صفات (4) .

ولم تكن منافسة ابن خالويه لابي علي الا صدى لمنافسة استاذه ابي سعيد السيرافي لابي علي الفارسي ، فقد كان ابو علي ــ كما يقول ابو حيان التوحيدي ــ « متقدا بالغيظ على ابي سعيد وبالحسد له ، كيف تم له تفسير كتاب سيبويه من اوله الى آخره بغريبه وامثاله ، وشواهده وابياته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، لان هذا شيء ما تم للمبرد ولا للزجاج ، ولا لابن السراج ، ولا لابن درستويه مع سعة علمهم ، وفيض كلامهم (5) » .

ولمنزلة ابي سعيد السيرافي في نفس تلميذه ابن خالويه ارسل الى سيف الدولة يعلمه تطاول الفارسي على السيرافي ، وهو تطاول غير محمود ، لان منزلة السيرافي وبخاصة بعد هزيمة (متى) المنطقي نسجت حوله ثوبا من القدسية والمهابة ، فلا يليق بابي علي او غيره أن ينال هذه الشخصية التي املت لغة العرب وذللت مصاعب كتاب سيبويه .

ولم يسكت الفارسي حينما علم خبر هذه الرقعة فارسل الى سيف الدولة رقعة ينفي فيها عن نفسه التهمة ، ويزيل اللبس ومن العبارات التي ضمنها رسالة الفارسي قوله : « من ذلك بعض ما يدل على قلة تحفظ هذا الرجل ــ (يعني بذلك ابن خالويه) فيما يقوله : هو قوله : لو يبقى عمر نوح ما يصلح ان يقرأ على السيرافي مع علمه بأن ابن بهزاد السيرافي يقرأ عليه الصبيان ومعلموهم ، افلا أصلح ان اقرأ على من يقرأ عليه الصبيان ؟ هذا ما لا خفاء فيه ، كيف وقد خلط فيما حكاه عني ؟

واني قلت : ان السيرافي قد قرأ علي ــ ولم اقل هذا ، انما قلت تعلم مني ، او اخذ عني هو او غيره ممن ينظر اليوم في شيء من هذا العلم ، وليس قول القائل : تعلم مني مثل قرأ علي ، لانه يقرأ عليه من لا يتعلم منه ، وقد يتعلم منه من لا يقرأ عليه وتعلم ابن بهراذ السيرافي مني في أيام محمد بن السري وبعده لا يخفى على من كان يعرفني ويعرفه كعلي بن الوراق .

ومحمد بن احمد بن يونس ، ومن كان يطلب هذا الشان من بني الازرق الكتاب وغيرهم ، وكذلك كثير من الفرس الذين كانوا يرونه يغشاني في (صف شونيز) كمبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي ، لانه كان جاري بيت بيت قبل أن يموت الحسن بن جعفر اخوه ، فينتقل الى داره التي ورثها عنه في درب الزعفراني (6) » .

1) نزهة الالبا 208 .
2) معجم الادباء 7 ــ 234 .
3) خزانة الادب 1 ــ 39 .
4) نزهة الالبا ــ 208 .
5) الامتاع والمؤانسة ــ 131 .
6) المسائل الحلبية لابي علي الفارسي ، ورقة 114 ، مخطوط رقم 266 نحو تيمور .

واني حرصت على تسجيل هذا الجزء من هذه الرسالة ليكون مثالا واضحا يدل على مدى التنافس الكبير الذي كان بين الرجلين ليظفر كل منهما بقلب سيف الدولة من ناحية ، وازدهار هذا العصر في مجالات اللغة والنحو من ناحية اخرى .

2 ـ المتنبي :

لم يكن ابو الطيب احمد بن الحسين الجعفي شاعرا يملأ الدنيا باشعاره وتسمع كلماته من به صمم فحسب ، بل كان لغويا نحويا متضلعا يدل على ذلك ان ابا الطيب « اجتمع هو وابو علي الفارسي ، فقال له ابو علي : كم جاء من الجمع على وزن فعلى ؟ بكسر الفاء ، فقال المتنبي : حجلى وظربى جمع حجل وظربان . قال ابو علي: فسهرت تلك الليلة التمس لها ثالثا فلم اجد احدا وقال في حقه : ما رايت رجلا في معناه مثله (1) » .

اتصل المتنبي بسيف الدولة يمدحه ويكثر من المدح فيه ، وكانت بينه وبين ابن خالويه في مجلس سيف الدولة مناقشات توضح مدى التنافس بين الرجلين .

يحكى انه لما انشد سيف الدولة بن حمدان قوله في مطلع بعض قصائده :

وفاؤكما كالربع اشجاه طاسمه

كان هناك ابن خالويه . فقال له : يا ابا الطيب : انما يقال : شجاه ، توهمه فعلا ماضيا ، فقال ابو الطيب : اسكت فما وصل الامر اليك (2) .

وقال له ابن خالويه النحوي يوما في مجلس سيف الدولة : لولا ان اخي جاهل لما رضى ان يدعى بالمتنبي ، لان معنى المتنبي كاذب ، ومن رضى ان يدعى بالكذب فهو جاهل ، فقال : لست ارضى ان ادعى بذلك ، وانما يدعوني به من يريد الغض مني ، ولست اقدر على المنع (3) .

وذكر الرئيس ابو الحسن محمد بن علي بن نصر الكاتب في كتاب : « المفاوضة » : حدثني ابو الفرج عبد الواحد بن نصر الببغاء قال : « واذكر ليلة وقد استدعى سيف الدولة بدرة فشقها بسكين الدواة ، فمد ابن خالويه جانب طيلسانه ، وكان صوفا ازرق ، فحثا فيه سيف الدولة شيئا صالحا ، ومددت ذيل دراعتي وكانت ديباجا ، فحثا الي فيها ، وابو الطيب حاضر ، وسيف الدولة ينتظر منه ان يفعل مثل فعلنا، او يطلب شيئا منها فما فعل فغاظه ذلك، فنثرها كلها، فلما راى المتنبي انها قد فاته زاحم الغلمان يلتقط معهم ، فغمزهم عليه سيف الدولة . فداسوه وركبوه، وصارت عمامته وطرطوره في عنقه ، واستحى ومضت له ليلة عظيمة وانصرف .

وخاطب ابو عبد الله بن خالويه سيف الدولة في ذلك ، فقال : ما يتعاظم تلك العظمة ، ويتصنع الى مثل هذه المنزلة الا لحماقته (4) .

3 ـ ابن جني :

ابو الفتح عثمان بن جنى النحوي من معاصري ابن خالويه ، فقد توفى ابن جنى سنة 392 هـ على حين توفى ابن خالويه 370 هـ (5) ، وقد تتلمذ ابن جنى على ابن علي الفارسي ، وصحبه اربعين سنة وكان سبب صحبته اياه ان ابا علي الفارسي سافر الى (الموصل) فدخل الى الجامع ، فوجد ابا الفتح عثمان بن جنى يقرا النحو وهو شاب ، وكان بين يديه متعلم وهو يكلمه في قلب الواو الفا نحو قام ـ وقال : فاعترض عليه ابو علي فوجده مقصرا ، فقال له ابو علي : زببت قبل ان تحصرم ، ثم قام ابو علي ولم يعرفه ابن جنى ، وسال عنه ، فقيل له : هو ابو علي الفارسي النحوي فاخذ في طلبه وصاحبه الى ان مات ابو علي ، وخلفه ابن جنى ودرس النحو ببغداد بعده ، واخذ عنه (6) .

والذي يعنيني من هذه المعاصرة ان ابن جنى تتلمذ على ابى علي الفارسي وان ابن خالويه تتلمذ على ابى سعيد السيرافي ، والشيخان راسان في عصرهما، عاشا في مجال النحو واللغة يبدعان ما شاء لهما الابداع ولكنهما افترقا في المنهج والطريقة ، وقد

---

1) نزهة الالبا ـ 201 .
2) نزهة الالبا ـ 201 .
3) نزهة الالبا ـ 200 .
4) انباه الرواة ـ 1 ـ 327 .
5) نزهة الالبا ـ 222 .
6) نزهة الالبا ـ 221 .

اثرت هذه التفرقة في نفس تلميذيهما ، فسارا على الدرب ، وسلكا نفس المنهج .

فالفارسي وتلميذه يكثران من المنطق والعلة ، وابو سعيد وتلميذه لا يحفلان-بأقيسة المنطق ولا بميزان التعليل النحوي هذا الاهتمام البالغ ، وانما يحفلان بالرواية والاثر ، والسماع ، وما نقل عن العرب يدل على ذلك قول بعض الادباء في رؤس النحو الثلاثة الفارسي ، والرماني ، والسيرافي : « كنا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين ، فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئا ، ومنهم من نفهم بعض كلامه دون البعض ، ومنهم من نفهم جميع كلامه ، فأما من لا نفهم من كلامه شيئا ، فابو الحسن الرماني ، واما من نفهم بعض كلامه دون البعض ، فابو علي الفارسي ، وأما من نفهم جميع كلامه فابو سعيد السيرافي (1) » .

هذا وقد كان بلاط سيف الدولة يشهد في كل المجالس العلمية والادبية التي تعقد فيه مناظرات عديدة بين الفارسي وابن خالويه من ناحية ، وبين ابن خالويه والمتنبي من ناحية اخرى .

وكان ابن جنى يشهد هذه المجالس ، وتوثقت صلته بالمتنبي حتى قال فيه المتنبي : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس وهذا التقدير الادبي من جانب المتنبي جعل ابن جنى يشرح ديوانه شرحا كما يقول المرحوم الاستاذ أحمد أمين : « استفاد منه كل من شرح الديوان بعده لاتصاله بالمتنبي ومعرفته بظروف شعره التي كثيرا ما تحدد المعنى ، وتمنع التأويلات (2) » .

وكما توثقت الصلة بين ابن جنى العالم النحوي وبين المتنبي الشاعر كذلك توثقت الصلة بين ابن خالويه العالم النحوي وبين الشاعر ابي فراس الحمداني الذى كان الراوية الوحيد لشعره وديوانه وقد صور هذه المنافسة المرحوم احمد امين حيث قال ما نصه : « فكان في القصر ــ يقصد قصر سيف الدولة ــ حزبان ، حزب للمتنبي منه ابن جنى النحوي وحزب عليه منه ابن خالويه اللغوي وابو فراس الشاعر (3) » .

مكانته اللغوية والنحوية :

ابن خالويه كانت له قدم راسخة في الدراسات اللغوية ، فقد تتلمذ على ابن دريد كما ذكرنا وابن دريد له في اللغة كتاب « الجمهرة » وهو كتاب ثمين عرف قيمته أولو العلم ، ورجالات الادب منذ تاليفه ، فابو علي القالي كان يملك نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها ، وكان قد أعطى بها ثلاثمائة مثقال فأبى ، فاشتدت به الحاجة فباعها بأربعين مثقالا وكتب عليها هذه الابيات:

انست بها عشرين عاما وبعتها
وقد طال وجدي بعدها وحنيني

وما كان ظني انني سابيعها
ولو خلدتني في السجون ديوني

ولكن لعجز وافتقار وصبية
صغار عليهم تستهل شئوني

فقلت ولم املك سوى سفح عبرتي
مقالة مكوى الفؤاد حزين

وقدتخرج الحاجات يا أم مالك
كرائم رب بهن ضنين

قال : فارسلها الذي اشتراها ، وارسل معها اربعين دينارا اخرى (4) .

وابن خالويه كان روايةلهذه الجمهرة، وقد كتب عليها حواشي من استداركه على مواضع منها ، ونبه على بعض اوهام وتصحيفات (5) .

ولمكانة ابن خالويه اللغوية رد على ابن دريد ، ونقده في مسائل عديدة من جمهرته .

فمثلا يقول السيوطي : ليس في الكلام كلمة صدرت بثلاث واوات الا أول .

قال في الجمهرة : هو فوعل ليس له فعل ، والاصل : وول قلبت الواو الاولى همزة ، وادغمت احدى الواوين في الاخرى ، فقالوا : أول .

1) نزهة الالبا ــ 211 .
2) ظهر الاسلام ــ 1 ــ 186 .
3) ظهر الاسلام ــ 1 ــ 186 .
4) المزهر 1 ــ 95 .
5) المزهر 1 ــ 95 .

وقال ابن خالويه : الصواب : ان أول : افعـــل بدليل صحبة من اياه ، تقول اول من كذا (1) » .

ومما يدل على اتساعه فى حفظ اللغـة رده على ابن دريد حينما قال فى جمهرته : لم يجيء فى الكلام فعل فعلا الا حرفان : حنق حنقا ، وضرط ضرطا .

قال ابن خالويه : وحكى الفراء : حلف حلفـا ، وحبق حبقا ، وسـرق سـرقا ، ورضـع رضـعا (2) .

ولابن خالويه حس مرهف فى ادراك أسرار اللغة وتذوقه لها :

قال السيوطي : لم يات اسم المفعول من افعـل على فاعل الا فى حرف واحد ، وهو قـــول العـــرب اسمت الماشية من المرعى ، فهي سائمة ، ولم يقولوا مســامـــــة .

قال تعالى : « فيه تسيمون(3) »من أسام يسيم. قال ابن خالويه : احسب المراد اسمتها انا فسامـت هي فهي سائمة ، كما تقول : ادخلته الدار فدخل ، فهو داخـــــل (4) .

وابن خالويه محيط بمعظم كلام العرب ، حافظ له : قال فى كتاب ليس : قلت لسيـــف الدولـــة بن حمدان : قد استخرجت فضيلة لحمدان جد سيدنا لم اسبق اليها وذلك أن النحويين زعموا أنه ليـــس فى الكلام مثل رحيم وراحم ، ورحمان الا نديم ونـــادم ، وندمان ، وسليم ، وسالم ، وسلمان ، فقلت : فكذلك: حميد ، وحامد وحمدان (5) .

ويؤمن بلغة الاعراب ، يستشهد بها فى مواطـن الاستشهاد قال فى شرح الدريدية :

كل اسم على فعيل ثانية حرف حلق يجوز فيه اتباع الفاء العين نحو : بعير شعير ، رغيف ـ رحيم اخبرنا ابن دريد عن أبى حاتم عن الاصمعي أن شيخا من الاعراب سال النـاس ، فقـال : ارحمـوا شيخـــا ضعيفـــــا (6) .

والامثلة عديدة على مكانته اللغوية اكتفي بمـــا ذكرت منها حبا فى الايجاز .

والســؤال الذى يقال هنا ان لابن خالويه آثارا لغوية تشهد بفضله وتشير الى قدره، وهي آثار لاتنكر لانها واقع ملموس ، فهل كان ابن خالويه فى النحـــو كاللغة ؟ فى رايي ان ابن الانباري ظلم ابن خالويه حينما قال عنه فى مجال النحو : « ولم يكـــن فى النحـــو بذاك (7) » .

لان ابن خالويه له آراء فى النحو لا تقل عن آرائه فى اللغة كما يبدو ذلك عند دراستنا لكتاب الحجة .

ولعل السـبب فى عدم اشتهار ابن خالويه بالنحو هو انه كان يؤمن بان اللغة تؤخذ سماعا ، لا قياسا ، والتاليف النحوي كما جرت به عادة النحاة ـ يـدور حول العلة والمعلول ، والقياس والمنطق ومن اجل ذلك لم يؤلف كتبا عديدة فى النحو او فى اصوله كما فعل الفارسي وتلميذه ابن جنى ، اللهم الا كتاب : الجمل فى النحو ، وكتاب : اعراب ثلاثين سورة وكتاب المبتدأ فى النحو ولكنه مع هذا كان معلما نحويا ولغويا وقـد سجل له الرواة هذه الحقيقة فقالوا : كان اماما احـد افراد الدهر فى كل قسم من اقسام العلـم والادب ، وكان اليه الرحلة من الآفـــاق ، وكان آل حمـــدان يكرمونه (8) .

عقيـــدتـــــه :

يذكر سالم الكرنوكي وهو مستشرق ، حقـق كتاب « اعراب ثلاثين سورة » ان ابن ابي طي : قال عنه كان اماميا عالما بالمذهب على حين يرى الذهبـــي فى تاريخه انه كان صاحب سنه ، وابن حجر يؤيد تشيعه

---

1) المـزهـــــر 1 ـ 60 .
2) المـزهـــــر 2 ـ 75 .
3) النحـــــــل : 10 .
4) المـزهـــــر 2 ـ 88 .
5) المـزهـــــر 2 ـ 90 .
6) المـزهـــــر 2 ـ 90 .
7) نـزهـــة الالبـــا 208 .
8) انبـــاه الـــرواة 1 ـ 326 .

ويقول : كان صاحب سنة . في الظاهر فقط ليتقرب الى سيف الدولة الحمداني .

وفي راي سالم الكرفوكي انه امامي لانه الف كتاب « الامامة » ومن هذا الكتاب تظهر روح تشيعه واضحة جلية ، ذلك لانه ذكر في كتابه أشياء لا يقولها اهل السنة .

وفي رايي ان ابن خالويه لو كان اماميا لاشتهر امره ، ولفضحه اعداؤه ومنافسوه في وقت كانت تعد فيه الهفوات .

ولو كان المتنبي يحس بأنه امامي لهجاه ، واظهر عواره لسيف الدولة السني ، ليبعده من بلاطه ، ويطرده من بلاده ، ولو كان ابن خالويه اماميا لما سكت عنه ابو علي الفارسي في رسائله التي كان يبعث بها الى سيف الدولة مدافعا عن التهم التي كان يوجهها اليه ابن خالويه .

ولو كان ابن خالويه اماميا لما تعبد على المذهب الشافعي ، لان الشافعي سني ، وقد ذكره السبكي في طبقات الشافعية .

وليس تاليفه لكتاب الامامية يجعله اماميا ، فالرجل مولع بالثقافة الواسعة ، وبالتاليف في مجالات مختلفة . ومن ثم الف كتابه ليدل على أنه ملم بأحداث عصره وبتاريخ مجتمعه .

اتجاهه العلمي :

السيوطي في « البغية » ينص على ان من تصانيفه الجمل في النحو - الاشتقاق - القراءات - اعراب ثلاثين سورة - شرح الدريدية - المقصور والممدود - الالفات - المذكر والمؤنث - كتاب ليس - كتاب اشتقاق خالويه - البديع في القراءات(1)

ويزيد كتاب الانباه على البغية ما يأتي :

كتاب الاسد - تقفية ما اختلف لفظه ، واتفق معناه لليزيدي - المبتدأ في النحو - تذكرته ، وهو مجموع ملكته بخطه (2) .

ومعجم الادباء يزيد على ما ذكر :

كتاب الآل : ذكر في أوله ان الآل ينقسم الى خمسة وعشرين قسما ، وذكر فيه الائمة الاثني عشر ومواليدهم ووفياتهم ، وغير ذلك (3) .

وغاية النهاية يزيد ما يأتي :

حواشي البديع في القراءات - كتاب مجدول من القراءات الفه لعضد الدولة (4) .

ومن قراءاتي في مجال دراسة ابن خالويه ازيد على هؤلاء الرواة ما يأتي :

1 - كتاب الريح : وهو مخطوط يتكون من ثلاث ورقات مخطوط رقم 525 هـ - دار الكتب أوله : قال الشيخ ابو عبد الله الحسين بن خالويه النحوي : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله ، وصحبه اجمعين ، وبعد فان الريح اسم مؤنثة ... الخ .

2 - كتاب اسماء الله الحسنى :

فقد نص في كتابه « اعراب ثلاثين سورة » ان له كتابا في اسماء الله الحسنى ، وقد قال في ذلك ما نصه :

« وقد صنفتها في كتاب مفرد ، واشتقاق كل اسم منها ومعناه (5) » .

3 - رسالة في قوله : ربنا لك الحمد ملء السموات الى آخره .

وقد اشار الى هذه الرسالة الشيخ محي الدين يحيى النووي في كتابه « تصحيح التنبيه » في الفقه على مذهب الامام الشافعي للشيخ ابي اسحاق الشيرازي .

وقال ما نصه : قوله : ربنا لك الحمد من السموات ، يجوز ملء بالنصب والرفع ، والنصب

---

1) البغية 1 - 530 .
2) الانباه 1 - 325 .
3) معجم الادباء 9 - 204 .
4) غاية النهاية 1 - 237 .
5) اعراب ثلاثين سورة 14 .

اشهر ، وممن حكاها ابن خالويه ، وصنف فى المسالة (1) .

4 ـ شرح ديوان ابن الحائك حيث عنى بغريبه واعرابه (2) .

5 ـ كتاب مختصر فى شواذ القراءات من كتاب « البديع » .

عنى بنشره المستشرق ج برجستراسر وطبع بالمطبعة الرحمانية بمصر 1934 .

6 ـ كتاب الشجر : وينفي نسبه الكتاب اليه المستشرق ج برجستراسر فيقول : « ليس مصنفه بل الحقيقة ، مصنف اللغوي ابى زيد صاحب كتاب « النوادر فى اللغة (3) » .

7 ـ العشرات فى اللغات : اي اللغات التي لها عشر معاني .

وهو مخطوط بمكتبه جيد موقر بطهران ، ونسخ سنة 760 هـ (4) .

8 ـ كتاب الهاذور الذى رد فيه على ابي على الفارسي حينما الف كتاب «الاغفال» ليرد على شيخه ابى اسحاق الزجاج (5) .

9 ـ شرح ديوان ابى فراس الحمداني .

وقد جاء فى مقدمة شرحه ما نصه :

قال ابو عبد الله الحسين بن محمد بن احمد بن خالويه ، من حل من الشرف السامي ، والفضل والكرم الذائع ، والادب البارع والشجاعة المشهورة ، والسماحة المأثورة ابو فراس الحرث بن سعيد بن حمدون بن الحارث العدوي . كان سيف الدولة ... مثقفه ومتبنيه ... وما زال يعاملني بالمحبة ، يلقى الى شعره دون الناس ، ويخطر على بشره حتى سبقتني واياه الركبان ، فحملت منه ما القاه الى وشرحته بما ارجو ان يقرنه الله عز وجل بالصواب والرشاد (6) .

وليس لابن خالويه عمل فى هذا الديوان غير روايته ، وبيان المناسبات المختلفة للقصائد التي احتواها الديوان .

هذا ، وقد قام الدكتور سامي الدهان بنشر الديوان وتحقيقه فى جزئين 1944 م وطبع فى بيروت.

10 ـ كتاب شرح فصيح ثعلب نقل عنه السيوطي فى المزهر (7) وبعد .

فان هذا التراث الضخم الذي تركه ابن خالويه ، من ورائه يشهد بقدرته الفائقة ، وثقافته الواسعة ، ومكانته السامية فى عصره ، وفيما بعد عصره الى يومنا هذا .

ولم يبق من هذا التراث غير القليل الذي دلنا على نبوغ هذا الرجل ، ومكانته فى حقل النحو واللغة.

كتاب الحجة

توثيقه ـ منهجه

توثيقه :

كانمن مراجعي فى اعدادي لرسالة الدكتوراه «القرآن الكريم واثره فى الدراسات النحوية» (8) كتاب الحجة لابن خالويه ، قرأته، فراعني فيه اسلوبه الجزل ، وعباراته المختارة ، وعرضه للقراءات فى ضوء النحو واللغة عرضا جذابا ، لا يبعد القارىء عنه ، ولا يجعل الملل يتسرب الى نفسه ، يعطيك النتيجة فى صراحة ووضوح من غير ان يجهد نفسك ، أو يتعب عقلك ، من غير استطراد ، ينسيك موضوع الحديث كما فعل الفارسي فى حجته .

1) التنبيه فى الفقه على مذهب الامام الشافعي ـ 15 .
2) انظر ص 5 من الكراسة .
3) مقدمة مختصر شواذ القراءات ـ 6 .
4) انظر : مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث ج 2 ص 13 .
5) خزانة الادب 1 ـ 352 .
6) شرح ديوان ابى فراس الحمداني .
7) المزهر : 1 ـ 213 ، وغيرها .
8) نشر دار المعارف بالقاهرة 1968 م .

لهذا صمم عزمي على ان احقق هذا الكتاب بعد انتهائي من رسالة الدكتوراه ، لما فيه من النفع الكبير والخير العميم .

وهاندا احقق رغبتي في تحقيقه ، وافي بالدين الذي حملته على عاتقي منذ ان عشت في هذا الكتاب اثناء دراستي للدكتوراه واقتضى منهج التحقيق ان اوثق هذا الكتاب لاتاكد من نسبته الى ابن خالويه ، لان هناك سحبا من الشك في نفوس بعض المعاصرين من حيث نسبة هذا الكتاب الى ابن خالويه ودليلهم انه لم يرد في كتب الطبقات ان لابن خالويه كتابا يسمى كتاب الحجة ، وان ذكرت ان له كتبا في القراءات حملت اسماء مختلفة ، ولم يحمل واحد منها اسم الحجة ، وبعد جهد استغرق ما يقرب من عامين في دراسة هذا الكتاب ودراسة مؤلفات ابن خالويه استطعت ان اصدر حكمي في ثقة لا تعرف التردد ، وبايمان لا يعرف الشك ان هذا الكتاب نسبته الى ابن خالويه صحيحة ، واليك الدليل

1 ـ تلمذة ابن خالويه لاستاذه ابن مجاهد فرضت عليه ان يحيا في الدراسة القرآنية، ويتمكن منها ، ويلم بالقراءات ويدافع عنها ؛ وابن مجاهد ـ كما قدمت سابقا ـ اول من سبع السبعة وكان اليه المرجع في فن القراءات كما يقول ابن الجزري (1) ، وابن مجاهد حينما سبع السبعة ، والف كتابه القراءات السبع شرحه ابو علي الفارسي وسمى بالحجة ثم اختصرها ابو محمد مكي بن طالب المصري المتوفى 437 هـ ثم اختصر هذا الشرح ابو طاهر اسماعيل بن خلف الاندلسي المتوفى 455 هـ (2) .

فاذا كان ابو علي الفارسي يشرح القراءات السبع لابن مجاهد فليس بدعا ان يتولى هذا الشرح ايضا تلميذه ابن خالويه لانه ابن عصره الف في معظم فروع المعرفة السائدة فيه وقدم لنا انتاجا ضخما تحدثت عنه فيما سبق .

ومن اهم الفروع التي كانت تشغل اذهان العلماء اذ ذاك علم القراءات والاحتجاج بها في مجال اللغة والنحو .

وقد اسهم في هذا الاحتجاج بالتاليف في عصر ابن خالويه محمد بن الحسن الانصاري المتوفى 351هـ حيث الف كتاب السبعة بعللها الكبير (3) .

وابو محمد بن الحسن بن مقسم العطار المتوفى 362 هـ حيث الف كتاب احتجاج القراءات ، وكتاب السبعة لعللها الكبير ، وكتاب السبعة الاوسط ، وكتاب السبعة الاصغر (4) .

هذا فضلا عن تاليف ابي علي للحجة كما قدمت، وابن جنى للمحتسب في القراءات الشاذة .

ومن اجل ذلك الف ابن خالويه كتابه الحجة في القراءات السبع ليدلي بدلوه بين الدلاء ، ويسهم في هذا العلم الذي شغل اذهان العلماء في عصره .

وكل الذين ترجموا لابن خالويه اكدوا ان له كتبا في القراءات : كتاب البديع ـ كتاب مختصر شواذ القراءات ـ كتاب مجدول في القراءات الفه لعضد الدولة كما نص على ذلك ابن الاثير في غاية النهاية (5)

وقد اشار ابن خالويه الى ان له كتابا في القراءات فيقول في كتابه « اعراب ثلاثين سورة » عند تعرضه للقراءات في قوله تعالى « أنعمت عليهم (6) » .

« اجمع العلماء على كسر الهاء في التثنية اذا قلت : عليهما قال الله عز وجل « يخافون أنعم الله عليهما (7) الا يعقوب الحضرمي ، فانه ضم الهاء في التثنية كما ضمها في الجمع وقد ذكرت علة ذلك في كتاب القراءات (8) » .

---

1) غاية النهاية 1 ـ 142 .
2) كشف الظنون م 2 نهر 1448 .
3) الفهرست 433 .
4) الفهرست 33 .
5) غاية النهاية 1 ـ 237 .
6) الفاتحة 7 .
7) المائدة 33 .
8) اعراب ثلاثين سورة 32 .

وفى كتابه الحجة تجد هذا التعليل الذي اشار اليه (1) والسؤال الذي يقال هنا لم يشتهر ابن خالويه بالحجة ؟ ولم لم تذكر فى كتب الرواة على حين ذكروا ان له كتبا فى القراءات ؟

1 ـ اقول قد يرجع ذلك الى ان الكتاب فى القراءات فاستغنوا بذكرها من كلمة « الحجة « مع أن تسمية الكتاب بالحجة تسمية لا غبار عليها ، فهو دائما فى كل مسالة يكرر هذه العبارة، والحجة لمن قرأ الخ.

2 ـ وما لي اذهب بعيدا . وقد قدمت فى انتاجه العلمي ان لابن خالويه كتبا عديدة لم ترد فى كتب الطبقات التي بين أيدينا . ككتاب معجم الادباء والانباه والبغية مع ان ابن خالويه أشار الى بعضها كاشارته الى أن له كتابا فى اسماء الله الحسنى ، وذلك فى كتابه « اعراب ثلاثين سورة (2) »..

3 ـ التسمية بالحجة من عمل المتاخرين :

ولعل التسمية بالحجة جاءت متاخرة عن تاليف كتاب الحجة للفارسي وحتى كتاب الحجة للفارسي لم يقدمه ابو علي لعضد الدولة باسم الحجة ، وانما قدمه بهذه العبارة :

« فان هذا الكتاب نذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم فى كتاب ابى بكر احمد بن موسى ابن العباس ابن مجاهد (3) » .

وابن خالويه لم يشر فى مقدمته الى هذه التسمية ، وان أشار الى أن كتابه فى الاحتجاج . يقول : اني تدبرت قراءة الائمة السبعة من اهل الامصار الخمسة المعروفين بصحة النقل واتقان الحفظ ، المأمونين على تادية الرواية ... الى ان يقول : وانا بعون الله ذاكر فى كتابي هذا ما احتج به اهل صناعة النحو لهم فى معاني اختلافهم (4) .

ولما كان كتاب ابى علي فى الاحتجاج سمى بالحجة فيما بعد ذلك كذلك كانت انسب تسمية لكتاب ابن خالويه هي « الحجة » لانه فى الاحتجاج من ناحية، ولان عبارته فى المقدمة تستوجب هذه التسمية من ناحية اخرى .

4 ـ التنافس العلمي فى عصر ابن خالويه يفرض عليه أن يؤلف كتابه الحجة فى القراءات ، فقد كان ابن خالويه منافسا للفارسي وابن جنى، فاذا كان الفارسي يؤلف الحجة فابن خالويه يؤلف الحجة واذا كان ابن جنى يؤلف المحتسب فى القراءات الشاذة ، فابن خالويه يؤلف كتابه فى شواذ القراءات .

وطبيعة هذا العصر تقتضي هذا التنافس العلمي فى التاليف وفى موضوع بعينه فى كثير من الاحيان .

والدليل على ذلك أن أبا بكر محمد بن الحسن مقسم الف كتاب السبعة بعللها الكبير ـ وكتاب السبعة الاوسط ، وكتاب السبعة الاصغر ، كذلك الف محمد ابن الحسن الانصاري فى نفس الموضوع حيث الف كتاب السبعة بعللها الكبير ، وكتاب السبعة الاوسط وكتاب السبعة الاصغر (5) .

واذا كان الفارسي يقدم كتاب الحجة لعضد الدولة حيث يقول فى المقدمة : اما بعد ـ اطال الله بقاء مولانا الملك السيد الاجل المنصور ، ولي النعم عضد الدولة ، وتاج الملة ـ الى ان يقول : فان هذا الكتاب نذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم فى كتاب ابى بكر احمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد (6) .

اقول اذا كان الفارسي يقدم كتابه الحجة لعضد الدولة فابن خالويه يقدم له أيضا كتابا مجدولا فى القراءات (7) .

5 ـ ومن اوضح ادلة التوثيق لهذا الكتاب ، ونسبته الى ابن خالويه تشابه اسلوبه ومنهجه مع مؤلفات ابن خالويه الاخرى ، ويتمثل هذا التشابه فى عدة ظواهر قلما تتخلف اجملها فيما ياتي :

---

1) انظر الحجة 3 .
2) انظر ص 18 ، ص 19 من هذه المقدمة رقم 462 ـ قراءات دار الكتب .
3) مقدمة الحجة للفارسي ، نسخة مصورة .
4) مقدمة الحجة لابن خالويه ص 1 .
5) الفهرست 32 ، 33 .
6) الحجة لابى علي الفارسي : ص 3 ـ نسخة مصورة رقم 462 ـ قراءات دار الكتب .
7) غاية النهاية 1 ـ 237 .

أ ـ الايجاز والاختصار فهو فى مقدمة الحجة يقـــول :

« وانا بعون الله ذاكر فى كتابيّ هذا ما احتج به اهل صناعة النحو لهم من معاني اختلافهم ، وتارك ذكر إجتماعهم وائتلافهم ... الى ان يقول: جامعا ذلك بلفظ بين جزل ، ومقال واضح سهل ليقـرب على مريـده وليسهل على مستفيده (1) .

وفى كتابه « اعراب ثلاثين سورة » يؤكد هـذه الظاهرة فيقول : « اني قد تحريت فى هذا الكتـــاب الاختصار والايجاز وما وجدت اليه سبيلا ليعم الانتفاع به ، ويسهل حفظه على من اراده (2) » .

ب ـ ومن الظواهر اذا تحدث عن مسالة ، وحرر القول فيها ثم عرضت مسالة اخرى تشبهها لا يعيد القول فيها وانما يحيل اليه ، وهذه الظاهـــرة واضحة فى الحجة وفى كتابـــه القراءات المخطـوط بالجامعة العربية ، وفى اعراب ثلاثين سورة .

ج ـ الاكثار فى هذه الكتب من النقل عن ابى مجاهد وابن الانباري ، وغيرهما من الاعــلام الذين سبقـــوه .

6 ـ ومن أدلة التوثيق أن الاعلام الذين سجلهم ابن خالويه فى كتابه كانوا أسبق منه زمنا مما يـدل على أن الكتاب لم يؤلف بعد عصر ابن خالويه .

7 ـ ومن الادلة تقارب بعض النصـــوص فى مؤلفات ابن خالويه مع بعض نصوص الحجـــة ، ولا ابالغ اذا قلت ان هناك نصوصا باسلوبها وكلماتها فى هذه المؤلفات هي بعينها فى كتاب الحجة ، واليـــك الدليـــــل :

من كتاب القراءات :

1 ـ ففي كتاب القراءات المخطوط بالجامعـــة العربية رقم 52 قراءات والمنسوب الى ابن خالويه ورد مـا نصـــه :

« أذهبتم طيباتكم (3) » قرأ ابن عامر أأذهبتـم بهمزتين الاولى الف توبيخ بلفظ الاستفهام ، ولا يكون فى القرآن استفهام ، لان الاستفهام استعلام ما لا يعلم والله تعالى يعلم الاشياء قبل كونها ، فاذا ورد عليك لفظ من ذلك فلا يخلو من أن يكون توبيخا او تقريرا او تعجبا او تسوية ، او ايجابا او أمرا .

فالتوبيخ : أأذهبتم ؟ والتقرير أأنت قلت للناس ؟ والتعجيب ما القارعة ؟ ما الحاقة ؟ ، وكيف تكفرون ؟ ، والتسوية: سواء عليهم أأنذرتهم؟ ، والايجاب : أتجعل فيها من يفسد فيها ؟ ، والامر : أأسلمتم معنـــاه : اسلمـــوا (4) .

وهذا النص مذكور فى الحجة على النحو التالي:

أذهبتم طيباتكم :

« وكل لفظ استفهام ورد فى كتاب الله عز وجل فلا يخلو من أحد ستة أوجه ، اما أن يكون توبيخا أو تقريرا أو تعجبا أو تسوية او ايجابا او أمرا ، فامـــا استفهام صريح فلا يقع من الله تعالى فى القرآن لان المستفهم مستعلم ما ليس عنده ... والله عالم بالاشياء قبل كونهـــا .

فالتوبيخ أأذهبتـم ، والتقريـر : أأنت قلت للناس والتعجب : كيف تكفرون بالله ، والتسويـة : سواء عليهم أأنذرتهم ـ والايجاب : أتجعل فيها مـن يفسد فيها .

والامر : أأسلمتم ، فعلى هذا يجري ما فى كتاب الله فاعرف مواضعه (5) » .

2 ـ فى أيام نحسات (6)

قرأ ابن كثير ونافع وابو عمر : نحسـات باسكان الحاء ، « وشاهدهم فى يوم نحس (7) » اي فى يـوم شؤم وبلاء . ويجوز ان يكون اراد : ونحسات مثـل نخلات ، فاسكنوا تخفيفا ، وقرأ الباقـون بكسـر

---

1) الحجـــة 1 .
2) اعراب ثلاثين سورة 14 .
3) الاحقـــاف 20 .
4) القراءات نسخة مصورة ميكروفيلم رقم 52 ، قراءات ـ الجامعة العربية .
5) الحجـــة ـ 197 .
6) فصلــــت 16 .
7) القمـــــر 19 .

الحاء ، وحجتهم ان النحسات صفة تقول العرب : يوم نحس مثل رجل هرم ، قال الشاعر :

ابلغ جذاما ولخما ان اخوتهم
طيا وبهراء قوم نصرهم نحس

(كتاب القراءات رقم 52 بالجامعة العربية) .

وقال فى الحجة :

فى ايام نحسات : يقرأ باسكان الحاء وكسرها ، فالحجة لمن اسكن انه اراد نحس ، ودليله قوله تعالى: « فى يوم نحس مستمر » ويحتمل ان يكون اراد كسر الحاء فاسكنها تخفيفا والحجة لمن كسر انه جعله جمعا للصفة من قول العرب : هذا يوم نحس وزن هذا رجل هرم ، قال الشاعر :

ابلغ جذاما ولخما ان اخوتهم
طيا وبهراء قوم نصرهم نحس (1)

وبمقارنة هذه النصوص نتبين ان كتاب القراءات يحتوي على نصوص كثيرة متقاربة من نصوص كتاب الحجة مما يدل على ان مؤلف الكتابين واحد .

والكتابان مختلفان من الناحية المنهجية . وذلك لان القراءات المصورة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم 52 — قراءات — منهج ابن خالويه فيه يقوم على الاستطراد والاطناب ، فهو يسند القراءة لاصحابها فى سلسلة طويلة ، وهو يتحدث عن تفسير معاني الآيات ، وأسباب نزولها ، ويحشد قصصا عديدة فى مناسبات مختلفة ، وليست القراءات فيها والاحتجاج بها الا جزءا من هذا المنهج ، فكتابه فى حقيقة أمره كتاب تفسير لا قراءات ، شأنه شأن كتب التفسير التي تتعرض لهذه الاغراض جميعا .

اما كتاب الحجة فهو كتاب موقوف على القراءات وحدها فى مجال الاحتجاج ، ولا يتعرض لتفسير المعنى الا فى القليل النادر الذي يعد على الاصابع .

ولعله من الجائز ان يكون كتاب القراءات اسبق فى التاليف من كتاب الحجة ، ثم لخص هذا الكتاب وهذبه ، وجعله مقصورا على القراءات وحدها،وظاهرة التلخيص ليست غريبة على ابن خالويه ، فالمستشرق برجستراسر يقول عنه : « وكان من عادة ابن خالويه ان يهذب مصنفات مشايخه (2) » وازيد فاقول : ومصنفاته ايضا ، اليس كتاب « مختصر فى شواذ القراءات » الذي حققه ونشره المستشرق برجستراسر هو تلخيص كتابه البديع فى القراءات الشاذة . ؟

من كتاب اعراب ثلاثين سورة :

1 — « مالك يوم الدين (3) » قال اهل النحو : ان ملكا امدح من مالك ، وذلك ان المالك قد يكون غير ملك ولا يكون الملك الا مالكا (4) .

وقال فى الحجة :

مالك يوم الدين : والحجة لمن طرحها (اي الالف) ان الملك أخص من المالك وامدح ، لانه قد يكون المالك غير الملك ، ولا يكون الملك الا مالكا (5).

2 — وما ادراك ما الطارق (6)

قال فى اعراب ثلاثين سورة ، حدثني ابن مجاهد عن السمري عن الفراء قال : كل ما فى كتاب الله : وما ادراك فقد ادراه وما يدريك فما ادراه بعد (7) .

وقال فى الحجة : وما كان فى كتاب الله تعالى من قوله : وما ادراك فقد ادراه ، وما كان فيه من قوله : وما يدريك ، فلم يدره بعد (8) .

من كتاب ليس :

قال ابن خالويه : ليس فى كلام العرب فعل يفعل بكسر العين فى الماضي والمستقبل من الصحيح

1) الحجة 188 .
2) مختصر فى شواذ القراءات تحقيق المستشرق برجستراسر (المقدمة) .
3) الفاتحة — 4 .
4) اعراب ثلاثين سورة — 27 .
5) الحجة — 2 .
6) الطارق — 2
7) اعراب ثلاثين سورة — 40 .
8) الحجة — 237 .

الا ثلاثة : نعم ينعم ، يبس ييبس ، يئس ييئس ، وقد يجوز فيهن الفتح وسمع (1) .

وقال فى الحجة :

قوله تعالى : تحسبهم (2) يقرا بكسر السين وفتحها ، والحجة لمن كسر ان العرب استعملت الكسر والفتح فى مضارع اربعة افعال : يحسب ، وينعم ، ويبس ، وييئس حتى صار الكسر فيهن افصح (3) من كتاب الريح :

قال ابن خالويه :

وامهات الريح اربعة : الشمال وهي للروح والنسيم عند العرب ، والجنوب للامطار والانداء ـ والصبا لالقاح الاشجار ، والدبور نعذاب والبلاء ، نعوذ بالله منها ، فلذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هبت الريح يقول : « اللهم اجعلها رياحا ، ولا تجعلها ريحا (4) .

وقال فى الحجة : وتصريف الرياح (5) ... فالحجة لمن افرد انه جعلها عذابا ، واستدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا لا ريحا.

ثم قال والارواح اربعة اسست اسماؤها على الكعبة ، فما استقبلها منها فهي الصبا والقبول وما جاء عن عينها فى الجنوب ، وما جاء عن شمالها فى الشمال وما جاء من مؤخرها فهي الدبور وهي روح العذاب نعوذ بالله منها (6) .

8 ـ قدم النسخ :

وتاريخ نسخ الحجة الذي قمت بتحقيقه قديم لانه نسخ سنة 496 هـ وهو تاريخ قريب من عصر المؤلف بمائة وستة وعشرين عاما على حين نجد كتاب القراءات المصور بمعهد المخطوطات نسخ سنة 600 هـ بخطوط مختلفة آخرها خط صديق بن عرين محمد بن الحسين (7) .

وكتاب اعراب ثلاثين سورة الذي نشرته دار الكتب عام 1941 م اعتمدت فيه على النسخة التي ضمتها مكتبة الشنقيطي رقم 7 ـ تفسير دار الكتب ، وقد تمت كتابة النسخة فى العشر الاولى من شعبان الذي هو من شهور ستة اثنتين وتسعين وسبعمائة ، وذلك بمدينة صنعاء المحروسة (8) .

وذلك يؤكد ان كتاب الحجة اقدم كتاب فى مجال النسخ من الكتب الاخرى التي وصلت الينا امثال كتاب القرءات ، واعراب ثلاثين سورة . نعم ان الكتاب نسخة فريدة احتفظت بها مكتبة طلعت رقم 134 قراءات ، وقد اشار اليها بروكلمان فى كتابه : تاريخ الادب العربي (9) وقد حاولت العثور على نسخة اخرى لاقابلها بها حتى يتيسر التحقيق ، وينكشف الغموض ، ولكن لم يتيسر لي ذلك على الرغم من اطلاعي على فهارس المكتبات العربية والافرنجية ، لهذا كانت هذه النسخة هي عمدتي فى التحقيق ، وقد يسرت لي مصاعبها واستقام نصها بفضل الله وعونه ، والهامه وتوفيقه . هذا وانفراد الحجة بنسخة واحدة فى مكتبات العالم لا يغض من قدره ، ولا ينزل من مكانته ، فتراثنا العربي ذهب معظمه بسبب الاحداث الجسام ، والفتن التي حلت بالعالم الاسلامي والعربي فى العصور المختلفة .

ولا ادل على ذلك من هذه العبارة التى ذيلت بها الصحف الاخيرة من الحجة ، وهي : « قوبل وصحح باصله المكتوب منه » ولكن ذهب هذا الاصل ؟

اقول : ذهب هذا الاصل ، لان ظاهرة ضياع الكتب وفقدها ليست غريبة على تراثنا العربي ، فهذا هو ابو علي الفارسي ذكر « ان بعض اخوانه سأله

---

1) يس ـ 4 .
2) البقرة ـ 273 .
3) الحجة ـ 29 .
4) كتاب الريح ـ 2 .
5) البقرة ـ 164 .
6) الحجة ـ 21 .
7) فهرس مخطوطات الجامعة العربية ـ 12 وفهرس المخطوطات الاولى 1 ـ س ـ 276 .
8) فهرس دار الكتب .
9) تاريخ الادب العربي : بروكلمان جـ 2 ـ 140 .

بفارس املاء شيء من ذلك فأملى عليه صدرا كبيرا ، وتقصى القول فيه ، وانه هلك في جملة ما فقده ، واصيب من كتبه .

قال عثمان بن جني . وان وجدت نسخة ، وامكن الوقت عملت باذن الله كتابا اذكر فيه جميع المثلات في كلام العرب (1) » ، ولم يكتف ابن جني بما حدث من شيخه من ضياع كتابه الذي أملاه بفارس ، بل بين في وضوح اكثر « أنه وقع حريق بمدينة السلام فذهب به جميع علم البصريين ، قال : وكنت قد كتبت ذلك كله بخطي ، وقرأته على اصحابنا فلم أجد من الصندوق الذي احترق شيئا البتة الا نصف كتاب الطلاق عن محمد بن الحسن (2) » .

اذن فظاهرة ضياع الكتب ظاهرة سائدة حتى في عصر المؤلفين انفسهم ، وقد بلى بهذه الظاهرة المجتمع الاسلامي منذ ان اصبحت الدولة دويلات ، وزاد خطرها اكثر حينما زحف التتار على بغداد ، فالتهم معظم تراث الاجداد ، ومالي اذهب بعيدا وهذا السيوطي جماعة الكتب الذي لا يخلو مؤلف من مؤلفاته من ذكرها ، والتعريف بها يقول في كتاب « ليس » لابن خالويه : « انه كتاب حافل في ثلاث مجلدات ضخمات» وقد طالعته قديما ، وانتقيت منه فوائد ، وليس هو بحاضر عندي الان (3) .

مع ان كتاب « ليس » المطبوع بمطبعة السعادة بتصحيح احمد بن الشنقيطي ليست فيه هذه الفخامة التي ذكرها السيوطي مما يدل على ان الكتاب ضاع معظمه .

على اية حال نحن نحمد الله اذ حفظ لنا كتاب الحجة من الفقد الى يائه لم يضع منه شيء ونحمده اذ وفقنا الى تحقيقه ويسر لنا أمره ، حتى جاء ، وقد وضيت منه نفسي كل الرضا واسأل الله ان يتمم النفع به .

مقارنة بين حجة ابن علي وحجة ابن خالويه :

قدمت ان ابن مجاهد هو اول من سبع السبعة ، وانه بهذا العمل الذى انفرد به استطاع ان يفتح باب الاحتجاج بالقراءات فى مجالي اللغة والنحو ، فتسابق تلاميذه ومعاصروه فى التأليف فى هذا الفن .

واول من شرع فى هذا من معاصريه « أبو بكر محمد بن السرى شرع فى تفسير صدر من ذلك فى كتاب كان ابتدأ باملائه ولكنه لم يتمه (4) » .

وامكن لابى علي الفارسي ان ينجح فيما قصر فيه محمد بن السرى فألف كتابه الحجة فى الاحتجاج بالقراءات .

ولما كان كتاب الحجة بين ايدينا مخطوطا حيث تضم دار الكتب والمكتبة الازهرية نسخا منه ، ومطبوعا منه الجزء الاول الذي قام بتحقيقه استاذنا علي النجدي والمرحوم الدكتور النجار والدكتور عبد الفتاح شلبي وهم فى هذا التحقيق قدموا جهدا جبارا يتناسب مع هذا العمل الخالد .

وبمقارنة كتاب الحجة للفارسي بكتاب الحجة لابن خالويه نتبين اختلاف المنهجين ، وتباين الطريقين : فأبو علي فى حجته يغوص الى الاعماق ، فمن لم يكن ذا مقدرة على الغوص لا يستطيع ان يتابع الفارسي ، ولا يستطيع ان يصل الى الجوهر المنشود ، فكثرة الاستطرادات ، وضخامة التعليلات قد تحول بينه وبين ما يريد .

ومن هنا كان كتاب الحجة للفارسي كتابا لا يفهمه الا القلة . ولا تهضمه الا فئة خاصة ، تسلحت بما تسلح به أبو علي من عقلية منطقية ، تؤمن بالقياس، وتجري وراء العلة . وحتى فى عصره عصر الازدهار الفكري عصر المناظرات التي كانت تتعدد حلقاتها فى بلاط الامراء لم يلق هذا الكتاب قبولا حسنا ولم يصادف فى نفوس معاصريه التقدير اللازم لهذا الجهد المبذول فيه .

ويكفينا فى هذا المقام شهادة تلميذه ابن جني فى ذلك وهي شهادة على النفس لان ابا علي ابن جني بمثابة الروح من الجسد .

1) معجم الادباء : 7 — 256 .
2) معجم الادباء : 7 — 256 .
3) المزهر 2 — 3 .
4) انظر مقدمة الحجة — رقم 462 ، قراءات نسخة مصورة بدار الكتب ، وانظر مقدمة المحتسب لابن جنى مطبوعات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

يقول ابن جنى فى كتابه المحتسب ما نصه « فان ابا علي رحمه الله عمل كتاب الحجة فى القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء الى ما يجفو عنه كثير من العلماء (1) » .

ويقول فى موضع آخر عند تعرضه لقوله تعالى فى سورة الانعام « تماما على الذى أحسن (2) ».

« وقد كان شيخنا ابو علي عمل كتاب الحجة فى قراءة السبعة فأغمضه واطاله حتى منع كثيرا ممن يدعي العربية فضلا عن القراءة ، واجفاهم عنه (3) ».

واما كتاب الحجة لابن خالويه ، فان ابن خالويه فى حجته نهج نهجا آخر ، نهجا يقوم على الرواية والسماع ، فليست اللغة فى نظره تؤخذ من المنطق ، او تقوم على الاقيسة كما كان يفعل ابو علي فى الحجة .

ولعل السر فى تأليف الحجة لابن خالويه أنه احس فى مرارة ان كتاب ابي علي ، لا ينتفع به الخاصة فضلا عن العامة فحفزه ذلك الى تأليف كتابه فى أسلوب سهل ممتع وفى عرض يشرق عليك بهاؤه ويستولى على نفسك جماله ، وقد جعل الاختصار رائده ليتحقق الهدف الاكبر من تأليفه ، وهو انتفاع الناس به او كما يقول : « قاصد قصد الابانة » فى اقتصار من غير اطالة ولا اكثار » .. جامعا ذلك بلفظ بين جزل ومقال واضح سهل ليقرب على مريده ، وليسهل على مستفيده (4) .

قيمة كتاب الحجة لابن خالويه فى عصرنا الحاضر :

ونحن نعيش فى عصر السرعة ، ومن متطلبات السرعة الصراحة والوضوح ، صراحة الافكار ، ووضوح المعاني وتحديد الالفاظ ، والوصول الى الهدف من اقرب طريق وايسر سبيل .

وكل ذلك تجده فى الحجة متمثلا فى كل صفحة من صفحاته بل فى كل سطر من سطوره .

ولا اخفي سرا اذا قلت : ان هذا المنهج الذي التزمه ابن خالويه اعجبني وسحرني ، اعجبني لانني استطعت ان اقف على كل مسائل الاحتجاج فى وقت قصير ، وسحرني لانه يقدم لي خلاصة مهذبة واضحة المعالم ، بينة السمات فى قراءات القرآن الكريم ، والاحتجاج بها .

فنحن اذن فى أشد الحاجة الى هذا الكتاب للوقوف على القراءات القرآنية فى ضوء النحو واللغة من ناحية ولأنه أقدم كتاب ظهر فى القراءات السبع هو وحجة الفارسي من الناحية الاخرى .

وصف كتاب الحجة لابن خالويه :

فى الصفحة الاولى من الحجة تجد ما يأتي :

كتاب الحجة فى قراءات الائمة السبعة من اهل الامصار الخمسة المعروفين بصحة النقل ، واتقان الحفظ ، المأمونين فى الرواية للعلامة المحقق امام النحو واللغة ابن عبد الله الحسين بن خالويه رحمه الله ، وحياه من الخير ما يتوالى . قراءات 134 — طلعت .

وفى هامش الصفحة تجد تملكا لهذه النسخة ، فهي قد دخلت فى نوبة العبد الفقير الى الله ابراهيم السدى المصري سنة 1191 هـ ، وكتب انه اطلع على النسخة فرآها ومن غير شك ، فان هذه التملكات العديدة تدل على قيمة هذه النسخة ، وتسابق العلماء فى اقتنائها الى أن وصلت الى مكتبة طلعت .

وفى آخر صفحة من الكتاب ذيلت بهذه العبارة:

وقع الفراغ من نسخة كله فى ذي الحجة سنة ست وتسعين وأربعمائة .

وتحت هذا التذييل تذييل آخر ، وهو :

« قوبل وصحح بأصله المكتوب منه »

ومن ناحية الخط فانه كتب بخط النسخ الذي كانت تسود الكتابة به فى هذا العصر ، وقد وقفت على ذلك بعد مقارنة قمت بها فى مخطوطات القرن الخامس الهجري . وقد نسخت من هذه النسخة القديمة نسخة اخرى بقلم معتاد تمت كتابتها فى 28 شوال سنة 1355 هـ ، وهذه النسخة مخطوط رقم 219523

---

1) انظر مقدمة الحجة ، وانظر مقدمة المحتسب من مطبوعات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

2) الانعام — 154 .

3) مقدمة المحتسب لابن جنى من مطبوعات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

4) مقدمة كتاب الحجة — 1 .

دار الكتب (1) ولم اعتمد عليها ، بل اعتمدت على الاصل الذي كتبت منه وهو النسخة التي كتبت فى 496 هـ .

منهج ابن خالويه فى الحجة وآراؤه :

1 — اعتمد فى حجته على القراءات المشهورة ، تاركا الروايات الشاذة المنكورة (2) .

2 — الايجاز والاختصار حتى يفهم القارىء او الدارس المراد من غير استطراد ممل ، او اسلوب معقد ، يقول فى المقدمة : « وقاصد قصد الابانة فى اختصار ، من غير اطالة ولا اكثار » .

3 — عرض القراءات من غير سند الرواية ، لان هدفه الايجاز ولا يلجأ الى نسبة القراءات الى اصحابها الا اذا دعت الضرورة لذلك ، ليتبين مكانة من قرأ بها فى حقل الدراسات القرآنية .

4 — واذا عرض لمسالة ، وبين وجه التعليل والحجة فيها ثم تكرر نظيرها ، لا يعيد القول فيها ، وانما يحيلك الى الموضع حرصا على الوقت ، وايمانا بالايجاز .

5 — اللغة فى نظره لا تقاس ، وتؤخذ سماعا يقول فى قوله تعالى « المتعال (3) » : والدليل على ان اللغة لا تقاس ، وانما تؤخذ سماعا قولهم : الله متعال من تعالى ، ولا يقال : متبارك من تبارك (4) .

وفى قوله تعالى « فى آذانهم من الصواعق» (5) يقول : فاما امالة الكسائي رحمه الله قوله تعالى « فى آذانهم من الصواعق» فان كان اماله سماعا من العرب، فالسؤال عنه ويل (6) .

6 — ومن منهجه ان لغة العرب ، وان اختلفت حجة يؤخذ بها ويعتمد عليها ، يقول فى قوله تعالى : «وان كنتم للرؤيا تعبرون (7)» وروى عن الكسائي انه امال هذه وفتح قوله لا تقصص رؤياك (8) .

فان كان فعل ذلك ليفرق بين النصب والخفض فقد وهم ، وان كان اراد الدلالة على جواز اللغتين فقد اصاب (9) .

7 — ويطمئن الى اهل قول اللغة لانهم اصحاب رواية وسماع يقول فى قوله تعالى « ولا تك فى ضيق (10) » يقرا بفتح الضاد وكسرها ، وقد ذكرت حجته آنفا ، وقلنا فيه ما قاله اهل اللغة (11).

8 — ويميل الى لغة اهل الحجاز :

يقول فى قوله تعالى : « وزنوا بالقسطاس (12)» يقرا بكسر القاف وضمها ، وهما لغتان فصيحتان ، والضم اكثر لانه لغة اهل الحجاز (13) .

9 — يدافع عن القراءات السبع ، ويتهم من يصف حمزة بانه لا يعرف العربية ، واتساع كلام العرب (14) .

---

1) انظر : فهرس المخطوطات : القسم الاول أ — س ص 276 .
2) مقدمة كتاب الحجة — 1 .
3) الرعد — 9
4) الحجة — 99 .
5) البقرة — 19 .
6) الحجة — 7 .
7) يوسف — 43 .
8) يوسف — 5 .
9) الحجة — 94 .
10) النحل — 70 .
11) الحجة — 154 .
12) الاسراء — 35 .
13) الحجة — 111 .
14) انظر : ص 172 عند قوله تعالى : « ومكر السيء » .

10 — ومن منهجه ان القرآن الكريم لا يحمل على الضرورة والفاظ الامثال ، فقد انكر الخفض على الجوار في قوله تعالى : « وأرجلكم (1) » .

11 — لا يرجع الى تفسير المعنى الا في القليل النادر كتفسيره قوله تعالى : « جعلا له شركاء فيما آتاهما (2) » .

12 — من النادر تعرضه لاعراب الشواهد التي يحتج بها ، ولكنه في بيت :

يا رب سار بات لن يؤسدا
تحت ذراع العيس او كف اليدا

فانه يتعرض لاعراب مواضع من البيت ، مفسرا بعض كلماته (3) .

13 — يعتد برسم المصحف : انظر ص 8 من الحجة عند قوله تعالى : « ان الله على كل شيء قدير (4) » .

وقوله تعالى : « ثم اتخذتم (5) » حيث ذكر ان من اظهر اتى بالكلمة على أصلها ، واختتم الثواب في كل حرف منها (6) .

14 — وابن خالويه يستشهد بالحديث الشريف في عدة مواطن من كتابه الحجة ، انظر مثلا ص 14 ، ص 18 ، ص 38 ، ص 58 .

15 — وهو في الحجة مستقل التفكير ، متحرر النزعة ، لا يتعصب للبصريين ولا للكوفيين ، وقد يعرض آراء المدرستين وحجة كل منهما من غير ترجيح ، وقد يرجع بأدلة يراها وقد يختلف عنها بآراء متحررة .

وظهور هذه النزعة التجديدية في ابن خالويه جعلت المستشرق برجستراسر يقول عنه « في حلب اخذ ابن خالويه يدرس النحو وعلم اللغة ، ونهج فيهما نهجا جديدا ، لانه لم يتبع طريقة الكوفيين ، ولا طريقة البصريين ، ولكنه اختار من كليهما ما كان احلى واحسن (7) » .

قراءات لم ترد الا عن طريقه :

وذلك في قوله تعالى : «فله عشر امثالها (8)»

قال : يقرأ بالتنوين ، ونصب الامثال ، وبطرحه والخفض فالحجة لمن نصب ان التنوين يمنع من الاضافة فنصبت على خلاف المضاف ، والحجة لمن اضاف انه اراد فله عشر حسنات ، فأقام الامثال مقام الحسنات (9) .

وليس في كتب القراءات التي بين ايدينا الا حذف التنوين وجر اللام بالاضافة ، وهي قراءة جميع القراء في الامصار ما عدا الحسن البصري ، فانه كان يقرأ عشر بالتنوين ، وامثالها بالرفع ، وذلك وجه صحيح في العربية غير ان اجماع قراء الامصار على خلافها .

اما رواية النصب ، فلم اجدها الا عند ابن خالويه.

ينسب الى حفص قراءات لا وجود لها في المصحف الذي بين أيدينا .

يقول في قوله تعالى : (بنصب (10) اجمع القراء على ضم النون الا ما رواه حفص عن عاصم بالفتح وهما لغتان(11)كذلك ينسب اليه قراءة اخرى لا نراها

1) المائدة 6 ، انظر : ص 49 من الحجة .
2) الاعراف 190 ، وانظر : ص 76 من الحجة .
3) الحجة — 102 .
4) البقرة — 20 .
5) البقرة — 51 .
6) الحجة — 11 .
7) مقدمة مختصرة في شواذ القرآن 6 .
8) الانعام — 160 .
9) الحجة — 66 .
10) سورة ص 41 .
11) الحجة — 179 .

في المصحف الذي بين أيدينا عند قوله تعالى « وعزني في الخطاب (1) » .

قال : اسكان الياء اجماع الا ما رواه حفص عن عاصم بالفتح لقلة الاسم ، وكذلك قوله وعزني بالتشديد اجماع الا ما رواه ايضا عنه بالتشديد واثبات الالف وهما لغتان (2) .

— ◆ —

نقد منهجه :

وابن خالويه لم يلتزم منهجه فقد خرج عنه في عدة مواضع :

1 — مع الامثلة المتعددة التي تدل على اعتداده برسم المصحف فانه قد خرج عن هذه القاعدة في قوله تعالى : « بالغداة والعشي (3) » قال : يقرأ بالالف وبالواو في موضع الالف مع اسكان الدال .. ثم قال .. « والحجة لمن قرأ بالواو انه اتبع الخط لانها في السواد بالواو ، وليس هذا بحجة قاطعة لانها انما كتبت بالواو كما كتبت الصلاة والزكاة (4) .

وفي هذا مخالفة صريحة للمنهج مع ان هذه القراءة قراءة ابن عامر من القراء السبعة .

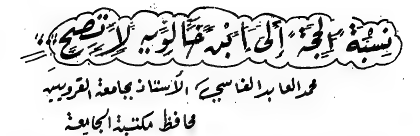
1) ص 23 .
2) الحجة ـ 179 .
3) الانعام ـ 52 .
4) الحجة ـ 57 .
5) النمل ـ 87 .
6) الحجة ـ 155 .

2 — ومع احترامه للسماع وايمانه بالرواية فانه لا يستطيع ان يتخلص من النزعة النحوية التي تؤمن بالعلة وتقدس المنطق .

يقول في قوله تعالى : « وكل أتوه (5) » : فان قيل : لم اختص ما يعقل بجمع السلامة دون ما لا يعقل فقل : لفضيلة من يعقل على ما لا يعقل ، ففضل في اللفظ بهذا الجمع كما فضل بالاسماء الاعلام في المعنى، وحمل ما لا يعقل في الجمع على مؤنث ما يعقل ، لان المؤنث العاقل فرع على المذكر ، والمؤنث مما لا يعقل فرع على المؤنث العاقل فتجانسا بالفرعية ، فاجتمعا في لفظ الجمع بالالف والتاء (6) .

وبعد ، فهذا عمل متواضع بذلت فيه الجهد وعشت في مجاله اجمل الساعات ، تغمرني نشوة روحية ، لانها دراسة في رحاب القرآن فان جاء هذا العمل وافيا بالغرض ، محققا للهدف فبتوفيق الله والهامه ، وان جاء غير ذلك فقد اجتهدت وبذلت ، والمجتهد ان اصاب فله اجران وان اخطأ فله أجر .

ارجو من الله ان ينفع به ، وان ينير الطريق امام الدارسين في القراءات ، والنحو ، واللغة ، ليسهموا في استمرار هذه الدراسات ونشرها حتى لا يبتلعها سيل المادية الجارف في عصرنا الحاضر . انه نعم المولى ونعم النصير .



ارى لزاما على ان اتحدث بصفة خاصة عن الفصل الذى عقده المحقق الدكتور عبد العال سالم مكرم فى المقدمة التي كتبها عن كتاب الحجة ، حيث قال : « اقتضى منهج التحقيق ان اوثق هذا الكتاب لاتأكد من نسبته لابن خالويه لان هناك سحبا من الشك فى نفوس بعض المعاصرين من حيث نسبة هذا الكتاب الى ابن خالويه » ثم حصر المحقق دليل هذا الشك فى كونه لم يرد فى كتب الطبقات التي تعرضت لذكر ابن خالويه وانتاجه وان ذكرت له موضوعات اخرى فى فن القراءات حملت اسماء مختلفة ولم يحمل واحد منها اسم الحجة . الا ان المحقق لم يذكر هؤلاء المعاصرين الذين تشككوا فى صحة هذه النسبة ولو عرفوا لامكننا الاطلاع على رايهم الكامل فى الموضوع بكل دقة ولتاتى للباحث معرفة حجة او على الاقل شبهه التي اوقعته فى هذا الشك .

وقد حاول المحقق ان يعزز رايه فى تثبيت هذه النسبة بعد دراسات قام بها لهذا الكتاب ومع باقي مؤلفات ابن خالويه فاستنتج بايمان لا يتطرق اليه الشك ان نسبة هذا الكتاب لابن خالويه صحيحة . وقد حصر دليل الاثبات فى نقط ثمان نستعرضها بايجاز ثم نقف بنظرنا حول كل نقطة من نقط ادلته . قـــــال :

1) تلمذة ابن خالويه لابن مجاهد فرضت عليه ان يحيا فى الدراسات القرآنية ويتمكن منها ويلم بالقراءات ويدافع عنها ، ثم قال :

وابن مجاهد حين ما سبع السبعة والف كتابه القراءات السبع شرحه ابو علي الفارسي وسمى شرحه بالحجة ثم اختصره ابو محمد مكي ، قال المحقق فاذا كان ابو علي الفارسي يشرح القراءات السبع لابن مجاهد فليس بدعا ان يتولى هذا الشرح ايضا تلميذه ابن خالويه لانه ابن عصره الف فى معظم فروع المعرفة السائدة فيه ، ومن ذلك علم القراءات ومن اجل هذا الف ابن خالويه كتابه الحجة ليدلــي بدلوه بين الدلاء وكل الذين ترجموا لابن خالويه اكدوا ان له كتابا فى القراءات ، ثم قال :

والسؤال الذى يرد هنا لم لم يشتهر ابن خالويه بالحجة ولم لم يذكر هذا فى كتب الرواة فى حين ذكروا ان له كتبا فى القراءات ... ؛

اقول قد يرجع ذلك الى ان الكتاب « الحجة » هو فى القراءات فاستغنوا بذكرها عن كلمة الحجة . قلت جميع ما كتبه المحقق هنا فى الدليل الاول لا يثبت الغرض المطلوب لان كونه من تلامذة ابن مجاهد وكونه برع فى الدراسات القرآنية والف فيها لا يكفي ذلك دليلا على اثبات نسبة كتاب الحجة له ، واما كونه ليس بدعا ان يؤلف فى الموضوع كما فعل معاصروه ابو علي وغيره ، فصحيح ولكن المسالة مسالة اثبات لا مسالة احتمال وتخمين ، ومن المعلوم ان ابن خالويه الف فى القراءات وذكر منها مترجموه عدة كتب مثل : البديع وكتاب مختصر شواذ القراءات وغير ذلك مما سمى فى ترجمته ، فلماذا اجمع اصحاب الطبقات على عدم ذكر كتاب الحجة ، واما كون كتاب الحجة من كتب القراءات فاستغنوا بذكرها عن كتاب الحجة فنحن نتساءل لماذا لم يذكروا كتاب الحجة الذي هو افيدها لو ثبت واستغنوا بذكره عن باقي كتبه فى القراءات ، فعدم التصريح عليه بالمرة والاقتصار على ما هو اقل منه فائدة يكاد يكون واضحا فى عدم ثبوت هذه النسبة .

2) قال المحقق : وما لي اذهب بعيدا ولابن خالويه كتب عديدة لم ترد فى كتب الطبقات وابن

خالويه اشار الى بعضها مثل كتابه فى أسماء الله الحسنى نقول : هذا كلام من نمط سابقه فان كتاب الحجة جدير بان يذكر فى اول قائمة كتب ابن خالويه لو صحت النسبة وحيث لم يذكر فى كتب الطبقات ولا ذكر فى باقي كتب ابن خالويه فهذا دليل على عدم صحة نسبته اليه لان كتب الطبقات لم تذكره ولان ابن خالويه لم يشر اليه فى تضاعيف كتبه .

3) الادلة فى نظر المحقق ان التسمية بالحجة من عمل المتاخرين وان التسمية جاءت متاخرة عن تاليف كتاب الحجة لابن خالويه وحتى كتاب الحجة لابن علي الفارسي لم يقدمه ابو علي لعضد الدولة باسم الحجة الخ .

لا ادري ماذا يقصد الاستاذ المحقق من هذه النقطة الثالثة ولا ادري ما هو مبلغ اثر تاخير التسمية فى موضوع اثبات النسبة او عدم اثباتها .

على اننا نؤكد ان النسخ العتيقة التي توجد من كتاب الحجة لابي علي الفارسي مكتوب بظهر اول ورقة من اجزائه بخط عريق فى القدم من نسخة كان يتملكها الحافظ الحجة ابو الحسن علي بن محمد الشاري ما صورته : الجزء السابع من كتاب الحجة لقراء الامصار الخ . فمن اين الجزم بان ابا علي الفارسي لم يسم كتابه بالحجة وقد اطبقت فهارس الاشياخ الاقدمين على تسمية كتاب ابي علي الفارسي بكتاب الحجة وكذلك اطبقت نقول أشياخ القراءات فى كتبهم على هذه التسمية ولم يشر واحد منهم على ان التسمية من وضع غيره .

4) الادلة قول المحقق : التنافس العلمي فى عصر ابن خالويه يفرض عليه ان يؤلف كتاب الحجة فى القراءات وانا لاادري ما وقع هذا الدليل والتنافس العلمي ولو بلغ ما بلغ لا ينتج مثل هذا الفرض المشكوك فيه من اصله ، وقد وقع التنافس فى كثير من الفنون فى عصره ولم يؤلف ابن خالويه فى جميع تلك العلوم المتنافس فيها .

5) خامس الادلة قوله : ومن اوضح ادلة التوثيق لهذا الكتاب ونسبته لابن خالويه تشابه اسلوبه ومنهجه مع مؤلفات ابن خالويه الاخرى وجعل المحقق هذا الاسلوب والمنهج محصورا فى الايجاز والاختصار وفى اشياء اخرى ذكرها . نقول ان الاسلوب والمنهج الذي كان سائدا فى عصر ابن خالويه لم يكن خاصا به بل كان عاما لدى الشخصيات التي تتلمذت لابن مجاهد وابو علي الفارسي فى كتبه لم يكن يتبع غير طريقة الايجاز ولو نسبيا ، اما النقل عن ابن مجاهد وابن الانفار وغيرهما من الاعلام الذين سبقوه فليس دليلا على ثبوت النسبة كما هو بديهي .

6) قوله : ومن ادلة التوثيق ان الاعلام الذين سجلهم ابن خالويه فى كتابه انهم كانوا اسبق منه زمنا كما يدل على ان الكتاب لم يؤلف بعد عصر ابن خالويه، نقول هذا من الاستدلالات الواهية ومتى كان النقل عن اعلام سابقين فى الزمان دليلا على تثبيت نسبة كتاب لشخص معين ما لم تقم ادلة خارجية على تصحيح هذه النسبة .

7) قول المحقق : ومن الادلة تقارب بعض النصوص فى مؤلفات ابن خالويه الاخرى مع بعض نصوص الحجة . قال : ولا ابالغ اذا قلت ان هناك نصوصا باساليبها وكلماتها فى هذه المؤلفات هي بعينها فى كتاب الحجة ثم اورد بعض الشواهد على ذلك من كتاب القراءات لابن خالويه المخطوط بالجامعة العربية الى ان قال :

وبمقارنة هذه النصوص يتبين ان كتاب القراءات يحتوي على نصوص كثيرة متقاربة من نصوص كتاب الحجة مما يدل على ان مؤلف الكتابين واحد . نقول هذه المشابهة او المقاربة بين النصوص لا تفيد شيئا فى الواقع ومجرد القاء الباحث نظرة على كتاب الحجة لابي علي الفارسي المعترف به من الجميع مع مراجعة ما قاله النحويون والقراء والمفسرون الاقدمون والمعاصرون للفارسي ولابن خالويه يجد أن جميع تلك النصوص متشابهة ومتقاربة فى المعنى وحتى فى اللفظ فى بعض الاحيان ومع ذلك التشابه والتقارب لا يمكن أن نستدل بذلك على اثبات نسبة كتاب معين لشخص معين بمجرد التشابه والتقارب لاسيما وكتاب القراءات هو بنفسه فى حاجة الى اثبات خاص ؛ ومن المعلوم ان بعض الكتب المنسوبة الى ابن خالويه وقع القدح فى صحة نسبتها كما وقع فى كتاب الشجر ، والحق انه من تصنيف ابي زيد اللغوي صاحب كتاب النوادر فى اللغة كما اورده المحقق نفسه .

8) الدليل الثامن من عند المحقق مما يحاول به اثبات كتاب الحجة لابن خالويه . قدم النسخ قال : وتاريخ نسخ كتاب الحجة الذي قمت بتحقيقه قديم لانه نسخ سنة 496 وهو تاريخ قريب من عصر المؤلف بمائة وستة وعشرين عاما فى حين بعض كتبه الاخرى نسخت سنة 600 وسنة 772 قال : وذلك يؤكد ان كتاب الحجة أقدم كتاب فى مجال النسخ من الكتب الاخرى ، ثم قال : ان الكتاب نسخة فريدة احتفظت

بها مكتبة طلعت رقم 134 قراءات وقد اشار اليهـا بروكلمان في كتابه تاريخ الادب العربي . ثم قال : وقد حاولت العثور على النسخة الاخرى حتى يتيسر التحقيق ويتجلى الغموض . ثم قال اخيرا : هذا وانفراد الحجة بنسخة واحدة في مكتبات العالم لا ينقص من قدره ولا ينزل به من مكانه ولا ادل على ذلك من هذه العبارة التي ذيلت بها الصفحة الاخيرة من الحجة وهي « قوبل وصحح باصله المكتوب منه ولكن اين ذهب هذا الاصل اقول يعني المحقق ذهب هذا الاصل لان ظاهرة ضياع الكتب وفقدها ليست غريبة على تراثنا العربي هـ » .

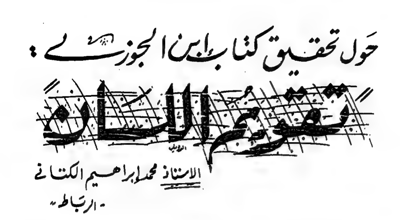
وهكذا نلاحظ ان ما قام به جناب المحقق من محاولات لاثبات نسبة الحجة لابن خالويه لا يصمد امام البحث العلمي ، فتاريخ النسخ المكتوب بآخر نسخة الحجة التي اعتمدها المحقق لا يمكن الاعتماد عليه حيث ان النسخة عارية من اسم الناسخ ولو ذكر لامكن البحث عنه ومعرفة وزنه وقيمته زيادة على ان الخط ليس من الخطوط المتداولة في القرن الخامس الهجري يعرف هذا بالبداهة من له خبرة بالخطوط وتطوراتها والمقابلة المذكورة لا تفيد اي شيء لان كاتبها مجهول ، وقد عودتنا المصادر العلمية بالاندلس وغيرها ان الناسخين يذكرون الاصول التي اعتمدوهـا في نسخهم مع التعريف باصحابها وذكر الاسانيد التي توصلهم الى مؤلفيها ثم يذكرون المقابلة والسماع والطباق وتاريخ كل دولة من دول المقابلة ومع من كان يقابل وهذا شيء لا نجده مقصورا في كتب الاقدمين على كتب التفسير والحديث بل نجده كذلك واضحا في كتب النحو واللغة والاداب ، وهذا ابو علي الصدفي محقق كتب الحديث نراه يطبق منهجه في كتب اللغة والنحو وسائر الفنون الاسلامية ، وكم وقفنا على نسخ من كتاب سيبويه بلغت الدرجة في الاتقان واجادة الرواية مع كتب السماع ، وهذه فهرسة الكاتب الراوية ابي بكر بن خير الاموي الفاسي يعطي فيها المثال الواضح والنموذج المثالي لعمل الاندلسيين في هذا البـاب ، ونرى ابن خير يذكر في كتب القراءات التي يرويهـا باسانيدها كتاب الحجة لابي علي الفارسي هكذا :

« كتاب الحجة لاختلاف القراء رحمهم الله تأليف ابي علي الحسين بن عبد الغفار الفارسي النسب البسوي المولد النحوي رحمه الله حدثني به شيخنا الخطيب ابو الحسن شريح بن محمد المقري (صفحة 42 طبع مدريد) كما ذكر في الصفحة نفسها : كتاب اختصار الحجة المذكور تأليف ابي عبد الله محمد بن شريح بن احمد المقري رحمه الله وقد اكثر ابن خير من ذكر امهات الكتب الكبرى في عصورها الاولى بالنسبة للمشارقة والمغاربة كما ذكر كتاب المنتخب في اختصار كتاب الحجة للفارسي تأليف ابي محمد مكي ابن ابي طالب ولم تعرج الفهرسة المذكورة ولا غيرها من الفهارس والمعاجم وطبقات القراء على كتاب الحجـة المنسوب لابن خالويه ، وفي خزانة القرويين بقية من اجزاء هذا الكتاب العظيم الذي خلفه ابو علي الفارسي معجزة من مفاخر هذا العقل الوثاب العالم باسـرار اللغة العربية ومقاييسها وفي هذه البقية عنوان احد اجزائه المكتوبة في الرق ،

الجزء السابع من كتاب الحجة لقراء الامصار الخ .
واسفله : لعلي بن محمد بن علي الشاري نفعه الله به .
وبالاسف الشديد لم يبق من هذه النسخة العتيقة الا بقايا لا تتجاوز اوراقا معدودة، ولكن من لطف الله وجود نسخ تامة في الشرق الاسلامي في دار الكتب والمكتبة

الازهرية وقد طبع منه الجزء الاول بتحقيق العالـم علي النجدي ورفاقه .

فالذي يظهر لنا اذن بعد تتبع ملاحظات الاستاذ المحقق في خصوص اثبات نسبة كتاب الحجـة لابـن خالويه لان ذلك لا يمكن من طريق التمحيص العلمي ، كما لا يمكن ان ننفيه عنه نفيا قاطعا ، والذي تميل اليه النفس هو ان كتاب الحجة هذا احد المختصرات التي اختصر بها كتاب الحجة الاصلي لابن علي الفارسـي لعالم مجهول والذي يجعلنا نميل الى نفي هذه النسبة هو أن جميع المصادر التي ترجمت ابن خالويه لم تذكر في قائمة كتبه تأليفه الحجة ولم يعرج اصحاب المعاجم والفهارس وطبقات القراء عليه ، ومن المعروف اعتناء الاندلسيين والمغاربة والمشارقة بعن القراءات وتصفحهم الدقيق لكل ما كتب في الفن في العصـور السابقـة ، وروايتهم ذلك بالاسانيد القوية ، ولم نر فردا منهـم اشار اليه ولا لمح الى وجوده ، اما التعليل بظاهـرة ضياع الكتب وفقدانها حتى لم يبـق الزمـان الا على نسخة واحدة ، فهذا يمكن قبوله لو ذكر الكتاب ولـو مرة في مصدر من المصادر القديمة لاسيما ونحن نعرف قائمة طويلة من الكتب الضائعة لسبب من الاسبـاب ولكن في الوقت نفسه نجزم بنسبة الكتاب الضائـع لصاحبه المعيـن بسبب تعـدد ذكـره في المصـادر والاشارة اليه وحبذا لو كانت نسخة مكتبة طلعت التي عثر عليها المحقق نسخة علمية عليها سماعات وقراءات بخطوط علماء معروفين في التاريخ لو كان ذلك لوقع بعض الاطمئنان .



عندما طلب مني صديقي الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ان اختار رسالة مخطوطة تتناول موضوعا لغويا لنتعاون معا على تحقيقها ونشرها ، في نطاق نشاط (المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالوطن العربي) التابع (لجامعة الدول العربية) والذي يوجد مركزه بالرباط . اتجه ذهني الى كتاب (تقويم اللسان) لابي الفرج ابن الجوزي ، الذي توجد منه نسخة مخطوطة في (قسم المخطوطات التابع للخزانة العامة للكتب والمستندات بالرباط) ضمن مجموع يحمل رقم د 1872 فهو :

1 يذكر الالفاظ التي يخطىء الناس في استعمالها ويبين وجه الصواب فيها .

2 – وهو رسالة صغيرة تقع في 20 ورقة .

3 – ثم هو من تاليف واعظ شهير ، ومؤلف مكثر ! وقد وافق الصديق على الفكرة .

ورجعنا الى (فهرس المخطوطات المصورة) بمعهد احياء المخطوطات العربية ، ج 1 تصنيف المرحوم الاستاذ فؤاد سيد . فوجدنا فيه نسختين :

احداهما بعنوان (غلطات العوام) رقم لغة 190 ص 362 مصورة من مكتبةلاله‌لي باستانبول .

والثانية بعنوان (ما تلحن فيه العامة) رقم لغة 227 ص 368 مصورة من مكتبة شهيد علي .

وقد شرعنا في تحقيق (المخطوط) فوجدنا انه كثير التصحيف ، ورأينا من الضروري أن نرجع الى المراجع اللغوية : كلسان العرب والصحاح ، والقاموس ، وتاج العروس ، و (تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة) للجواليقي و (المعرب من الكلام الاعجمي) للجواليقي ، و (شفاء الغليل ، فيما في كلام العرب من الدخيل) للشهاب الخفاجي . فوجدنا أن كثيرا مما ينتقده ابن الجوزي يجيزه بعض ءاخر ! فشرعنا في تسجيل التعليقات التي لم نكن نظن اول الامر أننا في حاجة اليها !

وبينما نحن نواصل عملنا قرأنا في بعض الصحف نبأ طبع الكتاب ! فلم تلبث همتنا ان فترت عن مواصلة العمل ! في انتظار الاطلاع على الناشر . ولكننا لم نتوفق للوقوف عليه ! شأنه في ذلك شأن كثير من كتب التراث والدراسات الجادة التي تطبع في البلاد العربية ولا يصل منها شيء للمغرب !

واخيرا ارتأى الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله اننا بذلنا مجهودا فيما حققناه من الكتاب لا موجب لضياعه، فقد يكون في نشر ما أتممنا تحقيقه في (مجلة اللسان العربي) التي يصدرها (المكتب الدائم) فائدة لبعض القراء ، فلم أر مانعا من الموافقة على ذلك .

على أمل أن تسمح لنا ظروفنا باتمام تحقيق ما بقي من الكتاب ، واعادة النظر مرة اخرى فيما علقناه !

وصف المخطوطة

تقع مخطوطتنا من (تقويم اللسان) في 42 ص ، في اولاها اسم الكتاب واسم مؤلفه ، وبعض التملكات ، منها تملك يوسف الانصاري بتاريخ 1177 هـ وتوقيعه وطابعه .

وفي اخراها : كذا ، وهو خطأ ، لان اليوم انقضى. وهذا آخره والله اعلم . ووافق الفراغ من كتابتها في يوم الاربعاء المبارك ثامن عشر شهر شعبان المكرم من شهور سنة تسعة واربعين والف .

وهي بخط مشرقي جميل ، خالية من تسمية الناسخ ومسطرتها 25 .

هل هو مؤلف واحد او اكثر ؟

ذكرنا فيما سبق ثلاثة اسماء هي :

1 (تقويم اللسان) وهو اسم نسختنا ، وهو الاسم الذي ذكره سبط ابن الجوزي في (مرآة الزمان) وقال : انه جزآن ! (د ص 484 من القسم الاول من الجزء الثاني ، طبع حيدر آباد الدكن 1370 هـ 1951م)

وهو ايضا الاسم الذي ذكره ابن رجب في (الذيل على طبقات الحنابلة) مما نقله ابن القطيعي من خط ابن الجوزي ، وقال : انه مجلد ! (د ج 1 ص 419 طبع القاهرة 1373 هـ 1952 م) ثم اعاد ابن رجب ذكره – مرة اخرى – فيما استدركه على ابن القطيعي ! (ص 420) .

وهو ايضا الاسم الذي ذكره اسماعيل البغدادي في (هدية العارفين ، اسماء المؤلفين ، وآثار المصنفين) (ج 1 ص 521 طبع استانبول 1951) .

وذكر عبد الحميد العلوجي في (مؤلفات ابن الجوزي) رقم 85 (تقويم اللسان) وقال ان منه نسخة مخطوطة في مكتبة طلعت برقم 427 لغة ... (ص 85) .

وسماه الخوانساري في (كتاب روضات الجنات في احوال العلماء والسادات) ص 427 : (تقويم غلط اللسان) !

كما ذكر العلوجي (مختصر تقويم اللسان) ! رقم 357 ، وقال ان منه نسخة في مكتبة مدرسة سبهسالار .

واما الاسم الثاني وهو (غلطات العوام) فذكر العلوجي في (مؤلفات ابن الجوزي) (ص 85) ان بروكلمان ذكره ، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة يحيى افندي باستانبول .

واما الاسم الثالث وهو (ما تلحن فيه العامة) فقد ورد في (كشف الظنون) (ما يلحن فيه العامة) وقال عنه : مختصر في فصول ... ذكر فيه وانتخب من كتب هذا الباب ما تعم به البلوى دون ما يشذ استعماله ويندر . (ج 2 ضلع 1577 طبع استانبول 1362 هـ 1943 م) .

وذكره ايضا البغدادي في (هدية العارفين) (ج 1 ضلع 522) على انه كتاب آخر غير (تقويم اللسان) !

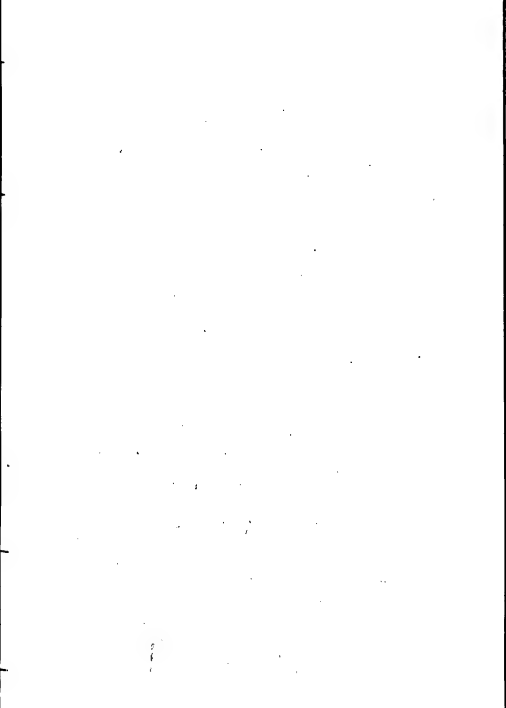
وزاد عبد الحميد العلوجي في (مؤلفات ابن الجوزي) رقم 86 (تقويم اللغة) وقال : ذكره بروكلمان ومنه عدة نسخ مخطوطة في المكتبة البودلية ، وفي برلين وفي الاسكوريال ، وفي خزانة لالهلي باستانبول .

ويلاحظ ان الرقم الذي ذكره لنسخة لالهلي هو 3573 ، وهو نفس الرقم الذي في (فهرس المخطوطات المصورة) باسم (غلطات العوام) !

وهكذا يتاكد ان جميع هذه الاسماء اسم لمسمى واحد الا ان يكون (مختصر تقويم اللسان) مختصرا من هذا!! .

نشاط المجامع والمكتب الدائم للتعريب

- المكتب الدائم في سنته الثامنة
- مسابقة المكتب الدائم
- نشاط المجمع السوري للغة العربية
  للاستاذ جعفر الحسني
- مشروع النظام الاساسي لاتحاد المجامع اللغوية العلميـــــة العربيـــــة
- بين المجلة وقرائهـــا
- مجلة المجلات : اللغة العربيـــة
  للاستاذ احمد العايد



المكتب الدائم في سنته الثامنة

1962 - 1970

انعقد مؤتمر التعريب من 3 الى 7 ابريل 1961 وانبثق عنه مكتب دائم الغاية من وجوده تنسيق جهود الدول العربية فى ميدان التعريب على اساس استفادة المغرب العربي من تجربة الشرق العربي فى حقل التعريب ، وبعد مصادقة مجلس جامعة الدول العربية بناء على قراره رقم 2541 د ـ ج ـ 4 ـ 1969 فى دور انعقاده العادي الحادي والخمسين على النظام الاساسي للمكتب واقرار ميزانيته اصبح مؤسسة ملحقة بجامعة الدول العربية هدفها يتلخص فيما يأتي :

1) تلقي وتتبع ما تنتهي اليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتاب والادباء والمترجمين وقيامه بتنسيق ذلك كله ومقارنته وتصنيفه ليستخرج منه ما يتصل باغراض التعريب وعرضه على مؤتمرات التعريب .

2) التعاون مع شعب التعريب فى البلاد العربية لتتبع نشاط الهيئات المشتغلة بالتعريب فيها ولتلقي النتائج العلمية التى تنتهي اليها الجهود فى تلك البلاد .

3) العمل بكل الوسائل الممكنة على ان تحتل اللغة العربية مكانتها الطبيعية فى جميع البلاد العربية بالتعاون والتنسيق التام مع جامعة الدول العربية والمجامع اللغوية ومع غيرها من جهات الاختصاص فى البلاد العربية .

4) متابعة حركة التعريب خارج حدود الوطن العربي ، بالتنبيه على ما يراه من خطأ فيها وتشجيع الصواب وتقديم المشورة .

ونلخص فيما يلي مختلف المنجزات والنشاطات التي قام بها المكتب منذ انشائه الى ان انضم الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ا) منجزات السنوات (من 1962 الى 1965)

رغم ضعف وسائل المكتب المادية والبشرية (قبل اندماجه فى جامعة الدول العربية) فقد قام طبقا لتصميم ثلاثي لتعريب التعليم والادارة ومظاهر الحضارة باعداد ما يلي :

— مجلة « اللسان العربي » ، وهي مجلة دورية تعنى بمختلف الدراسات اللغوية العلمية منها والادبية ، وكذلك مختلف نشاطات الكتب والمجامع والجامعات والشخصيات العلمية فى الوطن العربي وفى بقية العالم فى ميدان التعريب وقد صدر منها خلال هذه الفترة ثلاثة اعداد (الاول والثاني والثالث) .

— سلسلة معاجم علمية تعاون على تأليفها مع بعض المؤسسات العربية والمجامع اللغوية والعلمية والافراد العلميين وهي :

1) معجم الرياضيات
2) معجم الفيزياء
3) معجم الكيمياء

4) معجم الفقه والقانون
5) معجم الاشغال العمومية
6) معجم السياحة
7) معجم الطحانة والخبازة والفرانة
8) معجم مصطلحات السيارة

هذا وقد وزعت فى وقتها فى العالم العربي وتوصلنا بملاحظات فى شأنها .

ومن المعلوم انه خلال هذه السنوات انكب المكتب الدائم على تحضير ندوة فى خصوص تأليف معجم مدرسي موحد انطلاقا من اقتراح ممثل الجمهورية العربية المتحدة فى المجلس التنفيذي للمكتب الدائم بالرباط (الدورة الاولى لعام 1962)، غير ان الندوة المقررة فى شأنه لم تنعقد لعدم توفر الخبراء الذين كان من المقرر ان يناط بهم مراقبة الاعمال الاولية لاعداد هذا المشروع .

ونعد الآن لهذه الندوة باعداد معجم ابتدائي للعلوم ثم معجم ابتدائي حضاري بالاضافة الى معجم الحساب .

ب) منجزات السنوات (من 1966 الى 1970)

استهل المكتب عمله بادىء ذي بدء بوضع تصميم عشاري للتعريب (لمدة عشر سنوات) من اجل اعداد معجم عامي وتقني عام وزع فى ابانه على الدول العربية من اجل ابداء الراي والمشاركة فى تنفيذه .

وقد شرع المكتب حينا فى تنفيذ هذا المشروع مستهلا عمله بوضع جزازات (بطاقات) باللغات المختلفة للمصطلحات التى توصل بها من المجامع والجامعات والمجالس العليا والهيئات الثقافية والشخصيات العلمية بالوطن العربي وكذلك من الخبراء العرب ومن مراسلي المكتب الذين عينتهم مختلف الحكومات العربية فى مختلف الشعب العلمية والتقنية ، وقد تجاوزت هذه الجزازات لحد الآن ثلاثمائة الف جزازة وما زال عددها فى حالة نمو مستمر .

وفى نطاق هذا التصميم اصدر ما ياتي :

1) مجلة «اللسان العربي» (اربعة اعداد) (الرابع والخامس والسادس) أما السابع فقد صدر فى جزئين (الاول للدراسات والابحاث اللغوية والثاني للمعاجم التى وضعها المكتب وبعض مراسليه فى مختلف الفنون والعلوم) .

2) **سلسلة معاجم صغيرة تعني بالمصطلحات الحضارية كجزء من معجم المعاني وهي :**

— معجم الاسماء والعلوم والفنون والمذاهب والنظم .
— معجم الاجهزة والآلات
— معجم الالعاب واللعب العربية القديمة
— معجم السماكة والاسماك
— معجم الالوان
— معجم الحرف والمهن ومعجم الاحجار والمعادن والفلزات
— معجم الاطعمة
— المعجم المنزلي
— معجم البناء

3) **معجم الحساب الإبتدائي :**

وهو معجم فرنسي ــ عربي للمصطلحات المستعملة فى المدارس الابتدائية وضع طبقا لحاجيات المدارس بالمغرب العربي .

4) استجابة لرغبة وزارة الفلاحة والمصلحة التبوغرافية المغربية قام المكتب بتعريب القسم الاول من المعجم الاخراطي المتعدد اللغات الذى اعدته الجمعية الاخراطية الدولية بعدما قررت الموافقة على طلب ممثل المغرب باضافة اللغة العربية الى لغات المعجم الست ، وقد صدر هذا العمل ضمن العدد السابع من مجلة « اللسان العربي » .

وتجدر الملاحظة هنا الى ان المكتب يتلقى بصفة مستمرة من الوزارات والمؤسسات الحكومية وغيرها بالمغرب قوائم المصطلحات التقنية فى مختلف العلوم والفنون قصد تزويدها بالمقابل العربي .

5) اعداد مشروع معجم الاقتصاد والقانون الذى سيوزع خلال هذه السنة على نطاق واسع فى الوطن العربى لاجل الدراسة وابداء الراي من طرف المختصين فى الموضوع .

وبالاضافة الى ذلك فقد قام المكتب بعدة نشاطات موازية لما انجزه خلال السنوات السبع الماضية تتلخص فيما يلي :

ــ المشاركة فى عدة مؤتمرات ومناسبات عربيةكبرى مثل معرض طرابلس سنة 1963 واشرافه بجانب الجامعة العربية على المؤتمر الثاني للمصطلحات

العربية بالجزائر سنة 1964 وشارك فى مؤتمرات وزراء التربية العرب ببغداد والكويت وفى عدة اجتماعات اخرى عقدت فى بعض الدول العربية .

— تنظيم سلسلة من المهرجانات كأسبوع التعريب بالمغرب سنة 1964 والمواسم الثقافية والقضائية والعلمية المشتملة على المحاضرات والندوات والمعارض قصد التعريف بالكتاب العربي فى شئونه المختلفة وكان الغرض من هذه الاعمال هو التعريف بجهود الدول العربية فى حقل التعريب وما وصلت اليه العربية فى ميدان الثقافة والعلم بالاضافة الى توعية الجماهير لاحلال اللغة العربية المكانة اللائقة بها فى المجتمعات العربية وخصوصا منها اقطار المغرب العربي نظرا لحاجته الماسة للتعريب .

وفى نطاق هذه الحملات اصدر المكتب معجما لمحاربة الدخيل الاجنبي تحت عنوان (قل ولا تقل) وقد كان محل اهتمام بالغ من لدن اجهزة الاعلام فى اقطار المغرب العربي . وقد صمم المكتب الدائم العزم على محاربة الدخيل الاجنبي خاصة فى التعبير الاشهاري فى مجالات التجارة والصناعة فاتفق فى المغرب مع المسؤولين الاداريين على اعادة النظر فى اللافتات الاشهارية من اجل تصحيحها فى المتاجر والمصانع ، ومما اقرته وزارة الداخلية المغربية فى هذا الشان اجبار اصحاب المنشئات والمؤسسات التجارية والصناعية الجدد على تقديم طلب رخصة خاصة يحتوي على تسمية المؤسسات او المنشئات للتصديق عليها من طرف مكتبنا .

والى جانب ذلك انشأ فى مبنى للحكومة المغربية (مقره القديم) مكتبة تحتوي على كتب ومجلات علمية وثقافية وضعت رهن اشارة المثقفين والباحثين والاساتذة والطلاب للاستفادة منها وللتعريف بجهود الدول العربية فى مختلف الميادين العلمية والثقافية والفنية ، وما زال يناشد الدول العربية لتنميتها وتنويعها نظرا للاقبال المتزايد لروادها .

برامجه وجدوله خلال سنة 1970 — 1971

1) اعداد مجلة اللسان العربي (المجلد الثامن فى ثلاثة اجزاء) فى نفس نسق المجلد السابع .

2) تنسيق المشاريع المعجمية التى اصبح المكتب يتبناها بتكليف من مجلس جامعة الدول العربية فى موضوع توحيد المصطلحات العلمية حتى مرحلة الدراسة الثانوية بين الدول العربية فى خصوص المعاجم الآتية :

— معجم الرياضيات
— معجم الكيمياء
— معجم الطبيعة (الفيزياء)
— معجم الحيوان
— معجم الجيولوجيا
— معجم النبات

وبما ان الاجوبة التى توصلنا بها من الدول العربية لم تتضمن آراء كل من سوريا — ليبيا — تونس — الجزائر — المغرب — فقد اضطر المكتب الى اعداد معاجم اضافية تكميلية تشمل بقية الحصيلة العلمية التى لم ترد فى هذه المشاريع .

ونظرا لصيغة الاستعجال التى تكتسيها هذه المشاريع فقد اعطيناها الاولوية واجلنا عملنا فيما يتعلق ببعض المشاريع المعجمية التى تضمنها تقريرنا المقدم الى مجلس جامعة الدول العربية فى دور انعقاده العادي الثالث والخمسين (آذار — مارس 1970) باستثناء ما يرد علينا من المنظمات العربية من اجل التحقيق والتنسيق والتى تفرضها الحاجيات الملحة المفروضة فى الوطن العربي نذكر منها على سبيل المثال :

— مشروع القاموس البريدي الذى احاله علينا الاتحاد البريدي العربي من اجل ابداء رأينا فى محتواه ، وقد وضعنا تقريرا عنه يتضمن ملاحظاتنا واقتراحاتنا فى الموضوع . وبالفعل فقد تم اخراج هذا القاموس متضمنا التعديلات التى ادخلنا عليه .

— مشروع معجم المصطلحات البترولية الذى ورد علينا من المنظمة العربية للبترول من اجل تنسيقه . وقد قمنا باعداد الاقسام الثلاثة الواردة علينا مع وضع المقابلات الفرنسية واضافة مشروع معجم ملحق حاولنا ان نستقصي فيه ما فات المشروع الاول من مصطلحات انطلاقا من احدث المعاجم المستعملة فى منظمات البترول العالمية .

— اعداد معجم علمي للمدارس الابتدائية العربية تتميما لما ورد فى معجم الحساب الآنف الذكر من المصطلحات العلمية .

مسطرة العمل في خصوص تنسيق المصطلحات

يتلخص المنهج الذي وضعه المكتب لتنسيق المعاجم في :

ا ــ استقصاء المصادر العربية لتتبع مختلف المصطلحات المقترحة للمدلول الواحد .

ب ــ وضع المقابلات الاجنبية بلغة ثالثة وهي الفرنسية او الانجليزية بالاضافة الى العربية في خصوص المعاجم الكلاسيكية التعليمية مراعاة للاختلاف في المناهج بين الدول العربية التي كانت تستعمل اللغة الانجليزية في التعليم والدول العربية الاخرى التي كانت تستعمل الفرنسية .

واذا كان للمعجم صبغة تكنولوجية دولية فاننا سنحاول اضافة لغات اخرى كالالمانية والروسية

ج ــ استقراء المفاهيم على الصعيد العالمي في الاطار المحدد للمعجم .

د ــ مبدأ الاحتفاظ بالمشروع الاصلي لكل معجم واضافة مقابل اجنبي ثان انجليزي او فرنسي مع اثبات ملحق عن المصطلحات الاضافية المستعملة في هذا القطر او ذاك من الوطن العربي .

هـ ــ اصدار مشاريع المعاجم المنسقة في جزء خاص في كل طبعة من مجلة « اللسان العربي » مع طبعة اخرى مستقلة لكل مشروع معجم ضمن ملحقه مرتبين ترتيبا موحدا ، وذلك من اجل عرضها على الاخصائيين والخبراء في البلاد العربية والدول الغربية المهتمة بالاستشراق والاستعراب تمهيدا لعرضها على ندوة الخبراء العرب تنعقد في احدى العواصم العربية باتفاق مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تحت اشراف جامعة الدول العربية وذلك لاقرارها نهائيا والعمل على تطبيقها بكيفية موحدة في الجهاز التعليمي بالدول العربية .

مسابقة المكتب الدائم

في اواخر عام 1969 شرع المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي في تنظيم مسابقات سنوية يوزع فيها جوائز باسم كل دولة عربية وذلك في موضوع يتصل باختصاصات المكتب ، وقد اختار لتدشين هذه البادرة أن يكون موضوع المسابقة التي تجري على الصعيدين العربي والاسلامي ما يلـي :

ـ تقديم مخطوط قديم او بحث حول اللغة العربيـة ـ

وتخصص لذلك جائزة قدرها خمسة آلاف درهم او ما يقابلها من عملات أجنبية مع جوائز ثانوية اخرى ويشترط ان يكون المخطوط القديم في موضوع اللغة العربية على شكل معجم أو دراسات او ابحاث لهيئة (لم يسبق نشرها) وأن يكون ذا قيمة جديرة بالاعتبار، كما يشترط أن يكون البحث مستوعبا أصيلا لم ينشر قبل فيما لا يقل عن خمسين صفحة من الحجم المتوسط ، ومعلوم ان المسابقة تسهر عليها في كل قطر مزبي الشعبة الوطنية للتعريب العاملة في نطاق المكتب الدائم داخل هذا القطر وقد اشرفت الشعبة المغربية للتعريب هذا العام على هذه المباراة اللغوية الاولى برئاسة الاستاذ الكبير السيد محمد الفاسي وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة وذلك في دائرة وزارته الموقرة التي تسهر على عمل الشعبة المذكورة.

وقد وردت على المكتب ـ تلبية لندائه ـ الابحاث والمخطوطات الآتية :

1) منهج النويري في « نهاية الارب في فنون الادب»
لعبد الحليم الندوي
استاذ الادب العربي بالجامعة العالية الاسلامية
ـ دلهي الجديدة ـ (الهند)

2) كتاب « الحجة في قراءات الائمة السبعة من اهل الانصار الخمسة » ....
شرح وتحقيق ودراسة :
عبد العالي سالم مكرم
دكتوراه في اللغة العربية وآدابها
من كلية دار العلوم ، والمدرس بجامعة الكويت

3) نحـو العربيـة الدارجـة
محمد بن عبد الرحمان مادير

4) الارجوزة المسماة «بالمورث لمشكل المثلث »
صححها وشرحها :
محمد بن رمضان شاوش
الاستاذ بثانوية الحكيم ابن الزرجي
تلمسان ـ (الجزائر)

5) الاضـــداد فى اللغـــة

للاستاذ حسين محمد (ج. ع. م.)

6) العوامـل الطارئـة على اللغـــة

للدكتور محمد عيد

كلية دار العلوم ــ القاهرة

7) معاجـم الابنيـة فى اللغـــة

للدكتور أحمد مختار عمر
ماجستير فقه اللغة من القاهرة
دكتوراه فقه اللغة من كمبردج

8) حـــول اللغـــة العربيـــة

الاستاذ احمد عبد الرحيم السـايح

(من شيوخ الازهر)

9) اللغة العربية بين الماضي والحاضر والمستقبل

محمد محمود حمزة
الطالب بكلية الحقوق ــ جامعة القاهرة

10) محو الامية فى العالم العربي (المشكلة . الحلول)

حســن نوفـــل
ماجستير فى اللغة العربية

11) « متخيـــر الالفـــاظ »

تصنيف احمد بن فارس
مخطوط حققه وقدم له الاستاذ هلال ناجي
(العـــراق)

12) ابـــو اسحق الغزى

الاستاذ رفيق حسن الحليمي

13) دراسة وبحث حول اللغة العربية

الاستاذ محمد يوسف نور الدين (لبنان)

وقد تشكلت لجنة برئاسة الاستاذ محمد الفاسي عقدت اجتماعها الاول صباح يوم الاربعاء 17 /1970/9 وقررت ما يلـي :

اولا :

1 ــ اسناد بحثي : « العوامل الطارئة على اللغـة » « وابو اسحاق الغزى »

الى السيد علال الفاسي
الاستاذ بجامعتي القرويين ومحمد الخامس

2 ــ اسناد بحثي : « متخير الالفاظ »

و « دراسة وبحث حول اللغة العربية »
الى السيد احمد الإخضر غزال
الاستاذ بجامعة محمد الخامس

3 ــ اسناد بحث : « كتاب الحجة فى قراءات الائمة السبعـــة »

الى السيد العابد الفاسي
الاستاذ بجامعة القرويين

4 ــ اسناد بحث : « من اسرار العربيـة فى البيـان القرآنـــي »

الى السيد محمد بهاء الدين الاميري
الاستاذ بدار الحديث الحسنية
(جامعة القرويين)

5 ــ اسناد بحث : « الاضداد فى اللغة »

الى السيد محمد ابراهيم الكتاني
الاستاذ بجامعتي القرويين ومحمد الخامس
ومحافظ قسم المخطوطات بالخزانة العامـة بالمغـــرب

6 ــ اسناد بحث : « الارجـــوزة المسمـــاة بالمـورث لمشكل المثلث »

الى ابن عبد الهادي المنوني
خبير فى قسم المخطوطات فى الخزانة العامة والخزانة الملكية بالمغرب

7 ـ اسناد بحث : « اللغة العربيــة بيــن الماضــي والحاضر والمستقبل

الى ادريس الكتاني
الاستاذ بمعهد العلوم الاجتماعية

8 ـ اسناد بحث : « معاجم الابنية في اللغة العربية»

الى محمد بن تاويت
الاستاذ بجامعة محمد الخامس

9 ـ اسناد بحث : « حول اللغة العربية »

الى الاستاذ عبد الحق فاضل
خبير في المكتب الدائم

ثانيــا :

الغاء البحوث التالية من المسـابقة

1 ـ محو الامية في العالم العربي : المشكلة . . والحلول

2 ـ نحو العربية الدارجة

3 ـ منهج النويري في نهاية الارب في فنون الادب : بحث ودراسة .

ثالثــا :

انعقت اللجنة على أن تعقد اجتماعا ثانيا يوم 31 اكتوبر 1970 تقدم فيه نتائج دراساتها وتحديد القيم العلمية للبحوث التي اسندت اليها .

وقد انعقد هذا الاجتماع بالفعل وبعد مناقشة طويلة وعروض قدمها كل عضو حول ما أسند اليه من مخطوطات وابحاث تقرر ما يلي :

— الاحتفاظ بالجائزة الاولى .

— الجائزة الثانية منحت للاستاذ هلال ناجـي من العراق عن كتابه « متخير الالفاظ » وقدرهـــا 3000 درهم (أي نحو 600 دولار)

— الجائزة الثالثة منحت للاستاذ حسين محمد من الجمهورية العربية المتحدة من كتابه « الاضداد في اللغة » وقدرها 2000 درهم .

— الجائزة الرابعة منحت للدكتور محمد عيد من الجمهورية العربية المتحدة عن كتابه « العوامل الطارئة على اللغة » وقدرها 1000 درهم .

نشاط المجمع السوري للغة العربية

الأستاذ جعفر الحسني، الأمين العام
« دمشق »

يتفق تاريخ عقد هذه الجلسة ، وهي جلسة مجلس المجمع الختامية لدورة عام 1968 — 1969 م مع ذكرى مناسبة عزيزة هامة هي ذكرى مرور خمسين عاما على مولد المجمع العلمي العربي الذي اصبح فيما بعد مجمع اللغة العربية بدمشق. فلقد استقلت سورية العربية عام 1918 بعد جهاد طويل وولدت مع هذا الاستقلال فكرة **انشاء هيئة علمية** رسمية تعنى باللغة العربية التي طغت عليها العجمة خلال العهد التركي الطويل ، وتعمل على حفظها وصيانتها ووضع المصطلحات العلمية والفنية والادارية الجديدة تمشيا مع حاجة عهد الاستقلال الجديد .

ومن هذه الهيئة **انبثق المجمع العلمي العربي عام 1919 م** اي قبل خمسين عاما خلت وضمت اليه دار الكتب الظاهرية وجعل مقره المدرسة العادلية الكبرى بعد أن حررت من واضع اليد عليها ، وبعد ان رممت لتاخذ شكلها الحاضر ، وهذه المدرسة العادلية تعد من اقدم المدارس بدمشق واشهرها واجملها ، انشاها السلطان نور الدين الزنكي واتمها الملك العادل اخو السلطان صلاح الدين الايوبي لتكون تربة لـه ، والمدرسة العادلية هي الوحيدة بدمشق التي لم ينقطع فيها طلب العلم والتدريس منذ تأسيسها حتى يومنا هذا لقد درس فيها عدد من ائمة العلماء الاعلام منهم ابن خلكان وابن مالك وابن خلدون وغيرهم ، كما اسس **المجمع دارا للآثار الاسلامية** وعرض فى احدى غرفه ما تيسر له جمعه يومئذ من الآثار المبعثرة جمعها من مختلف جهات سورية ، وكانت هذه المجموعة نواة المتحف الوطني الحالي .

كان من حق المجمع علينا إن **نحتفل بعيده الذهبي على نطاق عربي** شامل احتراما بجميله وخدماته التي اسداها للغة العربية وثقافتها .

ان تاسيس مجمع دمشق مهد السبيل لتاسيس مجامع علمية فى اقطار عربية اخرى كالاردن ولبنان ولم يكتب لمجمعي هذين القطرين الحياة الطويلة ، الا ان **مجمع اللغة العربية فى القاهرة اصبح سباقا الى العمل من أجل الحفاظ على اللغة العربية** كما يقوم **مجمع علمي آخر فى القطر العراقي الشقيق** بما يقوم به مجمع دمشق الذي هو اقدم المجامع فى العالم العربي .

ولئن فاتنا تحقيق امنية التكريم على الوجه الذي كنا نرجوه فلا نعدم وسيلة الدعاء له بالبقاء والاستمرار وأن تكتب له السلامة والازدهار على مر الايام ليستمر فى اداء رسالته حتى يتمها خدمة للغة العربية وثقافتها.

وقد يطول بنا الوقت لو اردنا احصاء جميع ما حققه هذا المجمع خلال سنواته الماضية واني لاكتفي باحالة من يرغب فى معرفة ذلك الى مقال الاستاذ الدكتور حسني سبح الذي نشره فى عدد مجلة المجمع الخاص الصادر حديثا ، والذي وزع فى حينه ليجد فيه ما ينقع الغلة ويطفي الاوار أو أن يعود الى مجموعة

مجلة المجمع التي هي مرآة صادقة وسجل حافل لأعماله منذ تأسيسه .

ولقد صدر من هذه المجلة حتى الآن (44) مجلدا يبلغ مجموع صفحاتها نحوا من (30) ثلاثين الف صفحة تضم مختلف الابحاث اللغوية والثقافية والتاريخية والفلسفية والادبية ، وتعتبر هذه المجلة بحق موسوعة غنية بشتى فروع المعرفة ، كما تعتبر صورة مشرقة الملامح لنشاط المجمع في سبيل دعم النهضة الادبية واللغوية الحديثة في سائر الاقطار العربية .

ان اللغة العربية شأنها شأن سائر اللغات الاخرى هي لا تقوم على جهد فرد او افراد وانما هي حصيلة التفاعل العميق بين افراد اسرتها جميعا ، وكذلك خدمتها والسهر على سلامتها فان امرهما يعود على افراد اسرتها جميعا لا الى فئة معينة من الناس .

وتقوم مجلة مجمع دمشق بنشر ما يعلها من علماء العربية في الاقطار كافة وهي ترحب دائما بالابحاث القيمة والمقالات الرصينة ، وكثيرا ما نشرت من هذه البحوث وساعد المجمع على طبع بعض ما حققه العلماء من تراثنا القديم الخالد . ولم يغفل المجمع في بدء عهده ناحية هامة كانت وما تزال من اهم اغراضه وهي بعث الوعي الثقافي في البلاد ، فعمل على القاء سلسلة من المحاضرات الثقافية تناوب الاستماع اليها الرجال والنساء ، وقد جمع بعض هذه المحاضرات في ثلاثة مجلدات كبيرة ، كما اخذ المجمع في جملة جهوده ، بمراقبة الاقلام وتتبع هفواتها في باب (عثرات اللسان وعثرات الاقلام) فكان لهذه الناحية اثرها الطيب في تهذيب اللغة وتقويم الاقلام .

وطبع المجمع منذ تأسيسه (125) كتابا من عيون تراثنا الادبي القديم وحقق اكثر هذه الكتب اعضاء المجمع وغيرهم من العلماء المرموقين في سورية وغيرها من الاقطار العربية والاجنبية ، يضاف الى هذا (44) مجلدا من مجلته ، كما اسلفنا القول ، فيكون بذلك مجموع ما طبعه (179) مجلدا هي من امهات كتب المراجعة ، وهذا العمل في مجموعه عمل كبير لاسيما اذا علمنا ضعف قدرة المجمع المادية ووسائله القليلة.

لقد عمل المجمع على ان يختار لعضويته اصحاب الكفايات من المؤمنين برسالة اللغة العربية وآدابها فضم اليه خلال مدة وجوده (251) عضوا بين عامل ومراسل وجلهم من اعلام العرب والمستشرقين ، وقد توفي منهم الى رحمة الله (166) عضوا وبقي منهم (75) عضوا ما زالوا بحمد الله يعملون وينتجون ، مد الله بعمرهم وبارك اعمالهم .

هذا ايها السادة ، لمحة عاجلة من ماضي مجمعنا واليكم ملخصا مما انجزه في الدورة السابقة (1967 — 1968) .

لقد كان المجمع في دورته السابقة هذه ، قرر بعض الاعمال وعهد الى مكتب المجمع امر تحقيقها وقد انجز منها او كاد المطبوعات التالية :

1 — ديوان الخالديين ، طبع وتحقيق الدكتور سامي الدهان .

2 — قطب السرور في اوصاف الخمور لأبي اسحق ابراهيم المعروف بالرقيق النديم القيرواني تحقيق الاستاذ احمد الجندي .

3 — التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة بن الحسن الاصفهاني ، تحقيق محمد اسعد طلس ومراجعة السيدة اسماء الحمصي والاستاذ عبد المعين الملوحي .

4 — سابق البربري ، شاعر من المغرب عاش في بلاد الشام ، بقلم الاستاذ عبد الله كنون .

5 — خريدة القصر وجريدة العصر (بداية شعراء الشام) للعماد الاصفهاني الكاتب تحقيق الدكتور شكري فيصل .

6 — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم الحديث) وضع الاستاذ ناصر الدين الالباني .

7 — فهرس مخطوطات دار الظاهرية (قسم الطب) وضع الدكتور سامي خلف حمارنة .

8 — ديوان ابن هرمة ، جمع وتحقيق الاستاذ النفاخ والدكتور حسين عطوان .

9 — فهرس المجلدة العاشرة من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر . وضع الآنسة ملك هنانو .

10 — مجلة مجمع اللغة العربية (43) لسنة 1968

ويوجد تحت الطبع :

1 — كتاب التلخيص في اسماء الاشياء لأبي هلال العسكري ، تحقيق الدكتور عزة حسن .

2 — نظرة عيان وتبيان في مقاله اسماء اعضاء الانسان للدكتور صلاح الدين الكواكبي .

3 ـ كتاب اللامات للزجاجي ، تحقيق الدكتور مازن المبارك .

4 ـ ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

المجلـــة :

صدر من مجلة مجمع اللغة العربية المجلد (44) لعام 1969 العددان الأول والثاني في عدد خاص عدد صفحاته (438) صفحة اشترك في تحريره أعضاء المجمع العاملون والمراسلون .

الانتخابـــات :

1 ـ انتخب اللواء الركن محمود شيت خطاب (العراق) عضوا مراسلا

2 ـ الاستاذ ناصـــر الدين الأسد (الاردن) عضوا مراسلا

3 ـ الدكتور فيصـــل دبدوب (العراق) عضوا مراسلا

4 ـ الأستاذ الدكتور ناجـي معـــروف (العراق) عضوا مراسلا

استقبـــال اعضـــاء :

استقبل المجمع بجلستين عامتين كريمتـــين رشحهما لعضوية المجمع علمهما وفضلهما واخلاصهما لمبادىء المجمع وهما الأستاذان : وجيه السمان وعبد الهادي هاشم وكلاهما من الصفوة الممتازة من أعلام الفكر والمعرفة والنشاط .

اتصـــالات المجمـــع :

قام الأستاذ الرئيس برحلة الى مصر والعـــراق واتصل بمجمعي القاهرة وبغداد وبحث معهما **تعزيـــز العلاقات الأخوية فيما بين المجامع الثلاثة** والتعاون فيما بينهم من طريق تبادل المطبوعات وغيرها . وكانـــت الاتصالات مثمرة ومفيدة تكللت بالنجاح ، وقد تـــم التبادل في المطبوعات فعلا .

اهــــداء مكتبـــات :

1 ـ نقد ورثة المرحوم الرئيس الأمير مصطفـــى الشهابي وصية مورثهم وسلموا المجمع جميـــع ما أوصى به المرحوم من كتب واثاث ومخلفـــات وتم تسلمها ، وهي الآن قيد التسجيل والاحصاء.

2 ـ كذلك نفذ ورثة المرحوم الشيخ حامد التقـــي وصيته وسلموا المجمع خزانة كتب المرحـــوم مورثهم ، وذلك بمساعي الأستاذ الزميل الشيخ محمد بهجة البيطار .

3 ـ واهدى الأستاذ خالد خليل مكتبة المرحوم والده الدكتور خليل خالد .

فلاولئك جميعا شكر المجمع وتقديره .

النشـــآت :

ان مشروع دار الكتب الظاهرية قد بلغ مرحلته النهائية وسيتم المشروع في وقت قريب وسيجد الرواد القاعة الكبيرة من هذا البناء مجهزة بكل اسباب الراحة.

الـوفيـــات :

ولن ينسى المجمع في حديثه عن هذه الدورة ان يذكر بالأسف والرحمة الأعضاء الراحلين ممن وافتهم المنية هذا العام وهم المغفور لهم : الأساتذة ساطـــع الحصري وحسن حسني عبد الوهاب ومنير القاضـــي رحمهم الله رحمة واسعة وأجزل ثوابهم .

المـؤتمـــرات :

وقد دعي المجمع للمشاركة في مؤتمرات عدة منها، المؤتمر الرابع لعلوم الرياضيات في بخارست (رومانيا) والمعرض الدولي للمطبوعات العلمية الذي سيعقـــده المجمع العلمي في بولون (ايطاليا) .

وقد لبى المجمع دعوة مؤتمر المصطلحات الطبية الذي عقد في الموصل (العراق) ومثل المجمع فيـــه الاستاذ الـ... الدكتور حسني سبح ، كما شارك المجمع بشخص رئيسه وعضوه الدكتور شكري فيصل في الحفل الذي اقامه مجمع اللغة العربية في القاهرة تابينا للمغفور له الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع دمشق ، واحد اعضاء مجمع القاهرة سابقا .

كما زار المجمع وفود شخصيات علمية كثيرة منها، وفد المكتب الدائم للتعريب في الرباط ووفد الصداقـــة الآذربيجانية .

اما في خصوص دورة المجمع لعام 1969 — 1970 فقد كانت مرحلة جديدة ؛ بعد انقضاء خمسين سنة على تأسيس مجمعنا هذا ، ولقد كانت المرحلة التي مرت بنا مرحلة انشاء وتأسيس ، وفترة وضعت فيها القواعد العلمية والركائز التي يستند اليها هذا الصرح ، اما المرحلة الجديدة فهي مرحلة نشاط جديد، يرمي الى رفع مستوى المجمع واعلاء شأنه في كل هدف من اهدافه وكل غاية من غاياته العلمية المقدسة .

واول ما نفتتح به عهد المجمع الجديد هذه المناسبة الكبرى التي هي أسبوع العلم العاشر الذي سيقع في الايام الأولى من شهر تشرين الثاني من هذا العام 1969 وسيشترك المجمع في هذا العيد الكبير ليحتفل بمرور خمسين عاما على انشائه، وقد خصصت له ايام خاصة يتحدث بها المجمعيون من تاريخ المجمع ونشاطه والخدمات التي اسداها للغة العربية وثقافتها وادابها وصراحة على ما قامت به هذه المؤسسة من خدمات كبرى وقد دعا المجمع الى المشاركة في هذا الاحتفال رئيسي ونائبي الرئيسين والأمينين العامين لمجمعي القاهرة وبغداد والامين العام لمكتب التعريب في الرباط .

المشروعات :

ان لدى المجمع في هذه الدورة الجديدة مشروعات كثيرة نرجو ان يتحقق جلها ان لم تساعد الظروف على تحقيقها كلها ومن اهمها :

1 — ملء الشواغر بانتخاب الاعضاء العاملين والمراسلين في المجمع .

2 — والفت نظر السادة الزملاء في هذه المادة الى ضرورة السعي لتعديل ملاك المجمع ودار الكتب الظاهرية فان كثرة الاعمال اصبحت تتطلب هذا التعديل ، كما ان وضع المجمع قد اصبح يقضي بتعديل بعض المراتب والدرجات في المديريات المنبثقة عن هذه المؤسسة العلمية الجليلة .

المطبوعات :

1 — سيعمد المجمع الى اكمال المطبوعات التي بوشر بها سابقا وهي :

آ — فهرس المجلدة العاشرة من تاريخ ابن عساكر وضع الآنسة ملك هنانو .

ب — فهرس مخطوطات قسم الطب للاستاذ سامي حمارنة .

ج — كتاب « ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب » تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

د — فهرس مخطوطات علوم الحديث من وضع الاستاذ ناصر الدين الألباني .

هـ — طبع الجزء الثاني من كتاب التلخيص في أسماء الاشياء للعسكري . تحقيق الدكتور عزة حسن .

2 — المباشرة بطبع الكتب الآتية :

آ — ديوان الشاعر ابن احمر تحقيق الدكتور محمد عطوان الاستاذ في الجامعة الاردنية .

ب — ديوان عرقلة الكلبي تحقيق احمد الجندي .

ج — طبع ديوان ابن القيسراني تحقيق السيدة اسماء الحمصي .

د — طبع ديوان الغزي تحقيق الدكتور شكري فيصل .

هـ — طبع رسائل الصابي تحقيق الدكتور سامي الدهان .

و — طبع « الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز » للشيخ عبد الغني النابلسي وتحقيق الأستاذ عارف النكدي .

ز — طبع فهرس مخطوطات علم الهيئة والفلك عند العرب وضع الأستاذ ابراهيم الخوري .

ح — طبع فهرس مجلة المجمع (الجزء الرابع) من الجزء 31 — 40 — وضع الأستاذ عمر رضا كحالة .

ط — طبع فهرس مخطوطات قسم الأدب واللغة في دار الكتب وضع السيدة أسماء الحمصي .

ي — طبع القسم الثاني من الجزء الثاني من تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق الآنسة ملك هنانو.

ك — طبع المجلة (45) من مجلة المجمع .

3 — وقد قرر المجمع اعادة طبع اكبر عدد من مطبوعاته ومن اعداد مجلته التي نفدت وباشر طبع المجلد الأول من المجلة .

مشروع النظام الأساسي لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

المادة الاولى : ينشأ للمجامع اللغوية العلمية العربية اتحاد له شخصية معنوية مستقلة ، ويكون مقره مدينة القاهرة .

المادة الثانية : يتألف الاتحاد من :

ا ــ مجمع اللغة العربية فى دمشق .

ب ــ المجمع العلمي العراقي فى بغداد .

ج ــ مجمع اللغة العربية فى القاهرة .

د ــ كل مجمع لغوي علمي تنشئه دولة عربية مستقلة ، ويوافق مجلس الاتحاد على قبوله .

المادة الثالثة : اهداف الاتحاد :

ا ــ تنظيم الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية وتنسيق جهودها فى الامور المتصلة باللغة العربية وبتراثها اللغوي والعلمي .

ب ــ العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية العربية ونشرها .

المادة الرابعة : يدير اعمال الاتحاد مجلس يسمى (مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية) ويؤلف على الصورة الآتية :

ا ــ عضوان من كل مجمع لغوي يختارهما المجمع العضو ، اربع سنوات قابلة للتجديد .

ب ــ رئيس اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية .

المادة الخامسة : ينتخب اعضاء مجلس الاتحاد من بينهم رئيسا وامينا عاما وامينين مساعدين ، لمدة اربع سنوات قابلة للتجديد .

المادة السادسة : يجتمع مجلس الاتحاد مرة على الاقل كل سنة فى دورة عادية،ويحدد مكان الاجتماع وزمانه بقرار من المجلس ، ويجوز أن يجتمع بدعوة من امين عام الاتحاد بناء على طلب مجمعين على الاقل فى دورة غير عادية عند الضرورة .

المادة السابعة : تعتبر اجتماعات مجلس الاتحاد صحيحة بحضور الاغلبية المطلقة للاعضاء. وتصدر القرارات بالاغلبية المطلقة للحاضرين ، وفى حالة تساوي الاصوات يرجح الجانب الذى يضم اليه الرئيس

المادة الثامنة : اختصاص المجلس :

ا ــ النظر فى الاعمال السنوية لمكتب الاتحاد واقرارها .

ب ــ النظر فى ميزانية مجلس الاتحاد السنوية واقرارها .

ج ــ تنظيم وسائل الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية وتنسيق جهودها .

د ـ العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية التي تقرها المجامع المختلفة واتخاذ الوسائل اللازمة لذلك .

هـ ـ وضع المشروعات التي تحقق اهدافه ، والاشراف على اعمال مكتب الاتحاد .

و ـ النظر في الاقتراحات المتصلة باهداف الاتحاد التي تقدمها الهيئات اللغوية والعلمية ، والمشتغلون بدراسة اللغة والمصطلح العلمي في العالم العربي او خارجه .

ز ـ تنظيم عقد مؤتمرات وندوات للدراسات التي تحقق اهداف الاتحاد ، تشترك فيها المجامع الاعضاء ومن يرى الاتحاد دعوتهم من العلماء المتخصصين .

ح ـ وضع الانظمة الداخلية اللازمة لسير العمل

المادة التاسعة : يعقد مجلس الاتحاد جلساته في مقره الرسمي او في بلد من بلاد المجامع الاعضاء

المادة العاشرة : مكتب الامانة العامة في المقر الرسمي للاتحاد ، وللامين العام أن يستعين بمن تدعو الحاجة اليهم من الموظفين .

المادة الحادية عشرة : اختصاصات الامانة العامة :

ا ـ تنفيذ قرارات مجلس الاتحاد ومتابعتها وتصريف الامور الادارية والمالية .

ب ـ تقديم تقرير سنوي عن اعماله الى مجلس الاتحاد .

ج ـ اعداد جدول الاعمال لاجتماعات المجلس مع تحديد مدة انعقاده .

د ـ تحضير الميزانية وعرضها على المجلس ، وتسلم الايرادات واصدار اوامر الصرف في حدود الميزانية المقررة .

هـ ـ ينوب الامينان العامان المساعدان عن الامين العام في تنفيذ قرارات الاتحاد ، كل في مجمعه .

المادة الثانية عشرة : تتكون مالية الاتحاد من :

ا ـ اشتراكات المجامع الاعضاء التي يحددها مجلس الاتحاد .

ب ـ الاعانة المالية السنوية التي تقدمها الامانة العامة للدول العربية .

ج ـ الهبات والاعانات التي يقبلها مجلس الاتحاد

المادة الثالثة عشرة : تودع اموال الاتحاد في مصارف عربية يعينها مجلس الاتحاد ويرسم المجلس طريقة الايداع والسحب .

المادة الرابعة عشرة : تحدد اللائحة الداخلية اجراءات تنفيذ النظام الاساسي للاتحاد . ولمجلس الاتحاد ان يعدل هذا النظام بموافقة ثلثي اعضائه على ان يدرج مشروع التعديل في الدعوة الموجهة للاجتماع

المادة الخامسة عشرة : يصبح النظام الاساسي للاتحاد نافذا بمجرد موافقة المجامع الاعضاء عليه .

القاهرة في 30 ابريل (نيسان) 1970

التواقيع :

المجمع العلمي العراقي

الدكتور عبد الرزاق محي الدين

اللواء محمود شيت خطاب

مجمع اللغة العربية في القاهرة

الدكتور طه حسين — **الاستاذ زكي المهندس**

الدكتور ابراهيم مدكور

مجمع اللغة العربية في دمشق

الدكتور حسني سبح — **الدكتور عدنان الخطيب**

بين المجلة وقرائها

تتجلى عناية القراء الكرام فى السيل العارم من الرسائل التى تنهال على المكتب من مختلف الاصقاع فى العالم العربي والاسلامي .

◆ ونحن اذ نشكر هذا الاهتمام والحماس ، ونقدر هذه الصلة بين المجلة وقرائها من اساتذة وطلبة وباحثين ، يسرنا ان **نجعل من المجلة ميدانا للنقاش العلمي الحر ، لذا فالمجلة ترحب بكل رد بناء، او عرض لمشاكل لغوية قد تعترض الباحثين وطلاب العلم .**

◆ كما يسر المكتب الدائم للتعريب ان يتلقى ملاحظات من رجال الفكر العربي والاسلامي حول النشاط العام للمكتب .

من الجمهورية العربية السورية :

— تلقينا رسالة من الاستاذ حسن كمال محافظ فرع الفن الحديث فى المتحف الوطني بدمشق جاء فيها : « لقد قرأت بشغف ولذة كبيرين ما حوته مجلتكم ومعاجمكم من المعارف المفيدة ، التى يجد فيها الباحث الكثير من الفائدة بما تتوفر عليه من جهود كبيرة والتى حشدت لها — ولا شك — طاقات جبارة حتى اتت غنية بالشكل الذى نراها عليه » .

— ومن دمشق ايضا وصلتنا رسالة من الاستاذ محمد وليد الجلاد يقول فيها : « كان لنا شرف الاطلاع صدفة على مجلتكم « اللسان العربي » فبهرنا الجهد المبذول فيها ، والروح العلمية التى تسود صفحاتها ، وما فى تضاعيفها من ثروة لغوية ثمينة نحن بأشد الحاجة الى مثلها ، حيث وجدنا فيها اجوبة لكثير من التساؤلات التى كانت تعترضنا حيال بعض التعابير والمصطلحات التى تنقص لغتنا ، ويختلف المترجمون فى استنباطها .. » .

— ومن السويداء كتب السيد جميل ابو ترابي يقول : « انها لجهود جبارة يخطوها مكتبكم فى احياء لغة الضاد ، ونشر التراث العربي ، ولا يسع المرء الا ان يتقدم بالشكر والثناء للسيد رئيس تحرير مجلتكم الزاهرة ولكل من يساهم فى الكتابة فيها »

— ومن السيد محمد يحيى رالف مدير الشؤون الاجتماعية والعمل بحلب تلقينا كلمة رقيقة يقول فيها « لقد وجدت فى مجلتكم «اللسان العربي» الأبحاث المفيدة والمقالات الشيقة فى اللغة والترجمة والتعريب الشيء الذى اثلج صدري»

— ووصلتنا رسالة شكر من السيد المستشار فاضل البصمدجي يثني فيها على « الجهود الصادقة المبذولة فى سبيل اعداد واخراج هذه المجلة الراقية .. »

— وهذه رسالة اخرى من دمشق بعث بها السيد الرائد عبد الوهاب مرور نقتطف منها ما يلي : « ان مجلتكم «اللسان العربي» لجديرة بأن يفخر بها كل عربي من مشرق البلاد الى مغربها ، كيف لا وهي تحمل لواء كلمتي السحر اللتين توحدان امة العرب وهما «لغة القرآن» انني لاشكركم على جهودكم الجبارة المبذولة من اجل اصدار هذه المجلة » .

— ومن دمشق ايضا طالعنا رسالة الاستاذ صبحي زخور ليقول في مقدمتها : « .. واذ مكنت على مطالعة بحوث مجلتكم الغراء الفيتها مجلة رصينة لما حوت من مقالات ودراسات قيمة وتناولت من قضايا اللغة العربية ، ولا ريب ان صدور مثل هذه المجلة سيسد فراغا في المكتبة العربية التي تفتقر الى امثالها مما يفضي بامتنا العربية للوصول الى وحدة المصطلح العلمي ووحدة الكلمة العربية في جميع الميادين .. »

— وكتب الدكتور صالح حباب يقول: «اطلعت على عدد من مجلة «اللسان العربي» فاعجبت اعجابا كبيرا بها وبالجهود الكبيرة التي يبذلها القائمون عليها، ووثقت بانها ستنهض بأعباء المهمة الضخمة الملقاة عليها ان شاء الله »

— اما رسالة الاستاذ ذو النون رمضان فقد كانت تتضمن ما يلي : « اطلعت على ما تضمنته « اللسان العربي » فالفيناه ذرة ثمينة في التأليف العربية التي لا يستغنى عنها ، وانها لجوهرة نادرة .. يفيد المرء فيها ويستفيد »

— وهذه رسالة اخرى وصلتنا من حلب من الدكتور توفيق برو جاء فيها : « .. والحق ان مستوى السمو الذي تحتله مجلتكم الراقية في دنيا الفكر العربي لنفود فيه »

— ومن حلب كذلك تلقينا كلمة شكر من الاستاذ علي حافظ مدير على شركة المدينة للطباعة يبدي فيها : « اعجابه بمواضيع المجلة وكتابتها واهدافها النبيلة »

— ونختتم جولتنا من سوريا برسالة القاريء بكري الخطيب وهي رسالة طويلة نقتطف منها ما يلي: « .. وجاءت مجلتكم لتكون فخرا للاسماء « اللسان العربي » وحق لها ولمن اشرف على تسميتها انينال الشرف ويكون له الكرم والفخار، ويتيه اهتزاز بأنه يعلي الكرامة ويثبت الاصل من جديد .. وانه لمن دواعي الغبطة وحب الاطلاع والمعرفة ان اتشرف باللقاء معكم على صفحات مجلتكم من خلال سطورها النيرة » .

— * —

من الجمهورية العربية المتحدة :

— من القاهرة بعث الينا الاستاذ محمد توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية يحيي فيها جهود الكتب في خدمة الاسلام والمسلمين »

— ومن القاهرة ايضا وصلتنا كلمة رقيقة من الاستاذ الكبير محمود تيمور جاء فيها : « ومن نافلة القول الاشادة بهذه الجهود الخصبة الواسعة التي تسفر عنها تلك البحوث والدراسات المنشودة في ذلك المجلد الحافل الغزير ، واني لاشعر بأن تهنئتكم بهذا العمل العظيم ابسط ما يجب على كل مثقف يبغي الخير للوطن العربي » .

— وهذه رسالة الاستاذ احمد المحلاوي الامين العام للاتحاد البريدي العربي يقول فيها : « ولا يسعني الا ان اقدم الشكر الخالص لمكتبكم الموقر على جهوده الصادقة ونشاطه الكبير في الابحاث اللغوية والتعريب في العالم العربي »

— * —

من الجمهورية العراقية :

— من بغداد وجه الينا الاستاذ هادي قاسم كلمة رقيقة جاء فيها :

« لقد اطلعت على مجلتكم الغراء «اللسان العربي» التي يصدرها مكتبكم في عدة مجلدات واجزاء ، فوجدتها غاية في الروعة والنفاسة ، ارجو لكم التوفيق في خدماتكم الجليلة التي تقدمونها للامة العربية في نشر الثقافة والوعي العربي وتوسيع «افاق اللغة ، ولعمري انها بادرة طيبة ارجو لكم التقدم المطرد »

— وتلقينا رسالة من الاستاذ حسن سيف الدين من الموصل يقول فيها : « لقد تحكمت الصدفة بي واكتحلت عيناي دون قصد على المجلة المبجلة ، وما كادت اناملي تقلب بعض صفحاتها الا ووجدت نفسي اسير الاسطر وحبيس مواضيعها الشيقة ، وصرت مشدودا الى بحوث هذه المجلة «اللسان العربي»

او اسفر بكلمة اصح ، وصرت اتفحصها موضوعا موضوعا حتى اكملت الاطلاع بكل شوق على سائر المواضيع من (القرءان والمعجم الصوفي) الى (التطور الحي في اللغة) حتى (المعجم الفقهي المالكي) الى ان حللت بين القوافي السلسات لقصيدة من نبرات الشباب فوجدتها ــ والله ــ

تشع من نبرات (العلم) ذبذبة .. الخ

ــ ومن بغداد بعث الينا الاستاذ عبد الجزار يقول : « .. وقد تركت جانبا كل ما كان في تناول يدي من المطبوعات وانصرفت الى دراسة هذه المجلة الحبيبة الحافلة بكل جديد ومفيد من المقالات والبحوث اللغوية والادبية والدينية ، ومما زاد من سروري ان هذا العدد يضم باقة ممتازة من البحوث المتعلقة بالقرءان الكريم الذى كان وما زال وسيبقى الى ما شاء الله ، عنوانا للامة العربية ونبراسا لهم يستضيئون به ويشهدون بهديه » ؛

ــ وهذه القارئة الكريمة مي الحسني من بغداد كذلك تقول : « وبعد : ففي غمار الضياع الذى يعيشه اللسان العربي ، ومن خلال المد الذى يحاول ان يجرف بتياره الهادر لغة الضاد ، تطلعت الى لوح نجاة احاول التشبث فيه لاجد الامن للغتي والسلامة لها .. فرايت في مجلتكم الموقرة ما تهفو اليه الروح ويتطلع اليه الفكر »

ــ ورسالة اخرى من بغداد كذلك بعث بها الينا الاستاذ فيصل عبد الله الدليمي جاء فيها : «اطلعت على مجلتكم المختارة « اللسان العربي » الغراء ووجدت فيها خدمة كبيرة للغة العربية ؛ وانني لاعتز وافخر بكم على جهودكم الجمة التى تهدف الى تطور اللغة العربية ورفع مستواها الادبي والعلمي والتى ابرزت نتائج خيرة ومثمرة في العالم العربي »

ــ ومن القارئين الكريمين محمد حاسم معروف الكواز وكامل جاسم الهيثي وصلتنا رسالة يقولان فيها : « لقد اطلعنا على العدد السادس من مجلتكم الغراء « اللسان العربي » وما كادت ايدينا تلمسها واعيننا تنظر فيها الا وغمرنا السرور والفرح لاننا شعرنا منذ ذلك الوقت اننا وجدنا ضالتنا التى كنا نبحث عنها منذ سنوات عديدة حتى قدر الله تعالى لنا ان نجدها متمثلة في مجلتكم «اللسان العربي» ان اصدار هذه المجلة لعمل عظيم وجليل وسوف يحفظه التاريخ في سجل الخالدين بفضل خدمتكم المتفانية لهذه اللغة العظيمة لغة القرءان الكريم ولغة السنة المحمدية المشرفة ، هذه اللغة التى صعدت في سماء العلم والمعرفة في عهد الدولة الاسلامية ، وهذه اللغة التى غذت اللغات بالعلوم المختلفة »

— * —

من المملكة المغربية :

ــ من الدار البيضاء كتب السيد انجارن علي يقول : « تحياتي وتقديري لكم ولكافة العلماء الاجلاء الساهرين على خدمة لغتنا القومية وبعد ، فلقد اطلعت اخيرا على المجلة الدورية التى يصدرها مكتبكم الموقر ولحسن الحظ كان العدد الذى اطلعت عليه هو العدد الممتاز الخاص بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان الكريم ، هذا العدد القيم الذى نال اعجابي وتقديري واعتزازي بنشاط مكتبكم الذى جعلني استبشر خيرا بمستقبل اللغة العربية في كافة انحاء المعمورة » .

ــ ومن الدار البيضاء كذلك تلقينا رسالة من القارىء الكريم عبد الحق بن حدو جاء فيها : « ان « اللسان العربي » هو المجلة التى يحق للمتكلمين باللغة العربية في كل مكان ان يعتمدوا عليها في توحيد هذه اللغة التى اصبحت الفوضى تعم بعض المصطلحات العلمية التى تنقل اليها بالفاظ عديدة وبتعابير مختلفة ، فما احوجنا الى هذه المجلة وامثال هذه المجلة حتى تصبح لغتنا العربية في مستوى اللغات الحية العالمية »

ــ وهذا السيد محمد المقري من مدينة فاس يقول : « يطيب لي ان اعبر لكم عن اعجابي وتقديري للجهود الكبيرة التى يقوم بها مكتبكم في سبيل اعلاء شان العروبة والاسلام ، كما اهنئكم على النجاح الكبير الذى احرزت عليه مجلتكم الغراء « للسان العربي» .

ــ اما السيد الفشار حبيب فقد جاء في رسالته : « لقد تركت في نفسي مجلتكم ، الصدى الحسن، والاثر الطيب، انها ظاهرة ايجابية بما تحويه من طاقات فكرية ، وبما تاتي به من اخبار وبحوث شيقة »

— * —

من الجمهورية التونسية :

ــ ومن عاصمة الجمهورية التونسية كتب الاستاذ الطاهر قيقة مدير الفنون والآداب يقول : «انه

ليسعدني ان اعبر لكم من تقديري للمجهودات التي تبذلونها في اداء مهمتكم الشاقة فعلا ، وانه لعمل جليل هذا الذي تقومون به لخدمة اللغة العربية كي تصبح بحق لغة عمل تؤدي رسالتها على احسن وجه ..»

— * —

من الجمهورية العربية الليبية :

— وهذه رسالة الاستاذ المهندس علي محمد حسين العرجا بعث بها الينا من طرابلس جاء فيها :

« اطلعت وكلي فخر واعتزاز على الجزئين الاول والثاني من المجلد السابع من مجلتكم الغراء « اللسان العربي » وقد كان لما وجدته من هذين الجزئين اثر كبير في نفسي اذ كانا ضالتي المنشودة التي كنت احس بنقص كبير يعتريني بعجزي عن ايجاد الكلمات المناسبة التي تقابلني دائما عند كتابتي او عند ترجمتي لاحد التقارير الفنية او عند كتابتي لمصطلحات فنية على الخرائط المختلفة وغيرها . وانني اذ اشكركم على مجهودكم الكبير ادرك ان عملكم هذا خدمة جليلة لامتنا العربية يعيد للغتنا الخالدة تليد مجدها وينفض عنها غبارا تراكم عليها ، ظن بعض الحاقدين انه نال منها فاصبحت لا تجاري اللغات الحية الاخرى في ركب التطور .

— من طرابلس ايضا بعث الينا السيد محمد مختار رمضان برسالة جاء فيها : « مكنتني ظروف سعيدة — اشكر الله عليها — من ان اطلعت على مجلة « اللسان العربي » الغراء التي تصدر عن مكتبكم ، وقد لمست فيها مجهودا عظيما تجلى فيه علم اللغة في أسمى معانيه وابهى حلله ، ولا يسعني الا ان احيي رجال العلم الذين قاموا بهذا المجهود وكل من ساهم فيه بقدر .. »

— ومنها ايضا وصلتنا رسالة من الاستاذ عمرو ابراهيم الجادوي يقول فيها : « وبعد اطلاعي على مجلتكم العظيمة «اللسان العربي» أعجبت بها كثيرا لأنها مجلة تخدم اللغة العربية لغة القرآن ولغة الإسلام التي ما فتيء اعداء الاسلام يحاربونها ويطمسونها ، يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ، ان القضاء على هذه اللغة معناه القضاء على القرءان ودستورنا ولبراسنا نحن العرب والمسلمين ، فيا رجال اللغة العربية نهيب بكم ان تتيقظوا لاولئك الهدامين وتحبطوا خططهم ، وتتعاونوا مع بقية العلماء في الاقطار العربية الشقيقة الاخرى لخدمة هذه اللغة الحية وتعميمها وفرض تعليمها والتحدث بها والقضاء حتى على العامية التي هي بدورها معول من معاول الهدم »

— * —

من الكويت :

— وصلتنا رسالة من الاستاذ مجرك احمد جاء فيها : « انني اتابع باهتمام بالغ كل ما تبذلونه من مجهود كبير مشكور ، وما تقومون به نحو الجميع دون اي كلل او ملل ، والحقيقة اني مقدر لكم جميل صنعكم فيما هو خير الاجيال القادمة ».

— * —

من المملكة العربية السعودية :

— تلقينا رسالة من الطالب الجامعي صالح عبد العزيز عبد اللطيف من الرياض نقتطف منها هذه السطور : « لقد اطلعت على ما يصدره مكتبكم الموقر باسم « اللسان العربي » ذلك السفر القيم الذي هو اشبه بالموسوعة ، ولقد اعجبتني — والله — بما حوته من مادة دسمة ومن لباب دون القشور في وقته عز فيها وجود نظائرها »

— * —

من الجمهورية السودانية :

— بعث الينا الاستاذ عبد الله يعقوب ابشر يقول : « يسرني ان اشيد بمجهودكم في هذا المضمار من اجل رفعة واعلاء شأن اللغة العربية في عالمنا العربي خاصة وفي العالم عامة »

— * —

من الجمهورية اللبنانية :

— وصلتنا كلمة رقيقة من جريدة «الاحرار» اشادت فيها بالطاقات والجهود الكبيرة المبذولة ، والمستوى الجيد للدراسات والابحاث في المجلة » .

— ومن بيروت بعث الينا سيادة الاستاذ جوزيف زعرور وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة برسالة رقيقة جاء فيها :

« ان هذه الوزارة اذ تثني على الروح العلمية الرصينة المتجلية في صفحات الكتاب وعلى النوايا

الطيبة التي كانت في أسس وضعه لخدمة لغة الضاد وتأهيلها لتقبل تحديات العصر العلمية ، وتغتنمها مناسبة لتعرب لكم عن عميق شكرها وتقديرها . »

— ومن رأس المتن وصلتنا من الاستاذ الكبير عجاج نويهض كلمة رقيقة يقول فيها : « .. أما سطوري هذه ، فهي لتسجيل الشكر للمكتب على ما يبذله من جهد متواصل في سبيل «اللسان العربي» موجها محض شكري الى العلامة ـ المحرر الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله بصورة خاصة ، حياه الله وبياه ، وحققمناه في خدمة اللسان الشريف ، فان الاستاذ الجهبذ ، قد نذر نفسه بغاية الاخلاص لخدمة الضاد ، فهو واخوانه في اهل الفضل والعلم والبحث والادب في العالم العربي ، قد جعلوا من مجلة « اللسان العربي » منبرا للاذهان العربية ، وفي ساحة هذه المجلة تلتقي الاقلام من مختلف الاقاليم ، مقدمة النباب والصورة ، ولهذا امست المجلة معهدا سيارا يجوب العالم العربي كله ، ومثل هذه الوسيلة لم تر الامة العربية من مثيل في العصر الحديث . »

— ✻ —

من الخليج العربي :

— تسلمنا رسالة من الاستاذ احمد العمران المدير العام للتربية والتعليم بالبحرين جاء فيها : « .. ولا يسعني في هذا المقام الا القول بأن تلك المجلة قد اخذت مكانتها المرموقة في العالم العربي وسواه بما لها من اهتمام مشكور بمواضيع ذات نفع كبير يذكر بالنسبة لجميع الناطقين بالضاد » .

— ومن المنامة كتب الاستاذ عيسى يقول : « وبعد : ببالغ السرور تلقيت مجلتكم المعبرة عن اللسان العربي ، والناطقة بلغة الضاد ، واني لابارك لكم تلك الخطوة الكبيرة لتنقيح لغتنا التي دخلت اليها بعض الكلمات الاجنبية وصارت متداولة بين اشقائنا العرب ، وجاءت مجلتكم لتمحو تلك الكلمات الدخيلة وتسمو بلغة الضاد الى مكانتها اللائقة بها »

— وهذه رسالة اخرى من الاستاذ ناصر احمد الصائغ يقدر فيها : « الجهود الكبيرة التي يبذلها الكتب في اصدار « اللسان العربي » التي تمثل وطننا العربي الكبير وتحمل الاسم المشهور في هذا الوطن » ثم يضيف قائلا : « اذ انها تصدر من بلاد عربية لحما ودما وهذه المجلة لاقت الاعجاب من كل مواطن عربي وهي امنية كل مثقف عارف لقضاياه »

— ✻ —

من الهند :

— من ولاية كيرالا بالهند وصلتنا رسالة من الاستاذ عميد الكلية العربية بالولاية السالفة الذكر ، وقد تفضل فاتحفنا ببعض المعلومات عن ولايته وعن نشاط الترجمة القرآنية مشيرا الى مقالة فضيلة الاستاذ الشيخ طه الولي التي نشرت في العدد السادس من المجلة تحت عنوان : « ترجمة القرآن الى لغات شرقية وغربية » يقول القارىء الكريم : « .. وذلك ان في الهند ولاية تدعى ولاية Kerala State وهي احدى ولايات الهند ، يسكنها ثلاثة ملايين من المسلمين يتكلمون اللغة المليبارية ، وقد ترجم القرآن الكريم الى هذه اللغة المليبارية ، واذكر هنا بعض اسماء المترجمين : (1) اللجنة المسماة (بالجمعية الادبية) Literature Society ترجمت بعض اجزاء القرآن الكريم من الاول . (2) س ـ أن ـ احمد المولوي ، ترجم القرآن كاملا الى اللغة المليبارية مع بعض الشرح والبيان لكثير من الآيات ، ومقدمة ضافية ـ (3) كي ـ عمر المولوي ، ترجم القرآن كاملا من اوله الى آخره باللغة المليبارية بالحروف العربية . (4) محمد اماني المولوي القاسمي ترجم القرآن الى المليبارية من سورة الكهف الى الناس ـ مع الشرح الشافي والمقدمة المسهبة ، (5) متانشيري كويكني المولوي ، ترجم القرآن الكريم كاملا وكتب لترجمته مقدمة السيد عثمان المهندس ، ولا اذكر هنا اسماء بعض العلماء الذين ترجموا بعض السور مثل : «يس» وسورة «يوسف» وجزء «عم» وغيرها وهم كثير » ثم يضيف السيد كريم فيقول : « ان العالم العربي والاسلامي في جهل عن الاعمال الجبارة التي تجري في ولاية كيرالا من اجل نشر التعاليم الاسلامية والآداب العربية » .

و « اللسان العربي » تشكر القارىء الكريم على هذه المعلومات القيمة وتود ان يظل على اتصال بها حتى

يمدها بمعلومات اضفى واوسع عن هذه الولاية الاسلامية الهندية .

— ومن الهند كذلك وجه الينا السيد مدير الكلية الاصلاحية رسالة رقيقة جاء فيها : « ان مجلتكم القراء المفيدة كل الافادة « اللسان العربي » من المجلات الادبية واللغوية النفيسة ، وخدماتكم الجليلة في هذا الميدان الواسع مشكورة ، اننا نهنئكم على جهودكم في هذه الناحية ، ونتمنى لكم كل توفيق لخير العروبة »

— * —

من يوغوسلافيا :

— وصلتنا رسالة طويلة من الاستاذ المستعرب توفيق مفتيتش نقتطف منها ما يلي : « لقد سرني كثيرا عندما اطلعت على بعض النسخ من مجلتكم الثمينة « اللسان العربي » ورايت انها تعين في مقالات قيمة على حل مشاكل هامة من المشاكل التي تهم كل العرب والمستعربين الذين لهم اهتمام مخلص بحلها المقنع المفيد رايت ان لا غنى لي عنها لانتفع بها في خدمة اللغة العربية العزيزة وآدابها العزيزة » .

— * —

من بولاندا :

— تلقينا رسالة شكر من المستشرق ب. ر. راغوروسكي من مدينة وارسو يقول فيها : « انني اعتبر مجلة «اللسان العربي» عملا قيما فريدا من نوعه في ميدان اللغة ، والثقافة العربية اليوم » .

— * —

من بريطانيا :

— من جامعة كمبريدج بعث الينا المستر ر. ل. بدويل من قسم دراسات الشرق الاوسط برسالة رقيقة يعدد فيها مزايا المجلة واهميتها بالنسبة للطلبة ، ويطلب الاعداد السابقة من المجلة»

— ووصلتنا من بريطانيا ايضا رسالة شكر من الطالب السعودي عبد الله منصور من جامعة غلاسغو ينوه فيها : « بالجهود الطيبة المبذولة في طي مجلة : « اللسان العربي » ويعرب عن « اعجابه بها لما فيها من ابحاث لغوية قيمة ودراسات جادة »

— * —

من هولاندا :

— من امستردام كتب الاستاذ الياس راونتيسي يقول : « لقد اطلعت على العدد السادس من مجلة اللسان العربي حبا في الانتفاع بما تحتويه من الابحاث العلمية واللغوية الهامة وطمعا في الاستزادة من معلوماتها الشائقة ، وحتى نقف على آراء اهل العلم واللغة ، ومتابعة ابحاثهم المفيدة..»

— * —

من الارجنتين :

— من (بوينس ايريس) تلقينا رسالة شكر رقيقة من الاستاذ السيد الياس قنصل نقتطف منها ما يلي : « واغتنم السانحة لابعث اليكم باصدق عواطف الاعجاب بما تقومون به من المجهود المثمر في سبيل اللغة العربية ، ان مطبوعات المكتب تدل على تعمق في الدرس وغيرة على القومية ، ولا شك انه مدين لكم باغلب ثمراته »

— * —

من الولايات المتحدة الامريكية :

— وصلتنا رسالة رقيقة من الدكتور زكي عبد الملك استاذ الادب العربي والعلوم اللغوية بجامعة يوطا ، نقتطف منها ما يلي :

« ارجو ان تتقبلوا ثنائي على العدد الاول ، فهو في رايي يضاهي ارقى المجلات العلمية الغربية في عمق مادته وحسن اعداده ، وليس من شك في ان القراء في العالم العربي كله وفي الغرب ايضا سيرحبون بمجلة : « اللسان العربي » ترحيبا عظيما، وسيجدون فيها موردا خصبا للمعرفة ، ومنهلا صافيا للعلم . »

اللغة العربية

الاستـــاذ احمـــد العايـــد
(الجزائــر)

نشرت مجلة «الفكر» الغراء التى تصدر بتونس مقالا للاستاذ احمد العايد تحـت عنـوان « اللغـة العربيـــة » ننشـره شاكريـن :

لا يزال مشكل اللغة العربية — الفصحى والدارجة واللغة الثالثة — يشغل بال الكثيرين من مثقفينا فى تونس ، وقد تناوله بالبحث عدد من رجال الفكر والادب ورجال التعليم والطلبة ، والقيت فى محاضرات وكلمات وبسطات ونظمت ندوات وسهرات واسمار ، سواء بدور الثقافة او بالنوادي الادبية او محلات اللجان الثقافية وغيرها فى شتى أنحاء الجمهورية ولاسيما منذ الاستقلال الى اليوم .

وان الدوافع التي ركز عليها اغلب من تكلم او كتب فى اللغة العربية من حيث وضعها التاريخي القديم والحديث وامكانياتها ومكانتها واهميتها فى حياة الامم الناطقة بها — ومن بينها تونس — تنقسم الى ثلاثة :

اولا : **ان العربية هي لغة القرآن** ، يحق لنا ان ننكب على درسها ونعتز بها باعتبارنا مسلمين .

ثانيا : **انها عنصر من عناصر ثقافتنا وقوميتنا يحق لنا كذلك ان نبحث عن طرق تنميتها ووسائل احيائها وانعاشها والحاقها بركب اللغات العالمية العصرية المعترف بها والمتعامل بها فى المحافل الدولية .**

ثالثا : انها — اذا صح التعبير — « **مشكل اجتماعي** » بالنظر الى ان المجتمع التونسي مثلا — وكذلك الشأن بالنسبة الى الجزائر او المغرب الاقصى على سبيل المثال — يشتمل على ثلاثة اصناف من المثقفين باللغتين العربية والفرنسية ، وصنف المثقفين باللغة الفرنسية وصنف المثقفين باللغتين العربية والفرنسية ، على ان كل صنف من هذه الاصناف قد يملك مبادىء اللغة الاخرى بالنسبة الى اللغة التي حصلت بها ثقافته ، لكنها مبادىء فى معنى النبذ الطفيفة الخفيفة التي لا تغني ولا تسمن من جوع كما يقال .

ونعود اليوم الى اللغة العربية لنبدي فى شانها بعض الآراء والخواطر ، مساهمة متواضعة منا فى ايجاد الحلول التي نراها صالحة فى العاجل وفى الآجل للمشكل او المشاكل التي تثيرها باعتبارها لغة قديمة ولغة حديثة ولغة عصرية حية تريد أن تجاري اللغات العالمية الاخرى فتصبح اداة التعبير والتاليف فى المجالات الاقتصادية والعلمية والتقنية خاصة فضلا عن المجالات الادبية والفلسفية وميادين العلوم الانسانية الاخرى اطلاقا .

وعندما اقول هذا فكان اللغة العربية ما زالت متاخرة عن ركب اللغات الحضارية العالمية العصرية او كانها ما زالت عاجزة عن اداء رسالتها الثقافية والتعليمية والتاليفية فى أعلى مستوى ، بل قل ان هذا ما قد يتبادر الى ذهن السامع او القارىء لهذه الاسطر من اول وهلة .. **والمشكل فى الحقيقة ليس فيما ذكرت الآن وانما هو فى تزاحم اللغة الفصحى واللغة العامية الدارجة فى مختلف ميادين النشاط او الحياة اليومية ،** سواء فى الاذاعة والتلفزة او المنزل او الشارع او حتى التاليف الادبي كما سنرى .

وان ما نعتزم النظر فيه بهذا الصدد هو ، من ناحية ، وضع الفصحى التاريخي ، قديمه وحديثه ، ثم وضع اللغة الدارجة وامكانياتها ومكانتها في حياتنا اليومية ، ثم النظر في مستقبل العربية وتطورها او بعبارة اخرى اية لغة نريد ، فصحى مبسطة او دارجة مهذبة او لغة ثالثة هي بين الاولى والثانية ؟

1 — **الفصحى** : يرى الدارسون ان الفصحى لا يمكن ان نغض عنها الطرف وانه لزام علينا ان نوليها كل اهتمام وعناية والا نترك الدارجة تزاحمها او تسابقها وذلك في ميدان التاليف خاصة ومختلف ميادين العمل والنشاط لان **الفصحى هي لغة القرآن ولغة القواميس والمناجد ولغة الآثار الادبية قديما وحديثا** ، هي لغة عبد الحميد الكاتب وسهل بن هارون وابن المقفع والجاحظ وأبي حيان التوحيدي وابن شرف وابن رشيق والحصري وابن شهيد وابن خلدون كما هي لغة المسعدي وطه حسين ، هي لغة القصة اليوم والمسرحية والنقد الادبي ولغة الخطابة في المساجد والمناسبات الرسمية ..

ثم لانها **لغة العلوم والفلسفة** وعلم الكلام والعلوم الدينية قديما بالخصوص، ثم هي لغة الصحافة المكتوبة والمذاعة والمتلفزة حديثا ولغة التعليم في المدارس والمعاهد والكليات ولاسيما بالنسبة لحصص اللغة والنحو والادب العربي في كلية الاداب والعلوم الانسانية أو بالنسبة لبعض المواد الاخرى مثل التربية الدينية والمدنية في مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي ، الخ ...

لكن **هل هي لغة العلوم والتقنيات الحديثة وهل هي لغة العصر في ميدان البحوث والاكتشافات العلمية والتقنية العصرية** ، او — بعبارة اخرى — **هل يمكن للعربية ان تكون اداة تبليغ وتاليف اليوم في مثل هذه الميادين ؟**

ان الجواب على هذا السؤال ، او ان ما يعترض العربية من مشاكل الاداء والتعبير فيما ذكرت من مجال البحوث والاكتشافات العلمية والتقنية ، يعرفه اولا وبالذات كل من يعمل بمراكز التعريب والترجمة او بالمجامع العلمية خاصة ، فاهل مكة ادرى بشعابها ، ولقائل ان يقول ان هناك حلا ... **وهو الترجمة** ، والراي عندي ان **الترجمة من الحلول الضرورية** لكن غير الكافية لان المسالة ليست في نقل ما يصنعه الغير فحسب والاخذ عن الاقطاب من البحاثة والعلماء ، فلئن بدا هذا ضروريا **فهو لا يحل مشكل اللغة العربية لجعلها لغة عصرية عالمية تناطح السحاب والنجوم او** قل القمر على سبيل الواقعية ، كما فعلت اللغة الانجليزية بالولايات المتحدة الامريكية اليوم ، فتكلم بها الرواد على سطح القمر ، وفي هذا من الاشارة والرمز ما يكفي تعبيرا عما نريد وتبليغا لما نقصد ..

وفي سياق ما ذكرنا آنفا ، اصبحت اللغة العربية كذلك لغة « يتعامل بها » باليونسكو ، مما يزيد مشكل النهوض بها و « تعصيرها » حدة واهمية .

2 — اللغة الدارجة : وضعها وامكانياتها :

ان نظرة الاغلبية الساحقة من المثقفين الى اللغة العامية هي نظرة « احتراز » ان لم نقل نظرة ازدراء وتمنع ، رغما عن كونها لغة التخاطب اليومي في المنزل والشارع والادارة وفي اروقة المدارس والمعاهد والكليات فهي اذن اللغة السائدة بين الناس دون الفصحى التي ميدانها محصور في فئات المتعلمين والمثقفين ، والسبب في انحصار ميدان الفصحى ذلك، واتساع نطاق العامية في تونس مثلا هو ان الآباء والأجداد لم يدرسوا — بكليتهم — اللغة العربية الفصحى ولم يتقنوها حتى تصبح بينهم لغة التخاطب ، و « التعامل » اليومي ، وهذا راجع الى ان تعليمها لم يكن منتشرا كما هو راجع بوجه عام الى الوضع التاريخي القديم الذي كانت عليه البلاد في مختلف عهوده واطواره ، ابتداء من العهد القرطاجني الى ما قبل الاستقلال . وقل ذلك بالنسبة الى الكثير من البلدان الناطقة بالعربية ، ما قرب منها او ما بعد ...

اما فيما يتعلق بوضع **اللغة العامية** وامكانياتها في ميدان التاليف اليوم بتونس فنلاحظ انها **اندرجت منذ زمان في ميدان التاليف** ، من ذلك مثلا المسرحيات الاذاعية او التلفزية التي غرضها التسلية او التربية الاخلاقية بدرس مواضيع اجتماعية ، كما اصبحت لغة النشرة الاخبارية الخاصة بعموم الناس او التعليق باللسان الدارج ، ومن هنا يتسنى لنا القول ان اللغة الدارجة قد اخذت مكانها بعدد كبير من برامج الاذاعة والتلفزة ، ففرضت نفسها فرضا بحكم الواقع اي الوضع الحالي للمجتمع التونسي الذي ما زال في حاجة الى الدارجة ليكون مطلعا على ما يجري في البلاد والعالم من احداث واخبار ، الخ ...

ثم ان اللغة العامية قد اكتسحت من ناحية اخرى ميدان التاليف الادبي وخاصة القصة ، ونذكر في هذا الشان على سبيل المثال محاولات الاديبين محمد العروسي المطوي والبشير خريف وغيرهما ممن اقحم

اللغة الدارجة الى جانب الفصحى فخللها بها باعتبار ان اللغة العامية قادرة احيانا على اداء المعنى المطلوب باكثر واقعية وحيوية من الفصحى .

واذا نظرنا في مستقبل اللغة الدارجة وخاصة في المجال الذي تستعمل فيه اليوم نرى ان نشر التعليم سيكون له مفعوله — اكثر فاكثر — في تهذيب هذه اللغة وصقلها ويجدر أن نلاحظ في هذا المجال ان اللغة الدارجة التي أصبحنا نتكلم بها اليوم ليست نفس اللغة التي يتكلم بها آباؤنا واجدادنا منذ ثلاثين سنة ، وانها قد نمت وتهذبت ولاسيما بعد الاستقلال اي في بحر الخمسة عشر عاما الأخيرة ، والسبب في ذلك راجع — كما قلنا — من ناحية الى نشر التعليم ومن ناحية اخرى الى تاثير خطب الرئيس وخطب المسؤولين وتاثيرها في الناس وطبع لغتهم بطابعها ومن جهة ثالثة الى تاثير الحصص الاذاعية ثم التلفزية التي تعددت وتنوعت .

ومن شان كل هذه العوامل أن تتفاعل وتساعد على تهذيب اللغة الدارجة وتقربها من الفصحى شيئا فشيئا على مر السنين .

اللغة الثالثة : ومما لا يجب اهماله أن ما نسميه أو ما سماه بعضهم باللغة الثالثة كانت هي ايضا **محاولة جربت في ميدان التاليف الادبي** وخاصة منه المسرحي وقد ظهرت هذه البادرة في مسرحيات توفيق الحكيم ومحمود تيمور ، وحقيقة هذه **اللغة انها بين الفصحى والعامية** ، لها علاقة بالفصحى من حيث مراعاتها لقواعد النحو والصرف والرسم المتعارفة ، ولها صلة بالعامية من حيث بساطة الفاظها وتراكيبها وحتى النطق بها بالوقوف على السكون مثلا وهي محاولة طريفة يمكن تعميمها لحل مشكل الفصحى والعامية اي انتهاج التاليف والتعبير بلغة سلسة طيعة يفهمها الخاص والعام ، لكن انتشار مثل هذه اللغة الثالثة متوقف الى حد كبير على انتشار التعليم واكتساحه كل اصناف المجتمع ، الشان في هذا المجال شان الفصحى او يكاد ...

3 — كيف ننهض باللغة العربية ؟

ليس الحل في الترجمة فحسب اذ هي كما رأينا ضرورية لكن غير كافية ، وانما **الحل في تكوين اطارات كافية من حيث العدد والقيمة** اي كما وكيفا كما يقال ، اطارات في أعلى مستوى قادرة على الخلق والابتكار والتاليف في ميدان العلوم والتقنيات خاصة ، اي **تكوين بحاثة وعلماء قادرين على مجاراة البحاثة** والعلماء الامريكان والأوربيين في ميدان البحث والاكتشاف والاختراع بالمخابر العلمية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى **يشترط في هؤلاء البحاثة والعلماء ان يتضلعوا في العربية ليعبروا بها عن آرائهم ويصنفوا بها الكتب والمقالات . الحل اذن ينحصر في تكوين العقول والادمغة لا في الترجمة فحسب .**

فاذا ظهروا الى الوجود — والمسالة مسالة زمن — **اصبحوا قادرين على فرض لغة عربية علمية عصرية ، فتقتحم هذه اللغة المحافل العلمية والسياسية الدولية** تقديرا للناطقين بها من أجل علومهم ومساهمتهم في تحقيق التطور البشري والتقدم الحضاري على صعيد عالمي . هذا هو الحل في الآجل ، لان الحياة على مراحل والتطور كذلك .

اما الحل في العاجل فهو ما بادرت اليه تونس وهو **استعمال اللغة الفرنسية الى جانب اللغة العربية**، على ان هذا الحل قد يطول أمده ، ولا ضير في استعمال اللغتين العربية والفرنسية ، بل حتى أكثر من لغتين في عالمناليوم ، عالم الحضارة والعلوم والتقنيات والاكتشافات المتعددة المتعاقبة ، علم غزو القمر والتحليق في الفضاء ، نريد فيه ان نلتحق بالامم المتقدمة التي سبقتنا اشواطا واشواطا في ميدان البحث العلمي والاختراع والاكتشافات التقنية .

وهكذا **فان اللغة التي يمكن أن تصبح اداة التاليف العلمي والتدريس بالمعاهد والكليات هي اللغة الثالثة** التي تعرضنا لها آنفا بشرط أن يخلقها ويفرضها — بالتاليف فيها قبل كل شيء — جمع البحاثين والعلماء الذين ننتظرهم سواء في ميدان الرياضيات او العلوم الفيزيائية او علوم الذرة وغزو الفضاء ، أو الطب في المخابر بالخصوص .

واذا ما وصلنا الى هذا الطور ، الذي تصبح فيه اللغة العربية — اللغة الفصحى المبسطة — لغة التدريس والتاليف بمختلف مراحل التعليم ، فلا بد من الحفاظ على اللغة الفرنسية واللغة الانجليزية او الالمانية وغيرها من اللغات العالمية الحية بمدارسنا حتى يبقى التفاعل او التبادل او التلاقح حاصلا بين الحضارات والثقافات فنكون هكذا قد حققنا ما نصبو اليه من تدعيم ثقافتنا على اسس قومية واصيلة من ناحية ، وتفتح من ناحية أخرى على العالم الخارجي .

ولئن كان من السهل اليوم أن ندرس اللغات والعلوم الانسانية او عددا منها على الأقل باللغة

العربية ، فان كثيرا من المشاكل ما زالت قائمة في وجه هذه اللغة : ومنها **صعوبة تعريب العلوم والفنون التقنية كلها في الأجل ، وقلة الاطارات الكفأة والكافية** في ميدان التدريس العالي باللغة العربية ، وكذلك ادبار الشبان من الطلبة والطالبات عن العربية كما دلت على ذلك التجربة الاخيرة الرامية الى اقحام ساعة عربية في مختلف شعب التدريس الجامعي، الخ.

وان دل هذا النفور منهم على شيء فهو يدل على نوع من المركبات ، مركب الشعور بالنقص ، المتمثل في الازدراء والاستعلاء تجاه هذه اللغة .

اما فيما يتعلق باللغة الدارجة ونصيبها من الاستعمال فقد ينحصر — على الصعيد الداخلي — في الميادين التي تسربت اليها اليوم ، سواء بالاذاعة والتلفزة او ميادين التاليف المسرحي لبعض الروايات المسلية او ذات النزعة التربوية الاخلاقية والاجتماعية لعرضها بالاذاعة او التلفزة فضلا عن ميدان التخاطب بالمنزل والشارع والادارة .

على انه من العسير أن نتصور اللغة الدارجة هي اللغة الرسمية المثلى التي قد تصبح لغة التاليف والتدريس او نشر العلم والثقافة في اي بلد من اقطار المغرب او المشرق وهذا راجع — اذا وضعنا المشكل على الصعيد الأممي بين هذه الاقطار — الى ان لكل بلد من هذه البلدان لغته الدارجة ولهجته ومصطلحاته الخاصة : فكلمة « شنطة » المصرية مثلا لا افهمها وأفهم مكانها لفظة « فليجة » رغم ان هذه اللفظة أعجمية غير عربية لكنها تستعمل في الدارجة التونسية. وقل مثل ذلك بالنسبة الى الكثير من الكلمات ذات الاصل التركي او الفرنسي التي تزخر بها اللهجات العامية في مختلف الاقطار العربية والتي تستعمل في بلد دون الآخر ، مما يجعل وسيلة التفاهم والتخاطب صعبة معقدة .

فالحل اذن هو لفائدة لغة عربية فصحى مبسطة تفرض نفسها مع الزمن بفضل عدة عوامل .

ومن هذه العوامل بالنسبة الى بلادنا ، **انتشار التعليم وعناية الحكومة بتطوير اللغة العربية وتنميتها في نطاق التدريس والتاليف من الحفاظ على اللغات الأجنبية** وخاصة الفرنسية باعتبارها اللغة العلمية المناسبة القريبة من الاغلبية الساحقة من التونسيين ضمانا لابقاء التفتح على الثقافات والحضارات الأجنبية والتفاعل مع العالم الخارجي وتحاشي الانكماش والانغلاق على النفس .

وخلاصة القول فقضية اللغة العربية هي قضية تطور زمني ، مرتبطة ارتباطا وثيقا بانتشار التعليم الى ان يكتسح كافة أبناء الشعب التونسي بنسبة قريبة من النسبة المثلى اي ما يقرب من مائة بالمائة ، كما هو الشأن في البلدان المتقدمة التي مرت على استقلالها عقود من السنين ، **وهي قضية تكوين اطارات عالية** كفأة مقتدرة على البحث والاختراع والتاليف وبالتالي على فرض لغة مجددة مبسطة منقحة لها قواعد الفصحى مع تراكيب والفاظ واصطلاحات قريبة من الاذهان ، يفهمها الخاص والعام . كما هي قضية عناية من طرف المسؤولين بتطويرها ونشرها كما هو الشان بتونس ، وعلى صعيد أممي ، من طرف المسؤولين بمختلف الاقطار الناطقة بها .

فعسى بذلك أن تصبح الى جانب اللغة الفرنسية او الانجليزية او الالمانية او الاسبانية لغة « التعامل » في المحافل الدولية السياسية والمنظمات الثقافية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية العالمية .